

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

علم النخبة التربوية الإسلامية في السنة النبوية

إعداد الطالبة
فاطمة سالم عبد الله باجاير

إشراف الأستاذة الدكتورة
آمال بنت حمزة المرزوقي أبو حسين

بحث محكم لبل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

الفصل الدراسي الثاني

١٤٢٦هـ - ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص الدراسة

اسم الباحثة : فاطمة سالم عبد الله باجابر .

عنوان الدراسة : أبعاد نظرية التربية الإسلامية في السنة النبوية .

الهدف من الدراسة : إن الباعث الرئيسي إلى هذه الدراسة هو تسليط الضوء على منهج التربية النبوية ، تطبيقه في المجال التربوي ، وتوضيح الأهداف والقيم والأصناف التي تناولها السنة النبوية .

منهج الدراسة : استعملت الباحثة المنهج التحليلي الوصفي : متبعة في الأحاديث النبوية ، مستخدمة المنهج التربوي ذات الصلة بأهداف ومقامين وأصناف نظرية التربية الإسلامية .

فصول الدراسة : اشتملت الدراسة على أربعة فصول ، هي كالتالي :

- الفصل الأول : حجة الدراسة ومنهجيتها .
- الفصل الثاني : عوائق - ملامحة نظرية التربية في السنة النبوية - ، وتناول مفهوم النظرية بصورة عامة ، ومفهوم النظرية التربوية ، والاعتراضات أمام مفهوم النظرية ، واستخدام النظرية في موضوع الدراسة الحالية .
- الفصل الثالث : وعنايته - أهداف نظرية التربية في السنة النبوية - ، وتناول تحقيق العمودية لله ﷺ والبياع سنة رسوله ﷺ ، بناء الإنسان الصالح وتوضيح صلته بالكون ، وتأسيس مجتمع إسلامي قائم على مبادئ حضارة واحدة في العالم .
- الفصل الرابع : وعنايته - مقامين نظرية التربية في السنة النبوية - مضامين القطعية الإنسانية ، مضامين التربية ، مضامين التربية الاجتماعية .
- الفصل الخامس : وعنايته - أصناف نظرية التربية في السنة النبوية - ، وتناول ستة أصناف ، هي : أسلوب تشييد ، والمحو ، والفصل التربوي ، والتقدمة ، والتربية بالأحداث ، والملاحظة والاستدراج .

أهم النتائج : ١- أوضحت الدراسة أنه لا مانع من استخدام كلمة (نظرية) في مجال التربية الإسلامية ، لأن كلمة (نظرية) لا تفسر النصوص الشرعية ، وإنما لتناول الجوانب التربوية التي يحتاجها المسلم في العصر الحاضر ، وطريقة التطبيق . ٢- أوضحت الدراسة ضرورة أهمية التربية بالاضلين التربوية التي يلزم الأخذ بها لتنظيم أمور المجتمع المسلم .

أهم التوصيات : ١- أهمية الاهتمام بالنظرية النبوية والاستفادة منها في معالجة المشكلات السلوكية في ضوء أهدافها ومقامينها التربوية باستخدام الأصناف التربوية التي أوردتها الرسول محمد ﷺ . ٢- على الرئي أن يتوسع في النظرية التربوية ويعرض على استخدام الأصناف العقلية في الإقناع ، فهي وسيلة متميزة تضمن وصول المعلومات إلى ذهن السامع ، وتوضيح القضايا الدينية والفكرية .

أهم المقترحات : ١- تناول الأصناف التربوية عند كل حلقة من الحلقة الأربعة بدراسة مستقلة ، توضيح المواقف التربوية التي حدثت في ذلك العصر ، وعرض العلاج الذي استخدم لحلها ، واقتضاء عليها ، وتحسين الأصناف التربوية المعاصرة . ٢- أن تدرج هذه الدراسة ضمن منهج نظرية التربية الإسلامية لطلاب كدرسات العليا ، وأن يبين التعليم العام لإدخال موضوعات الأصناف التربوية في السنة النبوية ضمن منهج الإحلال التربوي للمعلمين ، حتى يتمكنوا - عند طرحهم - من مواجعة المواقف التربوية التي يواجهونها في عملهم .

Thesis Summary

Name of researcher : Fatmah Salim Bajaber

The Dimensions of the Islamic Educational Theory in the Prophet's Sunnah.

Purpose:

This thesis aims to shed some light on the Prophet's educational teachings to apply them in educational practice. The thesis also illustrates some of the contents, methods, and objectives that the Prophet's Sunnah comprises and links it to the current educational reality and issues.

Approach:

This researcher used the analytic descriptive method with focus on the Prophet's Traditions (Hadiths), and identifying the educational areas that are related to the contents, methods, and objectives of the Islamic educational theory.

Chapters:

Chapter one: thesis plan and methodology

Chapter two: the meaning of educational theory in the Prophet's sunnah. It comprises the meaning of the theory in general, the meaning of the educational theory, objections against the meaning of the theory and using the theory in this study.

Chapter three: objectives of education theory in the Prophet's Sunnah. It deals with worshipping Allah alone and following the Sunnah of the prophet (peace be upon him), building up a good man and his relation to the universe, creating an Islamic society able to build up a great civilization in the world.

Chapter four: contents of education theory in the Prophet's Sunnah – contents of human nature, contents of education, and contents of social education.

Chapter five: methods of education theory in the Prophet's Sunnah. It talks about six methods: method of simile, discussion, prophetic stories, example, upbringing through events, observation and deduction.

Results:

1. This thesis indicates that there is no problem in using the term of theory in the Islamic educational field inasmuch as it doesn't affect the juristic texts. However, it studies the educational aspects that a Muslim needs in the present time and the way of applying them.
2. This thesis shows that the educational theory in the prophetic Sunnah was characterized by using Islamic educational methods which westerners now call for the importance of using them, as it has a psychological effect which helps in building up and developing the human personality.

Recommendations:

1. to give priority to the importance of the Prophet's educational teachings and to apply them as a remedial guidance with the behavioral problems, and to treat the behavior deviances in accordance with the objectives and contents of these teachings, using their methodology that the Prophet Muhammad – Peace Be Upon Him – directed.
2. the educationist should use a variety of educational methods, means and styles and opt to the use of rationally convincing approaches and teachings to clarify intricate social and religious issues. These methods are significant and they guarantee information conveying to the mind of the addressed and illustration of spiritual and materialistic concepts and matters.

Suggestions:

1. to study educational methods of each of the Four Caliphs in an individual study addressing the educational concerns and issues they faced and the solutions they came up with that took place during each Caliph's time and to enlist the methods used to treat those incidents and the methods used to deal with them, and to establish them in the current educational methods.
2. to include this study in the Islamic educational theory for the students of higher education. General education should include topics of educational methods in the Prophet's Sunnah in the teacher training programs to be able after graduation to face educational situations in their work.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

﴿ يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ إِنْ أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَنَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأْنْ هُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ ﴾ (الأحزاب ٤٥ - ٤٨) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَتْ الدُّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ فَأَنَا أَحَدُ بَحْزَرِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَعُحُمُونَ فِيهِ »^(١).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

(إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ)^(٢).

(١) مسلم / مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم ، ١٤١٦ هـ ، دار ابن حزم : بيروت ، ج ٤ ، كتاب

الفضائل ، ص ١٤٦٨ ، ر : ٢٢٨٤ .

(٢) البخاري / أحمد بن محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ط ٥ ، ١٤٠٦ هـ ، عالم الكتب : بيروت ، ج ٨ ، كتاب

الأدب ، ص ٤٧ ، ر : ١٢٢٠ .

الإهداء

- إلى كل من ينبض قلبه بحب الله ورسوله ..
- إلى كل مسؤول ومربي ..
- إلى كل من يعمل في حقل التربية والتعليم ..
- إلى والدي رحمه الله الذي غرس في نفسي حب العلم ..
- إلى والدتي الحبيبة أطل الله في عمرها ..
- إلى زوجي الغالي ..
- إلى ثمرة فؤادي وبهجة نفسي أبنائي ..
- إلى كل من ساهم ومد يد العون والمساعدة لي ..

شكر وتقدير

الحمد لله القائل : ﴿وَرَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ بَعْفَظِكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي﴾ لِي تَبْتَغِيَ إِلَيْكَ الْوَالِي مِنَ الْمُتَسَبِّحِينَ ﴿ (الأحقاف آية ١٥) .

بعد أن من الله عليَّ بإتمام هذه الدراسة - التي أسأل الله أن يعملها علماً نافعاً - ، فإنني أشكره ﷻ على عظيم عطائه وحسن فضله ، شكراً طيباً مباركاً مثل السموات والأرض ومثل ما بينهما ، هو وحده له الفضل في إتمام هذه الدراسة ، فلك ربي مسجدة ، وعليك توكلت ، وبك أمنت .

وتطالفاً من العرفان لأصحاب الفضل بفضلهم ، وإيماناً بوجوب إعطاء كل ذي حق حقه من الشكر والثناء والتقدير ، فإنني أتوجه بحملي الشكر والعرفان إلى مشرفي وأستاذي : أ.د/ أمال بنت حمزة الرزوقي أبو حسن ، التي تقضت وتكرمت بقبولها الإشراف عليَّ ، وغمرتني برعايتها واهتمامها ونوحياتها التي كان لها أصق الأثر في إخراج هذه الدراسة إلى النور ، ولم يقف عطائها عند هذا الحد ، بل فتحت لي أبواب منزلها ، وسجلت مكتبتها بين يدي ، ووفرت لي مراجع علمية غسر مشوقة في الكتب ، فجزاها الله عن خير الجزاء .

والشكر موصولاً إلى كل من : أ.د/ حامد سالم الحري ، أ.د/ محمد جميل عيسى صباط ، أ.د/ محمود محمد كستوي ، للقبولهم بحملة الدراسة ، وعلى ما أضافوا به من توجيهات .

والشكر موصول والثناء محمول على أكف العرفان بالجميل ، إلى كل من ساهم بتوجيهاته القيمة لإثراء حملة الدراسة ، وهم كل من : أ.د/ خالد الحارثي ، أ.د/ محمد شحات الخطيب ، د/ عبد الرحمن السميري ، د/ عائشة الجلال ، م.د/ عدنان النحوي ، د/ عبد الرحمن العبدان ، فجزاهم الله خير الجزاء ..

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من أمدني بمراجع للبحث ، أو دأبني على مراجع استفدت منها . ومنهم : د/ حياة الطاهر ، د/ حياة عفاصي ، د/ حياة تياز ، د/ خالد القرشي ، د/ صالح أبو عراد ، د/ عدنان النحوي ، د/ علي القرني ، د/ عائشة الجلال ، د/ عائشة الحسري ، د/ عساف عبيد ، د/ نايف حامد بن همام الشريف ، أ/ سميرة باحار ، أ/ منصور الدخيل ، أ/ وفاة الثقفي .. فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء .

والشكر موصول للأستاذ غالب ثابت في مكتب دول الخليج ، الذي أمدني بمراجع قيمة كان لها دور هام في الدراسة ، جزاه الله خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر إلى كافة منسوبي جامعة أم القرى ، وعلى رأسهم معالي مدير الجامعة :
أ.د/ ناصر بن عبد الله الصالح .

والشكر موصول إلى عميد الدراسات العليا : د/ ثامر الحسري ، وعميد كلية التربية :
د/ زهير الكاظمي ؛ لما يقدمونه من تسهيلات لطلاب العلم . فجزاهم الله خيراً .

وأقدم بخالص الوفاء والشكر والعرفان إلى عميدة الجامعة : أ.د/ وفاء الزروع ، على ما تبذل من
مجهودات للتذليل الصعوبات أمام المتعلمين ، وتسعى لجلب كل مصلحة تخدم طالبات جامعة أم القرى .
فجزاهم الله خيراً .

وأخص بالشكر والتقدير رئيس قسم التربية الإسلامية : د/ نعم الدين أنسجيجاني ، ونائبته :
د/ سمية حمادي ، على جهودهما وعطائهما الثمير .

والشكر موصول إلى جميع أساتذة قسم التربية الإسلامية والثقافة بجامعة أم القرى ، على ما بذلوه
وبذلونه لطلاب العلم من جهودات تربوية وتعليمية ، فجزاهم الله خير الجزاء .



قائمة الموضوعات

الموضوعات	ص
ملخص الدراسة (عربي) ...	ج
ملخص الدراسة (الانجليزي) ...	د
قيس من القرآن الكريم والسنة النبوية ...	هـ
الإهداء ...	و
شكر وتقدير ...	ز

الفصل الأول : خطة الدراسة

المقدمة ...	٢
موضوع الدراسة ...	٧
تساؤلات الدراسة ...	٨
أهداف الدراسة ...	٩
أهمية الدراسة ...	٩
منهج الدراسة وخطواته ...	١١
حدود الدراسة ...	١٢
مصطلحات الدراسة ...	١٢
الدراسات السابقة ...	١٤

الفصل الثاني : ماهية النظرية التربوية في السنة النبوية

مقدمة ...	٢٢
(١) مفهوم النظرية بصورة عامة ...	٢٢
(٢) مفهوم النظرية في التربية ...	٢٦
(٣) الاعتراضات على مفهوم النظرية ...	٢٩
(٤) الحاجة إلى استخدام النظرية في التربية الإسلامية ...	٣٥
(٥) نظريات العلوم الإسلامية الأخرى ...	٤٣

الفصل الثالث : أهداف النظرية التربوية في السنة النبوية

٥٨	مقدمة ...
٦٠	أولاً: تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى ، وإتباع سنة رسوله ﷺ ...
٦٣	١- الأعمال التي يسحق لها كمال الإيمان ...
٧٦	٢- توجيه القطرة وتربية النفس على حب العبادات ...
٨٥	٣- الحث على التسلسل بعبادة الله ...
٩١	٤- توكل الإنسان على ربه وتعلقه بخلقه ...
٩٥	٥- النجوة لله والدعاء ...
٩٧	٦- غرس الإيمان باليوم الآخر وبالقدر ...
١٠٠	٧- الأمور التي تمحو الذنوب والخطايا ...
١٠٦	ثانياً: بناء الإنسان الصالح وتوضيح صلته بالكون ...
١٠٦	صفات الإنسان الصالح ...
١٣٣	١ - صلة الإنسان بالحيوان ...
١٤٣	٢ - صلة الإنسان بالماء ...
١٤٦	٣ - صلة الإنسان بالرياح ...
١٤٨	٤ - صلة الإنسان بالنبات ...
١٥٠	٥ - صلة الإنسان بالأرض والحيال ...
١٥٢	٦ - صلة الإنسان بالملك والزمان ...
١٦٢	ثالثاً: تأسيس مجتمع إسلامي قادر على بناء حضارة رائدة في العالم ...
١٦٢	١ - بناء الأسرة ...
١٦٦	٢ - صفات ومهام القائد المسلم كما وردت في السنة الشريفة ...
١٨٥	٣ - معالم المجتمع الإسلامي وحضارته ...
١٩٢	٤ - حفظ الحقوق ...
١٩٧	٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...
٢٠١	٦ - النصيحة ...
٢٠٥	دلالات تربوية لأهداف النظرية التربوية في السنة النبوية ...

الفصل الرابع : مضامين النظرية التربوية في السنة النبوية

٢١١	المقدمة ...
٢١٣	أولاً: مضامين مفهوم الطبيعة الإنسانية ...
٢١٤	١- تكوين الإنسان ...
٢٢١	٢- التربية الجسمية ...
٢٢٧	٣- التربية العقلية ...
٢٣٣	٤- التربية النفسية ...
٢٤٢	٥- التربية الوجدانية ...
٢٤٦	٦- التربية الغريزية ...
٢٥٠	ثانياً: المضامين المتعلقة بالتربية الفردية ...
٢٥٠	١- فضل العلم في الإسلام ومكانته ...
٢٥١	أ- احث على طلب العلم وتعلمه ...
٢٥٢	ب- فضل طلب العلم ...
٢٥٤	ج- عدم حصر العلم على عمر معين ...
٢٥٤	هـ- تبليغ العلم لمن يفهمه ...
٢٥٦	و- الدقة في تحري العلم وتبليغه ...
٢٥٦	ز- حوافر طلب العلم ...
٢٦٤	٢- الفرق بين العلم والمعرفة ...
٢٦٩	٣- سمات المعلم والمتعلم والتعليم ...
٢٧٧	٤- العلم والعمل به ...
٢٨٣	٥- تحمل المسؤولية والعمل بمقتضاها ...
٢٨٨	ثالثاً: المضامين المتعلقة بالتربية الاجتماعية ...
٢٨٩	١- علاقات الأخوة الإيمانية ...
٢٩٠	٢- العلاقات الأسرية ...
٢٩٥	٣- علاقة الجوار ...
٢٩٨	٤- علاقات الأقارب والأرحام ...
٣١١	٥- علاقات البيع والشراء ...
٣١٤	دلالات تربوية لمضامين النظرية التربوية في السنة النبوية ...

الفصل الخامس : أساليب النظرية التربوية في السنة النبوية

٢٢٠	المقدمة ...
٢٢٢	أولاً : أسلوب التنشئة ضرب الأمثال ...
٢٢٧	ثانياً : أسلوب الحوار ...
٢٣٨	١- أسلوب الحوار بالسؤال ...
٢٤١	٢- أسلوب الحوار القصصي ...
٢٤٣	٣- أسلوب الحوار التوجيهي (المبادرة بالتعليم) ...
٢٤٥	٤- أسلوب الحوار الخطابي ...
٢٥٠	ثالثاً : أسلوب القصة ...
٢٧٣	رابعاً : أسلوب القدوة (الممارسة الفعلية) ...
٢٧٤	أنواع القدوة ...
٢٧٥	أقسام القدوة ...
٢٨٨	خامساً : أسلوب التربية بالأحداث ...
٢٨٩	١- الجانب العدي ...
٢٩٨	٢- الجانب الأخلاقي ...
٤٠٥	٣- الجانب الاجتماعي ...
٤٠٩	سادساً : أسلوب التربية بالملاحظة والاستنتاج ...
٤١٠	١- تدريب الصحابة على الملاحظة الاجتماعية ...
٤١٤	٢- ملاحظة كيفية التفكير وليس العلم ...
٤١٨	٣- التدريب على ملاحظة النتائج الواقعية ...
٤٢٠	٤- التدريب على ملاحظة النتائج المتوقعة ...
٤٢٢	٥- التدريب على ملاحظة النتائج المستقبلية ...
٤٢٧	دلائل تربوية لأساليب النظرية التربوية في السنة النبوية ...
٤٣٠	خاتمة الدراسة ...
٤٣٢	النتائج ...
٤٣٤	التوصيات ...
٤٣٦	المقترحات ...
٤٣٨	المصادر والمراجع ...
٤٦١	الملاحق ...

الفصل الأول

أهمية الدراسة

- ١- المقدمة .
- ٢- موضوع الدراسة .
- ٣- تساؤلات الدراسة .
- ٤- أهداف الدراسة .
- ٥- أهمية الدراسة .
- ٦- منهج الدراسة .
- ٧- حدود الدراسة .
- ٨ - مصطلحات الدراسة .
- ٩- الدراسات السابقة .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، ولا إله إلا الله
إله الأولين والآخرين ، الذي لا فوز إلا في طاعته ، ولا عز إلا في التثقل لعظمته ، ولا هدى
إلا في الاستهداء بنوره ، ولا حياة إلا في رضاه ، ولا نعيم إلا في قربه ، ولا صلاح للقلب
ولا فلاح إلا في الإخلاص له . وصلى الله على المصطفى رسوله البشر النذير ، والمسراج
النور ، للبعوث رحمة للناس أجمعين .

والحمد لله الذي جعل النبي خاتم الأنبياء ، وجعل التربية مشتقة من اسمه ، وجعل أفضل
الأعمال عمل التربين ، والصلاة والسلام على خير مربٍّ جعله الله هادياً وداعياً إلى الخير ،
بفضله لأمة طريقها ، فمن سلك طريق الخير أصاب ، ومن سلك طريق الشرّ عسر وعاب .

إن الشريعة الإسلامية التي أوحى الله بها إلى نبيه للمصطفى ﷺ تسخت كل شريعة قبلها ،
وخملت دعوته كلّ أمة ، فلم يبق لأحد حجة دون حجته ، أنقذ بها الإنسانية من ظلمات
الجهالة إلى نور العلم والإيمان ، أنزل على نبيه الكتاب تبياناً لكل شيء وهدياً ورحمة
وبشرى للمسلمين . فكانت منه هي البيان الواضح . قال تعالى : ﴿ وَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
يَتَّبِعُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ وَنَهْدِيكَ رَحْمَةً وَنُثَرِّقُ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الحج آية ٨٩) .

إن الرسول ﷺ هو المين للقرآن والمجد للإسلام بأقواله وأفعاله وسيرته كأنها ، حقق
أعظم الإنجازات في مجال التربية والإصلاح والجهاد والسياسة والتشريع والحكم والقضاء ،
التي بلغت شأناً عظيماً ، هذه الشخصية الفذة الناجحة للرسول المعلم في جميع ميادين الحياة
هي القدوة الحسنة التي يجب على المسلمين اتباعها .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتُوءٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب آية ٢١) . إن كل أفعال الرسول ﷺ هي مجال للناسي
والقدوة ، فإن سير المهدي هدي محمد ﷺ ، فجميع طرائق حياته ومعيشته على أتم المهدي

وإحدى ما يتأدب به للتأديبون ، ويقفله الحكماء العللون . ولنا مأمورون بالاعتناء به ، وسر
عون على هذا الاعتناء هو التعرف على سنته من مصادرها الصحيحة ، خاصة فيما يتصل
بقوم الإنسان ، والابعاد منهجه القوم الذي يكفل إيجاد الإنسان السوي .

ومنهج النبي ﷺ منهج متفرد في معالجة قضايا الإنسان ؛ إذ يجمع بين الارتقاء بالإنسان
في وجوده الحضاري في مدارج الإنسانية الممكنة ، وبين الواقع الذي يعيشه الإنسان في
إمكاناته وضغوطه ونزعاته وأمراته وحضارته ، فحقق للإنسان سعادته في ظل واقعه الذي
يعيشه ويتعايش فيه مع مَنْ حوله في يسر وسهولة^(١).

قالت عائشة رضي الله عنها : (مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِذَا اخْتَارَ أَسْرَحَهُمَا مَا لَمْ
يَكُنْ إِذَا ، فَإِنْ كَانَ إِذَا كَانَ أَهْدَى النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا تَقَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِذَا أَنْ تَنَهَكَ حُرْمَةً
اللَّهُ تَعَالَى فَيَنْتَهِمُ لَهَا بِهَا)^(٢).

وقد جاءت التربية النبوية لإقامة العدل وتعليم البشرية دينهم وتربيتهم وتعاملهم
وأحكامهم وتفكيرهم ، وكل ما فيه خير ومصلحة للبشرية أوضحت السنة النبوية التي يجب
على المسلمين اتباعها . قال تعالى : ﴿ وَمَا يَرْثُكُمْ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَوْهُ وَمَا يَنْتَهِكُمْ عَنْهُ فَأَتَيْنَاهُ
وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة ٧) ، ولا يقتصر الأمر على اتباع سنة
الرسول ﷺ في العبادات ، بل على المسلمين اتباعها في تربيتهم لأنفسهم وأولادهم وللمناشئة
والشجع ، فهي غنية بالأسس التربوية الإيجابية ، وزاخرة بالتوجيهات والإرشادات البناءة ،
وثرية بالحكمة والتبصير في فهم النفس البشرية وتفاعلاتها ودوافعها وعواطفها ، والاهتمام
بتعاليمها والابعاد منهاجه من قبل الآباء والمربين والمفكرين والمسؤولين عامة في البيت
والمدرسة والمجتمع ، وفي مختلف جوانب الحياة العملية والمناهج التربوية والثقافية ، حتى يمكن
الوصول إلى تكوين جيل سوي متكامل الشخصية روحياً وعقلياً وأخلاقياً واجتماعياً
وجسدياً ، محصن ضد الانحرافات والتفاسد وأسباب التحلل العقائدي والحلقة

(١) ترمذي / عبد الرحمن بن زيد ، ١٤٢٤ هـ ، بحوث شجرة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ونفع الناس ،
وزارة الشؤون الإسلامية : الرياض ، ص ١٣٦ .

(٢) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، ١٠٢٠ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٢٠٠ ، ج ٤ ،
كتاب الأدب ، ص ٢٥٠ ، ر : ٤٧٨٨ .

والاجتماعي^(١)، يستطيع مواجهة التحديات والتغلب على مشكلات الواقع ومهاجمة الأحداث بمهافة
إنمائية واضحة. ولا يتحقق ذلك إلا بعودة المجتمعات الإسلامية إلى الالتزام بشريعها وعقيدتها، والتباعد
سنة نبها ﷺ، عندئذ ستعود الأمة الإسلامية إلى مجدها وعزها وقوتها، وشخصيتها المتميزة.

كما أن سنة ﷺ هي الموضحة للمنهج الإسلامي، والنموذج الخالد على مدار التاريخ، فهو
للعلم والري، وهب سبيله كلها لتركبة الناس، وتقليصهم من شرور أنفسهم، وأمر بكل ما فيه
خير للبشرية. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَقُولُوا عَلَيْنَا بَشِيرٌ
وَنَذِيرٌ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَيَ شَكِلِينَ﴾ (البقرة آية ١٢٩).

وقد بعث الله رسوله ﷺ إلى مجتمع جاهل وصل فيه الفساد إلى نهايته، وتفشت فيه
ظلمات الجهل والكفر والفجور، فقد حُرِفَ الناس كثيراً بما جاء به الرسل، وعبدوا من
دون الله آلهة شتى، واتبعوا أخلاقيات سيئة من شرب الخمر والزنا والربا، والعصية القبلية؛
كما أن الغلبة للقوي، فأراد الله لهذا المجتمع التغيير، ففقه من الظلمات إلى النور، وتعلم
أفراده في مدرسة النبوة، فسلموا قيادة البشرية، وكانوا نموذجاً فذاً لم يشهده التاريخ من
قبل. وبقي الأمر كذلك حتى تغيرت أحوال المسلمين والجاهالهم، وابتعدوا عن منهجهم
الرباني وسنة المصطفى ﷺ، وكانت النتيجة أن عادت بعض من صور الجاهلية بصورة أشد مرارة
مما كانت عليه من قبل؛ لأنها تعاملت حقيقةً بمنهجها الإسلامي، وابتعت غير منهج الله.

وقد أشار الرسول الكريم ﷺ إلى فئة من المسلمين سوف تقودهم أفكار خاطئة إلى تعامل سنة
نبيهم، وبالتالي الجهل بها وتباعد الأهواء وآراء الناس، تاركين سنة نبيهم في كل شيء مما هي عليه
الشرع وذمة، فمن ترك السنة النبوية فقد ضل؛ لأنها قوام الدين. فعن أبي سعيد الخدري عن
النبي ﷺ قال: (« لَتَبْعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَلْبُكُم شَيْراً، وَذِرَاعَا بِلْدَانِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا
جَحِيمَ حَنْبَأٍ لِعِثْمَوْهُمْ »، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: « لَعَنَ »؟)^(٢).

(١) ارتعان / عبد الحميد الصبيد، أسس الترميز الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٣ هـ، دار العريسة للكتاب: ليبيا،
ص ٦١-٦٢.

(٢) البخاري / محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ١٤٠٦ هـ، عالم الكتب: بيروت، ج ٩، كتاب الاعتصام،
ص ١٨٤، ٩٠٢.

وَعَنْ أَبِي مُرَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « لَا قَوْمَ السَّاعَةِ حَتَّى يَأْخُذَ أَتْبَعِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شَيْئًا بِشَيْءٍ ، وَذَوَاعِمًا بِسِلَاحٍ » ، فَمَيْسَلٌ بِمَا زَسَمَوا النَّبِيَّ : كُفَّارٌ وَسُرُومٌ ؟ فَقَالَ : « وَفِي النَّاسِ إِذَا أُولِئِكَ » (١) . هذه الشيعة التي أبحر بها الرسول ﷺ هي من أهم أسباب مشكلات المسلمين ، وقد زادت التبعية للغرب وفقدان الهوية الإسلامية في القرون الأخيرة ، واتبع للمسلمون خلالها النظريات الغربية في مختلف الميادين ، وعلى رأسها التربية التي هي أساس كل حضارة ، وكلما زاد انبهار المسلمين بالحضارة الغربية زاد بعدهم عن الصواب ، رغم أن للمسلمين " ملكون كثيراً غنياً لا يفقهون ، يملكون منهاج الله ، الذي نستطيع أن نصوغ منه نظريات إيمانية في ميادين العلوم الإنسانية ، أو نعيد صياغة بعض ما وصل إليه الغرب مما لا يخالف معتقداتنا لنضعه في صالح الإنسان ، وحماية الحق والخير والإيمان والتوحيد ، وسد الفتنة والشرك والكفر " (٢) ، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولن يصلح حال للمسلمين إلا بالعودة إلى دراسة للمنهاج الرباني الذي يحترم الفطرة الخالصة ، ويكبح الأهواء الجاهلة ، والعودة إلى السنة النبوية ودراساتها بعين ، وفهم مضامينها التربوية وتحليلها ، واستقصاء الأسس والمبادئ والقيم والأهداف التربوية الكامنة فيها ، ووضعها في منظومة تمثل أبعاد النظرية التربوية الإسلامية وتوحيق روح العصر الذي نعيشه أمر بالغ الأهمية .

فيتمتع على الباحثين التربويين المسلمين بإبراز أبعاد نظرية التربية الإسلامية ، والأخذ بما في تربية الفرد والجماعة ، فإنه لن يُخرج للمسلمين من أزمته ، ويردّهم إلى عزّهم ، ويحلّ مشكلاتهم للعاصرة ، إلا العودة الصحيحة الصادقة إلى منهج السنة النبوية الصحيحة المعتمدة على المنهج الرباني الذي أنعم الله به عليهم .

لذلك فإن دراسة السنة النبوية واستنباط الأبعاد التربوية منها وبلورتها في منهج يمكن تطويره وتطبيقه في النظرية التربوية الإسلامية أمر يحتاجه المجتمعات الإسلامية لتحقيق الأهداف التربوية الإسلامية في ضوء للدراسة النبوية التي وجهت للمسلمين إلى تركية العقل والنفس . وهذه الدراسة محاولة لدراسة السنة النبوية تربوياً بهدف السعي لتطبيقها على أرض الواقع للوقوف أمام تحديات العصر ، وذلك عن طريق معرفة للضامين والأهداف التربوية

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٤ ، ر : ٨٩ .

(٢) البحري / عدنان علي ، التربية في الإسلام النظرية والتطبيق ، ١٤٢٠هـ ، دار البحري : الرياض ، ص ٩ .

الإسلامية ، وتأسس العلوم التربوية وتطبيقها في الحياة ، فالرجوع إلى منهج التربية النبوية هو بداية استرجاع الشخصية المسلمة المتميزة وعودة الحضارة الإسلامية الشائعة ، وصياغة تلك للضامين والأهداف في نظرية تربوية مبنية على منهج رباني تهدف إلى غاية سامية وغرض نبيل هو تحقيق معنى الإنسانية السوية بين البشر ؛ " لأن التربية المحمدية حملت كل قوى الإنسان عقله وروحه وقلبه وحسده ووجدانه ، وتتنظر إلى هذه القوى نظرة شاملة متكاملة ومتوازنة ومتناسقة في كل لا يتجزأ هو النفس البشرية ^(١) .

وسوف تقوم الباحثة بتوضيح بعض الأبعاد التربوية للنظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية من خلال الأحاديث الشريفة في مجال التربية ، مثل تربية الفرد وتكوين الجماعة ، متناولة الجوانب الدينية والعملية والعقلية والاجتماعية ، وتسلط الضوء على التوجيهات النبوية التي أخرجت خير أمة فطرت في ذلك الوقت ، وإظهار الجوانب السلبية التي نلصقها على أرض الواقع الذي نعيشه ، حتى يمكن معرفتها ، وبالتالي تلافيها ، واستنباط واستقراء أسس تعالج واقعاً مؤلماً نتيجة سعة القوة بين الممارسات الحياتية وبين جوهر التربية الإسلامية .

فالخاتمة مائة إلى استعادة للمنهج الإسلامي للتربية بطريقة علمية وعملية للوصول إلى التصور الصحيح للمنهج وأهداف وأساليب التربية الإسلامية من مصادرها الحقيقية ، والإسهام في حل المشكلات التي تواجه الشعوب الإسلامية ، وخاصة المشكلات التربوية ، التي لا تزال بحاجة إلى جهود متضافرة كبيرة ؛ لأنها تمر بعدد من الأزمات التربوية الحادة ، متمثلة في عصر الأنظمة التعليمية عن تربية الفرد بطريقة تحقق فيها التربية الإسلامية . لذا فإن العودة إلى السنة النبوية ودراسة مضامينها التربوية وتحليلها واستقصاء المبادئ والأهداف التربوية التي تتعللنا أسماء على المنهج الإسلامي ، وفي الوقت نفسه تتفاعل مع روح العصر الذي نعيشه وهو أمر بالغ الأهمية ؛ مما يحتم على الباحثين إبراز جوانب القوة في النظرية التربوية الإسلامية ، والأخذ بها في تربيتنا . من أجل هذا وقع اختيار الباحثة على موضوع البحث (أبعاد النظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية) .

(١) العقيل / مصطفى عبد الله ، نظرة الإسلام إلى التربية ، ١٤٢٠هـ ، مطابع الغرزدق : الرياض ، ص ٥ .

موضوع الدراسة :

شغل موضوع النظرية التربوية جزءاً كبيراً في المحيط التربوي ، واهتماماً عظيماً من التربويين ، وهو نتاج لفلسفات غربية متعددة ، التبعث من اتجاهات فلسفية مختلفة . وليس كل ما يُذكر ويُسمع اليوم من أمر النظريات التربوية يصلح لأن يساس به الإنسان ، فالفلسف البشرية لا يعلم حقيقة أسرارها الكامنة وما يتوافق معها إلا حالها ؛ لذا فقد شرع الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ ما يربّيها ويُصلح شأنها .

وما أصاب العالم الإسلامي للعاصر من وهن وضياح ، إلا لأنه بدأ ينهل من ينابيع هذه النظريات الوضعية - التي لا تتماشى مع التربية الربانية - ، فبدأ المجتمع المسلم يتحلل عن منهجه الرباني مستبدلاً به نظريات وضعية ؛ مما جعل المسلمين اليوم في أمس الحاجة إلى استبدال هذه النظريات الوضعية بنظريات إسلامية ذات أصول قوية ثابتة نواحيه تيسر النظريات الوضعية ، وتكسدي لما فيها ثوابت وأصول راسخة قوية مستمدة من الكتاب والسنة النبوية .

وهذا الجانب التربوي أمر يحتاجه كل مسلم ؛ لأن التربية النبوية تُستمد من فروعها العقائد ، وتستقى من نبعها الأحكام ، وتؤخذ من منهجها الأخلاق للتكاملة التي هي أساس العلاقات الفاضلة وقوام المعاملات الحرة وعماد الحياة السعيدة^(١) ، ومنها تشتق النظرية التربوية الإسلامية ، التي تتناول تربية الإنسان من جميع جوانبه ، ويقوم نظامها الفردي والاجتماعي على القيم التربوية والأخلاقية . ويفسر هذا قوله ﷺ : « أَكْفَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِفْلاَحُ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا »^(٢) . وقوله ﷺ : « مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ »^(٣) . فالأخلاق الفاضلة هي عنوان صلاح الفرد والمجتمع ؛ لأنها نظام أساسي يضبط حياة المسلمين ويحدد العلاقات فيما بينهم وبين مخالقتهم ومع الناس كافة . واستخلاص نظرية تربوية من السنة النبوية أمر بالغ الأهمية ؛ لأنها تهدف إلى تحقيق العبادة لله وحده وتنظيم حياة الفرد وتوجيه سلوكه الإنساني في حياته الخاصة والعامة ، سواء ما يتصل بالجانب الروحي الذي يتعلق

(١) الرضائي : مرجع سابق ، ص ٥ .

(٢) أبو ذؤاد : سليمان بن الأسمث ، سنن أبي ذؤاد ، مرجع سابق ، كتاب سنة ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ ، ر : ٤٦٨٢ .

(٣) لمرجع السابق : كتاب الأدب ، ص ٢٥٣ ، ر : ٤٧٩٩ .

بالعبادات والتعبدات ، أو الجانب المادي الذي يتعلق بالعلامات والعلاقات وعمارة الأرض . وهو منهج متكامل شامل للتربية الإنسانية . لذلك تسعى الباحثة إلى تسليط الضوء على منهج التربية النبوية ، محاولة إعادة صياغته في أبعاد النظرية التربوية الإسلامية التي لها هويتها وأصالتها لتتواءم مع متطلبات عصر النهضة العلمية الحالي ، ونابعة من التربية النبوية ، وقابلة للتطبيق في كل زمان ومكان .

لذلك أرادت الباحثة أن تدرس التربية في السنة النبوية ، وصياغتها في أبعاد النظرية التربوية الإسلامية ، معتمدة على الكتب الستة : صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذي ، وسنن ابن ماجه ، وسنن النسائي ، وسنن أبي داود ؛ لاستنباط بعض الأهداف والمضامين والأساليب النبوية التي تتناسب مع حاجات العصر الذي نعيشه ؛ وهذا أمر بالغ الأهمية ؛ لأن الإسلام دين رباني صالح لكل زمان ومكان ، والحاجة اليوم ماسة إلى معرفة التطبيقات التربوية فيه والعمل بها ، خاصة مع كثرة استخدام المسلمين للنظريات الغربية في تربيتهم لأبنائهم ، وبعد القحة للشرسة على عمر التربية .

وهذه الدراسة توضح للمنهج التربوي النبوي مُصاغاً في نظرية تربوية ، تتناول دراسة أبعاد النظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية ، وبيان تطبيقاتها التربوية ؛ لممارستها على أرض الواقع ، فتتاول الجوانب التربوية فيها بالتحليل ؛ مما يسهم في فهم طبيعة النفس البشرية ، وعمارة الأرض ، وتوجيه السلوك الإنساني ، حتى يتسنى الوصول - بإذن الله - إلى إبراز هذه الأبعاد .

تساؤلات الدراسة :

تتمحور الدراسة حول السؤال الرئيسي :

ما أبعاد النظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية ؟

ومحور هذه الدراسة هو محاولة الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية :

س¹ / ما مفهوم النظرية التربوية في السنة النبوية ؟

س² / ما الأهداف التربوية للنظرية التربوية في السنة النبوية ؟

س³ / ما للمضامين التربوية للنظرية التربوية في السنة النبوية ؟

س⁴ / ما الأساليب التربوية في النظرية التربوية في السنة النبوية ؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة بصفة أساسية إلى محاولة تحديد أبعاد النظرية التربوية الإسلامية كما هي في السنة النبوية ، وفي ضوء هذا الهدف الأساسي تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الفرعية التالية :

- (١) محاولة توضيح مفهوم النظرية التربوية في السنة النبوية وبيان الحاجة إليها .
- (٢) محاولة التعرف على أهداف النظرية التربوية في السنة النبوية حتى يتسنى تطبيقها في المجال التربوي .
- (٣) محاولة استعراض مضامين النظرية التربوية في السنة النبوية وتحليلها .
- (٤) محاولة توضيح الأساليب التربوية في النظرية التربوية في السنة النبوية .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها محاولة للتعرف على أبعاد النظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية لتوضيح ما تحمله السنة النبوية من أبعاد تربوية تساعد على سدّ الثغرة التي تفصل بين الجانب العملي والنظري في التربية الإسلامية ، وتساهم في زيادة الوعي الإسلامي لدى الأجيال المعاصرة بضرورة اتباع سنة المصطفى ﷺ امتثالاً لأمر الله ﷻ في قوله : ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (الباء ٨٠) ، لذا ترى الباحثة أن هذه الدراسة لها أهمية علمية ؛ كونها تناول عدة أبعاد منها :

- (١) بيان معالم التربية النبوية وسبل السور على منحها قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتُوءًا خَسَنًا لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ حُبْرًا﴾ (الأحزاب ٢١) ، وذلك لأن سورة الرسول ﷺ هي النثل الأعلى للإنسان في جميع سلوكه .

لذا يجب التعرف على التوجيهات التربوية النبوية التي ترسي دعائم التربية الإسلامية في النفس البشرية ، ومن ثم يتحقق التطبيق الفعلي في الحياة العملية .

- (٢) إن الوقوف على منهج المدرسة النبوية والقبول سته ﷺ يساهم في بناء الإنسان الصالح الذي يتمتع في شخصيته قيم الروح والعقل والوجدان وفضائل النفس والبدن ، مع الموازنة بين جانبيه الفردي والاجتماعي ، وهو أمر يحتاجه كل مرء ، سواء في الأسرة أو المدرسة أو المجتمع .

٣) إن دراسة التربية النبوية توضح أساليب ووسائل التربية التي يحتاجها الأبناء للمسلمون وللمربيون في تربية أبنائهم ، وخاصة في العصر الحاضر الذي نواجه فيه صعوبة تربية الأبناء نتيجة بعدنا عن الشاع منهج التربية الإسلامية الحادثة ، وتأثرنا بالنسائج الوافدة .

٤) السنة النبوية منهج فكري وعملي حي متجدد للأمة الإسلامية ، وهي صالحة لكل زمان ومكان ، والرجوع إلى دراستها واستنباط المضامين التربوية التي تراكب الحضارة العصرية التي تعاني من سلباتها - وأصابت كل مسلم بمهامها الدائمة - أمر في غاية الأهمية ، لعلنا نبني جيلاً على قاعدة تربوية راسخة ، نستطيع من خلالها مواجهة التيارات الخارجية .

٥) إن من حصّن نفسه بالشاع سنة للصطفى ﷺ وطاعته ، هُدي إلى طريق الصواب ، ونال حيري الدنيا والآخرة - وذلك هو الفوز العظيم - قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب آية ٧١) .

٦) تعدّ الدراسات التي تتناول موضوعات تأصيل نظريات تربوية من السنة النبوية وربطها بالواقع دراسات نافذة ، لذا تعدّ هذه الدراسة إن شاء الله إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية .

٧) ودراسة السنة النبوية لاستنباط الجوانب التربوية أمر يحتاجه كل مسلم لمعرفة ما يتناسب من النظريات الغربية مع التربية النبوية ، وكيفية التعامل معها كمسلمين لهم هويتهم الخاصة ومنهجهم للنظم الذي يسرون وفق خطوطه العريضة الواضحة .

والباحثة لا تنكر الدراسات التربوية التي انتقلت من دراسة السنة النبوية ، ولكن الحاجة قائمة إلى المزيد ، لأن هذا العصر يحتاج إلى تكثيف الدراسات الإسلامية للشقة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وذلك لإظهار ما يتناسب مع العصر الحاضر الذي أشرقت فيه شمس الغرب المشرقة ، وأصابت بعض المسلمين ، فأبعدتهم عن الدين القويم ، وغطّت على العقول فأصابتهم العجز والتوقف والاستسلام لنظريات الغرب .

ونأمل الباحثة أن تحظى هذه الدراسة بمردود إيجابي لإحياءات فعالة لتسؤلات الدراسة ،

والتي تشكل مرتكز الدراسة ، بغية الوصول إلى نتائج وتوصيات تسهم في افتتاح التفكير الإنساني المعاصر على ما في النصوص الإسلامية الثابتة من نظريات تربوية إسلامية . كما تأمل أن تكون هذه الدراسة فائدة علمية تفيد كل من يقوم بتربية النفس ، سواء في مؤسسات التربية النظامية أو غير النظامية ، وكل من له علاقة بمجال الشريعة الإسلامية والتربية .

منهج الدراسة وخطواته :

لدراسة أبعاد النظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية ، سوف نستعمل الباحثة كلاً من المنهج التاريخي ، والمنهج الوصفي ، وذلك على النحو التالي :

المنهج : هو طريقة العمل التي تتبعها محاولة إيجاد حلول للمشكلات التي تواجهها^(١).

أ / المنهج التاريخي : إن الدراسة تعتمد على الكتب الستة وما تتضمنه من أحاديث الرسول ﷺ وللواقع والأحداث التي حدثت في زمن الرسول ﷺ . ويرى أبو سليمان أن المنهج التاريخي " يوضح حقائق العلاقات بين الأشخاص والأحداث ، والزمان والمكان ، ويفهم الحاضر في ضوء الماضي وتطوره باستخدام الطريقة العلمية لوصف الأحداث "^(٢).

ب / المنهج الوصفي : لا يقتصر على جمع البيانات وتبويبها ، وإنما يمتد إلى أبعاد من ذلك ؛ لأنه يتضمن قسماً من التفسير لهذه البيانات ، وتنظيم هذه البيانات وتحليلها واستخراج الاستنتاجات ذات الدلالة للمشكلة المطروحة للبحث^(٣).

وتقصد به الباحثة : ألا تكفي سرد الأحاديث أو ترتيبها ، وإنما الغرض في توصفها واستنباط الأهداف والمبادئ وربطها بالواقع ، وللوازنة القائمة على تعديل أوضاع الواقع وإصلاحه .

لذا قامت الباحثة بالاطلاع على الكتب الستة ، واستخراج الأحاديث من صحيح

(١) القاضي / يوسف مصطفى ، منابع البحوث وكتابتها ، ١٤٠٤هـ ، دار المريح : الرياض ، ص ٢٢ .

(٢) أبو سليمان / عبد الوهاب إبراهيم ، كتابة البحث العلمي ، ج ١ ، ١٤١٢هـ ، دار الشروق ، جدة ، ص ٣٤ .

(٣) سابر / عبد الحميد حار ، المرشد العملي الحديث في التربية وعلم النفس ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ ، دار المعارف :

البخاري ، وصحيح مسلم ، ثم الرجوع إلى الكتب الأربعة - أبي داود ، الترمذي ، النسائي ، ابن ماجه - ومطابقة الأحاديث المختارة مع سلسلة مجموعة صحيح الألباني لتحديد الأحاديث الصحيحة من الكتب الأربعة ، وبعد تحديد جميع الأحاديث يتم اختيار الأحاديث ذات الصلة القوية بالموضوع ، ثم الرجوع إلى الشروح بغرض فهمها وتوظيفها لخدمة موضوع الدراسة وتحليلها وتفسيرها ، وصولاً إلى أبعاد النظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية .

حدود الدراسة :

نظراً لتعدد وتنوع أبعاد النظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية ، فإن الدراسة سوف تقتصر على تناولها الأبعاد التالية :

١/ ماهية النظرية التربوية في السنة النبوية .

٢/ أهداف النظرية التربوية في السنة النبوية .

٣/ مضامين النظرية التربوية في السنة النبوية .

٤/ أساليب النظرية التربوية في السنة النبوية .

وستحاول الدراسة الوصول إلى هذه الأبعاد ، معتمدة على الكتب الستة : صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذي ، وسنن ابن ماجه ، وسنن النسائي ، وسنن أبي داود .

مصطلحات الدراسة :

١/ أبعاد : تعددت المفاهيم حول تعريف كلمة (أبعاد) حسب المؤلفين الذين كتبوا في النظرية التربوية الإسلامية ، ومن هذه المفاهيم : أنها " الجوانب التي تبرز أطر النظرية التربوية الإسلامية ومعلنها للهمة التي بها تتميز عن غيرها"^(١).

وبالاحتكاك بقصده بالأبعاد في الدراسة الحالية : بأنها المستوى التطبيقي التربوي الذي لا غنى عنه أي عملية تربوية في كافة المستويات التعليمية اللازمة لبناء نظرية تربوية إسلامية على أصول إسلامية . وهذه الأبعاد سبق ذكرها في التساؤلات والأهداف .

(١) داهن / مقداد ، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية ، ط٢ ، ١٤١١هـ ، دار عالم الكتب : الرياض ، ص ٢٧ .

٢ / النظرية التربوية : ترى الباحثة أنها : منظومة من القيم والليدئ والتوجيهات التربوية التي تتوافق مع ثقافة المجتمع ، وتوجه سلوك الأفراد والممارسات التعليمية .

وسوف تتناول الباحثة التعريفات بالتفصيل في الفصل الأول ، ولا حاجة للتكرار .

٣ / التربية الإسلامية : " النشاط الفردي والاجتماعي الهادف لتنشئة الإنسان فكرياً وعقدياً ووجدانياً واجتماعياً وجدانياً ووجدانياً وحقيقياً ، وتزويده بالعارف والالتزامات والقيم والخبرات اللازمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام ، وفي ضوء الأسس النظرية والأهداف والليدئ والمضامين التربوية في القرآن الكريم والسنة ، وما نتج عنهما من فكر إسلامي يكون الإطار الفكري الذي تستند إليه التنشئة الإسلامية الصحيحة " (١) .

٤ / النظرية التربوية الإسلامية : " مجموعة من الليدئ المترابطة المستمدة من الكتاب والسنة والمدمجة بالحقائق المتعلقة بالآيات المبثوثة في النفس الإنسانية والكون والتاريخ ، والشاملة لمبادئ العملية التربوية ككلية ، والمهادفة إلى توجيه السلوك الإنساني في ضوء قيم الإسلام وتعاليمه الخالدة " (٢) .

وعرفها النور بأنها : " مجموعة مترابطة من الليدئ والقواعد والفاهيم التربوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، تكون الأساس لشيئ الذي يقوم عليه بناء تربوي صالح يهدي للعمل ، من صنع اللؤمين ، نتيجة أبحاث نظرية وأخرى تحريرية " (٣) .

وعرفها الخياط بأنها " ليدئ للتقاة من الكتاب والسنة ، أو أنها مجموع آراء المفكرين المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى وقتنا الحاضر " (٤) .

وترى الباحثة أنها : كل لليدئ والقيم والتوجيهات التي أسست بها الشريعة

(١) أم العبد / رسالة الخليل العربي ، ج٢ ، ١٤٠٨هـ ، مكتب دول الخليج العربي : الرياض ، ص٩ .

(٢) عبد الله أحمد الرحمن صاخب ، النظرية العامة للتربية رؤية إسلامية ، المؤتمر التربوي ، ج٢ ، ١٤١١هـ ، ص٥٠٥ .

(٣) فاروق أ بشير حاج ، تأصيل تربية العلم ، ١٤٠٠هـ ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة ، ص٣٩ .

(٤) الخياط / النظرية التربوية في الإسلام ، ط٢ ، ١٤٢١هـ ، مطابع الصفا : مكة المكرمة ، ص٢٠ .

الإسلامية ، والتي تهدف إلى تحقيق كمال العبودية لله ، وتوجيه ممارسات المسلم نحو نفسه والكون والحياة والعلاقات الاجتماعية .

٥/ السنة النبوية : تعرف السنة النبوية عند الأصوليين بأنها : " ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير " (١) . والسنة هي الطريقة والمسيرة ، وفي الشرع يراد بها : ما أمر النبي ﷺ به أو نهى عنه أو ندب إليه ، قولاً أو فعلاً ، مما لم ينطق به الكلام العزيز ، ولهذا يقال : أدلة الشرع الكتاب والسنة . وفلان متسنن ، أي عامل بالسنة (٢) .

والسنة هي : طريقة جديدة أعدلها ثم اتبعها آخرون فصارت عادة أو منهج حياة .

الدراسات المسابقة :

هناك العديد من الدراسات التي تناولت دراسة النظرية التربوية الإسلامية ، ودراسات أخرى تناولت بعض الجوانب التربوية في السنة النبوية ، والذي يهمنا هنا أبعاد النظرية التربوية في السنة النبوية ، ومثل هذه الموضوعات رغم أهميتها في الوقت الحاضر إلا أنها لم تغط بالدراسة الكافية ، والموضوع الذي أختار لهذه الدراسة ومحتواه لم يسبق دراسته ، وذلك بناء على اطلاع الباحثة على دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية ، الصاهر من مركز لثلاث فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، وإفادة معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ومركز لثلاث فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، وكذلك بالسؤال في جامعة عين شمس بالقاهرة .

والباحثة سوف تستعرض الدراسات التي تناولت النظرية التربوية الإسلامية أو أحد محاور الدراسة الحالية ، وسوف يتم عرضها حسب التسلسل الزمني ، وذلك كما يلي :

١) دراسة آمال بنت حمزة الموزوقي ١٤٠١هـ : بعنوان " النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي العربي " ، رسالة ماجستير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية وللقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

(١) التوديسي / محمد زكريا ، أصول الفقه ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ ، دار الفكر ، لبنان ، ص ١٨٦ .

(٢) الشروز آلاي / أحمد الدين محمد بن يعقوب ، صاهر دوي قيسر في لطائف الكتاب العزيز ، ج ٣ ، المكتبة العلمية : بيروت ، ص ٦٦٧ .

وقد حددت الباحثة أهداف دراستها والعمل على توضيح النظرية التربوية الإسلامية والدور الذي يجب أن تؤديه في توجيه الناشئة نحو الخير والصلاح في العصر الحالي ، مبنية انبهار للمسلمين بالفلسفات الغربية في مجال التربية .

منهج الدراسة : للمنهج التاريخي ، والوصفي .

فصول الدراسة : تكونت الدراسة من سبعة فصول :

- الفصل الأول : عبارة عن المقدمة ومشكلة البحث ونسألاته وأهداف الدراسة .

- الفصل الثاني : تحدثت فيه الباحثة عن فلسفات الغرب التربوية ، مثل فلسفة سقراط ، أفلاطون ، أرسطو ، جان جاك روسو ، جون ديوي .

- الفصل الثالث : ألقت الباحثة فيه الضوء على الواقع التربوي للعالم الإسلامي ، وتناولت فيه النظام التربوي في العالم الإسلامي ، للمناهج الدراسية ، إعداد المعلم ، طريقة التدريس .

- الفصل الرابع : تطرقت فيه الباحثة للنظرية التربوية الإسلامية ، وبينت فيه بعض ملامح تربية العرب قبل الإسلام ، التربية الإسلامية : أهميتها ، أهدافها ، اتجاهاتها ، مناهجها .

- الفصل الخامس : أوضحت دور النظرية التربوية الإسلامية في إعداد الإنسان المسلم ، وإعداد المجتمع المسلم ، دور المؤسسات التربوية الإسلامية ، ودور وسائل الإعلام في إعداد الفرد والمجتمع .

- الفصل السادس : تحدثت عن جهود نظرية التربية الإسلامية وأسباب هذا الجمود ، والغزو التربوي والفكري ، ونبّأت مناهج بعيدة عن الإسلام .

- الفصل السابع : كان عبارة عن التوصيات والمقترحات .

أهم نتائج الدراسة :

١/ إن العالم الإسلامي للعاصر يعاني من مشكلة تربوية خطيرة تظهر في حركته أمام النظام التربوي الذي يسر عليه ، فمنهم من يدعو إلى التمسك بالثراث ، ومنهم من يدعو إلى التجديد وللعاصرة ونسيان الماضي ، مما أدى إلى الازدواجية في الفكر التربوي والثقافة .

٢/ أوضحت الباحثة أن غياب منهج التربية الإسلامية الصحيح القادر على مواجهة مقتضيات التغيير والتطور هو المسؤول عن القوضي في مجال التربية في العالم الإسلامي ، ومسؤول عن الانهيار بفلسفات الغرب .

٣/ إن التربية الإسلامية تنمي مواهب الفرد واستعداداته لخدمة الوجود الإنساني كما حددها الله ، وتغرس الروح الجماعية في قلب المسلم . وإن الفلسفات التربوية عصرت عن إعداد الفرد كما أعدته التربية الإسلامية .

وتتلقي هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في الفصل الخامس من حيث إعداد الإنسان والمجتمع للمسلم .

٢) دراسة محمد جميل عياط ١٤٠٧هـ : بعنوان " النظرية التربوية في الإسلام " ، وهذه الدراسة تناولت الأسس والعناصر التي تقوم عليها النظرية التربوية الإسلامية وتوجيه أسلوب الحياة ومنهج العقيدة ، وبذلك تكون النظرية التربوية الإسلامية منهجاً عملياً ، وليس مجرد مادة في إطار المنهج العام . وبين أيضاً أن النظرية التربوية الإسلامية ذات أصول حقيقية ، وتختلف النظريات الأخرى . والمؤلف قسم الدراسة إلى قسمين : عناصر وأسس وأخرى أخقية ، ووزع القصول على هذا التقسيم ، فكان عددها ثلاثة فصول ، تناول في الفصل الأول الجانب الفكري لمفهوم النظرية ، والفصل الثاني تحدث فيه عن الأبعاد التربوية والحضارية والاجتماعية لعقيدة التوحيد ، متناولاً نبوة الإنسان والكون والمجتمع والعلم والمعرفة والبعث ، وأغرد الفصل الثالث للمنظور الأفقي لنظرية التربية الإسلامية ، وتناول فيه الفلسفات والعقائد التاريخية والنظريات التاريخية ، وكذلك النظريات المتضادة للنظريات الختمية التاريخية ، وتطرق أيضاً للديمقراطية وأنماط النظم التربوية .

وتتلقي هذه الدراسة مع الدراسة الحالية من حيث لطرق المؤلف للإنسان والكون والعلم والمعرفة والمجتمع في جزء من الفصل الثاني ، شغل هذا الجزء من ص ٤٨ إلى ص ٦٢ ، وهو ذو صلة بالدراسة الحالية .

٣) دراسة عوض بن ردة السعدي ١٤٠٨هـ : بعنوان " المبادئ التربوية المستنبطة من الأربعين النووية " ، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة . وتهدف هذه الدراسة إلى استنباط مبادئ تربوية من

الأربعين النبوية ، واتممت هذه الدراسة المنهج التحليلي . وتشتمل على خمسة فصول ،
 الفصل الأول : التربية الروحية بما فيها أركان الإسلام ، والفصل الثاني : التربية الفكرية ،
 وتضمن الورع وقول الخير وعدم التدخل في شؤون الآخرين ، أما الفصل الثالث : تناول فيه
 التربية الجسدية ، وتحدث أيضاً عن الصلاة والحج والصيام ، أما الفصل الرابع : فهو التربية
 الأخلاقية الفردية ، وتناول ميادين الأخلاق ووظيفتها ، ثم ذكر بعض الأخلاق ، مثل الحياء
 والظلم والغضب والصبر . وأفرد الفصل الخامس للتربية الأخلاقية الاجتماعية .

وأهم نتائج الدراسة :

١/ أن السنة النبوية لم تهم بالروح والعقل فقط ، بل اهتمت بالجانب الجسمي ، لأنه
 مصدر الطاقة .

٢/ أن الأحاديث النبوية لم تهم الجانب الأخلاقي ، بل اهتمت بالجانب الفردي
 والجماعي ، ووضعت حدوداً لكل منهما .

وهذه الدراسة ذات صلة جزئية بالدراسة الحالية في الفصل الخامس الذي يتضمن التربية
 الأخلاقية الاجتماعية ، وهذا يتعلق بالفقرة الرابعة في الفصل الرابع من الدراسة الحالية .
 ورغم تشابه العنوانين ، إلا أن المضمون مختلف في الدراسة الحالية ، وسوف يتضح ذلك
 للقارئ إن شاء الله تعالى .

٤) دراسة حسين عبد الله حسين بانييلة ١٤٠٨هـ : بعنوان " بعض القيم
 والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ " ، رسالة ماجستير مقدمة إلى
 قسم التربية الإسلامية وللقراءة ، كلية التربية ، جامعة لم القرى ، مكة المكرمة . وقد هدف هذه
 الدراسة إلى معرفة الكيفية التي عالج بها الرسول ﷺ الأساليب التعليمية بواسطة الخطابة . ووضع
 بعض القيم التربوية من خطب الرسول ﷺ حتى يمكن الاستفادة منها في الوقت الحاضر .

والمنهج الذي اتبعه الباحث هو المنهج التاريخي والاستنباطي . وتكونت الدراسة من
 أربعة فصول ، تضمن الفصل الأول الخطابة وأنواعها ، والفصل الثاني علاقة التربية بالقيم ،
 وتناول مستويات وتصنيف القيم وتعريف القيم عند بعض العلماء ، أما الفصل الثالث
 فاشتمل على بعض القيم التربوية المستنبطة من خطب الرسول ﷺ ، وتناول القيم الاجتماعية

والاجتماعية والاقتصادية ، واستعرض في الفصل الرابع بعض الأساليب التربوية للمستنبطة من
خطب الرسول ﷺ .

أهم نتائج الدراسة :

١ / القيم الإسلامية تنصف بالشمول والتكامل والتوازن ، وأي نظام تربوي يطبق هذه
القيم سوف يحقق شخصيات إسلامية تستطيع مسايرة متطلبات العصر .

٢ / ربط السلوك بالجزاء الأخرى ، وهذا يحث الضمير الإنساني ، ويدفعه للعمل بعداً
عن الانحراف .

والدراسة الحالية تلتقي في جزئية القيم الاجتماعية ، والتي ذكر منها الباحث خمس قيم
فقط ، والدراسة الحالية لن تتناول كل هذه القيم ، بل سوف تتناول التوجيهات النبوية
المتعلقة بحسن التعامل الاجتماعي في الفقرة التالية من الفصل الرابع .

٥) دراسة محمد حسن أحمد حسن ١٤١٠هـ : بعنوان " الأساليب التربوية في السنة

النبية الشريفة " ، رسالة ماجستير بقسم أصول التربية الإسلامية بكلية التربية ، جامعة
الأزهر . وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأساليب التربوية في السنة النبوية وتحليلها
واستنباط الفائدة منها لإثراء العملية التربوية . ومنهج الدراسة هو المنهج التاريخي ، والمنهج
الفلسفي ، والمنهج الأصولي . وتكونت الدراسة من سبعة فصول : الفصل التمهيدي : وذكر
فيه خطة الدراسة ، ثم تناول في الفصل الثاني المفاهيم التربوية ونشأة وتكوين السنة وأقسام
الحديث ، ثم أفرد لكل أسلوب فصلاً مستقلاً ، ففي الفصل الثالث تطرق إلى أسلوب القدوة ،
والفصل الرابع تطرق فيه إلى أسلوب الممارسة العملية ، والفصل الخامس تناول فيه أسلوب
الأمثال ، والفصل السادس تحدث فيه عن أسلوب القصص ، وأفرد الفصل الأخير للمنتج ،
ومن أهمها : أهمية الرجوع إلى السنة النبوية ودراسة مضامينها التربوية واستنباط الأساليب
التربوية التي تتناسب مع روح العصر الحالي .

وهذه الدراسة تلتقي مع الدراسة الحالية في الفصل الخامس ، حيث تضمن أساليب
النظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية ، وقد تطرق الباحث إلى بعض هذه الأساليب
المذكورة في الدراسة السابقة ، وبطريقة مختلفة .

رغم كل هذه الدراسات والعناوين للتربية ، إلا أنها لا تشابه مع الدراسة الحالية إلا في فترتين في الفصل الرابع ، والأساليب في الفصل الخامس .

٦/ دراسة حياة عبد العزيز محمد نياز ١٤٢٦هـ : بعنوان " معالم نظرية التربية الإسلامية في القرآن الكريم " ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والثقافة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، وهدف هذه الدراسة استخلاص منهاج التربية من الآيات الكريمة وصياغتها بحيث تكون أسلوباً علمياً يطبقه المسلم في حياته ، وتوضيح الآيات الكريمة التي تتوافق مع التربية المعاصرة . ومنهج الدراسة هو المنهج الاستقرائي ، والمنهج الاستنباطي التحليلي ، وتكونت الدراسة من أربعة فصول : الفصل التمهيدي : وذكرت فيه خطة للدراسة ، ثم تناولت في الفصل الثاني أهداف نظرية التربية الإسلامية في تربية الإنسان للمسلم : وذكرت الأهداف - التعليلية ، والفكرية ، والخلقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية - . وذكرت في الفصل الثالث منهج نظرية التربية الإسلامية في القرآن الكريم في تربية الإنسان للمسلم . وتناولت منهج القرآن الكريم في تربية الجانب الروحي - تربية للمسلم بعبقيرة التوحيد ، الإيمان بالله الملكة ، بالكسب السماوية ، الإيمان بالرسول والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والإيمان باليوم الآخر ، وتربية الإنسان للمسلم بالعبادات - ، ومنهج القرآن الكريم في تربية الجسد . أما الفصل الرابع فذكرت الباحثة أساليب نظرية التربية الإسلامية في القرآن الكريم - أسلوب التربية بضرب الأمثال ، وبالقصص ، وبالقدوة ، وبالتغريب والترهيب ، وبالتدرج ، والتكرار ، واقتسام القصرص ، وبالوعظة الحسنة ، والحوار ، وبالرحلات التعليمية ، وبالتحارب العملية - .

ثم الخاتمة ونتائج البحث والتوصيات .

ومن أهم نتائج الدراسة :

١/ أن الدراسة أكدت على مدى حرص نظرية التربية الإسلامية على أهمية التخصص في الأعمال وفق البيوت والقدرات والاستعدادات والإمكانات ، بما يتفق مع احتياجات المجتمع الاجتماعية والاقتصادية .

٢/ بينت الدراسة أصالة نظرية التربية الإسلامية وتميزها في الاهتمام بأساليب التربية ، مراعية في ذلك خصائص الفرد وميقاته العقلية والنفسية الجسمية .

٣/ بينت الدراسة أهمية أساليب نظرية التربية الإسلامية في القرآن الكريم ، وأن تعلمها وتطبيقها من أوجب الواجبات على المربين في كافة المؤسسات التربوية والتعليمية ؛ لتحقيق الأهداف التربوية بصورة صحيحة وفعالة .

وهذه الدراسة أكثر الدراسات السابقة قرباً من الدراسة الحالية ؛ حيث تناولت تربية الجوانب الروحية والجسدية والعقلية للمسلم ، كما تناولت عدداً من الأساليب التربوية التي وردت في القرآن الكريم مشاهدة تماماً لما ذكر في الدراسة الحالية ؛ ووجه الاختلاف هو أن الدراسة السابقة تناولتها من خلال آيات القرآن الكريم ، والدراسة الحالية تناولتها في السنة النبوية .

والباحثة ذكرت كل هذه الدراسات لأنها أرادت أن توضح أن الدراسة الحالية تختلف في محتواها ومضمونها عن كل الدراسات السابقة ، فالدراسة الحالية - إن شاء الله - سوف تتناول الفرد المسلم في وضعه الحالي وما ينبغي أن يكون عليه ، وسوف تجسد الدراسة الحالية التطبيق العملي للشخصية المسلمة مستعرضة الأحاديث النبوية ، ثم تبين عليها حال المسلمين اليوم ، موضحة تأثير بُعد المسلمين عن تطبيق دينهم .



الفصل الثاني

سألمية الأضائية الأبرية في السنة النبوية

مقدمة :

(١) مفهوم النظرية بصورة عامة :

أ / معنى للنظرية لغة .

ب/ معنى النظرية لسطلاً .

(٢) مفهوم النظرية التربوية :

أ / النظرية التربوية الإسلامية .

ب/ مفهوم النظرية التربوية في السنة النبوية .

(٣) الاعتراضات تجاه مفهوم النظرية .

(٤) الحاجة إلى استخدام النظرية .

(٥) نظريات العلوم الإسلامية الأخرى .

الفصل الثاني

ماهية النظرية التربوية في السنة النبوية

مقدمة :

إن تقدم التربية يعتمد على البناء النظري لها ، كما يعتمد العلم في أي مجال معرفي على تطور النظريات . ويؤكد كثير من علماء التربية على أهمية النظريات في تحديد ميادين المعرفة في مجال التربية ، وتصنيف المعلومات من حقائق متنوعة ، وبناء المفاهيم ، وتحديد أوجه التقص في المعرفة التربوية ، إذ يغير هذه العوامل تداخل ميادين البحث ، فهي الموجهة لأية ممارسة عملية في أي مجال معرفي . والأساس النظري هو الذي يحدد نوعية النظريات ، فكل نظرية لها مجال تستسفي منه المعلومات . ويتناولها العلماء كل من منهجه وعلمه ، ولهذا يواجه دارسو النظرية في حقل التربية صعوبة تعدد هذه النظريات ، كما يواجهون صعوبة الاتفاق على اصطلاحات صادقة تسمح بعرض الوقائع والتعميمات بوصفها اشتقاقات منطقية لمبادئ تربوية محددة^(١) . ويؤكد (عبد الرحمن عبد الله في النهج الدراسي) أن مصطلح النظرية ينتقل إلى التحديد . وقال أحد البريطانيين : إن المرء الذي يبحث عن تعريف واضح ومحدد لهذا المصطلح لا يصل إلى حائله^(٢) . ومن يبحث عن معنى نظرية في المعاصم العربية يجد عدة معاني ، والباحث سوف تقتصر على بعض منها :

(١) مفهوم النظرية بصورة عامة :

أ / معنى النظرية لغة :

النظر : تأمل الشيء بالعين ، وتقول : نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب^(٣) . ويُقال : نظر إلى الشيء : أبصره وتأمله بعينه ، وفيه تدبير وفكر ، يقال : نظر في

(١) عبد العال / حسن إبراهيم ، التربية المعاصرة ، ج ٢٧ ، السنة ١٠ ، ١٤١٣ هـ ، دار المعرفة الجامعية : الإسكندرية ، ص ١٩ .

(٢) عبد الله / عبد الرحمن صالح ، النهج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٦٩ .

(٣) ابن منظور / جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ١٤١٤ هـ ، مج ٥ ، فصل اللون ، ص ٢١٥ .

الكتاب ونظر في الأمر ، نظر بين الناس : حكم وفصل بينهم^(١).

والنظر : قلب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص ، أو يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص^(٢). قال تعالى : ﴿ أَوْ لَوْ يَنْظُرُونَ فِي مَكْتُوبَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف آية ١٨٥) ، في الآية مؤشر يوجه الأنظار والعقول إلى تأمل حكمة الله في الكون واستعماله لفكره وعبر ونتائج مفيدة ومشاهدات تفوق الإنسان إلى الخوف من الله والإحساس بعظمته . أو يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص . واستعمال النظر في البصر أكثر استعمالاً عند العامة ، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة . وذكر النحوي : أن كلمة (نظر) جاءت بعدة معاني ، منها التأمل والتفكير وتقدير الأمر وقياسه . ويقال : أمر (نظري) أي أن وسائل بحثه الفكر والتأمل . وعندما يقال : (علوم نظرية) أي : العلوم التي قليلاً ما تعتمد على التجارب العملية ، أو أساسها ومنطقها ليس لتطبيق العملي . ومصطلح العلوم النظرية يقابل مصطلح العلوم التطبيقية^(٣).

وترى الباحثة : أن كلمة (نظري) تدل على : وجهة النظر في شيء ما ، وإبداء الرأي فيه . وكذلك كلمة (نظري) تفيد في أنه يمكن رؤية الشيء والإخبار به أو التعبير عنه . كما يقصد به البصر والبصيرة . وأضيفت أثناء للربوطة في آخر الكلمة لتفيد التخصص .

ب/ معنى النظرية اصطلاحاً :

تختلف مفهوم النظرية من مجال إلى مجال آخر ، ومن عصر إلى عصر آخر ، ومن مجتمع إلى آخر . ومن تعريفات النظرية ما يلي :

١/ تصور عام لقضية أو موضوع في علم من العلوم ، يقوم على أسس ثابتة من الحقائق حرة أو مطلقة ، وعلى جميع النتائج والأبحاث والتجارب ، وعلى ترتيب النتائج ، حتى يجمع تصور القضية التي يراد ممارستها في الواقع البشري وبين مداهل وأخصاصها ؛ ليقيم على هذا التصور النهج والمنهج ؛ لتنمو النظرية من خلال الجهد البشري

(١) مصطلحاً إبراهيم ، وآخرون ، للمعجم الوسيط ، ١٤١٢هـ ، ج ٢ ، باب ثوب ، ص ٩٣١ .

(٢) الفروز آبادي / عبد الله محمد بن يعقوب ، مصادر لوي التميز في لطائف الكتاب العزيز ، ج ٥ ، ص ٨٢ .

(٣) البحري / الترية في الإسلام النظرية والتطبيق ، ١٤٢٠هـ ، دار البحري : الرياض ، ص ١٧ .

والممارسة والتطبيق ، وتطور بالإضافة أو الحذف أو التعديل^(١).

٢/ مجموعة مترابطة من المفاهيم والتعريفات والقضايا ، التي تكون رؤية منظمة للظواهر من طريق تحديد العلاقات بين المتغيرات ، بهدف تفسير الظواهر والتنبؤ بها^(٢).

٣/ مجموعة من المفاهيم المترابطة والتعريفات والفرضيات التي تعرض ظاهرة معينة بطريقة منظمة ، حيث تحدد العلاقات القائمة بين العوامل للتغوية بهدف تفسير حدوث الظاهرة ومحاولة توقع حدوثها^(٣).

فالنظرية إما أن تكون مرادفة للتفكير ، وبذلك تكون النظرية التربوية هي نفسها الفكر التربوي ، والتفكير المنهجي التربوي ، أو مجموعة من الأفكار المتماكة . أو أن تكون فرضاً أو مجموعة من الفروض تم التحقيق من صحتها بالملاحظة والتجربة ، وبذلك تكون مرشداً للعمل ، لا باقتراح الأهداف ، ولكن باستكشاف الحقائق^(٤). والباحث يرى هذه الحقائق المكتشفة إما أن تكون بالعلم اليقيني الموحى به إلى الأنبياء ، أو جاءت به التربية النبوية أو ما هو مبني عليها . وقد يكون ما تم التوصل إليه بالتجربة ورصد النتائج . وبذلك تكون النظرية إما استخلاص علوم من القرآن الكريم والسنة ووضع كل مجال في نظرية ليسهل فهمه وتباعه نظراً للكلم التقالي المائل للتراكم ، أو استخلاص نتائج وضعها البشر بقصد التأكد منها . وأصحاب الاتجاه الأول منهم من يقبل بمفهوم النظرية واستدائها في العلوم الإسلامية ، ومنهم من يرفض استعماله لكونها وجهات نظر بشرية يراد التحقق منها وهي قابلة للتغيير .

ويعتبر الجدول الدائر اليوم في تعريف النظرية أمراً يؤدي إلى فهم الجوانب المختلفة للنظرية .
- التي هي الأساس للمنهجي الذي تتكون منه النظرية - وتعريف التحوي أكثر شمولاً من التعريف الثاني والثالث ، حيث وضع اعتماد النظرية على النهج والتخطيط على أسس ثابتة

(١) النعمري / المراجع السابق ، ص ٢٣ .

(٢) عبد العال / حسن إبراهيم ، نحو نظرية إسلامية للتربية ، مجلة التربية المعاصرة ، ج ٢٧ ، ١٤١٣هـ ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

(٣) عبد الله / عبد الرحمن صاغ ، النظرية المعاصرة للتربية رؤية إسلامية ، بحث المؤتمر التربوي ، ج ٢ ، ١٤١١هـ ، ص ٤٩٩ .

(٤) عبد العال / مرجع سابق ، ص ١٧ .

تناسب مع الواقع ، والتعريف الثاني جعل هدف النظرية ألما تحديد العلاقات من أجل التفسير والتنبؤ ، أي التحليل والعلاج . أما التعريف الثالث فهو يشير إلى أن النظرية ولادة ظاهرة معينة على أرض الواقع ، تناول النظرية علاجها ، وكان ظهور النظرية ذو علاقة بالظاهرة ، وهذا يؤكد تغير النظرية بتغير الظاهرة ، لوضع العلاج لتناسب للظاهرة المستحدثة . وحصر وظيفة النظرية في معرفة أسباب الظاهرة ، ومحاولة توقع حدوثها . وهذه التعريفات وغيرها هي استنتاجات لإتراء مفهوم النظرية وجهود بشرية قابلة للصواب والخطأ .

وما سبق يؤكد اعتماد العلماء والشرابيين في بنائهم للنظريات ، ووضع عدة تصنيفات لها ، ومن هذه التصنيفات ما يلي :

١- في مجال العلم نوعان من النظريات هما :

أ / النظرية التقليدية : تختص بدراسة المشكلات - كأن يدرس الباحث السلوك الذي يجب أن يتصف به المعلم - وهي تتعلق بصورة مباشرة أو غير مباشرة بدراسة للمفاهيم العقلية ، كالعادلة وتكافؤ الفرص وغير ذلك . وهي تقيم بما يجب أن يكون عليه السلوك .

ب/ النظرية التحريرية : وتعتمد على التحرية العلمية ، والبحث فيها على ما هو كائن بالفعل .

٢- تصنيف وفقاً لنوعها وهدفها واتسمائها الفكري ، وهذا التصنيف يلتقي الضوء على طبيعة النظرية التربوية ووظيفتها وهو أربعة أنواع هي :

أ / النظريات التحليلية : وهي تشبه الرياضيات وتتكون من أحكام استنباطية .

ب/ النظريات للعبارية : وتقيم ببيان الحالات لثلاثية ، التي يطمح فيها الإنسان مثل النظريات الأخلاقية والجمالية .

جـ / النظريات العلمية : وهي أحكام إمبريقية عامة ، لأنها تقرر شيئاً عن الحالات والظروف التي تحدث فيها واقعة . وتفسر لماذا توضح أسباب الظواهر التي نقيم بها .

د / النظريات الميتافيزيقية : وتتميز عن النظريات العلمية بأنها غير قابلة للاختبار ، كما أن بعضها ليس له دور في العلم ، وبعضها يقدم اختراصات نافعة^(١).

٢) مفهوم النظرية في التربية :

بعد عرض آراء العلماء حول معنى النظرية وألحاطها ، يمكن الاقتراب من تحديد معنى النظرية التربوية ، التي تناوضا التربويون والعلماء كل من وجهة نظره ، وحسب اتجاهاته وتخصصاته . وحسب فلسفات المجتمع التربوية ، ومن هذه التعريفات ما يلي :

١- مجموع المبادئ للترابطة التي توجه العملية التربوية وتحكم الممارسات التعليمية ، وتصف وتفسر ما ينبغي عمله مع الناشئة ، وتوجه وترشد الممارسات التربوية^(٢).

٢- محاولة لتكوين نشاط وحيوة تربوية عن طريق النقد البناء^(٣).

٣- مجموعة من المفاهيم التربوية التي تقوم على مجموعة من المراكز الفلسفية أو الدينية أو الاجتماعية أو جميعها ، مع للعطيات الثقافية والعلمية ، ومجموعة من الأهداف التي يمكن في ضوئها تفسير كل العمليات التربوية للمنظمة نظرياً ومنهجياً ونظامياً^(٤).

إن التعريفات السابقة تتضمن مجموعة من الأبنية الفكرية للتكاملة والشاملة والمنسقة في منظومة تعالج مشكلات الإنسان ، وتوضح تصوراتها النظرية والتطبيقية في كافة ميادين الحياة الإنسانية . ويهتم رجال الفكر التربوي للعاصر في بنائهم للنظرية التربوية بثلاثة أبعاد هامة من البحوث والدراسات ، هي :

أ / دراسة العوامل الأساسية لكل القضايا التربوية المعاصرة ، بأسلوب علمي .

ب/ دراسة الجذور التاريخية للمشكلات التربوية ، بأسلوب التحليل التاريخي .

(١) عبد العال / مرجع سابق ، ص ١٨-١٩ .

(٢) مذكور / علي أحمد ، نظريات للتأهيل التربوية ، ١٤١٧هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة ، ص ٢١ .

(٣) خاتم / مهدي محمد إبراهيم ، أسس بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة ، المصوت للوقر التربوي ، ج ٢ ،

١٤١١هـ ، ص ٣٥٥ .

(٤) ياقين / حسان ، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية ، بحث المؤتمر التربوي ، ج ٢ ، ١٤١١هـ ، عمان ، ص ٣٩٨ .

حداً لتفسير وتحليل الفروض الفلسفية لدراسة القضايا ، بمنهج التحليل الفلسفي^(١).

والدراسة الحالية بنت منهجها على تناول الأحاديث النبوية مستبطة منها العوامل الأساسية للقضايا التربوية للعاصرة ، مع تفسير وتحليل المبادئ والقيم الثابتة التي أوضحتها وطبقها السنة النبوية وقدمت لنقل والنموذج . وبذلك يمكن القول إن التعريفات السابقة للنظرية التربوية تضمنت عناصر ومفاهيم مختلفة منها الوصفية والتفسيرية والعملية . وذكر المذكور : " أن النظرية بمعناها العام الذي يشيع في الغرب هي تفسير بعض الأمور في الماضي أو الحاضر أو المستقبل استناداً إلى اعتقاد ثابت أو مفترض"^(٢). وبناء عليه فإن التفسير المراد في هذه الدراسة هو ربط الحاضر بالماضي وفق اعتقاد ثابت ومنهج رباني ، من خلال الأحاديث النبوية ، وتقرير للدراسة النبوية لنشئة جيل يشبه الجيل الأول تمسكاً بالقيم وعملاً بالمبادئ لتحقيق الخلافة في الأرض على النهج الرباني السليم .

أ / مفهوم النظرية التربوية الإسلامية :

١- مجموعة التصورات والمفاهيم والأفكار والأهداف والأحكام والقيم ذات الحد الأقصى من التجريد ، والعمومية للترتيبة بإعداد الإنسان المسلم حسب الأصول الإسلامية ، وفي ضوئها يمكن تفسير " العمليات التربوية الإسلامية وتربيتها وتقويتها اعتباراً من أسسها ومنهجها وأساليب تحقيقها ووسائلها وتغليتها"^(٣).

٢- النسق الفكري التربوي المحدد أو الممارس ، المستقل أو غير المستقل ، المرتبط بالأنساق للعرفية الأخرى ، كما ورد في مصادر الإسلام المعرفية - الكتاب والنسب - ، وتطبيقات المسلمين عبر مراحل الإسلام المختلفة ، التي تسمت منها القواعد والأحكام التربوية لسير العملية التربوية سيراً شمولياً في البيت والمسجد والمدارس وغيرها ، لغرض تحقيق مراد الله في خلقه وخلقاته^(٤).

(١) سلطان / محمد السيد محمد ، النظرية التربوية في الإسلام ، ندوة القواعد التربوية ، ٤٠٠ هـ ، جامعة السودان العربية : مكة المكرمة ، ص ٢ .

(٢) المذكور / مرجع سابق ، ص ٢١ .

(٣) بالسن / مرجع سابق ، ص ٣٩٩ .

(٤) الخطيب / محمد شحات ، أصول التربية الإسلامية ، ١٤١٥ هـ ، ص ٤٧٨ .

٣- هي التربية الإسلامية والأهداف التي تتطلع لتحقيقها في ضوء نظرة الإسلام الكلية عن الوجود الإنساني وعلاقته بالخالق والكون والحياة، كما تشمل المبادئ التي أوجبت هذه التربية معالجتها، والمناهج والمبادئ والأساليب التي نزلها هذه النظرية لتحقيق هذه الأهداف وتوحيدها^(١).

مما سبق يمكن القول إن النظرية التربوية الإسلامية هي كل للمبادئ والقيم التربوية التي جاء بها الإسلام وقهدف إلى الصعود بالإنسان للكرم إلى كماله بالتدريج حسب مراحل تكليفه . حتى يمكنه إدراك الرؤية المعرفية التي تتمثل بالسلوك والواقع في حقيقة الكون والوجود والخلافة الإنسانية وفيما بعد الحياة .

ب/ مفهوم النظرية في السنة النبوية :

يرى البعض أن النظرية التربوية في السنة النبوية هي مدرسة النبوة التي منهاجها القرآن الكريم والسنة ، والقنوة والتدريب ، والمراقبة والتصيحة ، فتعلم الجليل الأول عقيدة متكاملة متسلسلة ، تحمل قواعد الإيمان والتوحيد ، والأحكام والفقه ، والتاريخ والفقه ، ونبأ العجب والآخرة ، والسنن الربانية في الكون ، والتربية والاجتماع ، وعلم النفس والتدريب ، والاقتصاد والمال ، كل ذلك كانوا يأخذونه من مصدر واحد هو منهاج الله ، وكانوا يتعلمون ذلك مع الممارسة والتطبيق . ومدرسة النبوة قدوة للأجيال كلها ، ممتدة امتداد الحياة الدنيا^(٢).

وترى الباحثة أنها : المنهج الرباني الذي جاء به الرسول ﷺ لتأديب النفس والروح والعقل والجسد بتوازن واعتدال وتوافق . حتى يتمكن المسلم من ممارسة العمل الصالح في جميع ميادين الحياة ، فهي تتضمن العلم والعمل ، بما يتفق مع الواقع العملي لتطبيقات الشريعة بمعانيها التربوية من قول أو عمل أو كل ما وافق عليه وأقره ﷺ من توجيه وإرشاد وتوضيح ، لإعداد الإنسان للمسلم لعبادة الله وعمارة الأرض متمشياً مع الفطرة الإنسانية السليمة .

(١) الكيلاني / ماحد عرسان ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٠ .

(٢) الشوي / عدنان علي ، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ ، دار النوري : الرياض ، ص ١٧ .

(٣) الاعتراضات على مفهوم النظرية :

النظرية الثبوتية في الإسلام معالجة جديدة قديمة، تأتي جديداً من ضرورة إبرازها من جديد في ضوء إطار مفاهيم العصر الذي نحياه ، ويأتي قديماً لأن أي باحث فيها لن يضيف إليها شيئاً لا في جوهرها ولا في بنيتها ، ولكن في أساليب تطبيقها^(١).

وهناك اختلاف بين كثير من يعملون في المجالات العلمية حول لفظ نظرية للعلوم الإسلامية فمنهم المؤيد ، ومنهم المعارض . وسوف يتم تناول عدة من الآراء ومحاولة الرد عليها حسب الاستطاعة .

● كثير من العلماء والتهويين أعلنوا بعدم جواز استخدام كلمة نظرية في أمور الدين ، لأن كلمة (نظرية) استخدمت في العلوم الحديثة ومرتبطة بالفلسفات الوضعية ، مثل الداركية والرأسمالية^(٢) والنبوية ، وهي قابلة للتغير والتعديل من حين لآخر ، على خلاف الإسلام دين الحق القائم على ثوابت راسخة ذات منهج رباني ، وهو باق إلى أن يرب الله الأرض ومن عليها لا تتغير أصوله وأحكامه .

وجميع هذه الآراء جديدة بالتقدير ، ولكنها لا تسوّغ عدم جواز استخدام مصطلح (نظرية) ، لأن مفهوم نظرية يدل على استخلاص مفاهيم وتصورات وقيم عامة تتوافق مع الثوابت ، وعليه يمكن توجيه الدراسة وتطويرها ، ووضعها في إطار فكري يفسر مجموعة من المبادئ والتصورات والقيم ويضعها في نسق علمي مترابط ، تسير النظريات الأخرى ، وتتميز عنها بمنهجها الرباني ، فالنظرية تقوم بتحديد وتصنيف الثوابت وتجميعها وربطها ببعض ، تحت عنوان واحد حسب موضوعه وتحت مسمى نظرية ، فلكل علم نظرياته ، ولكل اتجاه نظرية مستقلة ، فمثلاً النظرية الاجتماعية تنفرع منها عدة نظريات ، والسؤال الذي يطرح نفسه : ما الفائدة من استخدام كلمة نظرية ! إذا كان المقصود بالنظرية توجيه الأنظار نحو علم موحد متناسق مترابط بين أجزائه يهدف الوصول إلى تقنين أحد جوانب العلم . وذلك أفضل من تناثر العلم ونشأته وتفرق مواضعه ، والنظرية لا تقتصر على تناول علوم للماضي

(١) سلطان / محمد السيد ، النظرية الثبوتية في الإسلام ، ١٤٠٠ هـ ، نقلاً عن الفوائد التهويين ، ص ١ .

(٢) الحياط / محمد جميل علي ، النظرية الثبوتية في الإسلام ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ ، مطابع طندا : مكة المكرمة ، ص ٢٢ .

وتصنيفها وكيفية استخدامها، بل تسعى إلى فهم الحاضر، وتبرز القوة الإسلامية بطريقة
عصرية تتماشى مع العولمة المفروضة على العالم .

كما أن * علماء الفقه سبقوا في هذا المضمار، ودخلت النظريات الفقهية في علم الفقه
وأصبحت علماً مستقلاً، وكتب في ذلك كتب مثل كتاب الدكتور محمد يوسف موسى
(نظرية العقد في الإسلام) ^(١). كما كتب أستاذ الحديث يوسف محمد صديق كتاب
(النظرية الفقهية في طرق تدريس الحديث الشريف) .

● لما من يقول أن كلمة نظرية غريبة المصدر . فالحاجة ترى أن مصطلح نظرية لنظر
عربي المصدر . ومشتق من الفعل (نظر) (ينظر) الذي ورد في القرآن الكريم ، وتعددت
استعمالاته ومعانيه، وهذا يعطي كلمة نظرية تأسيلاً وصيغة إسلامية . مثل الفقه الذي اشتقه
العلماء من الفعل فقه يفقه الذي ورد في القرآن الكريم - وأصبح علماً مستقلاً له فروعه - .
كما تستخدم كلمة نظرية، في كثير من العلوم وتفيد نفس المعنى المقصود به في كلمة نظر
فلا مانع من استخدامها في العلوم الإسلامية التي تتوفر فيها الشروط التي يتحقق بها بناء نظرية .
ولا مانع من استخدام التسميات والألفاظ العلمية التي تخدم العلم وتتوافق مع حضارة العصر،
فالدين الإسلامي هو دين العلم والحضارة يأخذ من العلم ما يتوافق مع شريعته ويرفض المخالف
للعقيدة . فعلماء المسلمين أخذوا من علوم اليونان والهند وغيرهم مما يتوافق مع منهج الإسلام ،
كما أن الإسلام لم يمنع من استخدام ألفاظ غير عربية . ولم يرد نص على تحريم استخدامها،
وكلمة نظرية حين لو أن العرب استخدمها في علومه لا يمنع من استخدامها وتوظيفها بما يناسب
النهج الرباني، والإسلام أمر وحث على طلب العلم والأخذ بكل علم يتوافق مع منهج الإسلام .
قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِقَابِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت آية ٤٣) ،
وقوله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَمَا تَعْمَلُونَ
شَيْئاً ﴾ (البقرة آية ١٧٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ (طه آية ١١٤) ، قال رسول
الله ﷺ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى جَنَّاتِهِ ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ
أَجْنِحَتَهَا رِجًّا لِمَنْ يُدْعِي الْعِلْمَ ، وَإِنَّ الْعِلْمَ لَيُكَفِّرُ عَنْ ذُنُوبِ الْمُتَلَمِّذِ ، وَتَنْجِيهِ فِي الْأَرْضِ ، وَتَنْجِيهِ فِي

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

خَوَافِ الْمَاءِ ، وَإِنْ فَطَنَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلِ الْقَصْرِ لَيْلَةَ النَّدْرِ عَلَى مَنَاقِبِ الْكَوَاقِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَدَّةَ الْكَلْبَاءِ ، وَإِنَّ الْكَلْبَاءَ لَمْ يُؤْزَلُوا دِيَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَزَكُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحُطٍّ وَافٍ ^(١) ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي ، وَالْأَلْفَاسِمُ ، وَكَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ طَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَلَقَهُمْ حَتَّى بَاقِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ طَاهِرُونَ ^(٢) .

● ومن يرى أن أساس النظرية مسلمة أو فرضيات معينة تدرس ظواهر معينة ، ولا يمكن استخدامها في العلوم الإسلامية .

من المعروف أن العالم ينطلق من تلك المسلمات لإثبات مدى صحة فرضياته . والمرى الذي يتخذ من النظرية العلمية الضيقة مثاله الأعلى ، قد يقبل وجود مسلمة معينة ويصوغ فرضيات يلخصها للاختبار . لكن هذا المرى يولي اهتماماً أكبر بالأهداف التي تشكل محور النظرية التربوية ، وذلك يعني أن كل نظرية تربوية لديها مفهوم معين عن القيم والمبادئ الإنسانية ، والمرى للمسلم الذي يهتم بصياغة نظرية للتربية يقدم لمبادئ الثابتة على الفرضيات ، فهي ليست الأسس التي تقوم عليها النظرية ، بل وسائل تعين على تطبيق هذه المبادئ النظرية وترجمتها إلى سلوك عملي محسوس ، والمرى للمسلم لا يقبل أن يطلق على تلك المبادئ مصطلح فرضيات ^(٣) ، لأن النظرية التربوية الإسلامية تنطلق من ثوابت ، وليس لها فرضيات أصلاً ، فهي تبدأ من أصل راسخ ثابت وحصل نهايته في الكمال ، فلا جدال في القيم والمبادئ التي تنادي إليها ، لأنها رباتها .

يقول أوكوتور : * إن الفرضية ليست تخميناً لا دافع وراءه ، وليس تخميناً عفواً غير موجه ، إنه شيء مصمم ليقتود إلى إجابة على سؤال معين ^(٤) . وهذا الأمر وارد على أرض الواقع ، فكمكر ما يعود العلماء للمسلمون إلى القرآن الكريم والسنة النبوية للتحقق من بعض الأحكام قبل إصدارها . وهذا الفعل يعادل المشاهدة في العلوم الطبيعية ، لأن للفرضية نتائج

(١) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، ٥ : ٥٠ ، دار إحياء التراث : بيروت ، ج ٣ ، كتاب العلم ، ص ٣١٧ ، ر ٣٦٤١ .

(٢) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب فرض الجنس ، ص ١٨٨ ، ر ٢٤ .

(٣) عبد الله / عبد الرحمن صالح ، النظرية العامة للتربية رؤية إسلامية ، ١٤١١هـ ، المؤتمر التربوي : عمان ، ص ٥٠١ .

(٤) أوكوتور / دي ، حي ، مقدمة في فلسفة التربية ، ترجمة فهمي / محمد سيف الدين ، ١٤٠٢هـ ، مكتبة الأمل للدراسة : القاهرة ، ص ٩٧ .

يمكن مشاهدتها وشواهد يمكن إدراكها ، لتأكيد أو دحض الفرضية ، وهذا ينطبق على النظرية التربوية الإسلامية ، حيث توجد فهم عقلية أو مبدأ ، فإذا كان للبدأ له أصل إسلامي ، يجب استنباطه من الأصل لتأكيد للبدأ في الواقع للعاصر ، أو دحضه إذا كان ليس له أصل إسلامي في القرآن الكريم أو السنة أو الإجماع ، فإنه ينبغي فرد بطريقة علمية على مستحدثي المبادئ الهدامة ، في نظرية منظومة مرتبة الأفكار مصاغة بأسلوب علمي .

فللشاحات والمشاخرات التي تحدث بين الناس بسبب الكذب ، وطمس الحقائق ، هي نوع من ظلم النفس والآخرين . فالسلم يعرف الحكم بالأدلة الشرعية ، أما غير المسلمين فاعتبروها فرضيات ، هل يكون الكذب سبب للمشكلات والفرقة بين الناس عليهم التأكيد ومعرفة مصداقيتها ؟ فمن أجل الوصول إلى معرفة حكم بنيد الكذب وبجرمه في الإسلام ، لابد من العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْقَىٰ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (معه آية ١٨) ، وقال : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عِنْدَ مُسَوِّئٍ ﴾ (الإسراء آية ٣٦) ، وفي الحديث قَالَ الشَّيْخُ ۞ : « أَرَبَعٌ مِنْ شَيْءٍ فِيهِ كَانَ مُطْلَقًا خَالِفًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّافِقِ حَتَّى يَدْفَعَهَا : إِذَا الْإِمَامُ عَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَنَرَا ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ »^(١) .

● أما من يقول : إن النظرية قابلة للتغير والتطور والتعديل اختلاف القيم الإسلامية الراسخة والتابئة . فإن الباحث يرد على هذا الرأي فيقول : إن الذي يتغير في النظرية التربوية للقيام والتصورات التي تحاول استخلاصها من الدراسات ، للتوجيه والتطوير عند مناقشة النظريات الأخرى الواقعة ، والتغير حصل في مفاهيم الفقهاء وفي قواعدهم الأصولية ، وهذا التغير لا يعني تغير الشريعة ، لأن الأمور التشريعية واستنباط أحكام جديدة على مشكلات طارئة هي التي تتغير وتتطور ، ومثالاً على ذلك : الإمام الشافعي استنبط في العرق أحكاماً

(١) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، ط ٥ ، ١٤٠٠ هـ ، عالم الكتب : بيروت ، ج ٣ ، كتاب النظام ، ص ٢٦٣ ، ر : ٢٢ .

ولما ذهب إلى مصر استبط غوها . لذا فإن استخلاص مفاهيم وتصورات عامة حول أبعاد النظرية التربوية الإسلامية، يكون توجيهاً للدراسات التربوية^(١). وبذلك تكون النظرية التربوية الإسلامية تناقل القيم ونبحث عن الأخلاقيات المسالمة في الواقع، ونسعى إلى أصيلها من القرآن الكريم والسنة . كما تسعى النظرية الإسلامية إلى استنباط المبادئ والمفاهيم التربوية من الأسس الثابتة وتأسيسها وصياغتها بطريقة علمية تتناسب مع متطلبات العصر .

● ومن يقول : إن كلمة نظرية دائماً تختمل الصواب والخطأ . فهذا الاحتمال شاع بين كثير من الناس ، ولكنه نسي ، نظرية (فيتافورس) لا تعتبر أنها تختمل الصواب والخطأ بل هي حقيقة علمية تجريبية . والنظرية الإسلامية تقوم على أسس واضحة وثابتة هي : منهاج الله والإيمان والترحيد والتطبيق العملي، وهذه الأسس تجمع في صورة نظرية عامة تشمل مختلف المبادئ والأشطلة، وبذلك تكون النظرية جمعاً لعدد من الحقائق أو النتائج المستنبطة من منهاج الله ومن فهم الواقع الذي تطبق فيه التربية النبوية، وهذا الجمع والترتيب واستخلاص النتائج هو جهد بشري يقوم على أسس إيمانية، وهذا الاجتهاد البشري يقوم على حقائق لا ظنون^(٢)، أما بعض الدراسات التي تقوم على فلسفة لا تجد حجة ولا تحمل دليلاً قاطعاً واضحاً فهي تختمل الصواب والخطأ . ومفهوم النظرية لا يعني دائماً أنه تختمل الصواب والخطأ، وأي نظرية تمس القيم الأخلاقية والمبادئ الإسلامية لابد لعلماء المسلمين من إرجاعها إلى منهاج الله، ليبان توافقها معه أو مخالفتها . وتوضيح حاجة لواقع للدراسة هذه النظرية . وهذه ميزة خاصة بالدراسات الإسلامية لا تتوفر لغوها .

ولا نغفل أن مجال العلم غير مجال الدين ، فمجال العلم لا يشترط لصحة نظرية أو حقيقة علمية موافقة الشرع عليها بل يكفي عدم وجود دليل قطعي نصي على نقيها، وبعض الحقائق عقلية ، - رياضية - لا علاقة لها بالنصوص الدينية ، فليست من ميدانه .

أما من يعتقد أن استخدام كلمة نظرية يعطي الإجماع بأن المسلمين مقلدون مهزومون . ويريدون أن تواجه (النظريات) البشرية بنظريات إسلامية ، فهذا وضع

(١) باحث / مقداد ، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية ، بحوث المؤتمر التربوي ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٩٨ .

(٢) النجدي / التربية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

لا يليق بأصحاب الرسالة الربانية العالمية الخاتمة الشاملة^(١).

والباحثة ترى أنه يجب أن يواجه التريويون النظريات العلمانية بنظريات إسلامية، وهنا تبرز القوة في مواجهة الآراء البشرية بمنهج إسلامي بين الصواب ويوجه السلوك التربوي ويتوافق مع الطبيعة البشرية ، ويفرق بين النظريات الإسلامية والنظريات الغربية، وكلمة نظرية علم من العلوم للعاصرة ، والإسلام أمر باستخدام كل علم بحث على الخير ويظهر الحق . وقد طلب الرسول ﷺ من زيد أن يتعلم كتابة وقراءة اللغة اليهودية كما ورد في الحديث عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : (لَمَّا رَسَلَنَا اللَّهُ ﷻ فَتَعَلَّمْنَا لَهُ كِتَابَ يَهُودَ وَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمِنَ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي ، فَتَعَلَّمْنَا فَلَمَّا يَمُرُّ بِي إِذَا بِصَفٍّ شَهْرٍ حَتَّى خَذَقْتُهُ ، فَكُنْتُ أَكُتِبُ لَهُ إِذَا كُتِبَ ، وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ)^(٢) . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْكُنُوزُ الْجَنَّةُ حِزَالَةُ الْمُؤْمِنِ ، فَحَبِّثْ وَخَصِّصْ فَهُوَ أَخْبَرُ بِهَا »^(٣) . فالعلم عندما يجد ضالته عليه أن يستفيد منها ، ويأخذ بها فهذا يتوافق مع الإسلام ولا يتعارض معه ، واتباع الصواب بعد التفكير والاجتهاد من الأمور التي اتبعها الصلطفى ﷺ كما في حفر الخندق .. فللمؤمنون أولى بأي علم يمكن الانتفاع به ، فالعلم ملك للجميع ، وكثير من العلوم الغربية أصلها عربي ويوناني . والاتباع ليس قضية في حد ذاته لدى المسلمين ، ولكن القضية تلبور في التأصيل والتوافق مع الدين، وليس لي اتباع العلم أيًا كان مصدره . فالمنهج الرباني حث على قرأى والاجتهاد والاتباع، وللتطبيق والبرهان، ويؤكد على السؤال والاستفسار عند عدم المعرفة، حيث ورد في الآيات الكريمة لفظ (يسألونك ، يستفتونك) ، فالسؤال عن المجهول أمر مرغوب فيه الإسلام ، وحث على الأخذ بكل علم يعود بالفائدة على المسلمين بشرط توافقه مع الفطرة السليمة للنشئة مع المنهج الرباني الذي يوجه الإنسان إلى قبول كل ما ينفعه من أمور الدنيا . قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة آية ١١١) . إن الإسلام دين الحجة القوية والبرهان الواضح . فإذا تحقق ذلك، أخذ بالعلم النافع ، وعمت الفائدة العالم بأسره .

(١) مذكور / مرجع سابق ، ص ٢٩ .

(٢) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ و كتاب العلم ، ص ٣١٨ ، ر : ٢٦٤٥ .

(٣) ترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب العلم ، ص ٣١٤ ، ر : ٢٦٩٦ . (في مروجود في صحيح سنن ترمذي ، للألباني) .

● أما من يعتقد أنه من العسير إيجاد نظرية للتربية بشكل علمي ، على أساس استحالة قياسها بمعايير النظرية العلمية (التحريية) . فهذا الاعتقاد يتعامل مع لفظ (النظرية) وكأن له معنى واحداً ، فالنظرية في العلوم الطبيعية تختلف بالضرورة عن النظرية في التربية ، والاختلاف لا يرجع إلى خلاف في المعنى العام للنظرية ، أو إلى طبيعة المقاييم التي تنوبها ، وإنما يرجع في الأصل إلى الظاهرة السلوكية ، وهو خاصص للملاحظة كما يخضع بدرجة ما إلى التحرية ، والعلاقات ليست فقط في علمية النظرية من حيث تناسقها وترابطها اللفظي أو الرمزي ، أو من حيث دقتها وثباتها ، ولكن من حيث وظيفة النظرية في كل مجال - فالنظرية لها وظائف مختلفة في كل الحالات - فهي حالة نظرية العلوم الطبيعية ، فهي نتائج لمجموعة من النشاطات العلمية كالملاحظة والتحريب واكتشاف العلاقات من خلالها ، ومحت صدق النظرية تطابق إفرادها بنتائج الملاحظة والتحريب - وهي عتام السعي وراء الحقيقة- ، أما النظرية التربوية فهي ليست بالضرورة شاح السعي وراء المعرفة أو هي عتام لهذا السعي ، إنما هي توجه هذا السعي ، وتعتمد بدقة ما ينبغي الأخذ به وما يجب تركه في التربية^(١) . فوظيفة النظرية العلمية الوصف والتفسير في الأساس ، فهي تحاول وصف وتفسير ما هو قائم ، أما وظيفة النظرية التربوية التشخيص والعلاج ، فلها تصف وتقرر ما ينبغي عمله مع الناشئة ، وتوجه وترشد الممارسات التربوية^(٢) . كما تقوم بوظيفة التفسير والتنبؤ ، وهذا يجعلها تقترب من مستوى النظريات العلمية .

٤) الحاجة إلى استخدام النظرية في التربية الإسلامية :

● أسهمت البلاد الإسلامية العربية وغير العربية بنظريات تربوية استعارتها من حضارات غير إسلامية ، واتضح ذلك في نقل التجارب التربوية العالية ، والتطبيقات ، دون النظر إلى مدى ملائمة هذه التجارب والتطبيقات للثقافة الإسلامية ، والتراث التربوي ، وكانت النتيجة غياب الشخصية الإسلامية وانصهارها في التربية الموائمة ، فلم تستطع أن تطبق كل صفات الشخصية العربية ، ولم تستطع أن تطبق تربيتها الإسلامية ، فكانت شخصية مغايرة ، الأمر الذي أدى بها إلى عدم التمكن من تحقيق أهدافها في تربية الناشئة تربية إسلامية ، كما لم

(١) فهمي / محمد سيف الدين ، النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية ، ص ١٢-٢٠ .

(٢) مذكور / مرسع سابق ، ص ٢١ .

تستطع تكوين المجتمع للعلم للتعلم الذي يتخذ العلم أسلوباً لحياته، ولم تتمكن من دمج التربية الإسلامية في الحياة المعاصرة، وأبعدت الثقافة الإسلامية عن مشاركة الثقافات الأخرى؛ مما أوجد هوة ثقافية في المجتمع، وكانت آثاره سلبية على الشعب، إذ يمارسون تربية وثقافة لنظريات تقسر وقائع وتقدم حلولاً لنظريات وضعت لوقائع تربوي آخر. يقول حسن عبد العال: " في واقعنا الذي نعيشه نجد النظريات التي تحكم الممارسات التربوية، والتي يتم في ضوئها تفسير الظواهر التربوية هي في مجملها نظريات غربية، صدرت عن فلسفات غربية، وكانت تنظيراً لوقائع تربوي مختلف، لذا لم يكن مقبولاً أن نصوغ في إطار معطيات نظامنا التربوي، وأن نخضع ممارساتنا التربوية لأطرها التصورية، ومفاهيمها الوصفية^(١)؛ لأن المصادر والنابع لكل من التربية العربية الإسلامية، والتربية الغربية، تتجلى من العصور صوغ نظام تربوي للتربية الإسلامية، يتبع النماذج التي تقدمها النظريات الغربية، فمن غير المعقول أن يتبع منهج الحائلي منهج المخلوق. وإذا حدث فإن منهج البشر يقود إلى ممارسات خاطئة وهو قاصر مهما وصلت درجته، إلا إذا كان يهتده للنهج الرباني في إطار الشريعة الإسلامية؛ لأن الكمال لله وحده. يقول حسن عبد العال: " من المخاطرة ومن غير المعقول أن نحاول فهم تربية تستمد وجودها من التوحيد والنبوة، وأن تصنف طواغرها، وتبين مفاهيمها وتحدد ميادين دراستها، بواسطة نظريات استلذت في تحديد مفاهيمها، وأنساقها الفكرية وقضاياها إلى أصول تراثية إغريقية ورومانية، حيث تصارع الآلهة ويقتل بعضهم بعضاً^(٢)."

والأمر لم يقتصر على استخدام نظريات الغرب وسلبها، بل إن كثيراً من كتب الفلسفة في البلاد العربية تعالج قضايا ومفاهيم تناولها من خلال آراء علماء الغرب. فمثلاً (الطبيعة الإنسانية) تناولها من وجهة نظر أرسطو وتوماس وجان جاك وروسو وغيرهم، وهذا يوحي للقارئ أن الإسلام لم يتناول هذا المفهوم، رغم أن المنهج الرباني تناول الطبيعة الإنسانية، وفرض الدين الذي يتناسب معها، ورسم لها طريق الحياة، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْكَافِيُّ الْخَبِيرُ﴾ (الشك ١٤)، وما جاء الرسل بأمر ربه إلا لحداثة البشرية وإرشادها إلى ما يتوافق مع الطبيعة الإنسانية. ولهذا تبدو الحاجة إلى إيجاد نظرية

(١) عبد العال / مرجع سابق، ص ٢٣.

(٢) عبد العال / المرجع السابق، ص ٢٤.

تربوية تحقق ما تصبو إليه الأمة الإسلامية من غايات ذات صلة بالواقع الإسلامي ، وتساهم في حل مشكلاته التي أثقلت ، وتساهم في وضع الحلول للتميزة بطابعها الإسلامي .

● ومن دواعي استخدام النظرية التربوية الإسلامية أنها تلخص وقائع المجتمع ، وتربط أجزائه ، وتوحده ثقافته ، وتنظم تربيته ، بما يتوافق مع شريعة الدين وعقيدته وقيمه ، وبدون عملية التلميع والتنظيم لا يمكن مقارنة النظرية التربوية الإسلامية بنظريات التربيات الأخرى ، وبذلك لا يمكن تحديد أوجه النقص في الميالات المختلفة إلا إذا عُرف ما هو متوافر لدينا ، كما لا يمكن مواجهة نظريات التربية الوافدة إلا إذا كان يوجد نظرية تلخص الأحداث التربوية وتنظم المعرفة المكتسبة ، وبذلك نحدد ما ينقصها من المعرفة ، ونرشد إلى الجوانب التي يمكن الأخذ بها والاستفادة منها .

● إن الحاجة ماسة للغاية إلى النظرية التربوية المصوغة بعناية ، لأنه بدون النظرية تصبح مناقشات العمل ، ومسائل التطبيق (الممارسات العملية) إما سلسلة من التعميمات التحريية والتي يعوزها الضبط والنهاية والترتيب ، أو سلسلة من الخطب الاستشارية وللواقظ والمقترحات للقناعة بدون دليل علمي تجريبي . وتكون عاملاً باعثاً على التعبد^(١) . فالنظرية أيضاً تسعى لتحديد أوجه النقص في المعرفة ، ولا يمكنها ذلك إلا إذا تم معرفة ما هو متوفر من المعلومات ، ونظراً لتراكم المعرفة فإنه لابد أن تقوم النظرية بعملية تلخيص الوقائع وتنظيمها ، وإيجاد العلاقة بين المعلومات . وبذلك تركز على الجوانب الأساسية وتقدمها في صيغة نظرية تتناسب مع أيديولوجيات المجتمع .

● ومن دواعي استخدام النظرية التربوية الإسلامية تسهيل عملية للمقارنة والمناظرة بين النظرية التربوية الإسلامية ونظريات التربية الغربية . وعدم وجود نظرية لتربية ما يعد نقصاً في الدراسات للعاصرة . ومنها أن وجود النظرية واستخدامها يساعدان على توجيه العمليات التربوية وتفسيرها وتقويمها^(٢) . فالواقع الذي تعيشه الأمة العربية والأحداث الجسيمة للعقدة التي تعاني منها يفرض ضرورة بناء نظرية للتربية الإسلامية .

(١) يوسف / عبد القادر ، حول النظرية العربية في التربية ، مجلة العربية للتربية ، ٦ خ ، يناير ، ١٩٨٢ م ، ١٤٠ ت - ١٤٠ هـ ، السعدية ، ص ٢٦٠ .

(٢) باطن / بحوث المؤثر التربوي ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤ .

ولذا كان لابد من نظرية تربوية إسلامية. فذلك يعني الرجوع إلى جمهور الفقهاء والعلماء لمعرفة المرجعية الإمامية في القرآن الكريم والسنة - العقيدة - ، والمرجعية الأخلاقية - القيم الإسلامية - ، والمرجعية العملية - الشريعة - وفي ذلك يقول الخطيب : إن جمهور الفقهاء يرون أن الإسلام يتكون من عناصر رئيسية ثلاثة هي :

١/ مجموعة من العقائد توجه ضمير الفرد نحو خالقه، ومراقبة ربه في السر والعلن .

٢/ عبادات هي : التعبير الظاهر عن الإيمان بالعقائد الدينية ، وافتتاح الإنسان عقلياً بها .

٣/ شريعة تتكون من مجموعة نظم ونظم العلاقات الاجتماعية، ويحدد الفرد فيها أمه .

وعليه فإن النظرية التربوية الإسلامية لابد أن تعكس هذه العناصر الثلاثة في منهجها وأهدافها ، فإذا تم الأمر على هذا لتتوالى أمكن الجزم بأن مواصفات النظرية التربوية الإسلامية هي مواصفات علمية بكل القياس . ومطالنا هي كذلك ، فإن اتباعها سيحقق الآمال والطموحات المعلنة عليها^(١).

لذلك فالحاجة إلى النظرية التربوية الإسلامية تعد من الضروريات الملحة في العصر الحاضر ، وسوف نذكر الباحثة مبررات الحاجة إلى بناء هذه النظرية :

١/ تأصيل العلوم النظرية والتطبيقية (تأكيد الهوية الثقافية للأمة الإسلامية) :

إن الأمة الإسلامية في حاجة إلى النظرية التربوية الإسلامية ؛ لأنها في مرحلة تأكيد هويتها بين الحضارات المتقدمة ، فمعرفة الذات الحضارية هي أحد القضايا الملحة أمام التحديات التي تواجه العمل التربوي في البلاد الإسلامية ، فالأمة الإسلامية واجهت ومازالت تواجه هجمة غربية ، أدخلتها في أزمة تاريخية طويلة أفقدت نظمها فاعليتها وتأثيرها، لذا على الأمة الإسلامية أن تسعى إلى تأكيد هويتها المستقلة ، بإعادة النظر في مفاهيم والنظم والنظريات ، وتحليل الواقع وفهمه جيداً ، للوصول إلى أطر معرفية ومبادئ ونظريات صحيحة للتربية ، تكون مرجعاً لأنشطة العمل التربوي ، ويشتق منه التربويون ما يتناسب مع المنهج التربوي .

والأمة الإسلامية ليست وحدها تقوم بتأصيل الحضارة الوافدة عليها وأخذ ما يتناسب

(١) الخطيب / مرجع سابق ، ص ٤٧٨ .

معها ، ففي اليابان يقوم (معهد البحوث الاجتماعية) بتحديد الخصائص الثابتة والمتغيرة ، ويراجع النتائج مرة كل خمس سنوات؛ ليرى ما هي الاتجاهات التي يثبت عليها الناس طوال السنين ، والاتجاهات التي تتغير، ليعرفوا مستحدثات الحياة . فكل أمة لها هويتها الثقافية التي تميزها عن غيرها، ورؤية ثقافية خاصة بها تحدد موقفها من الوجود والعالم^(١) . من هذا المنطلق تتأكد الحاجة إلى النظرية التربوية الإسلامية التي تبرز الهوية للتميزة للأمة الإسلامية بالمعنى الحضاري والفكري والثقافي، وليس بالمعنى العرقي والعنصري . وتجمع في طيها بين أصل تربوي موروث وحديث تربوي معاصر .

٢/ ضرورة الربط بين الماضي والحاضر واستشراف المستقبل :

من محورات الحاجة إلى نظرية إسلامية للتربية . محاولة تسليط الضوء على الماضي للاستفادة منه في الحاضر ومعالجة الأساطير لبناء المستقبل . خاصة بعد الفجوة الغربية الشرسة على أبناء المسلمين وتربيتهم الإسلامية ؛ لأنهم يعلمون أن محوّل المسلمين واسترداد ماضيهم ، إزابة لقوهم وسيادتهم ، لذلك كرسوا جهودهم لطمس تأريخ الأمة الإسلامية الخيد ، ولت تركيزهم إلى حاضريهم . وسحب بساط المستقبل من تحت أرجلهم، ومد بساط الحضارة الغربية مزخرفاً بين أعينهم ، ينهر به من يراه ويندمج فيه، متجاهلاً ماضيه، ومتناسياً مستقبله . ويظل مشغولاً بهذه البهرجة . يعيش يومه وحياته . وهذا ليس واقع المسلم الذي تنتظره حياة الأسرة ليحاسب فيها عن مسؤولياته في الدنيا ماذا عمل وماذا قدم ؟.

هذا التخطيط الغربي والغزو الفكري لتدمير أبناء المسلمين والقضاء على سيادتهم، أشد وأقسى من الغزو العسكري ؛ لأنه يؤثر في عقول للتعليم، فيضعفها . والأمة للهزيمة فكرياً تسير إلى غارتها عن طواعية ، وإلى جزائها عن رضا واقتناع لا تحاول التمرد أو الخلاص^(٢) . والسبب القوي في كل ذلك هو بعدهم عن دينهم وتربيتهم النبوية، وهذا السبب الرئيسي حتم عليهم الاتباع والانقياد لحلف الحضارة والمدنية . متجاهلين الكنوز العلمية الخائلة للوحدة لديهم باحثين عن تكنولوجيا حضارية غربية اتغمسوا فيها وكانت النتيجة العرق

(١) عبد العال / مرجع سابق ، ص ٢٤ .

(٢) السابح / أحمد عبد ربه ، الغزو الفكري في تصور الإسلامي وكتلة مراهقة ، ١٩٦١ هـ ، الندوة العالمية للشباب ، مكة المكرمة ، ص ٣ .

والضباع لمن لا يفقه مبادئ دينه وتربيته للمتمددة منذ مهبط الوحي وبداية الرسالة النبوية للأمة عامة . وتستثمر ما ظلت الإنسانية موحدة .

وبما أن تقدم ورقي المجتمعات لا يقاس إلا بما لديهم من علم ومعرفة . فالعلم هو مفتاح التطور والحضارة ، والأمة الإسلامية تاريخها وحضارتها الشائعة ما زالت تدرس في الجامعات على أنه ماضي الأمة الإسلامية ، ومن هذا التأريخ تحاول الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر أن تسترد ما فقدته لتعيش حاضرها . وتبين مستقبلها على نور الهدى النبوي .

٣/ إعادة بناء الشخصية الإسلامية بما يخلق عبادة الله وعمارة الأرض :

من الأسس والركائز التي تستند عليها النظرية التربوية الإسلامية بناء الشخصية ، فالنظرية هدفها الأسمى هو بناء الإنسان الصالح . وسوف تبين الباشرة هذا الموضوع بصورة واضحة - إن شاء الله - في الفصل الرابع عند تناول للضامين التربوية .

٤/ مواجهة تهديد الغرب والغزو الثقافي :

التغريب هو : حمل للمسلمين والغرب على قبول ذهنية الغرب ، ومحاولة غرس مبادئ التربة الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم ، وحتى تحل في نفوسهم موائين القيم الإسلامية ، ويستهدف تحقيق ذلك إخماد شعور بالنقص في نفوس المسلمين ، وذلك بإثارة الشبهات وتغريب مبادئ الإسلام وتاريخه ، وإعطاء معلومات خاطئة عن أعلامه ، والتقصص دوره في تاريخ الثقافة الإنسانية ، والتقليل من قدرة اللغة العربية . ومحاولة إبعاد التشريع الرباني ، وفرض القانون الوضعي الذي يهدم الأخلاق ويهطم الأسر ، ويدخل المجتمع في مرحلة التحلل ، وطرح نظرية وحدة الحضارة العالمية لصهر الحضارة الإسلامية في إطار الحضارة الغربية^(١) . ومحاولات الغرب قائمة لإزالة التميز الخاص والمذاقية الإسلامية ، واستبدال النموذج الغربي بدلاً من الشائع الحضارية الإسلامية .

ومن الذين يدعون للتغريب ، والأخذ بأساليب الحضارة الغربية ، طائفة ممن فسّتهم الحضارة الغربية ويريقها حين عاشوا في الغرب ، وتربوا على ثقافة لا تمت إلى الإسلام بصلة . وعرفوا تاريخ أوروبا أكثر من تاريخ المسلمين ، وعرفوا أعلام الفكر الأوربي ، مع عدم علمهم

(١) الحديدي / نور ، أسئلة للمناهج والعلم والثقافة والمصطلحات المعاصرة ، د.ت ، دار الانصاف ، ص - ١٠ .

عن أعلام الحضارة الإسلامية شيئاً، ويحاولون تربية أولادهم على النهج الغربي، مهوونين بنظرياته الوضعية .

ورغم كل هذه الجهود العظيمة المبذولة للقضاء على الإسلام، إلا أن هناك صحوة إسلامية، بدأت تلمس الأصالة والعودة إلى منابع الإسلام، وتحاول الوقوف ضد مطامع الغرب ومصالحهم للفاخرة للمنتهج الرباني . هذا كله يجعل الأمة الإسلامية في حاجة إلى نظرية تربوية إسلامية تمكنها من مواجهة الغزو الحضاري والثقافي، وحماية ثقافتها العربية الإسلامية ، التي يريد أعداء الأمة الإسلامية القضاء عليها وبحر الهوية الثقافية الإسلامية ، قال تعالى : ﴿ إِن يَتَقَفَّرُكُمْ تَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَنْسُوْا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوْءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (المنحة آية ٢) ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِقُوا قُرْآنًا يَقُوْهُمْ وَأَلْفَ مِائَةٍ تُوْرِهِمْ وَلَوْ سَكِرَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصافات آية ٨) ، فالغرب يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى دحض الأمة الإسلامية وإحلال عالم غربي ، ومن أعمالهم التي قاموا بها إزاء تحقيق أهدافهم المدمرة للإسلام والمسلمين :

الغزو الفكري : وهو مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة، وهو ينحدر إلى السرية، وسلوك للأرب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة للغزوة ولا تستعد لصدده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجة أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكرهه . وهو أخطر من الغزو العسكري^(١) . والغزو الفكري " يدل على حيثيات متعددة ارتبطت بوقائع أو ظواهر اجتماعية، وأسهمت في خروج أشكال جديدة من الأفكار والسلوك عند أفراد معينين ، أو عند جماعة معينة لتطابق مع نمط غريبة عنها ، ويندرج تحت هذا كل من التبعية الثقافية ، والتقليد الثقافي ، والانصهار الثقافي ، والانفصال الثقافي ، والعزلة الثقافية"^(٢) . هذه التبعية الثقافية بأنواعها لا تناسب مع المنهج الرباني ؛ لأن المدرسة النبوية علمت المسلمين التأمل والتفكير

(١) ابن باز / الشيخ عبد العزيز ، الغزو الفكري ، ص ٤٠ ، دار القاسم : الرياض ، ص ٢ .

(٢) الخطيب / وآخرون ، أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧ .

وتركية النفس وعدم اتباع أي قول لا يستند على حجة واضحة ، قال ﷺ : « لا تكونوا إعة تقولون : إن أحسن الناس أحسن ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وعظوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أسأوا فلا تظلموا »^(١) . إذا سار للسلم على هذا النهج وعمل به فلن يندرج تحت مظلة التبعية الثقافية وغيرها .

ويقول الخطيب : إن للغزو الفكري حيثيات متعددة مرتبطة بالواقع الاجتماعي ، أسهمت في خروج أشكال جديدة من الأفكار والسلوك عند مجتمعات معينة ، ويندرج تحت ذلك كل من :

أ / التبعية الفكرية : تعني اتباع ثقافة قوم آخرين ، بسبب التفوق الثقافي على الثقافة المحلية ، وقد يكون هذا التفوق وقتياً أو عارضاً .

ب/ التقليد الثقافي : يدل على شعور الجماعة بأن ثقافتها غير مناسبة لمتطلبات الحاضر ، فتأخذ كل ما عند الآخرين بدون تفهم وإدراك ، تقليد أعمى .

جـ/ الانصهار الثقافي : وهي أكثر تطوراً ، وأشد خطراً ؛ لأن الفرد ينصهر داخل الثقافة الجديدة وينسى ثقافته الأصلية .

د / الانهيار الثقافي : الشغل وإعجاب غير مبرر بما عند الآخرين من ثقافة .

هـ/ العزلة الثقافية : وتستخدم لإبعاد فئة اجتماعية عن حياة العامة ، وتبقى محدودة الأثر وفاتئور ، ثقل ثخاط معينة ولا يسمح لها بنشر أي منتج ثقافي لها إلا ما وافق أهداف الحصار الثقافي^(٢) . وحال المسلمين اليوم وصل إلى لمانته ، وأمامهم أن يتخبروا إما أن يكونوا تحت مظلة النور الرباني ، أو تحت ظلمات الجاهلية ، وقد قام كثير من علماء المسلمين بصد النظريات الغربية التي لا تتوافق مع منهج الشريعة ، ووضع نظريات إسلامية بديلة تنادي بالقوم التروية المستنبطة من المنهج الرباني ومدرسة النبوة .

(١) الترمذي / الإمام الخطيب أبو عيسى ، سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ، ر : ٢٠١٤ .

(٢) الخطيب / مرصع سائل ، ص ٢٥٧ .

٥) نظريات العلوم الإسلامية الأخرى :

إن نظريات العلوم الإسلامية أساسها ومصدرها كتاب الله والسنة النبوية، فهما منهجان كاملان في التربية يقدمان للناس أعظم نظريات للتربية، كما يقدمان أعظم الجوانب والنظريات والقوانين والأنظمة في التربية وعلم النفس بصورة مترابطة متسقة، وأعظم النظريات في الأدب المنثور بالإسلام، وأعظم نظريات في الاجتماع والسياسة والاقتصاد وكثير من العلوم^(١).

والنظرية التربوية في الإسلام نظرية متكاملة متماسكة تعالج الإنسان وبنائه وإعداده : فكرياً وتصورياً وعلمياً ، ونفسياً وعاطفياً وإحساساً وشعوراً، تعالج الإنسان من كل نواحيه معالجة لا تستطيعها أي نظرية أخرى في التربية، لتعده لحمل الأمانة التي هيئ لحملها . فتميزت عن غيرها بالهدف السامي الفريد ألا وهو بناء الإنسان^(٢)، الذي يبين بدوره الكون .

والتربية النبوية أشرت بتعلم جميع العلوم النافعة والاستفادة منها، وهذا ما نهجه العلماء المسلمون ، حيث اتجهوا إلى تأسيل كل علم ووضع كثير من العلوم في نظريات إسلامية ، تقوم على أساس متين لتحقيق الأهداف التي أمر بها الله في الحياة الدنيا . على أساس أن هذه النظريات هي تصور عام لتطبيق أو موضوع في علم من العلوم ، يقوم على أسس وأصول ثابتة من حقائق جزئية أو مطلقة، خاصة أو عامة^(٣) . ومن هذه النظريات ما يلي :

- مرتبة حسب أولوية التأريخ - :

١) نظرية العقد في الشريعة الإسلامية :

نظرية (عقد أحد بنود الملكية . فالملكية ثلاثة أنواع :

الأول - السبب للتشريع للملكية على الأشياء بعد أن لم تكن ، وهو الاستيلاء على الأشياء الباسية . والثاني الخلافة عن الملك - ويكون ذلك في الوصايا والمواريث - . والثالث وهو - مجال النظرية - العقود التي تفيد نقل الملكية . ويطلق العقد في اللغة على

(١) الحموي / عدنان ، التربية في الإسلام النظرية والشهج ، ص ٢٠٦ .

(٢) الترمذ السائق ، ص ٢٠٧ .

(٣) الحموي / عدنان علي ، النهج في موضوعاته ومصطلحاته ، ١٤٢٥هـ ، ص ٢٥١ .

الجمع بين أطراف الشيء وربطها ، وضده الخلل ، ويطلق تعين إحكام الشيء وتقويته . ومن معنى الربط الحسي بين طرفي الجبل أخذت الكلمة للربط المعنوي للكلام أو بين الكلامين ، ومن معنى الإحكام والتقوية الحسية للشيء أخذت اللفظة وأريد بها العهد ، ولذا صار العقد بمعنى العهد للوثق ، والضمآن ، وكل ما ينشئ التزاماً . ومن هذه العبارات ، أن العقد هو ربط بين كلامين ينشأ عنه حكم شرعي بالتزام لأحد الطرفين أو لكليهما ، وهذا يتفق كل الاتفاق مع تعريف القانونيين للعقد وقد عرفه - السنهاوري بك في كتابه نظرية العقد - : بأنه توافق إرادتين على إنشاء التزام أو نقله أو إلغائه^(١).

٢) النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية :

إن هذه النظرية تناولت فلسفة الفكر الإسلامي ، موضحة رؤية إسلامية في إطار نظرية متكاملة تشتمل إلى إمكانات الفكر الإسلامي في مجالات الدراسات الاجتماعية والتربوية ، من حيث التطوير الفكري ومن حيث التطبيق العملي .

وتناولت النظرية حاثين الأول : يشمل مصادر الفكر الإسلامي باعتبارها مصادر التنظير والتفكير . بينما يشمل القسم الثاني بنية النظرية ومكوناتها ، ومقتضيات تطبيقها في الحياة الإسلامية من خلال العملية التربوية في المجتمع الإسلامي^(٢).

٣) النظرية الخلقية عند ابن نعمة :

إن هذه النظرية تناولت إنجاز نشأة الفكرة الخلقية في الفكر الإنساني ، والتي نشأت مع أول إنسان ظهر في الأرض ، وهو آدم عليه السلام ، ومع زوجه . وتناهت القضايا الخلقية وتراكمت ، وأحور عنها القرآن الكريم والسنة . كما تناولت معالجة ابن نعمة للأخلاق ، ونظرتها إلى وهبة الأخلاق وكسبها ، فهو يرى : أن الأخلاق منها جانب فطري ، وجانب كسبي . وتؤكد هذه النظرية ذلك ، وبذلك يخالف الفلاسفة الذين يرون أن الأخلاق كلها كسبية . كما تناولت هذه النظرية الإلزام الخلقي وأساسه ، وتناولت أيضاً مشكلة الحرية ،

(١) أبو زهرة / عماد ، الفقه ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية ، ١٣٩٦هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة . ص ١٧٣-١٧٤ .

(٢) رمزي / عبد القادر هاشم ، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية ، ١٤٠٤هـ ، رسالة دكتوراه ، دار الثقافة : الدوحة ، ص ٧ . فلا تصرف .

والبواصت والغايات الخلقية باعتبارها ثمرة من ثمار الإلزام الخلقى . وتوضح الفضائل والبرذائل الخلقية .

من السياق السابق يتضح أن هذه النظرية تناولت حواشي الأخلاق منذ بدايته، مستثيرة برأي ابن تيمية مع إضافة مواضيع أخلاقية تأسس الفكر الإنسانى وطبيعته ، بطريقة علمية مقننة ومنظمة لذلك يطلق عليها النظرية الخلقية^(٦).

٤) النظريات السياسية الإسلامية في العصر الحديث :

إن الهدف الأساسى من هذه النظريات هو : إجراء فحص شامل لنظرية الإسلام السياسية من خلال مصادرها الأساسية، وبالتحديد : القرآن الكريم والسنة ، والوثائق التاريخية، وكتابات السلف، وهو ما يمكن أن يمثل المفاهيم السياسية الرئيسية في الإسلام . وإعادة صياغة هذه التصورات والمفاهيم بما يساير العصر الحديث والوازع الأساسى من هذه العملية ، وهو حسم الصراع بين دعاة الأصالة والمعاصرة أو التراث والتحديث .

وأجريت دراسات مستفيضة حول موضوع نظرية الإسلام السياسية في العصور الوسطى ، ومن قام بهذه الدراسات (فن كرمور - أرنولد شيرواني - روزنثال حميد الله - وثيان وآخرون) .

وعلى الجانب الآخر قام علماء آخرون بدراسات واسعة حول حركات التحديث في العالم الإسلامى في العصر الحديث منهم (سميث - حبيب - آدم - عزيز أحمد) . وهذه الدراسة محاولة للجمع بين هذين الاتجاهين لتقوم الجهود التى قام بها المفكرون للمسلمون في كل من مصر ، إيران ، تركيا ، الهند ، باكستان ، وإندونيسيا ، بغية الوصول إلى إعادة تغيير بعض المفاهيم السياسية في الإسلام لما يتفق وروح العصر .

وأهم مفهومين في النظرية السياسية الإسلامية هما : (الأمة) و(الشرعية) وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم والسنة ، وقد كان النبى ﷺ محور هذه التصورات ، لذا فقد حدث بعد وفاته ﷺ هوة بين مفهومي الأمة والشرعية ، وكان الحل إجماع الأمة على منصب الخليفة ، وهو يمثل

(٦) عبيد الله بن عبد الله ، النظرية الخلقية عند ابن تيمية ، ١٤٠٨ هـ ، مركز الملك فيصل : الرياض ، ص ١٦٦-١٦٧ ، نقلاً بتصرف .

العصر الثالث من أسس النظرية الإسلامية ورابع هذه التصورات في النظرية هو الشورى والاحتشاد والإجماع التي تمثل جذور فكرة الديمقراطية الإسلامية .

والسؤال الرئيسية في إعادة صياغة هذه المفاهيم في الإسلام هو تطويع هذه الأفكار لتواكب متطلبات العصر وفق منهج الإسلام ، فالعالم الإسلامي حالياً يواجه تحديات خطيرة في التطور السياسي، والتنمية الاقتصادية، وقد يمثل هذا الاتجاه إلى التراث عقبة كبيرة في هذا السبيل . لذا فقد حان الأوان لإعادة تعريف هذه المفاهيم الرئيسة من خلال القيم والتراث الثابتة، وليس من خلال الطرق التقليدية أو التقليد أو الديمقراطية الحرة . وبذلك يمكن تصور مفاهيم : الأمة والشرعية، وإخراج مجموعة من الأسس التي تسير للمبادئ السياسية بما يتوافق مع النهج النبوي في الوقت الحاضر ، - فالديمقراطية الغربية تختلف عن الإسلام في الجذور والأسس والشرع - ، وبذلك يمكن المساهمة في إعادة صوغ نظرية الإسلام السياسية في ضوء متطلبات العصر إسهاماً حقيقياً^(١).

٥) النظريات السياسية الإسلامية :

إن النظام الذي أقامه رسول الله ﷺ والمؤمنون معه في المدينة - إذا نظر إليه من وجهة منظره العملي، وقبس بمقاييس سياسية في العصر الحديث - يمكن أن يوصف بأنه (سياسي) ، بكل ما توديه هذه الكلمة من معنى . وهذا لا يمنع أنه يوصف في نفس الوقت بأنه (ديني) . فالنظام يمكن أن يوصف في نفس الوقت بالوصفين، وذلك لأن حقيقة الإسلام شاملة .

وهناك طواصر أدركها بعض الباحثين في تاريخ النظريات السياسية بوجه عام، أن هناك صلة وثيقة بين نشوء الأفكار السياسية وتطور الأحداث التاريخية . وإذا كانت هذه الظاهرة صحيحة بالنسبة إلى أي نوع أو طائفة من الآراء، في أي ميدان من ميادين الفكر، فإنها حقيقة واضحة لا شك فيها بالنسبة إلى النظريات السياسية الإسلامية . فهذه النظريات مرتبطة ارتباطاً قوياً بحوادث التاريخ الإسلامي، إلى درجة أنه ينبغي أن ينظر إليهما كأنهما جانبان لشيء واحد أو جزآن متكاملان . وتختلف طبيعة العلاقة بينهما : فارة تبدو الآراء موحية بالحوادث ، أو تكون سبباً للآراء أو ظرفاً محيطاً بوجودها ، وقد لا تكون النظرية

(١) أحمد / منظور النسي . النظريات السياسية الإسلامية في العصر الحديث النظرية والتطبيق ، ترجمة عبد المنعم حاتم وآخرون ، ١٩٩٠ هـ ، جامعة الدراسات الإسلامية : باكستان ، ص ٩-١١ ، علماً بتصريف .

إلا امتداداً لواقع ماضٍ ، أو قياساً على سابقه ثم إقرارها في عصور سائلة .

وهذا الترابط بين الجانبين النظري والواقعي ، يصير من الواضح أنه لا يمكن فهم أي منهما بدون الآخر ، كما أن خير منهج للدراسة هذه النظريات هو أن تدرس مقترنة بالوقائع التاريخية التي ارتبطت بها ، وتندرج معها في مراحل التطور بحسب ترتيبها الزمني حتى يدرك كنه الصلة التي تربط بين الطرفين ، وتوضح حقيقة الآراء ، وتعرف البيئة التي نشأت فيها كل فكرة إلى أن اكثرت نتائجها ، ووصلت إلى تمام نموها ، وهذا ما نقصد إليه النظريات السياسية^(١).

٦) النظرية التربوية في طرق تدريس الحديث النبوي :

ويقصد بها العناية بطريقة تدريس الحديث ، واستخدام الأساليب التي تؤثر في الشيء . وقد دعت الحاجة إلى تحسين طرق تدريس الحديث النبوي ، وتناولها بالتحديد وتوجيهها توجيهاً سليماً ؛ لأن الأحاديث تُعرض عند البعض بصورة باهتة لا تحرك وجداناً ، وليس فيها إظهارٌ للثمن والقيم وللبدئ الساعية الكريمة ، وأصبح المجتمع يشكو من تردي أخلاق الشيء ، وفقدانهم للشخصية الإسلامية وذوقهم في غيرها . وذلك لاعتدال الدور الحيوي في طريقة تدريس الحديث . وقد نوه الندوي ونادى بتغيير الأساليب التربوية في تدريس سيرة النبي ﷺ والتحديد والابتكار الأمثل واستخدام الطرق الحيوية . ولا يمكن ذلك إلا من خلال استخدام نظرية توضح للمعلم الكيفية التي يتعامل بها مع التلميذ ويؤثر فيها ، من خلال دروس الحديث الشريف وتطبيقها كسلوك في حياتهم العملية . وتنظيم طريقة للعلوم التي تثير رغبة التلميذ في الاستزادة من معرفة الأحاديث التي تتحدث عن بناء الشخصية^(٢).

٧) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي :

إن الشريعة تراعي للمقاصد العامة وتعمل على تحقيقها في كل أبوابها التشريعية . ومعرفة المقاصد العامة تقود إلى حفظ النظام ، وحلب المصالح ، ودرء المقاصد ، وإقامة المساواة بين الناس ، وجعل الشريعة مهابة مطاعة للغة ، وجعل الأمة مرفوعة الجانب مطمئنة البال .

(١) الرئيس / محمد خياط الدين ، النظريات السياسية ، ط ٧ ، دار الفكر : القاهرة ، ص ٢٣ - ٢٧ .
تقلاً بتصريف .

(٢) صادق / يوسف محمد ، النظرية التربوية في طرق تدريس الحديث النبوي ، ١٤٦٢ هـ ، دار ابن القيم : الدمام ، ص ١٤ ،
تقلاً بتصريف .

ومقاصد التشريع العامة هي : للعاني والمُحكَّم للمحظوظ للشارع في جميع أحوال التشريع
أو معطئها ، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة .

أما المقاصد الخاصة : فهي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة ، أو
لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة . ولهدف الشريعة إلى تحقيقها في باب معين ، أو
في أبواب قليلة متجانسة ، من أبواب التشريع .

وبذلك يكون تعريف مقاصد الشريعة هي : الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها ،
لمصلحة العباد . ويمكن القول بأنها : فهم الغاية منها ، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل
حكم من أحكامها . فالشطر الأول بين الغاية منها ويشير إلى المقاصد العامة . وبقيّة
التعريف يشير إلى المقاصد الخاصة أو الجزئية .

وقد أحس علماء المسلمين بوقوع الفصام بين تعاليم الإسلام وقواعده ومبادئه وبين
واقع المسلمين وممارساتهم الحياتية ، وجهود أولئك العلماء متصلة لرتق الفتح وربأ الصدع
 وإعادة الاتصال الوثيق بين الإسلام والمسلمين ، ذلك الاتصال الذي جعل من مسلمي
الصدر الأول مصاحف تمشي على الأرض بخلق القرآن الكريم ، وسلوك القرآن الكريم
وتعامل القرآن الكريم .

وأبرز وسائل العلماء في تحقيق ذلك بيان علل الأحكام وغايات الإسلام ومقاصد
الشريعة وأهدافها . فبينوا أن لكل حكم من أحكام الإسلام وظيفة يؤديها وغاية يحققها ،
ومقصدا وهذا بقصد ويستهدفه ، لتحقيق مصلحة للإنسان أو دفع مفسدة ومضرة عنه .
كما حدد العلماء المسالك الموصلة إلى اكتشاف عن تلك المقاصد وفهم وبيان تلك للمصالح
وتحديد العطل .

فالضرورة هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، ويترتب على فقدانها احتلال
وفساد كبير في الدنيا والآخرة . ويقدر ما يكون من فقدانها ، بقدر ما يكون من الفساد
والتعطيل في نظام الحياة^(١) .

(١) فريسي / أحمد ، نظرية المقاصد عند الإمام الشافعي ، ط ١ ، ١٦٦ هـ ، الدار العالمية للنكسب الإسلامي :
الرياض ، ص ١٧ - ٢٠ . تلاً تصرف .

٨) النظرية العامة للدعوة الإسلامية :

طور أعداء الله أساليبهم ووسائلهم لينشروا الفتنة والفساد في الأرض، والجريمة والظلم والعدوان . طوروا أساليبهم ليؤمنوا مصالح طبقة المجرمين، ويخدعوا الشعوب الأخرى أو يسحقوها . ووضعوا نظريات مطبوعة للقيام بهذه المهام .

وللسلمون أولى بأن يطوروا أساليبهم لينشروا الحق والعدل، والأمن والحرية الصادقة المضبوطة بضوابط الإيمان ، وليحاربوا الفتنة والفساد والجريمة والظلم والعدوان . بطريقة مطبوعة توجه أعداء الدين وترد على دعواتهم المقدمة بنفس الطريقة للظلم . لذلك يجب وضع نظريات إسلامية تخطط للعمل من أجل دحض ادعاءات الفساد، وبناء الجليل للؤمن وتنمية طاقاته على أسس نظرية العمل الإسلامي^(١).

٩) النظرية السياسية في توحيد الأمة (الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود) :

إن تاريخ الوطن الذي ينسب إليه مجتمعنا حدير بأن يدر مؤسسه ويعرف تاريخه الشيد ، بفرض تبصر الأجيال القادمة بمخومات النهضة التي تمتع بها الأمة السعودية . فهذا للتوس أنشأ نظاماً للحكم تمتع بالديناميكية والحياة التي مكنته من تفجير طاقات الشعب السعودي في أرضه الشاسعة في شكل نمضة تنموية رفعتها من رتبة الدول الفقيرة إلى واحدة من أغنى دول العالم يعكس الرقوة والكياسة وصدق الخنس لديه .

ودراسة من هذا القبيل تتطلب الباع منهج يجمع داخله العديد من اللشاهج الدراسية والذي يُعرف — Interdisciplinary Approach . وهذا للنهج يمكن من إلقاء الضوء على اللوضوع بصورة مترابطة لتعمل منه كلاً عضواً مركزياً . ويهدف هذه للنهج اللشامل للتناحل إلى مسك جميع الخيوط التي تُمكن من فهم للحكم الذي بناء مؤسس المملكة العربية السعودية ، والذي اقتضى أبناؤه أثره من بعده في حكم أكثر البلدان في اللطقة العربية وأهمها في السياسة العالمية^(٢).

(١) التحوي / عدنان علي ، النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، ط٣ ، ١٤١٧هـ ، دار التحوي : الرياض ، ص١٦٠ .
تقلاً بتصرف .

(٢) ابن محفوظ / عبد الله مرعي ، النظرية السياسية في توحيد الأمة للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، ١٤١٩هـ ، كنفة للنشر والتوزيع : جدة ، ص١٠٠ . تقلاً بتصرف .

وسياسية كهذه يجب أن تنظم وتقتن ، وتوضع في نظرية حتى تسير في اتجاهها الصحيح ، فالنظرية تلبيد من تنظيمها توضيح لحقائق العلمية المعروفة في النواحي التي لم تبحث من قبل أو لم يسلط عليها الضوء ، فتظهره واضحاً جلياً .

(١٠) النظرية الإيمانية للمعرفة :

إن الإسلام يقدم نظرية للمعرفة أدق وأصدق وأولى . ويقدمها للناس كافة حين يدعوهم أولاً إلى الإيمان والتوحيد للغرب في فطرة الإنسان . وهذه النظرية تعدد مصادر للمعرفة التي يسمها الله برحمته وفضله للإنسان ، ويسر له بلوغها وكسب العلم والمعرفة منها ، كما يسر سبل استخدامها في واقع الإنسان على الأرض ، بما يكفل سعادة الإنسان وصلاحه وحيوه . فالنظرية الإيمانية للمعرفة تبني عند المسلمين منهجاً متميزاً للتفكير هو المنهج الإيماني . وهذه النظرية وهذا التصور يشمل حياة المسلم منذ طفولته ، ويتابع مراحل نمائه في النواحي الإيمانية والنفسية والفكرية والعلمية والاجتماعية وغير ذلك . وهذه النظرية يمكن مواجعتها بنظرية المعرفة العلمية . وتستعمل نقطة نظرية لا لأن ما سبق ذكره لم يثبت أو لم يقم عليه برهان ، فالبينة هي القرآن الكريم والسنة وهما علمٌ حقٌ . ولكن تستخدم كلمة (نظرية) نظراً لعرض التصور النظري ، حتى يمكن تمييزه عن الممارسة والتطبيق . وهذا أحد معاني مصطلح النظرية^(١).

(١١) نظرية المعرفة بين القرآن الكريم والفلسفة :

إن المسلمين اليوم في حاجة ماسة إلى بحث منظم يتناول للمعرفة في القرآن الكريم ، على أسس علمية ومنهجية منظمة ، وموسوبة تبويباً علمياً . وكيف لا يكون البحث في المعرفة مهما ، وهي ميزة الإنسان ، وأعلى وظيفة له في الوجود . وهل الاعتقاد أو الإيمان والدين إلا علم ومعرفة ؟.

وتحديد نظرية للمعرفة هدفها ، هو العبادة للرب على اليقين ، لذا فهي أمرٌ مهمٌ ومسألة ضرورية . خاصة أن البشرية تراكت عليها التصورات الفلسفية ، وهي تحاول تحديد وصياغة

(١) النجدي / عدنان ، الحرية في الإسلام النظرية والتطبيق ، ١٤٢٠هـ ، دار النوري : الرياض ، ص ٨٥-٦٦ .
نقلاً بصرف .

هذه المعرفة ، والمعتل عاجز عن أن يعرف حقيقة نفسه ، فكيف يستطيع أن يقدم تفسيراً لمعرفة كل شيء علوي .

من هنا كانت حاجة البشرية إلى علم سليم ، وتفسير دقيق ، موحد معصوم ؛ لأن الإنسان مفتور على حب الاستطلاع والمعرفة ، ومزود بالاستعدادات التي تساعد على تعلم العلم . والقرآن الكريم هو العلم الذي يلزم الإنسان ، إذ هو منهج الله لعباده ، يدعو إلى معرفة موحدة ، تجمع بين نور الوحي المنزل على رسول الله للبشر كافة . ونور القطرة المؤسسة للمعرفة ، تأسيساً بوعلمها لإثبات النبوة وفهم الشرع^(١) . ويذكر المؤلف أنه واجه صعوبة في استخراج أصول نظرية للمعرفة في القرآن الكريم ، إذ لا يوجد دراسة منظمة شاملة لنظرية المعرفة في القرآن الكريم . وهذه الدراسة وضعت في ثلاثة أجزاء :

١/ نظرية المعرفة بين القرآن الكريم والفلسفة / المعرفة بين الشك واليقين .

٢/ نظرية المعرفة بين القرآن الكريم والفلسفة / رابطة للمعرفة وموقفها من المثالية والواقعية .

٣/ نظرية المعرفة بين القرآن الكريم والفلسفة / أصل للمعرفة طرقها وأنواعها .

١٢ نظرية الحرب في الإسلام :

إن حروب النبي ﷺ هي لتعلم الصادق للحروب التي تستباح فيها أنفس المقاتلين من غير خروج عن نطاق الفضيلة ، ومن غير ثمره على سلطان العدل الذي هو فوق كل عمل إنساني ، وقد تتناهى الحروب مع الرأفة والشفقة ، ولكن لا يصح في الرسالة الإلهية وحكم النبوة أن تتحاي عن العدالة والفضيلة أبداً . فإذا كان القتال ملحمة بشرية تستباح فيها الدعاء ، فلماذا لا تستباح فيها الفضيلة ، ولا تنهك العدالة . ولا يتطلى فيها للمقاتل من كل القيود الإنسانية .

وميزة قتال النبي ﷺ أنه ما كان يقاتل الشعوب ، بل كان يقاتل الكواء الذين يقودون القوى إلى الاعتداء ، وكان ﷺ لا يسمح قتل أحد لا يقاتل ، وينهى عن قتل النساء والعمال والذرية والشيوخ الذين لا رأي لهم في الحرب . وهذه النظرية تبين أن الحرب في الإسلام

(١) الدكتور / راجح عبد الحميد ، نظرية المعرفة بين القرآن الكريم والفلسفة ، ١٤٢١ هـ ، دار الفرقان : عمان . ص ١٥ ، فلا تنصرف .

التي سنها قائد الهدى محمد ﷺ سرب فضيلة : في الباعث عليها ، وفي ابتدائها ، وفي سورها ،
وفي انتهائها ، وفي معاملة العلويين^(١) . وشتان بين حروب اليوم وحروب الأمس .

١٣) نظرية الدعوى بين الشريعة الإسلامية وقانون المرافعات المدنية والتجارية :

إن كان العلم بقصل الخصومات فرض كفاية على الأمة، مطلوباً من علمائها وفرضاً على
قضائها وحكامها ، فإن معرفة الادعاء والطلبات بالحق ضرورة لكل فرد في دولة الإسلام .

وذلك أن الدعوى هي الوسيلة الأصلية لتحصيل الحقوق ، فليس للناس تحصيل حقوقهم
بأنفسهم ، ومن اعتدى على حقه أو اعتقد ذلك فسيبيله إلى دفع الظلم عن نفسه أن يلجأ إلى
القضاء وهو ممنوع من أخذ حقه بنفسه، إلا في حالات استثنائية . وفي هذه النظرية محاولة
لتحقيق القوائد التالية :

١/ جمع مختلف آراء للذاهب الفقهية في مسائل الدعوى، وإثبات أدلتها كاملة، كل

مذهب من مؤلفات علمائه ، وللمقارنة بينهما ، والتقريب بين وجهات النظر ما
أمكن إلى ذلك سبيلاً ، ثم وضع ما تبقى من المختلف فيه مما يتعذر فيه التوفيق في
ميزان الترجيح ، وهذا الأمر لا يوجد في كثير من الكتب الفقهية .

٢/ استنباط القواعد والأصول والضوابط العامة مما هو مقرر من أحكام الجزئيات
التفصيلية والمسائل الفرعية .

٣/ ترتيب ما هو مبني من المسائل ، ونظم ما هو مفرق فيها ، وذلك بإرجاعها إلى
أصولها من جهة ، وتقسيم البحث تقسيماً منطقياً يتدرج فيه من الأعم إلى
الأخص^(٢) .

١٤) وهناك نظريات أخرى ذكرت ضمن بعض الكتب مثل نظرية ابن تيمية في فقه
الدين التي ذكرها الباني : بأنها نظريتان : الأولى نظرية الإيمان : التي تتعلق بالفكر والاعتقاد ،
والثانية نظرية العبودية : وهي تتعلق بالسلوك والعمل وهما جانباً الحياة الدنيا .

(١) أبو زهرة / محمد ، نظرية الحرب في الإسلام ، ١٤٢٥ هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة ، ص ٩٠ . نقلاً بتصرف .

(٢) ياسين / محمد نعيم ، نظرية الدعوى بين الشريعة الإسلامية وقانون المرافعات المدنية والتجارية ، ١٤٢٥ هـ ، دار
الفكر : الأردن ، ص ٨-٩ ، نقلاً بتصرف .

والأصول للنهج التي اتبعها في نظريته هي :

١/ إن هذه النظرية قائمة على الرجوع إلى النصوص الثابتة وجمعها واستنباطها في كل صغيرة وكبيرة من أحكامها، فهي نظرية عقلية أو مشبعة بالفهم الدقيق والاستنباط الدائم للنصوص الشرعية من كلام الله ، وقول نبيه ﷺ . ويستدل بالنص على ما يقول ويفسره .

٢/ إن هذه النظرية قائمة على تحكيم اللغة لا على مصادمتها أو الاحتياط عليها ، كما يفعل الآن بعض الجهلة والشحوفين ، وكما فعل الباطنيون من قبل ؛ إذ تعاملوا في سبيل مآرهم ، كل مقتضيات اللغة وقواعدها .

٣/ إن أبرز معالم منهج ابن تيمية في الكشف عن الحق وبيانته والوهان عليه اعتماد (النهج التاريخي) : فهو يلاحظ التطور الذي طرأ على أوضاع المسلمين الثقافية والعملية، وكيف كانوا، وإلى أي شيء صاروا، وهو بهذا يشتق دليلاً شرعياً تاريخياً^(١).

١٥) نظرية الإدارة التربوية في الإسلام :

ترجع العملية الإدارية إلى أقدم العصور حيث كانت تعتمد على مجموعة من الصفات الذاتية والمواهب الشخصية للإداريين . ولم تتطور تلك الصفات والخصائص في شكل نظري إلا مع ظهور المجتمع الصناعي في أوروبا الغربية . وقد ظهر مجموعة من النظريات تناولت الإدارة من جوانب مختلفة، وعاب تلك النظريات علماء الإدارة، بأن أغلبها تناول المشكلة الإدارية بطريقة جزئية حيث ركزت على متغير أو متغيرين من متغيرات المشكلة الإدارية .

أما نظرية الإدارة في الإسلام : فهي تنبع من فكرة أن الإسلام صالح للتطبيق في كل زمان ومكان . ومنهج الإسلام العلم والعمل به . لذا يستلزم إبراز الفكر الإداري الإسلامي من خلال نظرية متكاملة تهدف إلى :

١/ إبراز الفكر الإداري الإسلامي - كفكر متكامل يصلح تطبيقه في كل زمان ومكان .

(١) ابن تيمية / أحمد عبد الحكيم ، العودة ، تقديم عبد الرحمن البان ، د.ت ، دار النشر بدون ، ص ٢٢-٢٤ ، نقلاً بصرف .

٢/ ترسيخ الأصول العلمية للإدارة على أسس من الإيمان الواهي وربط الإدارة بالعقيدة والأخلاق .

٣/ إبراز سمو الفكر الإداري الإسلامي من خلال اعتماده على منابع من القرآن الكريم والسنة بخلاف النظريات الإدارية المعاصرة للتعتمد على الفكر البشري فقط .

والنظرية الإسلامية متميزة من حيث شموليتها واهتمامها بجميع للتغيرات التي تؤثر في العملية الإدارية داخل للنظمة وعارجها وربط سلوك الفرد العامل بالتأثيرات الاجتماعية المختلفة^(١).

بالإحاطة من عرض النظريات اختلاف في طريقة العرض . وقد حاولت الباحثة أن تقارب وتسد ، ولكن أسلوب كل مؤلف وطريقة طرحه للكتاب تختلف . لذلك لم يكن بالإمكان التمس وفق منهج محدد في تناول هذه النظريات .

ومن الكتب التي تناولت النظرية التربوية الإسلامية كعدد فقط مرتبة هيجاناً ما يلي :

١/ النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي . (آمال حمزة المرزوقي) .

٢/ تصور مقترح لكيفية بناء نظرية تربوية إسلامية (آمال حمزة المرزوقي) .

٣/ النظرية التربوية الإسلامية (أحمد محمد جمال) .

٤/ النظرية التربوية في القرآن الكريم وتطبيقاً في عهد الرسول ﷺ (أمينة أحمد حسن) .

٥/ نحو نظرية للتربية الإسلامية (علي حربشة) .

٦/ النظرية التربوية في الإسلام (محمد جميل علي عياد) .

٧/ النظرية التربوية الإسلامية للفرد والمجتمع (محمد الغزالي) .

٨/ النظرية التربوية الإسلامية (محمد السيد سلطان) .

٩/ النظرية التربوية الإسلامية (محمد قطب) .

١٠/ معالم بناء النظرية التربوية الإسلامية (مقداد باجر) .

(١) المركز العام لسمعات الشبان المسلمين / المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية ، ج ٢ : القاهرة ، ص ٩٤٥-٩٤٧ .

١١/ مفهوم تطور النظرية التربوية الإسلامية (ماجد عرسان الكيلاني) .

١٢/ النظرية التربوية المستمرة وتطبيقها في التربية الإسلامية (تور الدين عبد الجواد) .

رسالة إلى من يرفض كلمة (نظرية) :

إن كثرة العلوم وتداخلها تحتم على العلماء تنظيم هذا الكم الهائل من العلوم والمعارف . وهذا التنسيق والتفنين والتنظيم للمعلومات يسمى نظراً للمعلومات، بحث يجمع كل منسب من العلم في مجاله . وكل علم يمكن أن يصاغ في نظرية مستقلة، وكل تخصص له خطوط يسير عليها ويجمعه نقطة ، تسمى نظرية . ألا يكون للعلم الأعظم نظرية ! الذي جمع كل العلوم وحث على طلبها . ومن أجل أن يفهم الناس الدين في عصر النظريات يجب أن نلخص الناس على قدر عقولهم ، فهل يمكن أن نلخص الناس بطريقتنا، أم نواصل للعلوم لهم - التي تريد أن نواصلها - بطريقتهم، هل تحدث الناس بالعربية وهم لا يفهمون معانيها . هل من الإسلام في شيء أن يظل المسلمون على الطريقة التعليمية القديمة في جمع للمعلومات . ويعودوا إلى الخيرة والكتائب . والدين الإسلامي دين الحضارة والعلم . أم يسبوا وفق النهضة الحديثة في استخدام الأدوات العلمية .

ورفض استخدام الطرق العلمية الحديثة لا يمكن قبوله، فالدعوة الإسلامية لن تصل إلى العالم المتقدم إلا إذا نظمت بياناتها وحددت أهدافها ورسمت نظرياتها . أما عدم التنظير وتعميد الفكر العظيم الذي سلفه علماء المسلمين يجعله يظل متشابكاً متداخلاً، فإذا تحلل هذا التشابك استطاع الناس أن يفهموا العلم الذي هم محتاجون إليه .

وهذا ما طيقته للرسالة النبوية، فقد كان للربي الأول يتحدث مع الأطفال بقدر عقولهم ، ومع الكبار حسب طبعهم البينة وقدرهم العقلي، فالقرآن الكريم نزل بلغة عربية بليغة أكثر فهماً في ذلك العصر، فكلماته أقرب إلى فهم العرب في ذلك الزمان واضحة مشعة يفهمها الناس في ذلك العصر، أما العصر الحالي فكثير ما يرجع الناس إلى كتب التفسير ومعاني الكلمات ؛ إذ لكل عصر أسلوبه وحضارته اللغوية، لذلك أوتي للصطفى ﷺ جوامع الكلم وخواتمه ؛ ليكون واضحاً في كل زمان ومكان . ما على أبناء أمت والعلماء إلا توظيف هذه للمعلومات واستخدام الأساليب العصرية في عملية التوجيه لتكون أكثر وضوحاً وفهماً .

وقد سبق العلماء العرب إلى كثير من النظريات والآراء ، وثبت في الوقت الحاضر إلى علماء النهضة الأوروبية ، دون إشارة إلى هؤلاء الرواد الذين تكلّموا في التطور قبل داروين ، وفي الجاذبية قبل نيوتن ، وفي انكسار الضوء قبل ديكارت ، وفي الثورة الدموية قبل هارفي . وأعمال ابن الهيثم وابن مسكويه وابن النفيس والرازي، وغيرهم كثير . ويستدل من أن العلماء العرب في عصور النهضة العلمية العربية قاموا بواجبهم خير قيام فأدوا للنهضة العلمية أعظم الخدمات، وقادوا الإنسانية إلى مخرج التقدم والرفي وراعوا أمانة العلم، وعملوا على إنمائه وزادته . ويقول (سيدني) : أنهم كانوا أساتذة أهل أوروبا^(١).

وأسأل الله العظيم أن يرد للأمة الإسلامية عزها ومجدها ، ويفتح لها أبواب العلم ، ويرشدنا إلى السلوك الذي يرتضيه ﷺ لها .



(١) مختصر / عبد الحليم ، تاريخ العلم وعصر العلماء العرب في تقدمه ، طبع : د.ت ، دار المعارف : القاهرة . ص ١٣ .

الفصل الثالث

الأهداف النظرية والتطبيقية في السنة النبوية

مقدمة :

أولاً: تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى ، واتباع سنة رسوله ﷺ :

١- الأعمال التي يتحقق بها كمال الإيمان .

٢- توجيه الفطرة وتربية النفس على حب العبادات .

٣- الحث على التمسك بعبادة الله .

٤- توكل الإنسان على ربه وتعلقه بخالقه .

٥- اللجوء إلى الله بالدعاء .

٦- عرس الإيمان باليوم الآخر وبالتقوى .

٧- الأمور التي تمحو الذنوب والخطايا.

ثانياً : بناء إنسان صالح سوي وتوضيح صلته بالكون :

صفات الإنسان الصالح وبيان صلته بالكون :

١- صلة الإنسان بالحيوان .

٢- صلة الإنسان بالماء .

٣- صلة الإنسان بالرياح .

٤- صلة الإنسان بالنباتات .

٥- صلة الإنسان بالأرض والجبال .

٦- صلة الإنسان بالملك والزمان .

ثالثاً: تأسيس مجتمع إسلامي قادر على بناء حضارة رائدة في العالم :

١- بناء الأسرة .

٢- معالم شخصية القائد المسلم .

٣- معالم المجتمع الإسلامي وحضارته .

٤- حفظ الحقوق .

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٦- النصيحة .

الفصل الثالث

أهداف النظرية التربوية في السنة النبوية

مقدمة :

الأهداف هي الأصل في التربية وقاعدتها العريضة التي تحدد وتوجه التربية حسب المعتقدات والديانات والأنظمة السائدة في البلاد ، فالأهداف التربوية تختلف من بلد لآخر ، رغم اتفاق التربويين في أقطار العالم على أن التخطيط السليم لها يؤدي إلى نجاح رسالة التربية ، والاتفاق على أهمية الأهداف التربوية لا يعني اتفاقهم على نوعيتها ، فكل بلد له أهدافه التربوية المتمشية مع ديانته وسياسته ، لذلك تختلف أهداف التربية الإسلامية عن أي أهداف أخرى مغايرة للعقيدة الإسلامية . ففي المجتمعات المادية التي تحصر همها في إشباع الحاجات العضوية ، يكون كسب العيش المهدف العام فتسعى التربية إلى تحقيقه . وعندما تسود النظرة القومية الضيقة يصبح المهدف العام ، لتربية إعداد المواطنين الصالح ، وعندما يعتبر الفرد أكثر أهمية من المجتمع يصبح المهدف الأسمى للتربية تحقيق الذات ، وهذه الأهداف تبنتها بعض النظريات التربوية ، ولا يتطابق أي منها مع المهدف العام في التربية الإسلامية . حيث الاهتمام بتنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته^(١) ، ومفهوم العبادة في الإسلام واسع شامل لا يقتصر على أداء الشعائر التبعية فحسب ، بل يشمل نشاط الإنسان كله من اعتقاد وفكر وشعور وتصور ، ما دام الإنسان يتوجه بكل ذلك إلى الله . وبناء على ذلك فإن تعمير الأرض ومعرفة ما فيها من ثروات وطبقات ، والتعرف على سنن الله في الكون وتسخيرها لخدمة العقيدة وفق شرعه ومنهجه يعد عبادة يقترب بها المؤمن لله ﷻ ، وبذلك تنضم علوم الشريعة مع الطب والهندسة والرياضيات والتربية^(٢).

وهذه الدراسة عندما تتحدث عن أهم الأهداف التربوية لا يُقصد بها أهداف المؤسسات التعليمية ، بل تتناول ما هو أهم وأشمل من ذلك وهو تربية الإنسان في الإسلام، هذه التربية التي تستند على العقائد الدينية والروحية ، والقيم والمبادئ ، وتستند وتوجه

(١) عبد الله أ. عبد الرحمن صالح ، للهاج الدراسي أسسه وحصله بالنظرية التربوية الإسلامية ، ١٤٠٦هـ ، مركز

ذلك فيصل : الرياض ، ص ٨٥ .

(٢) جامعة أم القرى أ. توصيات التفرات العلمية الإسلامية لتلبية الأربع ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة ، ص ١٢ .

العوامل العلمية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية بما يتوافق مع المعطيات الدينية. فكل أمة تربي أبنائها وتنشئهم وفقاً لفلسفتها التربوية، غير أن هذه الأمم تتفاوت في المدى الذي تبلغه من تحقيق وضع هذه الأهداف موضع التطبيق، بحيث تصبح جزءاً من سلوكها العملي الذي يمارسه في الحياة ، لأن التربية في الإسلام تنظر إلى الفرد نظرة شاملة، وتعتبره كلاً متكاملًا ، فالوجوب التعامل معه على هذا الأسس، فسعت إلى تنميته روحياً وعقلياً وجسدياً واجتماعياً، وأي تقصير في تنمية أي بعد من هذه الأبعاد سيترك بصماته الواسعة على شخصية الفرد المتمثل في سلوكه العملي، فعلمناس إنجاح الأمة الإسلامية في بلوغ أهدافها التربوية يقوم على مدى قدرتها على تحويل هذه الأهداف إلى صيغ سلوكية تمارسها في الحياة العملية، وليس بمقدار ما تحتزنه العقول، أو ما تحشى به الأذهان من علوم ومعارف، فتقدم الأمة مرهون بما لديها من مفكرين ومبدعين قادرين على التطور، وليس بكثرة عدد أبنائها المتعلمين، من أي لون كانوا ، لذا فبناء شخصية المسلم أهم أهداف التربية الإسلامية ، حتى تكون شخصيته مميزة ومستقلة ، ولديه الإحساس بالمسؤولية ، والشعور بالواجب^(١).

وهذه الدراسة حددت أهداف النظرية التربوية في ثلاثة أهداف رئيسية . وقبل تسليط الضوء على الأحاديث التي تناول الأهداف الرئيسية، يمكن عرض تعريف كل من المصطلح، والأهداف التربوية ، والأهداف في السنة النبوية .

المهدف : ما رُفِعَ وبُنِيَ من الأرض للنضال ، أو كل شيء عظيم مرتفع، ومنه سمي الغرض هدفاً وبه شبه الرجل العظيم : وهو الدنؤ، وأهداف القوم أي قربوا . ويقال لكل شيء دنا منك وانتصب لك واستقبلك ، قد أعدت لك الشيء واستهدف^(٢). وجع المهدف : أهداف ، والمهدف له مترادفات ، هي : الغرض ، والغاية ، والقصد ، والأمد . ولا يمكن أن تستبعد معاني هذه الألفاظ ، فهي تندرج ضمن نطاق المهدف^(٣).

ومن الاستعراض السابق يمكن تعريف المهدف بأنه : القرب من تبة عظيمة يطمح الإنسان الوصول إليها ، وهي متوقعة في الزمن ، ويحصد تحقيقها على قوة إرادة الإنسان بعد توفيق الله تعالى .

(١) عيسى / محمد عبد الرحيم ، أهدافنا التربوية النظرية والتطبيق ، المحققين ، شركة الزيت العربية : السعودية ، ص ٣٤ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٤١٤هـ ، ج ٩ ، دار صادر : بيروت ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٣) لوودت بديرة ليمان في رسائلها أحاديث ذكرت فيها أن كلاً من المهدف والغاية والقصد والأمد معنى واحد .

المهدف التربوي : التغير المرغوب الذي تسعى العملية التربوية أو الجهد التربوي إلى تحقيقه ، في سلوك الفرد سواء في حياته الشخصية ، أو في المجتمع ، أو البيئة التي يعيش فيها الفرد ، أو في العملية التربوية نفسها وفي عمل التعليم كششاط أساسي وكمهنة مسن للمهن الأساسية في المجتمع^(١).

الأهداف التربوية : هي المحددات التي تحدد وتوضح مسار التربية في المجتمع والرسمي التي تسعى التربية لبلوغها من أجل نفع المجتمع^(٢).

أهداف التربية النبوية : إعداد الإنسان الصالح للحياة في الدنيا والآخرة ، وبناء أمة على تقوى الله ، تحقق المنافع الدينية والدنيوية .

(١) الشيباني / عمر الترمي ، فلسفة التربية الإسلامية ، الدار العربية للكتاب : ليبيا ، ص ٢٨٢ .

(٢) هادي / صالح طهيا وآخرون ، أسس التربية ، ط ٣ ، ١٤١٦هـ ، دار الفكر للنشر والتوزيع : عمان ، ص ١٦ .

أولاً : تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى ، وإتباع سنة رسوله ﷺ :

إن للعبودية مدولة رفيعة وشأنها عظيمًا، فكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته . ومن توهم أن المملوك يخرج عن العبودية بوجه من الوجود، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجل الخلق وأضلهم^(١) . فالعبودية هي الأساس للطلاق للإرادة وال رغبات الإنسانية على اختلائها، فلا تسير الإرادة ولا تنحبه الرغبة إلا تبعاً لما تخلفه الشريعة الإسلامية . لأن الأسس العقائدية للثرية الإسلامية ترتبط ارتباطاً قوياً بالأخلاق والسلوك التي هي أساس بناء الإنسان الصالح الذي يكون لديه للعقائد الدينية الصحيح ، ويتمتع بوعي وبصورة وسعة في الأفق وطعاميته في القلب وتواضع وعزة وأتفة وحرية وشجاعة وسرعة ، ويكون إنساناً إيجابياً يتبع وينبني ويؤدي واجبه ويأخذ حقه .

والإمام الغزالي يوصي لتعلم بأن يبدأ بالعقيدة الصحيحة قبل أن يدخل إلى مبادئ التربية وجوانبها المختلفة سواء كانت جوانب دينية أو دنيوية^(٢) .

وقبل الاستطراد في بيان الهدف الأممي للإنسان الذي لأجله خلق، وبه تتحقق إنسانيته وكماله في الوجود ، يُحتم تسليط الضوء على مفهوم العبودية، والذي عرف في الشرع بتعريفات عدة منبثقة من أصلها اللغوي ومنها :

العبودية لغة : الخضوع والتذلل^(٣) . والعبادة : الطاعة ، وهي أبلى من العبودية ، لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال ، وهو الله تعالى^(٤) . وورد لفظ العبد والعبادة في القرآن الكريم على ثلاثين وجهاً^(٥) : منها ما هو عام للمؤمنين والكافرين : ﴿ وَأَنَّهُ يُصِيرُ بِالْجَبَادِ ﴾ (آل عمران آية ١٥) ، وعلماء بالمؤمنين ﴿ وَأَنَّهُ رَؤُوفٌ بِالْجَبَادِ ﴾ (آل عمران آية ٣٠) .

(١) الحنفي / علي أبو العز ، شرح الطحاوية ، تحقيق محمد شاكر ، ١٤١٨هـ ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف : الرياض ، ص ١٠٨ .

(٢) حرام / شعوط علي ، الأسس العقائدية للثرية ، ج ٢ ، المؤتمر العالمي الخامس للثرية الإسلامية ، ص ٤٢٧-٤٢٩ .

(٣) ابن منظور / أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، ج ٣ ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٧١ .

(٤) الفيروز آبادي / محمد الذي محمد بن بطوب ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ج ٥ ، د.ت ، مكتبة الشامية ، بيروت ، ص ٩ .

(٥) لمرجع السابق ، ص ١٠ .

وعاص بالكاثرين ، (يا خسرته على العباد) (س آية ٣٠).

مفهوم العبودية اصطلاحاً : " هي اسم يجمع كمال الحب لله ولغاياته ، وكمال السفل لله وغايته ^(١) .

وأضاف ابن كثير الخوف فقال : " هو عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف ^(٢) .
وعرفها المرحاني بقوله : " طواف بالعهد ، وحفظ الحدود ، والرضا بالوجود ، والصبر على المفقود ^(٣) .

ويتجلى معنى العبادة بأنما : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة سواء كانت اعتقادية أو قولية أو فعلية ^(٤) ، وهي غاية الوجود الإنساني ، لوهي وظيفته الأولى ، وتشمل وظيفة الخلافة التي تدخل في مدلول العبادة ، وبذلك تكون أشمل من مجرد الشعائر ، وتمثل حقيقة العبادة في أمرين :

١ / استقرار معنى العبودية لله في النفس . أي استقرار الشعور على أن هناك ربا يُعبد ، وعبداً يُعبد . وأنه ليس وراء ذلك شيء ، وليس في الوجود إلا رب واحد ، والكل له عبيد .

٢ / التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير والمواضع ، وكل حركة في الحياة يتوجه بها إلى الله خالصة . وبذلك يتحقق معنى العبادة ، ويصبح العمل كالشعائر . والشعائر كعمارة الأرض ... الخ ، وتصبح قيمة الأعمال في النفس مستمدة من بواعثها لا من نتائجها . لأن جزاءه ليس في نتائجها ، إنما جزاؤه في العبادة التي أداها ^(٥) . وبذلك يبرز الجانب

(١) ابن تيمية / أحمد ، ص ١٠٠ ، ج ١ ، ١٤١٦ هـ ، جمع للسلك فهذا : للكنية المبررة ، ص ١٩ .

(٢) ابن كثير / أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ١٤١٩ هـ ، المكتبة العصرية : بيروت ، ص ٢٣ .

(٣) المرحاني / علي بن محمد الشريف ، الشعائر ، ١٤٠٦ هـ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ص ١٥١ .

(٤) الفوزان / صالح بن فوزان ، محاضرات في العقيدة والسيرة ، ١٤٢٢ هـ ، ج ٣ ، رئاسة إدارة البحوث : الرياض ، ص ٢٤٥ .

(٥) قطب / سيد ، في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ ، مركز الشروق : بيروت ، ص ٢٣٨٧ - ٢٣٨٨ .

القلبي المتمثل في حبة الله، والجناب العملي الذي يوجب على المسلم أن يتجه بكل قوته وجميع قوته وطرته إلى ربه لوضي عنه ؛ لأن من كانت غايته الله، يكون مع المستقيمين مستقيماً، ومع المنحرفين مستقيماً، فيكون تصرفه صحيحاً يتوافق مع تربته النبوية .

هذا هو المنهج الشكامل الذي أرسل الله به نبيه للناس كافة، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٧ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَجِدْ فَبَلِّغْ أَتْمُرْ مَسْئُومُونَ ١٠٨ ﴾ (الأنبياء، آية ١٠٧-١٠٨) .

فالعبودية الخالصة لله هي أن يستسلم المرء خالقه بكل جوارحه وطاقاته وتصرفاته وأفكاره وشعوره . تاركاً أهواءه وشهوته ، ابتغاء مرضاة الله^(١) . والأحاديث النبوية فيها من الحقائق ما لمس النفس الإنسانية، وتفتح للقلب والعقل آفاقاً عالية وأمداداً بعيدة، وتتر فيها عوالم عميقة، ومعاني كبيرة، تشتمل على مناهج التكوين والتنظيم، وقواعد التربية والشهيد، ومبادئ التشريع والتوجيه^(٢) . فالتربية النبوية تروى للمؤمن على تحقيق المصداق الأسمى من وجوده في الحياة، وهذا المصداق هو المظلة لكثير من التوجيهات النبوية التي تتناثر كلها وتحقق العبودية الخالصة لله ، وسوف يتم تناولها بصور متعددة منها :

١ - الأعمال التي يتحقق بها كمال الإيمان :

١ / إن محور العبودية شهادة أن لا إله إلا الله . قال ﷺ : « أَمَرْتُ أَنْ أَقْبَلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِنِّي فَعَلْتُوَا ذَلِكَ غَضَّوْا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَفْوَاهُهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ »^(٣) . الحديث يشير إلى أركان أساسية في الدين لا يصح إسلام المرء إلا بها . فالشهادتان هما الإسلام بكامله، بجميع أصوله وفروعه ، لذا كان إقرار غير المسلم بهما واعترافه بمضمونهما يجعله مسلماً في عداد المسلمين، له ما لهم ، وعليه ما عليهم . وهما أصل العقيدة^(٤) . وصلاحي النفس البشرية يبدأ من صلاح

(١) أحمد / هاشم علي ، التربة الثانية من الكتاب والسنة ، ١٤١٣هـ ، دار الأمد ، مكة المكرمة ، ص ١٨ .

(٢) قطب / سيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٣٥ .

(٣) البخاري / أحمد بن إسماعيل بن النفوة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٦٢ ، ر : ١٤٠ .

(٤) الرقاصي / قاسم أبو الخير ، مختارات من السنة ، ١٤٠٣هـ ، المكتب الإسلامي : بيروت ، ص ٩ .

عقيدتها . وإذا لم تصلح العقيدة فلن يجدي مع هذه النفس مهذب أو صلاح، لذلك بدأ القرآن الكريم باقتلاع الجذور العقائدية الفاسدة من نفوس الناس وإحلال عقيدة التوحيد، فإذا عرف الناس ربهم، وخلصت نفوسهم له، بدأت تشوق إلى معرفة ما ينهى عنه ليحببوه، وما يأمر به ليودعوه^(١). قال ﷺ : « اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ » ، قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ لَسْتَحْيِي وَالْخُذْلُ لَلَّهِ ، قَالَ : « لَسَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرِّئَاسَ وَمَا وَعَى ، وَتَحْفَظَ الظَّنَّ ، وَمَا حَوَى ، وَتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْآخِرَةَ لَوْ أَنَّ رِبَّةَ الْمَلِكِ ، لَمَنْزَعٌ لَعَلَّ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَى » ، يعني : مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ^(٢).

الدين يرشد إلى الحق في الاعتقادات ، وإلى الخير في السلوك وللعاملات، والشعور الدين في الإنسان هو للبع الأول لهداه وأفكاره الأخلاقية وتصوراته الإنسانية وفعاليته الحضارية، وهو التلبية الوحيدة لحاجة أساسية حقيقية من حاجات الإنسان السوي، تنمو في ملازمته خلال سائر العصور وشق اليبقات والحالات ، فهو غريزة روحية أرسنها الطبيعة في النفس البشرية^(٣). فَقَدْ سُبِّحَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّقْفِي قَالَ : (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَشْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ ، قَالَ : « لَقُلْ : آتَيْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِم »)^(٤). إن الاستقامة على الأوامر والنواهي هي الاعتدال على أمر الله ورسوله، والسلم في جميع سلوكاته يسأل الله أن يهديه إلى الصراط المستقيم قال تعالى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، فإذا تحققت له الاستقامة في عقيدته فلا يشدد في العبادة على نفسه تشديداً يُكَلِّفه ما يستشعر عليه أو ما لا يُطِيقه ، ولا يتساهل في العبادة ويتكاسل عنها ويتبع هوى نفسه ، أما إذا لزم للسلم الاستقامة والاعتدال في جميع أموره فإنه يحصل على ما أعده الله للمستقيمين به^(٥).

(١) الثعلبي / حصة حمد عبد ، فلاح من التربة القرآنية بالأحداث ، ١٤٠٩هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة ، ص ٤١ .

(٢) الترمذي / محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، ج ٤ ، كتاب حصة القيامة ، ص ٢٠٧ ، ر : ٢٤٦٦ .

(٣) الأموي / عمر هذه الدين ، الإسلام وأزمة الحضارة الإسلامية المعاصرة ، ١٤١٤هـ ، الدار العلمية للكتاب الإسلامي : الرياض ، ص ٣٢ .

(٤) مسلم / مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٦٧ ، ر : ٣٨١ .

(٥) الفوزان / صالح بن فوزان ، عاصرت في العقيدة والسيرة ، دراسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء : الرياض ، ص ٨٣-٩٥ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْضَلُوا أَنْ تَنفَكُوا عَنْهُمْ فَلْيَنْفِكُوا عَنْهُمْ وَالْعَصَى أَقْوَمُ ۚ ﴾ (١) ، استظفروا أن يحفظوا ولا تغزوا وأنبهوا بالجنة التي كنتم توعدون (٢) ، فصلت آية ٣٠ ، استطاعوا أن يحفظوا معنى الاستقامة فحقق لهم وعد ربهم . قال ﷺ في الحديث القدسي : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! الْفُرُغُ لِعِبَادِي أَفْضَلُ صَدَقَ عَنِّْي وَأَسَدُ فَفَرَّقَ ، وَإِنْ لَا تَفْعَلْ مَنَاتٌ تَمْلِكُ شَيْئًا وَلَمْ أَسَدُ فَفَرَّقَ » (٣) . إن العبد إذا أخلص النية لله في كل أموره وتوجه بها إلى خالقه تكون له عبادته لأنه اتبع الأوامر واجتنب النواهي في كل أعماله وتعاملاته ، وحصل منه رضا الله ، والفوز بالآخرة قال ﷺ : « مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ حَقًّا جَعَلَ اللَّهُ عِيشَهُ فِي قَلْبِهِ وَجَنَّتْ لَهُ شَيْئُهُ وَأَتَتْهُ السُّلْطَانُ وَهِيَ رَاضِيَةٌ ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا حَقًّا جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَةً بَيْنَ عَيْتِهِ وَفُرْقٍ عَلَيْهِ شَيْئُهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَّا مَا لَفَزَهُ » (٤) . إن التأمل في الحديث يفهم أن من كانت نيته طلب الآخرة ، يكون قانعاً بما لديه ، ويجعل الله الغنى في قلبه ، (وَجَنَّتْ لَهُ شَيْئُهُ) ، أي أموره للترفة ، وتأنيه الدنيا حينئذ لين ، لا يتعب في طلبها ، ومن كانت نيته طلب الدنيا « جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَةً بَيْنَ عَيْتِهِ وَفُرْقٍ عَلَيْهِ شَيْئُهُ » ، فلا يصبح إلا فقيراً ومسي فقيراً ، ولا يأتيه ما يطلب من الزيادة (٥) . فالتبة هي التي تحدد مسار أعمال المسلم ، فهي المقصد إلى الشيء ، والعزيمة على فعله ، وتتعلق بالمقدور عليه والمعجز عنه ، بخلاف المقصد والإرادة ، فإلحما لا يتعلقان بالمعجز عن لا من فعله ولا من فعل غيره ، فالتبة أعم من المقصد (٦) . قال ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَتَكَيِّفُهَا فِهْجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » (٧) . لكل عمل نية تسبقه ، لأن النية روح العمل ، وإن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف ، وهو سبب مقت لا سبب قرب ، وإن التبة ليست هي قول الفاعل بلسانه : نويت ، بل هو انبعثت في القلب بتوجيه إلى سلوك وعمل . فهي سر العبودية وروحها ، وعملها القلب ، وللمري الكريم ﷺ بنية آمنه إلى ضرورة للطائفة بين الأعمال الظاهرة (والنيات الباطنة ، مما يتج عنه مراقبة الله وخشيته في

(١) الترمذي / محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب صفة القيامة ، ص ٢١١ ، ر ٢٧٧٤ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب صفة القيامة ، ص ٢١١ ، ر ٢٧٧٣ .

(٣) التذكري / تحفة الأحرفي ، ج ٦ ، دار الفاسي : الأردن ، كتاب صفة القيامة ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ر ٢٤٦٥ .

(٤) الأشعر / عبد سليمان ، مقاصد الكاشفين لفيضات في العبادات ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، دار الفاسي : الأردن ، ص ٢٣٢٥ .

(٥) البحري / صحيح البحري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب بدء الوحي ، ص ٢ ، ر ١ .

السمر والعلن . قَالَ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورَتِكُمْ وَأَفْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »^(١) . إن أبرز للعلن التي يشير إليها الحديث الاهتمام بثقافة السرية ؛ لأنها محط أنظار الخلق وميزان التقوى ، ولها بحاسب الناس ، قَالَ ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَضَاعَ خُطِيئَةً لَكَتَتْ فِي قَلْبِهِ لُكَّةٌ سَوْدَاءٌ ، فَإِذَا هُوَ تَوَضَّعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سَقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَقْلُوَ قَلْبُهُ وَهُوَ الْإِرَانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ »^(٢) ، « كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (الطهقين آية ١١) ، فمن كانت سريرته خالية من النفاق بتعكس ضوؤها على مظهر صاحبها وأعماله ، فالقلوب الصافية تزداد إيماناً بالله ، ويتقرب بالتأبع الأوامر والنواهي ، فيكون العبد حقق العبودية لله ؛ لأنه ملأ قلبه حباً خالصاً وخوفاً منه ، فيصل إلى حنة ربه كما وعده نبيه ﷺ في قوله : « مَنْ خَافَ أَذْنَجَ ، وَمَنْ أَذْنَجَ بَنَعَ أَقْتُولَ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْحِلَّةُ »^(٣) . يطرئ الحديث القلوب الوحلة والنفوس المترفة لملأ في وصول للقرلة لمن أخلص التبة في عمله وأمن من الشيطان وكبده ، وأرشد إلى أن طريق الآخرة صعب ومتعسر ، ولا يحصل بأدق سعي فقال : (ألا) للتشبيه والاستدلال على أن سلعة الله غالية^(٤) ، وهي الجنة مقابل الأعمال الخالصة التي لا تتحقق إلا بحب الله ورسوله والخوف من الوقوع في الأعمال التي تجره للكفر ؛ لقوله ﷺ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ خَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْغُرَّةَ لَا يُحِبُّهَا إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ يَكْفُرَ أَنْ يَتَوَدَّى فِي الْكُفْرِ يَتَوَدَّى أَنْ تَقْلُدَ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْفُرُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ »^(٥) . هذا الحديث عظيم ، وأصل من أصول الإسلام ، قال العلماء : معنى خلاوة الإيمان استئذان الطاعات ، وتحمل للشقات في رضا الله ﷻ ورسوله ﷺ ، وإيقار ذلك على عرض الدنيا ، وذلك أنه لا يصح التبية لله ورسوله ﷺ حقيقة وحب الأدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهية الرجوع إلى الكفر إلا لمن قوي بالإيمان يقينه ، واطمأنن به نفسه ، وانشرح به

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الو ، ص ١٥٧٧ ، ر : ٢٥٦٤ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب التفسر ، ص ٢٢٠ ، ر : ٢٣٤٥ .

(٣) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب حقة التبية ، ص ٢٠٤ ، ر : ٢٤٥٨ .

(٤) الماركتوري / محمد عبد الرحمن عبد الرحيم ، لغة الأخوي ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب حقة التبية ، ص ٣٢٤ ، ر : ٢٤٥٠ .

(٥) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٦٨ ، ر : ٤٣ .

صدره^(١)، فترتقي أعماله ويكتمل حبه لله ورسوله، ويرتقي في درجات الجنة؛ لقوله ﷺ :
 « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ هَاجِرًا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جُلَسًا فِي أَرْجَائِهِ أَلَيْ وَكَذَلِكَ هِيَ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَفَلَا نَتَنَّى النَّاسَ بِذَلِكَ ؟ قَالَ :
 « إِنْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةٌ ذُرِّيَّةٍ أَغْنَاهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ ذُرِّيَّةٍ مَا يَتَنَّى كَمَا يَتَنَّى السَّمَاءُ
 وَالْأَرْضُ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَقَوْلُهُ عَرَضُ السَّرْحَيْنِ
 وَمِثْلُهُ تَعْرِضُ لَهَا الْجَنَّةُ »^(٢).

ب/ يشير المربي الأول ﷺ إلى الأعمال التي تدخل الجنة حيث عرفهم أصول العقائد التي
 هي لبها ولعماد وما بينهما، وأن العبد يتال مولته حسب تقربه لله، وينبغي للعبد أن يحسن
 الظن بالله ويسأله الفردوس الأعلى، كما وصاه المربي الأول ﷺ ، فالخالق يعطي عباده أكثر
 مما يقدمونه من الطاعات؛ لقوله ﷺ في الحديث القدسي : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثَرَاتِهَا
 وَأَزِيدَ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا، أَوْ أَغْفِرُ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْئًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ،
 وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعٌ ، وَمَنْ أَتَانِي بِشَيْءٍ أَتَيْتُهُ هَرُولَةً ، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ
 خَطْبَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهِ مَقْفُورَةً »^(٣) . وفي الحديث القدسي قال ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ ﷻ :
 أَنَا عِنْدَ طَرَفِ عَرْشِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي
 فِي مِثْلٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مِثْلٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْئًا ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ
 ذِرَاعًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعٌ ، وَإِنْ أَتَانِي بِشَيْءٍ أَتَيْتُهُ هَرُولَةً »^(٤) . يفيد قوله ﷻ : (أَنَا عِنْدَ طَرَفِ عَرْشِي) أي
 أي بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإحابة إذا دعا، وقيل : المراد الرجاء وتأمل
 العفو، والحديث معناه : من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة، وإن زاد
 زدت، وإن أتاني بمشي وأسرع في طاعتي أتته هرولة أي صيبت عليه الرحمة، وسبقته بها^(٥).
 ويلاحظ في أحد الحديثين أن اللغفرة مشروطة بعدم الشرك بالله، وهذا الأمر يبدب في
 المجتمعات المعاصرة بدون أن يشعروا به، فالتقرب من الناس لقضاء الحاجات والاعتماد عليهم

(١) النووي / أبي بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، ص ٢١٠ ، ر : ٤٣ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب التوحيد ، ص ٢٢٣ ، ر : ٥١ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الذكر والدعاء ، ص ١٦٤٢ ، ر : ٢٦٨٧ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الذكر والدعاء ، ص ١٦٤٢ ، ر : ٢٦٨٧ .

(٥) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، كتاب الذكر والدعاء ، ص ١٧٦ ، ر : ٢٦٧٥ .

فيما لا يقدرُونَ عليه ضربٌ من ضروب الشُّرك، لذلك ينبغي للمسلم أن يحقق عبوديته لحالقه بأن يخلص العبادة لله مع الأخذ بالأسباب، ويسأل عن الأعمال التي تقرِّبه من الطاعة وتزيد في اللِّبَاز .

جاء/ كان الصحابة رضي الله عنهم على معرفة الأعمال التي تقرِّبهم من الله ، فعن عبيد الله ابن نُسْرٍ رضي الله عنه (أن رجلاً قال : يا رَسُولَ اللَّهِ ! إنَّ شرائع الإسلام قد كثُرت عليّ ، فأسخِّرْني بِبُنيهِ أَتَشْتَبِه ، قال : « لا يُزَالُ لِسَالِكٍ وَطْناً مِنْ ذَكَرِ اللَّهِ »^(١) . المراد بالذكر في الحديث هي الالتفات التي ورد الترغيب في قولها مثل الباقيات الصالحات ، - سبحانه الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وما يستحقُّها من الخوفلة والبسملة والحسبلة والاستغفار، والدعاء بخيري الدنيا والأخرى، ويراد به للواطئة على العمل بما أوجبه أو لئلا يندب إليه كسلاوة القرآن الكريم وقراءة الحديث ومدارسة العلم -، ومنها العمل بمنال العبد مولدة رغبة أخير لها التي الكريم ﷺ أمته ، فقال ﷺ : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَزْفَاهَا فِي ذُرِّيَّتِكُمْ ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنَ الْفَاقِ الدُّخْبِ وَالْوَرَقِ ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَذْرَاكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْقَابَهُمْ وَتَضْرِبُوا أَعْقَابَهُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قال : « ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى »^(٢) . لتأمل في الحديث يستشعر عظيمة الذكر وأهميته في حياة المسلم، فهو يزيل الغم والغم عن القلب، ويجلب له الفرح والسرور ، ويورث صاحبه الإثابة والرجوع إلى الله ، وينور الوجه والقلب، ويورث حياة القلب^(٣) . فالمرئي الأول ﷺ بدأ الحديث بصيغة استفهام كعادته ﷺ عندما يريد طسرح أسرار مهم حتى يلفت انتباه من حوله ، فقال ﷺ : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا » ، أي ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها وأناقها . ويوعده من الحديث أن الثواب لا يترتب على فسد النصب في جميع العبادات، بل قد يأمر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأمر على كثيرها^(٤) .

وتضاعف الحسنات إلى سبعمائة وأكثر + لقوله ﷺ : « إِنْ أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ

(١) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الدعوات ، ص ٢٤٥ ، ر : ٣٣٨٦ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الدعوات ، ص ٢٤٦ ، ر : ٣٣٨٨ .

(٣) الشَّعْرِي / حسن علي ، أسباب الثبات على طاعة الله ، ١٤٢٢هـ ، دار القاسم : الرياض ، ص ٤٤ .

(٤) المبارك كورني / تحفة الأحاديث ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الدعوات ، ص ٣٨٠ ، ر : ٣٣٧٧ .

حَسَنَةً يَّعْمَلُهَا لِكُتُبٍ لَهُ بِعَشْرِ أَصْنَافٍ إِلَى سِتِّ مِائَةِ جُعِيفٍ ، وَكُلُّ سِتِّ مِائَةٍ يَّعْمَلُهَا لِكُتُبٍ لَهُ بِمِثْلِهَا ^(١) ،
 فِي الْحَدِيثِ شَرْطُ مُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ وَهُوَ حَسَنُ الْإِسْلَامِ ، قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيمِيِّ :
 « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْخَيْرَاتِ وَالْإِثْمَاتِ ثُمَّ بَنَى ذَلِكَ لِمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ
 حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هُمْ بِهَا لَمْ يَعْْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سِتِّ مِائَةِ جُعِيفٍ إِلَى
 أَحْصَاءٍ كَثِيرَةٍ وَإِنْ هُمْ بِسِتِّ مِائَةٍ لَمْ يَعْْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هُمْ بِهَا لَمْ يَعْْمَلْهَا كَتَبَهَا
 اللَّهُ سِتِّ مِائَةٍ وَاحِدَةً ^(٢) ، وَقَدْ حَثَّنِي قِرَاءَةُ السَّلَامِينَ أَنْ يَأْخُذَ الْأَغْنِيَاءُ بِالْأَمْرِ لِكَثْرَةِ تَصَدَّقَهُمْ
 وَأَعْمَاطِهِمُ الْخَيْرِ ، فَجَاءُوا إِلَى الرَّبِّ الْأَوَّلِ ﷺ بِسْأَلُونَهُ أَنْ يَدْعُوهُ عَلَى عَمَلٍ يَعَادِلُ أَعْمَالَهُمْ ،
 يَقْرَبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ، فَقَالُوا : (دَخَبَ أَهْلُ الثُّلُومِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالزُّبُرِ وَالْعَدَا وَالنَّجِيمِ الْقَسِيمِ ،
 يُصَلُّونَ كَمَا لَعَنُوا وَيُصَوِّفُونَ كَمَا نَصَوْهُمْ وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يُحْمِلُونَ بِهَا وَيَقْتَصِرُونَ وَجَاهِدُونَ
 وَيَتَصَدَّقُونَ قَالَ : « أَا أَخَذْتُمْ مِنْ أَخْلَاكُمْ إِذْ كُنْتُمْ مِنْ سَبَقِكُمْ وَلَمْ يَلْزِمِكُمْ أَحَدٌ بِغَدْرِكُمْ وَكُنْتُمْ غَيْرَ
 مِنْ أَلْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِهِ إِلَّا مِنْ عَمَلٍ مِثْلٍ ، لَسْتُمْ حُونَ وَتَحْمِلُونَ وَلَكِنْ حُونَ خَلَفَ كُلُّ حَسَنَةٍ لَدَا وَلَدَيْنِ ،
 فَاحْتَفَلْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا : لَسْتُ لَدَا وَلَدَيْنِ وَلَحْمٌ لَدَا وَلَدَيْنِ وَلَكِنْ لَرْتَعَا وَلَدَيْنِ فَوَجَعَتْ إِيَّاهُ
 فَقَالَ : « نَحْنُ سَيِّئَانِ اللَّهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْثَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ كَلْبٌ فَلَا وَفَالِحِينَ » ^(٣) .
 إِنَّ الْإِنْسَانَ بَشَرٌ وَمَعَهَا عَمَلٌ فَإِنَّهُ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ كَامِلًا ، وَلَكِنْ الْاسْتِغْفَارُ وَالذِّكْرُ يَجْعَلُ
 النِّقْصَ ، وَلِلْإِثْمِ فِي الْحَدِيثِ يَسْتَشْعِرُ أَهْمِيَّةَ الذِّكْرِ ، وَأَنْ صَاحِبَهُ يَدْرِكُ أَهْلَ الطَّاعَاتِ مِنْ
 الْأَغْنِيَاءِ ، وَالْإِدْرَاكُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ لِمَا وَافَقَ يَدْرِكُ ثُمَّ يَفُوقُ ، وَالتَّقَرُّبُ بِهِ رَاجِعٌ عَلَى التَّقَرُّبِ
 بِالْمَالِ . وَفِي حَدِيثٍ أَيْ ذَرَّ : « لَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ ؟ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَ ، وَبِكُلِّ
 تَكْبِيرَةٍ صَدَقَ .. الْحَدِيثُ ^(٤) ، وَالْأَفْضَلِيَّةُ تَكُونُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ الْمَوْجِبَةِ لِلنَّوَابِ ، وَلِأَهْمِيَّةِ
 جَعَلَ اللَّهُ ﷻ مَلَائِكَةً خَاصَّةً لِلذِّكْرِ ، يَجْتَمِعُ فِي حُلُقَاتِهِ ، وَيَضَعُ ذَلِكَ حَلِيقًا فِي قَوْلِهِ ﷻ :
 « إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ يَقُولُونَ فِي الطُّرُقِ يَتْلُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَسَادَفُوا :
 هَلَلُوا إِلَى خَاجِكُمْ ، قَالَ : فَيَحْقِرُونَهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَسَأَلْتُهُمْ وَهُمْ وَهُمْ أَكْثَرُ
 مِنْهُمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالُوا : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيَكْبِرُونَكَ وَتَحْمِلُونَكَ وَتَحْمِلُونَكَ . قَالَ :
 يَقُولُونَ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْنَا . قَالَ : لَيَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ :

(١) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٣٠ ، ر ٤١ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ١١ ، ر ١٣١ .

(٣) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الأيمان ، ص ١٧ ، ر ٢٢٦ .

(٤) العسقلاني / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، ج ٢ ، كتاب الأيمان ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ر ٨٤٢ .

يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهُ كَانُوا أَشَدَّ كُلَّ عِبَادَةٍ وَأَشَدَّ كُلَّ تَعْذِيبٍ وَتَحْيِيَةٍ وَأَكْثَرَ كُلِّ نَسِيحَةٍ . قَالَ : يَقُولُ : لِمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ . قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا . قَالَ : يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ غَلَبًا حَرَمًا وَأَشَدَّ لَهَا مَلَكًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَقَبَةً . قَالَ : فِيمَ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنْ النَّارِ . قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا . قَالَ : يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً . قَالَ : فَيَقُولُ : فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . قَالَ : يَقُولُ مَلَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فَلَمَّا لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَهًا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ : هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشُقُّ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ^(١) ، إِنْ هَذَا الشَّأْنُ الْعَظِيمُ لِلذَّكَرِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْعَطَاءِ الْجَزِيلِ حَتَّى يَجْلِسَ لَهُمْ ، يَغْرَسُ حَبَّ حُلُقَاتِ الذَّكَرِ فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ . فَرُبَّ الْعُرَةِ يَصِفُهُمْ بِالْهَمِّ الْجُلَسَاءُ الَّذِينَ لَا يَشُقُّ جَلِيسُهُمْ ، فَكَيْفَ هُمْ ؟ عَطَاءٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرْفِعَهُ الْوَصْفَ ، وَلَا يَذْكُرَهُ الْعَقْلُ ، فَهَذَا الشَّأْنُ يَعْطَى لِلسُّلَمِ الصَّدْرَةَ وَاللَّوْلَةَ لِيُنْزِلَ وَيُحْصَلَ عَلَيْهَا بِسَبَبِ الذَّكَرِ .

ومع ذلك فهو أداة وسلاح ذو حدين إِنْ استعمله فِي الطَّاعَةِ وَالذَّكَرِ وَفَقِيَ وَفَازَ فِي الدَّارَيْنِ . وَإِنْ سَحَرَهُ فِي قَوْلِ الْغَرَمَاتِ وَارْتِكَابِ الذُّلُوحِ ، فَإِنَّهُ يَخِرُّ الْهَلَاكَ لِصَاحِبِهِ ، فَجَمِيعُ الْأَعْضَاءِ تَالِعَةٌ لِلشَّانِ . قَالَ ﷺ : « إِذَا أَصْبَحَ بَيْنَ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تَكْفُرُ لِلشَّانِ فَتَقُولُ : اَللّٰهُمَّ إِنَّا قَدْ فَارَقْنَا نَحْنُ بِكَ ، فَإِنَّ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمَّتْ ، وَإِنْ اَعْوَجَّتْ اَعْوَجَّتْ »^(٢) . وَبِذَلِكَ يَكُونُ الشَّانُ إِمَّا يَخِرُّ الْخَيْرَ لِصَاحِبِهِ أَوْ يَخِرُّ الْهَلَاكَ ، فَالْأَوَّلُ بِالسُّلَمِ أَنْ يَجْعَلَ لِسَانَهُ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ حَتَّى يَزِيدَ إِيْمَانَهُ ، وَيَقْتُلَ مِيزَانَهُ . فَمُقَاسَاتُ الذَّكَرِ لَا تَسَاوِيهَا مُقَاسَاتُ الدُّنْيَا ، لِأَنَّهَا أَعْلَى مِنْ إِدْرَاكِهِمْ ، وَأَعْظَمُ مِنْ غِيَابِهِمْ . قَالَ ﷺ : « الطُّهُورُ خَطَرُ الْإِيْمَانِ ، وَالْأَخَذُ لِلَّهِ كَيْفًا الْإِيْمَانُ ، وَتَشَاحُّنُ اللَّهِ وَالْأَخَذُ لِلَّهِ ثَلَاثَانِ - أَوْ ثَلَاثًا - مَا بَيْنَ الْمُسَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ لَوْ ، وَالصَّدَقَةُ تَرْهَقُ ، وَالصَّبْرُ حَيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حُبَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَفْشُو ، فَبِئْسَ لِنَفْسٍ فَتْنَتُهَا أَوْ مَوْبِقُهَا »^(٣) . الْخُلْدِيَّةُ اشْتَمَلَتْ عَلَى مِهْمَاتٍ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ . فَالْإِيْمَانُ يَحْتَبُ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْخَطَايَا ، وَقَبْلَ الْمُرَادِ بِالْإِيْمَانِ الصَّلَاةُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ ﴾

(١) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الدعوات ، ص ١٥٥ ، ر ٩٩ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الزهد ، ص ١٨٣ ، ر ٢٤١٥ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الطهارة ، ص ١٧٢ ، ر ٢٢٣ .

إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَازِمٌ رُحِيمٌ» (البقرة آية ١٦٣) ، والطهارة شرط في صحة الصلاة فصار
كالشطر ، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفاً حقيقياً ، وَتَسْبِيحَانَ اللَّهَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ،
فضلهما عظيم ، لأن فيهما تربية لله تعالى ، وتقرباً واعتقاداً لله ﷻ ، والصلاة نور ، لأنهما
تمتع للعاصي ، ونجى عن الفحشاء والمنكر ، وتؤدي إلى الصواب ، وقيل إن أجزءاً نور
لصاحبها يوم القيامة ، وهما على وجهه في الدنيا ، (وَالصَّلَاةُ بُرْهَانٌ) : أي عندما يسأل
العبد عن مصرف ماله تكون صدقته برهاناً في جواب السؤال . وهي حجة على إيمان
فاعلمها ، (وَقَصِيرٌ جَيِّدٌ) ، أي الصبر الخيبر في الشرع ، وهو الصبر على طاعة الله تعالى ،
والصبر عن معصيته ، والصبر على أنواع النكبات والمكاره ، والثبات عند المحبة والالتزام
بما جاء في الكتاب والسنة ، قَالَ ﷻ : « الصَّبْرُ عِنْدَ السُّعْيَةِ الْأُولَى » . أي عند قوة
المحبة وصلتها ، وهو الصبر الذي يحمده عليه صاحبه ، قَالَ ﷻ : « عِظَمُ الْجُزْءِ مَعَ عِظَمِ
الْبَاءِ . وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ ، فَمَنْ وَجَّهَ قَلْبَهُ لِرُوحِنَا ، وَمَنْ سَخَطَ قَلْبَهُ السُّخْطُ » .
وعليه فإن حقيقة الصبر أن لا يعترض على للقدور ، ولما إظهار البلاء لا على وجه الشكوى
فلا يبقى الصبر . - والقرآن الكريم حجة لك أَوْ عَلَيْكَ - أي انتفاع الأجر بتلاوته والعمل
به ، فالقرآن الكريم حجة على من لا ينتفع بقراءته والعمل به « كُلُّ النَّاسِ يَكْفُرُ ، قَبِيحٌ لَقْنَةُ ،
فَنُفِخَ فِيهَا أَوْ مَنُوبَهَا » ، معناه : كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله تعالى بباطعه
فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والفرى باتباعهما فيوبقها ، أي يهلكها .
وفي الحديث يقول للعبادات والطاعات التي تقوي الصلة بالله ، فالنفس الإنسانية لا سعادة لها
ولا استقرار إلا بهذه الصلة : لأنها تنظم حياة المسلم النفسية والعقلية ، وتوجه تفكيره وأخلاقه ،
وتصبح عواطفه وسلوكه وعاداته قوى متضامنة متعاونة ، تتجه كلها لتحقيق العبودية الخالصة
لله ، ويمارس جميع شعب الإيمان التي أفضاها الشهادتان وأدناها إمامة الأذى : لقوله ﷻ :
« الْإِيمَانُ بِشَيْءٍ وَسِعُونَ أَوْ بِشَيْءٍ وَسِعُونَ شَعْبَةً فَأَلْصَقْنَهَا قَوْلٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَذَانًا إِمَامَةً الْأَذَى

(١) الرملي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب المناقب ، ص ٢٩٨ ، ر : ٩٩٠ .

(٢) ابن ماجة / محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، ج ٣ ، كتاب الفتن ، ص ٤٣٠ ، ر : ٤٠٣١ .

(٣) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الطهارة ، ص ٤٥٦-٤٥٧ ، ر : ٢٢٢٣ .

عن الطبري، والحناء طهارة من الإيمان^(١). من أجل تحقيق العبودية لله ﷻ يجب على المسلم أن يلتزم بهذه الشعب، وأفضلها التوحيد، الذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته. وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين من إساءة الأذى عن طريقهم. وبقي بين هذين الطرفين أعداد لو تكلف الجهد تفصيلها بغلبة الظن، وشدة الشبه لأمكنه، لأن أصول الإيمان وفروعه معلومة ومحفقة، وقد تتبع الإمام الحافظ وعده كل طاعة ذكرها النبي ﷺ من الإيمان، فوجدناها تنقص عن البضع والسبعين، فرجع إلى كتاب الله فقرأه بتدبر وعده كل طاعة ذكرها الله تعالى من الإيمان فوجدناها تنقص عن البضع والسبعين، فضم الكتاب إلى السنة، وأسقط للعاد، فوجدناها تسعاً وسبعين شعبة لا يزيد عليها ولا تنقص^(٢). هذه شعب الإيمان.

٥ / لا يقتصر مفهوم العبادة في نظر الإسلام على حدود معينة، إنه مفهوم واسع وشامل؛ فكل عمل يؤديه المسلم وهو يخلص الله فيه ويفيد من حاله نفسه ومجتمعه هو عبادة. قَالَ ﷺ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ لَسِيخَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ لَحْيِمَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ لَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ كَثِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَالْمَرْءُ بِالتَّعَرُّوفِ صَدَقَةٌ، وَلَهْفِهِ غِنَى الْمُتَكَبِّرِ صَدَقَةٌ، وَتَجَسُّرُهُ مِنْ ذَلِكَ رَخْمَةٌ يَرْتَكِبُهَا مِنَ الطُّغْيَانِ»^(٣). إن مجال العبادات واسع وكل مسلم يستطيع أن يتقرب إلى الله حسب قدراته؛ لأن المولى الأول ﷻ رسم لأمته طرقاً متفرعة تحقق جميعها هدفاً واحداً هو طاعة الله وعبته، فإذا وصل للمسلم بطاعته إلى حب الله له، كتب له المَقْبُول والحبية في الأرض. قَالَ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَادَى جَنِّيْلُ: إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ فَلَدَا فَاحِبُهُ، فَحِبُّهُ جَنِّيْلُ، فَتَادَى جَنِّيْلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ فَلَدَا فَاحِبُهُ، فَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ»^(٤). هذه حقيقة تحريرية ونتيجة فعلية لكل مسلم مخلص في عبادته وعبته خالقة، ملتزم بمنهج مدرسة النبوة، لأنه فهم الإسلام بالعقل والعلم معاً، ثم حشد العاطفة لذلك الفهم، وربط الجأش على حب الآخرة، ونزع من قلبه حسب الدنيا ومغريها، وليس تاج الكمال بحسن الأخلاق، قَالَ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ

(١) مسلم / صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١، كتاب الإيمان، ص ٦٥، ر: ٣٥.

(٢) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج ٢، كتاب الإيمان، ص ٢٠٣، ر: ٣٥.

(٣) مسلم / صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١، كتاب صلاة للمسلمين، ص ٤١٩، ر: ٧٢٠.

(٤) البخاري / صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٨، كتاب الأدب، ص ٢٦، ر: ٦٨.

خُلِقَ^(١). فلنرى الأول ﷺ بصورته النافذة وحسه لعميق رأى أن المجتمع لا يجب بالملل والسلاح وكثرة العدد، وإنما يجب بالإنسان الأخلاقي ذي الإرادة القوية، ولعزيمة الجبلة والوعي السليم^(٢)، والتواضع الجرم، ذلك الإنسان الذي رسم خط مسوره في الحياة نحو النعم صحيح، ليتبوأ مكانه في الجنة مع الذين وصفهم سيد البشرية وقالتها، فقال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَتَتْهُ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْهَارِ؟ كُلُّ قَلْبٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ^(٣)». من الأمور التي تقرب العبد من خالقه وتبعده عن النار التواضع، فهو رأس كل عمل صالح، أما الكبر والتكبر والاستكبار، فمعناها واحد ومسارها واحد، فلنذكر الخلقة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه. وذلك أن يرى نفسه أكثر وأفضل من غيره، وأعظم من ذلك أن يتكبر على ربه بأن يتمتع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة، والتكبر على قسمين: فإن ظهر على الجوارح يقال تكبر، وإلا قيل: في نفسه كبر، والأصل هو الذي في النفس وهو الاسترواح إلى رؤية النفس، وجاء في الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(٤)... إن الإنسان يسمو ويتعاطف إذا رأى عجزه وسيطرته للثمرة، ومن وجد في نفسه هذه الصفة أو زينها الشيطان له، فعليه أن يعود إلى الله، فالخالق يفرح برجع عباده إليه وإدراكهم ذنوبهم والثبوت منها. قَالَ ﷺ: «اللَّهُ أَرْخُ بِنُورِهِ عَلَيْهِ مَنْ أَحَدَكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَصْلَتْ فِي أَرْضٍ فَانْقَضَتْ^(٥)». إن الله لم يترك عباده تتراكم عليهم الذنوب والخطايا، بل تعهد عباده بالرحمة والغفران. وما عليهم إلا أن يعرفوا أخطائهم، ويهتدوا بالتوبة إلى الله، فالتوبة تعمل في طيافها الصلاح والمداينة، وهي فرصة أعطيت لمن حاد عن الدرب، وضل الطريق. فتمسكه من العودة إلى الصواب، قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَى فَلِنُصْا يَتَّبِعْهُ لِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ فَلِنُصْا يَضِلْ غَلْبًا﴾ (الإسراء آية ١٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ أَوْ إِسْتَنْتُمْ لَا تَنْفَعُكُمْ. وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء آية ٧)، إن القاعدة التي لا تتغير في الدنيا والآخرة، أن عمل الإنسان يعود

(١) أبو داود / سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، مرجع سابق، ج ٤، كتاب السنة، ص ٢٢٠، ر ٤٦٨٢.

(٢) السيد / حمزة أحمد، معصرة الإسلام القروية، ط ٢، ١٤٠٢هـ، دار البحوث للنشر: الكويت، ص ٤٦.

(٣) البخاري / صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٨، كتاب الأدب، ص ٣٧، ر ٩٩.

(٤) الصغاني / فتح الباري، مرجع سابق، ج ١٠، كتاب الأدب، ص ٤٩٠، ر ٦٠٧١.

(٥) البخاري / صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٨، كتاب الدعوات، ص ٦٢٢، ر ٥.

له، بكل ثماره ونتائجه، وتجعل الإنسان مسؤولاً عن نفسه، إن شاء أحسن إليها وإن شاء أساء. والإحسان إليها يكون مهادناً إلى الاستقامة، والتحلي بالأوامر والتخلي عن النواهي. والإساءة إليها يكون بتركها للهوى^(١). فالنفس أمارة بالسوء، وقد يضعف الإنسان أمام الهوى، ثم يحاول الخلاص، ويبحث عن وسيلة يلتصقها للتخلص من الذنب، فيجده في قوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَذْنِبُ ذَنْبًا فَيَحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ (آل عمران آية ١٣٥)، إِلَى آخِرِ آيَةِ^(٢). أشارت التربية النبوية إلى العلاج، وأعطت الأمل للعباد، فإذا طرأ للعبد أمر وشعر أنه ارتكب ذنباً توجه إلى الله، لطلب العفو والمغفرة، وبذلك يظل العبد متيقظ القلب، محافظاً على الأوامر والنواهي. ويرجع إلى الله بعد الخطايا، وهذا الرجوع يرتقي المؤمن بمنهج الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَاعْتَرِضْ لَهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ ذَنْبَكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (حمد آية ١٩)، فلاستغفار يجعل القلوب موصولة بالله. فيزداد العبد تقرباً إلى الله، وتمسكاً بالمنهج النبوي، الذي حمى كثر من الناس، فحرقهم الراحة والطمانينة، واتبعوا للتأنيج التي ألفت بهم الشقوة التي يحسها الناس في قرارة نفوسهم، فالتأمل بنظرة فاحصة في سر سعادة وتفوق الرعي الأول في كل الحالات توضح له الصورة ساطعة مشيرة إلى تمسكهم بمنهج النبوة، فقد كانوا حريصين على تطبيق ما يوصيهم به نبيهم ﷺ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: (أَوْصَانِي خَلِيلِي بِطَلَاتٍ لَا أَذْغِفُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: صَوْمٌ لثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصِيَّةُ الطَّحِي، وَكُوفٌ عَلَى وَلَرٍ)^(٣). إن عبادة المسلم معاً يجب أن تسير وفق منهج الهدى الذي رسمه ﷺ. فيمتلئ القلب بشحنة قوية من الإيمان والصلة الدائمة بالله، تدفعه إلى العمل الإيجابي نحو العبادة، وكل عمل في حياة المسلم يكون عبادة إذا نوى به التقرب إلى الله. قَالَ: ﷺ «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَيْ، قَالَ: «فَمَنْ لَيْسَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ بِصَائِمٍ؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَيْ، قَالَ: «فَمَنْ لَيْسَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ بِصَائِمٍ؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَيْ، قَالَ: «فَمَنْ غَدَا مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟» قَالَ

(١) طلب / سيد، في خلال القرآن، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٢١٤.

(٢) أبو طه / سنن أبي طه، ج ٢، كتاب الصلاة، ص ٨٦، ر: ٦٥٢١.

(٣) البخاري / صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، كتاب الصلوة، ص ١٢٢، ر: ٢٠٤.

أبو بكر عليه السلام : أَلَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ »^(١). إن دوام العبادات السهلة يجعل للره في إحسان دائم بحرفة الله تعالى ، ولذلك كانت العبادة المستمرة السهلة أحب ؛ لأنها توجد ذكراً دائماً لله ، ولا تقطع العابد عن عبادة الله تعالى بالعمل في الحياة ؛ لأن العمل في الحياة ذاته عبادة ، فجمع بهذا بين عبادتين^(٢). هذه الأعمال تعود بحس على صاحبها ، فالخسة نور في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البدن ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن لسيئة ظلمة في القلب ، وسواداً في الوجه ، ووهناً في البدن ، وضيقاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق^(٣). ولاري الأول ﷺ أشار إلى محاربة الذين لا يسعون على السهوج القسوم ، ويتسربون إلى الإسلام وهم يعبدون عنه ، قَالَ ﷺ : « مَا مِنْ لَبِيٍّ نَفَخَ اللَّهُ فِي أَمَةِ قَبْلِي إِلَّا كَانَتْ لَهَا مِنْ أَتْبَعِهِ خَوَارِثُونَ وَاصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسَلْتِهِ وَيَقْتُلُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِذَا تَخَلَّفَ مِنْ تَعْلِيمِهِ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَكُنْ جَاهِلْتُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهِلْتُمْ بِلسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهِلْتُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَتَّى خَرَدَلِ »^(٤).

الرسول ﷺ بما لديه من علم غيبي أعبر بما سيؤول إليه أمر هذه الأمة من تشتت ووهن في العزائم والضمائر ، نتيجة ابتعادها عن قيمها وتعلقها بذيهاها . لذا أمر ﷺ بمجاهدة من يتصفون بهذه الصفات . فليس من العبادة في شيء أن يعزل للره عن المجتمع ، وإنما العبادة الحقة هي أن يكون في قلب مجتمع ، ويقوم بعمل يراقب الله من خلاله في سره وعلايته .

وأن تكون العبادة خوفاً من الله ، ورغبة في ثوابه ، وشكراً على آلائه التي أسبغها عليه وللطبيعة التي سخرها له بمرأ وبرأ وسماء . والمجاهدة في محاربة الباطل وأهله ، حسب القدرة والاستطاعة ، فالعبودية الحقة تظل صامدة رغم مسيرة الحياة الدائمة المتطورة المتجددة برجالها الذين يتبنون بإخلاص أمام الحق ، ويزدادون رسوخاً في الابتلايات ، ولا يترددون لحظة واحدة لتحقيق معاني الجهاد وتحقيق الغايات السامية لرفع راية الإسلام .

وقد تصاب بعض النفوس بالوهن والضعف ، رغبة في النجاة وحباً في الحياة ، فتركن

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب فضائل الصلوة ، ص ٥٨٩ ، ر : ١٠٢٨ .

(٢) أبو زهرة / عمد ، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ ، دار السعدية : جدة ، ص ١٥٩ .

(٣) ابن تيمية / أحمد بن عبد الحليم ، تركية النفس ، ١٤١٥ هـ ، دار للنشر : الرياض ، ص ٤٥ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٧١ ، ر : ٥٠ .

للراحة، وتصاب بأمراض حب الدنيا، والإسلام يعالج هذه الطبيعة البشرية^(١). بأمرين : إما بتلقي التوجيه والنصح من الآخرين فيوضح الحق ويُبع، أو بتربية ذاتية تبسح من داخل الإنسان، عندما يمر بحواسم تشده إلى زيادة الطاعة، وتقدم له حوافز تفر القلوب والوجدان، وتوقظ الغافل، مثل الحج ورمضان ، قَالَ ﷺ : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »^(٢). هذه الحوافز الجليلة ترسل من المؤمنين ما علق به من حب الدنيا، لذلك حياة المؤمنين متحدة، يتجدد معها الإيمان، إضافة للنور المتجدد باعتداد الحياة الذي وهبه الله للمؤمنين وأمرهم بالأخذ به من أجل رد للمصائب والصعوبات التي تمرقل مسيرهم في الحياة قَالَ ﷺ : « لَا يَزِيدُ الْقَضَاءُ إِلَّا الْغَدَاءَ ، كَمَا يَزِيدُ فِي الْقَمْرِ إِلَّا الْبُرُ »^(٣). ورغم هذا العطاء والكرم من الخالق العظيم إلا أن العباد يغفلون عن مفتاح سعادتهم، ويبحثون عنها في كل مكان، وقد أعماهم البحث، وانقطعت بهم الوسيلة، ورُسمت الشقاوة على وجوههم ، أضلوا الطريق وهو أمامهم ، وبإمكانهم تطييسه، فالجميع يستطيع الدعاء والصلوة إلى الله بإخلاص .

فالترية النبوية هي التربة التي انصفت بتعاليمها الشاملة الكاملة للتوازنة للتوافقة مع الفطرة البشرية. فكل حياة للمؤمن الأول ﷺ دروس تربوية ، تهدف إلى السمو بالإنسان حسن طريق تعليمه وتوجيهه .

٢- توجيه الفطرة وتربية النفس على حب العباد :

المجتمع الإسلامي دون غيره من المجتمعات حرص على إصلاح الفرد والمجتمع ، وسلامة الفطرة ، قَالَ ﷺ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَوْفَاهُ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً أَوْ مَجَسَّسِيَّةً ، كَمَا فَتَحَ الْهَيْمَةَ بَهْمَةً جَنَافَةً هَلْ لِحِسُونِ فِيهَا مِنْ جَذَعَاءَ » ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ : « فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ »^(٤) ، إن هذا الحديث هو صلب التربية ، وقبل هو قنالها الكبرى، فالسلوك يتشربه للولود من والديه، فهما يهتديانه أو

(١) الشوي / محمد لقمان الأعظمي ، دراسات تربوية في الأساليب النبوية ، مرجع سابق ، ١٤١٧هـ ، ص ٢٠٠ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الصوم ، ص ٦١ ، ر : ١١ .

(٣) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب القدر ، ص ٥٤ ، ر : ٢١٢٦ .

(٤) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الميثاق ، ص ١٩٨ ، ر : ١١٤٤ .

بضلته، لأنه يستقي منهما التوجيه والتعليم، ويدهما المحافظة على فطرة الطفل ورعايته وتلمية استعداداته ومواهبه^(١). وللرّي الأول ﷺ أشار إلى أن جميع البشر خلقوا على الفطرة، ولديهم عقلية تتأثر بتأثر البيئة والمجتمع صحة وفسادا، فمن سيطرت عليه الشياطين قادته إلى الغررات، وأبعدته عن العبادات. قَالَ ﷺ: «إِنْ أَخَذَكُمْ إِذَا قُمْتُمْ يُصَلِّي بَدَأَ الشَّيْطَانُ فَلْيَسْئَلْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَتْرَى كَيْفَ صَلَّيْتُمْ، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَخَذَكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ»^(٢).

الحديث مؤشر على أن الشيطان يسيطر على لب الإنسان، ويجعله لا يدري ما يقبول وما يفعل، وللرّي الأول ﷺ دل أمته على حبر النقصان في الصلاة بالسجود، لأن الشيطان يكره أن يسجد العبد لله، ويشعر بالخسرة والندامة؛ لأنه عصي أمر الله في السجود - فأخرجه الله من الجنة ولعنه وأعد له جهنم ونسب النور -، فالصلاة حلقة وصل بين العبد وربّه، فإذا كان النقص يحرم بالسجود وإلا فإعادة الصلاة واجبة -، لأنه متى ما ترك ركناً من الصلاة ولم يأت به بعدها مباشرة وحسب إعادة الصلاة، أما إن سها فيما شرع له السهو فالواجب سجود السهو، وإعادة الصلاة هنا غير مشروعة - ولولمّن عندما يقف بين يدي الله عليه أن تكون حوارحه متعلقة بالله يحيي ما يقول ويدرك ما يفعل، ولا يجعل للشيطان عليه سبيلاً، وأن يؤدي أركانه وواجباتها كاملة كما علمه رسول الله ﷺ. لأنه من غير حضور القلب لا يحصل المنصود بالأذكار والالتفات، ولا يشعر بالخشوع في صلاته، فالصلاة التي مفتاح باقي العبادات، فمن حافظ عليها كاملة سوف يلتقي ربّه وهو مسرور، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَوَّاهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسَلِّماً فَلْيَحْفَظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِيَتَّبِعَكُمْ ﷺ سَبْنَ الْهُدَى وَالْهِنَ مِنْ سَبَنِ الْهُدَى، وَلَوْ لَكُم مِثْلُكُمْ فِي تَوْبَتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَمْ تَرَوْكُمْ مِثْلَ لَيْتِكُمْ، وَلَوْ لَكُم مِثْلُ لَيْتِكُمْ لَمْ تَلْتَمِسْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَخَلَّسُ قِسْمَ الطُّهُورِ ثُمَّ يَتَقَرَّبُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْلُقُهَا حَسَنَةً، وَيَتَقَرَّبُ بِهَا مَرَّةً، وَيَحْطُ عَنْهَا بِهَا سِتَّةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُتَأَنٍّ مَغْلُومٌ مُتَأَنٍّ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُكَلِّمُ بِهِ يَهْدَى تَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يَفْقَدَ فِي الصَّفِّ»^(٣).

(١) ابن حزم / صاغ عبد الله، التوجيه غير المباشر وأثره في التربية وتنمية السلوك، ١٤١٥هـ -، سلسلة العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ص ٩.

(٢) البخاري / صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، كتاب السهو، ص ١٥٣، ر: ٢٥٦.

(٣) مسلم / صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١، كتاب المساجد، ص ٣٧٩، ر: ٦٥٤، (٢٥٧).

لشأنه في الحديث يستشعر منزلة الصلاة، فهي عمود الدين، ويظهر ذلك في سؤال معاذ للنبي ﷺ: حينما قال ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُنْجِلُنِي الْحَتَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ الشَّارِ، قَالَ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِلَهُ تَسْبِيحٍ عَلَى مَنْ يُسْرَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ وَتَأْتِيهِ بِمَا شَاءَ، وَتُعِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ وَتَصُصُّنَ، وَتَحُجُّ أَيْتَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُنْذِرُكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جَلَّةٌ، وَالصَّلَاةُ لَطِيفٌ الْخَطِيئَةُ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَسَدٍ الْكَلْبِ»، قَالَ ثُمَّ لَنَا ﴿تَجَانُّوهُمْ عَنْ التَّضَاجُعِ﴾، حَتَّى نَلْعَ ﴿يَسْلُونُ﴾ (الصححة ١٧٠١٦)، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَدُرُوزَةِ سِتْمِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَدُرُوزَةُ سِتْمِهِ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَتَاكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا لَيْلِي! فَأَخَذَ بِمَتَاكِهِ قَالَ: «كُفَّ عَنْكَ هَذَا»، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَإِنْ لَمْؤَاخِلُونَ بِنَا لَتَكَلِّمُنَا بِهِ؟ قَالَ: «لَتَكَلِّمَنَّ أَفْئَكُ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي الشَّرِّ عَنِّي وَجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ، إِنْ حَصَانَتْ أَلْسِنَتُهُمْ»^(١). الحديث اشتمل على أركان الإسلام، ثم وضع ﷺ أن الإسلام هو أصل الدين، إلا أنه ليس له قوة وكمال إلا بالصلاة. فهي عمود هذا الدين.

وليس كل من وقف يصلي يكون أدى واجب الصلاة، فقبولها يلزم إتمام شروطها، التي تبدأ بالطهارة فقد (رَأَى النَّبِيُّ ﷺ وَجُلًّا يُصَلُّونَ وَفِي ظُهُرِهِمْ لُتْعَةٌ فَذَرُّوا الْقَرْحَمَ لَمْ يُعْبِتْهَا النَّسَاءُ فَاقْرَأَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعْبِدَ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ)^(٢). الحديث يشير إلى أمر هام يتوقف عليه صحة الصلاة، وهو صحة الوضوء؛ لأن الصلاة مبنية على الطهارة، فإذا كانت صحيحة، ينظر إلى الأركان والشروط الأخرى؛ لأن أمور العبادة يجب أن تتميز بالكمال والتمام، فالتقصان فيها ربما يطل العمل، وإتمامها يعود على صاحبه بالخير. فالصلاة لها فوائد للمسلم لا تعد ولا تحصى؛ لذلك أمر الإسلام بإداء الصلاة منذ الصغر، قَالَ ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سِتٍّ سِتٍّ، وَاحْبِسُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِتٍّ، وَتَمَرُّوا بِتَتْنَهُمْ فِي التَّضَاجُعِ»^(٣).

إن العبادات غذاء الأرواح، وبها يتقوى الضمير الاجتماعي ويعلم، ويكون كالنفسرة

(١) الترمذي / سنن الترمذي، مرجع سابق، ج ٤، كتاب الإيمان، ص ٢٨٠، ر: ٢٦٢٥.

(٢) أبو داود / سنن أبي داود، مرجع سابق، ج ١، كتاب الطهارة، ص ٤٥، ر: ١٧٥٠.

(٣) أبو داود / سنن أبي داود، مرجع سابق، ج ١، كتاب الصلاة، ص ١٢٢، ر: ٤٩٥٠.

الصالح لا تحيا حياة طيبة إلا في تربة تغليها، وهو بنميتها، فإن لم يكن واحد من هذين الأمرين ذهبت ولا تثبت نبتاً حسناً^(١). فالصلاة ليست غذاءً روحياً وبناءً اجتماعياً فحسب، بل هي بناء جسمي. توصل إليه الطب حديثاً، حيث توصل إلى حقائق جديدة عن أهمية الصلاة وفائدتها ومنها ما يتعلق بالظهر، فيكشف النقاب عن معصرتين إسلاميتين ظننا محبوتين لأكثر من ألف وأربع مائة سنة. وبيناها : " إذا بدأ الإنسان في تلوين أسفل ظهره في سن مبكرة، واستمر في هذا التصرين، وحافظ عليه أثناء الكبر، فإن فرصته في الإصابة بالآلام الشديدة والارتراقات العضروفية في أسفل الظهر ستقلص بشكل كبير^(٢) ". وأجريت دراسة ميدانية على هذه الحقيقة العلمية، أسفرت عن أن تعاليم الإسلام نحو المحافظة على الصلاة، تتفق مع الحقائق العلمية وفرضية النظرية . والأحاديث التي تعلم المسلم وترغبه في المحافظة على الصلاة كثيرة منها ، قال ﷺ : « صَلَاةٌ أَحَدُكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تُرِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بَعْثًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ التَّوَضُّعَ ثُمَّ أَقَى السُّجْدَةَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَا يَتَهَوَّى إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ بِهَا دَرَجَةٌ أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ ، وَالْمَلَائِكَةُ لَصَنَّى عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، مَا لَمْ يُخْبِرْ فِيهِ مَا لَمْ يَلِدْ ، فِيهِ وَقَالَ : أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ تَحِبُّهُ^(٣) .

إن الله ﷻ فرض الصلاة على عباده لما فيها من الخير العظيم لهم ، ووضع حوافز كثيرة تجعل للؤمن بقل على الصلاة ويحافظ عليها، فصلاة العشاء في جماعة تعدل قيام نصف الليل . لقوله ﷻ : « مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَانْقَضَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ^(٤) » ، هذا فضل كبير من الله على عباده . للمحافظة على صلاة العشاء والقصر في جماعة للرجال .

والعظمة الصلاة وأهميتها في الإسلام، كان للمسنن الرواتب أحر عظيم . قال ﷻ :

(١) أبو زهرة / محمد ، المصنع الإنساني في ظل الإسلام ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ ، دار السعودية : جدة ، ص ١٦١ .
(٢) الشعراي / أحمد وليد ، أحدث علمية ، الإصدار العلمي ، ١٩٤٠ ، رجب ١٤٢٤ هـ ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة ، ص ٤٩ .

(٣) البحاري / أسحج البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب البيوع ، ص ١٢٨ ، و : ٧٠ .

(٤) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، كتاب الصلاة ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، و : ٥٥٥ .

« مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ لَتُنْفِ عَشْرَةٌ رَكْعَةً لَطُوعًا بَنِي لَهُ بِهِنَ قَسَتْ فِي الْجَنَّةِ »^(١). هذه الحوافر تجعل النفس للجنة حريصة على أداء النوافل ، التي بلغت هذه للدرجة العالية وهذا الجزء العظيم ، ودور الألباب يدركون أنه إذا كانت هذه منزلة النوافل . فسوف تكون منزلة القرائن الروحية أعلى شأنًا وأعظم قدرًا ، قال ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِبَادِهِ صَلَاتُهُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، فَإِنَّ النَّفْسَ مِنْ قُرْبَانِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ ﷻ : اطْعَمُوا هَذَا الْعَبْدَ مِنْ لَطُوعٍ ؟ فَيَكْتَلِبُ بِهَا مَا النَّفْسُ مِنَ الْقُرْبَانَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ سَبَقُ عِبَادِهِ عَلَى ذَلِكَ »^(٢). الحديث يشير إلى منزلة الصلاة العظيمة ، كيف لا وهي العبادة الوحيدة التي فرضت على النبي ﷺ وهو في السماء ، وفرضها الله على عباده ووضع لها شروطًا وأركانًا وواجبات ، وفرضها على كل مسلم بالغ عاقل ، وهي تميز للمسلم من الكافر ، قَالَ ﷺ : « بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ »^(٣) . * وبلغ من عناية الإسلام بالصلاة أن رخص فيها ما لم يرخص في غيرها ، حتى لم يبق علم لمعلم ، يعتذر به عن عدم إقامتها . فرخص لمن فقد لثاه لو عجز عن استعماله أن يتيمم ، ولمن فقد الماء والتراب أن يصلي على حسب حاله^(٤) ، وكذلك المريض يصلي حسب قدرته ووضعها ، فالصلاة واجبة على السليم والمريض ، للسافر والمقيم ، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على مواصلتها في السنين وفالصدق للمسلمين ، ففي أدائها راحة واطمئنان للنفس ، فهي تعين على أمور الدين والدنيا ، قال تعالى : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (البقرة آية ١٥٠) ، إن في الصلاة حياءً للإنسان ، فهي تطهره من الأخلاق السيئة ، والصفات الذميمة ، وقد مدح الله ﷻ الذين يتأقظون على الصلاة وهم فيها عاشقون ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ أُولَئِكَ هُمْ الْأَوْرَاقُونَ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خاشِعُونَ ﴾ (التوسون آية ١-٢) ، وذم الذين هم عن صلاتهم ساهون ، قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ

(١) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، ص ١٨ ، ر ١٢٥٠ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، ص ٤٢١ ، ر ٤١٣ .

(٣) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السنة ، ص ٢١٩ ، ر ٤٦٧٨ .

(٤) بلوي / عبد العظيم ، علم الدين من حديث سبريل ، ١٤٢٣ هـ ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة ، ص ٢٠ .

أهل الزيف والعصيان الذين هخروا كلام الرحمن . ومن عاش في رحاب القرآن الكريم ، مثل فيه منهج حياة كاملة في كل زمان ومكان . فقراءة القرآن الكريم لها أثر عظيم في تربية الذات وتحريك الضمير ، وتربية النفس على مراقبة الله في السلوك والتصرفات ^(١) . وهذا هدف التربية النبوية فهي تربي الضمير فيحضع للتدين له ، وإذا خضع الضمير للتدين ، وعلم ذو الضمير أن أعماله تحت رقابة الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض ، فإنه يخضع للعالم الإسلامي ^(٢) . فمن حُلِيَّةِ بَنِي إِيمَانَ عليه السلام قَالَ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكَثُرَتْ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، فَخَدَعَهُ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ كُنَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَشَرٌّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ يَنْدُ خَيْرٌ شَرٌّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ، فَقُلْتُ : هَلْ يَنْدُ ذَلِكَ الشَّرُّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَفِيهِ ذَخِيرٌ » ، قُلْتُ وَمَا ذَخِيرُهُ ؟ قَالَ : « قَوْمٌ يَسْتَشُونَ بِغَيْرِ شَيْءٍ ، وَيَهْتَشُونَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتَكْفُرُ » ، فَقُلْتُ : هَلْ يَنْدُ ذَلِكَ الْخَيْرُ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ذَخِيرٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَانَهُمْ إِلَيْهَا قُدُّوهُ فِيهَا » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! صِفْهُمْ لِي ، قَالَ : « نَعَمْ ، هُمْ قَوْمٌ مِنْ جَلْدَتِنَا ، وَتَكَلَّمُونَ بِاللُّسَانِ » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَمَا تَعْرِى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : « لِلزَّوْمِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَإِيمَانُهُمْ » ، فَقُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَتَأْ بِنَادٍ ؟ قَالَ : « فَاقُولُوا بِلِسَانِ الْغُرَقِ كُلِّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَحْمَلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يَذْرُكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » ^(٣) . الحديث يوضح أموراً مستغلبة أخبر بها نبي الأمة ﷺ ، ويستدل منها على أن أسوأ الناس متقلبة ومتغيرة ، فالخير لا يلوم بل يأنى بعده شر ، وقوله : (وَفِيهِ ذَخِيرٌ) ، المراد به أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض ، ولا يزول حينها ، ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصلواة ، وقيل المراد بالخير بعد الشر أيام عمر بن عبد العزيز ﷺ ، (وَيَهْتَشُونَ بِغَيْرِ حَقٍّ) ، الغدي الفينة والسيرة والطريقة ، أما قوله ﷺ : (ذَخِيرٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ) قال العلماء : هؤلاء من كان من الأمراء يدهو إلى بدعة أو ضلال ، وطاعتهم واجبة في غير معصية ، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم ^(٤) . هذه الأمور الغيبية التي أخبر عنها ﷺ هي من معجزاته . فالحديث فيه تنبيه لمن غفل وجهل ، واستدراك لمن علم ولم يعمل ، والحديث

(١) أحمد / عاظم علي ، الشريعة النارية ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

(٢) أبو زهرة / أحمد ، الملصق الإنسان في ظل الإسلام ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ ، الدار السعودية : جدة ، ص ٦٧ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإمارة ، ص ١١٧٢ ، ر ١٨٤٧ .

(٤) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الإمارة ، ص ٥٤٧ ، ر ١٨٤٧ .

بوكد السر والتمسك بالمنهج الرباني والتربية النبوية . حتى وإن ضل الناس، فكل محاسب عن نفسه، وقواعد الإسلام لا تعمل عملها الكامل للناس إلا مع عمل سائر قواعد المنهاج الرباني مترابطة متناسقة ومتكاملة، فالمنهج الرباني اشتمل على منهج حياة متكامل، ما على المسلم إلا أن يتوجه إليه بقلبه وعقله وسلوكه، قَالَ ﷺ فيما رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « يَا عِبَادِي إِلَى خُرْقَتِ الظُّلُمِ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَطْلُبُوا ، يَا عِبَادِي ! كَلْبَكُمْ حَالًا إِلَّا مِنْ هَدْيَةٍ ، فَاسْتَقْبِلُوا أَهْدَكُمْ ، يَا عِبَادِي ! كَلْبَكُمْ جَانِبًا إِلَّا مِنْ أَلْفَمَةٍ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ ، يَا عِبَادِي ! كَلْبَكُمْ غَيْرَ إِلَّا مِنْ كَسْوَةٍ ، فَاسْتَغْسِئُوا أَغْسِئَكُمْ ، يَا عِبَادِي ! إِنْ كُنْتُمْ لَتُظْهِرُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي ! إِنْ كُنْتُمْ لَتُغْلُوا حُرِّي فَصُرُونِي ، وَلَنْ تَغْلُوا نَفْعِي فَتَنْقُصُونِي ، يَا عِبَادِي ! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ ، وَالسُّكْمَ وَجَعَلْتُمْ ، كَأَنَّهُ عَلَى نَفْسِي قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي ! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَحْرَكُمْ وَجَعَلْتُمْ ، كَأَنَّهُ عَلَى الْغَيْرِ قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي ! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَحْرَكُمْ وَجَعَلْتُمْ ، فَأَمَّا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَةً ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْطَبُ إِذَا أُذِخِلَ الْحَرُّ ، يَا عِبَادِي ! إِنَّمَا هِيَ أَقْبَابُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أَوْلَيْكُمْ بِهَا ، فَمَنْ وَجَدَ غَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلْيَقُولْ إِنَّ نَفْسًا ^(١) . من يقرأ الحديث ويتوقف عند كل جملة فيه يستشعر عظمة الخالق ﷻ ، وضعف العباد ، والحديث فيه خطاب موجه من الإله ﷻ إلى عبياده يعرض فيه نعمه التي يسبغها عليهم ، ورحمته بهم ، ويدعوهم إلى عدم الظلم فقولته ﷻ : « يَا عِبَادِي إِلَى خُرْقَتِ الظُّلُمِ عَلَى نَفْسِي » ، معناه تقدست عنه وتعاليت . وحرمة ﷻ على عبياده ، فأمرهم أن لا يظلم بعضهم بعضاً . وألهم قبل مبعث النبي ﷺ كانوا على ضلالة ، ويعتقدون أنهم لو تركوا ما في طبائعهم من إتيار الشهوات والراحة لضلوا ^(٢) وأمرهم بالدعاء له في كل مطلباتهم وشؤونهم الخاصة والعامة ، وأن يدعوا لأنفسهم بالهداية ، وقولته ﷻ : (فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ) فالغفران والغفرة من الله أن يصون العبد من أن يحسه العذاب . فبغفر لعباده أي إظهار الجميل منهم وستر القبيح لهم، فالذنوب من جملة القبايح التي سترها

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الوصايا ، ص ١٥٨٣ ، ر : ٢٥٧٧ .

(٢) النووي / أي من خوف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب الوصايا والأولاد ، ص ١٠٣ ، ر : ٢٥٧٧ .

الله وإسبال السر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة^(١)، وللإستغفار فوائد في الدنيا منها منع العذاب ، واستحلاب الرحمة ، وزيادة الرزق في الأموال والقرية ، قال تعالى : ﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٠١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يُجْعَلُ وَبَيْنَ لُكْمٍ جُنُتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ (توح آه ١٠ - ١٢) ، وهذا القول يفهم للمسلم أن الإستغفار يعود عليه بفوائد جمة في الدنيا والآخرة، وما عليه إلا أن يتوب عن ذنبه ويعمل صالحاً ويكثر من الإستغفار، ففكرة الإستغفار تجلب الراحة والطمأنينة للمسلم في الدنيا، ويدخل الجنة في الآخرة . وفي الحديث أيضاً تشبيه يبلغ يصل للأفهام، فالبحر من أعظم اللذات وأكثرها ، والإبرة من أصغر الموجودات ، وهي صغيلة لا يتعلق بها ماء . وبذلك لا صغيلة لا يتعلق بها ماء . ولذلك لا ينقص من ماء البحر، فذلك مثل ملك الله لا ينقص إذا أعطى لكل سائل سؤله . وبذلك يكون الإستغفار نعمة عظيمة أكرم الله بها عباده ، فعليهم الأخذ به والإكثار منه .

ولا يحق لمسلم أن يحكم على غيره بأن ذنبه يغفر أو يتقبل الله إستغفاره ، فهذا الأمر من خصوصيات الله ﷻ ، فهو وحده يغفر لمن شاء من عباده . فمن حذّب ﷻ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ : « أَنَّ رَجُلًا قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِقَذَانٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ (عَلَّامِي) قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِقَذَانٍ ، فَإِنِّي لَأَغْفِرُ لِقَذَانٍ ، وَأَحْطِطُ عَنْكَ أَنْ تَكُنَّا قَالِ »^(٢) . الحديث يشير إلى عدم جواز التحرز في الحكم على الآخرين ؛ لأن الله لطيف بعباده وهو وحده الذي يغفر الذنوب، فليس للعبد أن يحكم على أمر لا يملكه. وعلى العبد أن يقدر عظمة الخصال ولا يتألم^(٣) على الله . فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ! إِنَّ اللَّهَ (عَلَّامِي) يُنْشِئُ السَّاعَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالْأَرْجَينِ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ عَلَى إصْبَعٍ ، وَالنَّعَاءَ وَالْقَرْىَ عَلَى إصْبَعٍ ، وَتَبَايَرَ الْخَلْقُ عَلَى إصْبَعٍ ، ثُمَّ يَهْزُؤُهُنَّ فَيَقُولُ : أَلَا أَمْلِكُ أَلَا أَمْلِكُ ، فَصَلِّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَعْنًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ ، تصديقاً له ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّوَادُاتُ مَطْطَوْنَّاتٌ بِيَمِينِهِ مُبْحَاثَةٌ ﴾

(١) ابن حميد ك نظرية النعيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، دار الوسيطة : جدة ، ص ٢٥٢ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الو ، ص ١٦٠٦ ، ر : ٢٦٢١ .

(٣) قال : أي يخلط . والآلة الهند . الهروي / ج ١٦ ، ص ١٣٣ .

وَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ^(١). هذا الحديث من أحاديث الصفات ، - ويجب الإيمان بها - وظاهر الحديث أن النبي ﷺ صدق الخبر في قوله . وقرأ الآية رداً على قول الخير . والسلام عليه أن يؤمن بالله تعالى وصفاته ، ولا يشبه شيئاً به^(٢). قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۚ ﴾ (الشورى آية ١١) ، إن الله الخالق للملك لكل شيء ، رحيم بعباده ، وصف ثم علاج الذنوب ، وهو الاستغفار والرجوع إليه ، للتخلص من الذنوب ، فمن تمسك بما أمره الله بما لأن العبد سوف يُسأل عن كل تصرفاته وسلوكه في يوم عصيب ، قَالَ ﷺ : « لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذِّ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَشْيَةٍ عَنْ غُفْرَةٍ فِيهِ أَلَدَّةٌ ، وَعَنْ شِبَاهٍ فِيهِ أَلَدَّةٌ ، وَمَا مِنْ أَنْ أَكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَتَقَفَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيهَا عَظِيمٌ »^(٣). اخذت أحاط العبد من جميع الجهات ، وهو مؤشر بيه المسلم لمراقبة كل تصرفاته ؛ لأنه سوف يُسأل عنها ، وحدد فترة الشباب لأنها فترة القوة والفتوة ، فإذا أن ينتجها إلى طاعة الله ، أو إلى اتباع الميوس . وفي الحديث تخصيص بعد تعميم ، فترة الشباب مرحلة من عمر الإنسان ، وهي أخطر المراحل في حياته ، وكذلك يسأل عن مصدر قوته ، من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، في وجوه الرأم في التبدل والعصية ؟ . كما يسأل عن عمله هل طابق علمه ؟ . والحقيقة أن الحديث منظار للواقع للعاش ، فقد تفتت فيه الصفات السلبية ، فغالب الشباب المسلم استهدف من قبل أعداء الإسلام وانتقاد بكل سهولة إلى الدنيا وزخرفها ، وأصبح جسماً محوفاً يحمل بين جنبه قلباً مثليلاً لا يحس بحلاوة الإيمان ولا يستشعر عظمة الخالق ، يعيش حياة البهائم وكأنه خلق للأكل والكسب دون التمييز في كسبه أمن حلال هو أو من حرام ، يتعلمون العلم ويطبقون ما عليه عليهم شياطينهم وأنفسهم الأماراة بالسوء . فهذا حال الواقع للعاش ، تفرق وفرقة ونشئت .

٣- الحث على التمسك بعبادة الله :

من رحمة الله ﷻ أن بعث محمداً ﷺ معلماً للناس كافة ومربياً . وأقول منهاجه الحق

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب التلقين ، ص ١٧٠٣ ، ر : ٢٧٨٦ .

(٢) تروى / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، كتاب صلة القيامة والحلة والخلع ، ص ٢٧٦ ، ر : ٢٧٨٦ .

(٣) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب صلة القيامة ، ص ١٨٨ ، ر : ٢٤٢٤ .

- قرآنًا وسنة - ليرشد الناس ، وينير لهم طريق الخير ، ويحيي فطرتهم ، ويرعي نفوسهم ، ويوجه طاقاتهم ، ويهيئ للفرد والجماعة والأمة وللشريعة كلها من أسباب التربية والبناء والإعداد والتكوين ما يعالج الطباع والنفوس ، ويدفع الخطر والفتنة ، لمن آمن وصدق^(١).
قَالَ ﷺ : « كُلُّ أُنْثَى تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَتَى قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ أَتَى قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَلَدَى أُنْثَى »^(٢). اشتمل قوله ﷺ على لمي وأمر وإخبار ، وأن قوله ﷺ حتى مطلق ، لأنه من عند الله ، " فالإسلام رسم مناهج إيمانية تعبدية ومفاهيم ومعان ، يعتقد بها المسلم ، ويصدقها فكره ، ويؤمن إليها قلبه ، ويخضع لها قنناته وطائفته ، ويسخر لها قواه الجسمية ، لإقامتها حقيقة سلوكية مشرفة^(٣) ، فللؤمن لا غاية له في الحياة إلا رضوان الله ، وقد وعده ربه بالجنة . **قَالَ ﷺ : قَالَ اللَّهُ ﷻ : « أَخَذْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِي مُشَرٌّ » ، مِصْدَقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »**^(٤) . هذا الرغبة يمتلئ قلب المؤمن بالإيمان الذي يهب النفوس الأمن والقوة ، ويخفف من حب الشهوات والغرور والكبر ، ويوفر للإنسان كوابح تعمل فيه وتظل ترده إلى حدوده^(٥) ، فيعمل الصالحات ، حبًا ولعلًا في نيل الثمرة التي وعده الله بها في الآخرة .

فللؤمن في نعيم مقبم في جنة الدنيا قبل جنة الآخرة ، ما دام حاله وقادته أمر عليه مما في الوجود ، وما دام محبا لأخيه للمسلم من غير مصلحة ، وما دام إيمانه أقوى من الخوف^(٦).

قَالَ الشَّيْخُ ﷺ : « لَا يَجِدُ أَحَدٌ خَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِنَفْسِهِ ، وَخَشِيَ أَنْ يُخْلَفَ فِي الشَّيْءِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُرْجَعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَثَقَلَهُ اللَّهُ ، وَخَشِيَ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

(١) البحري / عثمان ، منهج للمؤمن بين العلم والتطبيق ، ١٤١٤هـ ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

(٢) البحري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الاعتصام ، ص ١٦٦ ، ر ٥٢١ .

(٣) الملاهي / عابد توفيق ، مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة ، ١٤٠٢هـ ، دار الفرقان : عمان ، ص ١١٢ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب صفة الجنة ، ص ١٧٢٤ ، ر ٢٨٢٤ .

(٥) السوي / منهج المؤمن ، مرجع سابق ، ص ١٤١ .

(٦) الملاهي / عابد توفيق ، مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

بكتاب الله ، وطاعة الله ورسوله . فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَوَعظَ وَذَكَّرَ ، ثُمَّ قَالَ :
 « أَتَا بَعْدُ ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ ! فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوهَلِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولٌ دُونِي فَأَجِيبْ ، وَأَلَا تَوَدُّ أَنْ يَكُنَّ قُلُوبُكُمْ
 لَوْلَاهُمْ كِتَابَ اللَّهِ فِي الْهُدَى وَالتَّوْشُّؤِ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَامْتَسِكُوا بِهِ » ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ
 وَرَغَّبَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ،
 أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » ، فَقَالَ لَهُ حَصْبَنَ : وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ ؟ يَا زَيْدُ ! أَلَيْسَ بِسَاوَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ؟
 قَالَ : بِسَاوَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حَرَّمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ ، قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ آلُ
 عَلِيٍّ ، وَآلُ عَقِيلٍ ، وَآلُ جَعْفَرٍ ، وَآلُ حَسَنِ ، قَالَ : كُلُّ هَؤُلَاءِ حَرَّمَ الصَّدَقَةَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ »^(١) .
 أشار الحديث إلى أن النبي ﷺ سوف يجيب نداء الموت ، كسائر البشر ، وأوصى بأمرين :
 التمسك بكتاب الله ، فهو " نور " الذي أنزله الله إلى أرضه ، ليستضاء به ، فيعلم في ضوئه الحق
 من الباطل والحسن من القبيح والنفع من الضار ، والرشد من الغي^(٢) ، ومن أوامر القرآن الكريم
 طاعة الرسول ﷺ ، أي الأخذ بكل ما جاءت به السنة من تحلي وتحلي . والوصية الثانية :
 احترام أهل بيته وإكرامهم ، وسما ثقلين لعظمهما وكبر شألهما ، وفيل لقل العمل بهما^(٣) .

والشريعة النبوية مليئة بالتوصيات التي تنقل الناس من الظلمات إلى النور ، وتبهم بأمر
 غيبية لا يحتاجها ، والحرر من اتباع أهلها . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ
 ذُلٌّ لَوَلَدٍ كَذِبُونَ يَكُونُونَكُمْ مِنْ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا الْقَوْلَ وَلَا أَبَاكُمْ وَلَا بَنِيكُمْ وَلَا يَصِلُونَكُمْ
 وَلَا يَفْضُلُونَكُمْ »^(٤) . في الحديث مؤشر إلى جهاد النفس ، والتحذير من الفتن التي تقود إلى سوء
 العاقبة . فمن الناس من يفتح أبواب الهوى والتشكيك في الدين ، ويعرف أبواب الضلال
 فيوسع مداخلها . فإلتاس تدخل النار من ثلاثة أبواب : باب شبهة أوردت شكاً في دين الله ،
 وباب شهوة أوردت تقدم الهوى على طاعته ومرضاته ، وباب غضب أوردت العدوان على
 خلقه^(٥) . وهذه الأمور حذر منها ﷺ فقال ﷺ : « إِنْ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا :
 فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَقْصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، ص ١٤٩٢ ، ر : ٢٤٠٨ .

(٢) الشافعي / عبد الله بن محمد ، حقوق الجنان من أخباره ، ج ٢ ، ١٤١٣ هـ ، دار روضة الصغار : الرياض ، ص ٦٨ .

(٣) غزوي / صحيح مسلم بفتح الغوي ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، ص ٥٠٤ ، ر : ٢٤٠٨٥ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، مقدمة الكتاب ، ص ٣٦ ، ر : ٧ .

(٥) ابن القيم / المحررة / خمس الدين محمد ، القوائد ، دار مكتبة النهضة العلمية السعودية : مكة المكرمة ، ص ٥٢ .

وايحالاً فيطبع على قلوبهم . قَالَ ﷺ : « مَنْ لَوَّاهُ ثَلَاثَ لَهَازِلًا بَهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ »^(١). الحديث يؤكد أهمية صلاة الجمعة، وما يصيب للتهاون بها من عقوبة، فمن تساهل عن تقصير لا عن عذر طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، أي حُثِمَ عَلَى قَلْبِهِ، فمُتَعَمِّدٌ لِإِصَالِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ، وَقَبِلَ كِتَابَهُ مُنَاقَشًا^(٢).

وشتان بين المجتمع المحافظ على صلاته والمفرط فيها . على صلاته في المجتمع للعاصر أصبح يسمى تسميات غريبة لم يتطرق إليها الإسلام من قبل، كقولهم مشرزم ، مزمست، متدين ، درويش ... إلخ ، فالغريب أن يكون للمسلم تاركاً صلاته التي هي عماد الدين ، مفرطاً فيها قَالَ ﷺ : « بَنَّا الْإِسْلَامَ غُرْبًا وَنَسَقُوهُ كَمَا بَنَّا غُرْبًا فَطُوتِي لِلْغُرْبَاءِ »^(٣). في الحديث إشارة إلى جزاء المسلم على دينه، فكلمة طُوتِي معناها : فرح وفرقة عين، وقيل : نعم ما لم، وغبطة لم ، وقيل حسن لم ، وعبر لم وكرامة ، ودوام الخير لم ، وقيل الجنة . وكل هذه الأقوال محتملة في الحديث^(٤).

فالعاقل من يوازن بين خسارته وريحه ، ويتبع ما فيه نفعه وفائدته ، ولا يخاف في ذلك لومة لائم ، ولا يبالي بسخرية الذين في قلوبهم مرض، والسفيه من يخشى الناس ولا يخشى الله ، ويتبع للثقة الرخيصة والثقة العابرة، والشبهة الكاذبة^(٥).

والنهج القويم يعرف خصائص النفس الإنسانية، وسيطرة الهوى وقوة الشهوة على القلوب لذلك وضع محالات وعجارج تقرهم من الله، وتخفف وطأة للعاصي عليهم، فلهم على ألفاظ تزيد من تقرهم لحالهم وكثقل موازينهم يوم الحساب، وتطمئن نفوسهم . قَالَ ﷺ : « إِنْ خَلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتَيْنَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ مَقْصِلٍ ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ، وَخَلَّى اللَّهَ ، وَسَبَّحَ اللَّهَ ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ ، وَغَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عِظَةً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ ، عَزَدَ تِلْكَ السِّتَيْنَ وَالْثَلَاثِ مِائَةِ السَّلَامَى ، فَإِنَّهُ يَمُتُّ يَوْمَئِذٍ وَلَهُ

(١) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، ص ٢٧٧ ، ر : ١٠٥٢ .

(٢) العظيم آبادي / محمد حسن الخليل ، عون السوء ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، ص ٤١١ ، ر : ١٠٤٨ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ١١٨ ، ر : ١١٥ .

(٤) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، ص ٣٣٣ ، ر : ١٤٥ .

(٥) البديري / أبي الحسن علي الحسيني ، النهج الإسلامي السليم ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٤٢ .

(خُزِحَ نَفْسُهُ عَنْ النَّارِ) ^(١). إن الإنسان لم يخلق مَلَكًا مطهراً ، ولا بشراً معصوماً ، إنما هو إنسان تتنازع فيه قوى الخير والشر ، وتتغلب عليه شهوات الجسد ^(٢). فوضعت مكمالات تجر القصور، وتوصله إلى حسن المال ، بطرق سهلة ، وبثقل جهد . ولا تكلفه من الطائفة إلا تحريك لسانه بذكر ربه، وهذه العبادة السهلة تجعل للسلم دائم الصلة بالله . لأنه يستطيع أن يقول الأذكار وهو يمارس أعمال بدوية، وهذا جمع بين عبادتين ^(٣)؛ لأن العمل البدوي إذا كان خالصاً لله يوجر عليه للسلم . ومن أُنِيَ بالذكر والأقوال والأفعال الواردة في الحديث تنضاعف له الحسنات، وتحمي بها السيئات، ويبعد عن النار . ويلبوز برضا الرحمن . قَالَ ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَقَرَّةٌ لَمْ يَتَلَفَهَا بِعَمَلِهِ تِلْكَ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ، ثُمَّ صَوَّرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَبْلُغَ الْمَقَرَّةُ إِلَيَّ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى » ^(٤). ألا يجسد بالإنسان العاقل أن يكرس جهوده وقواه في طاعة الله ، ويحصل على هذه للذة الرفيعة، التي يصل إليها بالصر على الابتلاء الذي يكون بالمرض ، أو فقدان للمال والولد، أو الأهل . وهذه الأمور عظيمة على النفس الإنسانية ، لذلك وعد الله الصابرين بمدة عظيمة . وأولو الأبواب إذا قارنوا بين الدنيا والآخرة، تعلّى لهم أن الحياة الدنيا وما فيها من النعيم والرخاء الذي وصل إليه النبوغ البشري ، والذكاء الإنساني ، عبارة عن حلم من الأحلام، أمام ذلك النعيم القيم الذي يجده الإنسان في حياة الآخرة، فيصرون نقوسهم على الابتلاء في حياقم الدنيا السيئ سوف يغادرونها إلى حياة دائمة ^(٥). والصر يؤدي إلى الارتقاء الروحي بالإنسان، والوصول به إلى مستوى رفيع من الشفافية الروحية ، ويزيد تعلقه بخالقه ويزيد توكله على الله .

٤ - توكل الإنسان على ربه وتعلقه بخالقه :

التوكل : إظهار العجز والاعتماد على الله وحده والاستسلام له . ويقال : وكلت أمرى إلى الله أي أُلجأت إليه واعتمدت عليه . وللتوكل على الله هو الذي يعلم أن الله كافل

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الزكوة ، ص ٥٧٨ ، ر : ١٠٠٧ .

(٢) سابق / السيد ، إسلامنا ، ديت ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

(٣) أبو زهرة أحمد ، الفقه الإنساني في ظل الإسلام ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

(٤) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الخلق ، ص ١٨٣ ، ر : ٣٠٩٠ .

(٥) الشوري / أبو الحسن ، المنهج الإسلامي للسلم ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

رزقه وأمره ، في ركن إليه وحده ، ولا يتوكل على غيره^(١) . قَالَ ﷺ : « تَوَكَّلْكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْتُمْ كَمَا تَرْزُقُ الْعُتْرَةَ لَعَلَّوْا خِيَانًا وَكَرُوحًا بَطْلًا »^(٢) . الحديث بطريق القلوب ، ويصحح العقول التي تعتقد أنه يوجد ناس يستطيعون أن يقطعوا رزقاً أو أنهم مصدر للرزق ، لأن التوكل الحق هو الاعتماد على الله (حَقَّ تَوَكُّلِهِ) بأن تعلموا يقيناً أن لا فاعل إلا الله ، ولا معطي ولا مانع إلا هو ، لم السعي مع يمين التوكل . وفي الحديث ثلثية رابع ، فالطيور تطير في الفضاء ورزقها في الأرض ، تذهب أول النهار جيعاً ، وتعود ممثلة الأجواف . فالكسب ليس برزق ، بل الرزاق هو الله ، والتوكل ليس التبطل والتعطل ، بل لا يد فيه من التواصل بنوع من السبب . ولو توكلوا على الله في ذهابهم وبغيثهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده لم يتصرفوا إلا غافلون سالون كالطير^(٣) . قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ ذَاتِئٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة آية ٦) ، فالتوكل يُشعر الإنسان أنه محتاج خالقه في كل تصرفاته ، فهو مغفوض أمره إليه ، ومستمد قوته منه ، أخذ بالأسباب في كل شؤون حياته ، متيقن أن السبب لا يوصله إلى النتيجة التي يريد إلا بتوفيق من الله تعالى ، فتسكن النفس ، ويطمئن القلب بقدرة الله تعالى^(٤) . والرياسة النبوية أولت استقامة الإنسان وتوكله على خالقه عناية كبيرة . فمن توكلوا على الله حق توكله يدخلون الجنة بغير حساب إذا كانوا يتصرفون بما ذكره النبي ﷺ في قوله : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَتَيْتِ سِتْعُونَ لَقَاءَ بَعِيرٍ حِسَابٍ ، هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْكُونَ وَلَا يَتَكَبَّرُونَ وَعَلَى رُءُوسِهِمْ تَوَكَّلُونَ »^(٥) . وليس المراد به ترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين ؛ لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل ، فالتسليم بأخذ بالأسباب ويعمل وهو موثق بقلبه أن الأمور جميعها تسير بتدبير من الخالق ، قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَأْمَنُّونَ بِاللَّهِ فَقَالِيبُ تَوَكُّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (يونس آية ٨٤) ،

(١) ابن منظور / لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٧٣٤ ، ٧٣٦ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الزهد ، ص ١٥٤ ، ر : ٢٣٥١ .

(٣) التباركتوري / محمد عبد الرحمن عبد الرحيم ، مجلة الأحكام ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الزهد ، ص ٢١٥ ، ر : ٢٣٤٤ .

(٤) العلي / محمد نسيم ، الصلاة بالله تعالى وأثرها في تربية النفس ، ١٤١٨ هـ ، دار الشريعة : الأردن ، ص ١٠٤ .

(٥) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الرقاق ، ص ١٧٩ ، ر : ٥٩٠٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق آية ٣) ، من توكل على الله وأخذ بالأسباب الباطنة والظاهرة فإن الله يكتبه مومه ، ويفرج ما به من كرب ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق آية ٢) ، وَكَتَبْتُ خَاتَمًا أَمَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ : لَمَّا نَعُدُّ إِلَيْكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنِ اتَّقَى رَحِمَهُ اللَّهُ يَسْخِطِ النَّاسُ كَفَادَةَ اللَّهِ ثَلَاثَةَ أَشْهُارٍ ، وَمَنِ اتَّقَى رَحِمَهُ النَّاسُ يَسْخِطِ اللَّهُ وَكَلَّمَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ »^(١) . إن الفوضى التي يعيشها المجتمع للسلم للعاصر ، والتيه والضلال الذي وعنه وأعمى بصائرهم سببه طلب رضا الناس ، فيحسروا إلى الهواية ، وكلما اعتمد وتوكل على غير الله من أجل الخلاص من المأزق تورط في آخر مأزق أكثر ضرراً وفكاً مما قبله ، ولا خلاص ولا منجاة إلا بالرجوع إلى طلب رضا الله والاعتماد عليه . فالخالق يتولى شؤون عباده ، ويرعى مصالحهم ، ويعلم ما تخفي صدورهم .

والشيء الذي الأول ﷺ ذكر قصة عجيبة تروي حق التوكل على الله ، وفيها من اللواعظ والعبر ، ما يجعل للمؤمن يصير بقلبه قبل عقله قدرة الله ومساعدته لمن توكل عليه وهو صادق السيرة . فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ (اللَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ نَفْسَهُ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ : « فَيَسِّرَ بِالشَّهَدَاءِ أَشْهُدَهُمْ » ، فَقَالَ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، قَالَ : « فَأَتَيْتُ بِالْكُفَّيْلِ » ، قَالَ : كَفَى بِاللَّهِ كُفَّيْلًا ، قَالَ : « صَدَقْتَ » ، فَلَمَّا كَانَتْ إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَطَفِئَتْ حَاجَتُهُ ثُمَّ اتَّقَسَمَ مَرَكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَلُهُ فَلَسَمَ يَجِدُ مَرَكَبًا ، فَأَخَذَ حَشِيَّةً فَتَفَرَّهَا فَأَادْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مَنَةً إِلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ مُوَضَّعًا ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ لَسَلَفْتُ فَقَالَ أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كُفَّيْلًا فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّهِ كُفَّيْلًا ، فَرَجَعَنِي بَيْنَ ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، فَرَجَعَنِي بَيْنَ ، وَاسْتَدْرَكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَانْجَحَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَتَقَسَّمُ مَرَكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ اسْتَلَفَهُ يَنْتَظِرُ لَعَلَّ مَرَكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ فَبَدَأَ بِالْحَشِيَّةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا أَتَاهُ حَبْلٌ فَلَمَّا تَشَرَّكَ وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ اسْتَلَفَهُ فَأَتَى بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ جَاهِلًا فِي طَلَبِ مَرَكَبٍ تَأْتِيكَ بِمَالِكَ لَمَّا وَجَدْتَ مَرَكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتَ فِيهِ ، قَالَ : هَلْ كُنْتُ نَعَفْتُ إِلَيْكَ

(١) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب صفة القيامة ، ص ١٨٦ ، ر : ٢٤٦٦ .

بشيء ٩. قَالَ : أَخْبِرْنَا أَيُّ شَيْءٍ قَبِلَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آذَى عَيْنَكَ الَّذِي نَفَخْتَ فِي الْحَيَاةِ ، فَالْصَّوْفُ بِاللَّيْلِ الْخَيْارَ وَاجِبٌ ^(١) . إِنَّ * حَسَنَ الصَّلَاةِ بِاللَّهِ تَعَالَى تَقْوَى الْإِيمَانِ ، وَكَلِمَا قَوِيَّ إِيْمَانِ الْعَبْدِ كَانَ تَوَكُّلُهُ عَلَى اللَّهِ أَقْوَى ، وَإِذَا ضَعُفَتِ الصَّلَاةُ بِاللَّهِ ضَعُفَ الْإِيمَانُ ، وَبِالْآتَالِي يَضْعُفُ التَّوَكُّلُ لَنَا يَحْتَرِ التَّوَكُّلُ ، أَصْلُ لِمَجْمَعِ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ ، وَلِمَجْمَعِ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ . وَلَا يَحْصُلُ كَمَالُ التَّوْحِيدِ إِلَّا بِكَمَالِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ^(٢) .

فهو شعور يربي النفس على النظام والطاعة وترتيب الأمور، ويزيد من عزة الإنسان وكرامته؛ فالتوكل على الله يشعر المؤمن بالقرب من الله، والاعتماد عليه، وقد وصى النبي الأول ﷺ ابن عباس بذلك ، فَقَالَ : « يَا عَلِيُّمُ ! إِلَيَّ أَغْلُظُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَعَدَّ عِمَامَتُكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعِثْتَ فَاسْتَعِثْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَوْ اجْتَنَعْتَ عَلَيَّ أَنْ يَفْعَلَكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَفْعَلْكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَنَعُوا عَلَيَّ أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَفَعَلَ الْإِقْلَامُ وَجَلَّتِ الصُّلُفُ ^(٣) . لِلتَّامِلِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ نَمُسُ فِيهِ جَوَامِعَ الْكَلِمِ حَيْثُ لَوَجِزَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْوَحِيدَةُ شَرَايِعَ الدِّينِ ، فَأَشَارَ ﷺ إِلَى حِفْظِ الْعَبْدِ لِأُمُورِ الدِّينِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَفِي الْمُقَابِلِ حِفْظَ الْخَالِقِ لِلْعَبْدِ إِذَا اتَّبَعَ تَعَالِيمَ دِينِهِ وَتَمَسَّكَ بِهِ ، فَالسُّؤَالُ وَالِاسْتِعَاذَةُ وَالتَّوَكُّلُ وَالْإِنَابَةُ ، كُلُّهَا مِنْ أَسَاسَاتِ الدِّينِ وَقَوَامِهِ ، فَمَنْ أَدَّى وَاجِبَاتَهُ تَعَاهَدَ خَالِقَهُ ، نَالَ حَقَّوَهُ .

وهذه النصوص التربوية التي تشد الذهن وتوقظ العقل، وتشمل منهج حياة متكامل، من أقوال العبد وأفعاله نحو خالقه . يدرك للمؤمن أن * كل شيء قد قُضِيَ أَرْلًا، وَإِلَيْهِ يُرْجَع الْأَمْرُ كُلُّهُ ، فَلَا يُسْأَلُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يُسْتَعَانُ إِلَّا بِهِ ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ مَعَهَا كَانَتْ قُوَّتُهُمْ وَبِأَسْهُمِ وَسُلْطَانُهُمْ ، لَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَلَا مَوْتًا ، وَلَا حَيَاةً . وَلِمَطَرِيقِ ذَلِكَ الْيَقِينِ : أَنَّ حَكَمَ اللَّهِ يَقُومُ عَلَى حِفْظِ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالنَّسْلِ وَلِلَّالِ ، الَّتِي هِيَ مَقُومَاتُ الْحَيَاةِ ^(٤) ،

(١) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الكفالة ، باب الكفالة في القرض والدينون بالأبدان

وغيرها ، ص ١٩٦ ، ر : بدون .

(٢) علي / أحمد تيسو سليمان ، الصلة بالله تعالى وأثرها في تربية النفس ، ١٤١٨هـ ، ص ١٠٥ .

(٣) شرميني / أسن الشرميني ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب صلة القربة ، ص ٢٣١ ، ر : ٢٥٢٤ .

(٤) نوح / السيد محمد ، توبيعات نبوية على الطريق ، ج ٣ ، ١٤٢٤هـ ، دار البقاع : القاهرة ، ص ٢٠٥ .

ويكون التركيز بشكل بارز على تقوية صلة الإنسان بالله، معرفة وعقيدة وعبادة، بنظام محكم، تحرر ولاء الإنسان للسلم لله وحده لا شريك له، بصورة مستمرة^(١)، تعينه على تحقيق التوكل الكامل على الله. فيمتنع المؤمن بسكينة النفس، وطمأنينة القلب، وانسراح الصدر، وهذه الحالة النفسية أثرها في الإلتجاء، فالإنسان الشارد أو المضطرب أو القلق قلما يحسن عملاً يوكل إليه.

ومن علامات التوكل أن يرضى المؤمن بما قسم الله له من الرزق، ويقنع بما قدر له من اللواجب، ويشكر الله على ما قدره له من الخلق^(٢)؛ لأنه مؤمن بقضاء الله ﷻ في استعجاب للنافع ودفع للضرر في الدنيا والآخرة. * فالأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النجاح لله تعالى وثقة بأنه ﷻ لا يضع أمر من أحسن عملاً هو من التوكل للأمر به، أما القعود عن الأسباب وعدم السعي فليس من التوكل في شيء، وإنما هو اتكال أو تواكل حذرنا منه للرب الأول ﷻ، ولهي عن الأسباب للوعدة إليه^(٣). وللتوكلون على الله لهم منزلة عالية عند خالقهم ومكانة عظيمة يوم القيامة. وللتمعن في نصوص التوكل، وتقصى أبعادها، والربط بين مفاهيمها، بينهم حقيقة التوكل الذي هو جزء من إيمانه وعقيدته، وأن يتخذ من الأسباب طريقاً لتحقيق غايته. والتوكل يلزمه الدعاء والنحو إلى الله في جميع الأحوال.

٥- اللجوء لله بالدعاء :

من ثمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن يزل بهم الشدة والضر، ويجعلهم يلجئون إليه والحين في الاستجابة، وكشف الضر، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحداً سواه، وتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإلتجاء إليه وحلاوة الإيمان وفوق طعمه والبراءة من الشرك، ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف أو الجذب أو حصول اليسر وزوال العسر في العيشة^(٤). ومن يعرض عن دعائه ويستنكر فمصوره جهنم، قال ﷻ : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ »، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ

(١) رغبوت أقطب، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة، ١٤١٦هـ، المعهد العالي للفكر الإسلامي، أمريكا، ص ١٠٢.

(٢) النووي / محمد لقمان، دروسات تربوية في الأحاديث النبوية، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٣) ابن حنبل / ذخيرة العقبين، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٣٧٨.

(٤) ابن تيمية / أحمد، مجموع غزالي شيخ الإسلام، مج ١٠، ١٤١٦هـ، مجمع الملك فهد : لجمعية للتقوية، ص ٢٢٢.

لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ سِذْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَاخِرِينَ ﴿٩٠﴾ (غافر آية ٩٠)^(١)
 فالخائق يجب للدعاء عباده ، وتكون الإجابة بصور مختلفة جميعها تصب في مصالح الإنسان .
 قَالَ ﷺ : « مَا عَلَى الْإِنْسَانِ مُسْتَبِطٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِثَارًا أَوْ صَرَفَ غَلَّةً مِنَ السَّوْمِ مِطْقًا
 مَا لَمْ يَدْعُ بِإِلَهِمْ أَوْ قَطِيعَةٍ رَجِمَ » ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : إِذَا كَثُرَ ، قَالَ : « اللَّهُ أَكْثَرُ »^(٢) .
 ولقبول الدعاء شروط ومن أعظمها :

أ / الإسلام ، قال تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ
 الْكَافِرُونَ ﴾^(٣) (غافر آية ١٤) .

ب / الثقة واليقين بالإجابة ، قَالَ ﷺ : « ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُؤْتُونَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاعْتَلِسُوا أَنَّ
 اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلَبَ خِلَافَ اللَّهِ »^(٤) .

ج / حضور القلب والخشوع والرغبة فيما عند الله من الثواب والرهبة مما عنده من العقاب^(٥) ،
 قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخُرُوبِ وَيُدْعُونَ رَبًّا وَرَجَاءً^(٦)
 وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ ﴾^(٧) (الأنبياء آية ٩٠) ، من يسارع في فعل الخير ، يسارع
 الله في استجابة دعوته ، فالنفس المؤمنة ترغب في رضوان الله ونعاف غيبه ،
 وتدعو الله متذللة له ، غير متكبرة ولا متعصية^(٨) .

د / عدم الدعاء بقطعة الرجم . وعدم أكل المال الحرام ، فإنه يحجب استجابة الدعاء .
 لذلك يجب على المسلم أن يكون آكله ومشربه حلالاً .

والخائق حريص على مصلحة عباده، فهو يتحلى ﷺ كل ليلة إلى السماء الدنيا، وينادي
 عباده أن يدعوه ، قَالَ ﷺ : « يَقُولُ رَبَّنَا تَبَارَكْتَ وَكَفَّيَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي حِينَ يَتَقَى ثَلُثُ

(١) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ١٤٦٤ هـ ، ص ١٦٦ ، ر : ٣٢٥٨ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الدعوات ، ص ٣٣٤ ، ر : ٣٥٨١ .

(٣) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الدعوات ، ص ٢٩٢ ، ر : ٣٤٩٠ .

(٤) الرحي / صالح بن سليمان ، من عجايب الدعاء ، ١٤٢٣ هـ ، دار القاسم : الرياض ، ص ٨ .

(٥) قطب / سيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩٥ .

النَّيْلُ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَهْدُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلْنِي فَأَعْطِيهِ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ^(١) . هذه الفرصة اليومية يُقَوِّمُهَا كَثَرُ من العباد ، غافلين ومتجاهلين قوائد الدعاء التي لها يتحقق جذب للصالح ودفع للمفاسد ، وهو سلاح ينقى به العدو سوء القضاء وبه يتم سرعة التفرج وتبريج المم والكرب والغم . فإلله كريم في عطائه ، رحيم بعباده . قَالَ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ مَالِكٌ رَحْمَةٍ أَوَّلُ مِنْهَا رَحْمَةٌ وَاحِدَةٌ بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْإِنْسِ وَالْهَوَامِّ وَالْهَوَامِّ فِيهَا يَتَعَاطَلُونَ وَبَيْنَهَا بَنَاتُ حُوتٍ ، وَبَيْنَهَا تَغَطُّفُ الْخَوْشِيِّ عَلَى وَلَدَيْهَا ، وَالشَّرُّ اللَّهُ بَسْطًا وَكُسْبَعَيْنِ رَحْمَةٌ ، يُرَخِّمُ بِهَا عِبَادَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ^(٢) . فالنجوة إلى الله وطلب الرحمة منه أمر هام في حياة المسلم ، لأن الدوامه على ذلك يُشعر المسلم بالضعف والحاجة إلى الله ، والخوف والخشية منه ﷻ ، فبذلك يزيد إيمانه .

٦- غرس الإيمان باليوم الآخر وبالقدر :

إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ، بل هو أهم الأركان بعد الإيمان بالله ﷻ ، وما جادل للمشركون في شيء مثل ما جادلوا في الإيمان بالله واليوم الآخر ، لذا اهتم القرآن الكريم باليوم الآخر . وأكثر من الحث على تذكره ، وكثيرا ما قرن الله تعالى بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر في مواضع كثيرة ^(٣) . قال تعالى : « لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ فِىَ الْشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » (البقرة ١٧٧) ، وَقَالَ ﷻ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُلَاحِظُ فُلَاةَ جَارَةٍ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » ^(٤) . يوضح الحديث أن هذه الصفات من تمام الإيمان بالله واليوم الآخر ، لما لها من منزلة عظيمة وأجر كبير ، وأن فعلها يقصد به الأجر من الله والاحتساب له ، وليس كما يحدث في الواقع للعاصر رد السيئة بأعظم منها . ومن يتعمق في علل التسليم الصالح يجد أنه لا يصلح منه التقيح ، ويتصف بالتسامح ، والمرونة في المواقف الدنيوية .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب التهميد ، ص ١٢١ ، ر : ١٧٥٠ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب التوبة ، ص ١٦٧٥ ، ر : ٢٧٥٢ .

(٣) بنو / عبد العظيم ، علم الدين من حديث جبريل ، ١٤٢٣ هـ ، ص ٨٥ .

(٤) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الألقاب ، ص ٥٩ ، ر : ١٦٠٠ .

والإيمان باليوم الآخر معناه الإيمان بالثواب والعقاب ، وما بعده من فتنة النيران ونعيمه وعذابه والبعث والحشر والحساب والقيامة والنار وما فيها . وعذاب النار أهم خطوة من خطوات الآخرة فمن هنا منها فقد زجر عن النار . قَالَ ﷺ : « الْعَبْدُ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَتَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ - حَتَّى إِذَا لَسْتُمْ قَرَعَ فَعَالِيَهُمْ - اللَّهُ مَذْكَانٌ قَالِقْدَهُ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيَقَالُ : الْفَرُّ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَفْذَلُكَ اللَّهُ بِهِ نَقَعْتَ مِنَ الْجَنَّةِ . قَالَ الشَّيْءُ ﷺ : فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا ، وَثُمَّ الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ : مَا أَشَدِّي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ، فَيَقَالُ لَكَ ذَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، ثُمَّ يُعْزَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ حَرِيَّةً تَنْ أَكْثَرِيهِ فَيَصْبِحُ صَبِيحَةً يَسْتَعْفُهَا عَنْ يَلِيهِ إِلَهَ الْفَلَكَيْنِ »^(١) . اخذت بسدل على أن المؤمنين يُعْشَمُونَ في قبورهم ، والكافرون يُعَذَّبُونَ فيها ، فالإنسان يبق في النار ويُسأل عن نبيه ، فإذا كان مسلماً متباً سنة نبيه ﷺ أدرك ذلك ، واستبدل مقعده من النار بمقعد في الجنة ، حتى وإن كان عليه ذنوب ، فَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ ﷻ عنه ، لو نحاسب بقدرها ، وماله إلى الجنة .

وإن الله ﷻ لطيف بعباده ، ويفرح بتوبتهم ، فجعل باب التوبة مفتوحاً . قَالَ ﷻ : « اللَّهُ الْوَحْدُ بِتَوْبَةٍ عَلَيْهِ مِنْ أَخْذِكُمْ مَقْطَعٌ عَلَى نَجْوَاهُ وَقَدْ أَصْلَحَ فِي أَرْضِهِ فَلَهُ »^(٢) . ولأن هو الذي يحاسب نفسه ويتوب عن أخطائه ويعلم أن الله خلق الإنسان لأول مرة ، وسوف يعيده مرة أخرى ويحاسبه ، وإعادة عليه ﷻ آمون . قَالَ تعالى : « وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْهَلْوَ الْخَلْقَ لِيُرِيَهُمْ وَهُوَ أَعَزُّ عَلَيْهِمْ وَإِلَهُ الْمَثَلِ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (الروم آية ٢٧) .

والإيمان باليوم الآخر تأثير كبير في سلوك الإنسان وتصرفاته وأفعاله . وهناك فرق بين من لا يؤمن بالبعث والحساب ، وبين من يؤمن ، فالأول ضابطه هواه ، وفالسدده شهواته يفعل ما يشاء ويقول ما يريد . والثاني ضابطه الإيمان بالله ، وفالسدده الخوف من عقابه ، فإذا هم بسوء تذكر أنه سوف يُسأل عنه فيقلع عنه^(٣) . وإذا تحدث تذكر أنه مواعيد بما يقول ، وإذا وقع له سوء ، يرجع إلى الله ليكشف ما به ؛ لأنه يؤمن بالقدر خير وشره . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الجنائز ، ص ١٩٠ ، ر : ٩٤ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الدعوات ، ص ١٢٢ ، ر : ٥ .

(٣) بدوي / عبد العظيم ، علم الدين ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

يُخْطِئُ وَأَنْ مَا أَخْطَا لَمْ يَكُنْ يَصِيْبُهُ^(١). للتأمل في الحديث يستكشف أن الإيمان مرتبط بالإيمان بالقدر ، وأن جميع الأمور الكائنة عبرها وشرها ، مقدرة بأمر الله وإرادته وقضائه ، وعليهم السعي ، والرضا بالقدر ، (حَتَّى يَقُولَ مَنْ مَا أَصَابَهُ) ، من النعمة والبيعة والطاعة وللعبية مما قدره الله له وعليه ، (لَمْ يَكُنْ يَخْطِئُهُ) ، أي : يجاوزه . والحديث فيه إشارة إلى العسر على الصائب ، والتوكل والرضا^(٢) ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَصِيْبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ أَفْئِدَتِنَا مَأْمُونُونَ ﴾ (قوله آية ٥١) .

إن الله كتب العسر والنور للمؤمنين ، فمهما يصيبهم من شدة ، فهو إمداد للنصر للوجود ، لينال المؤمنون من بينة ، نصراً عزيزاً لا رخصاً ، وعزة تحميها نقوس عزلة مستعلة لكل ابتلاء . والاعتقاد بقدر الله ، والتوكل الكامل عليه^(٣) ، من صفات المؤمنين .

وإيات الشر في القضاء والقدر إنما هو بالإضافة إلى العبد ، وللعول إن كان مقسداً فهو بسبب جهله وظلمه وذنوبه ، لا إلى الخالق ، فله في ذلك من الحكم ما تقصر عنه أهقام البشر ؛ لأن الشر إنما هو باللذوب وعقوبتها في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (الشورى آية ٣٠) ، وفي الحديث : « والشر ليس إليك » ، أي : تمتنع إضافته إليك بوجه من الوجوه ، فلا يضاف الشر إلى ذاته وصفاته ، ولا أسمائه ولا أفعاله ، فإن ذاته موعدة عن كل شر^(٤) .

ومن لم يؤمن بالقدر فإن النار مصيره . لحديث ابن التيميمي قال : أتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له : وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله أن يذهب من قلبي ، قال : لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبتهم وهو خير ظالم لهم ، وأمرهم كانت رحمة خيراً لهم من اعتابهم . وأمرهم مثل أحد ذبح في سبيل الله ما قبله الله منك حتى لو أن بالقدر وعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأمرت على غير هذا لخطئ

(١) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب القدر ، ص ٥٧ ، ر : ٢١٥١ .

(٢) للباركوري / آفة الأحاديث ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب القدر ، ص ٥٨٢ ، ر : ٢١٤٤ .

(٣) قطب / سيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٦٤ .

(٤) عبد الوهاب / سليمان عبد الله حمد ، تيسر العزيز الحميد ، ١٤٠٦ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ص ٦٩١ .

الشّر . قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْتَوْد فَقَالَ : مِثْلَ ذَلِكَ ، قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُ خَلِيفَةَ بْنِ الْهَيْثَمِ فَقَالَ : مِثْلَ ذَلِكَ ، قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ لَمَحَنَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ^(١) .
 هكذا تصنع العقيدة في الإنسان المسلم فتجعلها يطمئن إلى ذكر الله ، ويرضى بقضائه وقدره في أموره كلها ، فهو يعلم أن الخير هو ما اختاره الله له . وهناك أبواب مفتوحة لرد الشر عن الإنسان ، فإن الدعاء يخفف مصابه . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَمُوتُ الْقَتْلَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَلَا يَمُوتُ فِي الْقُبُورِ إِلَّا الْبِرُّ »^(٢) .

٧- الأمور التي تحو الذنوب والخطايا :

أ / إن الذنوب وللعاصي تضر الإنسان ، وضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان ، على اختلاف درجاتها في الضرر ، وما من شر وداء في الدنيا والآخرة إلا وسببه الذنوب وللعاصي ، فالذنوب أخرجت الأيوين من الجنة ، دار اللذة والنعم والبهجة والسرور ، إلى دار الشقاء والألام والأحزان والمصائب . وأخرجت إبليس من الجنة ، وطردة ويدل بالرحمة لعنة ، وبالجمال قبحاً^(٣) ، وما هلك الأسم السابقة إلا بسبب ذنوبهم ، فإنه " إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل ، ولجأوا بالكسب ، وتياغضوا بالقلوب ، وتقاتلوا الأرحام ، لعنهم الله ﷻ عند ذلك ، فأصمهم وأعمى أبصارهم " .^(٤) فالعاصي لما آثار سلبية عظيمة ، فهي تجعل في القلب وحشة وظلمة ، وتكثر حياة الإنسان وتعسر الأمور ، وغرم صاحبها من الطاعة ، وتوهن اليدين والقلب ، وتحمق الحركة ، وتفسد العقل ، فإن للعقل نوراً ، وللعصية تطفى نور العقل فيضعف ، كما تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء ، والزرع والثمار ، والساكن^(٥) . قال تعالى : ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي النَّارِ وَالْبَاطِلِ يُعَذِّبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٦) .

(١) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السنة ، ص ٢٢٥ ، ر : ٤٦٩٩ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب القبر ، ص ٥٤ ، ر : ٦١٤٦ .

(٣) المجزية / ابن القيم ، الداء والدواء ، ط ٨ ، ١٤٢٥ هـ ، دار ابن الجوزي : السعودية ، ص ٦٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٥) ابن قيم المجزية / حسن الدين محمد ، الداء والدواء ، ط ٨ ، ١٤٢٥ هـ ، مرجع سابق ، ص ٨٥-١٠٣ .

وللعاصي تستدعي تحلي الله عن عبده ، وتركه لنفسه وشيطانه ، وهذا أهلك الملاك الذي لا يرحى منه نجاة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَلَدَتْ بَعْدَ وَالْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٩-٢٠) . ولا تكونوا كالدِّينِ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ (نحسراً ١٨-١٩) . كما أنها سبب في فوات الخير ، فهي تزيد النعم وتحل النقم ، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذهب ، ولا حلت به نعمة إلا بذهب ، ولا رفع بلاء إلا بتوبة . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال ٢٤-٢٥) .

ب/ إن النبي ﷺ حريص على نجاة أمته وسلامتهم من الوقوع في للعاصي ، فوصف لهم العلاج بطريقة مشوقة تربط قلوبهم بالله ، فلا يعيش القلب في غفلة ويرتبط بالله في كل الأوقات ، فأسس التربية النبوية يكمن في دوام صلة الإنسان بالله في كل لحظة وفي كل أعماله حسب طاقاته وإمكاناته : قَالَ ﷺ : « أَلْتَجِدُوا أَحَدَكُمْ مَنْ يَكْتَسِبُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ » ٩ . فَسَأَلَهُ سَبْعٌ مِنْ جُلُوسِهِ : كَيْفَ يَكْتَسِبُ أَحَدُكَ أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ قَالَ : « مُسْتَحِبٌّ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ وَكُتُبٌ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفَ عَطِيَّةٍ » ١٠ . وَقَالَ ﷺ : « كَلِمَتَانِ عَظِيمَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، خَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، مَتَحَانِ اللَّهِ وَبَحْمَتِهِ ، مَتَحَانِ اللَّهِ الْعَظِيمِ » ١١ . فالذكر من الأسباب التي تريد من صلة المخلوق بحالته ، وهو الذنوب وتريد في الحسنات وتثقل الميزان . ومن الأسباب أيضاً للمرض ، فهو يحو الذنوب ويرفع مكانة اللوم عند حالته إذا صبر واحتسب . كما ورد في حوار عبد الله ﷺ مع النبي ﷺ . فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعِظُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعِظُ وَمَعَكَ شَدِيدٌ ! قَالَ : « أَجِبْ إِيَّيْ أَوْعِظْ كَمَا يُوعِظُ وَخُطِّبْ مَتَكُمْ » ، قُلْتُ : ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَتِي ، قَالَ : « أَجِبْ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ بَصِيَّةٌ أَذَى شَوْكَةً لَهَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سِتِّينَ كُتَبٍ لِحُطِّ

(١) الهرمزي / سنن الهرمزي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الذكر والدعاء ، ص ١٦٤٧ ، ر : ٢٦٩٨ .

(٢) الهرمزي / سنن الهرمزي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الذكر والدعاء ، ص ١٦٤٥ ، ر : ٢٦٩٤ .

الشجرة ورقها»^(١). للتأمل في الحديث يستشعر معاني قرص الكيان. فنشبه سقوط الذنوب من اللؤم، بتساقط أوراق الشجر يجعل اللؤم يصير على السبيل عندما يتذكر بأنه عندما يتألم تحط عنه ذنوبه فيتحرد منها كما تحرد الشجرة من ورقها، فيصبح عالمي من الذنوب، فالمرض نعمة من الله ؛ لأن العبرة في النتيجة وليس في الوسيلة .

جاءت تختلف مكبرات الذنوب وللعماسي حسب الأشخاص والظروف والنفوس ، فمنها القولية بالذكر ، واليدنية بالمرض ، والفعلية بالصلاة والوضوء . قَالَ ﷺ : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الشَّرَائِعَ ؟ ٩ . قَالُوا : بَلَى . يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَالنَّظَرُ الْعَيْنَةَ بَعْدَ الْعَيْنَةِ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ »^(٢) . وَقَالَ ﷺ : « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ ، أَوْ الْمُسْلِمَةُ ، فَعَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ أَوْ نَحْوِ هَذَا - وَإِنَّا غَسَلْنَاهُ خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ بَطَشَتْهَا بِنَاءً مَعَ الْمَاءِ ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، حَتَّى يَخْرُجَ لِقَاءَ مِنَ الْكُتُوبِ »^(٣) . الحديث يبرز فوائد جليلة دينية ودنيوية ، فهذه الأعضاء هي محل الكسب والعمل ، وهي محطة أبواب للعاصي والذنوب . فمنها ما يكون في الوجه كالسمع والبصر واللسان ، وكلها في سائر الأعضاء ، فالوضوء مكفر للذنوب كلها، وهو ليس مجرد تنظيف للأعضاء الظاهرة، وليس مجرد تطهير للجسد يتسوالى عدة مرات في اليوم، بل إن الأثر النفسي والسمو الروحي الذي يشعر به للمسلم بعد الوضوء يلبي أعظم من أن نعبّر عنه بالكلمات، خاصة عند إسباغ الوضوء وشعور المسلم أن ذنوبه تتساقط كما تتساقط قطرات الماء منه أثناء الوضوء، إضافة للفوائد الصحية للتنوعة والغامة، فالضمضة : تحفظ الفم والباهوم من الانتهابات وتحفظ اللثة من التقيح، وتقي الأسنان وتنظفها بإزالة الفضلات الغذائية التي تبقى بعد الطعام في أنباها، وفائدة أخرى هامة جسدا

(١) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب المرض ، ص ٢٦٠ ، ر : ٨ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الطهارة ، ص ١٨٤ ، ر : ٢٥١ .

(٣) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الطهارة ، ص ٨٤ ، ر : ٢ .

للمضمضة، فهي تقوي بعض عضلات الوجه وتحفظ للوجه نظارته واستدارته، وهو مخرج هام يعرفه المتخصصون في التربة الرياضية، يتعكس على الحالة الصحية للجسم كله، ولغسل الوجه واليدين إلى المرفقين فائدة كبيرة جداً في إزالة الأتربة والليكروبات، فضلاً عن إزالة العرق من سطح الجلد، وتنظيفه من المواد البذنية التي تفرزها الغدد الجلدية، أما غسل القدمين مع التئليك الجيد فإنه يؤدي إلى الشعور بالهدوء والسكينة، ومن أسرار ذلك كما ثبت بالبحث العلمي أن الدورة الدموية في الأطراف العلوية والسفلية -اليدين والساعدين، والقدمين والساقين- أضعف منها في الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز للنظم للدورة الدموية وهو القلب، ولذا فإن غسل هذه الأطراف جميعاً مع كل وضوء ودلكها بعناية يقوي الدورة الدموية، مما يزيد في نشاط الجسم وحيويته. لما في الأقدام انعكاسات لأجهزة الجسم كله، وكان هذا الذي يذهب ليتوضأ قد ذهب في نفس الوقت بذلك كل أجهزة جسمه على حدة أثناء غسلها وتدليكها بعناية. وقد ثبت أيضاً تأثير أشعة الشمس ولا سيما الأشعة فوق البنفسجية في إحداث سرطان الجلد، وهذا التأثير ينحصر جداً مع توالي الوضوء لما يحدثه من ترطيب دائم لسطح الجلد بالماء، خاصة تلك الأماكن المعرضة للأشعة، مما يتيح خلالها الطبقات السطحية والداخلية للجلد أن تحمي من الآثار الضارة للأشعة^(١). وعملية غسل الأعضاء للعرضة دائماً للآخرة من جسم الإنسان لا شك أنها في منتهى الأهمية للصحة العامة. فحياة المسلم كلها تعود عليه بالنفع والمقابلة، ولا بد للمسلم أن يتأمل كيف أن العلم الحديث يستكشف حقائق علمية، يمارسها المسلمون طاعة لله وهم لا يدركون فوائدنا الصحية، وهذه الممارسة الإيمانية لمتهاج الله نعم عظيمة وهبها الله ﷻ لعباده المخلصين، وما ينطوي تحتها من نعم لا تحصى تجلب لهم خيري الدنيا والآخرة.

د / يعلم كثير من المسلمين أن الإسلام هو أكمل الأديان وأفضلها، وقد دعى الإسلام ولا يؤدي شعاره، ويضيع جُلُّ وقته وجهده لندياه وتجاراته ووظيفته، ونومه وسهره

(١) عابر / مائدة، الوضوء من منظور علم النقاط الانعكاسية، ١٤٢٢ هـ، مجلة الإحصاء العلمي، ع ١٠، رابعة العالم الإسلامي: مكتبة الفكر، ص ٢٨.

ولهو^(١). فتحقيق العبادة لا يكون إلا في استقرار الشعور بأن الله استعاضه ليعبد، فهو يتوجه إليه بكل حركة في الضمير وفي الجوارح وفي الحياة، ولهذا يتحقق معنى العبادة وتصبح كل أعماله التعبدية والأخلاقية الظاهرة والباطنة، هدفها عمارة الأرض والقيام بالخلافة فيها، والنهوض بشكائنها حسب المنهج الرباني وتصبح قيمة الأعمال التي يقوم بها الإنسان مستمدة من بواعثها لا من نتائجها، فالإنسان عليه أن يعمل في الإطار الذي رسمه الخالق . وتقوم علاقة المسلم مع خالقه على هذا الأساس ، ومع غير الله تعالى في موضعها لا يتعداه، فالتناس لا يملكون له نفعاً ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياة ، لأنهم مخلوقون مثله عباد الله ، ولا تتوزع طاقاته ومشاعره بين متسلطين من بني البشر^(٢). لذلك لابد للمسلم من تصحيح عقيدته بحيث تصبح عقيدة سليمة تشيع في الأمة بقولها وعمقها ووضوحها وبساطتها وتكاملها، وتقاطعاتها بشاشتها للقلوب، وتنتفي طهارتها العقول، وتحيين على كل متطلبات الأفراد والجماعات ، وتدين الأمة بما وتتفاضل معها فتكون على اتقى المؤمنين في كل ما تأخذ وتدع ، وتغفر طاعات أبنائها في العطاء والإبداع والعمران^(٣).

فالاتحاد الصحيح في الله هو أصل الأصول العقائدية، وما يبني عليه من العبادات والعمالات والنظم والتشريعات هو العامل الأساسي الذي يحقق للمسلم علاقته الرشيدة في الأرض ، وبذلك يدرك الإنسان حقيقة هذا الوجود وأنه من صنع الله، فيعرف على طبيعة الكون الذي يعيش فيه ويتعامل معه على أساس ديني ؛ لأن العبادة ليست شعائر فقط، بل كل ما يعمل به الإنسان ويقصد به الرحمن فهو عبادة ، فيعطي إلى طاعة الخالق في كل علاقاته بالكون^(٤).

ويقلس علو الإنسان أو هبوطه بمدى التزامه بتطبيق المنهج الرباني واتباع التربية النبوية ،

(١) السوي / مدرك علي ، حين نقر ما بأفلسا ، ١٤٢٣هـ ، دار الفسوي : الرياض ، ص ٤٩ .

(٢) القاضي / علي ، للتعليم الأساسية في التربية الإسلامية ، ١٤٠٧هـ ، ج ٢ ، المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية ، ص ٣٧ .

(٣) الشمر / سيرة عبد الكريم ، السليمان والبدل الحضاري ، ١٤٠٨هـ ، المعهد العلمي للفكر الإسلامي : أمريكا ، ص ٥٢ .

(٤) القاضي / علي ، أهداه على التربية في الإسلام ، مرسع سابق ، ص ٥٥ .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران آية ١٣٩) ،
تشير الآية الكريمة إلى أن للمؤمنين هم الأعْلَوْنَ في الأرض ، لذا فإنه لا يمكن لأي أمة أن
تنهض إلا بالعودة إلى تعاليم الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله لها ، لذلك فالقيام بمقتضيات
الخلافة الراشدة لا يتحقق إلا بصلاح الفرد وقوة إيمانه . والأمل كبير بأن تستيقظ القلوب
الخائرة والعقول الضالة من غفلتها ، وتعود لتربيتها الإسلامية ، فيتحقق للأمة نصرها وتمكينها
في الأرض .

ثانياً : بناء الإنسان الصالح وتوضيح صلته بالكون

إن للتأمل في واقع الإنسان بعد أن قابلته للتطبيع بما حوله من البيئة لا تقل أهمية عن معتقداته، وعليهما يترتب لشكل عقليته ونظرة للحياة بأشكالها المختلفة، فالجانب الأول - المهدف العقدي - جاء بما يتوافق مع فطرة الإنسان من ثور عقلي وعقلي ووجداني ، وغاية كمال هذه الفطرة . وقد سبق الحديث عنه .

أما الجانب الثاني : - الإنسان والكون - وهو محور الأساسي الذي تركز عليه عملية التربية ، وإذا اكتمل الجانب العقائدي في الإنسان وظهرت عليه الصفات التي يرضيها له خالقه سوف يعكس ذلك على صلته بالكون، وهذا ما سيتم توضيحه في الأحاديث التالية التي تهدف إلى تبيان الصلات التي يجب أن يتصف بها الإنسان الصالح ، والتي من خلالها تكون صلته بكل ما حوله .

صفات الإنسان الصالح :

إن التربية النبوية لميزت بسمات متعددة ، أهمها بناء الإنسان الصالح، فكراً وتصوراً وإيماناً وعقلاً متديراً ، ونفسية خاشعة ، وعاطفة صادقة ، وإعداداً في الحياة الدنيا^(١) ، يشمل استعداداً لحياة الآخرة ليكسب النارين بإذن الله . ولا يتحقق هذا الكسب العظيم للمسلم إلا بالتأبع التوجيهات النبوية التي تصل بالمسلم إلى مرتبة الإنسان الصالح . ومن هذه التوجيهات التي تشمل الصفات الحسنة التي يجب على المسلم أن يتحلى بها ما يلي :

١/ إن النبي ﷺ عمل على تنمية الخواطر الإيمانية في المسلم ورعايتها حتى تنطلق الطاقات للؤمننة من خلال عقيدة صادقة تعمل في الدنيا لتحقيق غايتها في الآخرة. تحمل في أعماقها الخير الذي يعكس عليها ويمتد لغورها من الناس ؛ لقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنْ الشَّامِ مَقَابِيعَ لِلْخَيْرِ ، مَقَابِيعَ لِلشَّرِّ ، وَإِنْ مِنْ الشَّامِ مَقَابِيعَ لِلشَّرِّ ، مَقَابِيعَ لِلْخَيْرِ ، فَأَطِيعُوا لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَقَابِيعَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَقِلُّوا لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَقَابِيعَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ »^(٢) . يوضح الحديث صفتين من الناس : أحدهما أمرى الله على يديه فتح أبواب الخير، فيشملهم ويعم غورهم . " فمن غمر قلبه بالإيمان بالله صفت نفسه، وأطعمت عواطفه الإنسانية، وسارع إلى الخير

(١) النوري / علل على رضا ، الحرية في الإسلام النظرية والواقع ، ١٤٢٠هـ ، دار النوري للنشر : قم ، ص ١٢٧ .

(٢) ابن ماجة / الموطأ أبو عبد الله محمد ، سنن ابن ماجة ، ١٤١٩هـ ، ج ١ ، كتاب المقدمة ، ص ١٢١ ، ر : ٢٣٧ .

وسابق إليه ، وكان مشعل النور والمداية حيثما حل ، مستقيماً في الحق ، بعيداً عن القسوى ^(١) .
وأهل الخير يعملون في الدنيا وهمم الآخرة ، والصنف الآخر : يفتحون أبواب الشر فيعود
عليهم ويصب غرهم . فالشر يهلك صاحبه ومن تبعه ، ويتلون الخسائر المبين في الدنيا
والدين . فالشر لا يُزرع إلا في نفس فارغة من الإيمان تسعى للدنيا وكسبها ، مستبعدة
الآخرة وأجرها . لقوله ﷺ : « مَنْ كَذَّبَ الْمَلَكَةَ هُمَّةً ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْزَةً ، وَجَعَلَ لِقَاسَهُ إِنْ
عَتَبْتَهُ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الْمَلَكِ إِلَّا مَا حُجِبَ لَهُ ، وَمَنْ كَذَّبَ الْأَمْرَةَ هُمَّةً ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْزَةً ، وَجَعَلَ عِثَاةً
فِي قَلْبِهِ ، وَأَلْفَ الْمَلَكَةِ وَهِيَ رَاعِيَةٌ » ^(٢) . يدل الحديث على أن ما كتب للعبد من رزق يأتيه لا
محالة ، إلا أنه من طلب الآخرة يأتيه من غير نصب وكثرة ، ويكون الله عوناً له ، أما من طلب
الدنيا وسعى لها يأتيه رزقه بمعاناة وشدة وتعب ، ولا يعينه الله . ومن طلب الدنيا وكانت
حُلْ همة ، ملأ الشيطان قلبه ، وقاده إلى طريق الهوى ، وأبعده عن طريق الحق ، وأعمى عينه
عن رؤية الصواب ، وأصم أذنيه عن سماع تحذير النبي ﷺ لأمرته حيث أمرهم بتجنب الأمور
التي لا تتوافق مع القطرة السوية . وقد حذر ﷺ أمته من الوقوع فيها فقال ﷺ :
« اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُفَوِّاتِ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : « الشُّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسُّخْرُ ،
وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَكُلُّ لَوْنٍ ، وَكُلُّ مَالٍ يَبْسُجُ ، وَالْقَوْلُ بِسُوءِ الرَّسْخِ ،
وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْفَاضِلَاتِ » ^(٣) . الحديث الشريف يوضح السبع المهلكات
- والاقتصار وقع بحسب اللقائ بالنسبة للسائل أو من وقعت له واقعة - ، وسحيت بذلك
لأنها سبب لإهلاك مرتكبها . وللوقعة معناها : الكبرة ، وهي : كل ذنب نسب الله تعالى إلى
نار أو أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبرة أو عظيم أو أخطر فيه بشدة
العقاب أو علق عليه الحد أو شدد التكريم عليه فهو كبرة ، وبذلك فهي : كل ما يوجب الحد
من العاصي أو توجه إليها الوعيد . لذا ينهي سبع ما ورد فيه الوعيد أو اللعن أو التمسق من
القرآن الكريم أو الأحاديث الصحيحة والحسنة ويضم ما ورد فيه التنبص في القرآن الكريم
والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبرة ، فمهما بلغ مجموع ذلك أدرك تحرير عددا .

(١) للملهمي أحمد توفيق ، مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة ، ١٤٠٢هـ ، ص ١١٨ .

(٢) ابن ماجة أ مرجه سابق ، ج ٣ ، كتاب الزهد ، ص ٤٦٨ ، ر : ٤١٠٥ .

(٣) البخاري / أبو عبد الله محمد ، صحيح البخاري ، مرجه سابق ، ج ٨ ، كتاب المغازين من أهل الكفر والسرقة ،

ص ٣١٣ ، ر : ٤٧ .

وبذلك تكون أكثر من سبعة ، قال سعيد بن السيب رحمه الله : الكبار عشر * وزاد : عقوق
والوالدين ، واليمين الغموس ، وشرب الخمر * . ويجب الأخذ بالترائد ؛ لقول ابن عباس رضي الله
عندما قيل له الكبار سبع ، قال : * هن سبع وسبع * ، وفي روايه عنه رضي الله هي لآل السبعين
أقرب ، وما من ذنب إلا وفيه صغيرة وكبيرة ، وقد ثقلب الصغيرة كبيرة بقرينة نضم إليها ،
وثقلب الكبيرة فاحشة كذلك ، مثال : كقتل النفس بغير حق فإنه كبيرة ، فإن قتل أصلاً أو
فرعاً أو ذا رحم أو بالهرم أو بالشهر الحرام فهو فاحشة ، والزنا كبيرة ، فإن كان تحليلية
الجوار أو بلبات رحم أو في شهر رمضان فهو فاحشة . إلا الكفر بالله فإنه أفحش الكبائر ،
وليس من نوعه صغيرة^(١) .

٢ / تكرار التحذيرات التي لا تتوافق مع الفطرة بصور متعددة وأشكال مختلفة
وبصيغة لا تخل منها النفس حتى يكون تثبيتها أقنوى وأعمق ، وهذا التكرار
لم يأت إلا لأغراض تربوية ذات أثر نفسي يوقظ قلب المؤمن ويهز وجدانه ، قال رحمه الله :
« لَمْ يَزَلِ الْوَكَايِي حِينَ يَزِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَلَمْ يَسْرِقِ
السَّارِقَ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، كَانَ كَبُو تَكْرُرٍ يُلْحِقُ مَعَهُمْ وَلَمْ يَنْتَهَبِ لِهَيْبَةِ ذَاتِ شَرَفٍ يَرْفَعُ الشَّامُ
إِلَيْهِ أَتَصَارِفُهُمْ فِيهَا حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ^(٢) . الحديث الشريف بين أربعة صفات سبغة تنال
الإيمان الكامل ، وللمؤمن الحق لا يأتي بأي منها ، والعاصي يصير أنقص حالاً في الإيمان من لا
يعصي ، ويحتمل أن يكون المراد أن فاعل ذلك يؤول أمره إلى ذهاب الإيمان ، وفيه نفساً لا
تجتمع هي والإيمان إلا وأوشك أحدهما أن يخرج صاحبه^(٣) . والصفات التي ذكرت في
الحديث أكدت بعض الصفات التي في الحديث للسبق ، وإضافة صفات لا تقل في الإثم عما
ذكر آنفاً ، فصفة السرقة تندرج تحت - أَكَلِ الرُّبَا ، وَأَكَلِ مَالِ الْيَتِيمِ - ؛ لأنه من أخذ مال
غيره بغير وجه حق يكون سرقة . وذكر الزنا ، ويقابله في الحديث السابق قذف المحصنات ،
فارتكاب المعصية أو إتمام الغر لها فيها حد شرعي وهي من الكبائر ، كما ذكر في القرآن
الكريم والحديث الشريف أن شرب الخمر من عمل الشيطان .

(١) المسجلان / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الجلود ، ص ١٨٢-١٨٤ ، ر : ٦٨٥٧ .

(٢) البخاري / أبو عبد الله محمد ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الأشرطة ، ص ١٩٠ ، ر : ٤٠ .

(٣) المسجلان / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأشرطة ، ص ٢٤ ، ر : ٥٥٧٨ .

في هذه الوقفة مع هذه الصفات والأفعال التي لمي عنها الدين ووضحتها التربية النبوية تشدد عزيمة الإرادة الحرة المشغلة ، وتقوى الروابط بالله ، وكان التربية النبوية تطرق قلب المؤمن ، وتطلب منه أن يختار طريقه - إما منهج السلامة والإيمان أو مسلك الشيطان - فالإرادة الإنسانية لابد أن يكون لها دورها في اختيار النمط السلوكي ، الذي تتحمل مسؤوليته . وما يدعم هذه للمسؤولية حريتها بالإضافة إلى القطرة^(١).

٣/ إن النبي ﷺ أشبع أرفى أساليب التوجيهات التربوية وأعظمها حيث كان ﷺ يخبرهم إذا أرادوا الدخول في الإسلام أن يتبعوا للنهج الذي يرضاه لهم خالقهم فإذا وافقوا بابعهم ، كما جاء في الحديث الشريف ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَخَرَجْتُ عَصَابَةً مِنْ أَصْحَابِهِ : « تَعَالَوْا نَبْغُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ، وَلَا تَكُونُوا بَيْنَتَيْنِ لِفُرُوقَةٍ بَيْنَ أَلْبَانِكُمْ وَالزُّبُلِكُمْ ، وَلَا تَقْضُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي النَّارِ فَهُوَ لَكَ كَفَّارَةٌ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فُسِّرَتْهُ اللَّهُ كَفَّارَةٌ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ » ، قَالَ : فَبَعَثَ عَلَى ذَلِكَ^(٢).

للتأمل في الحديث الشريف نجد أنه يتفق مع ما قبله في أربع صفات - أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم - وإن دل ذلك التكرار على شيء فإنه يدل على أهمية تجنب هذه الصفات التي تتناول تربية جوانب مختلفة، فتوحيد الله وإخلاص العباد له، تحرير للنفس من عبودية غيره، وبذلك يرتقي الجانب الروحي ويرتبط بالله، وعدم السرقة فيها تربية للنفس، فلا ينظر لما يملك الآخرين، وبذلك يتعلم الزهد والقناعة بما لديه، وعدم الزنا حفظ للفرائض وكبحها والتوجه إلى الزواج وتكوين أسرة، وبذلك صيانة للفرد والمجتمع من الأمراض الفتاكة . وحفاظاً على الأنساب . والنهي عن قتل الأولاد ويدخل ضمنه القتل بغير حق، هنا تظهر تربية القوة فسدن القتل لا يصدر إلا من ضعف قواه الإيمانية ، وزاد غضبه . أما إذا ملك الإنسان زمام غضبه ونحكم في إرادته ، وعالج الأمور بالحكمة بدل العنف ، سيطر على نفسه وعاش في أمان، فالعنف والقوة من صفات الحيوانات ، أما الإنسان المكرم فقد ميزه الله بالعقل، فالإسلام دين العقل

(١) علي بن أحمد عبد الله ، نظرية الخلقية عند ابن تيمية ، ١٤٠٨هـ - ص ٢٥٣ .

(٢) البخاري / أبو عبد الله محمد ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ١٨ ، ر ١٧٠ .

والنطق والفطرة السليمة، والكمال الإنساني . وكلمة (باعتون) في الحديث أي عاصدون ، ومعنى (وَلَا تَأْتُوا بَبْهَتَانِ لَفَقْرُونَهُنَّ أَتَيْدِيكُمُ وَأَرْجُلِكُمُ) البهتان الكذب الذي يهت بهت سامعه ، وخص الأيدي والأرجل بالافتراء ، لأن معظم الأعمال تقع بهما ، أما قوله ﷺ : (وَلَا تَغْضُوبُنِي فِي مَعْرُوفٍ) الغضبان مخالفة الأمر ، وإن الكف أيسر من إنشاء الفعل ، لأن احتساب المغاسد مقدم على جلب للمصالح والتعالي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل . - (في مَعْرُوفٍ) - ما عرف من الشارح حسنه نهيًا وأمرًا ، وقيل إن طاعة للخلق إما تكون في غير معصية الخالق ، امتثالاً لأمر الله ، ومن امتثل لأمر الله فأجره على الله ، أما من عصي وخالف ، وأصاب ذنباً وعوقب به في الدنيا جعله الله كفارة لما أصاب من ذلك الذنب ، - كحد السرقة والزنا .. - والله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده في الآخرة . ومن فعل المعاصي وسره الله ولم يقسم عليه الحد فهو تحت المشيئة^(١) ، وبذلك يكون الإنسان بين ثلاثة مسارات : إما إنسان صانع يقي الله ويعلمه ، أو مرتكب معصية وقام عليه الحد وكان كفارة له ، أو مرتكب معصية ولم يقم عليه الحد فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه .

(١) العصفاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٦٥-٦٨ ، ر : ١٨ .

وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ بَعْضَ بَعْضًا أَغْيَبُ أَحَدُكُمْ أَنَّ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مِثْلًا فَكَرِهْتُمُوهُ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ ، إن الآية الكريمة والحديث النبوي فيهما
من حقائق نفس النفس الإنسانية ، وتظهر القلب والعقل من حرمات الأشخاص ،
وتعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم ، فالآية تبدأ بتسداء مرغوب ، فالله
يريدون هذه الصفة فعليهم أن يتبعوا أوامر الله ، ويتعدوا عن اللسعات المذكورة ،
فلا يتركوا أنفسهم نهياً لكل ما يخطر لهم من ظنون وشكوك وشبهات حول الآخرين ،
فالقول صريح باحتساب الظن السيء ، فإن هذه الظنون تكون إثماً ، وهذا النهي يظهر
الضمير مما يعلق به من تلوث ، ويجعله نقياً يمكن لغیره المودة التي لا يخلدشها سوء الظن ،
وخصان حقوق الناس ، وحرمانهم حتى يبين بوضوح أنهم ارتكبوا ما يؤاخذون عليه^(١) .
والمرى الأول ﷺ وصف الظن بأنه « أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » ، لأن الظن للنهي عنه هو الذي لا
يستند إلى شيء يجوز الاعتماد عليه فيعتمد عليه ويُجعل أصلاً ويجزم به ، فيكون الجزم به
كاذباً ، وإنما صار أشد من الكاذب لأن الكذب في أصله مستقيم مستقيم عن ذمه ،
بخلاف هذا فإن صاحبه يزعم أنه مستند إلى شيء ، فوصف بكونه أشد الكذب
مبالغة في ذمه والتفكير منه ، وقد استشكلت تسمية الظن حديثاً ، والمراد به عدم مطابقة
الواقع سواء كان قول أو فعلاً^(٢) . وفي هذا تأديب عظيم يظل الظنون السببة والتهم الباطلة ،
فالظنون السيئة تنشأ عنها الغيرة للفرقة والمكائد والاختيالات ، والطمع في الأنساب ،
والمبادأة بالقتال^(٣) . فللتعم في لبائذ التريوة الإسلامية يجد ألفاً تصون كرامة الناس
وحرياتهم وحقوقهم .

فليظهر للمسلم إلى تربيته وما يدعو إليه ، ويقارنها بأي تربية أخرى ! ويسأل نفسه : هل
نستطيع أي تربية وضعية أن نطبق الحقوق ، وتعطي كل ذي حق حقه ، وتحافظ على كرامة
الإنسان ، وتوجه سلوكه إلى ما يصلح ذاته . فإذا اهتدى إلى الجواب الصحيح عرف أن
التربية الربانية أعلى مستوى من أي تربية أرضية .

(١) قطب / سيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٣٥ .

(٢) العسقلاني / فتح الباري ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٤٨٢ ، ج ١٠ ، ص ٦٥ .

(٣) ابن عاشور / صمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج ١٢ ، دار مسنون للنشر ، تونس ، ص ٢٥١ .

وتستمر سلسلة التوجيهات الربانية، وينتقل الخالق إلى مبدأ آخر يريد من عباده للؤمنين أن يتمسكوا به وهو ﴿وَلَا تَجْسُوا﴾ وفي الحديث : «وَكَا تَجْسُوا وَكَا تَجْسُوا» . وأصلهما واحد وهذا المبدأ يأتي بعد الظن ؛ لأن الشخص عندما يقع له خاطر التهمة يريد أن يتحقق فيتجسس ويبحث ويستمع، وهنا يقال : لا تجسسوا، وإذا قيل : تحقق من غير تجسس ، قيل له : ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَغْضُكُم بَعْضًا﴾ ومعنى التجسس ، لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تبعوها . ثم ينتقل الحديث إلى نفي صفة ذميمة لا ينبغي للإنسان الصالح أن يتصف بها : ﴿وَكَا تَبَاخَسُوا﴾ " والتجسس هو أن يزيد في السلعة وهو لا يريد شرائها ليقع غيره فيها"^(١) . ثم ينتقل للري إلى صفة أخرى لا يقل ضررها عما قبلها ، وربما كان عظمها أشد : ﴿وَكَا تَحَادَّوْا﴾ والحسد يعني زوال النعمة عن مستحق لها، أهم من أن يسعى في ذلك أو لا ، فإن سعى كان باغياً ، وإن لم يسع في ذلك ولا أظهره ولا نسب في تأكيد أسباب الكراهية التي تهيئ للمسلم عنها في حق المسلم ، فإن كان المانع له من ذلك العجز بحيث لو تمكن لفعل فهذا مأزور ، وإن كان لذاته له من ذلك التقوى فقد عجز ؛ لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسية ، فيكفيه في معاملتها أن لا يعمل بها ولا يعزم على العمل بها^(٢) . ثم يكمل للري الأول ﴿سَلْسَلَةُ الصِّفَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ لَا يَتَّصِفَ بِهَا الْمُؤْمِنُ ، فَيَذَكَّرُ : ﴿وَكَا تَبَاخَسُوا﴾ : أي الابتعاد عن الأسباب التي تجلب البغض، وحقيقة التباغض أن يقع خلاف بين اثنين ، فيبغض كل منهما الآخر ، ويحدث المحر بينهما ، وقد وضع ﴿حُكْمُ الْمَحْرِ فِي قَوْلِهِ﴾ : «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، يَنْقُصُ ، فَيَهْجُرُ هَذَا وَيَهْجُرُ هَذَا ، وَغَيْرُهَا الَّذِي يَسُنُّ بِالسُّلَامِ»^(٣) . الحديث يؤكد تحريم المحر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال ، وتباج السلات بالمفهوم ، وعفي عنه في ذلك لأن الإنسان مجبور على الغضب، فموسع بذلك القدر، ليرجع ويحول ذلك العارض، ويقال إن المحر ان للهي عنه ترك السلام إذا التقيا ؛ لأن المحرة تزول

(١) المسفلان / فتح الباري ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٤٨٤ ، ر : ٦٠٦٦ .

(٢) المسفلان / فتح الباري ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٤٨٢ ، ر : ٦٠٦٥ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٣٩ ، ر : ١٠٢ .

وَأَتَوْهُمْ فَأَجْرَ فَلَيْقُلْ خَيْرًا لَّؤَيْسَ حَسَنَةً»^(١). ذكر في الحديث ثلاث صفات يجب على المؤمن أن يتصف بها : عدم إلقاء الجار، وإكرام الضيف، وقول الخير أو التزام الصمت، وقد وردت بصفة الأمر؛ لأن صياغة القول تدل على الأمر أفعَل - فلا يؤذ، فليكرم، فليقل - وما لزم فعله يكون واجباً على المؤمن، وهذا توجه صريح بالأمر. وذكرت هذه الصفات مفروقة بالإيمان؛ لأنه " يجب النفوس الأمن والقوة، ويتناف من غرور النفس والكبر، وبوفر للإنسان كوابح تعمل فيه وتظل ترده إلى حدوده"^(٢). ولطري الكريم ﷺ حث على هذه الصفات وغيرها لما لها من عناصر تقسية على الفرد والمجتمع إذا لم تنطبق في سلوك المؤمن، فهذه الصفات تؤلف بين القلوب وتولد المحبة ويرتب على ذلك الإحياء الذي ارتضاه رب العالمين لعباده المؤمنين، وللتأمل في هذه الصفات يجد فيها شمولاً كما يجد فيها تربية خاصة وعامة. فحسن التعامل مع الجار وتقدير أحواله ورد فيها أحداث كثيرة حتى إن حبريل عليه السلام كثيراً ما كان يوصي الرسول الكريم ﷺ بالجار حتى إنه قال ﷺ : «إني كنت أنه مسبوره»، وذلك إيقاظ لولازع الخير في القطرة وتركية لها، وإطفاء نار الفتنة بين الشحاورين، وهنا تخصيص الجار بالإحسان نظراً لكثرة رؤيته والاحتكاك به، والصلة الثابتة إكرام الضيف وقد وضع ﷺ لهذه الصفة حدوداً تنبذ كلا الطرفين، الضيف والمضيف، فاشتراط ﷺ أن لا تريد الصياغة عن ثلاثة أيام، وما زاد على الثلاث صدقة، وما قبلها واجب، والمراد بتسميتها صدقة التسفير عنه؛ لأن كثيراً من الناس يأنفون من أكل الصدقة، وقيل : "ولا يحل له أن يشري عنده حتى يؤمسه"^(٣) وقيل : يا رسول الله ! وما يؤمه ؟ قال : "يقيم عنده لا يجد شيئاً يقدمه" وذلك لتعنيف ومنع المخرج، فإذا ارتفع المخرج وطلب منه الزيادة في الإقامة فإن ذلك يجوز^(٤)، أما الصلة الثالثة لمس عضواً في الإنسان نير لصاحبه الخير والشر، يستطيع أن يصلح بين الناس، وأن يوقع الفتن والفتائل بينهم، قال ﷺ : «لَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ، ذَا السُّوْجَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ»^(٥).

(١) البخاري / صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٨، كتاب الأدب، ص ٥٩، ر : ١٦٠.

(٢) شعري / عدنان علي، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق، ط ٣، ١٤١٢هـ، دار شعري للنشر، الرياض، ص ١٤١.

(٣) المستطاب / فتح الباري، مرجع سابق، ج ١٠، كتاب الأدب، ص ٥٣٢-٥٣٤، ر : ٦١٣٦.

(٤) البخاري / صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٨، كتاب الأدب، ص ٣٢، ر : ٨٦.

الحديث الشريف صريح في معناه واضح في مغزاه، حيث جعل ذا الوجهين شر الناس ؛ لأن حاله حال للناطق ؛ إذ هو متعلق بالباطل وبالكذب، مدخل للقساد بين الناس، يأتي كل طائفة بما يرضيها. فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه تقاي وعرض كذب وعباد، وهي مدانة عزيمة، إلا من أورد الإصلاح بين طائفتين فهذا سلوك محمود ؛ لأنه يأتي بكلام فيه صلاح، ويعتذر لكل واحدة من الأخرى^(١). فاللسان سلاح ذو حدين يتجه بالخير عند استخدامه في الذكر وقول الخير، ويوقع صاحبه في الهلاك وربما يكون سبباً في دخوله النار، حين يستخدمه في سب الناس، أو ذكرهم بسوء - وقد ورد في فصل الأساليب مواقف تربوية تحذر من أضرار اللسان - . لذا فإن تهذيب اللسان ولطف الكلام، أمر رغب فيه الإسلام وحث عليه وجعل الكلمة الطيبة صدقة، ولا يستطيع المرء أن يقود زمام لسانه إلا إذا أصلح سريره. فهي التي تصدر نوحه الأوامر للسان، فالإنسان الصالح لا يقول إلا خيراً، ولا يصدر عنه إلا خيراً، كيف لا وهو متبع منهج الرب الأول ﷺ .

٦/ حث ﷺ المسلمين بالتمسك بعدد من الصفات التي تعود بالخير لصاحبها ، وبشر من أنصف بما فقال ﷺ : « مَبْعَةٌ يُطْلَقُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِيْمَانٌ عَادِلٌ ، وَخَاطَبٌ لِنَاسٍ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَوَجَلٌّ ذِكْرُ اللَّهِ فِي عِلَاءِهِ فَفَاحَصَتْ عَيْنُهُ ، وَوَجَلَّ قَلْبُهُ مُعَلِّقٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَوَجَلَّانَ تَحَابُّ فِي اللَّهِ ، وَوَجَلَّ ذَعْنُهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَلْهَبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَوَجَلَّ لَصَدِّقٌ بِصِدْقَةٍ فَأَخَذَهَا حَتَّى لَا تَقْلَمَ حِمْلَهُ مَا صَنَعَتْ نَيْمَةً^(٢) .
قال الناطم :

وقال النبي للصطفى إن سبعة يظللهم الله الكريم بظلاله
عقب عفيف ناشئ متصدق وبسك مصل والإمام بعده^(٣)

بصور الناطم قول للصطفى ﷺ ، فهذه الآيات تشير إلى معاني الحديث، حيث بدأ للرب الأول ﷺ بذكر للشهد العظيم وللوقف الأقيم، الذي يقع فيه الناس لا محالة، حين تقترب الشمس فتصهر الجسد أشعثها، وتلهب النفس حرارها، ويتمنى الإنسان أن يلجأ إلى

(١) المستقلان فتح الباري، مرجع سابق، ج ١٠، كتاب الأدب، ص ٤٧٥، ر : ٦٠٥٨ .

(٢) البحاري / صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٨، كتاب المحرمين من لعل الذكر والردة، ص ٢٩٢، ر : ٥٠ .

(٣) المستقلان فتح الباري، مرجع سابق، ج ٢، كتاب الأئمة، ص ١٤٠، ر : ٦٥٩ .

ظل يكلمه وهج الشمس، حينها ينادي الله سبعة أصناف يظلمهم تحت ظل العرش "يوم لا ظل إلا ظله" وهذه كرامة وحماية لهم، ومكافأة لهم على مسلوكتهم وموقفهم وبما سدد نفوسهم. فالخالق العظيم يعلم أن تطبيق هذه الصفات يعود بالفائدة على الفرد والمجتمع، وأنها تصلح للنفس، وفي تطبيقها مشقة على النفس فمن تطلب على عواء وأطاع إله فقد وفق في حياته، لذلك كان جزاؤهم عظيماً. وللربي الأول ﷻ جمع في الحديث قيمة تربية ومبادئ عظيمة شملت جوانب عقدية وإنسانية وأخلاقية وجسدية واجتماعية واقتصادية، تستهدف بناء الشخصية المسلمة الصالحة، وأول شخصية تناولها الحديث الإمام العادل: وهو الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط أو تفريط، ويؤيد الحديث "إن للتقطين على متابر من نور" الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا، والنسب عام للرجال والنساء، حيث المرأة في بينها تحكم بين أطلاقها وبجب عليها أن تعدل فيما بينهما، وقدم العدل في الذكر لعموم النفع به، وفيه جوانب اجتماعية متعددة. والصفة الثانية - كَذَابٌ لَشَأْ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ - وخص الشاب لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى، فإذا لازم العبادة مع ذلك كان أشد وأدل على غلبة التقوى. وخص الحديث الشاب للمؤمن؛ لأن لديه طاقة ربانية تندفع نحو الخير وتشق طريقها نحو الحق بكل ثبات وهمة، فإذا سلك للمؤمن للنهج النبوي تخلص من هوى النفس، وسخر همه الشباب لطاعة الله، فالربي الأول ﷻ يدرك أبعاد خطورة هذا السن، فكان حرباً على علاجه، ليقتضي للسلم شبابه في طاعة خالقه، فيمتلئ قلبه بحب الله والخوف منه، حتى إذا ذكره - عالياً من الالتفات إلى غير الله ولو كان في مأى - فاضت عيناه بالدمع عشوفاً وتعظيماً له ﷻ، ويتبع ذلك حرصه على ملازمة المساجد، وذلك لتطهر نفسه من شوائب الدنيا وتعلقه بالمادة لكسب الرزق، فيندفع شلبية نداء الله تاركاً أعماله لأجل أعمال أهم وأعظم وهي الصلاة، لا يشغله عنها شيء ولا يغفل عنها، وبحاجب ارتباطه بالله، يكون ارتباطه بالجماعة فيعرف أحوائهم ويتعاطف معهم في أمورهم، وتتفتح له أبواب الخير حين يستطيع أن يقدم للمساعدة لمن يحتاج، وبفلس كربة للكروب، وفوائد دينية واجتماعية جمعة تعود عليه وعلى من حوله، تتحقق من صلاته في المسجد، ولكن هذه الصفة تختص بالرجال فقط دون النساء، وقد عفا عنهن الإسلام، حيث جعل صلاحها في بيتها أفضل؛ لأن وظيفتها التي سملت لها تختلف عن وظيفة الرجل،

فمدارمة الرجل على الصلاة لا تستطيعها المرأة نظراً لتركيبها الفسيولوجي ، فكلُّ مهية لها خلقٌ لها، وطاعة الله وتطبيق ذلك يكون من صلاح النفس . أما الصفة الخامسة (وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ) محبة حقيقية لا إظهاراً فقط، مبنية على المحبة والتناصح والتعاون على الخير، وأعدت هذه الصفة واحدة لأن المحبة لا تتم إلا بين اثنين، وهذه الصفة تنطوي على جوانب أخلاقية وإنسانية واجتماعية، فالمحبة في الله تحمل كل أنواع الخير، وهي خير وسيلة لمحاربة للتأدية والطمعة والأنانية ، لأنها تربي النفس على محبة الناس في الله وحسن التعامل معهم، وذلك من حسن الخلق، كما تُلطِّف العلاقات الاجتماعية بين الناس، فحسن الخلق والمعاملة الحسنة صفة إنسانية تميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات، كما يتميز بها الإنسان الصالح عن غيره من الناس، وتجلب محبة الرحمن . كما ورد في الأسلوب القصصي، قصة المثلث الذي أرسله الله للرجل الذي زار أحداً له في الله وقال له : (إني رسول الله إليك أعورك بأن الله قد أحبك كما أحبه فيه) . والصفة السادسة - رَجُلٌ ذَهَبَتْ أُسْرَتُهُ .. - ذُكِرَ في الحديث أن للمرأة تصفت بأكمل الأوصاف ، وَقُلَّ من يجتمع ذلك فيها من النساء، والصبر عن اللوصوفة بما ذكر من أكمل المراتب لكثرة الرغبة في مثلها وعسر تحصيلها، ومع ذلك اعتذر وقال : إني أخاف الله رب العالمين، سواء قالها بلسانه مع فميه أو بقلبه، فذلك إنما يصدر عن شدة خوف من الله تعالى وتقوى وحياء، والمرأة لها نفس الأجر إذا نشأت في طاعة الله وتجاهلت هوى النفس وتعلقت بالله بفعل الطاعات وتجنب للعاصي، واستقلت بشخصيتها المسلمة، وابتعت ما أمرها به دينها، متحبة الأضواء الخداة التي تناديها من أجل السفور وترك تعاليم دينها ! تكون ملتزمة بأمر الله، وهذه الصفة تربي الجانب الجسدي وتدلل على قوة الإرادة في التغلب على هوى النفس وكبح قوة الغرائز الجسدية، وكذلك المرأة إذا تعرض لها رجل ذو منصب فلا تطيعه بارتكاب الفاحشة. أما الصفة الأخيرة - رَجُلٌ تُصَدِّقُ - تبرز هذه الصفة للبالغة في إخفاء الصدقة حتى إن خاله مع قرها من يمنه ولازمهما لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها، وهذا من عجز التشبه^(١)، وإخفاء الصدقة فيه مراعاة لجوانب نفسية للمصدق عليه، وتعويد النفس على العطاء ، قال تعالى : ﴿ إِن تَدِينُوا أَلصِدْقَ فَبِعَمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْلَوْهَا وَتَوَلَّوْهَا أَلْفَقْرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ^١

(١) السدائي / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الألفان ، ص ١٤٣-١٤٧ ، ر : ٦٦٠ .

وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ مَسْأَلَتِكُمْ^١ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^٢ (البقرة آة ٢٧١) ، فإعفاء الصدقة أفضل من إظهارها ، إلا إذا كان الإظهار يترتب عليه مصلحة كالتداء الناس به فيكون أفضل ، لزيادة الخير ، كما أن في هذه الصفة تكافل اجتماعي ، وجانب اقتصادي فهي تخفف عن المحتاج وتخلصه من مأرق متطلبات الحياة الضرورية ، وتبارك للمتصدق ، فما نقصت صدقة من مال - قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ مِنْ مِثْبَلٍ فِي كُلِّ مِثْبَلٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ^٣ ﴾ (البقرة آة ٢٦١) ، وهذه الصفة يشترك فيها الرجال والنساء ، وللمرء الأول $\frac{1}{8}$ حث النساء على الصدقة لكثرة زلاتهن وأعطائهن ، فالحسنة نحو السيئة إذا استوفت الحسنة شروطها . وشرط قبول الصدقة عدم إلحاقها بالثمن ، لأن من يلحق صدقته بالثمن يكون خسرها ، بل كانت وبالاً عليه وإثماً ، وبغال غضب الرب $\frac{1}{2}$ ، لقوله $\frac{1}{2}$: « قَالَهُ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُرْحَمُهُمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » ، قَالَ : فقرأها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ لِبُؤْدُرٍ : خُشَاوَا وَخَشِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الْمُسْبِلُ [إِذَا رَأَى الْمَتَّانَ ، وَالْمُتَّقِصُ سِلْعَتَهُ بِمَا يَخْلِفُ الْكَذِيبُ^٤] » . الحديث موثر إلى جزاء وعاقبة للمتصدق الذي يلحق صدقته بالأذى ، ورغم أجر الصدقة إلا أن للمتصدق الثمان الأولي به أن يكف يده ولسانه عن الآخرين حتى يلحق بركب المسلمين ، لقوله $\frac{1}{2}$: « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ خَرَّ مَا لَيْسَ اللَّهُ عَلَيْهِ^٥ » ، وقوله $\frac{1}{2}$: « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ^٦ » . نوضح الأحاديث الصورة للمشقة للمسلم الكامل - وليس للزائد - التي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة - الذي لا يؤدي مسلماً بقول أو عمل ، وخص اليد بالذكر ، لأن معظم الأفعال لها^٧ ، وزاد في الحديث الثمان صفة كمال الإيمان وهي الأمانة ، وهي صفة عظيمة من يفقدها يكون لا خلاق له ، لأنها تلازمه في كل شؤون حياته مع نفسه ومع الآخرين ، فالمرء الأول يوجه أصحابه وأئمة إلى أهمية الأمانة وخاصة في النفس

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٨٩ ، ر : ٩٦ .

(٢) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الجهاد ، ص ٤ ، ر : ٢٤٨١ .

(٣) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الإيمان ، ص ٢٨٤ ، ر : ٢٦٣٦ .

(٤) الترمذي / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٢٠٧ ، ر : ٤٠ .

والثال ، فالؤمن لا يكون ولا يفدر ، فاللزي الأول ﷺ يريد أن يكون سلوك المسلمين تطبيقاً عملياً ناتجاً عن إيمانهم بالله وتسليمهم به ﷻ ، واتباعاً لمنهج ، وأن تكون أعمالهم خالصة لله ، سواء كانت أعمالاً دينية أو أدبية ، لقوله ﷻ : « مَنْ أَطْعَمَ لِلَّهِ ، وَنَحَّيَ لِلَّهِ ، وَأَكْبَحَ لِلَّهِ ، وَلَكَّحَ لِلَّهِ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ »^(١) . يتضمن الحديث الشريف تربية وجدانية روحية وعقلية ، ويقيد معاني غزيرة في جمل قصيرة ، فبين الأعمال التي تكمل الإيمان مشروطة بشرط الإخلاص ، وهذا أمر مهم لقبول العمل ، كما هو وسيلة لتخليص الإنسان من الوقوع في الشركة ومنع الرياء ، فالعطاء إذا كان للناس فليس من الإيمان في شيء بل هو رياء ، واللزي الأول ﷻ يزرع مراقبة الله في نفس المؤمن ، فيحور المؤمن بأن يجعل سائر أعماله خالصة لله ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صُلَّيْتُ وَلَسْتُ بِمُتْلَبٍ مِنْهُ ﴾ .

٧/ إن النبي ﷺ حريص على تنظيم علاقة المسلم بربه وبنفسه وبأسرته ومجتمعه ، وبذلك يتكون الإنسان الصالح ، الذي يتحبه بسلوكه نحو الخير ، ويكون قنوة لغوره ، لقوله ﷻ : « مَنْ مَنَّ مَنَّةً خَيْرٌ فَالَيْهِ فَلَهُ أَجْرَةٌ وَمَنْ لَمْ يَجُزْ مِنَ التَّعَةِ غَيْرَ مَقْصُودٍ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ مَنَّ مَنَّةً شَرٌّ فَالَيْهِ فَلَهُ ، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرَةٌ وَمَنْ لَمْ يَجُزْ مِنَ التَّعَةِ غَيْرَ مَقْصُودٍ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئاً »^(٢) . يظهر الحديث مسارين متضادين - حساً ومسا - ، كما يبرز الحديث طريقة علمية حديثة ، لها قيمتها في التربية الغربية ، وتالت هذه الطريقة الصادرة في الأساليب التربوية : لأنه لا يصل إليها إلا من عبر حسر التحليل الذي هو أعلى مستويات التفكير ، وهي طريقة الاستنتاج والاستنباط . لقوله ﷻ : « مَنْ مَنَّ مَنَّةً خَيْرٌ » أي : أي بطريقة مرضية يشهد لها أصل من أصول الدين ، وتبعه غوره من الناس ينال مثل أجورهم من غير أن تنقص أجورهم شيئاً^(٣) ، وهذا فضل عظيم وكرم حسيم ، يحسن به الله ﷻ على عباده ليقبلوا في طاعته ويتفوا حنته ، فمن قام بمشروع غير وحت الناس على فعله له مثل أجورهم ، والعكس : من فتح باب الشر ودخل فيه الناس وارتكبوا للعاصي فعله مثل وزرهم .

(١) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب صلة القربى ، ص ٢٢٤ ، ر : ٢٥٢٩ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب العلم ، ص ٣٠٧ ، ر : ٢٦٨٤ .

(٣) الدار كوتوري / اللغة الإلهية ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب العلم ، ص ٨٦ ، ر : ٢٦٧٥ .

٨ / إن الإنسان في حاجة دائمة إلى وقفة فاحصة، بين الحزن والحين لإرجاع نفسه، ويستقي قلبه، حتى لا يغفل ويصعب، أو ينسى ويغتر أو يتعد لأهلاً متوهماً أنه يسعى في طريق الحق وهو يتحيط في هوى النفس، ويشقى في جحيم البعد ويردى في ظلمة القنوط واليأس^(١) لقوله ﷺ : « دَعِ مَا يُؤْمَلُ إِلَى مَا لَا يُؤْمَلُ ، فَإِنَّ الْعَصْقَ طَمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكُذْبَ رِيحٌ »^(٢) . فللتأمل في الحديث يستكشف صيغة القوة والتوجيه الرشيد حين يواجه أمراً يشك فيه، والنسب مميز بعقل شديد وقلب مليء بنور الإيمان لا يتحيط في ظلمات الجهل، ولا يقف حائراً أمام ما يخفى عليه، بل يترك ما يشك فيه من أقوال وأعمال أنه منهي عنه أو بدعة، ويأخذ ما لا يشك فيه، فالفطرة الإنسانية هي لليزان - في حالة عدم تلوثها بالفساد البشري - فتوجهه إلى البقين، ويكون على بصيرة، فالصواب يطعن به القلب ويسكن إليه، أما الكذب فإنه أسس قلق النفس واضطرابها . فالمرئي الأول ﷺ يوجه أمته إلى ما يتناسب مع فطرهم، ويتحقق الإيمان الصادق لهم .

والثبوت النبوي تركز على تقوية حجاب المراقبة لله وذلك لأنه مهما بلغت قوة القوانين، فلن تكفل تكوين المجتمع الصالح، لأن صفة مراقبة الله تشمل عافته ﷺ في السر والعلن، فهناك فرق بين الالتزام الداخلي والالتزام الخارجي، لذا فهي تختلف عن الخاضع للقانون .

فالثبوت الإسلامية عندما تزور في النفس الإنسانية للمراقبة الدائمة؛ تعصم صاحبها من الشطط والانحراف^(٣) . وهذه الثبوتية تتوافق مع الفطرة الإنسانية والقدرات الإيمانية، كما ورد في الحديث : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ (النساء آية ١٢٣) ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَشَكَّوْا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : « فَأَرَبُوا وَسَكَنُوا ، وَبَقِيَ كُلُّ مَا نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ كَفَّارَةٌ حَتَّى الشُّكَّاءُ بِمَا كُنْهَ أَوْ التَّكْبَرُ بِتَكْبِهِ »^(٤) . بين الحديث أن مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ، إما في الدنيا أو الآخرة بالبلاء والهم، فصعب ذلك على الصحابة لأنهم يعلمون عظيمة هذا القول ، وشق عليهم هذا الوعيد، فلذهبوا للمرئي ﷺ حتى يصف لهم طريق النجاة

(١) الشرافي / حسن محمد ، بحر علم نفس إسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ ، مؤسسة شباب الجامعة : الإسكندرية . ص ٢٧٧ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب صفة القيامة ، ص ٢٢٢ ، ر : ٢٠٢٦ .

(٣) اسماعيل طي / نيل ، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه ، ١٤٠١ هـ ، ص ٣٨ .

(٤) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب التفسير ، ص ١٣٠ ، ر : ٣٠٤٩ .

والخلاص، فذكر لهم حكمة عظيمة تتوافق في أمور الدنيا والدين، تتوافق مع كل زمان ومكان، «فَارْبُوا وَسَدُّوا» أي اقتصلوا فلا تغلوا ولا تقتصروا، بل توسعوا، وسددوا أي: اقصوا السداد وهو الصواب، وأن الشوكة يشاكها المؤمن تكون كقذارة له^(١)، وكل ما يصيبه من نصب أو تعب أو هم أو غم أو أذى تكون كقذارة للمؤمن^(٢)، لقوله ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَحْبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ، حَتَّى الْهُمُ يُهْمُهُ إِنَّهُ تَخَفَرُ بِهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ»^(٣). هذا التوجيه الذي يشمل التكليف والتواضع مع التمسك بأمر الدين، يغرس الرقي الأول ﷻ الأمل في نفوس أصحابه، ليكون سلوكهم في الحياة رهبة من الله ورغبة في الآخر، وبذلك تظمن تفوسهم. وفي هذا تدريب للمؤمن حتى يتمكن من التمييز ويسدد ويقارب حتى يصل للصواب، وهذه الصفة يتصف بها الإنسان الذي يحاول إصلاح نفسه، فهو يسعى لمعرفة الحق من أجل اتباعه، كما ورد في الحديث: «أَنْ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُفْرَةٌ وَحَسَنَ عَمَلُهُ»، قَالَ: قَائِي النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُفْرَةٌ وَسَاءَ عَمَلُهُ»^(٤).

٩/ إن الإنسان مخلوق ضعيف خلقه الله ولديه نوازع الخير والشر، وتمتلك الرغبات والميول وأمامه إغراء الشياطين وبريق الدنيا، وضعف النفس البشرية، لذلك قال ﷺ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ لِنَفْسِهِ»^(٥). والمجاهدة مُطلقة لكل مسلم ومسلمة بما يتوافق مع طبيعتهم الإنسانية، فالنفس إذا زكت وصحت واقتربت من التقبيل فاضت بالخير على من حوفا فلا تعبر الخير لها وحدها، ولكنها لا تظمن ولا ترضى ولا تجد السعادة حتى يعم الخير الناس جميعاً^(٦). وإذا مالت للدنيا فإنه يعمل كل ما تليه عليه نفسه الأمانة بالسوء، متبعة مسلك الشيطان، قال ﷺ: «إِنَّ عَزْرِي إِبْلِيسُ عَلَى الْخَيْرِ، فَيَتَعَثَّرُكَاءُ فَيَقْتَتُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَكْظَمُهُمْ قِتَّةً»^(٧). وبذلك يقع في عبودية الهوى ويسمى لنفسه والأخوين. ويكون

(١) فليد كزوري / لحة الأحاديث، مرجع سابق، ج ٧، كتاب التفسير، ص ٤٦٨، ر: ٣٠٣٨.

(٢) مسلم / صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٤، كتاب الق، ص ١٥٨٢، ر: ٢٥٧٣.

(٣) الترمذي / سنن الترمذي، مرجع سابق، ج ٤، كتاب الق، ص ١٤٨، ر: ٢٢٣٧.

(٤) الترمذي / سنن الترمذي، مرجع سابق، ج ٣، كتاب فضائل الجهاد، ص ٢٢٢، ر: ١٦٢٧.

(٥) للبصري / عهد أمين، لحات في وسائل الحرية الإسلامية وغايتها، ط ٤، ١٩٩٣هـ، حل الفكر: بيروت، ص ٢٣٢.

(٦) مسلم / صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٤، صفات المؤمنين، ص ١٧١٨، ر: ٢٨١٢.

والتي للربي الأول ﷺ كان حريصاً على تخلص أمته من سوء التصور لذلك كشف لهم عن نواحي ضعف النفس البشرية ووضعت القواعد لمعالجتها وتخليصها ، ووصل إلى أعماق النفوس فاحتث الشر من جذوره ، وحذر من عظيم الذنوب التي تغضب الله وتهلك الإنسان .

فربيته ﷺ عالية ، تعني بالفرد والجماعة والمجتمع ، وتهدف إلى صلاح النفس ونشر الخير ، ولا غبطه رد الإساءة بمثلها ، وينضج ذلك حلياً في وصيته ﷺ للرجل الذي قال له : اعهد لي . قال ﷺ : « لَا تَسْبِيْ أَخِيَّ » ، قَالَ : فَمَا سَبَبُ بَعْدَهُ خَيْرٌ ، وَأَنَا عَيْنٌ وَأَنَا بَعِيرٌ وَأَنَا ضَالٌّ ، قَالَ : « وَأَنَا تَحْتَكَرَنُ حَيْثَا مِنَ الْمُتَعَرِّفِ ، وَأَنْ لَّكَلَّمُ أَخِيَّ وَأَنْتَ مُتَبَسِّطٌ إِلَيْهِ وَخَفِيَّتُكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَعَرِّفِ ، وَارْتَفَعُ إِذَا رَأَاكَ إِلَى بَصْفِ السَّاقِ ، فَإِنْ أَتَيْتَ فَبَلَى الْكَفَّيْنِ ، وَإِنَّكَ وَإِسْتَالُ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمُحِبَّةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُحِبَّةَ ، وَإِنْ أَمَرْتُ شَقَمْتُكَ وَغَيْرَكَ بِمَا يَقْتَضِيْهِكَ فَلَا تُعْتَرِ بِمَا تَقْتَضِيْ فِيهِ فَإِنَّمَا وَقَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ »^(١) . يُؤرِّخ الحديث جواب تربية تتناول جانب التعامل ، فاللؤمن بسلوكه الذي ينبعث من إيمانه بالله يحافظ على حواصيه التي أنعم الله بها عليه ، فلا يستعملها إلا فيما ينبغي استعماله من وجوه الخير ، فلا يؤدي أحداً ؛ لقوله ﷺ : « الْمُؤْمِنُ غَرٌّ تَحْسِرُ مِنْهُ »^(٢) . في هذه الكلمات الوحيدة تظهر صورة المؤمن الذي وصفه نبيه ﷺ بأنه يتصف بالمساحة في حفظه الدنيا ، وقلة فطنته للشر وترك البحث عنه ، وليس يبغي مكر ، وليس ذلك جهلاً ولكنه كرم وحسن خلق^(٣) ، فهو مسخر حواصيه لطاعة الله . ومعين (عِبْتُ نَبِيَّيْ) محاذع يفسد بين الناس بالخداع ، وهي صفة سيئة لا تليق بالإنسان الصالح الذي أخذ من الصلاح غذاءً نفسياً يتقوى به على فعل الخير ، ويذكر قول للربي الأول ﷺ : « لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبِيْبٌ وَلَا نَحِيْلٌ وَلَا مَتَانٌ »^(٤) . هذا الحائز العظيم للغري الذي يتقوى العزيمة في التغلب على هوى النفس ، ويبعدها عن المعاصي والكبائر ، حياً وروحية في الحصول على الأجر والثوبة والفوز الحقيقي في ذلك اليوم العظيم ، وبلوغ الجنة .

(١) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٤ ، كتاب التيميم ، ص ٥٦ ، ر : ٤٠٨٤ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب القو ، ص ٣٨٨ ، ر : ١٩٧١ .

(٣) التذكار لكتوري / لغة الأعدوي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب القو والصلة ، ص ٢٧٧ ، ر : ١٩٦٤ .

(٤) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب القو ، ص ٣٨٨ ، ر : ١٩٧٠ .

١٠/ كان ﷺ يوحه أصحابه رضي الله عنهم إلى كل فعل يكمل الإيمان والسؤال عنه ، كما ورد في حديث ابن عمر : أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ الْفَضْلُ ؟ قَالَ : « أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » ، قَالَ : فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُ ؟ قَالَ : « أَكْثَرُهُمْ لَلْتَوَاتُ ذِكْرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَ اسْتِغْفَارِهِ ، وَأَوْلَاهُ الْأَكْيَامُ »^(١) .
يشير الحديث الشريف إلى القيمة الخلقية التي يتبسط بها سلوك العنصر البشري ، فهو الديناميكية الإنسانية التي توجه الإنسان نحو تصرفه في الحياة ، فحسن الخلق صفة عظيمة تصف بها سيد البشرية وشهد له بذلك ربه وأصحابه ، وحسنهم عليه ، بل وضع مغريات تجعل للؤمن حريصاً على التمسك بالخلق الفاضل أملاً في الحصول على المراتبة العظيمة التي وعد بها سيد المرسلين . كما في حديث عبد الله بن عمرو : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَضَعِّشًا ، وَقَالَ : « إِنَّ مِنْ أَحْسَنِكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ اخْلَافًا »^(٢) .
الحديث يشير إلى صفة لمربي الأول ﷺ وقد وصفه ربه بها ، قال تعالى : « وَإِلَيْكَ لَعَنِي خُلُقِي عَظِيمٌ » (القصص آية ٤) ،
إِنَّ حَسَنَ الْخُلُقِ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ لِسَلَامٍ ، ودرجته عظيمة ، لقوله ﷺ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُتْرَكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ فَرَجَّةً الصَّامِمِ الْقَدِيمِ »^(٣) ، وقوله ﷺ : « مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ »^(٤) .
تشير الأحاديث إلى أن حسن الخلق هو الدين كله ، لمولته العظيمة ، فمصدر الأخلاق هو الله ﷻ الذي أمر عباده بتطبيقها ، ووعدهم بيهيم ﷻ * ... بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه^(٥) ،
وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها الرسول ﷺ بقولها : (كان خلقه القرآن الكريم) ،
وذلك لمبادرته إلى امتثال ما يأمره به ربه وهو منشراح الصدر راغب في تنفيذ أمر ربه .

* فالأخلاق تأخذ اتجاهين : الأول نفسياً باطنياً والآخر سلوكياً ظاهراً^(٦) ، فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك

(١) ابن ماجه / سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الزهد ، ص ٥٢٠ ، ر : ٤٢٥٩ .

(٢) البحاري / صحيح البحاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ، ص ١٠٣ ، ر : ٢٤٨ .

(٣) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٥٩ ، ر : ٤٧٩٨ .

(٤) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٥٣ ، ر : ٤٧٩٩ .

(٥) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٥٣ ، ر : ٤٨٠٠ .

(٦) باطن / مقدار ، التربية الإسلامية الإسلامية ، ١٣٩٧ هـ ، مكتبة الخفائي : مصر ، ص ٦٤ .

المهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال الذبيحة سميت الهيئة التي هي للتصدر خلقاً سيئاً^(١) . وصرح بذلك عمر بن الخطاب حيث قال ﷺ : « إِنَّ أَلَمًا كَالْوَحْيِ يُؤَخِّلُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ الْوَحْيَ لِدِ الْقَطْعِ ، وَإِلَمًا تَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا مِنْهُ وَأَقْرَبَهُ ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سِرِّهِ شَيْءٌ ، اللَّهُ يُخَابِئُهُ فِي سِرِّهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْتَهُ وَلَمْ نَصُدِّكْهُ ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سِرِّكَ خَسَنٌ »^(٢) . يشير الحديث إلى أن من يظهر الخير من الناس يظن الناس به خيراً ، والعكس : من يفعل شراً يواخذ عليه ، حتى وإن كان باطنه حسناً ، فلا يعلم بسررائ الناس إلا خالقهم ، والتربية النبوية تربي الإنسان على صلاح الباطن الذي ينعكس على الظاهر ، فالإنسان الصالح في التربية النبوية هو الذي ينعكس باطنه على سلوكه ، فلا يكون تباين بين قوله وفعله .

وحسن الخلق لا يقتصر على التعامل البشري فقط ، بل له جانبان هما :

أ / تادُّب مع الخلق : أن يكون للسلم منشراح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه يفعل ما فُرض عليه ، طيب النفس به ، وينتهي عما حرم عليه ، راضياً به ، غير متضجر منه ، ويرغب في توافل الخير ، ويترك كثيراً من اللباغ لوجهه تعالى ، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله ، مستبشراً لذلك ، غير متضجر منه ، ولا متعصراً به^(٣) .

ب / وتادُّب مع الخلق : أن يكون متحماً لحقوقه ، يتساهل في تعامله فلا يعاتب على تقصير لزيارة مرض وغیره ، أو أحسن إلى الناس ، فلم يشكروه على صنيعه ، وغير ذلك من التعاملات التي تحدث بين الناس ، ويقابل الإساءة بما هو أحسن وأفضل وأقرب منه إلى البر والتقوى ، ويؤتي ما يجب لغيره عليه منها^(٤) . وبذلك يكون سهل العريكة ، لين الجانب ، طلق الوجه ، قليل النفور ، طيب الكلمة .

فإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه ، وقل معادوه ، فسهلت عليه الأمور

(١) القرطبي / أبو حامد محمد بن حميد ، إسهاء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ٥٠ ، دة المعرفة : بيروت ، ص ٥٣ .

(٢) البيهقي / صحيح البيهقي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الشهادات ، ص ٢٢٢ ، ر : ٦ .

(٣) ابن حميد / صالح بن عبد الله ، وأخرون ، نضرة النعيم ، ج ٥ ، ص ١٥٧١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٧١ .

الصعاب ، ولانت له القلوب للعضاب^(١) . كما بين ذلك ﷺ لأصحابه : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يُخْرَمُ عَلَى النَّارِ ، وَيَمْنُ تَخْرَمُ عَلَيْهِ النَّارُ ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هُنَّ سَهْلٌ »^(٢) . يشير الحديث إلى صفتين شملت كل التعاملات الإنسانية فهي لا تأتي من فراغ ، بل من سريرة تلبس نقشي الله وتعمل لمرضاته . فالمصالح وحسن التعامل ولين الجانب و صفات التواضع تحتاج إلى جملة لا يتقوّمها إلا من اصفته ذلّة بالصالح وفقوى ، وكذلك الإنسان السهل الذي هو ضد الصعب للشدة الغليظ في تعامله مع الآخرين ، لأن الإسلام لم ي عن الغلظة ، قال تعالى : ﴿ قَبِيحًا زُخْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِبَسَتْ لَهُمْ ﴾ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ (قال عمران آية ١٥٩) ، بهذا النهج الرباني استطاع ﷺ كسب كل من حوله ، حتى إهم قلّموا قوله على قلوبهم وفعله على أفعالهم ، يستاقون لصحبته والتقرب إليه وكسب رضاه . هذه التربية استطاع ﷺ إعداد أفراد منحوا هذا العالم حياة جديدة ، وألبسوا الحياة لبس المذهب واللعن ، تلك الحياة التي كانت قد تجردت عن المذهب بقصر نظر الإنسان وفكره الزائف وجهله بحقيقة الحياة .

١١/ بدأ النبي ﷺ توجيهاته النبوية في بناء الإنسانية من مستوى لم يبدأ به مصلح أو مربي ، فقد وصل المجتمع الجاهلي إلى آخر مستويات التلذذ والإسفاف في العاني الإنسانية الكريمة . لم أصبح كل فرد من أفراد الجيل الذي أعلمه الرسول ﷺ نموذجاً رائعاً للتربية النبوية ومفكرة وشرفاً للنوع الإنساني ، ولا توجد صورة إنسانية في العالم الواسع ، أجل وأروع وأشرف من هذه النماذج الإنسانية والأنماط البشرية ، باستثناء الأنبياء والمرسل عليهم السلام^(٣) .

وعادة الصورة مرة أخرى للعالم للعاصر الذي بين تحت ظل الجاهلية للعاصرة التي هي أشد وطأة من جاهلية قبل الإسلام ، فالجاهلية السابقة كانت تتعبط في ظلمات الجهل إلى أن جاء الإسلام وقادها إلى طريق النور ، أما الجاهلية للعاصرة فالتور لماتها وحولها وهسي تتعبط في ظلمات الغرب ، أضاعت التوابت والقيم الإسلامية فضاحت بين الأمم الجاهلة ،

(١) (القرطبي / أبو الحسن علي بن عبد ، أدب الدنيا والدين ، ٥ ، ت ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ص ٢٢٧ .

(٢) (القرطبي / ابن الترمذي ، مرصع سابق ، ج ٤ ، كتاب صفة القيامة ، ص ٢٢٠ ، ر : ٢٤٩٦ .

(٣) (القرطبي / أبو الحسن علي الحسن ، صورتان متضادتان لتتبع جهود الرسول الأعظم ، ١٤٢٣ هـ ، المصنف الإسلامي العلمي ، لكهن : القد ، ص ٦٩ .

وبعدت عن مخالفتها ، فبعدت عن الصواب ، وهدرت حسن الخلق ، فهدرت الطمأنينة والاستقرار ، وأصبح القلب مجاورها ، فلاذت إلى سوء الخلق ، وكان الخلاص من معانقها النفسية ، هو التعالي والانتقام من حولها ، لأنها تسر في طريق موحش ، فقدت الصدق مع ظانها ، فضاعت في بحر المفوى . والخلاص من هذا فيه سهل لكل مسلم يريد نور الإيمان ، عليه بالرجوع إلى منهجه الرباني الذي أوضحه غير البرية قاطبة ﷺ ، فيستمد منه قوته الإيمانية التي تطبع على قلب المؤمن أفضل السجالات البشرية فتجعله يتجمل بالصدق مع خلقه ومع نفسه ومع الآخرين ، فالصدق مشعل الهداية الذي يقوده إلى البر قال ﷺ : « إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرُّجُلَ لَيَصْدُقْ حَتَّى يَكُونَ صِدْقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرُّجُلَ لَيَكْذِبْ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذِبًا »^(١) . وقال ﷺ : « الْبِرُّ خُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْأَقْرَبُ مَا حَالَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ »^(٢) . يكشف الحديث عن الخائب الباطني للإنسان ، فإذا كان قوله يتناسب مع ضميره يكون صادقاً ، ويتصف بالبر الذي هو اسم جامع للخيرات كلها . كما يطلق على العمل الخالص الذي يهدي إلى الجنة ، مصداقه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (الانفطار آية ١٥) ، أما إذا كان قوله يخالف ضميره يكون كاذباً ، فظلمة الباطن تلود للنحر والصلاح ، أما الكذب فهو من قبائح الذنوب ، وليس حراماً عليه بل لما فيه من الضرر ، لذلك يؤذن فيه حيث يتعين طريقاً إلى المصلحة^(٣) ، ويمنع ما عدا ذلك ؛ لأن الكذب بجانب الإيمان ، وهو طريق الشيطان وبذلة كل إثم وذنوب ، وهو اسم جامع للنشر ، ويهدي إلى الفجور ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الْفُجُورَ لَفِي حَقِيمٍ ﴾ (الانفطار آية ١٤) ، فالفجور يطلق على الليل إلى الفساد والانغماس في للعاصي ، ومصاحبة الكذب تسوول إلى هجران الصدق ، فلا يمكن أن يتصف الإنسان بهما معاً ، وعليه أن يختار إما طريق الهداية ومصاحبة الصدق النابع من النفس ، أو طريق الكذب والمفوى ، الذي يجره إلى الفتن ، التي تنكت في قلب صاحبها نكتة سوداء حتى يسود قلبه ؛ لقوله ﷺ : « لَقُرْصُ الْفَقْرِ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصْرِ عَوْداً ، فَإِنَّ قَلْبَ أَهْلِهَا لَيَكُنْ فِيهِ لَكُفَّةٌ سَوْدَاءٌ ، وَإِنَّ قَلْبَ الْكَافِرِ لَيَكُنْ فِيهِ لَكُفَّةٌ

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٤٦ ، ر : ١١٨٠ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر ، ص ١٥٧٢ ، ر : ٢٥٥٣ .

(٣) السنن / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٥٠٨ ، ر : ٦٠٩٤ .

تعضاء حتى تصير على نقشب ، على أبيض مثل الصفا ، فلما نظرت فنتة ما كانت السموات والأرض ، والأخر أسود مرملة كاللؤلؤ نجس^(١) لا يعرف معروفا ولا يتصور متصوراً إلا ما أشرب من هواء^(٢) .
 بين طبيعة ذلك العضو الذي هو أساس حياة الإنسان ، ووصفه بوصف لم تصل إليه التكنولوجيا الحديثة والتراكم العلمي الخائل الذي لم العالم للعاصر . ومعنى تعرض أي تلصق بعرض القلوب أي حاتها كما يلصق الحصى بحسب النائم ، يؤثر فيه شدة التصاقها به . ومعنى عوداً عوداً أي تعاد وتكرر شيئاً بعد شيء ، فظهر الفتنة على القلوب فتنة بعد أخرى (كالصغير) أي كما ينسج الحصى عوداً وشظية بعد أخرى . ومعنى أشرها دخلت فيه دخولاً تلماً وأزمرها وحلت منه محل الشراب . وأنكرها أي ردعا ، ولم يشبه بالصفة لياضه بل لشدة على عقد الإيمان ، وسلامته من الخلل ، وأن الدين لم تنصق به ، ولم تسوّر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء ، أما القلب الذي لا يعي عوا فهو كاللؤلؤ للتحرف الذي لا يثبت لاء فيه ، فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك . ويكون قلباً مريضاً ، فتبع الإنسان هواه ويرتكب المعاصي فبدخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة ، وإذا صار كذلك أفتن وزل عنه نور الإسلام^(٣) . فيصبح عند الحق باطلاً ولهاطل حقاً . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصافات ٥) .

وعند التمييز بين الحق والباطل من الأمراض للعاصرة التي تمر الويل والهلاك لصاحبها ، ولغوي به في ظلمات الجهل وتفقد نور الإيمان والعلم ، قال تعالى : ﴿ وَالْقَوْمُ اللَّهِ وَيُعْلِمُكُمْ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِصَكْبٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة آية ٢٨٢) ، فالإيمان بالله ولوازمه وأركانه وسنته والبعد عن توافقه كلها طرق لهدب النفس البشرية وتنقيتها ، والقلب ملكها في ذلك ، فإذا زكى ذلك القلب فالأعضاء عسكره للطبع لأمره^(٤) .

١٢ / لا يقف التوجيه التربوي عند تنقية القلوب والضمائر من الذنوب ، بل يقيم مبدأ

(١) فُكِّرُوا شَيْئاً : تَتَكَبَّرُوا .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ١١٦ ، ر : ١٤٤ .

(٣) شوقي / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، ص ٣٢٩ - ٣٣١ ، ر : ١٤٤ .

(٤) ابن تيمية / أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، تركبة النفس ، ١٤١٦هـ - دار السلام : الرياض ، ص ١٥ .

في التعامل ، وسياجاً من الرفق مع الناس ورحمتهم ، فتكون الألفة التي بدورها المحبة وثمرتها
 رحمة رب العباد ؛ لقوله ﷺ : « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ
 فِي السَّمَاءِ »^(١) . فالرحمة لا تصدر من قلب قاسٍ ، بل هي عنوان رقة القلب وثمره من لمرات
 حسن الخلق الذي يهدي إلى حسن الأقوال والأفعال ، وقاعدة حسن الخلق لبين الجانب
 والشماع ، فقلوبهم يجب أن يكون سهل الخلق كرم الشمال ، يتغاضى ويحسن . كما
 وصفه القاضي التنوخي :

الذي العدوُّ يرحمه لا يُطوب^(٢) به يكاد يقطر من ماء البشاشات
 فأحرزُ الناس من يُلقي أعاديه في جسم حقد وثوب من مودات
 أرفقُ بمن وحيرُ قسول لحده وكثرة للشرح مفتاح العداوات
 وقال الريح للشافعي :

لما عفوت ولم أحقد على أحدٍ أرحت نفسي من هم العداوات
 إن أحسى عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات
 وأظهر البشر للإنسان أبغظه كأنما قد حشا قلبي محبات
 ليس داء دواء الناس قُرْبُهُمْ وفي اعتزالهم قطع للودائ^(٣)

وليس معنى ذلك أن يتق الإنسان بكل الناس ويركن إليهم ، بل يتعامل معهم بطيب
 نفس وما أمره دينه ، ويكون حذراً من غلرهم ، فالعداوة إذا استحكمت في الطباع ،
 صارت طبعاً لا يزول ، وخير الناس هم الأحسن خلقاً .

١٣/ إن الأخلاق تشمل جميع الصفات الحسنة ، التي تسمو بالمومن . فهناك العديد من
 الأخلاق التي رز الله ﷻ للمؤمن عليها ، وهناك أقوال وأفعال على ﷻ عنها من أجل تكوين
 الإنسان الصالح . ومن هذه الأفعال التي غي ﷻ عنها التعلاني على الآخرين كما ورد في الحديث :

(١) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٨٥ ، ر : ٤٩٤١ .

(٢) القلوب : أي يزول شره من عبه وبعض .

(٣) للزوردي / مرجع سابق ، ص ١٨٣ ، يعني الناس لاسيما الأعداء والحساد مرضي ، وعلاجهم ملائمة بالشر
 والعلامة .

سابق رسول الله ﷺ أغرابي فسقة ، فكان أصحّاب رسول الله ﷺ وجدوا في أنفسهم من ذلك ، قيل له في ذلك ، فقال : « حق على الله أن لا يرفع شيء نفسه في الدنيا إلا وضعه الله » .

يتبين من الحديث الشريف تطبيق عملي يجسد صورة نموذجية في فن التعامل مع الآخرين ، ومكانة هذه اللوحة عند الله ﷻ ، فقد استعظم الصحابة ﷺ فعل الأعرابي ، كيف يسبق النبي ﷺ وهو أعظم مخلوق على الأرض وصفوة البشرية ونبيهم الذي ميزه رب العالمين على الخلق أجمعين ، فبين لهم للمري الأول ﷺ بأن الإنسان لا يتعالى ولا يرفع نفسه ، ومن فعل ذلك وضعه الله ، أي قلل من شأنه وأنزل من قيمته ، فالترية النبوية تعمل على تكوين الإنسان الصالح ، وذلك بتريته على الفضائل والمعاملة الحسنة وطيب الحديث ، ليس من أجل التعامل مع ناس معينين ، وإنما ليتخذها الإنسان منهجاً وسلوكاً في حياته ، فترية الإنسان على الفضائل لا تقف عند حدود معينة ، بل من أجل التعامل مع البشرية جميعاً . وهذا الحديث تربية أخلاقية وإصلاح للنفس البشرية ، فالإسلام ينظر للإنسان بأنه ككل متكامل ، فهو كما يرتقي بالجانب الروحي والعقلي والجسدي يسمى أيضاً بالجانب الإرادي الذي يركز عليه الإنسان في كل شؤونه .

فالإرادة إما أن تملك الإنسان وإما أن يملكها ، فإذا تغلب على إرادته وقادها إلى طاعة الله وتطبيق أوامره يكون إنساناً صالحاً قوي الإرادة والعزيمة ناقل البصيرة ، كرم الخلق ، جم الفضائل ، يعرف واجبه تجاه خلقه ، ويتساوى مع عباده ، فلا يتعالى ولا يسطع فروقاً اجتماعية مع غيره ويتخلص من هذه الآفة التي تمحق حسن الخلق ، وهنا يكون التميز بين الإنسان الصالح ، والواطن الصالح ، فنظرة الإسلام للإنسان نظرة شاملة متكاملة ، بخلاف النظرة للادية التي تحذر احترام الإنسان وحرياته ، وتذهب بكرامته ، وتضع أنظمة لزيادة تحقيره ، لأنها تحذر من القيم الروحية وتقدر القيم الأدبية ، تنظر إلى الجانب المادي الإنساني فقط . أما للتهج الرباني الذي يحترق الجسم ويخاطب الروح ويرتقي بها إلى مستوى القطرة السوية ، ويسعى لزيادة العمل الصالح الذي يمتد أجره إلى ما بعد الموت ، فيكسب التسليم دنياه وآخرته . فموقف للمري الأول ﷺ من الأعرابي فيه تربية للنفس وإذابة للفوارق

(١) السامي / سنن السامي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الخلق والخلق ، ص ٥٨١ ، ر : ٣٥٩٤ .

(٢) إبراهيم / دنياه مصطفى ، تصور لتطبيقات تربوية ملائمة لنظرة الإسلام إلى الإنسان ، ١٤١٠ هـ ، ص ١٣٢ .

الاجتماعية ، التي تكون سبباً في كثير من المشكلات الاجتماعية ، وإلغاء هذه الفروق بين المسلمين بغرس المحبة بينهم ؛ لأنه ﷺ يريد أن يصنع مجتمعاً متآخراً يحب أفرادهم بعضهم بعضاً ، ولا يتعالى أحدهم على الآخر ، ويكون بين المسلمين الاحترام والتقدير .

١٤ / قرن ﷺ شكر الله بشكر الناس ، قال ﷺ : « مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ »^(١) . في الحديث الشريف صفة يتبين من خلالها الإنسان الصالح عن غيوه ؛ لأنه من يكون طبعه وعادته كفران نعمة الله تعالى وعدم الشكر لمعروفهم ، ويكون من عادته كفران نعمة الله تعالى وترك الشكر له ، والإنسان الصالح من طبعه حفظ الحقوق ، والتعامل بالمعروف مع الناس ، وورد في معنى الحديث الشريف أيضاً أن الله ﷻ لا يغفل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر بمعروفهم ؛ لاتصال أحد الأمرين بالأخر^(٢) .

١٥ / إن من التوجيهات النبوية التي تشمل الصفات الصالحة التي تؤلف بين القلوب ، وتدفع القرح والسرور على النفس الإنسانية ، أن أمر ﷺ أمته أن يتصفوا باليسر ، ويتجنبوا العسر ، وأن يكونوا مبشرين غير منفرين ، قال ﷺ : « يَسِّرُوا وَتَقَرُّوا ، وَتَسَرُّوا ، وَتَسَا لَعَسَّرُوا »^(٣) . لتأمل في الحديث يستشعر فائدة الأمة الإسلامية إليه في الواقع للعاصر . فالمرى الأول ﷺ يوجه أصحابه - والتوجيه عام للأمة الإسلامية - بأن ييسروا الناس بقبول الله الطاعات ، وإتائه عليها ، وتوفيقه للتوبة من المعاصي ، وعفوه ومغفرته . ولا يخوفوهم بالمبالغة في إنذارهم حتى تجعلهم قائلين من رحمة الله بلذونهم وأوزارهم ، ويسهلوا عليهم الأمور ، وتؤخذ الزكاة باللطف ، ولا يضعوا عليهم بأن يأخذوا منهم أكثر مما يجب عليهم أو أحسن منه ، أو يتبع عورائهم ونجس حالاتهم^(٤) . فالترية النبوية تطرق النفس الإنسانية بأدب ولطف ، وتوقدها بطاعة وورعية إلى تقليد أمر الله من غير تعسف وجبروت ولغديت ووحيد ، فلتقبل على الدعوة يكون غرضاً طرياً لا يتحمل العنف ، فإذا تعمق للمسلم وعرف أمور دينه وتجاوز حدوده فهذا يكون العقاب ، وهذه الطريقة التعليمية لها قوة تأثير عسى

(١) شرملي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب البر ، ص ٢٨٢ ، ر : ١٩٦١ .

(٢) الباركلوري / لجنة الأحرار ، مرجع سابق ، ج ٥ / كتاب البر والصلة ، ص ٣٦٨ ، ر : ١٩٥٤ .

(٣) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٦٠ ، ر : ٤٨٣٥ .

(٤) العظيم آبادي / عون المعبود ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٦٦٦ ، ر : ٤٨٢٧ .

النفس الإنسانية ، فهي تقبل على المسيرين البشريين وتفر من المعسرين للتفرين ، وهي صفة تتميز بها الإنسان الصالح الذي يمثل دينه وعقيدته ، فيكون سهلاً لطيفاً في تعامله ، غيور متعزف في أسلوبه .

إن التربية النبوية عنيت بالأخلاق الإنسانية على نحو يختلف عن عناية الفلاسفة الغربيين في العصور القديمة والحديثة ، وعن الفلاسفة والحكماء الشرقيين على السواء ، فقد تحدث كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو عن الأخلاق ، كل من منظوره الفلسفي والاجتماعي والسياسي ، ولكنهم لم يقدموا معايير أو مَنكَّات عملية للعمل الأخلاقي . وحلَّقوا (علم الأخلاق) ، ولكن لم يقدموا معايير العمل الأخلاقي أو منظومة عملية للقيم ، تطبق في المجتمع والواقع العملي ، ولم تساعد الفلسفة الأخلاقية في حل مشكلات الإنسانية في مسارها التاريخي نحو المستقبل . وبقيت الإنسانية تعاني أزمة أخلاق ، في حين أن الإسلام قدَّم إطاراً فكرياً وعملياً للأخلاق هدى ورحمة^(١) ، لكي تُسعد الإنسانية وتحقق الغاية من وجودها - طاعة الله ، وإعمار الأرض - وهذا ارتقت التربية الإسلامية إلى تربية عالية ترتبط بحقيقة الإنسان أينما كان وفي أي عصر ، فالإسلام دين غير وسلام . فالإنسان لنسلم لديه رادع يردعه عن الإساءة للآخرين ، أو ارتكاب ما حرم الله ، والوقوع فيما لم يحرم الله ، لأنه يؤمن باليوم الآخر والثواب والعقاب الذي سيناله في الآخرة جزاءً لأفعاله^(٢) . من هذه التربية يأتي الاعتقاد الصحيح للإنسان الصالح الذي يتبع هدى الله ، فهدي الله لا يترك النفس حيارى يتحبطون في التيه ، كل منهم يرسم الصورة على هواه ، وإنما يحدد لهم مواصفات هذا الإنسان في دقة ووضوح ، ويرسم لهم للنهج الذي يصلون به إلى تحقيق تلك الغاية^(٣) .

وقال ابن الرومي :

كن مثل نفسك في السمو إلى العُلَى لا مثل طينة جسمك الغدار

(١) مكتب التربية العربي / الفكر التربوي العربي الإسلامي ، الأصول والمبادئ ، ١٩٨٧هـ ، ص ٤٢١ .

(٢) إبراهيم أ. بنه مصطفي ، تصور لتطبيقات تربية ملامحة لنظرة الإسلام إلى الإنسان ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٣٩ .

(٣) قطب / عبد ، منهج التربية الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ، دار الشروق : القاهرة ، ص ١٤ .

فالنفس تسمو نحو علو ملكها والجسم نحو السفل هــ هـ^(١)
وقال الشاعر :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا سرى إلى قلبها تمنع^(٢)

هذه الأخلاق يسمو للمؤمن ويرتقي بترتبه النبوة التي سبقه أجداده عليها ، فطريقه واضح ومنهجه مشرق ، يختلف عن منهج أولئك الضالين الذين يريدون أن يتبعوا آباءهم على الضلالة ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ سَكَانَ الشَّيْطَانِ يَذْعَبُهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (نساء آية ٦١) ، فلولو بالنسبة أن يتبع منهج سيد البشرية ، في تعامله وسائر أمور حياته حتى يظهر نفسه ، ويذكرها من أدران الواقع الذي أصبح يغشى للمؤمن ليخرجه إلى حياة اللهو والضلال . وبالتالي يخرج عن نطاق التربية النبوية ، التي تربي المؤمن تربية شاملة متوازنة ومتميزة كونها ربانية " تقدر وجود حقيقة مادية وأخرى روحية في كيان الوجود ، وفي كيان الإنسان ، ومن ثم تنظم حياة الإنسان على أساس واقعته المادي وواقعته الروحي ، لأنها لا تريد أن يعيش في السماء وهو في الأرض ، ولا أن يعيش منعصماً في الحياة الأرضية للمادة وحدها ، فعلة أوسع من عالم الحياة للمادة- لأن في كيانته وجوداً روحياً- لهذا فهي تريد أن تجمع له حياة العالمين معاً : عالم للمادة ، وعالم الروح ^(٣) ، قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۚ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ ﴾ (السجدة آية ٧-٩) ، الآية الكريمة فيها استدلال على أن الله ﷻ أحسن خلق الإنسان في جملة إسمان خلق كل شيء ، ويتعصم خلقه بالذكر لما فيه من أطوار عجيبة تتكرر كل يوم أمامه ، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، فأصله من تراب ، ثم كُوِّنَ فيه نظام النسل من ماء ، وفي خلقه دقات

(١) ابن الرومي / أبو الحسن علي بن العباس بن جرير ، ديوان ابن الرومي ، ١٤٢٣هـ ، دار الكتب العلمية ، مصر ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

(٢) ابن حيد / صالح عبد الله ، وآخرون ، نظرية النعيم ، ج ٥ ، ١٤٦٨هـ ، ص ١٥٨ .

(٣) باشن / معتاد ، التربية الأخلاقية ، ١٣٩٧هـ ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

ظاهرة و باطنة وأعظمها العقل ، فهو معجزة عظيمة في الإنسان . وإضافة الروح إلى ضمير الجلالة للتبوية بذلك السر العجيب الذي لا يعلم أدق تكوينه إلا هو ﷻ ، فالإضافة تفيد أنه من أشد العلويات اختصاصاً بالله تعالى ، واتفق بين الروحانية في الكيفية المسندة مع الإبداع في خلقه ، وجعل ﷻ الخطاب موجهاً للناس بأن خصهم بسمع وبصر ، وكلمة أفيدة أجمع من كلمة عاقلين ؛ لأن القواد يشعل الخواص الباطنة كلها والعقل بعض منها ، وآثر بالامتنان الإنسان لأنه قليل ما يشكر نعم الخواص وقوى العقل ، التي هي أقوى من الامتنان بالخلق وتسويته ؛ لأن الاتضاع بالخواص والإدراك متكرر متجدد ، فهو محسوس بخلاف التكوين والتقوم فهو محتاج إلى النظر في الكون الذي سخره الله له ، وجعله يتناسب معه ، فصلاية الأرض مثلاً للسمر عليها ، ورقة الهواء ليسهل استنشاقه للتنفس^(١) . والحيوانات ليتنفع بها . وكل ما حوله مسخر له . وسوف يتم تناول الأحاديث الثبوتية التي توضح حدود وكيفية العلاقة بين الإنسان والحيوان ، كما تبين صلة الإنسان بما حوله - من أرض وحيال ورياح ومطر - ولتنافع التي تحصل عليها وتعينه على مطالب الحياة الضرورية .

١ - صلة الإنسان بالحيوان :

كل مكونات الكون مسخرة بأمر الله ﷻ للإنسان ، ما عليه إلا أن يفكر ويتدبر في الكون ويوجه هذا السحر لصالحه ، وقرآن الكريم ذكر كثيراً من آيات الله في الكون ، وبلفت انتباه عباده إليها كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَنَاعِلَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجْتَدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (قصص آية ٢٠) ، هذه اللفتة المكررة بشق الأساليب تبدو جديدة في كل مرة ؛ لأن هذا الكون لا يزال يتجدد في الحس كلما نظر إليه القلب ، وتدبر أسرارهِ ، وتأمل عجائبهِ التي لا تتفد ، ولا يبلغ الإنسان في عمره المحدود أن يتقنها ، وهي تبدو في كل نظرة بلون جديد ، وإيقاع جديد . ويعرضها القرآن الكريم من زاوية تتناسق بين حاجات الإنسان على الأرض ، وتركيب هذا الكون^(٢) . وجاءت السنة النبوية مكتملة لما جاء في القرآن الكريم

(١) ابن عاشور / محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج ١٠ ، دار مسنون للنشر : تونس ، ص ٢١٥-٢١٧ .

(٢) فطاب / سيد ، مرجع سابق ، في ظلال القرآن ، ج ٥ ، مرجع سابق ، ص ٢٧٩٢ .

وموضحة في كثير من الأحاديث صلة الإنسان بمخلوقات هذا الكون العجيب ، وأن كل ما في هذا الكون مسخر لحضته ، ولكن لم يجعل هذا التسخير مطلقاً بل حددت له شروطاً وموانع ، فكل مخلوقات الله تحتاج إلى إحسان وحسن تعامل مع غيرها من المخلوقات ، فالسلم هو للسلم بأعلاقه وإنسانيته ، لأن ربه يرافقه حيثما كان . ولا يمكن حصر الأحاديث التي تناولت هذا الجانب ، ولكن سوف يُذكر منها - إن شاء الله - ما يوضح تربيته ﷺ لأصحابه وتوجيهه لهم باستخدم الرفق والرحمة بكل مخلوقات الله . فعَنْ شَذَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : حَصَّيْنَا سَمْعَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَفْشُوا » ، قَالَ غَيْرُ مُسْلِمٍ : يَقُولُ : « فَأَفْشُوا الْفُتْلَةَ » ، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَفْشُوا الدَّمَ ، وَلْيَحِدْ أَحَدُكُمْ شَفْوَةً وَلْيُخْرِجْ ذَبِيحَتَهُ ^(١) . يظهر في الحديث شمول النهج الرباني والشرعية النبوية ، لأن صفة الإحسان تصل إلى مرتبة تزكية النفس ، ويندرج تحتها الفضائل والصفات الخلقية ، فمن كان الإحسان طبعه فقد وصل إلى المرتبة التي يرضعها له ربه ، فقد أمره ﷺ بالإحسان في كل شيء ، واختيار أسهل الطرق وأقلها إيذاءً ، - وهذا في الحيوان فمن سبب أولى في التعامل مع الإنسان للكريم من الخالق ﷻ - ولا يُبهر الحيوان بعنف عندما يريد ذبحه ، ولا يذبحها بحضرة أخرى ، ويجعل أداة الذبح حادة ، حتى يسرع في السذبح فلا يؤذيها ، ويستحب أن لا يحد بحضرة الذبيحة ، « وَتُخْرِجْ ذَبِيحَتَهُ » ، وراحتها تحصل بسفيها ، وإمرار السكين ليسرع موتها فتسريح من الله ^(٢) .

فهذه البهائم سحرها الله ﷻ للإنسان وفيها عورة ومنافع كثيرة ، ورد ذكرها في القرآن الكريم ، قال تعالى : « وَإِنْ لَكُنْزِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّذُنُبِكُمْ مَا فِي بَطُونِهِمْ مِنْ ذَبَّحٍ مُّقْتَدِرٍ وَهُمْ لَبِئْسَ خَالِصًا سَاهِبًا لِلشُّرَكِيِّينَ » (النحل آية ٦٦) ، تشير الآية الكريمة إلى أهمية اللبن ، الذي يعتبر أكمل الأغذية من الناحية البيولوجية ، رغم أنه ينقصه قليل من العناصر الغذائية ، ورغم ذلك يعد أفضل من أي غذاء مضر وحيد ، ولا تقارن أي مادة غذائية أخرى مع اللبن ، وذلك لاحتوائه على اللوات الغذائية الأساسية والضرورية ، التي لا يستغني عنها جسم الإنسان

(١) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٣ ، كتاب الأضاحي ، ص ١٠٠ ، ر : ٢٨١٥ .

(٢) العظيم آبادي / عون المبرور ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الضحايا ، ص ٢١٣ ، ر : ٢٨١١ .

في جميع مراحل نموه وتطوره ، فهو من أحسن الأغذية للأطفال والناشئين والبالغين والسنين على السواء لقيمته الغذائية المرتفعة ، ويكسبهم مناعة ضد كثير من الأمراض^(١).

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُمَّ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ وَلَكُمْ فِيهَا خَلٌّ حَبِيرٌ قُتِرُوهُنَّ وَحَبِرٌ قُتِرُوهُنَّ ﴿ (التحل آية ٥-٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ أَسْوَاقُهَا مِثْرُهَا وَأَسْعَارُهَا أَتَتْهَا إِلَى حَبِيرٍ ﴾ (التحل آية ٨٠) ، الآيات السابقة تبين منافع الأنعام وفوائدها ، فقد هيأها الخالق وسخرها للإنسان ، وطالبه بحقوقها ، فهذه الأنعام تسر في مسارها التي خلقت لأجله ، ويستفيد منها الإنسان فوائدها عظيمة ، ومنافع جليلة ، وذو العقول المستقيمة يرون في الحيوانات عظمة الخالق ، وحكمته التي تحرر الألباب ، فهل الإنسان للكريم من الله ، المسحر له الكون بمخلوقاته أدى الحقوق التي عليه ؟ واتبع للنهج النبوي في صلته مع الأنعام ! إن الواقع يشهد أن كثيراً من الناس تجاهل جانب الرحمة نحو الحيوان ، فأحلمها وفصر في واحدتها . فَمَنْ سَهَّلَ ابْنُ الْحَنَظَلِيَّةِ قَالَ : مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَبِعُ قَدْ لَحِقَ ظُهُرُهُ بِعَطِيٍّ فَقَالَ : « أَتَقُولُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُتَغَصَّصَةِ فَارْكُوبُهَا مَبَالِحَةً وَتَكُلُّوْهَا صَالِحَةً »^(٢) . وَحَنَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَقْفَرٍ قَالَ : لَزِدْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِلْفَةً ذَاتَ يَوْمٍ ، فَدَخَلَ خَبَطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَوَدَّ جَمَلًا ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْءَ ﷺ حَنَّ وَفَزَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَكَأَنَّهُ الشَّيْءَ ﷺ فَمَسَحَ دِفْرَاهُ فَسَكَّتْ ، فَقَالَ : « مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ » فَجَاءَ فَنَی مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « أَفَلَا تَقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْبَاسِي مَلَكَتْ اللَّهُ إِلَهاً ؟ فَإِنَّ شَكَاكُ إِلَهِكَ لَجَبْرٌ وَمُتَبَدِّلٌ »^(٣).

نما سبق يتضح أن التقوى مطلوبة من المؤمن في تعامله مع كل ما حوله ، فقوله ﷺ : « أَتَقُولُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُتَغَصَّصَةِ » أي خالقوا الله فيها ، فهي لا تتكلم لتسأل ما لها من

(١) شجاعت / أحمد علي ، وآخرون ، الذين ومكوناته ، من لوجه الإعصار العلمي ، رابطة العالم الإسلامي ، هيئة الإعصار العلمي في القرآن الكريم ، قصة ، مكة المكرمة ، ص ١٤ .

(٢) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٣ ، كتاب الجهاد ، ص ٢٣ ، ر : ٢٥٤٨ .

(٣) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٣ ، كتاب الجهاد ، ص ٢٣ ، ر : ٢٥٤٩ .

الجوع والعطش والتعب والمشقة^(١). من ذلك يستشعر المؤمن عظمة الشجع الرباني الذي قدر كل الأمور ووضح الحقوق ، وتصدرت تطبيقه التربية النبوية التي تطالب المسلم أن يكون لطيفاً رحيماً في كافة تعاملاته ، حتى مع الحيوانات ، فاللطف والرحمة صفتا الخالق ﷻ ، وكل مخلوق يحتاج إلى الإحسان ليس الإنسان فقط ، فاليهائم نعمة عظيمة أكرم الله بها الإنسان وعليه أن يحافظ عليها ، لأن منافعها تعود عليه ، فهو يأكل من لحومها ويشرب ألبانها ويلبس من صوفها ، ويبني مسكنه من وبرها وأصوافها ، ويركبها في سفره ، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية توجه الإنسان وتخطب كل حاسة وكل جارحة في كيانه الإنساني ، وتوجه إلى العقل الواعي كما توجه إلى الوجدان الخسائي . تخطب العين لترى ، والأذن لتسمع ، واللمس ليستشعر ، والوجدان ليتأثر ، والعقل ليتدبر . ولا يصمد أمامها من غير تأثير إلا العقل المغلق ، والقلب الميت ، والخس للطموس^(٢).

فصلة الإنسان باليهائم صلة منافع ومصالح ، صلة تميز بين قوي قادر وضعيف مسخر ، فالواجب على من يمتلك هذه اليهائم أن يطعمها ولا يتركها جائعة ، فهي تحس وتشتعر وتعاني ، كما يعاني الإنسان ولكن لا تستطيع أن تشتكي ، لذلك فرحمتها والإحسان إليها يكون نافع من عرف الله ، وهنا يتميز الإنسان الصالح الذي يخشى الله في كل سلوكه ، فلا يصدر منه إلا السلوك الحسن والخلق النبيل مع كل من يتعامل معه .

وتطبيق التربية النبوية يكون بالفعل والقول ، لذلك فالمسلم محاسب حتى في أنفائه ، كما ورد عَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ ، قَالَ : تَلَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَمْتَارِهِ ، وَافْتِرَاقَ مَنْ الْأَصْبَارِ عَلَى نَاقَةٍ ، فَصَجَرَتْ فَلَعَلَّتْهَا ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « خَذُوا مَا عَلَيْهَا وَذَغُوهَا ، فَإِنَّهَا مُنْعَوَةٌ »^(٣). في الحديث زجرٌ للمرأة وغيرها ، ولهي عن اللعن ، وعوقبت للمرأة بإرسال الناقة ، ولتراد النهي عن مصاحبتها لتلك الناقة في الطريق ، وأما بيعها وذبحها وركوبها في غير مصاحبتها ﷺ يجوز ؛ لقوله ﷺ : « لَا تَصَاحِبُوا نَاقَةَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةٌ » ، وقوله ﷺ : « لَا يَنْهَسِي لِصَدِيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعْنًا ، وَلَا يَكُونَ اللَّعَانُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ؛ لأن اللعنة في الدعاة

(١) لشمس آبادي / عون العمود ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الهفاد ، ص ٥٠ ، ٢٥٤٥ .

(٢) قطب / سيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ١٤٠٠هـ ، ج ٤ ، ص ٢١٥٨ ، سورة النحل .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، ص ١٥٩٠ ، ر : ٢٥٩٥ .

يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى ، وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين ، وقد ورد في الحديث الصحيح : « لعن المؤمن كفته » ؛ لأن القاتل يقطع عن منافع الدنيا ، وللعن يقطع عن نعم الآخرة ورحمة الله تعالى ، وقبل : معن لعن المؤمن كفته في الإثم . وهذا يختلف عن اللعن للباح وهو الذي ورد الشرع به ، وهو لعنة الله على الظالمين ، وقوله ﷺ : « لعن الله الواصلة والواصلة »^(١) . والرسول ﷺ لا يلعن إلا من فعل محرماً ، ولعن الوشم لا يقتصر على الإنسان ، بل شمل الحيوان أيضاً ؛ لقول جابر رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ فرغ عليه بجناب قد وسم في وجهه فقال : « أَمَا بَلَعْتُمْ أَلِيَّ لَدَ لَعْنَتِي مَنْ وَسَمَ الْبَهْمَةَ فِي وَجْهِهَا أَوْ ضَرْبَهَا فِي وَجْهِهَا » ؟ فَتَنَى عَنْ ذَلِكَ »^(٢) . للتأمل في الحديث يستكشف أن الإسلام حرم وسم الحيوان في وجهه ، وهو منهي عنه بالإجماع ، وأما وسم غير الوجه من غير الأدمي فحلال بلا خلاف ، وكذلك حرم الضرب في الوجه ، وذلك يفيد أنه في الإنسان أشد ؛ لأنه يجمع الحسن ، وربما يكون فيه أذى بعض الحواس^(٣) . وبذلك يكون النهي عن ضرب الوجه واضحاً وصريحاً ، ولكن الواقع للعاصر أصبح يش من كثرة التصرفات الخفقاء ، وتكون أعظم حاقة عندما تصدر من شخص يعمل في مجال تربوي ، ويتناول على المستعلمين بالضرب على الوجه ، غير مبالي بالأحكام ، ويفعل ما يريد معتقداً أن ذلك تأديب وتأنيب ، متجاهلاً أن هذا الفعل فيه تحقير وإهانة للمتعلم ، فإذا لم تطبق التربية النبوية في المؤسسات التربوية فأيكون يكون مجالها ؟ فهذه المؤسسات تنتج كل اللؤهلات والتخصصات ، تربى الفرد لذاته تكون شخصيته وإنسانيته ، على منهج قوم ، فإذا المعلم لم يطبق التربية النبوية ويسلك للنهج الرباني ، فكيف يطبق للمعلم أمراً يسمعه ولا يرى تأثيره حياً مشاهداً ؟ عندما يلوب صلاح النفس إذا لم يجد البيئة التي تفرس على تقوم الحلق للرج ، وتوجيه النقص ليصل إلى الكمال . فمن تعود على ممارسة عمل ما وتصل فعله مع من حوله ، فالتعود على الطبع السيئ يغلب صاحبه ، والعكس : من كان الإحسان طبعه أحسن إلى كل من حوله ، فالفرق أمر مطلوب من للمسلم ، فقد كان للربي الأول ﷺ يوصي أهل بيته

(١) الثوري / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب الوصية والآداب ، ص ١١٤ ، ر ٢٥٩٥ .

(٢) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٣ ، كتاب الجهاد ، ص ٢٦ ، ر ٢٥٦٤ .

(٣) العظيم آبادي / عون للعود ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الجهاد ، ص ٥٨ ، ر ٢٥٦١ .

بالرفق ويذكر أصحابه دائماً بأهمية الرفق ، قال ﷺ : « باعاشة إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه »^(١) ، وقوله ﷺ : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه »^(٢) . وقوله ﷺ : « من حرم الرفق حرم الخير . أو من حرم الرفق حرم الخير »^(٣) . الأحاديث تظهر مودة الرفق في الإسلام ، فانه ﷺ يحب الرفق ويحب عليه أكثر من أي شيء آخر ، ووصفه للمري الأول ﷺ بأنه يزين العمل ويحسنه ، ويحب لصاحبه الخير ، خلاف العنف الذي يرم صاحبه الخير . فمن صدر منه عنف ، عليه أن يعدل عمله ويزينه بالرفق ، كما وجه للمري الأول ﷺ أصحابه في الحديث عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَقَرٍّ فَاطْلُقَ لِحَابَتِهِ ، فَرَأَيْنَا خِمْرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذَهَا فَرْخَتَاهَا ، فَخَادَتِ الْخِمْرَةَ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُهُ فُجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِرَأْسِهِ ؟ وَذُؤُوا وَلَذَهَا إِلَيْهَا » ، وَرَأَى فَرْخَةً تَسْلِي قَدْ خَرَّقَتْهَا فَقَالَ : « مَنْ خَرَّقَ هَذِهِ ؟ فَلَنَّا : نَحْنُ » ، قَالَ : « إِنَّهُ لَا يَتَّبِعِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ »^(٤) .

فالتربية النبوية عندما تلم أمر أو تنهى عنه ففي تركه منافع للإنسان فالأولى بالعقل الفطن أن يعي حقيقة النهي ويتبعد عنه ، وفي ذلك صلاحاً له ، ومن صلاح النفس للزينة أن تدع ما يريها ولا تفعل إلا ما توحى به فطرتها السليمة وتتبع للنهج القويم ، وتطبق ما جاءت به التربية النبوية ، حتى تتحقق الصلة الصحيحة بين الإنسان والمخلوقات الأخرى ، فيكون بذلك شكر النعمة ، ولا تفعل كما فعل السابقين ، يحتالون على التوابعي ويخالفون أنبياءهم ، ويتعدون على حدود صلتههم بالمخلوقات ، لقوله ﷺ : « عَامَ الْقَيْصِ ، وَمُوَ بِمَكَّةَ : « إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْعَبْدِ وَالْأَمْتِ » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ ، لَأَنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّكْنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ ؟ فَقَالَ : « لَا ، هُوَ حَرَامٌ » ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَاتِلِ اللَّهَ الْيَهُودَ » ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا ، أَجْمَعُوا ثُمَّ نَافَعُوا ، فَأَكَلُوا قَتْلَهُ »^(٥) . يفيد الحديث أنه لا يجوز الانتفاع بشحم الميتة

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، ص ١٥٩٠ ، ر : ٢٥٩٣ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، ص ١٥٩٠ ، ر : ٢٥٩٤ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، ص ١٥٩٠ ، ر : ٢٥٩٢ ، (٧٦) .

(٤) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٣ ، كتاب الجهاد ، ص ٥٥ ، ر : ٢٦٧٥ .

(٥) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الصلاة ، ص ٩٧٨ ، ر : ١٥٨١ .

في شيء أصلاً لعدم النهي عن الانتفاع بالنبية ، إلا ما خص وهو الجلد للذبوح^(١) ، كما ذكر ابن عباس قال : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشاةٍ مَيْتَةٍ ، كَانَ أَطْعَامَهَا مَوْلَاةً لِمَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « هَذَا التَّعْلِيمُ بِجِلْدِهَا ؟ » قَالُوا : بَلَى ، وَرَسُولُ اللَّهِ ! إِيَّاهَا مَيْتَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّمَا حَرَّمَ أَكْلَهَا »^(٢) . فالنبية حرم أكلها لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَأْكِلٌ مِنْ دَمِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة آية ١٧٣) ، إن الحديث النبوي للوضح للآية الكريمة بين تحريم أكل النبية ، وقد اكتشف الباحثون والعلماء بعد جهد كبير أضرار أكل النبية وأنها تحوي على مصوم تتراكم في بدن النبية ، التي حدث موتها دون أن تخرج الدم من الجسم ، بعكس الطريقة الإسلامية للذبح التي تضمن خروج الدم من الجسم بكميات معقولة . فضلاً عن ذلك فإن بقاء الدم في الجسم يزيد من تكاثر الجراثيم ، فتسبب بدورها التعفن في باقي أنسجة الجسم ، فيتحول الوسط الحامضي إلى وسط قلوي ، وتنتج مركبات سامة بسبب هذا التحلل الجرثومي . وهي من الأنواع الخطيرة التي تنمو بدون أكسجين وتسمى بالجراثيم اللاهوائية ، وهي صعبة العلاج^(٣) . ويستثنى من النبية ميتات البحار ، ومنه يستخلص تحريم أكل ميتة الأرض ، وإباحة أكل ميت البحر ، وفي ذلك حكمة عظيمة من الخالق لعباده ، وتسخير هذه للحلوقات لصالح الإنسان ، فطعام البحر لا يحصل عليه الإنسان إلا ميتاً ؛ لأنه لا يعيش على اليابس ، وإذا خرج من بيئته البحرية يموت فوراً ، كما أن بعض حيوانات اليابس تموت في البحر ، وبعض الحيوانات تعيش برّاً وبحراً ، هذه القدرة العظيمة والعجزة البالغة لمركبات السليم ، وتجعله يتأمل ويعمن النظر في كل ما حوله ، ويعيد التفكير في صلته بهذه للحلوقات ، التي يذبح بعضها ليأكلها ويتنعم بها ، وإذا ماتت قبل ذبحها لا تقل للأكل ، وأخرى لا يأكلها إلا وهي ميتة ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَمَطْعَامُهُ مَشْنَعٌ لَكُمْ وَلِلْمَيْتَةِ ﴾ (البقرة آية ٩٦) .

(١) التوري / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب المساقاة ، ص ١٩٢ ، ر : ١٥٨١ .

(٢) التيسلي / سنن التيسلي / مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفروع والعبارة ، ص ١٠٩ ، ر : ٤٣٤٦ .

(٣) الشقر / محمد زكريا / العلوم والتقنية ، مجلة علمية ، السنة ١٩ ، ع ٧٣ ، ص ١٤٢٦ ، جامعة الملك عبد العزيز : جدة ، ص ٤١-٤٠ .

وبذلك تكون صلة الإنسان بهذه الأنواع تختلف بما شرعه للنهيح الراسي ، وعليه أن يلتزم هذه القروق ، ويتعامل مع كل نوع حسب التوجيه النبوي . فالثيرة النبوية حريصة على سلامة الأمة الإسلامية ، أحذة مبدأ الوفاية غير من العلاج ، لذلك جاء النهي عن أكل الحيوانات أكالات اللحوم ، لقول ابن عثمي : **لَهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ السَّبَاعِ ، وَغَنَ كُلِّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ** ^(١) . في الحديث تصريح واضح بتحريم أكل - كُلِّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ ، وَكُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ - وللحلب للطير بحذلة الظفر للإنسان ، وللمراد بهذا الناب ما يتقوى به ويصطاد ^(٢) .

الثيرة النبوية لم تنف عند صلة الإنسان بأنواع اللحوم التي تُحل له وبيان ما يفعه منها ، أو يضره ، بل نظمت صلة الإنسان بكل ما حوله . ونهت عن أمور غيبية ، يجهلها الإنسان بفكره القاصر ، فقد فسّر المزي الأول **ﷺ** أصوات الحيوانات ، حتى يظل الإنسان على صلة بربه كلما سمع ذلك الصوت تذكر قول نبيه الكريم **ﷺ** : **« إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الذَّبَكَةِ فَسَلُّوا اللَّهَ لَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنَّهَا زَاتُ خَلْقَا ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ لَهَيْحَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا زَاتُ شَيْطَانٍ »** ^(٣) . وقوله **ﷺ** : **« إِذَا سَمِعْتُمْ نَحَاةَ الْكِتَابِ وَنَهَيْحَ الْخَمْرِ بِاللَّيْلِ فَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ ، فَسَلُّوهُنَّ يَوْمَئِذٍ مَا لَا تُؤَوِّنُ »** ^(٤) . بفهم ذوو الألباب من الحديثين السابقين قدرة الله في الكون ، وفي علم من الغيب ، فللزي الأول **ﷺ** مخاطب عقل وقلب للمؤمن ، وكأنه يخبره بأن في الوجود مخلوقات غير التي تراها بالعين الفرده ، فالإنسان مهما كان عنده من عقل وبصر ، وميزه الله بما ، وسحر له هذه الحيوانات ، إلا أنه تستطيع أن ترى أموراً لا يقدر على رؤيتها ، حتى بأي أجهزة عاتية ، فالديك يرى للثلاكة ، وفي هذا ربط الإنسان بصوت الديك ، وكأنه يقول : أيها المؤمن ، ملك يمر بالقرب منك يؤمن على دعائك واستغفارك ، فسارع لفعل الطاعة ، واذكر الله ولا تغفل عن ذكره . وإن غفلت فحرس الإنذار يشعرك ويذكرك ، وبذلك تكون صلة الإنسان بهذه الحيوانات فيها طاعة . فهذا الديك للمخلوق الصغير ، يُذكر

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الصيد ، ص ١٢١٨ ، ر : ١٩٣٤ .

(٢) شوي / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الصيد والنبات ، ص ٧٤ ، ر : ١٩٣٢ .

(٣) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٢٧ ، ر : ٥١٠٢ .

(٤) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٢٧ ، ر : ٥١٠٣ .

الإنسان بطاعة الله ، فالحديث يضيف منافع أخروية زيادة على الفوائد الدنيوية ، فالإنسان يأكل بيضا ولحمها ، ويستفيد من ريشها . كما ألها تذكّر الإنسان بالطاعة . وهناك حيوانات تذكر الإنسان بعباده الذي تُرغبه في المعاصي وعليه أن يتعوذ منه ، - وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهْيَ الْجِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا - ففي الحديث " دلالة على نزول الرحمة عند حضور أهل الصلاح فيستحب الدعاء في ذلك الوقت ، وعلى نزول الغضب عند رؤية أهل للعصية فيستحب التعوذ ^(١) .

وكما يوجد حيوان يذكر الإنسان بخالفه الرحمن يوجد حيوان ينقص من أجر الإنسان إذا استعمله في غير وظيفته للهياة له ، قَالَ ﷺ : « مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا ، إِلَّا كَلَبَ صَيْدٍ أَوْ مَنَاسِيَةٍ لَقُصَّ مِنْ أَجْرِهِ ، كُلُّ يَوْمٍ فِرَاطَانِ » ^(٢) . للتأمل في الحديث يشعر دقة صنع الخالق ، فكل مخلوق مزود بما يتناسب مع وظيفته في الكون ، فالكلب لأنه يصلح للحراسة يملك نظراً ثاقباً « فَإِنَّهُنَّ يَوْمَئِذٍ مَا لَا تَرَوْنَ » ، وهذا يؤكد أن الإنسان لا يستطيع بإمكاناته المحدودة أن يرى كل ما حوله ، لوجود مخلوقات عارضة عن دائرة حواسه كمعرفة للملائكة والشياطين ، وعرف الإنسان ذلك عن طريق الرسل وعليه أن يؤمن به ^(٣) . وهذه الحيوانات فيها بصر ترى ما قدره لها الخالق أن تراه لحكمة أرادها الله في خلقه ، كما أن الكلب يمكن التفتوه لوظيفة الحراسة ، والصيد وللماشية و " يحرم اقتناء الكلب بغير حاجة ، ويحصل نقصان الأجر بذلك ، وفيه أقوال : لامتناع للملائكة من دخول البيت بسببه ، وقيل : لما يلحق للذين من الأذى من ترويع الكلب لهم وقصده إيهاهم ، وقيل : إن ذلك عقوبة لأنه أخذ ما نُهي عن اقتنائه وعصيانته للأمر ، وقيل لما يتلى به من ولوعه في غفلة صاحبه ولا يغسله بالماء والتراب ^(٤) ؛ لقوله ﷺ : « إِذَا وَلَّغَ الْكَلْبُ فِي إِثْمٍ أَخَذَكُمْ فَلْيَبْسُطُوا سَبْعَ مَرَّاتٍ » ^(٥) .

كما بين المرئي الأول ﷺ صلة الإنسان بالكلب ، بين أن بعضاً من الحيوانات تطوف

(١) اعظم أبدي / عون للعبد ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٣٨٦ ، ر : ٥٠١٣ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب للسلالة ، ص ٩٧٢ ، ر : ١٥٧٤ .

(٣) القياضي / علي ، للتأليف الأساسية في الفرية الإسلامية ، المؤتمر العالمي الخامس للفرية الإسلامية ، ص ٥٥٨ .

(٤) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب للسلالة ، ص ١٨٨-١٨٩ ، ر : ١٥٧٤ .

(٥) ابن ماجة / ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الطهارة ، ص ١٧٨ ، ر : ٣٩٦٦ .

على الناس ولا تؤذيهم الحديث كَثَبَتْ بَنَتْ كَثَبَ ، أَلَهَا صَبَتْ تَأَمَّى قَادَءَ مَاءٍ يَتَوَضَّأُ بِهِ . فَجَاءَتْ هَرَّةٌ لَتَرْبٍ . فَاصْغَى لَهَا إِلَاءَهُ ، فَجَعَلَتْ أَنْظَرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا ابْنَةُ أُمِّي الْفَجِينِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِيَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ ، هِيَ مِنَ الطَّوَالِقِينَ لَوْ الطَّوَالِقَاتِ »^(١) . يُلاحظ من الحديث اختلاف هذا الحيوان عن غيره في الأحاديث الأخرى ، وذلك دليل قوي على تنوع صلة الإنسان بما حوله من الحيوانات فمنها ما يبدله منزله ، ومنها مُنْعٍ من التعامل معه إلا في حدود معينة ، هذا التنوع فيه مصالغ للإنسان ، فكل هذه النعم العظيمة سخرها الخالق لخدمة عباده . والحديث يشير إلى أن القطط ليست نجسة ، ويمكن أن تعيش مع الإنسان ، وفيها فوائد للإنسان ، قد يعرف بعضها ويجهل الآخر . والواقع للملاحظ أن كثيراً من السدول العربية يقتني أهلها الكلاب ، وذلك ليس غريباً عليهم فهم غير مسلمين ، ولكن الأكثر غرابة أن يرى المسلم في منزله حيواناً لمحي عنه دينه - الكلب - ، ويبعد عنه حيواناً أحاز الإسلام تربته ، فإذا كان للمسلم يريد تربية حيوانات فلديه العديد والبدليل ، ولا داعي للتقليد الأعمى ، وتجاهل تعاليم التربية النبوية التي أحاطت العقل والبصيرة بنور العلم الذي يهدي إلى استغلال المسخرات الكونية لصالحه .

فالإنسان والحيوان مزود كل منهما بطاقة حسية ، ولكن الطاقة للعبوة التي تدرك الكليات والمعنويات والتحريكات لا يتميز بها إلا الإنسان الصالح ، فهي تشمل العلم والعقيدة والفضائل والأخلاق والقيم العليا ، وتشمل أرفع جوانب الإنسان . تصور الكون على أسس الإيمان الخالص لله . فالكون كله في حقيقته مجموعة من الطاقات متحركة ومتراصة على الدوام ، والإنسان أحد هذه الطاقات الكونية يحكمه الناموس ذاته وتوجهه إرادة الله الواحد الذي خلق الكون والحياة والإنسان . فالإنسان الصالح يؤمن بالغيبيات وهي قاعدة الإيمان كله وقاعدة الحياة البشرية . أما الجاهلية الحديثة التي يعيش بها الناس في القرن الواحد والعشرين ، فتجنح رويداً رويداً إلى إهمال هذه الطاقة التي هي إنسانية بصفة خاصة ، وتضعف الطاقة المشتركة بين الإنسان والحيوان ، فيتدهور الإنسان ويتحدر بدعوى الواقعية فيفقد إنسانيته^(٢) .

(١) ابن ماجه / سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الطهارة ، ص ١٧٨ ، ر : ٣٦٧ .

(٢) لطيف / محمد ، سجع التربية الإسلامية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ - ١٠٨ .

فللمؤمن يعلم أن نوليس الكون مقدره من خالقها قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القدر آية ٤٩) ، فإذا نقص عليه الماء وأجلبت الأرض توجه خلقه أن يمد بالماء ، وإذا حدث خسوف أو كسوف جأ إلى الخالق ليعد إليه نعمة النور والطاقة ، لذلك كانت صلاة الإنسان بكل ما حوله صلة مينة قوية ، فهو يدرك أن كل ما في الكون مسخر بأمر الله ، فهو للطر ، وإيات الرزق كلها أمور مقدره ، فهو يؤمن بالغيب والأصايب تؤكد تلك الصلة وتوضحها في مواقف ولحظة . وسوف يتم تسليط الضوء على بعض هذه الأحاديث التي تبين هذه الصلة .

٢ - صلة الإنسان بالماء :

الماء من أهم العناصر التي يحتاجها الإنسان في كل شؤون حياته ، فهو يدخل في تركيب جسمه ، وفي غذائه ، وطهارة بدنه ونظافة مسكنه . وفقدانه أو قلته يؤثر حتى على الجانب الاقتصادي ، فللماء عنصر الحياة الذي يشترك فيه الإنسان والحيوان والنبات ، فوجوده ضروري لكل كائن حي ، وقد خص الإسلام نزول الماء بصلاة خاصة - صلاة الاستسقاء - حتى يذكر الإنسان نعمة الماء دائماً ولبحاً إلى خالقه إذا فقدتها ، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال : « إِنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ ، مِنْ بَابٍ كَانَ لِحَوْ ذَا الْقَضَاءِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَلَكْتَ الْكَلْبُ وَالْقَطْعُ السُّلُ ، قَادَعُ اللَّهُ بَعْضًا قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ اغْنِنا ، اللَّهُمَّ اغْنِنا ، اللَّهُمَّ اغْنِنا ، اللَّهُمَّ اغْنِنا ! مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قُرْصَةٍ ، وَمَا يَنْتَسَا وَتَنْ مَلْعٍ مِنْ نَبْتٍ وَلَا دَارٍ قَالَ : أَمْلَأْتِ مِنْ زَوَائِجِ سَحَابَةٍ مِثْلَ الْقُرْصِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْقَضَتْ ، ثُمَّ انْطَرَقَتْ قَالَ : قَدْ وَاللَّهِ ! مَا رَأَيْتُ الشَّمْسَ مِثْبَا ، قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَلَكْتَ الْكَلْبُ وَالْقَطْعُ السُّلُ ، قَادَعُ اللَّهُ بَعْضًا عَنَّا ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ حَوِّنَا وَلَا غَلِّتَا ، اللَّهُمَّ عَلَيَّ الْأَكْثَمَ وَالْطَّرِبَ ، وَطُفُونِ الْأَوْدِيَةَ ، وَمَتَّعْتِ الشَّجَرَةَ »^(١) .

يخبر الحديث عن معجزة رسول الله ﷺ وعظيم كرامته على ربه ﷻ بإتزال للطر سبع أيام متوالية ، ومن غير سبب ظاهر يدل على نزول للطر . كما أن للطر لم ينقطع إلا بدعاء النبي ﷺ ، وكان في دعائه أدب مع ربه ، حيث لم يسأل رفع للطر من أسأله ، بل سأل ورفع ضرره

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب صلاة الاستسقاء ، ص ٥١٢ ، ر ٨٩٧ .

وكشفه عن البيوت والطرق ، بحيث لا يتضرر به الناس ، وسأل بقاءه في مواضع الحاجة حتى يبقى نفعه وخصبه^(١).

ولما يوجد بمخالف مختلف ، فمته العذب ، صالح للشرب ولجميع أمور الحياة مثل مياه الأنهار والأمطار ، أما المالح لا ينفع إلا للبناء وبعض أنواع الزرع وغير ذلك من الأعمال ، و"معظم الكائنات التي في البحار والنهر والصب لا تستطيع أن تعيش في غير بيئتها ، ويوجد بعض الأنواع القليلة تستطيع أن تعيش في جميع أنواع المياه ولها القدرة أن تتكيف مع كل بيئة"^(٢) ، ولكل نوع بيئته الخاصة به . ويعمل الإنسان مع كل الأنواع ؛ لأن البحار والأنهار فيها الأسماك وللمستحركات الصناعية من لؤلؤ ومرجان وغيرها الكثير ، كما أنها تسير فيها السفن ؛ لأن البحار تعتبر من طرق المواصلات للإنسان ، وينقل فيها من مكان لآخر ، كما يسير على الأرض ، ولا يخفى على مسلم كيف أمر الله نوحاً أن يصنع السفن ويعبر البحر مع قومه .

فإن الله ﷻ خلق كل شيء ودل الإنسان على الاستفادة منه ، فسنه الله في نواحي الحياة لا تبدل ، فحاجة الناس إلى النظر موجودة منذ وجود البشرية ، ولكن الأمر الذي غيروه الإسلام هو توجيه الإنسان إلى الخلق ؛ لأن الناس قبل الإسلام يُرْجِعُونَ النظر إلى الحرم ، كما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَصَحَّ مِنَ النَّاسِ خَائِفٌ وَمِنْهُمْ كَاذِبٌ » ، قَالُوا : هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَّقَ نَوْهَ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : فَتَرَكْتُ هَذِهِ آيَةً : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ حَتَّى تَبْلُغَ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾^(٣) (الواقعة آية ٧٥-٨٢) . فللتأمل في الحديث يعرف أن كل تقوى في الكون هو بيد الخالق ﷻ وما الكواكب إلا آيات الله في الكون سخرها للإنسان وسورها بقدرته ﷻ ، وهذا جانب مهم لابد من التنويه إليه ، فالنظر لا يرجع لعوامل الطبيعة وتراكم المسحاب للكون من بخار الماء والرياح فقط ، بل من أسباب مسبقة بحسبيات تتحكم فيها

(١) الشورى / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب صلاة الاستسقاء ، ص ٢٦٨ ، ر : ٨٩٧ .

(٢) آيات المفيدة / من لوجه الإعصار العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار ، ط ٢ ، ١٤٢١ هـ - من نصائح التوفيق المدني الأول للإعصار العلمي ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة ، ص ٢٨ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب القرآن ، ص ٨٢ ، ر : ٧٢ .

وتوجيهها ، فالسحب المحملة بالماء تقطع الأميال ولا تسقط إلا حيث يُقصد لها . وهذا ملاحظ في الواقع المعاش حيث يرى الناس أحياناً السحابة محملة بالماء وتغب عن أنظارهم ولا تطر . فاللهم عندما تضيق عليه ويريد الغيث يلحاً إلى الله ويطلب منه الاستسقاء ، ويكون على ثلاثة وجوه : أحدها الاستسقاء بالدعاء من غير صلاة ، الثاني الاستسقاء في عطية الجمعة أو في أثر صلاة مفروضة وهو أفضل من النوع الذي قبله ، والثالث وهو أكملها ، بأن يكون بصلاة ركعتين وحطبتين ويتأهب قبله بصدقة وصيام وتوبة وإقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله^(١).

قلنا من أعظم نعم الله على عباده ، وهو أسس الحياة قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء آية ٣٠) ، وهذه الأهمية فإن العلماء في بحث مستمر عن أسرار الماء ومكوناته وأماكن تواجدته ، وعرجوا عن نطاق الأرض إلى مجال الفضاء الخارجي ، لاحتمال وجود الماء فيه ، وما زال قيد البحث حتى يومنا هذا ، حتى إن الصور العالية الكفاءة لشظار غاليليو لم تسجل وجود الماء في الفضاء الخارجي وذلك في ديسمبر ١٩٩٥ م . وذلك يفسر وجود الحياة على الأرض فقط ، ولكن في إبريل ١٩٩٨ م ، كانت مقابلة العلم حيث إن للرصد الفضائي الأوروبي رصد غيمة من البخار في الفضاء الخارجي يمكن لها أن تملأ محيطات الكرة الأرضية بالماء ٦٠ مرة خلال ٢٤ ساعة . وقال (ديسر نوفيلد) أحد المحللين الفلكيين في الوكالة الأوروبية : إن للرصد عثر على البخار في أكثر من مكان في الكون الخارجي ، إلا أن الغيمة التي اكتشفها أصراً تعتبر مصنعاً هائلاً لبخار الماء ، وذلك يفسر وجود الماء في المجموعة الشمسية^(٢) ، وتوصل العلماء حديثاً لتفسير^(٣) . قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِيزًا غُلْجُورًا ۝٥٣ ﴾ (الفرقان آية ٥٣) ، إن القرآن الكريم مليء بمعجزات عظيمة تفسر الظواهر الكونية للإنسان ، وتوضح العوامل المساعدة لدور للطر ، قال تعالى :

(١) شوي / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب صلاة الاستسقاء ، ص ٤٩٣ ، ر : ٨٩٧ .

(٢) لصغير / أحمد محمد ، نشأة الحياة بين الدين والعلم ، مجلة القافلة ، ١٤١٩هـ ، ص ٣٨ .

(٣) ذكر تفسير ذلك في كتاب الإمبراطور الصيني لعالم البحار ، زياطة العالم الإسلامي ، الأقطار .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَدَىٰ ذِي رُحْمٍ وَأَرْسَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَطُورُوا ٱلْجِبَالَ لِبَشَرٍۭ بِهِۦ بَلَدَةٌ مَّيَّةٌ وَبُقْعَةٌ مِّمَّا خَلَقْنَا أَنْفُسًا وَأَنَاسٍۭ كَثِيرًا ۝ (٤٨-٤٩) ، وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُنْسِلُهُۥ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَخْتَلِفُ أَلْوَانُهُۥ فَتَرَىٰ ٱلْأُودُقَ خَازِجًا مِّنْ جُلَيْلِهِۦ ۚ فَبِذَا أَصَابَ بِهِۦ مِّنْ بَقْعَةٍ مِّنْ عِبَادِهِۦ إِذَا هُمْ يَسْتَبِيرُونَ ۝ (الروم آية ٤٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُسْقِيهِ إِلَىٰ يَدَيْهِۦ فَٱخْتَلَفَ بِهِۦ ٱلْأَرْضَ يَغْذِي بِهَا كُلَّ ٱلْأَنْثَىٰ ۝ (فاطر آية ٩) ، من الآيات السابقة يتضح أن الماء هو أساس الحياة ، والرياح لها دور كبير في تجميع قطرات الماء في الجو وتكوين السحب وتوجيهها إلى حيث يريد الله أن يسقط الغيث الذي يستبشر به الناس ، ومن ذلك يتضح أن صلة للطر بالرياح ، صلة قوية ، لأنه يعتمد عليها في تجميعه وسوره ، كما يعتمد الإنسان على الماء في كل شؤون حياته ، وهذه الصلة القوية بين الإنسان والطر والرياح ، يتضح أن الرياح لها دور كبير في حياة الإنسان ، فهي لا تقتصر على تكوين للطر في السماء بل لها دور كبير في الأرض . فعلة الإنسان بالرياح قوية ، وقد أوصى للسري الأول ﷺ بعدم سب الرياح .

٣- صلة الإنسان بالرياح :

الرياح من الظواهر الكونية المحسوسة التي تثير بقشور للطر ، فالكتابات الحية على هذه الأرض كلها تعيش على ماء للطر إما مباشرة ، وإما ما يستخرج من باطن الأرض من عيون وآبار ، فالذين يعيشون مباشرة على للطر هم الذين يدركون رحمة الله ، ويتطلعون إليه لأن حياقم كلها متوقفة عليه ، ويترقبون الرياح التي يعرفونها تسوق السحب ويستشرون بها ، إن كانوا ممن شرح الله صدورهم للإيمان^(١) . فقد كان للسري الأول ﷺ إذا رأى غيماً في السماء يتغير لونه حتى يهول للطر خوفاً من أن يكون غلباً وليس رحمة ، فعن عائشة ؓ قالت : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمَ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَأَقْبَلَ وَآذَنَ ، فَبِذَا مَطَرَتْ سُرِّيهِ وَخَبَّ عَنْهُ ذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَأَلَتْهُ فَقَالَ : « إِلَيَّ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ غَلْبًا سَلَطَ

(١) قطب / سيد ، في ظلال القرآن ، ج ٥ ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .

عَلَى أُنْبِيٍّ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْمَطَرُ رَحْمَةً^(١)، المتأمل في الحديث يستشعر عظمة المصير الأول وحرصه ﷺ على أمته وعوفه عليهم أن يعاقبوا بعضیان البعض، كما حدث في عذاب قوم عاد، قال تعالى: ﴿لَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِقٌ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُسْتَعْجِلُونَ بِهٖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأحقاف آية ٢٤)، يستكشف المؤمن أن الرياح تأتي بالخير كما تأتي بالشر، ولها صلة بأفعال العباد، فإذا فسدوا في الأرض وطفخوا قد يصيبهم كما أصاب الأمم السابقة، فالرياح ثمانية: أربعة رحمة، وهي: النواشرات والنبشرات، والرسلات والذاريات، وأربعة عذاب: هي: العقيم والصرصر وهما في السر، والعصف والقسف وهما في البحر، فإذا شاء ﷻ حركة بحركة الرحمة فجعله رخاء ورحمة وبشرى بين يدي رحمة، ولأحقاً للسحاب تلقحه بحمله الماء، وإن شاء حركة بحركة العذاب فجعله عقيماً، وأودعه عذاباً أليماً وجعله نعمة على من يشاء من عباده، فجعله صرصرًا مفسدًا لما يمر عليه. والرياح مختلفة في مهامها: صبا ودبور، وجنوب وشمال، واختلاف منفعتها تأتوه أعظم، فريح لينة رطبة تغذي النبات وأبدان الحيوان، وأخرى تجففه، وأخرى تقلبه وتعطبه، وأخرى تضعفه وتوهنه^(٢).

وبذلك فالرياح تكون نعمة للصالحين تبشر بالمطر، ويعرفون للمطرة بالخير والنجدة فيمشيرون لما فتكون رحمة لهم بالماء وكثرة الزرع، أو نعمة على الفاسدين، تعقب الدمار والخراب.

ومن فوائدنا للإيمان أنها تدفع السفن على سطح الماء فتسير مع التيار وضد التيار، وفي كل الأمور يسخرها الخالق ﷻ ونسبر بأمره، وللملك لدى الرسول الكريم ﷺ عن سبأ الرياح، قال ﷻ: ﴿لَا تَسْأَلُوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أَمَرْتَ بِهِ وَتَعَوَّذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمَرْتَ بِهِ﴾^(٣). إن البصيرة الثيرة تعي أن الأمور معلور، فالرياح مأمورة، ومن لعن شيئاً

(١) مسلم / صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٢، كتاب الاستسقاء، ص ٥١٤، ر ٨٩٩.

(٢) ابن كثير / أبو العلاء إسماعيل، تفسير القرآن الكريم العظيم، ج ٣، ١٤١٩هـ - ١٤٠٨هـ.

(٣) الترمذي / سنن الترمذي، مرجع سابق، ج ٤، كتاب الفتن، ص ١١٦، ر ٢٢٠٩.

ليس له بأهل رجعت القلعة عليه ، « فَإِنَّا رَأَيْنَاهُ مَا تُكْرَهُونَ » ، أي ربما نكرهها لشدة حرارتها أو برودها أو تأذيتهم لشدة هبوبها ، « فَقُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ عِلْمٍ السَّرِيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا ... » ، أي خير ذاتها وخير منافعتها كلها^(١) ، فالصورة الثالثة تستكشف أن في ذلك علاجاً للأمة حتى تأخذ بالأسباب وتختلط من الوقوع في الذنب والخطيئة . لذلك أرشدتهم إلى ما يجلب لهم الخير ويبعد عنهم الشر .

وقياساً عليه فإنه إذا صادف الإنسان ما يكره فليقل هذه الكلمات ، لتجنب أي شر ، ويطلب الخير . فتكون صلة الإنسان بما حوله فيها لجوء إلى خالقها فهو مدير الأمور ومسخرها .

فكل منفعة تحملها الرياح مرسله مقدرة من خالقها ، وذلك كله لخدمة الإنسان ، قال تعالى : « وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاذِلْنَا مِنَ الْمَغَامِ مَاءً فَاسْتَقْبَسَكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ » (الحجر آية ٢٢) ، فالماء والرياح مسخر لخدمة الإنسان وضروري ، لآليات الزرع الذي هو غذاء للإنسان والحيوان .

٤- صلة الإنسان بالنبات :

إن صلة الإنسان بالنبات صلة دائمة ، مرتبطة بالحياة ، فالنبات هو الغذاء الذي لا يستغني عنه الإنسان والحيوان ، وفيه إعجاز علمي عظيم نوة القرآن الكريم إلى بعضه ، وأشار إلى التفكير والتدبر لكشف الإعجاز العلمي العظيم في ذلك الزرع الذي يتعجب منه ذوو الألباب ، حيث يضع الإنسان البذرة ويغطيها بالتراب فتشق البذرة الصغيرة الأرض وتأخذ طريقها من أسفل إلى أعلى تتحدى الجاذبية الأرضية التي تجذب إليها كل الأشياء ، وتسمح لهذه البنية الصغيرة أن تخترقها في الجاهلين متضادين ، الساق يصعد للأعلى والجنود تنغل فيها ، هذه الجنود البنية الفتية تشق الصخور والكتل الثرية وتستطيع أن تحمل أوزان الخشب الثقيلة التي في الأشجار العالية . قال تعالى : « أَوَلَمْ نَرَوْا أَنَّ السَّوْفَ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُجُ فَخَرَجَ بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَبْغَاسُهُمْ أَفَلَا يَنْصَبُونَ » (السجدة ٤٦ ٢٧) ،

(١) المار كهورى / قلعة الأسودي ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الفين ، ص ١٢٤ ، ر ٢٢٥٢ .

في الآية لفت بصائر البشرية إلى بداية نشوء الحياة ، وتقول لهم في الأرض لبنة التي تسب فيها الحياة ، وتكشف الحجاب عن العقول الخائرة ، وتخبر عن سر بداية الحياة ، فهذه الأرض لبنة البور ، يتول لئلا إليها فتصبح عطاء بالزرع الذي تأكل منه أفعالهم وبأكلون منه ، إن هذا المشهد يفتح نوافذ القلب للفتنة لاستحلاء هذه الحياة النامية واستيفائها ، والإحساس بواجب هذه الحياة الجميلة الناضرة ، إحساس حبة وإعجاب بالقدرة المبدعة ، التي تشيع الحياة في صفحات الوحدانية^(١) . فكلمة تفتح القلب ، وارتفع الإدراك ارتفعت حساسية التقني والاستجابة ، وهذه الظاهرة تزداد وضوحاً كلما اتسعت ثقافة الإنسان ، ومعرفة بهذا الكون وما فيه ومن فيه . فتزداد الصلة بين البشر الذين يرتضون منهم وهذا الكون الذي يعيشون فيه بتواضع الكلية ، وما يعقله بينهم وبين قوى الكون كله من سلام وتعاون وتفاهم وتلاق ، فيجدون أنفسهم في صلابة مع كل ما حولهم في هذا الكون الكبير^(٢) . ولا تتوقف صلة الإنسان بالنبات على الفوائد الغذائية والصحية ، بل تحده بالأجر والثواب ؛ لقوله ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْماً ، أَوْ يَزَعُ زَرْعاً ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ ، أَوْ طَيْرٌ ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ »^(٣) . للتأمل في الحديث يغبط للزراعيين على عظيم الأجر الذي وعدهم به مربيهم ، فإن الصدقة تكون مستمرة لكل من أكل من الغرس ، حتى ولو بغرس اختياره - إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ - تأكيد على قبول الصدقة ؛ لأن التعامل مع الأرض لزراعتها ، فيه مشقة ، فالزرايع يتعهد الزرع كما يتعهد أبناءه ، يفرح به إذا أثمر ويسرع بجمع ثماره ، فإذا وخرته شوكة ونال أذى يكون له الأجر ، لقول عائشة رضي الله عنها : (... مَسَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ بَشَاكَ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا ، إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا خَزْجَةٌ ، وَفُتِحَتْ عَنْهُ بِهَا حَظِيَّةٌ »^(٤) ، فالأجر للمؤمن موصول حتى وهو يعمل في الحقول .

وتتوالى معجزة النبات بأنها تعتمد على نفسها في تكوين غذائها فهي تحصل عليه من الهواء والتربة ، لذا تسمى ذاتية التغذية ، كما يحافظ النبات الأخضر على ثبات نسبة ثنائي

(١) قطب / سيد ، في خلال القرآن ، مرجع سابق ج ٥ ، ص ٢٨١ .

(٢) قطب / سيد ، في خلال القرآن ، مرجع سابق ج ٥ ، ص ٢٨٠ .

(٣) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الأحكام ، ص ٩١ ، ر : ١٣٨٧ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة والآداب ، ص ١٥٨١ ، ر : ٢٥٧٢ .

أكسيد الكربون والأوكسجين في الجو ، لأنه يأخذ ثاني أكسيد الكربون ويطرده الأوكسجين أثناء عملية التمثيل الضوئي^(١) ، وهذا يدل على سر الإعجاز للحديث النبوي في الحث على غرس النبات ووضع الحواجز للمغربة من الأجر لمن يفرس الغرس . فالإنسان الذي يوجد به زرع يكون غنياً بالأوكسجين الذي هو مصدر التنفس للإنسان ، كما يمدد بالاطالة للوجود في الثمار ، وتقي الإنسان حرارة الشمس ، ويعتمد عليه في الجوانب الغذائية والاقتصادية ، فالإنسان يستفيد من الأشجار والثمار في كثير من الصناعات ، كما يدخل النبات في تصنيع كثير من الأدوية ، وغير ذلك من الصناعات المتعددة ، لذلك صلته بالنبات قوية ، فهو يشغل جزءاً كبيراً من حياته ، فعالم النبات واسع ويشمل أنواعاً شتى ، ولواناً مختلفة ، وأشكالاً متعددة . وله مواسم يثمر فيها ، ولا يسمح الخيال للحديث في تعدد أصناف هذا النبات ، ويكفي الإشارة أن في ألوانه وأنواعه محة وجمالاً للنفس ، قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ خَايِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الفتح آية ٥) .

٥ - صلة الإنسان بالأرض والحيات :

سخر الله الأرض للإنسان وجعلها قراراً له يستقر عليها ويتنقل بين مناطقها وفي أقاليمها ويسير على طرقها المختلفة وللتنوعة شكلاً ومنتاعاً . وبأكل من خيراتها . قال تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ۚ كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمْنَاكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ أَلْبَسَ ۝ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ۚ ﴾ (طه ٥٣-٥٥) ، تشير الآيات الكريمة إلى أن الأرض مهيأة للبشر في كل مكان وزمان ، صالحة للحياة التي قدرها لها ، وخلقهم صالحين للعيش عليها ، وشق لهم طرقاً وأنزل من السماء ماء ، فيخرج النبات أزواجا من أصناف مختلفة ، وهذه الأرض التي يخرج منها النبات ، ويقفر منها الماء ، علق منها الإنسان ، وإليها يرجع ومنها يخرج مرة أخرى . قال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّنْ آتَيْنَاكُمْ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ (الفتح آية ٥) ، فصلة الإنسان بالأرض قوية لأنه

(١) البديوي / محمد لقمان الأعظمي ، دراسات تربوية في الأحاديث النبوية ، ١٤١٧هـ - مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

خلق من مادة الأرض ، عناصر جسمه من عناصرها ، يأكل من زرعها ويشرب من مائها ، ومن هوائها يتنفس^(١) ، وعليها يعمل ، ويتبدر قلرة الخالق وحكمته وإبداع صنعه ، وعظيم تصميمه ، فهذه الجبال الشاهقة لها دور كبير في تثبيت القشرة الأرضية ، لأنه يخرج منها حثور غائرة تصل إلى الطبقة السفلى للأرض تسمى لوتاداً ، ولم يُكتشف ذلك إلا حديثاً^(٢) ، رغم أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك من قبل أربعة عشر قرناً ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَعَلْنَا الْأَرْضَ مِهْنًا ۖ وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ۖ ﴾ (انبأ آية ٦-٧) ، في الآية صيغة استفهام موجهة للمخاطبين ، ترويه أنظارهم وفقروهم إلى التامل في هذه الجبال الشاهقة للجنة للأرض ، المحافظة على ثوابها . قال تعالى : ﴿ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوًسًا أَن نَّعْبُدَ بِصُكُّمِ ۖ ﴾ (الحمل آية ١٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ نَزَّلْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوًسًا ۖ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مُّزَوَّجًا ۖ ﴾ (الحجر آية ١٩) ، الآية تشير إلى عظيم صنع الخالق ﷻ ، فالجبال العالية فيها إبداع وإعجاب ، والتأمل يشعُر بهيبة الخالق ، لما فيها من جمال وتناسق وقوة تماسك وضلابة ، ورغم اختلاف أشكالها وأحجامها وألوانها ، إلا أن هذه الأحجار يُستخرج منها معادن يستعملها الإنسان في حياته على الأرض ، فهي تساهم في تطوير الجانب الاقتصادي له بجانب الإنتاج الزراعي - ماعلى الإنسان إلا أن يفكر ويعمل - فالقرآن الكريم حث على النظر في هذه الجبال : لأن رؤيتها بتمعن تفرز الوجدان وللشاعر ، وتبرز عظمة الخالق ، قال تعالى : ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ ﴾ (الغاشية آية ١٩) ، أصحاب البصيرة يعلمون أن صنع هذه الجبال الشاهقة والأرض المنبسطة فيها دقة ومعايير موزونة حتى يمكنها أن تتناسق وتبرز الناحية الجمالية ، بجانب فوائدها المتعددة .

قال ﷻ : « هَذَا جَبَلٌ يُعْبَدُ وَتُحْبَدُ »^(٣) ، يوجه للرعي الأول ﷻ أنظار أصحابه إلى عبة جبل أحد وفي ذلك * عدة أقوال منها أنه من جبال الجنة^(٤) ، ويُستدل من الحديث أن للسري

(١) مطلب / سيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٣٩ .

(٢) رابطه العالم الإسلامي / إته الحق ، هيئة الإحصاء العلمي في القرآن الكريم والسنه ، مكة المكرمة . ص ٦٩ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب المغازي ، ص ٢٢٩ ، ر : ١٢٠ .

(٤) المستطاي / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب المغازي ، ص ٣٧٨ ، ر : ٤٠٨٣ .

الأول أشار إلى عجة جبل أحد بصفة خاصة ، والجبال جميعها بصفة عامة فالجبال تحسها النفس ومرطوبة لدى الناس يتسلقون عليها ويعمرون مساكنهم عليها ، بالفوقها وتسالطهم ، وأن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَعِدَ أَحَدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَحَفَ بِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَكُنْتُ أَحَدًا فَلَمَّا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِيْقٌ وَنَهْيَانٌ »^(١) . لنتمع في الحديث يستشعر النبوة الصادقة ، فقد تحرك جبل أحد واضطرب ، فقال مري الأمنة ﷺ « أَكُنْتُ أَحَدًا » ، أمر بالنبات والاستقرار لجبل أحد^(٢) ، وأخبره بأن عليه « نَبِيٌّ وَصِيْقٌ وَنَهْيَانٌ » ، وربما يعود ارتعاش الجبل لعظمة من فوقه (والله أعلم) ، والظاهر من الحديث أن الجبل امتل وفهم قوله ﷺ ، وهذا من معجزات النبي ﷺ .

فكلما ارتقت معارف الإنسان وازدادت معرفته بطبيعة هذا الكون وأسطواره ، ازداد إيمانه وبقينه وعوفه من الخالق ﷻ الذي أرسى الأرض بالجبال ، قال تعالى : ﴿ وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَفَى كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل آية ٨٨] ، فالآية تشير إلى دوران الأرض ، الدوران الرفيق للكرة الأرضية الهائلة ، والذي بلغ في رفقه حداً يحسها الإنسان أنها حاملة ، ثم إن الأرض وحسب تدور بسرعة حول نفسها ، لا تترك السحب ثابتة مكانها ، بل إنها وكل ما في خلاص الأرض الهوي ، يتبعها كذلك سقفاً محفوظاً أتى سارت . فدوران الأرض يشير إلى أن حركة الجبال كحركة السحاب التي تمر وتبصرها الأعين^(٣) . كل هذا الإبداع في الصنع ، سخره الله لعباده ، وجعله موزون ومنظم .

٦- صلة الإنسان بالخلق والزمان :

الليل يستر الكون فيبدو وكأنه ليس ليل ، فتقطع الحركة ويسكن الديب وينام الناس ، وكثير من الحيوانات والطيور والحوام ، وفي النوم انقطاع عن الحس والوعي والشعور ، ثم يتنفس الصبح وتشرق الشمس ، فتبعث الحركة . وتلد الحياة في النهار ، فهو نشور من

(١) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الثقب ، ص ٣٩٠ ، ر : ٣٧١٧ .

(٢) المياكوري / قصة الأحرفي ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الثقب ، ص ٢٠٧ ، ر : ٣٧٠٦ .

(٣) السعدي / دود سلمان ، أسرار الكون في القرآن الكريم ، ١٤٢٠هـ ، ص ١٦٨ .

لموت الصغير ، ويتم ذلك في كل دورة من دورات الأرض الدائرية التي لا يصيبها الكسوف ،
 وممر بالبشر وهم غافلون عما فيها من دلالة على تدبير الله ^(١) . قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمُ
 اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ وَاللَّجُجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ ﴾ (الشمل آية ١٢) ، بنية الله ﷻ عباده على آياته العظام ومنته الجسماء في تسخيرهِ ،
 فالليل والنهار يتعاقبان ، نور وضياء ليهتدي بها في الظلمات ، وكل منها يسير في فلكه
 المخصص له بحركة مقترنة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها ^(٢) ، فأمر التكوين للنظام الشمسي
 يسير بأمر الخالق ﷻ ، وكلها سخرت لتلبي حاجة الإنسان في الأرض ، فظاهرة الليل
 والنهار ذات أثر حاسم في حياة هذا المخلوق البشري ، فكيف تكون حياة الإنسان والحيوان
 والنبات لو كان الوجود لهاراً بلا ليل ، أو ليلاً بلا هار ^(٣) ، فالشمس والقمر من آيات الله في
 الكون لقول عائشة رضي الله عنها : (حَسَبَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 يُصَلِّي ، ... (ج) ثُمَّ الصَّرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ تَحَلَّتِ الشَّمْسُ ، فَعَطَبَ النَّاسُ فَعَمِدَ اللَّهُ وَأَنَّى
 عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، وَهَهُمَا لَا يَتَخَفَيَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، فَبَدَأَ
 وَالْقَوْمُ هُمَا فَنَكَّرُوا ، وَادَّعَوْا اللَّهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ! إِنْ مِنْ أَحَدٍ أَغْوَى مِنْ اللَّهِ أَنْ
 يَزِيحَ عَهْدَهُ أَوْ يُزِيحَ أُمَّةً ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ! اللَّهُ يُؤْتِي تَعْلَمُونَ مَا أَفَعَلَمَ لِكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكُكُمْ قَلِيلًا ، أَلَا
 هَلْ تَلْقَوْنَ » ^(٤) . التأمّل في الحديث يلهم صلة المسلمين بالكواكب ، ويعرف أن السلام
 يتوجه إلى الله في كل ظاهرة كونية ؛ وذلك لأنه ﷻ هو المدمر للتصرف بحكمته وقدرته في
 هذا الكون العجيب ، القادر على إعادة النظام واستمرار النعمة على عباده ، ويكون
 الكسوف للشمس ، والكسوف للقمر : قال تعالى (وعسف القمر) والكسوف والخسوف
 يكون لذهاب ضوءهما كله ، أو يكون لذهاب بعضه ، وقيل الخسوف ذهاب لونهما ،
 والكسوف تغيره ، ولهما صلاة يصلّيها المسلمون حتى تحلّي هذه الظاهرة - الغريبة على
 الكون ، لتعاللة لما اعتاد عليه الناس - ثم خطب ﷻ بالناس وبين لهم خطأ أقوال الجاهلية

(١) قطب / سيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٥٦٩ .

(٢) ابن كثير / أبو الفداء بن كثير القرطبي ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(٣) قطب / سيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢١٦٢ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الكسوف ، ص ١٦٠ ، ر : ٩٠١ .

الذين يعتقدون أنهما يتكسبان لموت عظيم ، إذ اعتقد بعضهم أنهما اتكسفت لموت إبراهيم ابن الرسول ﷺ لأنه صادف ذلك . كما أن بعض الجاهلية كانوا يعظمون الشمس والقمر ، حين أنهما آياتان من آيات الله تعالى ، ثم وضع ﷺ للمسلمين كيف يراجعون ذلك ، كما يظهر من الحديث نداء للربي الأول ﷺ لأخته ، يا أخته مُشْتَدِّا وذلك لعظمة القول الذي يلي هذا النداء ، وهو كثرة الذنوب والمعاصي التي يرتكبها الناس ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَفْلَسُمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَتَحْجَكُنَّ قَلِيلًا ، ومعناه لو تعلمون عظم انتقام الله تعالى من أهل الجرائم وشدة عقابه وأهوال القيامة كما علمت ، وترون النار كما رأيتم في مقامي هذا لبيكنم كثيراً ، ولقل ضحككم لفرحكم فيما علمتموه^(١) . ومن ذلك يتضح أن الشمس والقمر لو حدث لهما خسوف فحياة الناس تتغير وتضطرب لفقد هذه النعمة التي تبذل إحسانهم منها وعصمت أبصارهم عن عظمته وفاللتها ، فهذه الأجرام السماوية لها مساراتها ، فهي تشرق بأمر الله ولها خطة تسير عليها مقيدة بما لا تعبد عنها ولا تزوغ كما أسير للمسري الأول ﷺ أصبح به بذلك عندما سأله فقال ﷺ : « التَّزَوُّونَ أَنْ تَنْهَبَ هَذِهِ الشَّمْسُ » ؟ قَالُوا : أَلَيْسَ وَرَسُولُهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ لَتَجْرِي حَتَّى تَلْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا لَحْتَ الْعَرْشِ ، فَحَرُُّ سَائِدَةٍ ، لَمَّا نَزَلَ كَذَلِكَ حَتَّى يَقَالَ لَهَا : اارْجِعِي ، اارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَارْجِعِ ، فَتَصْبِحُ طَائِفَةً مِنْ مَطْلَعِهَا ، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَلْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا لَحْتَ الْعَرْشِ فَحَرُُّ سَائِدَةٍ ، وَنَا نَزَلَ كَذَلِكَ حَتَّى يَقَالَ لَهَا : اارْجِعِي ، اارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَارْجِعِ فَتَصْبِحُ طَائِفَةً مِنْ مَطْلَعِهَا ، ثُمَّ تَجْرِي لَمْ يَسْتَكِرْ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَلْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَلِكَ لَحْتَ الْعَرْشِ يَقَالَ لَهَا اارْجِعِي ، اارْجِعِي طَائِفَةً مِنْ مَقَرِّكَ ، فَتَصْبِحُ طَائِفَةً مِنْ مَقَرِّهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « التَّزَوُّونَ مَتَى ذَاكُمْ ؟ ذَلِكَ حِينَ لَا يَنْتَفِعُ نَاسًا إِلَّا بِهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكْسِبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا »^(٢) . (الأعلام ١٥٨ : ١٥٩) ، للتمعن في الحديث يلهم أنه يفسر وقائع كونية غيبية لا يمكن لبشر معرفتها ما لم يُعبر بها من الصادق المصدوق ، فالشمس يعلم الناس أنهما إذا غابت من جهة أشرقت في أخرى ، فلا يخلو الفضاء منها على مدار اليوم . وهذه ظاهرة مأكوفة معتادة عليها أما أنهما إذا غربت كل يوم تستقر تحت العرش إلى أن تطلع من مغربها ، فهذا علم لم يتوصل إليه العلم الحديث حتى الآن ، ولن يصل ؛ لأنه

(١) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الكسوف ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، ر : ٩٠١ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ١٢٥ ، ر : ١٥٩ .

من باب الغيب الذي لا يعلم حقيقته إلا الله . رغم اختراق الفضاء وصعود القمر واكتشاف آثار الالتحام في القمر وأنه أنفلق ثم عاد مرة أخرى ، وهذا حدث زمن النبي ﷺ ، كما ورد عَنْ أَبِي عُمَرَ قَالَ : (الْفَلَاقُ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اِشْهَدُوا »)^(١) . انفلق القمر زمن النبي ﷺ على سبيل المعجزة ، وقيل إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فاراهم القمر شقين حتى رأوا حبل حراء بينهما ، وقيل إن كبار فريش قالوا للنبي ﷺ : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقين ، فسأل ربه فانشق . « اِشْهَدُوا » أي على نبؤي أو معجزتي من الشهادة ، وانشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعتد بها شيء من آيات الأنبياء ، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارج من جملة طواع ما في هذا العالم للركب من الطلوع^(٢) ، وقد يكون قوله ﷺ : « اِشْهَدُوا » - من انتهاء النبوة التي أخبر بها - لعلمه أن الناس سوف يتناقلون الشائعة لما سبأن بعد ذلك من تطور في العلم والوصول إلى القضاء - واكتشاف ذلك - فظل هذه للمعجزة أبدية يعرفها العلماء قبل الجلاء ، وذكر انشقاق القمر في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ أَفَكُنْتُمُ الْسَاعَةَ » وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ^(٣) (القمر آية ١) ، فلرب المصادق عندما يخبر عن أي شيء فهو صادق ، وعلى للمسلمين أن يأخذوه بيقين . ولعظمة هذه الكواكب سميت سورة بالشمس وأسرى بالقمر ، وأخرى بالنجم ، وتكرر ذكرها في عدد من الآيات في القرآن الكريم .

والليل والنهار آيتان يعرف الإنسان من خلالها عدد الأيام والأشهر ، فالיום يبدأ بشرق الشمس التي تنشر أشعتها على جميع مخلوقات الله في أرضه ، وتبشر الإنسان بقدوم يوم جديد ، ليبدأ نشاطه اليومي ويسلك منهج مدرسة النبوة في سلوكه العملي وعبادته ، وتقربه الله بالتطوع ، كتخصيص بعض الأيام للصيام أكثر من غيرها ، كما كان ﷺ يفعل في تخصيص يومي الاثنين والخميس بالصيام وعندما قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْكَ تَصُومُ الْبَاقَتَيْنِ وَالْخَمِيسَ ؟ فَقَالَ : « إِنَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، إِلَّا مَنِ هَجَرَ جَنَّتَيْنِ . يَقُولُ : ذَعَبْتُ حَتَّى يَصْطَلِحَا »^(٤) . الحديث يبين تميز الاثنين والخميس بالصوم عن باقي أيام الأسبوع ؛ لأن الأعمال تعرض إلى الله ﷻ ، فيغفر للمسلمين إلا للمتعمدين فإنه يؤجل النظر إليهما

(١) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفتن ، ص ٧٦ ، ر : ٢١٨٩ .

(٢) البزار كذا في / تحفة الأوفى ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الفتن ، ص ٣٥ ، ر : ٢١٨٢ .

(٣) ابن ماجه / سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، ص ١١٢ ، ر : ١٧٤٠ .

حتى يصطلحنا ، وميز يوم الجمعة على كل الأيام : قَالَ ﷺ : « إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَهُوَ أَكْثَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ وَيَوْمِ الْاِثْنَيْنِ . فِيهِ غُشُوشٌ عِلَالٍ : خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ ، وَأَقْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ فِيهَا الْعَبْدَ شَيْئًا إِنْ أَغْطَاهَا مَا لَمْ يَسْأَلْ خَرَامًا ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ، مَا مِنْ تِلْكَ مُقَرَّبٍ وَلَا مَسَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا دِيَارٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا نَهْرٍ إِنْ وَغَى يُصْطَفَى مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ »^(١) . للتأمل في الحديث بفهم أن يوم الجمعة أفضل الأيام وذلك لحسب حصول ، خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ ، وذلك يعني بداية حياة البشر ، وَأَقْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ ، يعني بداية الحياة على الأرض ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ ، بداية حياة أخرى للإنسان ، والخلاص من دار الامتحان والبلاء في الدنيا . وفيه ساعة يستجاب فيها الدعاء ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ، موعد نتائج الأعمال فيصير أرباب الكمال لما أعد الله لهم من العيم المقيم ، والمحيم الدائم للكافرين ، وكل مخلوقات الكون تخشى وتحاف من يوم الجمعة ، خوفاً من قيام الساعة ، ولعظمة هذا اليوم عند الله . أما الإنسان الجهول فهو يتجاهل عظمة هذا اليوم الذي يشفق منه جميع المخلوقات ، - للملك في السماء والرياح والأرض والجبال والبحار - والحديث يكشف عن رؤيا غيبية حتى يشعر المؤمن أن الكون كله يسر ببقه ونظام وإتقان ، فيه تدرج والفضلية في كل المخلوقات ، فأفضل البشر محمد ﷺ ، وللمؤمن خير من الكافر ، وفي البلدان مكة والمدينة خير من غيرها ، وفي الجبال جبل أحد خير من غيره ، وفي النبات النخيل خير من غيره ، وفي الشهور شهر رمضان ، وهذه سنة الله في الكون .

فكل مخلوق يذوق الله عليه أن يحتل للمنهج الرباني ويعرف صلته وحدوده مع الزمن ويعمل بما يتوافق معه تقرباً لله ، فالأحاديث التي تحت على زيادة الطاعات في أزمته معينة متعددة ، منها قوله ﷺ : « أَلَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، فَرُزَّ اللَّهُ ﷻ عَلَيْكُمْ حِبَانَةٌ تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَقُلْنَ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَتُغْلَى فِيهِ فِرْدَوْسُ الشَّيَاطِينِ . لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حَرَّمَ حَوْرَهَا فَقَدْ حَرَّمَ »^(٢) . للتأمل في الحديث يستكشف الخير الذي يزره شهر رمضان للمؤمنين ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، علامة للملائكة بدخول الشهر وتعظيم حرمة ،

(١) ابن ماجه / سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب إقامة الصلاة ، ص ٤١٥ ، ر : ١٠٨٤ .

(٢) الشيباني / سنن الشيباني / مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصيام ، ص ٥٨٦ ، ر : ٢١٠٥ .

ولم ينج الشياطين من أذى المؤمنين ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو ، ويحتمل أن يكون عبارة عما يفتح الله لعباده من الطاعات ، وذلك أسباب لدخول الجنة ، « وَتَعْلَقُ بِهِ أَرْوَاحُ الْمُجْرِمِينَ » عبارة عن صرف الجسم عن المعاصي الآيلة بأصباحها إلى النار ، « وَتَعْلَقُ بِهِ أَرْوَاحُ الشَّيَاطِينِ » أي أن الشياطين تصفد في رمضان إشارة إلى رفع عثر المكلف كأنه يقال له : قد كُفَّت الشياطين عنك فلا تعلّ بهم في ترك الطاعة ولا فعل للمعصية ، فإن قيل : كيف ترى الشروع والمعاصي واللعنة في رمضان كثيراً ، فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك ! فالجواب : إنه يقل إغواؤهم فيصرون كاللصّدين ، وتصفد الشياطين عبارة عن تعجزهم عن الإغواء وتزوين الشهوات للصالحين ، أو أن اللصّدين بعض الشياطين وهم للردة لا كلهم ، أو المقصود ثقل الشروع فيه وهذا أمر محسوس ، ووقوع ذلك فيه أقل من غيره ، ولا يلزم من تصفد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية ، لأن لذلك أسباباً غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية^(١).

وكما أشار للذي الأول ﷺ في أحاديث متعددة إلى فضل رمضان ، أشار إلى كيفية معرفة قدومه ، ومن يصوم للمؤمنون فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « صُومُوا لِرِزْقِيهِ ، وَانْفِرُوا لِرِزْقِيهِ ، فَإِنَّ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْبِرُوا قَلْبَكُمْ »^(٢). الحديث فيه ثبيان لقدم واستقبال أمر عظيم ، وترقب مجيء شهر يختلف عن كل الشهور ، فأوقاته متصلة بالطاعات ، صوم بالنهار وقيام بالليل ، تكثر فيه الخيرات وتزداد المشاعر بالآخرين ، لذلك فالمسلمون ينتظرون مجيء قدومه بفرح وشوق . فالتربية النبوية تفتح أبواب الخير أمام المسلمين لينهلوا منها الأجر ، فكما دلت على فضل شهر من بين الشهور ، دلت كذلك على فضل أيام من شهر واحد ، تختلف عن باقي الأيام جميعها . حيث فيها وقف مؤقت عن أفعال مباحة . قَالَ ﷺ : « إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْحَى ، فَلَا يَسْسُ مِنْ شَعْرِهِ وَنَشْرِهِ شَيْئاً »^(٣). تنظيم دقيق ومواعيد لا تسفر كل عمل يُبين عليه عمل آخر ، - ولا يكون ذلك إلا في عشر ذي الحجة - وللتأمل في الحديث يشعر أن الضحية توفق أفعاله تعود المسلم على القيام بها مثل تقصير الشعر وتقليم

(١) فضلال / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الصوم ، ص ١١٤ .

(٢) السنن / سنن السائي / مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصيام ، ص ٥٩٢ ، ر : ٢١١٧ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الأحكام ، ص ١٢٤٢ ، ر : ١٩٧٧ .

والأطفال ، وقد اختلف فيه العلماء فمنهم من يقول حرام ، ومنهم من يقول مكروه^(١) ، ولشئ من ترتيب الحديث يجد فيه نظاماً دقيقاً ، لتعويد للسلم على الالتزام والترتيب ، فالتقصير يترتب على الضحية ، فيسارع للسلم في ذبح ضحيته ، حتى يباح له ما في عنه . وبذلك يظهر أن الإنسان مفيد بمواعيد وأفعال تحرق على أزمته معينة ، ترداد فيها الطاعات ، كما يتقيد إنتاج المحاصيل بمواسم معينة ، نظام يدبج وسنة الله في الكون تنبه الغافلين وتسير عقول الجاهلين .

فالعقل يرى الصراع الإنساني مع الزمن ، فيسر وفق دائرته ، ويتكيف ضمن محيطه ، فينظم للإنسان شؤونه حسب عقارب الزمان ، الذي صار يركض في عصر السرعة ومشاكل الحياة ، وأصبح الإنسان يشتكي من قلة الوقت وسرعته ، ويرجع ذلك لكثرة العمل والالتفات في مطالب الحياة ، متناسياً أن الإسلام أشار إلى ذلك قبل أربعة عشر قرناً ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْتَازِبَ الزَّمَانُ فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ ، وَتَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ بِالْأَثَرِ »^(٢) . الحديث يكشف الغيوم الداكنة عن الواقع للعاصر ، ويوضح حقيقة يعاني منها كل من يعيش على المعمورة ، وذلك قلة بركة الزمان وذهاب فائدته ، وذلك لكثرة اهتمام الناس بما دامهم من النوازل والشكوك ، وشغل قلوبهم بالقلق العظام ، لا يدرون كيف تنقضي أيامهم وليالهم ، فالشهر يكون كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم أي : كالنهار ، وتكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كالضرمة بالآثار ، تشبه ببلغ يعجز عن سرعة الزمان حيث يمر الساعة كزمان إيقاد الضرمة وهي ما يوقد به النار أو كالقصب والكبريت ، وقبل الضرمة هي : السعفة في طرفها نار ، إذا اشتعلت تحترق سريعاً^(٣) .

فلذا كان الوقت يتسابق ويسرع فالإنسان عليه أن يسبقه بفعل الطاعات والرجوع إلى حالته بنوبة وإقلاع عن المعاصي ، فحير الناس من ينجي نفسه من الهلاك ، ويدرك الخلاص . فصلة الإنسان بالزمان وثيقة وقوية يتبعه ويتبعه ، ويستغل أوقاته للقطعة بالطاعات .

(١) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأضاحي ، ص ١١٩ ، ر : ١٩٧٧ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب القنن ، ص ١٤٨ ، ر : ٢٣٣٩ .

(٣) تباركغوري / لغة الأسويدي ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الزهد ، ص ٢٠٤ ، ر : ٢٣٣٢ .

ويتذكر نعم الله عليه بالليل والنهار .

بعد كل ما ذكر عن صلة الإنسان بهذه المخلوقات ، فما عليه إلا أن يكون عبداً شاكراً يؤدي حقوق هذه النعم ، ويذكر نفسه ، ويؤدي شكر حالته ، ويكون ذلك بطاعته ، واتباع سلوك المدرسة النبوية التي أسسها لفضل العباد على وجه الأرض ، وشفع أمته ، العبد الشكور الذي لا يتوان في طاعة حالته ، فكان ﷺ يصلي حتى تورم قدماءه ، وعندما قيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : « أَقَلُّهُ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » (١) . فليقارن المؤمن طاعته وأعماله بحري الأمة ﷺ ، وبالسلف الصالح . فإله ﷺ قدَّم للإنسان أكثر من النعم بماذا قابلهما الإنسان ؟ بالطاعة والشكر أم بالعصيان والكفر ؟

وآيات القرآن الكريم مليئة بالآيات التي تذكر الإنسان بنعم حالته عليه ، أفلا يعود هذا الإنسان الضعيف إلى حالته بتوبة نصوحة وعمل صالح لله ، قبل فوات الأوان ، ويتدبر القرآن الكريم الذي يعدد له النعم ليعود الإنسان إلى فطرته السليمة ، ويتخلص من شرور نفسه .

ومن الآيات التي توضح صلة الإنسان بالمخلوقات قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢) ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) ﴿ وَالْأَنفُسُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٤) ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا حُلُلٌ مِمَّا تَرْتَعُونَ وَمِنْ حَيْثُ مَشَرْتُمْ سَمِعْتُمْ نَفْسًا مَنْجُونًا وَمِنْ حَيْثُ لَبَّيْتُمْ أُنْفِثَ لَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَكُمْ تَكُونُوا بِنَافِثِهِ إِلَّا عَنِ النَّفْسِ أُنْزِلَتْ رَبُّكُمْ لَرِءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَحْكُمُونَ ﴾ (٦) ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَسْدٌ السَّبِيلِ وَبَيْنَهَا جَابِلٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَخْشَبَ ﴾ (٧) ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (٨) ﴿ يُثَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الْأَرْزَاقَ وَالرِّيَاقُونَ وَالشَّجَائِرُ وَالْأَعْنَابُ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٩) ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالسَّجُودَ مُسْتَخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ (١٠) ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١١) ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي

(١) الشافي / سنن النسائي / مرجع سابق ج ٢ ، كتاب قيام الليل ، ص ١٣٠٧ و ١٦٤٣ .

الْأَرْضِ مَخْلُوقًا أُولَئِكَ رَبُّكُمْ بِذِكْرِهِمْ ۝ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا ثَلَسُونَ نَفْلًا وَتَرْبَى الْفُلُكُ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَنْتَفِعُوا مِنْ أَفْضَالِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تُحِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسَبَلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَّمْنَا زُبَرَ النَّجْمِ هُمْ يَنْتَبَهُونَ ۝ أَلَمْ يَخْلُقْ كُنْ لَأَخْلُقْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ (النحل آية ١٧-٢٠) ، سبحانه عالق كل شيء ، يتحلى في خلقه الإحسان والإنقان ، فلا تجاوز ولا قصور ، ولا زيادة عن حد الإحسان ولا نقص ، ولا إفراط ولا تفريط ، في حجم أو شكل أو صفة أو وظيفة . كل شيء مقدر لا يزيد ولا ينقص عن حد التاميق الجميل الدقيق ، ولا يتقدم عن موعده ولا يتأخر . من القرة الصغيرة إلى أكبر الأحرار ، من الخلية الدقيقة إلى أعقد الأحسام . مقدرة تقديرًا دقيقًا في موعدها ومجالها ومآلها ، تؤدي دورها المقسوم لها في الو . مُعَدَّة لأداء هذا الدور إعدادًا دقيقًا ، مزودة بالاستعدادات والخصائص التي توهمه لنوره تمام التأهيل . هذه الخلية الواحدة المجهزة بشئ الوظائف . هذه التدرة السابعة بأرجلها للساء لها القرة على شق طريقها في الصخور ، كأحسن ما يكون ، هذه السمكة في الماء ، وهذا الطائر في الفضاء ، وهذا الحيوان يعيش مع الإنسان على الأرض ، وهذا الكوكب السيار وهذا النجم الثابت . وهذه الأقلاك والعوالم ، وهذه الدورات المنتظمة الدقيقة النسقة العجيبة للضبوطة التوقيت والحركة على السدوم ، حيثما امتد البصر مُتَغَنِّ الصنع ، يدع التكوين ، يتحلى فيه العظمة والإنقان^(١) .

قد سخر الله للإنسان كل ما في الكون ، وزوده بخواص فنه ، وأكثرها وضوحاً قدرته على التفكير التصوري ، وجعل فيه القدرة من الاستفادة مما يحيط به ، فكثير من القوى التي سخرها الله للإنسان هي أكبر منه مثل الشمس لا تستطيع أن توقف نورها ، أو تمنع فوائدها التي مازال العلم يكشف منها فوائد حلية ، فالطاقة الشمسية أصبحت ذات أهمية في حياة الإنسان ، ولظفر الذي لا غنى لكانت حي عنه ، فلما يدخل في تركيب دم الإنسان ، ويستفيد منه في غذائه ، وعصير أساسي لآليات وإحياء الزرع ، الذي هو غذاء للإنسان والحيوان .

(١) غلب / سيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ .

و" لا تقتصر صلة الإنسان على حدود صلته بما في الكون من أجل مصلحته ، بل ينبغي أن يكون تعامله مع كل من حوله يتسم بالمنهج النبوي ، فالمسلم هو المسلم بأخلاقه وإنسانيته ؛ لأن ربه يراقبه حيثما كان ^(١) . وأن تكون شخصيته تتوافق مع قول النبي الأول عندما وقف على النبي جلوس فقال : « أَلَا أَخْبَرْتُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ خَيْرِكُمْ » ؟ قال : فسكنوا ! فقال ذلك ثلاث مرّات : فقال رجل : بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا من خورك ، قال : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَوَخَّى خَيْرَهُ وَتَوَقَّعَ شَرَّهُ ، وَخَيْرُكُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ غَيْرَهُ وَلَا يُؤْمِنُ شَرَّهُ » ^(٢) .

إن للمولى الأول ﷺ يوجه الطاقات الإنسانية جميعاً ، ويعطي كل طاقة ما يصلح لها من غذاء ، ويغذي هذه الطاقات ، بتوجيه يتمشى مع القطرة ^(٣) ، في كلام جامع إلى استخلاص الخير ونيل الشر . فالثريّة النبوية بدأت ببناء النفس من الداعل لأنه أساس العمل الناصح الذي ينبع عن النفس البشرية ، فلما أتمت ذلك البناء بدأت في تغيير المجتمع الذي تعيش فيه على أسس الأخلاق الإسلامية . وهذا ضروري لبناء المجتمع في جميع مجالاته . وبذلك كفلت هذه التربية لكل فرد حاجته وسعادته ^(٤) . فطريقة الإسلام في التربية هي معالجة الكائن البشري معالجة شاملة متكاملة ، ولا تغفل عن شيء . جسمه وعقله وروحه . حياته للآخرة وللعبودية وكل نشاطه البشري ، فالشعاع للقرآن الكريم والسورة النبوية يحددهما عناصر التفوق وأسلوب النجاح من خلال الكثير من التوجيهات التربوية الرفيعة التي هي قسوة حسنة لكل راغب في الوصول إلى الحق . وعن طريق هذا المنهج ينشأ الإنسان الصالح ومن ثم المجتمع الإسلامي الكريم .

(١) الشحلاوي / عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٥٣ . دفر الفكر : دمشق .

(٢) الشرحلي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفتن ، ص ١١٧ ، ر : ٢٢٧٠ .

(٣) قطب / محمد ، منهج التربية الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

(٤) القاضي / علي ، أئمة على تربية في الإسلام ، ١٤٠٠ هـ ، ص ١٩ . دار الأناضول : القاهرة .

ثالثاً: تأسيس مجتمع إسلامي قادر على بناء حضارة رائدة في العالم

يتكون المجتمع من مجموعة من الأفراد يتعايشون في إطاره ، وتربطهم مصالح مشتركة في مناسحي الحياة المختلفة ، تصل إلى درجة من النمو وتظل كذلك ما دامت الظروف البيئية التي تحيط بها ثابتة^(١) . فالجمع ضرورة طبيعية لكل فرد ، ويتميز بما يتميز به أفراداه ، وليس " هناك كلمة أكثر دلالة وأكثر غموضاً في الوقت نفسه من كلمة مجتمع ، فهي أكثر دلالة لأنها تشير إلى محتوى محدد لا يمكن أن يخطئه العقل على الأقل في جانبه اللغوي الذي يعنى مكان الجمع أو الحشد أو كل ما هو مغاير للفرد أو الواحد . وأكثر غموضاً لأنها كثيراً ما يراد بها نوع معروف من أنواع المجتمعات كالمجتمع المحلي أو المجتمع العام أو مجتمع القرية أو المدينة ، وقد يقصد بها إحدى التنظيمات أو المؤسسات الاجتماعية كالأسرة أو المدرسة أو للصنع^(٢) .

ولتأسيس مجتمع مثالي يحتاج إلى تكوين أسر مثالية ، يخرج منها أفراد صالحون مصلحون ، لذلك حث النبي الأول ﷺ على تأسيس المجتمع الأسري ووضع له القواعد والأسس التي ينهي للمسلم أن يسو عليها ، فبناء القاعدة العربية القوية المتميزة بمنهج رباني أساس بناء المجتمع الإسلامي العام ؛ لأن صلاح المجتمع يعتمد على صلاح أفراداه ، الذين يتولون عمارة الأرض وتطوير حضارته ، وحفظ حقوقه ، والتناصح فيما بينهم ، كل هذه الأمور أوضحتها للمدرسة النبوية ، ورسمت خطة مشرفة يسير عليها كل من يريد تأسيس مجتمع ذي حضارة عالمية . وسوف يتم تناول الأسس التي يحتاجها المجتمع ليسترد حضارته للسلوة وعزته المفقودة . ولول لينة يتم بها بناء صرح المجتمع ، تأسيس الأسرة على منهج التربية النبوية :

١ - بناء الأسرة :

الأسرة هي الأساس في بناء المجتمع وتكوينه ، وهي البيئة الطبيعية لنشوء الأبناء وهي

(١) قندوي / أبو الحسن علي الحسين ، التربية والمجتمع ، ١٤١٢هـ ، دار الفلم : دمشق ، ص ١٣ .

(٢) للنشئة العربية للتربية والثقافة والعلوم / الفكر التربوي العربي الإسلامي ، ١٤٠٧هـ ، مكتب التربية العربي

للتحول الخليج : الرياض ، ص ١٦٧ .

أفضل نظام لتربيتهم وتزويدهم بالعوامل النفسية والثقافية اللازمة لنموهم وحمايتهم. لذا تعتبر نواة المجتمع ومنطلق وحدته وعماسكه، فالأسرة نظام ريان في مصدره وغايته، ومرتبطة بالعقيدة، وقد جاء في القرآن الكريم ذكر النكاح وهو بداية تكوين الأسرة، قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْبَشَرِ﴾ (النساء آية ٣)، كما ورد كثير من الأحكام التي تبين حدود العلاقة بين الزوجين منها: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَكَثَّرَ الْمُؤْمِنَاتُ ثُمَّ طَلَفْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْتَدُونَهَا﴾ (الأحزاب آية ٤٩)، فالرباط الأسري رباط قوي وميثاق غليظ حث على تكوينه الربى الأول ﷺ في قوله: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْهَاءَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَهْلٌ لِلْبَيْتِ، وَأَحْسَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(١). في الحديث حث على النكاح لمن استطاعه وثقت إليه نفسه.

ولم تقف المدرسة النبوية عند توجيه الشباب إلى الزواج ووصف العلاج لمن لا يجد القدرة عليه، سواء كانت هذه القدرة جسدية أو مادية، بل ذكر الأسباب التي تنكح لها المرأة فقال ﷺ: «تَنْكِحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فاسْطَقِرَّ بَسْطَاتِ الدِّينِ تَرْتَمِ بِهَا»^(٢)، لأن الأم مدرسة الأبناء، وبها يتم بناء صرح المجتمع، وقد جعلها الربى الأول ﷺ أفضل من كنوز الذهب والفضة، كما جاء في حديث ثوبان قال ﷺ: لَمَّا تَزَوَّجْتُ: «وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ» قَالَ: كَتَمَ الشَّيْءُ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْتَفْرِهِ فَقَالَ بَعْضُ اصْحَابِهِ: أَلَزَّجْتُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَوْ عَلِمْتَ أَيُّ النَّاسِ حَتَّى تَنْتَحِدَ، فَقَالَ: «الْفِضَّةُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ وَقَلْبٌ ذَاكِرٌ وَزَوْجَةٌ مُؤَمِّنَةٌ لِعَيْنَةٍ عَلَى إِيمَانِهِ»^(٣). فالدين هو الأساس ويقوم كل للميزات؛ لأن الدين بُنِيَ عليه الأسرة وبُنى عليه الأبناء الذين هم أفراد المجتمع وقادته، ولتذلة السدين في الزواج جعله ﷺ شرطاً أساسياً في قبول الزوج، قال ﷺ: «إِنَّا آتَاكُمْ مِنْ قُرْطُونٍ خُلِقَ وَجِيئَةٌ قُرْطُجُوهُ، إِنْ تَعْمَلُوا تَكُنْ فَتَةً فِي الْإِرْحَى وَلَسَانٌ غَرِيضٌ»^(٤)، الحديث جمع بين الدين والخلق،

(١) مسلم / صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٢، كتاب النكاح، ص ٨٢٦، ر: ١٤٠٠.

(٢) البهاري / صحيح البهاري، مرجع سابق، ج ٧، كتاب النكاح، ص ١٢، ر: ٢٨.

(٣) الترمذي / سنن الترمذي، مرجع سابق، ج ٥، كتاب النكاح، ص ٦٥، ر: ٣١٠٥.

(٤) ابن ماجه / سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٢، كتاب النكاح، ص ١٩٧، ر: ١٩٦٧.

فالذين لأنه أداء للحقوق والواجبات ، والخلق لأنه أساس التعامل والمعايشة ، فمن اتصف بهما يستطيع أن يكون أسرة صالحة ، خالية من الفتن والفساد . أما إذا تناسى الناس هذه الصفات ، وبحوا عن لئال وإجاء والمركز كما هو في الواقع للعنق فنتيجة محسوسة ومربية ، فكثير من الأسر التي لم تُبنَ على الخلق والدين تعاني من التصدع والتفكك ، وضباع الأبناء ، وهذا هو الفساد اللبني ، الذي لا يؤثر فقط على الأسر بل على المجتمع بأسره . ولخصص الربى الأول ﷺ على سعادة الأسرة واستمرارها بين أي الرجال يمر تستمر عملة الحياة بدون توقف ، فقال ﷺ : « حَيْرَتُمْ حَيْرَتُمْ لَأُغْلِبَهُ ، وَأَنْ حَيْرَتُمْ لَأُغْلِبِي »^(١) ، وقال ﷺ : « حَيْرَتُمْ حَيْرَتُمْ لِيَسْلِبَهُمْ »^(٢) . صدق الربى الأول ﷺ ، فالرجل بيده زمام الأمور والقوام ، فإذا كان حسن العشرة بين الجانب مع أهل بيته فهو يعالج عوارض الحياة بحكمة وصبر ، فالحياة الزوجية قطبان لايد من الموازنة بينهما ، لذلك بين ﷺ أي النساء يمر كما بين يمر الأزواج ، فمن أبي حُرَيْرَةَ قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ النَّسَاءِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « أَلَيَّ نِسْوَةٌ إِذَا نَظَرْتُ ، وَلَطِيفَةٌ إِذَا أَمَرْتُ ، وَلَا تَخَالِفُنِي فِي نَفْسِيهَا وَمَنَالِهَا بِمَا يَكُونُ »^(٣) . إذا اتصفت المرأة بهذه الصفات وطاعة زوجها أغلق باب الشقاق بينهما ، وعرفت وأجالتا تجاه زوجها ، وسعت على راحته ، فلن يجد عليها سبيلاً للخلاف - وهذه وصايا من المرسى الأول ﷺ للزوجة وعليها الالتزام بما تجاه زوجها - ، ولكن كثير ما يصدر من المرأة تصرفات تثير غضب الرجل ، ويحدث النزاع الذي قد تكون عاقبته ضباع الأبناء .

وحرصاً منه ﷺ في تماسك البناء الأسري وضع ﷺ علاجاً آخرأ وتوجيهات أخرى للرجل لأنه أكثر إدراكاً ومدارة للأمور ، فقال ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَإِذَا ضَعِفَ أَمْرُهُ فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لَيْسَكُنْتَ ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خَلْقٌ مِنْ جُلُوعٍ ، وَإِنْ أَغْوَجَ شَيْءٌ فِي الصَّلَاحِ أَغْوَاهُ ، إِنْ دَهَبَتْ لَيْسَمَةٌ كَسَرَتْهُ ، وَإِنْ لَوَّكْتُهُ لَمْ يَزَلْ أَغْوَجَ ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا »^(٤) . هذه الوصية من تمسك بها حافظ على أسرته من التصدع ، لأنها تبين أن المحافظة

(١) ابن ماجة / سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب النكاح ، ص ٢٠٠ ، ر : ١٩٧٧ .

(٢) ابن ماجة / سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب النكاح ، ص ٢٠٠ ، ر : ١٩٧٨ .

(٣) السنن / سنن النسائي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب النكاح ، ص ٢٨١ ، ر : ٢٢٢١ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب النكاح ، ص ٨٨٣ ، ر : ١٦٦٨ ، (١٦) .

على المرأة شئناج لصبر ، ولا يعاملها بأسلوبها - بل يتألف الله فيها - وقد يعود ذلك لمساعدة خلقها ، لأنها خلقت من ضلع آدم عليه السلام قال تعالى : ﴿ يَنْبَأُهَا النَّاسُ أَنْتُمْ أَنْتُمُ الْبَرِيّاتُ خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَنَسَّ مِنْهَا طَبْعًا كَثِيرًا وَفَسَاءً ﴾ (النساء آية ١) ، وللتقصود بالقوى في الآية ، اتقاء غضبه ، ومراعاة حقوقه ، كما تبين الآية أن أسل الخلق آدم ثم خلقت حواء من بقية الطينة التي خلق منها آدم . وقبل فصلت قطعة من ضلعه ^(١) ، كما ورد في الحديث : « فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ جِلْعٍ ، وَإِنَّ أَخْفَجَ شَيْءٍ فِي السَّطَلَعِ أَغْلَاةٌ » ، لذلك يجب الصبر على عوج أخلاقهن ، واحتمال ضعف عقولهن ، والإحسان إليهن ، فإذا راعى الرجل هذه الأمور في المرأة استطاع أن ينظم شؤون منزله برفق وحكمة ، ويقضي على الشحار ، فتكون الأسرة مؤهلة لأداء وظائفها الأساسية ، وهي تربية الأبناء الذين يعيشون في كنفها ويكتسبون منها المعارف والمهارات ، ويبدون فيها الأمن والسكينة .

ولم تتوقف التوجيهات النبوية للأسرة على حد الزوجين وتوصية كل منهما بالآخر ، بل حث ﷺ على أمر مهم في تربية الأبناء فقال ﷺ : « اغْدُلُوا بَيْنَ أَيْتَانِكُمْ ، اغْدُلُوا بَيْنَ أَيْتَانِكُمْ » ^(٢) . الأبناء من أعظم نعم الله على عباده ، حيث جعلهم زينة الحياة الدنيا ، بدخل وجودهم على حياة الأسرة البهجة والسرور ، ولكن في الوقت نفسه فإن وجود هذه الذرية امتحان للوالدين ، فإن أحسنوا تربيتهن ، وقادوهم إلى طريق الخير نالوا برهن ، وإن أهملوا تربيتهم وتركوهم لموجات الفساد يفتك بهم خسروا أولادهم ^(٣) ، وضيعوا الأمانة التي أئتمروا الله برعايتها ، قال تعالى : ﴿ يَنْبَأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوُذُهَا النَّاسُ وَالْجَنَّةُ ﴾ (التحریم آية ٦) . إن اعتماد الإسلام بالأسرة للدليل واضح على أهمية الأسرة في المجتمع ، فهي صورة التجمع الإنساني الأول ، والجماعة الأولية الأساسية ، فهي من تقوم السبل لبناء المجتمع الصالح والأمة القوية ^(٤) ، لأنها تخرج قادة أقوياء قادرين على عمارة الأرض .

(١) ابن عاشور / محمد طاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج ٣ ، ص ٢١٤-٢١٦ .

(٢) التيسلي / من التيسلي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب النحل ، ص ٦٢٥ ، ر ٣٦٨٩ .

(٣) باحتر / غامضة سالم ، دراسة بعض العوامل المؤثرة على التكيف الأسري والمشكلات التربوية القائمة عنها ،

٨١٤١٧ ، ص ٥٤ .

(٤) غباري / محمد سلامة ، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والفقر والشيخوخة ، ص ٢٢ .

٢- صفات ومهام القائد المسلم كما وردت في السنة الشريفة :

القائد هو الذي يملك التأثير في الآخرين بواسطة سلوكه وتفاعله معهم مما يكسبه حبيهم وتقديرهم وطاعتهم له . ويكون دأبه دائماً هو العمل للمسؤولية والصبر عليها ، وهذا لن يكون بدون ثقة بالنفس ، لأن ذلك يورثه صموداً في محاربة أي صعوبات تعترض مهمته ، وتجعله يتخذ القرار المناسب في أي زمان ومكان^(١). وللري الأول ﷺ كان القائد والمثل المأخوذ ، فقد تعرض ﷺ لكثير من اللوطف التي تبرز صفاته القيادية أثناء القيام بمهامه ، كما تظهر فيها حكمته في معالجتها ومعاملته التي تتميز بالرفق والتلين في المواقف التي تحتاج إلى ذلك . ومن هذه المواقف ما يلي :

أ / حسن سياسته ﷺ ومماراته للعرب الذين كانوا أهل عزة وإباء مع الطبع الجشع ، فعن أنس بن مالك قال : (كُنْتُ أُنْشِئُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَلَبَهُ ثَوْدَةُ نَجْرَانِي غَلِيبُ الْحَاشِيَةِ فَأَذْرَكُهُ أَهْرَاقِي فَحَبَذَ بِرِذَائِهِ حَبْلَةً شَدِيدَةً ، قَالَ أَنَسٌ : فَتَطَرْتُ إِلَى صَفْحَةٍ عَنِّي الشَّيْءُ ﷺ وَقَدْ أَقْرَبَتْ فِيهَا حَاشِيَةُ الرِّكَاءِ مِنْ شِدَّةِ حَبْلَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَأَلْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ لَمَزَهُ بِعَطَاءِ^(٢)) . للتأمل في الحديث يعرف أن الرجل أدرك الرسول ﷺ عمارج للسعد وكاد يدخل الحجره فحشي أن يفوته فحذبه بشدة ، وأثر ذلك في عاتقه ﷺ ، ولكن تسم وأعطى الأعرابي مؤله ، والوقوف يكشف عن قوة احتمال حقايقهم وصبره على أذايحهم ، وكيف ساسهم بحكمة وصرامة وثبات على للبدأ ، حتى انقادوا إليه وانفوا حوله^(٣).

ب/ استطاع أن يجذب من يريد تألقه على الإسلام ، ويعطي بسعاء لكسب قلوب الناس ودخولهم في الإسلام ، فعن أنس (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الشَّيْءَ ﷺ عَلِمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ أَسْلَمُوا ! فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ . فَقَالَ أَنَسٌ : إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا ، فَمَا لَيْسَ لَهُ حَتَّى يَكُونُ

(١) الفرق / علي حسن ، المعالم القيادية في ثقافة القائد الإسلامية ، ط ٥ ، ١٤٢٥ هـ ، ص ٥٣ .

(٢) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٤٤ ، ر : ١١٣ .

(٣) الفرق / علي حسن ، المعالم القيادية في ثقافة القائد الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

الإنسان أحب إليه من الدنيا وما عليها^(١). للتأمل في الحديث يستشعر منهج التربية النبوية ، وبها عظيم معالته ﷺ مع المولفة قلوبهم ، فالمرء يقبل على الإسلام رغبة في الحصول على الدنيا ، فما يلبث بعد إسلامه إلا يسيراً حتى ينشرح صدره بحقيقة الإيمان ، فيكون أحب إليه من الدنيا وما فيها^(٢) لأن من يمتلئ قلبه بالإيمان يتلاشى حب الدنيا ويحل مكانه حب الآخرة ، هذا لمنهج القوم والإستراتيجية للفتنة استخدمها النبي للرعي الأول ﷺ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ونشر الإسلام ، والآن تستخدمها - الدول الكبرى - الجاهلية للعاصرة لتتصير الناس ، وإبعادهم عن دينهم القوم ، بكثرة العطاء والمال ، لأن العطاء يجذب القلوب ، وله تأثير قوي على النفوس ، لذلك كان ﷺ ما سئل شيئاً قط فقال لا ، حتى فيما يُهدى له ، فكان يؤثر أصحابه على نفسه ، وبإدله أصحابه الشعور نفسه ، فكان حبه قلوب الرجال والنساء والأطفال ، فعن سهل بن سعد قال : (جاءت امرأة إلى النبي ﷺ بمرزاة فقال سهل للقوم : ألتزؤون ما المرزاة ؟ فقال القوم : هي شملة ، فقال سهل : هي شملة متشوجة فيها حاشيتها ، فقالت : يا رسول الله ، أئخذها هذه ؟ فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها قلبه ، فراها عليه رجل من الصحابة فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذه فأعسبها ، فقال : نعم ، قلنا فأم النبي ﷺ لأنه أصحابه ، قالوا : ما أحسن حين رآته النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها ثم سألتها عنها وقد عرفته أنه لا يسأل شيئاً فبنته ، فقال : رجوت تركها حين لبستها النبي ﷺ لعلي أكتفن بها^(٣) .

للتأمل في الحديث نتضح له صورتان : الإيثار والصح ، وفي ذلك جانبان واضحا تميز بهما التربية النبوية عن سائر النظم والمذاهب : جانب التضامن الروحي والترابط للعنوي ، وجانب الإيثار الذاتي للترتب على التكافل الروحي بين أفراد المجتمع للسلم ، هذا الترابط يعلمهم أمة واحدة تجمعهم وحدة العقيدة الخالصة في الله تعالى ، ووحدة النهج في الحياة^(٤) ، فمن لهجه أنه ﷺ ما طلب منه شيء من أمر الدنيا فمتمته ، أي إذا سئل فأرأه أن

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفضائل ، ص ١٤٤ ، ر : ٢٣١٢ .

(٢) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، ص ٤٦٧ ، ر : ٢٣١٢ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٢٤ ، ر : ٦٤ .

(٤) الشيوخ / أحمد مصطفى ، المجتمع الإسلامي المعاصر في صورته الواقعية ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٦٦ .

يفعل قال نعم ، وإذا لم يرد أن يفعل سكنت ، وهذا من كمال خلقه ﷺ ، والخلق جملة في الناس ، وهم متفاوتون ، فمن غلب عليه شيء منها غير محمود فهو مأمور بالعاقلة فيه حتى يصير محموداً ، وكذلك إذا كان ضعيفاً فيرتاض صاحبه حتى يتولى^(١) .

ويرى علماء النفس أن الذين يعملون على إقادة أكبر جزء ممكن من المجتمع الإنساني يعتبرون أرقى الشخصيات جمعاً وهم في الغالب أقربها إلى درجات التكامل ، ودرجة تكامل الشخصية تتناسب تناسباً طردياً مع اتساع دائرة المجتمع الذي يسعى الفرد إلى إسماعه^(٢) .

جاء إن النبي ﷺ بلغ أعلى مستوى لتكامل الشخصية ، فكان الوالد وللربي لكل أفراد مجتمعه ، لم يتوقف سبل عطائه عند من يسأله فقط ، بل كان يبحث ويتذكر ويسأل أصحابه عن من يستحق العطاء فيقدمه له ، فعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ أَيْمَنِ التَّمِيمِيِّ أَنَّهَا بَيَّتَ فِيهَا خَبِيصَةً سَوْدَاءَ صَغِيرَةً فَقَالَ : « مَنْ تَزَوَّجْتُ لَنْ لَكُنَّ هَذِهِ »^(٣) . فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، قَالَ : « التَّوْبِي يَا أُمَّ خَالِدِ » ، فَأَتَى بِهَا لِحْمَلٍ ، فَأَخَذَ الْخَبِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا وَقَالَ : « أَتَيْتِي وَأَخْلَقِي » ، وَكَانَ فِيهَا غَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَحْمَرُ ، فَقَالَ : « يَا أُمَّ خَالِدِ ، هَذَا سَتَّةٌ » ، وَسَتَّاهُ بِالْحَبَشَةِ حَسَنٌ^(٤) . في الحديث التفاتة عظيمة من الراعي للربي الأول محمد ﷺ الذي أحاط كل من حوله برعايته وسخائه ، فهو يتفقد الصغار والكبار ، ويقدم لهم العطاء بطيب نفس وحسن تعامل ، فلحديث يوضح أن للربي الأول ﷺ ألبسها الثوب ، وَقَالَ : « أَتَيْتِي وَأَخْلَقِي » ، وهي كلمات يقصد بها طول البقاء للمحاطب ، أي تطول حياته حتى يبلى الثوب ويُخلق ، ولم ينف عند هذا بل أشار إلى حسنه ، ففي الحديث ثلاثة جوانب تربوية ، سؤال القائد من حوله في كسوة المحتاج يشعرهم بحرص القائد على تفقد أحوال الغائب ، وتذكر المحتاج ، كما فيه تدريب لأصحابه ﷺ على شمولية للمسؤولية ومراعاة جميع الأفراد ، وتواضع القائد وإدخال الفرحة على قلوب الصغار والكبار ، فهذه الأمور من مهام القائد ،

(١) الفسقلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٤٥٩ .

(٢) صفوط / محمد جمال الدين ، القيادة الحربية ، د . ت ، دار الاقتصاد : السعودية ، ص ٢٧ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب النكاح ، ص ٢٧١ ، ر ٤٠ .

فَعَنِ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ : (أَنَّ أَبَاهُ مَخْرَمَةُ قَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ إِنَّهُ يَنْهَى أَنْ الشَّيْءَ قُدِيعَتْ عَلَيْهِ أَلِيَّةٌ فَهِيَ تَسْمِيهَا ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّحَتْ فَوَجَدَتْ الشَّيْءَ فِي مَتَرِهِ فَقَالَ لَهَا : يَا بُنَيَّ أَذْغَ لِيَ الشَّيْءَ فَاطْطَعْتُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : أَذْغُو لَكَ وَسُئِلَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، فَذَعَوْتُهُ فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيحَانٍ مُزَوَّدٍ بِاللَّخَبِ ، فَقَالَ : « يَا مَخْرَمَةُ هَذَا خِيَالُهُ لَكَ » ، فَاطْطَعَهُ إِثْمًا ^(١) . لَتَأْمُلَ فِي الْحَدِيثِ يَلْمَسُ فِيهِ حَانِينٌ : تَوَاضَعَ الْقَائِدُ ، وَلَيْزَنَ حَانِيهِ ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ تَجْعَلُ الرَّعِيَّةَ تُقَدِّمُ عَلَى السُّؤَالِ بِحِرَاءَةٍ ، لَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مُسَبِّقًا أَنَّهُ ﷺ يَسْعَى لِقَضَاءِ حَاجَاتِ مَنْ قَصَدَهُ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ ، وَالْجَانِبُ الثَّانِي : شَهَادَةُ (هَرَمَةَ) لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ . فَمُعَامَلَةُ الْقَائِدِ فِيهَا مُجَاهِدَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةِ إِرَادَةٍ . وَتَعْمَلُ مَسْئُولِيَّةَ الْقِيَادَةِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ ، لِأَنَّ الْقَائِدَ يَظَلُّ مُشْغُولًا بِأَحْوَالِ رَعِيَّتِهِ ، فَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ أَمَامَ خَلْقِهِ ، وَكُلِّ فَرْدٍ فِي الْجَمْعِ يَتَوَلَّى أَمْرَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَفْرَادِ يَكُونُ مَسْئُولًا عَنْهُمْ ، وَلَا يَقُومُ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ إِلَّا مَنْ اتَّصَفَ بِقُوَّةِ الْإِرَادَةِ وَالتَّحَمُّلِ وَالصَّبْرِ وَجَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى مَعْرِفَةِ احْتِيَاجَاتِ رَعِيَّتِهِ ، وَلَا يَنْتَظِرُ سُؤَالَهَا لَتَقْدِمَ الْعَوْنُ لَهَا ، بَلْ يَسْعَى لِيُفْقِدَ احْتِيَاجَهَا .

د / إِنْ لَا يَكُونُ الْقَائِدُ مُفْرَطًا فِي مَسْئُولِيَّتِهِ ، قَالَ ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَافٍ لِرَعِيَّتِهِ ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » ^(٢) . يَتَضَحُّ مِنَ الْحَدِيثِ التَّحذِيرُ * مِنْ غَشِّ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ قَدَّمَ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ وَاسْتَرْعَاهُ عَلَيْهِمْ ، وَتَنَصَّبَهُ لِصَلَحَتِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، فَإِنَّا خَافَ فِيمَا لَأَمَنَ عَلَيْهِ قَلَمٌ يَصْبَحُ فِيمَا قَلَسَهُ ، إِسَاءَةً يَتَضَيَّعُ تَعْرِيفُهَا مَا يَرْجُوهُمْ مِنْ دِينِهِمْ ، وَأَنَحْلُهُمْ بِهِ ، وَإِنَّمَا بِالْقِيَامِ بِمَا يَتَعَنُّ عَلَيْهِ مِنْ حِفْظِ شَرَاهُمْ ، أَوْ تَضْيِيعِ حَقُوقِهِمْ ، أَوْ تَرْكِ حِمَايَةِ حُوزَتِهِمْ ، وَمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِمْ ، أَوْ تَرْكِ سِيرَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ ، قَدْ غَشَّاهُمْ . قَالَ الْقَاضِي : وَقَدْ نَبِهَ ﷺ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَارِ لِلْوَيْلَةِ لِلْبَعْدَةِ عَنِ الْحَنَةِ ^(٣) ، وَمَنْ عَدَلَهُ أَنَّهُ لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ قَضَاءِ حَوَائِجِ مَنْ هُمْ تَحْتَ يَدِهِ . فَعَنِ أَبِي مَرْثَمٍ الْكَزْدِيِّ قَالَ : (دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ : مَا أَلْعَمْنَا بِكَ أَنَا قَدَانٌ - وَهِيَ كَلِمَةٌ

(١) البحارى / صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الفرائض ، ص ٢٨٤ ، باب التزويج بالقبض . ر : بدون .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ١١٧ ، ر : ١٤٢ .

(٣) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، ص ٢٢٥ ، ر : ١٤٢ .

لَقَوْلِهَا الْغَرَبُ - فَقُلْتُ : خَدَيْتَا سَمْعَهُ أَخْبَرْنَا بِهِ سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ ﷻ حَيْثَا مِنْ أَمْرِ الْمُسْتَلَمِينَ لَا حَتَّيْبَ دُونَ حَاتَّيْبِهِمْ وَخَلَيْبِهِمْ وَقَرْيَهُمْ أَحْتَسِبَ اللَّهُ عَنَهُ دُونَ حَاتَّيْبِهِ وَخَلَيْبِهِ وَقَرْيِهِ » ، قَالَ : فَجَعَلَ رَجُلًا عَلَى خَوَالِجِ النَّاسِ ^(١) .

إن توجيهات الشريعة النبوية قدمت نماذج عملية أثرت في الصحابة ، وساروا على نهجها فكانوا خير قادة لاجتماعهم ، حريصين على مراعاة من هم تحت أيديهم ، ومن تلك النماذج عمر رضي الله عنه فقد كان يخرج بنفسه ليتفقد رعيته في الليل ، ويقدم للمساعدة للمحتاج ، وفي ذات ليلة خرج مع غلامه أسلم قال : " يا أسلم إنني أرى هنا ركباً قد ضربهم البرد ، فخرجنا حتى دنا منهم ، فإذا بامرأة معها صبيان ، وقدر متصوبة على النار ، وصباها يتباكون ، فقال عمر رضي الله عنه : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ، وكره أن يقول يا أصحاب النار ، فقالت : وعليكم السلام ، فقال : أدنو ؟ فقالت : ادن بغير أو دع ، فسألنا عن بكاء الصبية ، قالت : الجوع ، وسألنا عن القدر ، قالت : ماء أسكتهم به حتى يناموا ، والله بيننا وبين عمر ، قال : أي يرحمك ! وما يدري عمر بكم ؟ قالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا . فأتنا تلكا حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عمر عدلاً من الدقيق ، وكبة شحم ، وطلب من غلامه أن يحمل عليه ، فقال الغلام : أنا أحمله عنك ، فقال عمر : أنت تحمل وزري يوم القيامة ؟ فحمله عمر ، ثم عادا إلى المرأة ، وأخرج عمر رضي الله عنه الدقيق وأخذ يذر الدقيق ويصنع الطعام ، وينفع تحت القدر ، ثم صب الطعام في صفة ، فأكل الصبيان ، فقالت : جزاك الله خيراً ، كنت بهذا الأمر أولى من أمر المؤمنين ، فقال لها : إذا جئت أمر للمؤمنين وجدني هناك ، وبقي ينتظر حتى انتهى الصبية من الأكل ، ولعبوا وضحكوا ، ثم ناموا ، فقال عمر رضي الله عنه يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أسمع ضحكهم كما سمعت بكاءهم ^(٢) . هذا ليس بغريب على أصحاب النبي الأول ﷺ .

هـ/ كان النبي ﷺ قدوة في سلوكه وتعامله فقد كان يتخاطب جميع أفراد المجتمع

(١) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٥ ، كتاب الخراج ، ص ٣٤٥ ، ر : ٢٩٤٦ .

(٢) الشوزي / أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، د : ت ، ص ٦٩ - ٧٠ .

ويتحدث معهم حسب قدراتهم العقلية ، ويهتم بالرجال والنساء ، ويحافظ الصغار ويضاعفهم . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْلُقُ حَتَّى يَقُولَ لِأَخِي صَغِيرٍ : « يَا أَبَا عَمْرٍَا فَعَلَ الْفَعْلُ » قَالَ وَكَيْفَ : يَعْنِي طَبَرًا كَانَ يُلْقَى بِهِ ^(١).

هذه السياسة وصل المجتمع إلى قوة عظيمة هابها القرس والروم التي كانت أعظم قوة حربية في ذلك الوقت ، وهذا التواضع الجهم والتحلي بأحسن الأخلاق وأفضل الأساليب في التعامل من السحابة التي يجب أن تتوفر في القائد ، فهي دليل على قوة الإيمان الذي يكسب صاحبه الغيرة والإحلال فتحمله يسر وفق أنظمة يقرها المنهج الرباني ، فالتجمع إذا ملئ في كل ما جاءت به المدرسة النبوية سيكون أفضل مجتمع على وجه الأرض ، كما كان سابقاً محط أنظار الغرب ، فهم ينظرون إلى النظام الإسلامي بعين الإعجاب ، حتى إن رجلاً كالدكتور سيزل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا قال في مؤتمر عالمي عام ١٩٢٧ م : " إن البشرية لتفخر بانتمائها لرجل كمحمد إليها ، فإنه على أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع ستكون نحن الأوروبيون أسعد ما نكون لو وصلنا إليه بعد ألفي عام ^(٢) ، وهذا ليس غريباً لدى المسلمين ، لأن الله الذي خلق الإنسان هو الذي أتى هذا التشريع الذي شمل حياة الإنسان كما شمل الشريعة بجميع خصائصها ، فهو من خلق أعلم ومماحتهم أدري ، قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك آية ١٤) .

من هنا جاء هذا المنهج شاملاً لكل الخصائص التي تتفق مع حاجات الإنسان في أطوار حياته . وتتوافق مع نمجه السليم في الحياة ، أما الأسس الفكرية البشرية فقد انحلت ؛ لأنها قامت على أيديولوجيات حديثة ، وارتكزت على المظاهر المادية والاجتماعية والسياسية في معالجة مشكلات المجتمع - في رؤية زمنية محددة - ولم تؤمن بالروحي الدينية ، من هنا جاء فشلها لأنها أهملت جانباً هاماً من جوانب الإنسان ، ألا وهو الجانب الروحي والخلقي ، فحدث انقسام لأنها عتبت بناحية

(١) ابن ماجه / سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، كتاب الأدب ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ، ٣٧٢٠ .

(٢) الشافعي / علي ، أضواء على الشريعة ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

على حساب ناحية أخرى ، فلم ننحج إلا بمقدار ما تحقق لهذه الناحية ، ثم فُشلت في الجواب الأخرى^(١) . فبعض أهل الحضارة الغربية ينتقدونها ويشهدون على فشلهم . ومنهم (الكسيس كاريل) الذي يلين الحضارة للنادية ويرى أنها وليدة الاكتشافات العلمية في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) يقول : إن القتل والموت قسري يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وينسائل عن جدوى الحضارة التي لا تجلب إلا الشقاء والتعاسة والاضطراب الخلقى . فيقول : " إذ ما جدوى الراحة والفحامة والجمال وأسباب تعقيد حضارتنا ، إذا كان ضعفنا يمنعنا من الاستعانة بما فيما يعود علينا بالنفع ؟ حقاً إنه لمن مآ لا يستحق أي عناء أن نغضي في تجميل طريق حياة تعود علينا بالاضطراب الخلقى ، وتؤدي إلى اختفاء أبهى عناصر الأجناس الطيبة^(٢) .

أما التربية النبوية فإنها عنت بالجانب الإنساني ، ولوضحت حقوق الفرد والمجتمع . وكل الأحاديث التي ذكرت وتدل على سخاء النبي الأول ﷺ من جملة محاسن الأخلاق ، وقد كان ﷺ يسأل الله حسن الخلق في حديث طويل : « وأهدي لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت » ، فالأخلاق هي أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره ، وهي محمودة ومذمومة ، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتتصف منها ولا تتصف لها ، مثل العفو والحلم والجلود والبصر والرحمة والشفقة وقضاء الخواج ، والبر واللين الجانب^(٣) .

و / إن المدرسة النبوية تعد أفضل من المدارس الحديثة ، وأساليبها مع المواقف أفضل الأساليب العلمية والعملية ، ويظهر ذلك في تصرفه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد ، فعن أبي هريرة ؓ (أن أعرابياً بال في المسجد ، فقال إله التامر تلعفوا به فقال لهم رسول الله ﷺ : « دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُكُوتَا مِنْ مَاءٍ ، أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ ،

(١) القاضي / علي أضراره على الشريعة في الإسلام ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٥ .

(٢) القدير / جابر عبد الكريم ، للمسلمون واليهود والنصارى ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ ، ص ١٥٥ .

(٣) المسفلان / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٤٠٦ .

فَإِنَّمَا يُعَلِّمُ فِتْرَتَيْنِ ، وَلَمْ تُغْفَوَا فِتْرَتَيْنِ » ^(١) . شخصية عظيمة جمعت كل خلق حسن وكل سلوك متميز ، فالغفو عن الناس ، والإعراض عن الجاهلين ، والإحسان للمسيئين ، صفات المؤمن الحق ، وهي من أهم مميزات الربّي الناجح ، فمدرسة النبوة صورة مشرفة ، تعالج الأمور بالحكمة ، وتوجه إلى استخدام أفضل الأساليب وأيسرها لمعالجة الأمور ، وكان هذا الجانب بارزاً في شخصه ﷺ ، فعن السيدة عائشة قالت : (مَا حَيَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا أَخَذَ يُسْرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ اثْمُهُ الَّذِي فِيهِ ، وَمَا التَّقَمُّ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ ، إِلَّا أَنْ تُنْفَكْتَ حُرْمَةُ اللَّهِ ﷻ) ^(٢) . الحديث يشير إلى صفتين متضادتين ، وهي العفو والتسامح فيما يخص للمرء نفسه ، والشدة والوقوف على الحقوق والأخذ بقوة على من يرتكب إثماً أو ذنباً بمس الدين ، كما يشير إلى أن الاختيار يكون في أمور الدنيا للأسهل ، فالأفضل على القائد أن يختار أسهل الطرق وأيسرها ، لأن أمور الدنيا لا إثم فيها ، والتخفيف يكون بين حائزين ، وقوله : مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، أي ما لم يكن الأسهل مقتضياً للإثم ، فإنه حينئذ يختار الأشد ، ووقوع التخيير بين ما فيه إثم وما لا إثم فيه من قبل المخلوقين واضح ^(٣) ، وللتأمل في الحديث يشعر أن مربي الأمة ﷺ يهتد به لأمر في غاية الخطورة ، وهو توجيهها لأخذ أيسر الأمور ، ولأن ذلك يعد الفرد عن الوقوع في كثير من المأزق ، فللنهج الرباني يسر وفق ما تقتضيه القدرات للتيابنة بين الناس ، والتربية النبوية تربي للسلم على معرفة قدراته ولا تكلفه فوق طاقته ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (كُنَّا إِذَا تَابَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا : « فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ ») ^(٤) . وَعَنْ خُرَيْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : (تَابَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَلَقَّنِي فِيمَا اسْتَطَعْتُ ، وَالصَّحْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ) ^(٥) . يتضح من الحديث صورة الولاء لله ، وهو العهد واليثاق ، ونور البعثة ، وجمال السمع والطاعة لله

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٥٦ ، ر : ١٥٢ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الشاغب ، ص ٣١ ، ر : ١٧ .

(٣) المسفلان / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب اللباب ، ص ٥٧٥ ، ر : ٣٥٦٠ .

(٤) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الأحكام ، ص ١٣٩ ، ر : ٥٩ .

(٥) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الأحكام ، ص ١٤٠ ، ر : ٦١ .

ورسوله ﷺ ، وفيهما أمران الأول : السمع والطاعة واجبة لولي الأمر ، ما لم تكن في معصية ، والثاني : أن تكون الطاعة حسب للقدرة والاستطاعة - وفي ذلك تكافؤ بين الرئيس والرؤوس - ولزاد أن طاعتهم لمن يتولى عليهم لا تنزف على إصلاهم حقوقهم ، بل عليهم طاعته ولو منعهم حقهم : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيُصَيِّرْ » ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُطَارِقُ الْخِصَافَةَ شَيْئًا فَيُثْبِتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ^(١) .

إن في الجماعة قوة ووحدة ، وفي التفرقة هزيمة وتخرف ، والتربية النبوية تريد أن تسير سفينة الحياة و"بعضى للنؤمن في ممارسته الإيمانية عملاً صالحاً يرفع منه حاج الله على صدق نية ، وسلامة وعي ، وقوة بلذ وعلم يحتاج الله ، وبالواقع البشري ، يعرف حدوده فيقف عندها ، ويعرف منازل الناس ، فيوفيهم حقهم ويعطي مؤمناً في موالاته للمؤمنين في عهوده ومواقفه البشرية كلها ، مؤمناً في بيته ، مؤمناً في سمعه وطاعته ، يقر ذلك كله عهده وميثاقه مع الله ، وولاؤه لله رب العالمين ^(٢) ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّوهُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَعْتَذَرْتُمْ إِلَى اللَّهِ فَسَجِّدْكُمْ حَيْثُمَا قِيلَ لَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٥] ، قَالَ ﷺ : « الشُّعْبُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا مَنَعَ وَلَا طَاعَةَ ^(٣) . فاتباع للنهج الرباني وتنطبق نظام التربية النبوية في المجتمع الإسلامي ليعمل مثالياً بين المجتمعات الأخرى ، لأن وسام نور الإيمان يشع فيضيه طريق كل مؤمن ، ولا يستبدل بهذا النور إلا للبصرون الذين هم على هدى من ربه فيصرون نور الهدى ويتبعونه . فيدرك كل مؤمن مسؤوليته وأمانته ، قال ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رِعَايَةً فَلَمْ يَحْطِهَا بِتَصْبِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رِاحَةَ الْجَنَّةِ ^(٤) ، أعطى الإسلام للأمر أهميته وحمله مسؤولية الأمانة والتصحح والإخلاص لرعيته ، وولاية للمسلمين شأنها عظيم ، وعقابها حاسم لمن فرط فيها ، كما أن السمع والطاعة واجبة ، وبذلك يكون الربى الأول ﷺ وضع

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الأحكام ، ص ١١٣ ، ر : ٧ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الأحكام ، ص ٧٩ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفقه ، ص ١٦٦ ، ر : ١٦٢ .

(٤) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الأحكام ، ص ١١٥ ، ر : ٦٤ .

خطة مستقبلية ونسق خط السير بين الراعي والرعية . عن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِيَّاكُمْ مَسْرُوعُونَ بَعْدِي أَمْرًا وَأَمُورًا فَتَكُونُهَا » ، فَأَمَّا أَمْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَمْرًا إِيَّاكُمْ حَقُّهُمْ وَسُئْلُوا اللَّهَ حَقُّكُمْ »^(١) . إن طاعة للمري الأول ﷺ واجبة ، لأنها متصلة بطاعة الله ، ولأجل مجتمع متكامل متلاحم جعل ﷺ طاعة لولي الأمر واجبة ، قَالَ ﷺ : « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ يَعْصِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ يُطِيعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ يَعْصِيَ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي »^(٢) . الحديث يوضح أهمية طاعة الأمير أو المسؤول ، ويسبق هذه الطاعة وجوب حسن اختياره وقال عمر بن الخطاب ؓ : " من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة ، أو قرابة بينهما . فقد خان الله ورسوله والمسلمين ، ويعلم أن نية على ذلك بقوله : فحبب البحث عن المستحقين للولايات ، من الأمراء الذين هم تواب ذي السلطان والفضلة ، وأمره الأحناء ، وولاية الأموال من الوزراء والكتاب ، ... الخ . وعلى كل واحد من هؤلاء أن يستتيب أو يستعمل أصلح من بعده ، وينتهي ذلك إلى أئمة فصلاة وللوثنين والقرنين والعلمين ... الخ " .^(٣) فالإسلام أوضح الحقوق والواجبات للأمير والمسؤول ، لتكون الأمور معروفة والخلود معلومة ، وقد أوضحها وأكد عليها ﷺ في موقعته التي ذرفت منها العيون ، قال أَعْرَبُ بْنُ سَارِيَةَ : (وَغَطَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَدْ صَنَاءَ الْغَدَاةَ مَوْعِظَةً بَلِغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ [فَمَنَّا] نَعْتَهُ إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَثَرَ حَبِشِي فَإِنَّهُ مِنْ بَعْشِ مَنَظَرِكُمْ يَرَى الْخَطِيئَةَ كَثِيرًا ، وَإِيَّاكُمْ وَمَخْدَنَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّهَا حَتَالَةٌ فَمَنْ أَذْرَكَ ذَلِكَ مَنَظَرَكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْتَدِينَ عَصُوا عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ »)^(٤) . يستشعر المؤمن فطنة العرب وإدراكهم للأمور ، فقد عرفوا من قوله ﷺ أنها موعظة مودع ، فظفروا أن يوصيهم : فأوصاهم بتقوى الله وهي أسس الطاعات ومفتاح الأعمال الصالحة ، ثم بين لهم الطاعة لولي

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الفتن ، ص ٨٤ ، ر : ٤ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الإمارة ، ص ١١٦٥ ، ر : ١٨٣٥ .

(٣) فتاوى / محمد تقي ، دراسات تربوية في الأحاديث النبوية ، ١٤١٧هـ - ص ٣١٦ .

(٤) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب العلم ، ص ٣٠٨ ، ر : ٢٦٨٥ .

الأمر حق وإن تأثر عليهم أدق الخلق فلا نستكفوا عن طاعته ، وأطيعوه مخالفة
 إثارة الفتن ، وإياكم ومُخَذَّنَاتِ الْأُمُور ، وهذا تحذير للأمة من تباع الأمور المخذنة
 للابتدعة ، التي لا أصل لها في الشريعة بدل عليه ، ثم ذكر ﷺ التحذير للمستقبلي ،
 والعلاج السديد لنسأة الأمة والخلاص من الفتن لمن أدرك زمن الاختلاف . فعَلَيْهِ
 بِسْئِي ، فليزِم المؤمن سنة النبي ﷺ وحلفائه الراشدين ؛ لأهم لا يعملون إلا بها ،
 إضافة إلى عملهم واستنباطهم واختيارهم لها . وتَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ السَّنةَ هِيَ الطَّرِيقَةُ ،
 فكانه ﷺ قال : الزموا طريقي وطريقة الخلفاء الراشدين ، وطريقتهم هي نفس
 طريقته ، فهم أشد الناس حرصاً عليها وعملاً بها في كل شيء . وكانوا يتوقون
 مخالفتها في أصغر الأمور ، « وَغَضُّوا عَنْهَا بِالْوَجَدِ » أي المحافظة على الوصية بالصبر
 على مقاساة الشدائد كمن أصابه ألم لا يريد أن يظهره فيشد بأسنانه بعضها على
 بعض^(١).

إن مسألة الإمارة أمانة عظيمة ، فلا يأخذها إلا من كان أهلاً لها ، والأفضل أن لا
 يسعى الإنسان لها ، وقد كان ﷺ يحذر أصحابه من طلب الإمارة ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
 سُرَّةَ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُرَّةَ ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّ أُعْطِيَتْكَ
 عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلِّتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيَتْكَ عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعْطِيتَ عَلَيْهَا ، وَإِذَا خَلَّفْتَ عَلَى يَمِينِ فَرَسِكَ
 خَيْرُهَا خَيْرٌ مِنْهَا قَالَتِ النَّبِيُّ هُوَ خَيْرٌ وَكَفَرُ عَنْ يَمِينِكَ »^(٢) . فيجد الحديث أن من طلب الإمارة
 فأعطيتها تركت إيمانه عليها من أجل حرصه ، فطلب ما يتعلق بالحكم مكروه ، ويدخل
 فيها القضاء والحسبة ، وأن من حرص على ذلك لا يعان ، وعن أبي هريرة قال : (من طلب
 قضاء للمسلمين حتى يتاله ثم غلب عدله جوروه فله الجنة ، ومن غلب جوروه عدله فله النار) ،
 والجمع بينهما أنه لا يلزم من كونه لا يعان بسبب طلبه أن لا يحصل منه العدل إذا ولي ،
 ومن للعلوم أن كل ولاية لا تخلو من للشقة ، فمن لم يكن له من الله إهانة تورط فيما دخل
 فيه وعسر ديناه وعباده ، فمن كان ذا عقل لم يتعرض للطلب أصلاً ، عروفاً من الوقوع في
 الغرور ، أما قول يوسف عليه السلام : « اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ » ، وقول سليمان : « وَهَبْ

(١) لميل كلوري / تحفة الأحوذ ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب العلم ، ص ٨٨-٨٩ ، ر : ٢٦٦٦ .

(٢) البحاري / صحيح البحاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الأحكام ، ص ٦٦٤ ، ر : ٦٦١ .

في ملكاً ١١ قال : فيحمل أن يكون في غير الأنبياء^(١).

ويستخلص من ذلك أن تحمل مشاق المسؤولية ومهامها ليس بالأمر اليسير على النفس ، فعن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ! ألا تستعطيني ؟ قال : فضرَبَ يَدَيْهِ عَلَى مَتَكِي ، ثُمَّ قَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ! إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا لَمُتْلَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِزْبِي وَلَدَائِمَةٌ ، إِنْ مَنَ أَحَدُكُمْ بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهَا »^(٢). يظهر في قوله ﷺ الوضوح وصدق التوجيه ، وربط الإمارة بمناهج الله ، وإرساء قواعد متينة ليعبأ الفرد وتعبها الأمة ، « وَإِنَّهَا لَمُتْلَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِزْبِي وَلَدَائِمَةٌ » ، فالإمارة تحتاج إلى قوة وصلابة في الشق . فهي تتولى حقوق الناس وفسيهم الضعفاء والأيتام ، فلا بد أن يكون الأمر قوياً يرضى حقوقهم^(٣).

فصاحب المسؤولية في تفكير مستمر واتزاع دائم ، من أجل راحة من استراحهم وتحمل أمانتهم . وأعباء العمل تشغل الإنسان حتى عن مطالبه الخاصة ، وليست الولاية راحة كما يعتقد بعض الناس الذين هم بعيدون عن أهواء المسؤوليات ، ومن أهل جانب رعيته وخسر ودمع وتنتهم وعينهم فقد ضيَّح الأمانة قال ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَمْرِ كُفَّمَتْ وَخَرَارِهِمْ : عَزَائِهِمُ الَّذِينَ لِحَبُونَهُمْ وَحَبُونَهُمْ وَلَذَفُونَهُمْ وَيَذَفُونَهُمْ ، وَخَرَارُ كُفَّمَتْ الَّذِينَ لِحَبُونَهُمْ وَيَحَبُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَهُمْ »^(٤). إذا احتل التوازن احتل البناء ، وأصبح النظام الإسلامي في أزمة ؛ لأن نظام التربية النبوية يتطلب بيئة إسلامية ، ولا يتيسر تطبيقه في فئات مفرطة في الأمانة التي وكلت إليها ، " فالأصل هو التضامن والتعاضد والتعاون والاهتمام بالصالح العام ، ولكن إذا فسد الزمان وتغلبت الأهواء وأصبحت الأمور يسودها هيمنة للبدائ غير الإيمانية ، أو انصراف عن التمسك بفضائل الإسلام ، أو تفرق الناس وتقسما شيعاً وغير ذلك من عيوب التفتت والانقسام التي تصاب بها الأمة عند اعتلال عناصر التوازن ، فالعلاج هو أن يقيم للسلم شرائع الإسلام في نفسه^(٥) ، والحديث يشير إلى أن

(١) العسقلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأحكام ، ص ١٢١ ، ر : ٧١١٧ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الإمارة ، ص ١١٥٨ ، ر : ١٨٢٥ .

(٣) البحري / عدنان ، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٦ .

(٤) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفتن ، ص ١١٧ ، ر : ٢٢٧١ .

(٥) وصفي / مصطفى كمال ، بناء المجتمع الإسلامي على الإيمان ، مجلة لواء الإسلام ، ١٣٩٣هـ ، ص ٢٦ .

اغية تزرع ودأ وحياً ، فحب الوالي ومراعاته حاجات رعيته ، تجعل الرعية شبيه ، والعكس إذا كان الوالي ساعطاً على الرعية متبرماً منها ، تكون الرعية أيضاً ساعطة عليه .

واللهج الإسلامي ترك ذخيرة عظيمة من مواقف التاريخ التي تبين كيف تعامل القادة مع رعاياهم ، وحياة المربي الأول ﷺ مع أصحابه تفيض بالدروس التربوية التي استطاعها المربي الأول ﷺ كسب ودة أصحابه ، رغم عثرة البادية وفسرهم ، لأن كسب رضا الناس وتفقير رغباتهم من أصعب الأمور التي تواجه المسؤولين ، فهم يذلون قصارى جهدهم ، ويحاولون أن يسعدوا ويقربوا . قَالَ ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِلَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ بِحُضْرَتِي مِنْ بَعْضٍ ، وَالْقَضَى لَكَ عَلَى نَعْوَا أَسْتَعِ ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَكَ مِنْ حَقِّ أَخِي شَيْئاً فَلَا يَأْخُذُ بِهِنَّ أَفْطَحْ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ »^(١) . في الحديث معاني بلغة ، يتضح فيها جوامع الكلم وحواله ، تدل على تأكيد مساواته ﷺ في تصرفاته من غير الوحي بتصرفات البشرية كواحد منهم ، وإظهار وفور الخلافات بين الناس ، وأن الحق يكون بجانب البليغ لفظاً ، لأنه أبلغ في حجة من الآخر ، حتى وإن كان ظالماً . ومنعاً من تورط الناس في أخذ الحقوق بالقوة ، يذكّرهم ﷺ بالعقوبة التي هي أشد من أخذ حقوق الناس بالباطل ، وهي أن عقوبته النار . فهذا يتراجع للسلم ويلزم حقوقه ، ويتعد عن الحرام فالترية النبوية تعرض الأسباب وتصف العلاج ، ويدرك ذلك أولو الألباب الذين يفتلون أبواب الشر ، ويفتحون أبواب الخير . ويلزمون بما أمرهم به حالتهم ﷺ ، وفي الحديث بناء لشخصية للنؤمن ، وزيادة ليقظة الضمير الإيماني ، فيسعى لطلب الآخرة .

هذه التربية النبوية ماثلة أمام الصحابة ، تشربوا منها التواضع وحقارة الدنيا ، فقائد البشرية وسيد الناس أجمعين ، ينام على الحصى ويؤثر ذلك في حبه ، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ . قَالَ : فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارٌ ، وَكُنَّ عَلَيْهِ عِوَةٌ ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ لَزَّ فِي حَبْتِهِ . وَإِذَا أَنَا بِخُجَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ ، لَعُو الصَّاع ، وَقَرِطٌ فِي لِحَايَةٍ فِي الْفَرْثَةِ ، وَإِذَا عِدَابٌ مُعَلَّقٌ ، فَأَبْتَدَرْتُ عَيْنَايَ . فَقَالَ : « مَا يَكِيدُكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ » . فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لَا أَكِيدُ ؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ لَزَّ فِي حَبْتِكَ وَهَذِهِ عِزَّتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى ، وَذَلِكَ كَيْسَرِي وَكَيْسَرِي فِي النَّمَارِ وَالْأَكْهَارِ ، وَأَنْتَ لَيْسَ اللَّهُ وَصَلَوْتُهُ ، وَهَذِهِ عِزَّتُكَ ، قَالَ :

(١) البحاري / صحيح البحاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الجليل ، ص ٤٥ ، ر : ١٤ .

« يَا أَيُّهَا الْخَطَّابُ لَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْمَاجِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا ؟ قُلْتُ : بَلَى »^(١) . في الحديث وصف للحياة البسيطة التي كان يعيشها المرء الأول ﷺ وأصحابه ﷺ ، ومع ذلك ساسوا العالم بقومهم وعظمتهم ، وكان ذكرهم يرهب أكثر دولتين في ذلك الوقت - قفرس وقروم - وهذا أكثر شاهد على أن قوة المؤمنين ليست بكثرتهم أو كثرة أموالهم ، ولكن تظهر عزهم بقوة إيمانهم وتمسكهم بعتيدهم ، فلم يصل الرجل الأول ﷺ إلى أوج عزهم وقومهم إلا بتمسكهم بتطبيق دروس للمدرسة النبوية التي كانت ومازالت أفضل مدرسة ، تخرج منها خير البشر ، أقاموا شعائر الإسلام واتبعوا منهج التربية النبوية حقاً . فكانت غم السيادة ، عظموا الله ونصروه فصرهم وأعزهم ، أما الواقع اليوم فقد تميز ، بوهن للمسلمين وضعفهم ، وبكثرة الاعتداء والاضطهاد الذي يواجههم في شتى أنحاء العالم بشكل رهيب يتفطر له قلب كل مسلم غيور ، رغم كثرة عددهم وأموالهم . فالدول الإسلامية هي في طليعة الدول التي تملك أكبر عائد تنمطي في العالم ، ولكن انغمست في بحر الترف والمزى ، فضلقت عن ركب القوة والحضارة ، ولقدالت عن المنهج الرباني ، فأذاها الله ، قال تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِ تُحِبُّوا اللَّهَ فَاصْبِرُوا أَلَمْ يَسْمُرْكُمْ ﴾ (صد آية ٧) ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُوشِكُ الْإِغْمُ أَنْ تَدَاغِيَ عَلَيْكُمْ كَمَا دَاغَى الْإِغْلَةَ إِلَى قَصْعِيهَا » ، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قُلَّةٍ لَحْنٌ يُؤْمِدُ ؟ قَالَ : « بَلِ الْإِغْمُ يُؤْمِدُ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غَنَاءُ كَفَاءُ السَّيْلِ ، وَتُثْبِرُغْنُ اللَّهَ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةِ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْدِفَنَّ إِلَيْكُمْ قُلُوبُكُمْ الْوَهْنُ » ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : « حُبُّ الدُّنْيَا وَتَرْكُ الْعِبَادَةِ الْغَنَوَاتِ »^(٢) .

كان المرء الأول ﷺ استشف ما سيؤول إليه أمر هذه الأمة من نشئت ووهن في العسائر والضمائر ، وشكّم للأعداء في الرقاب ، نتيجة لابتعادها عن قيمها وتعلقها بدينها وتفضيلها مباحج الحياة الدنيا على ما أرشدتهم إليه من مناقب ومثل^(٣) ، والحديث يؤكد أن نصر الله لا يأتي إلا باتباع الأمة - أفراداً وجماعات - لمنهج الإسلام واجتهادها في العودة إلى الله ، وتطبيق شرعه على الناس جميعاً ، واستانظام لحكمه ، ولقد كانت للمدرسة النبوية تطابق أحكام الشرع على الناس جميعاً دون تمييز لأحد أو محاباة : فعن عائشة ؓ قالت : « إِنَّ قُرَيْشًا أَغْتَنَبُوا

(١) ابن ماجه / سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الزهد ، ص ٤٨٥ ، ر : ٤١٥٣ .

(٢) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٤ ، كتاب الغلام ، ص ١١١ ، ر : ٤٢٩٧ .

(٣) السيد / محمود محمد ، معبرة الإسلام النبوية ، ط ٢ ، ١٤٠٢ ، ص ٤٧ .

المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : مَنْ يَكَلِّمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَمَنْ يَخْتَرِعْ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَافَةً نَسْنُ
 زَيْدَ حَبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدَالًا : « ائْتِنِي فِي حَدٍّ مِنْ خُدُودِ اللَّهِ ؟ » ثُمَّ قَسَمَ
 فَعَطَّبَ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ قَبِلَكُمْ أَنَّهُمْ كَالْوَأْدِ إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ لِرُكُوتِهِ ،
 وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَرَقَتْ
 لَقُطِعَ فُحْمُهَا يَدَاهَا »^(١٦).

إن ما يحدث في زمن مربي الأمة ﷺ من أحداث تلفت انتباه أنظار المجتمع المدني ليكون
 تشريعاً ونموذجاً لإقامة العدل وتطبيق الحدود ، وللتأمل في الحديث يستكشف أمراً في غاية
 الخطورة وهو تحريم الشفاعة في حدود الله ، ولا يتناق ذلك مع العفو عن ارتكاب فعلاً يقام
 فيه الحد ، ولكن إذا وصل الحد إلى السلطان أو الحاكم فلا شفاعة فيه ، ويجب إقامة الحد
 وأخرج الطبراني عن عروة بن الزبير قال : لقي الزبير سارقاً فشفع فيه ، فقبل له : حتى يبلغ
 الإمام ، فقال : إذا بلغ الإمام فلن الله الشافع وللشفع . وعن عكرمة أن ابن عباس وعمارا
 والزبير أسنوا سارقاً فعملوا سيئه فقلت لابن عباس : بما صنعتم حين أحلستم سيئه ،
 فقال : أما لو كنت أنت لسرك أن يخلي سيئك ، وعن الزبير بلفظ : (اشفعوا ما لم يصل
 إلى الوالي ، فإذا وصل للوالي فعلا فلا عفا الله عنه) . وحديث عائشة مرفوعاً : (تهللوا
 ذوي الهيات زلائهم إلا في الحدود) ، من كل ما تقدم يستفاد جواز الشفاعة فيما يقتضي
 التعزير ، ويدخل فيه سائر الأحاديث الواردة في نذب الستر على المسلم ، وهي عمولة على
 ما لم يبلغ الإمام ، وكان قطع يد السارق معلوماً عند العرب قبل الإسلام ، ونزل القرآن
 الكريم بقطع يد السارق واستمر الحكم في الإسلام^(١٧) ، وفي الحديث كثير من الدروس التربوية ،
 أهمها أن " العدالة ضرورة لإقامة الحق ، وضمان العدل يشيع الطمأنينة ، وينشر الأمن ، ويشد
 علاقة الأفراد بعضهم ببعض ، ويجعل الروابط بينهم قائمة على التوازن والانسجام والإحسان .
 ويوصف به الفرد كما يوصف به المجتمع ، فالعدل في الأفراد إعطاء كل ذي حق حقه ،
 والمجتمع العادل هو الذي من نظمه ما يسهل لكل فرد أن يصل إلى حقه ، والعدل الذي يتطلبه

(١٦) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الحدود ، ص ٢٨٦ ، ر : ١٧ .

(١٧) العسقلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الحدود ، ص ٨٧-٩٤ ، ر : ٦٧٨٨ .

الإسلام عدل في الحكم^(١)، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَازِلٌ إِذْ تَأْمُرُونَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا أَمْرًا مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ وَأَنَّ إِلَهَكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (النساء ٤١)، بالعدل يأخذ كل إنسان حقوقه وواجباته ، فقد بين ﷺ أن الأمم السابقة ضلّت وهلكت بسبب الغيابة في الحدود ، فلا ينحصر ذلك في حد السرقة ، قَالَ ﷺ : « مَنْ خَالَفَ حَقَّاهُ ذُوْنَ حَدٍّ مِنْ خُلُودِ اللَّهِ فَقَدْ خَالَفَ اللَّهَ ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَتْرُغَ عَنْهُ ، وَمَنْ قَالَ فِي مَوْمِنٍ مَا كُنِيَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رِزْقَهُ الْخَيْالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا قَالَ »^(٢) . الحديث يشير إلى أمور ملموسة في الجاهلية للعاصرة ، وهي مداينة الباطل وله طرائق مختلفة ، أوما : مداينة عتقة ؛ وهي الحيلولة دون إقامة الحد ، أي منع بشفاعته حداً ، بعد وجوبه عليه بأن بلغ الإمام ، فلا يقام الحد على اللذنب ، ويقع هو في عقوبة أكثر لأنه خالف أمر الله ﷻ ، والأمر الثاني مداينة جهرية ، مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُ ، أي يعلم أن خصمه على الحق ، أو يعلم الباطل ويصر عليه ، فعقوبته أن يظل في سخط الله ، حتى ينتهي عن خصامته ، والمداينة الثالثة ذكر اللؤم بمساوئ ليست فيه ، فعقوبته « رِزْقَةُ الْخَيْالِ » ، وهي طين ووحل كثير احتلط بعصارة أعمل النار ، « حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا قَالَ » ، أي يترب عنه ، ويستحل من اللؤلؤ فيه^(٣) .

هذه للذهابات أصبحت عادات في المجتمع للعاصر ، والخصم الذين في تأدية الشعائر التعبدية ، والوقوف عليها ، متناساً للبادئ والقيم الأخلاقية التي هي القاعدة للعبادات ، وهي شعار اللؤم ، فالصلاة الصحيحة السليمة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وإذا لم تكن فليراجع للصلي نفسه كيف كانت صلاته ، لأن تمام الأعمال من تمام الإيمان ، فاجتمع للعاصر كثر فيه الفساد بألوان وأشكال لم يسبق لها مثيل ، عصر تغلب فيه الجبل والفساد والغش ، فالساجد مليئة بالمصلين ، والاجتمع مليء بالمقسدين ، بسرغم كثرة المصلين في المساجد ، فالشاحنات والخلاطات تنفك بالاجتمع ، بل تطورت وخرقت حدار الأخوة في بيت واحد وتحت سقف واحد ، لذلك يمكن القول بأن العصر الواقعي هو أشد جاهلية وأخطر من جاهلية قبل الإسلام ، رغم حرص الإسلام وحته على إصلاح ذات البين ، وبيان

(١) فتاوى / محمد لقمان الأعظمي ، دراسات تربوية في الأخلاقيات النبوية ، ١٤١٧هـ - ص ٢٢١ .

(٢) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٢ ، كتاب القضاء ، ص ٢٠٥ ، ر : ٣٥٩٧ .

(٣) العظيم آبادي / عون للعود ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب القضاء ، ص ٤٢٢ ، ر : ٣٥٩٤ .

مولته في الإسلام . قَالَ ﷺ : « أَتَأْخِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ ذَرَجَةِ الصَّيَّامِ وَالصَّادِقِ وَالصَّدِّيقِ » ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « إِصْطَنَحَ ذَاتِ النَّبِيِّ ، وَفَسَدَ ذَاتِ النَّبِيِّ الْخَالِفَةُ »^(١) . يدل ﷺ أمته إلى عمل يوصلهم إلى بلوغ درجة عظيمة ، وبدأ يسألهم لطرق أدعائهم قبل أسمائهم ، فقال ﷺ : « إِصْطَنَحَ ذَاتِ النَّبِيِّ » ، أي ما بينكم من الأحوال ألفة وعجبة ، وقيل : المراد بذات السبب المعاصمة وللهاجرة بين اثنين أو أكثر ويحصل بينهم فرقة ، « وَفَسَدَ ذَاتِ النَّبِيِّ الْخَالِفَةُ » ، وهي الخصلة التي من شأنها أن تعوق الدين وتستأصله كما يستأصل للوس الشعر ، ومن يسعى لرفع فساد ذات النبي ينال درجة فوق ما يناله الصائم القائم ؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين^(٢) . هذا الأسلوب التربوي يحفظ تماسك وحدة المسلمين ، خاصة إذا تذكر للسلم الحوافز التي أعدها الله لعبادة الذين يُصلحون بين المتخاصمين .

وكما ذكر المرى الأول ﷺ الأسباب التي تجلب العداوة والبغضاء بين الناس ، ووضع العلاج وحوافز مغرية يطمع في الحصول عليها كل مؤمن يحب للتصطفى ويرغب بحواره ، قَالَ ﷺ : « إِنْ مِنْ أَحَدِكُمْ إِلَيَّ وَالْقَرِيبُكُمْ مِنِّي فَجَلَسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ أَبْعَدُكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدُكُمْ مِنِّي فَجَلَسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْفَرَّارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَقَبِّحُونَ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قُلْ غَلِيظًا الْفَرَّارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ لِمَا الْمُتَقَبِّحُونَ ؟ قَالَ : « الْمُنْكَرُونَ »^(٣) . هذه الصفات هي مما يكثر وجوده في المجتمع المعاصر ، « الْفَرَّارُونَ » ، هم الذين يكثرون الكلام تكتلاً ويخرجون عن الحق ، فيكثر قهرهم ويقل عملهم ، « وَالْمُتَشَدِّقُونَ » ، هم الذين يتطاولون على الناس في الكلام ، ولستهزلون بالناس الذين يكونون أشد اقربهم بهم وعليهم ، « وَالْمُتَقَبِّحُونَ » ، الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم استعلاء على غيرهم^(٤) . وما أكثرهم في الواقع للعالم ، هذا الواقع الذي ينتسب إلى الإسلام هوية مسجلة محتومة بنظم غربي ، بصمت فيه ما تريد الحضارة الغربية لئلا لتسلمين عن دينهم ، وتحقق لهم ذلك . وقد انتشر في البلاد الإسلامية

(١) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٨٠ ، ر : ٤٩١٩ .

(٢) العظيم آبادي / عون العمدة ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٢٩٤ ، ر : ٤٩١١ .

(٣) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الفروع ، ص ٤٠٩ ، ر : ٢٠٢٥ .

(٤) تقي الدين / فقه الأئمة ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الفروع ، ص ٤٢٨ ، ر : ٢٠١٨ .

لأمراض متعددة كثيرة منها : للحدرات والخمور ونزع الحجاب والزنا ، والرشوة والربا ، والفساد والكذب ، والغية والنعمة ، والجهل والفري والشهوات عامة ، وفقدان روح للمسؤولية الفردية والجماعية ، واضطراب التوازن ، والإقبال على الدنيا والعزوف عن الآخرة ، واضطراب الأسرة ، ومنهج التعليم ، وضعف في أداء الأمانة ، وكثرة الفلوس وقتل الوقت بشئ الفسائل دون إنتاج وعطاء ، وزدياد الممارم من شئ الأنواع ، والجهر بالفسق والقصور والفنسة والفساد^(١). وهذا الفساد من مظاهر التربة الحديثة : لأنها سعت إلى سحق الإنسان لأخيه الإنسان ، فقد اعتبرت المادة هي الغاية التي يجب أن يصل إليها الفرد . وهذا للمنهج الإنساني مغاير للمنهج الرباني الذي هو للحرج من كل هذه الأزمات والمصائب التي تعيشها الأمة ، هو بناء الإنسان من الداخل لينعكس ذلك على سلوكه فيصلح نفسه ويساهم في بناء مجتمعه ؛ لأن الإصلاح الذي تحققه المدرسة النبوية هو " إصلاح كلي شامل يُبنى على قواعد ثابتة ، ويتخذ له الوسائل الإيجابية التي تمكن المسلمين من إعادة الإسلام إلى قوته وميمته على جميع شعبون حياهم ، وإنشاء واقع جديد متكامل في العالم الإسلامي يقوم على أسس الإسلام وقيمه وتعاليمه ، وتكون الحياة فيه إسلامية في صميمها ومقوماتها وميزانها ومظاهرها^(٢) .

تعدد الحلول ولكنها تنطق على أن الذي يمكن أن يتولى مثل هذه الحلول هو الإنسان ذاته ؛ لأنه يستطيع أن يقوم زمام نفسه إلى حسن الخلق الذي أوصى به الربى الأول ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ اخْلَاقًا »^(٣) . البشرية اليوم بحاجة إلى أن تسودها الأخلاق الإنسانية النبيلة ، ويعمها الخير والسلام العلي ؛ لأن السعادة الحقيقية تتحقق للإنسانية بتلك التربية للتكملة لا تجرد التقدم العلمي والحضاري . واجتمع للعاصر وصل في المادة إلى مستوى لم يسبق له مثيل استرق الأرض وتجاوز نطاقها ، ووصل الفضاء وسال وصال في الكواكب التي كانت بعيدة حتى على عياله ، ومع هذا كله ينقصه الأخلاق ، ولذلك احتل التوازن ؛ لأن كفت الأخلاق هي الأرحح وبحاجتها الإنسان ، أكثر من احتراق الفضاء ودراسة جيولوجيا القمر ، إن المجتمع الإنساني يعيش في تيه ويبحث عن شائه ، فللأسلم إن أبصر مبادئه وأتبع منهج خالقه وحيد

(١) النجدي / عدنان علي ، بناء الأمة للسنة الواحدة ، ١٤١٧هـ ، ص ١٢٥ .

(٢) البجيروي / حضر ، المجتمع الإسلامي للعاصر ، مرجع سابق ، ١٤٠٥هـ ، ص ٥١٩ .

(٣) البجيروي / صحيح البجيروي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الثواب ، ص ٣٦ ، ر ٦٦ .

ضالته ، ورجع عن ضلاله ، وإن أهدى يبحث عن ركب الحضارة والعلوم الغربية مستعيذاً
تأصيل مبادئه الإسلامية ، فمن يعتدي إلى شيء إلا بنور الإيمان ، لأن الثرية النبوية تسمو
بأفرادها ، الذين هم أسس بناء المجتمع الشامخ ، وتعالج صفات الأمور ، وتضع حوافز تناسب
مع نفس الإنسانية ، لأنها تربية تحافظ على كرامة اللؤم ومشاعره ، فهذا مربي الأمة ومسيد
البشرية ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ قَاتِلْنَا مُؤْمِنٍ سَيِّئَةً فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَىكَ يَسُومُ هَاجِسَةً »^(١) ،
هذه الشخصية القيادية الرائدة ، وهذا المنهج القويم ينشأ الإنسان الصالح ومن ثم المجتمع
الإسلامي الكريم ؛ لأن الإسلام يعز الفرد ويقدره ويمدّه باستحقاقاته وبراعي أحاسيسه ،
فيعيش الفرد في المجتمع وهو راضٍ مطمئن ، وهذه الثرية النبوية للتسوية تعالج حتى ما
يصدر عن الخطأ وبدون قصد ؛ لأنه ﷺ حريص على مداراة جميع شرائع الناس ، ولكن
لكونه بشراً يحشى أن يصدر منه ما يجرح أحداً من المسلمين فدعا لهم أن يكون ذلك صدقة
تحتسب لهم عند خالقهم .

ومن يتأمل سيرته ﷺ يرى كيف صبر وعانى حتى ربى هذا الجيل المبارك ، وكم فترة من
الزمن قضاه ؟ وكم هي اللواقف التي واجهها ؟ ومع ذلك صبر واحتسب وكان طويل
النفس بعيد النظر ، حتى كونه ذلك المجتمع العظيم ، " وليتأسى به الولاة وللسؤولون بعده
في شلقه الجميل من الصنع والدفع بالتي هي أحسن " .^(٢) فإذا تحقق ذلك استطاع المجتمع أن
يقضي على الأزمات التربوية ، وهي ليست أزمات أسرية فحسب ، لو في مؤسسات تربوية ،
بل هي أزمات في الأمة كلها ، تبدأ من الأسرة وهي الدائرة التربوية الصغيرة ، وتنتهي بالأمة
في وجودها العام ، وهذه الأزمات متعددة لما أسبأها ، ومضارها ونتائجها ، ومنها أزمة
غياب الثقة داخل الأمة . وتحمل الثرية أكبر نسبة في ذلك ؛ لأنها تركز على معاملة
الأخطاء ، وتعمل معاملة مسببها ، ولا تضع للعار الصحيح في التعامل مع الإنسان الذي
كرمه خالقه ، فإذا تحقق ذلك فسوف يعود المجتمع الفاضل كما كان شامخاً ؛ لأنه إذا تم بناء
الأفراد استرد المجتمع قوته وعزه .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الدعوات ، ص ١٣٩ ، ر : ٥٤ .

(٢) الصنعاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٥٠٦ ، ر : ٦٠٨٨ .

٣ - معالم المجتمع الإسلامي وحضارته :

إن اليهود للخصية التي تبدل في التربة عُرضة لأن تذهب كلها سداً حين لا يوجد هذا المجتمع للسلم ، أو حين يوجد مجتمع يعادي القيم الإسلامية ويعمل على تحطيمها . وتكوين المجتمع المسلم هو الهدف الأسمى للتربة النبوية ، ولكنه في الوقت ذاته هو الأداة للوصول إلى تثبيت للفاهيم الإسلامية وتنشئة الأفراد عليها منذ صغرهم ، حتى ينطبعوا بانطباعاتها ، وهذا التداخل بين الأهداف والوسائل ، هو ذاته التداخل بين الفرد والمجتمع^(١) . فخصيلة المجتمع هي نتاج أفرادها ، وكلما كان عائد الأفراد متمشياً مع التربة النبوية ساد المجتمع الجو الإسلامي . قَالَ ﷺ - في حديث منه - : « وَأَقْلُ الْجَنَّةِ قَلْبَةً : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُقْسِطٌ مُقْسِطٌ مُؤَقِّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ وَرَقِيقٌ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ ، وَغَفِيفٌ مُتَّقِفٌ ذُو عِيَالٍ »^(٢) . لنا أمل في قوله ﷺ يستشعر ثلاث خلال شهد لأصحابها بالجنة : عدل السلطان وتوفيقه للحر ، والرحمة ورقة القلب مع الأهل والمسلمين ، والزهّد والقناعة والعفة رغم الحاجة ، هذه خلال إذا سادت أي مجتمع ، ساد فيه الأمان ووصل إلى بناء حضارة رائدة ، فعلى السلطان يمد المجتمع بتكاليف القرض للجميع في مناحي الحياة المختلفة ، وإذا عم العدل تحيى الظلم الذي هو أساس فساد المجتمع ، - وذكر ابن خلدون - أن الملك طبعي للإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع ، والإنسان أقرب إلى خلال الحر من خلال الشر بأصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة ، والملك والسياسة إنما كانا له من حيث هو إنسان ، وخلال الحر فيه تناسب السياسة والملك ، وهما كفالة للمعلن وسلافة لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم ، وأحكام الله في خلقه وعباده إنما هي بالخير ومراعاة للمصالح كما تشهد به الشرائع . وأحكام البشر إنما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدرة الله ﷻ^(٣) . وَرَجُلٌ رَحِيمٌ وَرَقِيقٌ .. ، هذه الصفة إذا سادت في المجتمع تماسك و تألف أفراد ، كما قَالَ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَأَنْتَيْنِ يَشُدُّ بِعَضُدٍ بَعْضُهُ »^(٤) ، فالرحمة تبني المحبة بين أفراد المجتمع ، وهي صفة الرحمن التي ارتضاها

(١) قلبه / محمد ، منهج التربية الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ص ١٧٤٦ ، ر : ٢٨٦٥ .

(٣) ابن خلدون : عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ١٩٩٧م ، الفصل العشرون ، ص ١٠١ ،

(٤) السنن / سنن النسائي / مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الركة ، ص ١٧ ، ر : ٢٥٣٧ .

لعباده ، وأمرهم بها ، والصفة الثالثة : العفة والرضا رغم الحاجة ، وهي مسألة عظيمة لا يقدر عليها إلا من اتصف بصدق إيمان ، وبقوة عزيمة .

هذه التربية توحيد الشخصيات الإسلامية التي بها أسس ﷺ أتوى دولة في ذلك العصر ؛ لأنها عجزت بأفراد أشرت فيهم منزلة النبوة ، التي تحت دائماً على توجيه سلوك المسلم إلى معالمة أخيه المسلم ومسالمة قال ﷺ : « مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِذُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَكَم بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ فَأَجِرُوهُ ، وَمَنْ أَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِيُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاذْهَبُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ كُفِّلْتُمْ »^(١) . إن من سنن الله في الكون أن جعل الناس مستويات متفاوتة ، وأمرهم أن يتعاونوا على عمارة الأرض التي لن تتم بصورة حسنة إلا إذا اتبع الناس منهج التربية النبوية ، الذي يخدم الإنسان ويسمو به إلى كمال الخلق ، وفق حاجات المجتمع الإنساني ، ليكتمل البناء قوياً شامخاً ، وفق معايير دقيقة ومقتنه صممها خالق الكون ؛ ليكون المجتمع للمسلم محمراً بسمات أخلاقية تقدم الناس كافة ؛ لأن حاجتهم للمجتمع الصالح لا تقل أهمية عن حاجتهم للطعام والشراب ، لذلك اهتمت التربية النبوية بالتوجيهات التي تربي تماسك المجتمع ، كما ورد في الحديث الذي يفيد وجوب مساعدة من سأل حاجة بالله ، ومكافأة من قدم معروفاً ، أو الدعاء له بالخير . فالتعامل بين الناس هو مفتاح القلوب ، ودليل حسن الخلق ، الذي يرتقى به للمسلم إلى تحصيل أفضل الدرجات ؛ لأن حسن تعامله مع الآخرين يكون له صدقة يوحى عليها المؤمن ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَسْتَلِكُ فِي وَجْهِ أَحِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَأَنْفَرًا بِالْمَعْرُوفِ وَتَهْلِكُ غَيْرَ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَإِنْ أَذَلِكَ الرَّجُلُ فِي أَرْضِ الضَّالِّ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَتَصْرُوكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِّيهِ النَّصْرَ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَإِنْ أَطْلَقَ الْحَجَرَ وَالشُّوكَةَ وَالْعُظْمَ غَيْرَ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَإِنْ أَرَأَيْتَ مِنْ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ أَحْيَيْكَ لَكَ صَدَقَةٌ »^(٢) . حرصاً على زيادة المودة بين المسلمين جعل الإسلام إظهار البشاشة عند اللقاء كمؤلة الصدقة يوحى عليها للمسلم ، وكذلك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، بطريقة محبة للنفس مقربة للشخص ، حتى يقبل عليها المسلم ويأخذ بها ، ويوحى الناصح ، ويستفيد للنصح ، ومن الأمور التي لا تكلف صاحبها شيئاً ، ويستفيد منها السائل إرشاد الضال إلى الطريق ، فيكسب للمسلم بهذا الفعل صدقة ،

(١) الترمذي / سنن الترمذي / مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الزكاة ، ص ٣٩ ، ر : ٢٥٦٦ .

(٢) الترمذي / سنن الترمذي / مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الزكاة ، ص ٣٨٤ ، ر : ١٩٦٣ .

وكذلك مساعدة الكفيف صدقة ، وإزالة الأذى عن الطريق فيه أجر صدقة ، وفي هذا الأمر وقفة! هل نجد للمسلمين متقدين بتعاليم تربيتهم النبوية في نظافة الأماكن العامة ؟ إن ما يشاهد في أماكن التجمعات العامة من نفايات تجعل غير المسلم يعتقد أن ذلك من تعاليم الإسلام ، فللشاهد دائماً - وخاصة في المواسم الدينية - عند المسجد الحرام وفي البقاع المقدسة أكوام النفايات مما يتعذر السبر في تلك الأماكن ، أين تعاليم الإسلام وتأثيره في النفوس ، هل الإسلام فقط شعائر تعبدية ، دون الأسس والقيم واللبادئ ؟.

إن تعاليم التربية النبوية شاملة لا تحجز ، فالتربية إما أن ترتقي بالمسلم حتى يصبح أهلاً لرؤية الله تعالى في الجنة ، أو ينحط حطاً يلهيهم إذا ضيع وتجاهل وقصر في تعاليم دينه ، لأن هدف التربية النبوية بناء الإنسان الصالح ، الذي يكون سلوكه وفق للنهج الرباني ، وهو أهم من بناء الجسور وتعميد الطرق ، وأهم من تشييد العمارات الشاهقة ، لأن الإنسان الصالح العالم الرشيد هو السبيل إلى تطويع الصناعة ، وإلى الحصول على أسرار التصنيع ، وإلى الوصول إلى أعلى المستويات في الحضارة للمادة ، حتى وإن قيل على الأمة المسلمة إنها متخلفة في كافة مجالات الحياة ، الاجتماعية والمالية والاقتصادية وغيرها ، فإن الإنسان إذا بُني وأُصلح وأُعيد إعداداً صحيحاً يستطيع أن يخطو تلك الخطوات التي تحتاجها الأمة . فهو الذي يحصل على المال وهو الذي يبي ويصنع ويملك أسرار العلم ويستطيع أن يطوره بإذن الله عز وجل . قال ﷺ : « عَلَى كُلِّ مُسْتِمٍ صَدَقَةٌ » ، قيل : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْهَا ؟ قَالَ : « يَقْتَبِلُ يَدَهُ فَيَتَمَتَّعُ لِنَفْسِهِ وَيَتَصَدَّقُ » ، قيل : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ؟ قَالَ : « يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ » ، قيل : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ؟ قَالَ : « يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ » ، قيل : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ؟ قَالَ : « يُتَسَلَّكُ مِنَ الشَّرِّ قَوْلُهَا صَدَقَ »^(١) . هذا التدرج في تسخير معطيات الكون للإنسان ، ووضع البدائل يجعل للسؤم قوي البنية لا يلف عند حد بل يتجاوز ، ويستخدم قدراته العقلية والجسدية لخدمة نفسه وجمتمع ، بهدف الوصول إلى ما وعده ربه من الآخر . فمنهج الاستحلاف الرباني يقوم على التكامل الدقيق التام بين عالم الروح وعالم المادة ، أي بين عالم اللبادئ والقيم والسلوكيات وعالم اللاديات والوسائل واللهارات ، وأي خلل يطرأ على هذه للمعادلة الحضارية وموازنتها الدقيقة ، فمن شأنه أن يخرج هذا للنهج عن مساره الصحيح في حركة

(١) الشنقي / سنن الشنقي / اربع سنن سابق ، ج ٣ ، كتاب الزكاة ، ص ٣٤ ، ر : ٢٥٥٩ .

البناء الحضاري لعمارة الأرض ، كما أن أي تعطل أو تخلف في عملية التفاعل والتعامل مع أحد هذين المراكزين يمسح العطاء لأي جهد بشري في حركة البناء الإنشائي للأرض ، ونظم الحياة البشرية عليها^(١).

والجهد البشري يصل أوج عزه إذا سار على نهج التربية النبوية ، واستحكم روابط الأخوة في الله ، فهي القاعدة العريضة لكل حضارة ، وبؤرة كل مجتمع ، وقد وضعت التربية النبوية لها حولفز يمتحن كل مسلم أن يصل إليها ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ثَلَاثٌ مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغِيظُهُمُ النَّاسُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ لَعْنَتِي » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! تُخْبِرُنَا عَنْ هُمْ ؟ قَالَ : « هُمْ قَوْمٌ تَخَابَهُ بُرُوحُ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ تَسْتَهُمُ وَلَا لِقَوالٍ تَغَاطُلُهَا قَوالُهُ إِنْ وَجَّهَهُمْ لَوُورٌ وَإِلَيْهِمْ عَلَى لَوْدٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ »^(٢) ، وَكَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَلَا إِبْنُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (نور آية ٦٢) ، إن التأخي من العوامل الهامة في وحدة الأمة وتعاونها لتحقيق الترابط بين أفراد المجتمع رغم اختلاف الانتماءات والأفكار المختلفة ، والتربية النبوية ركزت على جانب الأخوة في الله ، فقد جمعت بين للمهاجرين والأنصار على منهج رباني ، وبما أنتج مجتمعاً ضرب أروع الأمثلة الحية في الأخوة والإنثار والتعاون والتراحم ، بعد أن كان مجتمعاً يسوده الفرقة والحروب والعداوة .

فالأخوة في الله ذات نتائج اجتماعية وروحية وسياسية إيجابية ، قولها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الأمانة والإصلاح بين الناس ، والنصيحة ولحرم الظلم . لتحقيق مبادئ تطبيق العدالة الاجتماعية في المجتمع للمسلم^(٣) . قَالَ ﷺ : « الصِّرَاطُ أَخْلَاقٌ طَالِمَا أَوْ قُطِلُوا » ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الصِّرَاطُ إِذَا كَانَ مَقْطُومًا ، أَلَمْ تَكُنْ طَالِمًا ، كَيْفَ الصِّرَاطُ ؟ قَالَ : « لَخَيْرٌهُ أَوْ لَمَنَعَهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَصِرَاطٌ »^(٤) . وَقَالَ ﷺ : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا

(١) القرطبي / جلد أحمد ، الإسلام والنظام العلوي الجديد ، ١٤١٥ هـ ، المجلد ٣ ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ، ص ٢٤٤ .

(٢) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٣ ، كتاب الموعظ ، ص ٢٨٨ ، ر : ٣٥٢٧ .

(٣) الفيبي / فريخان بن سليمان ، الأخوة في الله ، الفوعة الإسلامية ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٥ .

(٤) البحري / صحيح البحري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الإكراه ، ص ٤٠ ، ر : ١٦ .

يُسَلِّمُهُ ، وَفَرَّ كَأَن فِي حَاجَةٍ أَحِبِّهِ كَأَنَّ اللَّهَ فِي حَاجَتِهِ ^(١) . الإسلام لا يقف عند حد الإشارة مبدأ عدم الظلم وتطبيق العدل وإحقاق الحق ورد للظالم ، وإنما يجعل العلاقة بين الأفراد والمجتمعات وبين الدول علاقة سلام وأمان يستوي في ذلك علاقة للمسلمين فيما بينهم ، وعلاقة للمسلمين بغيرهم ^(٢) ، فالاجتماع الإسلامي هو الذي يوفر العدالة للظلمة لجميع أفراده بصرف النظر عن عقائدهم وأجناسهم وألوانهم ومواطنهم ، ويبلغ بهذه السمة ما لم يبلغه أي مجتمع آخر قديم أو حديث ، وعلى هذا للبدأ تتظاهر النصوص التشريعية ويؤيدنها الواقع التاريخي ^(٣) . الذي جاء فيه كثير من الوقائع التي تؤكد عدالة الإسلام بين أفراده ، ومن أمثلة ذلك : أن علياً عليه السلام فقد درعه ، فوجدها عند رجل نصراني ، فقاضاه عند القاضي شريح ، وقال : إلفا درعي ، ولم أبع ولم أهب ، فسأل شريح النصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ قال : إلفا درعي ، فقال القاضي : هل من بينه يا أمير المؤمنين ، فضحك أمير المؤمنين وقال : أصاب شريح ، مالي بينه ، فقتني بالدرع للنصراني . فلعب النصراني وأمر للمؤمنين ينظر ، ثم عاد يقول : أشهد أن هذه أحكام أنبياء ، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقتضي عليه . وأعلن النصراني إسلامه ^(٤) . هذه للبادئ الإسلامية أسستها التربية النبوية ، لتعيش الإنسانية متجهة إلى غايلها من الرقي والتقدم ، وهي مظلمة بظلال الأمن . فهي تربية تعمل على إنشاء مجتمع إسلامي صالح ، تحكمه العقيدة الإسلامية ، يتأخي أفراده ويتساوى في الحقوق .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِعَهْدِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام آية ١٥٦] ، في الآية الكريمة أمر بالعدل حتى وإن كان الباعث على الخور روابط القرابة ، لأن رابطة الإيمان أقوى ، وأمر الله أحق أن يتبع ، وذكررت رابطة الأخوة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [المحرات آية ١٠] ، وأهم أسس الإخاء بين أفراد المجتمع أن يجب كل منهم الآخر حباً يمكنهم من بناء ذلك المجتمع بناء سليماً ، فرابطة الأخوة الصادقة في الله ليست كغيرها من الروابط المادية التي تنتهي بانتهاؤها دواعيها ،

(١) البخاري / مسيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الإكراه ، ص ٤٠ ، ر : ١١ .

(٢) الندوي / محمد لقمان الأعظمي ، دراسات قرآنية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

(٣) قطب / سيد ، نحو مجتمع إسلامي ، ١٤١٥ هـ ، دار الشروق : بيروت ، ص ١٢٧ .

(٤) قطب / سيد ، نحو مجتمع إسلامي ، مرجع سابق ، ١٤١٥ هـ ، ص ١٢٩ .

وتتفنى بالتفناء الحاجة إليها . و أي مجتمع لا يمكن أن يتم بناؤه إلا إذا حكم عقله والتبع أمر ربه في كل تعاملاته ، وأهمها التعاون والحق والعدل ، إذ فقدانها يجعل المجتمع يفرص في بحر الفتن والخلافات ، وانتهاك الحرمات التي هي أسس البقاء والعدالة بين أفراد المجتمع لذلك قال ﷺ : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَنَفْسُهُ وَعَرَضُهُ »^(١) . هذه العناصر الأساسية منهج كامل إذا حلقها أي مجتمع يكون قد حقق نجاح التربية الإنسانية ، التي هي وسيلة لإنجاح الحضارة الإنسانية ، فمهما تقدمت صور الحضارات وأشكالها ، فلن تحقق الغاية الإنسانية إلا إذا أصبح الناس أناساً إنسانيين مهذبين أخلاقين ، يعملون لحير البشرية^(٢) ، والخير يبدأ من هم تحت رعايته ، قال ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ تَذَلُّ الْقَلْبِ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَسَبَّحْتُمْ شَرْ لَكُمْ ، وَإِنْ كَذَبْتُمْ عَلَى تَخَفٍ وَتَهْدٍ بِمَنْ غُفِرَ ، وَتَذَلُّ الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنَ الْبَدَنِ السَّقَطِ »^(٣) . لتأمل في الحديث يستشعر أن التربية النبوية تتناول دقائق الأمور التي تلجأ إليها وتماسك أفراد المجتمع ، فالعطاء يكون دائماً للأقرب فالأقرب ، ويلزم الإنسان أن يتولى نفقة نفسه وعياله أولاً . والمسؤولية تبدأ من يعول ثم تدرج ، وهذا الإنفاق يكون بقدر الاستطاعة ، ومن التردد عن حاجة الإنسان ، فإن ذلك خير له لبقاء نواحيه ، وإن أمسك عن الواجب استحق العقاب ، وفي ذلك الابتداء بالأهم فالأهم في الأمور الشرعية ، « وَتَذَلُّ الْقَلْبِ » أي للنفقة ، « خَيْرٌ مِنَ الْبَدَنِ السَّقَطِ » أي السائلة^(٤) . وذلك يدرّب أفراد المجتمع على الانفاق حول بعضهم ، وحلب الأمور التي تولد الحجة بينهم ، فللممارسة الإيمانية لا تنحصر في ميدان واحد من ميادين الحياة ، ولكنها تمتد إلى كل ميدان وكل نشاط . والمؤمن مكلف أن يمارس إيمانه ويطبق منهاج الله في كل أمور حياته دققها وجعلها . وكل هذا العمل عبادة^(٥) .

ولم تغف التربية النبوية عند مشوبة الإحسان للناس ، بل جعلت من الصور على أذاهم عبادة وقربة . قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ

(١) ابن ماجة / سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الفتن ، ص ٣٩٠ ، ر : ٣٩٣٣ .

(٢) باقر / مفصل ، تجربة القادسية القيادية النموذجية ، ١٤٢٥هـ ، ص ٣٠٠ .

(٣) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الزهد ، ص ١٥٣ ، ر : ٢٢٥٠ .

(٤) البكر كزوري / تحفة الأخواني ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الزهد ، ص ٢١٦ ، ر : ٢٢٤٢ .

(٥) الدعوي / عدنان علي ، لقاء المؤمنين ، ج ١ ، ط ٤ ، ١٤١٤هـ ، ص ١٠٦ .

الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَخْلُطُ الشَّيْءَ، وَلَا يَضُرُّ عَلَى أَدَائِهِمْ^(١). إن هذه التوازنات والتدريب عليها تهدف إلى توحيد جهود المؤمنين في مجرى واحد من النور والحجر، حين لا تسد ولا تنسرق، ويتناول كل مؤمن أن يصمد أمام المشكلات التي تواجهه^(٢). محوياً طاقاته إلى البناء والإصلاح والتوجيه السديد لمن أساء فهم التعامل مع الناس، فيأخذ كل مؤمن مكانته العادل الأمين بين المؤمنين على ميزان صادق، فالصبر على أذى الناس شأنه عظيم، ولا يبلغه إلا قوي الإيمان، صامد العزيمة، ينظر نظرة ثاقبة لحسن الثبوت من الله، مقابل قوة لحملة الذي يقوي الروابط ويزيد الثألف، فكبت للشاعر والعبقري عن الخطيئة من صفات المؤمنين؛ لأنه يعي عماداً قوله ﷺ: «الْتِكَا صِجْرَ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةَ الْكَافِرِ»^(٣)، أي أن للمؤمن بحسب نفسه الأمارة بالسوء عن ارتكاب المحرمات، ومنعها عن اتباع الشهوات في الدنيا. والانتقام والعداوة من الأمور التي لم ينهاها الشرع، وفقو لها النفس، لذلك على المسلم أن يكبح زمام الغضب لديه وبحسب هواه عن الانتقام. ويسعى لفعل الطاعات ويتعاضى ويعفو عن الزلات، ويتذكر دائماً للثبوت والأمر من الله. فإذا مات استراح من هنا، والقلب إلى ما أعد الله تعالى له من العيش السليم، والراحة الخالصة من التقصص. وأما الكافر فإنه لما له من ذلك ما حصل في الدنيا مسع قنسه وتكديره بالمفغصات، وإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد^(٤).

فرابطة الإيمان والأخوة الصادقة في الله هي قوة بناء المجتمع، ولكن هذه الروابط أصابها التمزق في واقعنا اليوم، وقد عرف الأعداء أثرها في قوة الأمة، فسعوا إلى تقطيعها بكل وسيلة، وإفساد الأخلاق، وتعطيل الأحكام، بالعمل ليل نهار، فأصابوا حتى اليوم نجاحاً ظاهراً، وبلغوا من ذلك مبلغاً عظيماً^(٥).

وللدعوة النبوية كما أشارت إلى تقوية الروابط الأخوية، والتعامل الإنساني الإنساني الذي يساهم في عمارة الأرض، أشارت إلى تجنب التعامل السليبي الذي يهدم الحضارة

(١) ابن ماجه / سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٣، كتاب القن، ص ٤٢١، ر: ٤٠٣٢.

(٢) التحوي / عدنان علي، دور المهاج الرهاني ط ٦، ١٤١٤هـ، ص ١٦٩.

(٣) مسلم / صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٤، كتاب الرهد، ص ٧٩٧، ٢٩٥٦.

(٤) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق، ج ١٨، كتاب الرهد، ص ٣٩٥، ر: ٢٩٥٦.

(٥) التحوي / عدنان علي، دور المهاج الرهاني ط ٦، ١٤١٤هـ، ص ١٦٩.

وتجميعها ، وهي أخذ حقوق الناس بغير حق .

٤ - حفظ الحقوق :

وضع الإسلام منهجاً كاملاً للحفاظ على الحقوق ، واعتبرها مسؤولية جماعية ، تحافظ على سلامة المجتمع وترفع من شأنه ، فمن نتائج هذا المنهج الرباني الذي طبقته التربية النبوية أن حققت العدالة الاجتماعية ، وأصلحت السرائر ، لتحقيق الأمن والاستقرار بين أفراد المجتمع^(١)؛ لأنه مجتمع متفرد بنظامه الخاص مغاير للنظم الاجتماعية الأخرى التي تعاني منها البشرية ، كالنظام الإقطاعي والرأسمالي ، والاشتراكي والشيوعي ، والتي أدت إلى انقسام المجتمعات إلى طبقات متفرقة ، ينهش القوي جهد الضعيف ، ويسود أهل الأموال على غيرهم ، مما أدى إلى الصراع الإنساني ، وكثرة الجرائم بين أفراد المجتمع ، أما المنهج الرباني فقد حقق العدل في منحه ، وجعل من مقاصد الشريعة حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل ، من أجل حفظ كيان الإنسان ، ومراعاة مصالحه ، التي منها : أن المال مال الله ، والناس مستخلفون فيه لم ملكية التصرف والانتفاع به ، في الم حدود التي أقرها لهم الشرع ، قال تعالى : ﴿ ءَاتُوا ذَاتَهُ ذُرِّيَّتَهُ وَأَنفُسَهُ أَفَلَا تُحْشَرُونَ ﴾ (الحديد آية ٧) ، وكراهية حبس المال في أيدي فئة قليلة من الناس يتداول بينهم ، ويحرم عن الآخرين . ﴿ كُنْ لَا يَكُونُ ذُوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (الحشر آية ٧) ، وجعل للفقراء حق في أموال الأغنياء يخرجونها بطواعية وطيب نفس ، ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّأُولَئِكَ مِن بَيْنِهِمْ أَن يُؤْتُوا حَقَّهُمْ سُرُوءً ﴾ (النساء آية ٢٨-٢٩) ، هذه " الحقوق التي أقرها الإسلام وأعطاهها الإنسانية كهدف إلى تشريف البشر وصون كرامتهم وإزالة الاستغلال والظفر عنهم وهي حقوق شديدة الصلة بالله وحده الذي هو صاحب الشريعة ومصدر كل حقوق الإنسان ، لذلك فالحقوق منحة من الله لا يملك أحد تقيدها أو انتهاكها^(٢) . كما ورد في قوله ﷻ : « مَن انقطع شِرْكًا مِّنَ الْبَرِّهِ هَلُمَّا ، طَوَّلَهُ اللَّهُ يَدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِّنْ سَبْعِ أَرْجَافِينَ »^(٣).

(١) القاضي / إبراهيم حسد ، الصلوات وتربيتها على الفرد والمجتمع ، ٤٠٨ هـ ، ص ١٦٥ .

(٢) آل سعود / محمد بن توفيق بن عبد العزيز ، ندوة حقوق الإنسان في الإسلام ، ١٤٢٠ هـ ، ص ٢١ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الفرائض ، ص ٩٩٧ ، ر ١٦٦٠ .

لشأنهم في الحديث يستشعر عظمة إثم أخذ حقوق الآخرين بغير وجه حق ، حتى وإن كان قدرأ يسيراً ، فإنه يكون كالطوق في عنقه بمقدار ما أخذ . قال تعالى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا كَانُوا بِهٖ يَوْمَ الْفِتْنَةِ ۚ وَهُمْ يَمِرُّونَ ۚ وَالْأَرْضُ لِلَّهِ يُؤْتِيهَا مَن يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۚ ﴾ (آل عمران آية ١٨٠) ، هذه عقوبة من أخذ حقوق غيره من الأرض بغير وجه حق .

والثريّة النبوية وضعت حوافز للمحافظة على الحقوق والدفاع عنها ، قَالَ ﷺ : « فَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَا لَهُ فَهُوَ شَهِيدٌ »^(١) . الحديث يؤكد دفاع الإنسان عن نفسه وماله ، فإذا قُتل بِنِالٍ آخر شهيد ، وإذا كان هو القاتل فلا فرد عليه ولا دية^(٢) . لهذه للعادلة - التي تعاقب من يعتدي على حقوق غيره ، وتحفز الدفاع عن الحقوق - وضعت الثريّة النبوية حوافز تحسّع أخذ الحقوق ، لأن أخذها سوف ينال عقابه في الدنيا من صاحب الحق أو من السلطان ، وفي الآخرة من الملك الديان ، وفي ذلك إصلاح نفسي وخلقى للفرد ، وتوجيهه نحو الحلال وعدم التعدي على حقوق الآخرين ، فلا تطفئ شهورته ومطامعه على عقله وواجباته . كما عالجت الثريّة النبوية العَوْرَ والحاجة بأن وضعت طريقة تساهم في التخفيف من شدة الحاجة وهي التداين ، فاحتاج الناس بعضهم إلى بعض أمر وارد ، ومن أنواع الحاجة انقراض بعضهم إلى لئال لقضاء بعض ما يلزمه ، وقد كان سيد البشرية ومربيا يستدين^(٣) ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَيْنٌ ، فَهُمْ بِهِ أَصْحَابُهُ فَقَالَ : « دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْخَسْفِ مَقَالًا » ، وَقَالَ : « اسْتَرْوُوا لَهُ مِنْكُمْ فَأَعْطُوهُ إِذَا » ، فَقَالُوا : يَا لَكَ لِحَدَثِكَ يَا سَيِّدَ هِيَ الْفَضْلُ مِنْ سَبِّهِ ، قَالَ : « فَاسْتَرْوُهَا فَأَعْطُوهُ إِذَا فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ لِقَاءً »^(٤) . إن من تعاليم السُّنَنِ الرباني مقابلة الإحسان بالشكر والعرفان ، ومقابلة الإساءة بالصّبح والتجاوز ، ولربي الأول ﷺ في موافقة الثريّة يعلم أصحابه حسن أداء قضاء الدين ، إذا لم يكن شرطاً بينهما ، ووفاء للدين ما عليه بطيب نفس ، وبيان موقف للدين عندما يريد أن يسترد الدائن حقوقه ، من أجل المحافظة على الحقوق ، وكشكّل هذه للواقف دروساً تربوية يطبقها للمسلمون في تعاملاتهم .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب اللقائم ، ص ٢٧٢ ، ر : ٥٣ .

(٢) العسقلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب اللقائم ، ص ١٢٤ ، ر : ٢٤٨٠ .

(٣) بائلي / حصرة محمد ، الفريّة الإسلامية شريعة العدل والفضل ، دعوة الحق ، ١٤١٤هـ ، ج ١٢٨ ، ص ١٢ ، ص ٩١ .

(٤) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب اللقائم ، ص ٣٢٠ ، ر : ٢٩٠ .

وكما أوضح للربي الأول ﷺ المحافظة على الحقوق الخاصة ، أمر بالمحافظة على الحقوق العامة ومنها أموال الدولة ، كما ورد في الحديث : عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يقال له ابن الناقة على صدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، فقام النبي ﷺ على الميتر - قال صفيان أئبنا : فصعد الميتر - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما بال الغافل ليغفل قبالي يقول : هذا لك ، وهذا لي ؟ فهذا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهمي له أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبة ، إن كان عبداً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر - ثم رفع يديه حتى رأينا عرقته (بطيه) - ألا هل بلغت ؟ - قلأنا - »^(١) هناك مواقف يمكن أن تطرح وتناقش بصورة فردية ، ولا يسوغ أن تطرح بصفة عامة ولو مع عدم الإشارة إلى صاحبها ، لأنها ربما كانت مشكلات فردية لا تعني غير صاحبها ، وهناك مواقف تربية أخرى يجب أن تطرح بوضوح وبصورة عامة ، وتعالج وتناقش أيام الجميع . والربي الشايع هو الذي يضع كل شيء في موضعه ، ويتخذ قراراته حسب الأهمية الشرعية للموقف ؛ لأن الإنسان لو ترك لعلياه يتصرف في المال حيث توجهه غريزته لا تحتل للوازين ، وساءت النتائج ؛ لأنها تدفع بالإنسان إلى جمع المال والإكثار منه ، وعدم الاتفاق منه ، فتقبض يده عن فعل الخير^(٢) . لذلك تولى التشريع الإسلامي وضع سياسة خالدة للمال يسر عليها الإنسان ويحدد حقوقه وواجباته . والريسة النبوية حضرت من أخذ الأموال بغير وجه حق . هنا الأمر الذي شاع في الواقع للعيش ، وتفشى بخطوط سمكة واضحة ، والأكثر من ذلك أنه كثيراً ما يطلب علناً من أهل تسهيل وتيسير الأعمال ، وهذا أشد فحشاً بالمجتمع ؛ لأنه يقوم على أخذ حقوق وإعطائها للآخرين مقابل عروض مادية ، يحكم للركز والخال العملي ، وهذه حيانة عملية لا يرضيها الإسلام . متعاضدين تحذيره ﷺ : « لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّاهِي وَالْمُرْتَشِي »^(٣) . فالرشوة ما يعطى لإبطال حق ، أو لإحقاق باطل ، أما إذا أعطى ليتوصل به إلى حق ، أو ليندفع عمن نفسه ظمناً فلا بأس به ، وكلنا الأخذ إذا أخذ ليسعى في إصالة صاحب الحق فلا بأس به^(٤) . أما هدأيا

(١) البيهقي / صحيح البيهقي ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الأحكام ، ص ١٢٧ ، ر : ٣٦ .

(٢) عبد المتحنى / محمد رضاء حلي ، الحريات والحقوق في الإسلام ، ١٤٠٧هـ - ص ٩٥ .

(٣) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٣ ، كتاب القضاء ، ص ٢٠٠ ، ر : ٣٥٨٠ .

(٤) العظيم البادي / عون العمود ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب القضاء ، ص ٤١٧ ، ر : ٣٥٧٧ .

العمال التي تعود بسبب المركز والولاية فهي حرام ؛ لأنه خان في ولايته وأمانته ، والسبب في تحريم القدية عليه لأنها بسبب الولاية ، بخلاف القدية لغير العامل فإنها مستحبة^(١).

فالإسلام له نظام فريد متكامل ، فهو يهيئ الجو الصحيح للمعاملات المتبادلة بين أفراد المجتمع ، " فكثر من الناس يعيش مستغنياً جهده وطاقته في اللطافة بالحقوق ولا يقع بما يحصل منها مهما أخذ .. والحقوق ليست غايات يسعى إليها الإنسان لذاتها وإنما هي وسائل تمكن الإنسان من أداء واجباته في الحياة . ولكن بعض الناس يمضي في تلك الحياة كما تمضي اليهاهم والأعنام .. لا تدري الحياة بوجوده ولا بموته .. لذا فإن قيمة الإنسان الحقيقية فيما يتركه من آثار وما يخلده في مظاهر الحياة وفي إسهامه في خدمة المجتمع وتقدمه دينياً وحقيقياً وعلمياً ومادياً^(٢) . وتقدم المجتمع في التواحي للمادية وللعنوية ، وبناء حضارة رائدة لا يمكن أن يتم بعيداً عن الوجود البشري في إعمار الأرض وفق نواحيس الله بأسمى شكل تتجلى فيه إنسانية الخليفة الإنسان ؛ لأن " الحضارة هي نوع من الامتزاج والتفاعل بين العقائد والتصورات والأخلاق والنظم الاجتماعية وما توفر من معطيات ثقافية مع الخوات الفنية والعملية ، لينتج عن ذلك وفرة في عالم الأشياء وسيطرة أكثر على الطبيعة وخروج من حيز الضروريات إلى الشعور بالتألق وتعدد الخيارات^(٣) ، وأول حضارة رائدة وضعت عطلها مستقبلية تتوافق مع الفطرة السليمة هي الحضارة الإسلامية ؛ لأنها ناقشت وعاجلت كل ما يهم الإنسان ، وبدأت بنائه من الداخل حتى ينعكس ذلك على سلوكه ، فهو واضح الحضارة ورثتها .

فالترية النبوية جاءت لقضاء مصالح الإنسان بكل يسر وسهولة ، ووضعت أسساً يستند عليها الناس في حياتهم ، هذه الحياة التي تبناها الإسلام وأسس لها القواعد والتشريعات والرعاية ، فهي منحة ربانية أعطيت من أجل العمل ، فيجب الحفاظ عليها وصيانتها إلى أن يأتي الأجل المحدود والمصير المحترم . وليس لأحد مهما كانت مكانته وسلطانه أن يفسد الإنسان حق الحياة ، ومن فعل ذلك يغير حق تجاوز حدود الإنسانية ، وعقابه من جنس

(١) قنوي / صحيح مسلم بشرح النووي / مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الإمارة ، ص ٥٣٣ ، ر : ١٨٣٢ .

(٢) خضر / محمد حمد ، الإسلام وحقوق الإنسان ، ١٩٨٠م ، ص ٧٥ .

(٣) بكر / عبد الكريم ، من أجل الحضارة الحضارية شاملة ، ١٤١٥هـ ، ص ١٠ .

عمله ؛ لأن الإسلام لم يشرع حد القصاص في القتل إلا حفاظاً على هذا الحق للقدس^(١) ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة آية ١٧٩) ، وقد نفذ القصاص زمن الرسول ﷺ بنفس الطريقة . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (إنَّ يَهُودِيًّا رَضِيَ رَأْسُ خَدْرِيَّةَ بِنْتِ خَضْرِيٍّ ، فَقِيلَ لَهَا : مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا : أَمْلَأَتْ ؟ أَمْلَأَتْ ؟ حَتَّى سُمِّيَ الْيَهُودِيُّ قَاوَمَاتٍ بِرَأْسِهَا ، فَجِيءَ بِالْيَهُودِيِّ فَأَعْتَرَفَ ، فَأَمَرَ بِهِ الشَّيْخُ ﷺ فَرُضِيَ رَأْسُهُ بِالْحِجَازَةِ)^(٢) . إن الإسلام كان سباقاً إلى الإقرار للإنسان بحقوقه ، وإلى الاحت على صون هذه الحقوق وحفظها ، وإحاطة هذه الحقوق بالرعاية ، وحمولها بالعناية من أولى الأمور ؛ لأن الإسلام أقام للنهج للتكامل للحياة الإنسانية على قواعد ثابتة ، وجعل له أصولاً راسخة ومبادئ خالدة ، بل إن الإسلام اعتبر التفريط في حق من حقوق الإنسان تفريطاً في جنب الله ، لذا يجب أدائها على سيرة وجهه ، والوفاء بما طاعة الله ، والقيام بكاليف شرعه الخفيف .

وحيث يرتقي المفهوم الإسلامي لحقوق الإنسان إلى مقام العبادة الرفيع^(٣) ، قَالَ ﷺ : « مَنْ حَتَلَ عِلْمَتَا السَّلَاحِ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَمَنْ غَشَا فُلَيْسَ مِنَّا »^(٤) . وقال عبد الله بن عمر : (إنَّ مِنْ زُجَرَاتِ الْأُمُورِ الْبَيِّ لَا تَخْرُجُ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا : سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ بِغَيْرِ جَلَّةٍ)^(٥) . هذه التربة النبوية التي أرسى دعائمها للنبي الأول ﷺ في الأمة الإسلامية ، تجعل سفك الدم الحرام ورطة من الورطات ؛ أي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها ؛ لأنه أوقع نفسه في الفلاك ، (وسفك الدم) : أي إراقة ؛ والمراد به القتل بأي صفة كان ، (بغير جَلَّةٍ) : أي متعمد القتل بغير حق ، وفي حديث ابن عمر "زوال الدنيا كلها أعون على الله من قتل رجل مسلم"^(٦) .

أما المحروب التي قام بها ﷺ فهي لنشر الحق والسلام ، ومن أجل سعادة الإنسان . وكانت لأجل انطلاق الرسالة المحمدية من مهدها إلى بقاع الأرض لتقيم الشخصية الإنسانية

(١) محضر / محمد حمد ، الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب القصاص ، ص ١٠٠ ، ر : ٦٣ .

(٣) القوماري / عبد العزيز عثمان / حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية ، ص ١٦٩ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٩٤ ، ر : ١٠١ .

(٥) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب القصاص ، ص ٣ ، ر : ٢ .

(٦) الصغفاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ١٨١-١٨٢ ، ر : ٦٨٦٣ .

على لبنات الخو والحمية . أما مسلمو الجاهلية للعاصرة فقد ابتعدوا عن الحق فزاد بعلمهم عن السلام ، فقامت شعوب الحضارة الغربية تنادي بالسلام ، وكأنه من صنعهم وخطوطهم ، فقد " رفعت منظمة اليونسكو شعار التربية من أجل السلام ، منطلقة من أن معادل السلام ينبغي أن تقام في عقول الناس " (١) . والسلام سبق تلك المدينة العوالية التي جعلت البشرية تنمرخ في دماء القتلى ، ولا تملك إلا أن تنادي بشعارات زائفة ، تحالف التربية النبوية التي بدأت بتربية الذات ، وحرصت على سلامة الإنسان ذاته من الباع القوي قال ﷺ : « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِخَبِيرَةٍ فَبَخِيرَةٍ بِإِيدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِكًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ شَرِبَ شُرْبًا فَقَتَلَ نَفْسًا فَهُوَ يُشْرَبُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِكًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسًا فَهُوَ تَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِكًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا » (٢) . إن صفة الإحياء والإمامة لله وحده ، ومن يتعدى عليها فقد ظلم نفسه وأشقى حاله . وهذا النهج الترموي يحافظ على النفس الإنسانية من نزغات الشيطان حين تضيق الحياة ويعتقد الإنسان أن الموت يخلفه من متاعها ، ولكن عندما يذكر أنه سينال عقاباً أبدياً ومصيره النار غلداً فيها ، قد يتراجع ويخاف ويصير ، فالتربية النبوية منهج موحد للجميع ، فمن حاد عن الصواب وجانب الحق فقد ضل سواء السبيل ، واحتلت موازين الحياة لديه ، إما بجهل أو ضلال ، وسار ضد التيار ، ومن هنا شرع الإسلام فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من يطلع على حاله ، وهذا الأمر قاعدة أساسية في منهج التربية النبوية .

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

للمعروف : اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه ، والإحسان إلى الناس ، وكل ما ندب إليه الشرع ، ولهي عنه من الحسنات والفيحات . والمنكر هو : المنع عن الشر ، والنهي عما يميل إليه النفس والشهوة (٣) . فالاجتماع الصالح هو الذي يعمل أفراد على إعلاء كلمة الله ﷻ ورفع راية الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنه يعد الفرد إعداداً سليماً حتى يكون لبنة في مجتمعه ، ويتكون المجتمع الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين ،

(١) السيد / محمود أحمد ، معجزة الإسلام النبوية ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٥١ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٩٨ ، ر : ١٠٩٠ .

(٣) ابن حزم / صاوغ بن عبد الله ، وأخرون ، موسوعة لفظة التجم ، ج ٣ ، ١٤١٨ هـ ، ص ٢٥٠ .

ويستحقون وصف الرحمن لهم بالحوة في قوله ﷺ : ﴿ كُنْتُمْ خِرَافَةً أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران آية ١١٠) .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة أساسية من قواعد الدين الإسلامي ، وصفة يميز بها رب العالمين هذه الأمة إذا قامت بتطبيقها بين المؤمنين . وهذه صفة مشروطة باستمرار تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما إذا تركوها وأهملوها فإن الشر يعم على جميع أفراد المجتمع قال ﷺ : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ قَامُوا يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْخَذَكَ أَنْ يَعْذِبَهُمُ اللَّهُ بِعَقَبٍ مِنْهُ »^(١) ، فالإسلام بعد الإنسان الصالح ويضع على عاتقه مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويُحْمَلُ المجتمع هذه المهمة التي لها قوامه وبقاؤه كأمة لا يميزها إلا الإيمان ، الذي عليه اجتمعت ، وبإعماله تنفرق .

ولأهمية هذا الأمر وضرورته وصّى به لقمان ابنه فقال : ﴿ يَبْنِيْ أَعْمَرَ الْمَسْئِلَةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنْ ذَلَبَكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان آية ١٧) ، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وله بعث الله النبيين أجمعين ، ولو طُورِي بساطه ، وأُجْمِلَ علمه وعمله عَمَّتِ الفوضى وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، وانتشر الفساد ، وعربت البلاد ، وهلك العباد ، وقد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانحرف بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مدامنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الفوضى والشهوات استرسال البهائم ، وعزّ على الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في ثلاثي هذه الفترة وسد هذه الثغمة إما متكلِّلاً بعملها أو متفكِّلاً لتفريطها بهذا لمدة السنة الدائرة ، ناعضاً بأعيانها ومُشْتَرِئاً في إحيائها ، كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إسمائها^(٢) . والواقع للعالم خير شاهد على ذلك ، لأن حال المسلمين وصل إلى درجة يرثي لها كل من في قلبه خيرة وإيمان ؛ لأن ترك الأمر والنهي من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى ضعف المجتمع الإسلامي ، * فتكرار الأمر والنهي على أجماع الناس كلما خفي معروف أو ظهر منكر على مر الأيام

(١) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفتن ، ص ٦٩ ، ر : ٢١٧٥ .

(٢) العراقي / أبو حامد محمد ، إحياء علوم الدين ، ج ٢ ، د : ٥ ، ص ٢٠٦ .

بحق دون شك تطهير الأمة كلها رجالاً ونساءً دون جهد ولا إرهاق ، فالإنسان لا يفسر من سماع العلم في كل ساعة من ساعات حياته ، حينما يدعو الأمر الناهي غيره إلى ما يصلح شرعاً ، ويستمع مع كل دعوة إلى دليلها ، وهو للقعود الأمي الذي يريده الله شتمع المؤمنين^(١) ، قال تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران آية ١٠٤) .

وبعد الأمر والنهي أهم معيار إسلامي لتقوم السلوك الفردي والجماعي ، وله شروط يجب أن يتصف بها من يقوم بهذه المهام ، وإلا كان الإثم أعظم والعقاب أشد ، فمن أبيس وأبل قال : (قِيلَ ثَلَاثَةٌ : قَوْلُ نَبِيٍّ قَدْ أَكَلَمْتَهُ ، قَوْلُ : إِنَّكُمْ تَقْرَوْنَ آلِيَّ لَا أَكَلَمْتُهُ ، بِأَلِ اسْمِكُمْ إِنِّي أَكَلَمْتُ فِي السَّرِّ ذُوْنَ أَنْ أَفْخِجَ نَبِيَّ لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَخَعَهُ ، وَلَا أَقُولُ لِرَجُلٍ - أَنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْرٌ - : إِنْ خَرَّ الْقَاسِي بَعْدَ خِيءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَلَوْا : وَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ؟ قِيلَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « يُجَاهِدُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقِي فِي النَّارِ فَتَدْفِنُ أَلْفَتُهُ فِي النَّارِ . فَيَقُولُ كَمَا يَسْأَلُ الْجَاهِلُ بِرَحْمَةِ فَتَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ : أَيُّ لَدُنَّ مَا شَأْنُكَ ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالُوا : كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آيَةَ ، وَأَنَّهُ كُنْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآيِهِ »^(٢) .

ليتأمل صاحب الفكر الرشيد ، والعقل السديد ، كيف كانت صفات المجتمع الرائد ، فهم يبحثون عن الرجل المناسب لتوجيه الأمر والنهي كما تنضح الطريقة والكيفية في صورة الأمر ، لأن الأعمال التي لمس المشاعر والإحساس تكون سراً ، وبطريقة مرغوبة ، وذلك تكرماً للإنسان وعدم جرح لمشاعره ، فإذا حصل الأمر أو النهي بهذه الصورة يكون الإقبال محموداً عند سامعه . أما اليوم فقد شوه طائفة من المسلمين معالم الأمر والنهي ، فلا يكون إلا طريقين : إما الأمر بصراحة وعجرفة وقوة ، أو الإهمال والترك والتخلف ، وكما ضعفت قدرتهم على التمكن والسيطرة بقدر ما فرطوا في أوامر للنهج الرباني ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ﴾ (الحج آية ٤١) . فترست الآية بين الأمر والنهي والصلاة والزكاة ، وكأنه

(١) للنظرة العربية للعربية والتفاهة والعلوم ، الباب الخامس ، الفصل الأول ، الطريقة التربوية في التجميع ، ص ٧٤ .

(٢) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب بدء الخلق ، ص ٢٤٧ ، ر ٧٦ .

طهارة للروح وزكاة للعلم ، والدرج مع الأركان لأهميته ، وهو من مهام الاستخلاف في الأرض ، حتى إن المجتمع الذي يتعالى عنه كلبية لا يستجاب لهم دعاؤهم . قال ﷺ : « مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، قُلْ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ »^(١) ، وفي رواية أخرى جاء القسم على تأكيد العقاب وعدم الاستجابة . قَالَ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَسْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُؤَذَّنَنَّ اللَّهُ أَنْ يَتَغَيَّرَ عَلَيْكُمْ عَقَلًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ »^(٢) .
 المتأمل في الحديث يستشف أن أحد الأمرين واقع : إما الأمر والنهي منكم ، وإما إنزال العقاب من ربكم ، وعدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم ، بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فإما كان الأمر والنهي لم يكن عذاب^(٣) ، وهنا ارتباط وثيق بين الأمر والنهي وبين وقوع العقاب وعدم استجابة الدعاء لرفعه . وللسلم حريص أن يستجاب دعاؤه ؛ لأن أسوره وأحواله متحدة مع وقائع الحياة المختلفة ، وهو أمر في غاية الأهمية لديه . كذلك الأمر والنهي ضروري ومهم في المنهج الرباني لسلامة المجتمع من انتشار الفساد ، وهلاك العباد ، وبذلك تكون مؤلة الأمر والنهي في الشريعة ضرورية ومهمة ، وقد ذكر في القرآن الكريم قبل الصلاة ، قَالَ ﷺ : « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ سِلْسِلَةٌ ذَاتُ الْقُوَّةِ يُتَوَاتَرُونَ فِيهَا وَبَيْنَهُمْ ذُرِّيٌّ مِنْ اللَّهِ »^(٤) ، المتأمل في الآية يجد أن الأمر والنهي لم يتوقف على الرجال فقط ، بل وضحت الآية أن الأمر والنهي يشترك فيه المؤمنون والمؤمنات ، وذلك للتأكيد على حمل هذه المسؤولية ؛ لأن " تحقيق الخير ودفع الشر يحتاج إلى الولاية ، والتضامن والتعاون ، ومن هنا تقف الأمة صفًا واحدًا " ^(٥) ، إذا طبقت الأمر والنهي . وما آل إليه المسلمون اليوم من دمار وضعف وهوان ما هو إلا بسبب تقاعسهم عن وظائفهم في إعمار الأرض ؛ لأنهم مكلّفون بمهمة الخلافة في الأرض ، والتي تكون بتنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه فيها ، وجوهرها العمل الدائم الذي يعمل مؤشر الأمر والنهي في كل اتجاه .

(١) ابن ماجه أ سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الفتن ، ص ٤١٩ ، ر : ٤٠٠٤ .

(٢) الترمذي أ سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفتن ، ص ٦٩ ، ر : ٢١٧٦ .

(٣) البزار كفاي / تحفة الأحرار ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الفتن ، ص ١٩ ، ر : ٢١٦٩ .

(٤) غلبه / سيد ، في خلال القرآن ، ١٤٠٠ هـ - ج ٣ ، ص ١٦٧٥ .

فالمخلوق حياً الإنسان للاستخلاف في الأرض بطبيعة تركيبة الروحي والسمادي والعقلي ،
 بالروحي يُقَسِّم مضمون الخلافة أمراً ونهياً ، وبالسمادي يباشر إعمار الأرض ،
 وبالسمادي العقلي يبنى الحضارة ، فهو المخلوق الوحيد الذي حمل أمانة التكليف^(١) . والأمر
 والنهي له مستويات ودرجات ، يقوم به كل فرد في المجتمع حسب استطاعته ، لقوله ﷺ :
 « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُتَكَبِّراً فَلْيُغَيِّرْهُ يَدُهُ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانُهُ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ
 أَضْعَفُ الْوَيْدَانِ »^(٢) . الحديث مؤشر واضح وحجة قوية إلى ضرورة النصح أو التغيير لكل فعل أو
 قول يهجه الشرع ، وأعلى مستوى في التغيير هو بالقول والفعل ، وعند عدم القدرة بمحاول
 بالقول ، وإذا تعذر عليه فينكر ذلك في قلبه ، وهذا تغيير معنوي إذ ليس في وسعه إلا هذا
 القدر من التغيير . وقيل : إن ذلك يحدث في أضعف زمن الإيمان إذ لو كان إيمان أهل زمانه
 قوياً لقدر على الإنكار القوي أو العلني ، ولما احتاج إلى الانحصار على الإنكار القلبي ،
 فالشخص للذكر بالقلب فقط أضعف أهل الإيمان ، ولو كان قوياً صلباً في الدين لما اكتفى
 به^(٣) . وأحوال المجتمع للسلم للعاصر خير شاهد على ذلك ، فقد وصلوا إلى ضعف ومهانة
 لم يسبق له مثيل من قبل . أضاعوا وصية رسولهم ، في الأمر والنهي فضاعوا وتفرقوا ،
 وفقدوا السيطرة حتى على أنفسهم . لذلك فإن الإنسان محتاج إلى المجتمع كله ومن
 حولها يثأر لهم وينتقم منهم وينظر إلى ما عندهم من خير فيقتبسه ، أو خطأ فينتحيه ، أو
 نصيحة يعمل بها .

٦- النصيحة :

إن النصيحة في الدين الإسلامي أمر مهم في ميزان أعمال المسلم ، وهي عُقْلُ مَنْ
 أخلاق المؤمنين الصادق ، وتزيد مسؤوليته النصيحة الصادقة في علق السؤول ، وهي لا تؤثر
 في النفس إلا إذا كانت بعبارة تنم عن الحب والود ، وبطريقة لطيفة^(٤) . وبعد مبدأ التناصح
 بين أفراد المجتمع الواحد من أهم للقيادة التي تقوم عليها العلاقات الإنسانية داخل المجتمع ،

(١) البشير / عبد الحميد ، علاقة الإنسان بين الروحي والسمادي ، ص ٢٤ ، ١٤١٣ هـ ، ص ١٤٩ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٧١ ، ر : ٤٩ .

(٣) البشير / لجنة الأحاديث ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الفتن ، ص ٢٢ ، ر : ٢١٧٢ .

(٤) الطبري / أنوار سعاد ، العلاقات الإنسانية في السيرة النبوية ، ١٤٢٢ هـ ، ص ١٢٧ .

والنصيحة في الإسلام عامة للصغير والكبير ، الغني والفقير ، القوي والضعيف ، حتى تسمى العلاقات بين الأفراد ، وتزيد الثقة فيما بينهم ، ويعرف كل فرد أن النصيحة يقصد بها الإصلاح ولا يقصد بها النصيحة^(١) ، فمن فهم الداري قال : قال ﷺ : « **الْثَنُّ النَّصِيحَةُ** » ، قلنا : لمن ؟ قال : « **لِلَّهِ وَلِكُنْهٍ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَغَنَائِهِمْ** »^(٢) . هذا الحديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام ، وقيل : ليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة ، فهي تجمع غيوري الدنيا والآخرة ، وعماد الدين وقوامه فنصيحة ، كقوله : « **الحج عرفة** » ، أي عماده ومعظمه عرفة . والنصيحة كلمة يراد بها إرادة الخير للمنصوح له ، والنصيحة لله ﷻ ، أي الاعتقاد في محبته وإخلاص التبة في عبادته ، والقيام بطاعته واحتساب معصيته ، وللقصود أن النصيحة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه ، فأنه تعالى غني عن نصح الناس ، (وَلِكُنْهٍ) : الإيمان به والعمل بما فيه ، وتعظيمه وتلاوته ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتنهم علومه ، والعمل بمحكمه ، (وَلِرَسُولِهِ) التصديق بنبوته ، وبذل الطاعة له فيما أمر به ولهى عنه ، ومعاداة من عاداه ، وتسوقه ، وإحياء طريقته وسنته ، ونشر شريعته ، والنصيحة لأئمة المسلمين : معاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وتبنيهم وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وأن لا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا ، ويدعى هم بالصلاح . والنصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم في آخرهم ودنياهم ، وكف الأذى عنهم ، وإعانتهم عليه بالقول والفعل ، وإرادة الخير لهم^(٣) . والواقع للعالم غير شاعد على حال المسلمين اليوم ، لأنهم فرطوا في مصير قومهم ، وابتعدوا عن دينهم ، وانغمسوا في شؤون الدنيا ، وغفلوا عن هذا كله بانشغالهم بمضارة الغرب ، وآثروا الدنيا وزيتها ، وركضوا خلف القوى ، وجمع ثلثا وبذله في أمور الدنيا ، متجاهلين قيم ومبادئ دينهم ، والاعمال النبوية ومثلها في حياتهم وسلوكهم ، فكانت النتيجة الدلل والموان ، والنصائب والكربات ،

(١) التطويري / نوال سعد ، العلاقات الإنسانية في السورة النبوية ، ١٤٢٢هـ ، ص ١٣٠ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٧٥ ، ر : ٥٥ .

(٣) العظيم آبادي / عون للعمود ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٢٨١ ، ر : ٤٩٣٦ . مضاف إليه : شوقي / صحيح مسلم بشرح شعوبي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، ص ٢٢٨-٢٢٩ ، ر : ٥٥ .

والأمراض النفسية . والسر في كثرة مآسي المسلمين أن كثيراً منهم يصلون ويصومون ، ولكن دون إدراك وتأثر وتأثر ، يدخل المسلم يصلي ثم يخرج يغش ويكذب ، فهذا لم يتحقق الهدف من الصلاة ، فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، لذلك فالمسلمون اليوم بحاجة ملحة وماسة إلى الرجوع إلى دينهم ، إلى التأمل في الأوامر والنواهي وتطبيقها ، وعلى كل فرد أن يبدأ بنفسه حتى يلتقي الجميع عند نقطة الانطلاقة القوية التي تكسر شوكة الأعداء ، وتشعل الدائرة تلور عليهم ، ويعود سهمهم المسموم في نحورهم .

وفي نهاية لطاف في الحديث عن الأهداف يتضح أن الإسلام اعتنى بالجوانب الثلاثة من حياة الإنسان وجعل الأهمية الكبرى متعلقة بالقلب والروح ، ولم يغفل عن العقل والجسم ومتطلباتهما في الحياة ، بل أمر بأداء حقوقهما^(١) . وبذلك يكون البناء العقلي الذي يؤسس الإنسان ليصبح الشخصية الصالحة لذاتها وللصلحة لغيرها ، والتي لها يتكون المجتمع الحضاري ويتم الاستخلاف في الأرض بما أمر به الخالق . فالمرئي الأول وضع الأسس التي تسبق لها حضارة أمته ، وما عليهم إلا تطبيقها والأخذ بها ، لأنه أدرك أن الإنسان هو الأسس في بناء الحضارة ، فليكن هو المنطلق ، وليتبن بناء نفسياً سليماً ، ولا شك أنه ستفجر طاقاته الروحية والعقلية بعد ذلك في خدمة مجتمعه ، والإنسانية جمعاء^(٢) .

أما الحضارات الأخرى فهي متغيرة حسب المصالح الدولية ، مهملات الجوانب الشخصية ، لذلك فهي سريعة الزوال والتغير ، يشعر فيها الإنسان بضياح وتيه وحرمان ، فيظل ساعطاً على نفسه ومجتمعه ، يحاول تدمير نفسه وكل من حوله ، لأنه يشعر بشقاء نفسي ، حاقق ناقد ، ضال لا يعرف للراحة بالاً ، ولا لسكينة قراراً . فحياة بدون إيمان ، كأرض بلا ماء ولا نبات ، فهي قاحلة لا مجال للعيش فيها ، لذلك على المسلم أن يسلك طريق الهدى الذي هو سبيل النجاة في الدنيا والآخرة ، وبناء الشخصية القوية ، ودليل الحضارة الرائدة ، ومعقل الاستخلاف في الأرض للمسحرة بأمر خالقها لتسهيل مهمته فيها .

فالنظام الإسلامي ينبع من القلوب ، ولم يكن مفروضاً ، لأن الأخلاق في التربية النبوية

(١) الشوي / أبو الحسن علي الحسني ، التربية والجمع ، ١٤١٢هـ - ص ٦٩ .

(٢) السيد محمود أحمد ، معصرة الإسلام التربوية ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ - ص ٤٨ .

تمارسه حرة ، وأفعالها صادرة عن الإرادة . فالهدف الأسمى للإسلام هو إنشاء مجتمع إسلامي صالح ، تحكمه العقيدة الإسلامية ، يتأخى أفرادها ويتساوون ، وتزول الفوارق جميعها بمجرد الالتقاء على هذا الدين ، فيعمل الفرد من أجل نفسه ومن أجل المجتمع ، فالفرد خلق الإنسان الصالح الذي يعمل ضمن الحدود التي رسمها الشرع له مراعيًا مصلحة نفسه ومصلحة المجتمع ، فهو فرد فيه ، ولابد أن يراعى ذلك ، ويعمل المجتمع على الحفاظ على كرامة الأفراد ، التي منحهم الله وميزهم بها عن غيرهم من المخلوقات وعلى حمايتهم ، ولهذا التماسك يُحفظ كيان المجتمع من الانهيار ، فهذا المجتمع الصالح وأفراده الصالحون يعملون على تحقيق الغاية من خلق الله للإنسان ، ويعملون على رفع راية الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإعلاء كلمة الله^(١).

وبعد أن يتحقق هدف إصلاح العبودية لله وحده ، ويبدأ الإيمان العقول والأفئدة ، يتحقق الهدف الثاني وهو تكوين الإنسان الصالح الذي يراقب الله مراقبة مستمرة ، ويعمل ما يرضي ربه فقط ، فإذا صلح أفراد المجتمع تكتمل دائرة أهداف التربية ؛ إذ يتحقق تكوين المجتمع الإسلامي القادر على بناء حضارة إسلامية رائدة ، من خلال التوجيه الإسلامي للعلوم^(٢).

هذه الأهداف إذا تحققت تكاد تستقل بوضع معالم كاملة ، لعالم رفيع كرم سليم ، مبني على القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها ، والتي تكفل قيامه أولاً ، وصيانه أخيراً ، عالم يصدر من الله ويبقى أن ينتسب إلى الله . عالم نفي القلب ، نظيف للشاعر ، غفّ اللسان ، وقبل ذلك غفّ السريرة . عالم له أدب مع الله ، ومع رسوله ، وأدب مع نفسه ، ومع غيره ، أدب في هواجس ضميره وجوارحه ، وفي الوقت ذاته له شرائعه للنظمية لأوضاعه ، ونظمه التي تكفل صيانه . يكون عالم له نظمه وإجراءاته العملية في مواجهة ما يقع فيه من خلاف وفنن وقلقل واندياعات ، لتحليل كيانه لو تركت بغير علاج ، وهو يواجهها^(٣).

إذا تحققت هذه الأهداف استطاعت التربية أن تؤدي رسالة الله تعالى في هذا المجتمع ،

(١) إبراهيم / تبيينه ، تصور التطبيقات ... ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ .

(٢) قطب / سيد ، في الطلام لقرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢٣٢٥ .

(٣) قطب / سيد ، في خلال القرن ، ط ١٠ ، ١٤٠٢هـ ، ج ٦ ، ص ٢٣٣٦ .

ويتشتر الأمن والطمأنينة في هذه الحياة ، وبعم الود والعطف والمساواة بين أفراد المجتمع ،
فتتحقق سعادة الفرد ، ومن ثم سعادة المجتمع .

دلالات تربوية لأهداف النظرية التربوية في السنة النبوية :

١/ تحليل الناشئة من تحول العقيدة إلى ثقافة تدرس ، وعلم يحفظ من غير تطبيق ، كما
هو حال بني إسرائيل ، فهم الذين ورثوا الكتاب ودرسوه ، ولكنهم لم يعملوا به
ولم تتأثر به قلوبهم ولا سلوكهم . وكلما رأوا عَرَضاً من أعراض الحياة الدنيا
تفاضوا عليه ، لم تأولوا وقالوا : (سيفتر لنا) ، وهذا القول يشابه أقوال بعض الناس
في العصر الحالي عندما يفعلون ما يريدون من المعاصي ، ويقولون : إن الله غفور
رحيم . والله سبحانه وتعالى يغفر لمن يفلح عن المعصية ويتوب . أما الإصرار على
المعصية مع العلم فإن الله يجازي كل إنسان بعمله ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

٢/ إن النهج الرباني له ثلاث ركائز أساسية تبنى عليها الشريعة الإسلامية :
الركيزة الأولى : طاعة الله ﷻ بأداء ما يستحقه سبحانه من توحيد
وعشبة وعبادة وطاعة وإخلاص النية لله وحده ، والأدب مع
النبي ﷺ بإعطائه حقه من الحب والتوقير والتقدير والاتباع .
الركيزة الثانية : إصلاح النفس بتربيتها وتغذيتها وإزالتها فعل الطاعات
وترك المنكرات ، وتركيتها بحرقه الله في السر والعلن ، ويعقبه الخلق مع
الناس بأداء حقوقهم والإحسان إليهم بالبر والقسط والغيرة ،
الركيزة الثالثة : إعمار الأرض كما أمر الله ﷻ وعدم الفساد فيها ،
ومحاولة إصلاح المفسد بطريقة النصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر .

٣/ إن مرحلة التعليم العام غير مستوفية للمثل التي تجعل المسلم يقهر بدينه ؛
الذي قدم له حقائق الكون متكاملة : إله مع مخلوقاته - الأرض مع السماء -
الدنيا مع الآخرة . فكل تقدم في علم الكون يزيد من إيمان المسلم بدينه .
وتجعل يقهر بدينه وقرآنه ؛ لأنه يدفعه دفعاً ، ويأمره أمراً ، أن يفكر

في خلق السموات والأرض ، وأن يستحسب بمجاهل الفضاء ، كما يقتحم أغوار الأرض وأعماق المحيطات ، بما لديه من إشارات علمية قدبه للبحث ، فالإسلام سبق العلم الحديث وعلم المستقبل ، وسيظل سبق أي علم بشري ، وسيظل العلم البشري متحلفاً ، إذا قيس بما قدمه الإسلام من علم ، فهناك محاورات لا يستطيع العلم الحديث لفتح آفاقها كالثلاثة ، والبن ، والشياطين ، وما على المسلم إلا أن يتبع الحقائق المدونة في الكتاب والسنة ، فإن لم يصل إلى نتيجة يكون قد أدى ما عليه ، وإن وجد فيزداد إيماناً إضافة للجهاد والثروة^(١).

٤/ لا يكتمل إيمان المرء إلا إذا عمل بما علم ، وسأل عما جهل ، وجعل عمله مطابقاً لأوامر الله ، منتهياً عن نواهيهِ . سريره تتوافق مع مظهره ، خالص النية لله ، عباً لعباده ، ناصحاً لهم .

٥/ من سار على منهج الله فلا يضره من ضل . فقد كسب رضا ربه ، وكسب دنياه وآخرته ، ومن سار على منهج البشر ، وأخذ بأسباب الدنية الغربية مع الانغماس في الفجور عسر دينه ودنياه .

٦/ إن ربط سنن الكون وتوابعه بعقيدة النشء ، يزيد من وعيهم ويصقل عقولهم بقدرة الخالق وعظمته ، ويعتق جوانب الإيمان لديهم .

٧/ إن غرس الإيمان بالدار الآخرة في قلوب النشء ، يعصم من فتنة العرض ، فلا يصلح قلب ولا تستقيم نفس ولا تصلح حياة إلا به ، فهو يحجز النفس البشرية عن الطمع ويكفها عن البغي ، ويظمئها في صراع الحياة الدنيا ، بأن الأجر لا يسطيع بفوات الحياة الدنيا . والتهج النبوي يغرس في نفس المؤمن حب الآخرة ، والسعي إليها بالأعمال الصالحة ، وينير من الإقبال على حب الدنيا ، وجمع المال .

٨/ إن التربية النبوية اعتمدت قبل كل شيء بتربية الروح ، وهي الطاقة التي تجعل الإنسان يؤمن بالغيبيات ، فيعمل بكل ما أمره دينه ، موقناً بأن الدنيا دار استلاء

(١) عود / عبد الغني / الإسلام والكون ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة ، ص ١٣٥ : ١٣٩ .

وفناء ، والآخرة دار علود وبقاء ، وهي أكبر طاقة تؤثر في سلوك الفرد ، فتعكس على مصالحه ، ومصالح أفراد المجتمع .

٩/ إن صلاح الظاهر يبدل على صلاح الباطن ، وصلاح الباطن لا بد أن يُثمر صلاح الظاهر ، وما يجب معرفته أن العقيدة هي الأصل ، فالأمور العلمية الاعتقادية كمعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة اليوم الآخر والإيمان به ، وللآخرة والكتاب والنبين ، هذه الأشياء أصول ينبغي أن تغرس في النفوس وتبين عليها التجربة ، ويتعلمها النشء .

١٠/ إن تغير واقع الأمة الإسلامية يبدأ بتأصيل أفرادها ورجوعهم إلى منهجهم القويم ، كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، محسكين لخط النجاة ، وهو التغير النفسي ، معتقدين بما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (الرعد آية ١١) .

١١/ أولت التربية النبوية اعتماداً بالغاً لبناء الإنسان بناء متكاملًا متوازنًا ومتطوراً من جميع الجوانب - روحياً وعقلياً وجسمياً وعقلياً وعاطفياً وإنسانياً واجتماعياً - لتكوين الإنسان المؤمن ذي الشخصية المتميزة والفعالة في بناء المجتمع . وجعلت حسن الخلق طريق الصلاح ، فالإنسان الغني بخلقه هو الغني حقيقة . فالسليم هو سيد الكون كله ، وليس عبداً إلا الله .

١٢/ أن التكامل للشحوظ في الإنسان الصالح مستمد من تكامل التربية النبوية بين الدنيا والآخرة وبين الجسم والروح وبين النظري والعملية . وهذا التوازن بين الإنسان بناءً قوياً محصناً ضد أي تيارات خارجة عن فطرته المستقيمة .

١٣/ تقدم أي أمة وريقها وبناء حضارتها يبدأ بصلاح أفرادها ، إذ هم صانعو هذه الحضارة .

١٤/ إن الإيمان بالله والشعور بوجوده فطرة مستكة في الإنسان . وجعل الله عقل الإنسان مناهج التكليف والمسؤولية ، وجعل قدرته على التفكير أهم موهباته

للخلافة وتنفيذ منهج الله في الأرض . وسخر له الكون بكل ما فيه من مخلوقات
لخدمة الإنسان حتى يعينه على القيام بحق الخلافة .

١٥/ إن معظم الحضارات السالفة التي ازدهرت قبل ظهور الإسلام ، عرفت ألواناً متعددة
من التربية تعكس فلسفة كل أمة من تلك الأمم . ولكن الأمة الإسلامية انفردت عن
غيرها من الأمم بنظام تربوي متميز قادر على تكوين أجيال مسلمة متوازنة ، قادرة
على تحمل المسؤولية الكاملة في تحقيق التوازن الإنساني في الدنيا والآخرة . والخلافة في
الأرض ، والتي ﷺ هو للرأي الأول الذي قام بهذه المهمة التربوية ، فرسم نماذج
تربوية لجميع فئات المجتمع لم يسبق لها مثل في العالم بأسره ، حتى كان خير حيل على
وجه الأرض .

١٦/ إن مدرسة النبوة لم تكن قاصرة على من يعيش في كنف النبي ﷺ ، أو من يعيش
تحت سقف بيته ، بل كانت منهجاً تربوياً ينتهجه لأمنه عامة ، وممتدة امتداد الحياة ،
ويرسخه في كل الأجيال من بعده ؛ ليقتفوا أثره ، ويسيروا على منهجه التربوي ،
فهو ﷺ قدوة للأجيال كلها . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ [الأحزاب ٢١] . والأحداث
والواقف التربوية أكدت عظمة المجتمع المتمسك بتعاليم المنهج القويم ، وبطاعة
أولات الأمور وعدم مخالفتهم إلا إذا أمروا بمعصية ، فلا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق .

١٧/ التهاون في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى انتشار الفساد
في المجتمع ، وإذا انتشر الفساد فيه فإن داهية يصيب كل فرد في المجتمع ، وهذا
التهاون يؤدي إلى تطاول أهل الباطل في باطلهم ؛ لأنهم يعلمون أن فعلهم الشائن
لن يوصلوا عليه ، أما إذا علموا أن المجتمع سيواجههم بفعلهم ، فإنهم يبالون
سوتدعون^(١) . لذلك من مهام الإمام تنقده لأمر ورعيته كتابتها وحزنها ،
وتعليمهم ما يصلحهم .

(١) اللغوي / عبد الله سليمان ، المجتمع المعاصر ، ١٤٠٧هـ ، مكتبة نزار : الأردن ، ص ١٨٥ .

نظرية أهداف الحرية النبوية : هي تربية شاملة توجه الإنسان إلى إسلاص العبادة لله وحده ،
وتقنم بجمع جوانبه الإنسانية - الجسمية والنفسية والخلقية والعقلية والوجدانية والروحية -
وتوازي بين سلوكه وشخصيته ، وطريقة حياته وتفكيره ؛ فيتحقق إعداد الإنسان الصالح - في
فكره وقلبه وجوارحه - فيعمل على استمرار عمارة الأرض لكونه مستحلفاً فيها ، مستغلاً
تسخير الكون له . ومساهماً في تنمية ثقافة الأمة الإنسانية والإسلامية .

وترى هذه النظرية أن تطبيق الشريعة الإسلامية هي وسيلة الإنسان الأساسية في إصلاح
ذاته وإصلاح مجتمعه وعلى هذا يجب على كل إنسان أن يتعلم تعليماً يسهم في تحقيق كمال
الطبيعة الإنسانية بإرادة قوية وعزيمة صادقة ، وبصورة شاملة ومتوازنة من أجل عمارة
الأرض وتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة .

ونستخلص من ذلك ثلاثة أمور أساسية هي :

- ١ / إن الإنسان حرّاً وليس عبداً إلا لله تعالى وحده لا شريك له .
- ٢ / إن الإنسان سيد الكون كله ومكلف بعمارة الأرض .
- ٣ / إن الإنسان يجب عليه أن يؤدي الأمانة التي حملها ، ويكون ذلك بتحرير الإرادة
الإنسانية (بالعلم والإرادة والقدرة) من الضغوط الخارجية (الاقتصادية والاجتماعية)
ومن الانحراف الناعني (الأهواء والشهوات) . أي بفعل الخير بكل صوره ومستوياته
(إسلامياً وإيمانياً وإحساناً) وبدفع الشر بكل صوره ومستوياته .



الفصل الرابع

مضامين التربية الفردية في السنة النفسية

مقدمة :

أولاً: مضامين مفهوم الطبيعة الإنسانية :

- ١- تكوين الإنسان .
- ٢- التربية الجسمية .
- ٣- التربية العقلية .
- ٤- التربية النفسية .
- ٥- التربية الوجدانية .
- ٦- التربية الغريزية .

ثانياً: مضامين التربية الفردية :

- ١- فضل العلم في الإسلام ومكانته .
- ٢- الفرق بين العلم والمعرفة .
- ٣- سمات المعلم والمتعلم والتعليم .
- ٤- العلم والعمل .
- ٥- تحمل المسؤولية والعمل بمقتضاها .

ثالثاً: مضامين التربية الاجتماعية :

- ١- علاقات الأخوة الإيمانية .
- ٢- العلاقات الأسرية .
- ٣- علاقات الجوار .
- ٤- علاقات الأقارب والأرحام .
- ٥- علاقات البيع والشراء .

الفصل الرابع

مضامين النظرية التربوية في السنة النبوية

المقدمة :

إن الشبح للتربية النبوية بعدها قد رسمت عموماً عريضة توضح مضامين الدين ، التي تتفق مع الفطرة البشرية وتشمل الحياة كلها من جميع جوانبها ، غاصت في أعماق النفس الإنسانية وأظهرت أسرارها ، - التي لم يتوصل العلم الحديث إلى كثير منها حتى الآن - ثم وجهت هذه النفس وقادتها إلى ما يتناسب معها ، فوضعت لها تربية تصل بها إلى مستوى يليق بالإنسانية ، ويتم طريقها بالعلم والعمل وتحمل المسؤولية ، ويوفر لها الحياة المهنية ، ويقوي العلاقات الاجتماعية في المجتمع . فتغيرت نظرة الإنسان نحو نفسه ومجتمعه ، لأن التربية النبوية اشتملت على مضامين متميزة عن غيرها من المذاهب الوضعية والفلسفات الغربية ، التي تضمنت كمّاً هائلاً من المعلومات والأفكار المختلفة ، والعنصرية للبيئة في مضمونها ، وتدلل على تباين الثقافات والتصورات نحو الحقائق التي تفسر طبائع البشر واتجاهاتهم وعلاقاتهم . فما أتى به الإنسان محدود العلم لا بدّ أن يكون محدود التوافق ، لذلك فالأولى بالسلم أولى أن يتعلم العلم الذي يتناسب مع فطرته السليمة ولا يتناق مع منهجه الرباني فهو الصواب والحق ، وما جاء مخالفاً للدين الإسلامي فهو فاسد .

ومن أعظم المهام التي يقوم بها القائمون على تربية النشء أن يضعوا نصب أعينهم أنهم يعيشون في عصر تحدي ، وأن الدين الإسلامي ليس عقيدة مجردة من التطبيق ، ولكنه يحتوي على مضامين ظاهرة واضحة ، وأخرى تحتاج إلى استنباط وفقه رُسم معالمها وإظهار محيواتها ، وهذا الجانب كان مقصداً للعلماء وطلاب العلم ، فهم يتجهون للتربية النبوية لاستنباط المضامين التربوية . واستخلاص الشواهد التي امتزجت بها عبر القرون ، فالتربية النبوية تتعامل مع النفس البشرية ، وتعلم ما يتوافق مع فطرتها فتعاطب الناس ابتداءً بالعقيدة والتوحيد ، ثم إيجاد الإنسان الصالح وصلته بما حوله في الكون ، توضح استخلافه وتعمله أمانة الخلافة ، وبذلك تتحقق أسمى أهداف التربية الإسلامية .

وحين يمكن تفسير سلوك الإنسان وتكتمل تربيته لابد من إزالة القناع عن غموض النفس الإنسانية ومكوناتها ، ومعرفة احتياجاتها الفردية والاجتماعية . لذا نحاول الباحثة تسليط الضوء على الأحاديث التي تناولت مضامين معرفية تكشف عن الطبيعة الإنسانية ، وما فيها من أسرار غيبية - لا يعرفها الإنسان إلا عن طريق الوحي - . وقبل البدء في الإشارة إلى هذه الأحاديث لاستنباط مضامينها التي تتصل بالنظرية التربوية الإسلامية ، لابد من توضيح كلمة للمضامين .

مفهوم المضامين لغة : (الضمن) باطن الشيء ودخله . ويقال : يفهم من ضمن كلامه كذا : دلالة ومراميه . و(الضمون) : المحتوى . ومنه مضمون الكتاب : وما في طيه . ومضمون الكلام : فحواه وما يفهم منه . والجمع مضامين^(١) . وتشتر للمضامين إلى : ما في بطون الحوامل من كل شيء كألفن تضمته ، ومنه الحديث : أن النبي ﷺ لم يبع للأفحاح وللمضامين . وضمن الشيء بمعنى تضمته^(٢) .

واستنباط المضامين التربوية من الأحاديث النبوية عمل أساسي ومنطلق إيمان لتحليل النفس البشرية ، حيث إن النظرية التربوية الإسلامية تنطلق أساساً من مبادئ القرآن الكريم والسنة المطهرة لفهم أسرار النفس البشرية ، وهي صادرة من ذات عللة بأسرارها ، وبطبيعتها تركيبها ، علمية بما هو أصلح لتقوم بعلاجها . كما أن دراسة المضامين التربوية واستنباطها من الأحاديث النبوية يميز التربية الإسلامية عن غيرها من النظريات الوضعية ، وإثبات أنها تربية ربانية تعلم حقائق النفس البشرية وتوجه مسيرتها بما يتوافق مع فطرتها . فالتربية النبوية تهدف إلى اقتران التربية النفسية والجسمية والعقلية والاجتماعية بالتربية الاعتقادية .

وفي هذا الفصل سوف تستبطن الباحثة مضامين تربوية من الأحاديث النبوية التي تكشف أسرار الطبيعة الإنسانية ، ولتقيم تربية الفرد وفق منهج يتوازن مع نفسه البشرية ، وتسعى لتحقيق تكافل اجتماعي من خلال العلاقات الاجتماعية .

(١) مصطفى / إبراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ١٣٩٢ هـ ، المكتبة الإسلامية : تركيا ، ص ٥٤٥ .

(٢) ابن منظور / لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٦٥٨ .

أولاً: مضامين مفهوم الطبيعة الإنسانية

إن الطبيعة في الإسلام تعني : مجموعة السحابا التي خلق الله عليها الناس ، وفطرهم عليها ، والطبع هو الصياغة وإحداث الأثر ، وهو تأثير الأعمال في النفس وتأثير الأشياء في الأشياء . أما الطبيعة في الفكر الغربي هي : الجوهر للمادي الأول الذي تصنع منه الأشياء ، وهذا الجوهر للمادي هو أصل الوجود^(١) . والطبيعة الإنسانية ذات الجاهدين : الأول نوع العلاقة التي توحد بين مكونات الإنسان ، وتوجيه هذه المكونات بما يتوافق مع خصائصه البشرية ، والاتجاه الثاني علاقة الإنسان بالكون من حوله (وقد سبق شرحه) .

ولكل رؤية نظريات خاصة لفهم طبيعة الإنسان . فالتجته التربية قديماً نحو العقل لتعليمه وتدريبه ، مغفلة عناصر تكوين الشخصية ، الجسمية والانفعالية وخصائص مراحل النمو ، وسامت التربية الحديثة باتجاه أفضل : لأنها اعتمدت بالجسم والعقل ، ولكن أغفلت الجانب الروحي . وهو علم غيبي لن تستطيع أن تصل إليه التربية الحديثة . وهي حول الناس منذ أمد طويل . فعن عبد الله قال : (يَتِمَّا أَلَا أَتَشْبِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ وَهُوَ مُتَّكِيٌّ عَلَى عَصِيْبٍ ، إِذْ مَرَّ بِصَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقَالَ تَعْظُمُ لِنَعْسٍ : سَلَوُا عَنِ الرُّوحِ ، فَقَالُوا : مَا ذَاكُمْ بِإِلَهِ ؟ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْزِبُونَهُ ، فَقَالُوا : سَلَوُا ، فَقَامَ إِلَيْهِ تَعْظُمُ فَسَأَلَهُ عَنِ الرُّوحِ : قَالَ : فَأَسْكَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ شَيْئاً ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ ، قَالَ : فَكُنْتُ مَكْنِي ، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ : ﴿ وَنَسْطَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلُ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾^(٢) (إسراء آية ٨٥) .

إن الروح ليست لها عناصر ولا يعرف كنهها الإنسان ، فهي سر استأثر الله بعلمه ، لذلك تظل الروح غامضة عند غير المسلمين ، أما للمسلمين فمعرفةهم بالروح تقف عند حد ما جاء به الشهاب الرباني ، وأبعد به النبي ﷺ : لأن الإسلام هو دين القطرة ، يدعو الإنسان إلى النظر والتأمل في إدوائته الجسمية والروحية معاً ، فالخالق جمع في تكوينه عنصرين هما : عنصر شراب وعنصر الروح . حيث عنصر شراب يمثل في الجسد ، وعنصر الروح يمثل في النفس التي تفتح فيها مسجده

(١) مذكور / علي ، منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب صفات المنافقين ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، ر : ٢٢٩٤ .

وتعالى من روحه^(١)، قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ لِنَفْسِهِ مِنْ سُلَاطِنٍ مِمَّنْ مَبِينٌ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِ رَبِّهِ ۝ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ ﴾ (السجدة آية ٧-٩) .

إن تفسير الطبيعة الإنسانية ومكوناتها من أهم القضايا التي يبدل فيها العلماء الجهد والوقت ، والهدف من دراسة النفس الإنسانية هو معرفة مكونات هذه النفس بقدر ما تتيسر للمعرفة لفهم كيف تكون في صحتها ومرضاها واستوائها وانحرافها ، وبالتالي معالجة النفس على أساس سليم^(٢) . فالطبيعة الإنسانية فيها آيات تجعل كل ذي لب يفكر في مظاهر خلقها ، حيث تضمنت إعجازاً باطنياً وآخر خارجي ، فالباطني هو ذلك التماسق والتعاون والتكامل بين أجهزة الإنسان الجسدية ، كجهاز دوران الدم الذي يغذي كل أجزاء الجسم ، والجهاز العصبي الذي يحقق الاتصال بين الإحساسات وبين الدماغ ، وينظم الأوامر من الدماغ إلى العضلات ، فكل طارئ داخلي أو خارجي يحدث للجسم ، يصل خبره تَوَّالِيًّا إلى مركز التفكير ، لإرسال الأوامر . أما الإعجاز الخارجي : فهو الاختلاف الذي يميز الناس بعضهم عن بعض في الأصوات والألوان ودقة للامح والطباع والشخصيات ، وتركيب جلد البصمات ، والعديد من الفروق الأخرى ، ومع ذلك فجميع البشر يخضعون في تركيبهم وأجهزتهم إلى نظام نفسي وجسدي واجتماعي واحد^(٣) .

وسوف يتم تناول الطبيعة الإنسانية حتى يمكن تربيتها والتحكم فيها ، والتعامل معها على أسس سليمة . وتوجهها إلى ما فيه خيرها في الدنيا والآخرة ، وما فيه خير المجتمع المسلم . ويتم تناولها من الجوانب التالية :

١- تكوين الإنسان :

تناول النهج الإسلامي خلق الإنسان ووردت آيات متعددة وأحاديث نبوية تدعو عن

(١) ملا معمر دار / عبد الله ، بعض ملامح السمات الوجدانية النفسية في ضوء القرآن الكريم والسنة ، ١٤١٦هـ ، السنة الثامنة ، ج ١ ، مجلة جامعة أم القرى : مكة المكرمة ، ص ٥٦ .

(٢) قطب / محمد ، دراسات في النفس الإنسانية ، ١٤١٤هـ ، دار الشروق : القاهرة ، ص ١١ .

(٣) المحتوي / عبد الرحمن ، التربية بالآيات ، ١٤٢١هـ ، دار الفكر المعاصر : بيروت ، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

خلق الإنسان والراحل التي مر بها ، قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ (السجدة آية ٧) ، الآية تشير إلى أن بداية الخلق كانت من الطين ، وذلك يعني أن مراحل أخرى ستبعتها . ولم يُحدد عدد الأطوار التي تلت تلك المرحلة ولا مدتها ولا زمنها ، فالجمال مفتوح لأي تفهيم صحيح ، وهذا الطين يتميز بخاصية اللزوجة ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَأَرْبَ ﴾ (الصافات آية ١١) ، أما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (الفرقان آية ١٢) ، فيه إشارة إلى تسلسل مراحل نشأة الإنسانية ، وأن أصلها يرجع إلى مرحلة الطين . ثم المرحلة الحمية : وهي ثاني المراحل حيث تحول الطين إلى مادة أخرى مشتقة منه هي الحمأ أي الطين للتغير أو الطين للعين . والمرحلة الثالثة في هذه السلسلة هي المرحلة الصلصالية : حيث انتقلت مادة الحمأ للسنون إلى صلصال . وهذه المادة تشبه مادة القمار . قال تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ (الرحمن آية ١٤) ، وهو الطين الذي لم يطعمه . وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۖ فَإِذَا سُوِّقَتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَجِدِينَ ﴾ (ص آية ٧١-٧٢) ، تعيد الآية أن تكون آدم عليه السلام قد مر بعمليتين مختلفتين سابقتين لعملية نفخ الروح فيه هما : عملية الخلق ، وعملية التنوية^(١).

والقرآن الكريم لم يوضح نوع الأرض التي خلق منها آدم عليه السلام ، وأوضحها التربة النبوية ، قال عليه السلام : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قُبْحَةٍ قُبْحُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ ، وَالْأَيْهِيُّ ، وَالْأَسْوَدُ وَتَمَّ ذَلِكَ ، وَالسَّهْلُ ، وَالْعَزَازُ ، وَالْعَبِيثُ ، وَالْعَلْبُ »^(٢) . الحديث يكشف عن حقيقة علمية لم يتوصل إليها العلم الحديث حتى الآن ، فخصائص التربة التي خُلِقَ منها الإنسان ، لا يعرفها إلا المسلم ، لأنها أمور غيبية أوضحها هادي البشرية ، بقوله عليه السلام : « فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ » ، أي : مبلغها من الألوان والطباع ، « فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ ، وَالْأَيْهِيُّ ، وَالْأَسْوَدُ » ، بحسب تربيتهم ، وهذه الثلاثة

(١) القاضي / خلاف ، (العدة التي خلق الله منها الإنسان ، ١٤٢٢هـ ، مجلة الإحصاء العلمي ، ج ١٠ ، وإطاعة العالم الإسلامي : مكة المكرمة ، ص ٥١-٥٢ .

(٢) هارملي / سنن هارملي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب تفسير القرآن الكريم ، ص ٤٤٤ ، ر : ٢٩٦٥ .

هي أصول الألوان وما عدلها مركب منها ، وهو المراد بقوله : « وَتَنَزَّلُ الْمَاءُ سَكِينًا » . وكذلك تتأثر صفات الإنسان بحسب أجزاء أرضه ، فمنهم السهل : أي الرقيق واللين ، والخنز : أي العنيف الغليظ ، والحديث أي : حيث الخصال ، والمراد به الأرض السبعة ، فالكاثر كله ضَر . والطيب على طبع أرضه ، وكل ذلك بتقدير الله تعالى لوئاً وطبعاً وعقلًا^(١).

ثم بعد تكوين هذه القبضة من التشكيلة الأرضية ، تأتي للرحلة الانتقالية في خلق الإنسان ، ويستمر الإحجاز في خلقه حيث كان أصله من قبضة تراب ، ثم جعل تكوينه من نقطة . يقول الألباني : * خلق الله تعالى الإنسان الأول من تراب عُصْنِ بَهاء فَاصْبَحَ طِينًا رَاحًا ، لم تَرَكَ حتى يَسَّ الطين ، فكان صلصالاً كالبحار ، لم تنفع فيه الروح ، فصار إنساناً كَرِيحاً من لحم ودم وعظم وجلد ورأس وعقل . فصار ذلك الإنسان الأول هو آدم^(٢) . ثم خلق الله تعالى منه حواء ، ثم كان التناسل منهما من من يحن . وهي سنة الله تعالى في خلق البشر^(٣) . قال تعالى : ﴿ هُوَ أَطْلَعُ بِكُمُ إِذْ أَنتُمُ فِي الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنُثٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (النجم آية ٣٢) ، فهذه النقطة فتدي في الظلمات - طلعة للشبيبة ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن - إلى طريقها ، ونخطو خطواتها ، فإذا هي ذكر لو أنثى ، وتستمر سلسلة الحياة البشرية عن طريق الزواج ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۚ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۚ ﴾ (النجم آية ٤٥-٤٦) . كما أن النقطة تمر بثلاثة مراحل أساسية . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلْطَانٍ طَيِّبٍ ۚ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي فَزَارٍ مَّكِينٍ ۚ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ۖ آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (التوسون آية ١٢-١٤) ، فالرحلة الأولى هي النقطة ، ثم مرحلة التعليق ، ثم مرحلة الشاة . ولكل مرحلة من هذه المراحل أطوار يمر بها حتى يصل الجنين إلى آخر مرحلة في التكوين ،

(١) مدار كسوري / مجلة الأوسني ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب تفسير القرآن الكريم ، ص ٣٨٠ ، ر : ٢٩٥٥ .

(٢) الشبان / عمر محمد ، أمة الإنسان ومفهومه وأبعاد الطبيعة البشرية ، سنة ١٤١٨ هـ ، ج ٤ ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية : ليبيا ، ص ٢٢ .

وتنتهي الحضارة الرحمة بولادة الجنين^(١)، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَلْسِلْ يُسْرَةً ﴾ (مريم آية ٢٠) .

وبعد ذلك تأتي مرحلة مهمة تبين أهمية خلق هذا الإنسان ودوره في الحياة ، فمنهم من يكون شاكراً ، ومنهم من يكون كفوراً ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتِئِهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان آية ٢-٣) .

تبين الآيات أن الإنسان لم يخلق سُدى ، بل لأمر قد رآه الله له وهياها وهو ما زال في بطن أمه . قال عبد الله : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ - قَالَ : « إِنْ أَحَدَكُمْ لَيُجْعَلُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَقْلُهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَنْفَعُ اللَّهُ مِنْكَ كَيْدَمَرٍ بَارِعٍ كَلِمَاتٍ ، وَيَقَالُ لَهُ : اكْتُبْ عَنْهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ ، وَظَلَمِي أَوْ سَعِدْ ثُمَّ يَنْفَعُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيُغْتَلَى حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيُسْقَى عَلَيْهِ كِفْلَةٌ يَغْتَلَى بِعَقْلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَيُغْتَلَى حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيُسْقَى عَلَيْهِ الْكِتَابُ يَغْتَلَى بِعَقْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ »^(٢) . بدأ الراوي الحديث بقوله : الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ، أي للخير بالقول الحق ، صادق في قوله ، وللصدق فيما وعده به ربه . والتأمل في الحديث يستشعر علم الله للسبق بحال الإنسان ، وأن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته ، وإنما جعلهما في الحديث للإشارة إلى أن أفعالنا وإن كانت معلومة لنا ومراعاة منا فلا تقع مع ذلك إلا بمشيئة الله . فتحول النطفة ومرورها بمراحل يتم بأمر الله ، فإذا أراد الله أن يخلق حيناً يتم التلقيح ويجمع في الرحم . وربما يراد بالجمع مكث النطفة في الرحم أربعين يوماً تحضر فيه حتى تنهأ للتصوير ، ثم تخلق بعد ذلك ، وابن مسعود فسرهُ بأن النطفة إذا وقعت في الرحم وأراد الله أن يخلق منها بشراً طارت في جسد المرأة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث أربعين يوماً ، ثم تقول دعاً في الرحم فلذلك جمعها . ثم تصير علقة مثل ذلك ، ويظهر التعطُّل على التدرُّج ، ثم يتزايد ذلك التعطُّل شيئاً فشيئاً حتى يصير مضغة علقية ، وهناك اختلاف في أول ما يتشكل من أعضاء الجنين فقل : قلبه لأنه الأساس وهو معدن الحركة الغريزية ، وقبل الدماغ لأنه يجمع الحواس ومنه ينبعث ، وقبل الكبد ، لأن فيه النمو

(١) مردود / تدفُّد ، وبعد العهد الرئاسي ، علم الأجنة ، الإحصاء العلمي في القرآن الكريم والفلسفة ، رابطة العالم الإسلامي ، ص ٥٧ .

(٢) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب بدء الخلق ، ص ٢٢٠ ، ر : ٦٨٠ .

والغذاء الذي هو قوام البدن ، ورحمة بعضهم بأنه مقتضى النظام الطبيعي ، فالنمو هو المطلوب أولاً ولا حاجة له حينئذ إلى حس ولا حركة إرادية لأنه حينئذ بمثابة آلة النبات . ثم يبعث الله الملك للوكل بالأرحام ، فيقول : أسقط أم تام ؟ فيبين له ، ثم يقول : لوأحد أم نوأم ؟ فيبين له ، فيقول : أذكر أم أنثى ؟ فيبين له ، ثم يقول : أنقص الأجل أم تام الأجل ، فيبين له ، ثم يقول : أشقي أم سعيد ؟ فيبين له ، ثم يقطع له رزقه مع خلقه فيهبط بهم . وإذا تمت النطفة أربعة أشهر بعث الله ملكاً فينفع فيه الروح ، فذلك : أذكر أو أنثى .

وفي حديث عبد الله بن عمرو : (إذا مكثت النطفة في الرحم أربعين ليلة جاءها ملك فقال : أعطى ما أحسن الخالقين ، فيقضي الله ما شاء . ويعمل الملك ذلك بأمر الله ، قال تعالى : ﴿ لَمَّا أَفْتَنَ الْفُلُكَ خَلْقًا آخَرَ ﴾ . والنفخ في الأصل إخراج ريح من حوف النافع ليدخل في اللغز فيه ، وإسناده لله تعالى بأن يقول كن فيكون . وجمع بعضهم بأن الكتابة تقع مرتين : فالكتابة الأولى في السماء والثانية في بطن المرأة^(١) .

ومراحل تكوين الإنسان لا تتوقف بعد خروجه إلى الدنيا ، بل يمر أيضاً بأطوار متعددة ، فمن مرحلة الطفولة الأولى لما فيها من عجز تام إلى مرحلة الطفولة المتأخرة ، ثم مرحلة المراهقة والشباب والقوة بما فيها من ناحية القدرات العقلية والجسمية ، ثم العودة مرة أخرى إلى مرحلة الضعف والشبه تضعف قواه بشكل عام ، إلى أن يودع الحياة ، ويبدأ مشواراً آخر في حياة أخرى ، وبذلك يمر الإنسان بحياة قصيرة محددة ، ثم بحياة مقدرة لا يعلم مداها إلا الله ، ثم حياة أبدية . فالإنسان يولد وقد كتب له كل القضايا للقدرة في حياته .

وهنا سؤال يراود الإنسان المسلم ! إذا كانت كل الأمور مقدرة فلماذا يعمل ؟ وهذا السؤال سأله الصحابي ، عندما أخبرهم النبي الأول ﷺ أن الله ﷻ كتب لكل نفس مكانها من النار والجنة . قال ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَتَّقَةٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنْ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ ، إِلَّا قَدْ كُتِبَتْ حَقِيقَةً أَوْ سَعِيدَةً » ، قال : فقال رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَفَلَا تَنْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَتَدْعُ الْفَعْلَ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ لِيَكُونُوا إِلَى السَّعَادَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقْوَةِ لِيَكُونُوا إِلَى الشَّقْوَةِ ؟ قال : « اَعْمَلُوا فَكُلُّ مَسْرُورٍ : أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيَسْرُونَ

(١) مستدرك / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الفطر ، ص ٢٧٩-٢٨٤ ، ج ٢ ، ص ٦٥٩٤ .

لِلسَّعَادَةِ ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقْوَةِ فَيَسْتَوُونَ لِلشَّقْوَةِ ، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾^(١)
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ^(٢) فَسَيُؤْتِيهِ اللَّهُ لِيُسْرَى ^(٣) وَأَمَّا مَنْ خَلَلْ وَأَنْتَعَى ^(٤) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ^(٥)
فَسَيُؤْتِيهِ اللَّهُ لِيُعْسِرَى ^(٦) ۝

إن الخالق ﷻ قدر كل أمور الإنسان وجعل فيه الاستعدادات القابلة للتحرير والشر .
والسنة النبوية توضح وتفسر شأن الإنسان ، وتحدد حياته ، فهي الشريعة التي تقوم على تشجيع الرابي
للتعيز بالأخبار الغيبية ، وللظرد بحقائق علمية أكيدة توضح تكوين الإنسان وماله ، لأنها من خلق
الإنسان ، فهو العليم بصنعه ودقائق ما فيها . فكل إنسان يعمل بما هو ميسر له ، فالبعض ميسر
للتحرير ، وآخرين ميسرين للدعوة والإصلاح ، وغيرهم للفتن والدمار ، ... وهكذا . فكل
أفعال العباد مقدرة ، لأن الخالق يعلم حقائق النفوس وما يتناسب معها . وكذلك تسمو
الأعمال بين الرجل والمرأة ، فالرجل ميسر لعمله ، والمرأة ميسرة في شؤونها . وهذا
الاختلاف يتناسب مع التكوين الجسمي لكل منهما . ويبدأ الاختلاف أثناء تكوين الجنين ،
وتحديد نوعه . وقد توصل العلم حديثاً إلى اكتشاف نوع الجنين - أذكر أو أنثى - وكتيراً
ما يخطئ تحديده للنوع . وتخصص علم الأجنة بذلك ثم تطور وأصبح يوجد علم حديث
يسمى هندسة الجنينات يهتم بمعرفة تكوين الجنين ونوعه ، وقد أثبت العلم أن نشأة الإنسان
بدايتها عليّة واحدة ، هذه الخلية تكون الصلب من العظام ، ونصف الصلب من الغضاريف
والرخو من اللحم ، وهي تنقسم لتكون اللزج من الأنسجة والسائل من الدماء ، وتكون
نفسها طبقات الجلد الرقيقة ، ولعذاب العين الدقيقة . وهذه الخلية يتكون منها السمع
والبصر والقواد وينشأ منها الطويل والقصير والأبيض والأسود . وهذه الخلية عبارة عن حياة
معقدة يمكن العلم أن يكتشف مكوناتها وتركيبها ويقيس حركتها وتحليل مادتها وطريقة
انقسامها ، أما سر الحياة فيها فلقد وقف العلم والعلماء عنده يعترفون بوجود الخالق^(٧) .

أما الشريعة النبوية فقد فسرت ذلك في حديث طويل ، أن أحد أبحار اليهود جاء
للمرسول ﷺ يسأله ، فكان يسأل ويصدق ، ومن الأسئلة : قال اليهودي : (وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ

(١) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السنة ، ص ٢٢٢ ، ر : ٤٦٩٤ .

(٢) الخطيب / محمد ، الإسلام والعلم نظرات معاصرة ، ١٤٠٦هـ ، دار العلوم : الكويت ، ص ٥٦ .

عن شيء له يقتلته أخذ من أهلي الأضي، إلا لي أو رجل أو رجلان. قال: «تفعلون إن حدثت؟»
 قال: «أسمع بأذني». قال: «جئت أسألك عن الولد؟» قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر،
 فإذا اجتمعوا، فعلاً مني الرجل مني المرأة، أذكوا بإذن الله، وإذا عدا مني المرأة مني الرجل،
 أكلنا بإذن الله». قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لبيتم ثم الصرك فلنذهب. فقال رسول الله ﷺ:
 «لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه وما لي أعلم بشيء منه حتى أتاني الله به»^(١). للتأمل في
 الحديث يستبسط حقائق صريحة وإعجازاً علمياً، فشهادة اليهودي بأن سؤاله لا يعرفه إلا نبي،
 فيها إثبات علمه ﷺ ببعض الغيبات التي توحى إليه، وأنه لا ينطق عن الهوى، حتى إن
 اليهودي الذي أراد إحراج النبي ﷺ، أدل بشهادة على صدق نبوته ﷺ. والإعجاز العلمي
 الذي ذكره ﷺ في تحديد الجنس، لم يتوصل إليه العلم الحديث إلا بعد اكتشاف الأجهزة
 الطبية الحديثة، وإجراء بحوث حثيثة تدرس الجينات والكروموسومات، وكانت نتائجها:
 أنه إذا نصح الشوي الذي يحمل الكروموسوم (Y) في تلقيح البويضة، كانت النتيجة ذكراً،
 وإذا كان ذلك للشوي يحمل الكروموسوم (X) كانت النتيجة أنثى^(٢). وهي النتيجة التي أخبر
 بها ﷺ قبل أربعة عشر قرناً، ولم يتوصل العلم الحديث إلى حقائق مغايرة، بل ما زال يؤكد
 ما أخبر به المصطفى ﷺ، فهي حقيقة ثابتة لن تتغير. وهذه حجة قوية، وبرهان على أن
 العلم الإسلامي هو العلم الذي يجمع بين العلم القديم والحديث.

وفيهِ من الراعين والحجج ما تدحض أقوال الشطغلين على الإسلام في أهم بفهمون
 حقيقة تركيب المرأة ويرعون تحريرها ومسألتها بالرجل. فإذا كان تكوينها يختلف من
 بداية نشأتها وهي في ظلمات البطن، فلأن ترى النور. هذا يترتب عليه أن تركيبها
 الجسمي والعقلي والعاطفي أيضاً يختلف. قال ﷺ: «مَا مَعَرُ السَّاءُ! تَصَلُّونَ وَأَتَجَرُّونَ مِنَ
 السَّعْفِ، إِنْ لِي وَأَتَجَرُّ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ، جَوَلَةٌ: وَمَا لَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ!
 أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «لَكُنَّ اللَّغْنُ، وَلَكُنَّ الْعَشِيرُ، مَا رَأَيْتُ مِنْ لَالِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ
 أَغْلَبَ لَدَيَّ لُبٌ مَتَكُنَّ»، فَأَلَّتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا لَقَصَاتِ الْعَقْلِ وَالَّذِينَ؟ قَالَ:
 «أَنَا لَقَصَاتِ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تُعَدُّ شَهَادَةً رَجُلٍ. فَهَذَا مِنْ لَقَصَاتِ الْعَقْلِ، وَتَكُنَّ اللَّيْثِي

(١) مسلم / صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١، كتاب المرض، ص ٢١١، ر: ٣١٥.

(٢) جونسون / مارشال، وصف التحلل الشري، علم الأجنة، ص ٥٢، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة،
 رابطة العالم الإسلامي، ص ٤٢.

مَا تَصْنَعُ ، وَتَقْطُرُ فِي رَمَضَانَ ، فَهَذَا مِنْ لَفْظَاتِ الدِّينِ ^(١) .

اشتمل الحديث على جانب علاحي وإثمائي للنساء يزيد من طاعتهن لله . فالاستغفار والصدقة من الأمور التي تقرب إلى الله ، وتبعد عن النار ؛ لأنه من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه ، ومن نقصت عبادته نقص دينه . وإن كان القول موجه إلى النساء بصفة خاصة ، إلا أن ثواب الأجر عام لكل مسلم فعل ذلك . كما يوجد في الحديث مؤشر قوي على أن التركيب الجسمي للمرأة يختلف عن التركيب الجسمي للرجل . ولكل جسم خصائصه وأعماله التي تتوافق مع تركيبه . لذلك يجب على المرأة للسلسلة أن تنصير مكانتها ولا تتجاوز حدودها التي رسمها لها الإسلام ، ولا تنقسم نفسها في أعمال الرجال فإلما لا تطبق وسرعان ما تمل ، وتحمل لنفسها أعباء جسيمة هي في غنى عنها . وما يحدث الآن للمرأة الغربية من مشاكل ومعاناة تنتهي بالانتحار في الغالب ، إلا نتيجة التربية الوضعية التي أرادت أن تساوي المرأة بالرجل ، وإذ هي تقلبها في هاوية لا يمكن الخلاص منها إلا بالتمسك بتعاليم التربية النبوية ، فهي تربية العائلية وما يصدر عنها فهو صدق ، نظراً لتمييزها بالموضوعة والشعور ، ولأنها تناولت كل جانب في شخصية الإنسان وحدثت مساره بما يتوافق معه ، ونال الجانب الجسمي حظاً وافراً من هذه التوجيهات التربوية .

٢- التربية الجسمية :

التربية الجسمية ، أو التربية البدنية : هي عملية حفظ ، وتنمية الجانب الجسمي ، ليقوم بدوره على أحسن ما يكون . ويمكن أن تتفق جميع المجتمعات على حفظ الجانب الجسمي وتنميته ، ولكن تباين في الجزئية الأخيرة وهي (ليقوم بدوره) ^(٢) . فالمجتمعات للعاصرة أولت التربية الجسمية عناية كبيرة ، ووضعت أنظمة وفوانين من أجل حفظ وتنمية الجسم ، ليقوم بدوره على أحسن ما يكون . وهذا نمط لا يتوافق في كثير من صوره وأهدافه مع للنهج الإسلامي ، فنور الجسم في المجتمعات الغربية يقتصر على تحقيق الرفاهية في الحياة الدنيا ، كما قال أحد مفكرهم (هيربرت سبنسر) : إن التربية هي إعداد للحياة ، ويكون ذلك بتقوية الأبدان ، وتنشيط الأحاسيس للقيام بالأعمال الدنيوية . وفي المقابل تربية غلاة الصوفية ،

(١) ابن ماجة / محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الفتن ، ص ٤٦٩ ، ر : ٤٠٠٣ .

(٢) لغزومي / خالد حامد ، أسس التربية الإسلامية ، ٤٢٠ هـ ، دار عالم الكتب : الرياض ، ص ١٩٤ .

فقد بالغوا في إهمال التربة الجسمية ، والانقطاع عن المال والولد والوطن والدنيا بأسرها ،
يعني التوقف عن العمل من أجل العبادة^(١)، أما التربة النبوية فقد اهتمت بالتربة الجسمية
بصورة مغايرة لما سبق ، لأنها اعتنت بالجسم من الجوانب الوقائية والإلhamية والعلاجية ،
وجعلت الجسم أمارة عند الإنسان ، من واجبه أن يحافظ عليه ويولي احتياجاته من الغذاء
الكافي والنوم الكافي والراحة والملبس اللائق ، والتداوي من المرض ، والتمتع بما أحل الله من
الطيبات في حدود منهج التربة النبوية ، والعرف الاجتماعي . وجعل الاهتمام به وسيلة
لغاية ، وليس غاية لذاتها . فعن عبد الله قال : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَجْرِي فَقَالَ : « أَلَمْ أُخْبِرْ
أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ ، وَتَصُومُ النَّهَارَ ؟ » قَالَ : بَلَى ، قَالَ : « فَلَا تَغْلُظْ ، ثُمَّ وَقُمْ ، وَصُمْ وَأَقْطِرْ ، فَإِنَّ
لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِبُصْدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرُؤُوسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِبُصْبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ،
وَإِنَّ لِبُصْبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَطُولَ بَيْنَ غَمَرٍ ، وَإِنَّهُ خَشَبَكَ أَنْ لَصُومَ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ لَذًا ، فَلِلَّكَ حَبَابُ الذُّهْرِ كُلِّهِ ، وَالْخَسَنَةُ بَعْضُ أَشْيَائِهِا » ، قُلْتُ : إِنْ أُجِدْتُ قُوَّةً فَتَشَدَّدْتُ
فَتَشَدَّدْتُ عَلَيْ ، قَالَ : « صُمْ مِنْ كُلِّ جُنَّةٍ لَذَّةً أَيَّامًا » ، قُلْتُ : إِنْ أُجِيتُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَتَشَدَّدْتُ
فَتَشَدَّدْتُ عَلَيْ ، قَالَ : « صُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ﷺ » ، قُلْتُ : وَمَا كَانَ صَوْمُ دَاوُدَ ؟ قَالَ :
« يَصُفُّ الذُّهْرَ »^(٢).

لشأن في الحديث يفهم أن التربة الجسمية في ضوء الإسلام تعني حفظ وتنمية الجانب
البدني ، ليقوم بمهام خلق من أجلها ، تشمل جوانب دنيوية ودينية ، وبذلك يكون التوازن
والاعتدال من خصائص التربة النبوية للجسم . فقلوه : « ثُمَّ وَقُمْ ، وَصُمْ وَأَقْطِرْ » ، فالنوم
فيه راحة للعين ، فطول السهر تبعها ، وكذلك الصوم رغم ما فيه من فوائد دينية وصحية
إلا أن الإفراط فيه يضعف الجسم ، فالأكل يعين على العبادة ، ويقوى الجسم ، ويغده
بالطاقة التي يحتاجها في قيامه بأعماله . كما أن الإنسان ملزم بمسؤوليات أخرى مطالب بها
وعليه أن يعملها فالزوجة والضيوف والأصدقاء ، لكل منهم واجبات يجب توفيقها ،
فالتكامل والاعتدال يجمع بين النصح ، والتربة النبوية لا ترضى للإنسان أن يكون قويا في
بدنه ، قزما في روحه . كما أن الحديث تضمن مواقف تربوية أخرى ، وهي أن الأولى في

(١) البخاري / خالد حامد ، أسس التربية الإسلامية ، مرجع سابق . ص ١٩٣ .

(٢) البيهقي / أحمد شعب بن سنان الخرماني ، سنن البيهقي / مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصيام ، ص ٦٩٧ ، ر : ٢٣٩٠ .

العبادة تقدم الواجبات على اللذونات ، وأن من تكلف الزيادة على ما طبع عليه يقع له الخلل في الغالب^(١).

وجعل ﷺ الحياء عن هذا التوازن مخالفاً لسته . كما جاء في قول عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون فتأه فقال ﷺ : « يا عثمان ! أرغبت عن سبعي » ؟ قال : لا ، والله ! يا رسول الله ! ولكن سئلتك أطيب ، قال : « فإني أئتم وأصلي وأصوم وأطير ، وأكبح النساء ، فأبى الله يا عثمان ! فإن لا عليك عليك حقاً ، وإن لا عليك عليك حقاً ، وإن لا عليك عليك حقاً ، فصم وأطير ، وصل وتم »^(٢).

إن الإفراط والغلو في الدين ليس من سنة سيد المرسلين ﷺ ، فالتربية النبوية فيها التوازن والشمول ما يجعل المسلم يسير في جميع الاتجاهات - الدينية والدنيوية - من دون تقصير في أحدها إذا اتبع السنة وامتنل لتربية النبوية ، قال ﷺ : « اكملوا من العمل ما لم تكملوا ، فإن الله لا يمل حتى تمثلوا ، وإن أحب العمل إلى الله أدومته وإن قل » ، وكان إذا عمل عملاً أثبت^(٣).

إن النفس البشرية لها طاقة محدودة وقسرة على التحمل فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، قياس وميزان دقيق يوازي بين قدرات النفس ، ما عليها إلا أن يعرفوا قدراتهم واستعداداتهم ، وأن يعملوا حسب وسعهم وطاعتهم ؛ لأن الله ﷻ لا يعمل من الثواب ما لم تملوا من العمل ، ويحل أي يترك العمل ؛ لأن من مل شيئاً تركه وأعرض عنه^(٤). لذلك على المسلم أن يكون عمله على المدى البعيد ، وليس على مدى قريب . فالجسم عندما يوهن يقل عمله ، فلا يبالغ للمسلم بالعبادة ويهرق جسمه ثم يتوقف عن العبادة ، بل يكون مترناً في أعماله جميعها . ويأخذ بأسباب الوقاية .

وإذا طرأ عليه مرض أو أمر مقدر عليه فيأخذ بالعلاج . ومن الأمور العلاجية في السنة النبوية قال ﷺ : « لِكُلِّ فاء ذواء ، فإذا أصيب ذواءُ النّاءِ يَؤُاْ يَؤُاْذِنُ اللهُ تعالى »^(٥). في الحديث

(١) العسلائي / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الفهم ، ص ٣٨-٣٩ ، ر : ١١٥٣ .

(٢) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، ص ٤٨ ، ر : ١٣٦٩ .

(٣) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، ص ٤٨ ، ر : ١٣٦٨ .

(٤) العظيم آبادي / محمد غفر الله له ، عون المبرور ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الصلاة ، ص ١٤٨ ، ر : ١٣٦٥ .

(٥) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السلام ، ص ١٣٨ ، ر : ٢٢٠٤ .

إشارة إلى استحباب التدلوي ، ورد على الذين يقولون : أن كل شيء قضاء وقدر فلا حاجة إلى التدلوي ، وجمع الحديث جُملاً من علوم الدين والدنيا ، وصحة علم الطب وجواز التطيب ، لأن المرض هو خروج الجسم عن المجرى الطبيعي ، والتداوة رده إليه وحفظ الصحة بقائه عليه ، وحفظها يكون بإصلاح الأغذية وغيرها ، وورده يكون بالوافق من الأدوية المضادة للمرض ، أما للمرضى الذين يتداوون فلا يبرؤون ، فذلك لفقد العلم بحقيقة التداوة ، لا لفقد الدواء ، والأطباء يجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء وقوة الطباع^(١) . ولمرض إذا أصاب الدواء شفي بأمر الله . وكثير من الناس يعتقدون أن العامل الرئيسي للشفاء هو الغذاء ، والسننة النبوية تبطل هذه النظرية وتؤكد أن الشفاء يتم بتوافق الدواء مع الداء . وأن المريض لا يبرئ على الطعام . قال ﷺ : « لَا تَكْرِهُوا مَرَضَانَكُمْ عَلَى الطَّعَامِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ »^(٢) . في الحديث لحي عن إكراه المريض على الطعام والشراب ، ويفيد أن الله ﷻ يمددهم بما يفيد فائدة الطعام والشراب في حفظ الروح وتقوية البدن . فإن الحياة والقوة من الله حقيقة ، لا من الطعام والشراب^(٣) .

وفي الحديثين السابقين أمر بتناول الدواء ، ولحي عن إكراه المريض على الأكل والشرب . وهما يصبان في مصلحة المحافظة على سلامة الجسم .

ومن الأمور العلاجية التي جاءت بها التريية النبوية قوله ﷺ : « الْخُلَى مِنْ قَبْحِ جَهَنَّمَ ، فَأَطْعِمُوها بِالنَّاءِ »^(٤) . هذه الطريقة العلاجية يستعملها جميع الأطباء لعلاج الحمى . ولكن للمسلمين طريقة علاجية لا يستعملها غيرهم ، علاج عاص بهم وهي الرقية الشرعية ، كما وردت في التريية النبوية فمن أبي سعيد (أن جبريل ﷺ أتى النبي ﷺ فقال : يَا مُحَمَّدُ ! احْتَكَيْتَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ أَرْفَيْتَ ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ

(١) النووي آحين بن شرف ، صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، كتاب السلام ، ج ١٤ ، ص ٣٩١-٣٩٢ ، ر : ٢٢٠٤ .

(٢) الترمذي ، أحمد بن حنبل ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الطب ، ص ٥ ، ر : ٢٠٤٧ .

(٣) الفار كنوري أحمد عبد الرحمن عبد الرحيم ، تحفة الأعوراني ، مرجع سابق ، ج ، كتاب الطب ، ص ٤٥٦ ، ر : ٢٠٤٠ .

(٤) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السلام ، ص ١٣٨٢ ، ر : ٢٢٠٩ .

نفس أو عين خائبة ، الله يفتيك ، باسم الله أزيلك ^(١) . في الحديث نصريح الرقية بأسماء الله تعالى ، وفيه تأكيد الرقية والدعاء وتكريره . وقوله **اللهم** (من شر كل نفس) ، يحصل أن المراد بالنفس نفس الأدمي ، وقيل : يحصل أن المراد بها العين ، فإن النفس تطلق على العين ، ويقال : رحل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه ، كما في الرواية : (من شر كل ذي عين) . وعند مذهب أهل السنة أن العين إنما تفسد وتهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى ، وقيل تبعث جواهر لطيفة غير مرئية من العين ، فتصل بالعين ، وتدخل مسام جسمه ، فيخلق الله **ﷻ** الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم ، عادة أجزاها الله سبحانه وتعالى ، وليست ضرورة أن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر . والشرع إذا أحرم بوقوع شيء وجب اعتقاده ، ولا يجوز تكليمه ^(٢) . لذلك يلزم أن يقر المسلم بأن العين حق لقوله **ﷻ** : « **الْعَيْنُ حَقٌّ** ، **وَلَوْ كَانَتْ شَيْءٌ سَأَلْتُ الْقَدَرَ سَفَقَةَ الْعَيْنِ** ، **وَإِذَا اسْتَفْقَمْتُمْ فَأَمْسُوا** » ^(٣) . وقوله **ﷻ** : « **وَلَوْ كَانَتْ شَيْءٌ سَأَلْتُ الْقَدَرَ سَفَقَةَ الْعَيْنِ** » ، فيه إثبات القدر ، وهو حق ، كما فيه صحة أمر العين ، وإثبات قوة الضرر . وإن الأمور كلها مقدره ، ولا تقع إلا على حسب ما قدرها الله تعالى ، وسبق لها علمه ، فلا يقع ضرر العين ولا غيره من الخو والشر إلا بقدر الله ^(٤) .

ورغم أن كل الأمور مقدره إلا أن النبي **ﷺ** حث على الأخذ بالأسباب والتدبؤ ، وكان **ﷺ** إذا اشتكى أحد من أصحابه برفقه . فعن عائشة قالت : (**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ إِسْنَانٌ ، مَسَحَهُ بِمِمْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَذْهَبِ الْإِيسُ ، رَبِّ الْإِيسِ ، وَاشْفِ أَلْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُ اللَّهِ ، شِفَاءُ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا** ») ^(٥) . في الحديث رقية عظيمة يستحسن حفظها وترديدها عند الحاجة .

(١) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السلام ، ص ١٣٧١ ، ر : ٢١٨٦١ .

(٢) النووي / أبي بن حنيفة ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب السلام ، ص ٣٤٢ ، ر : ٢١٨٦٠ .

(٣) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السلام ، ص ١٣٧٢ ، ر : ٢١٨٨٨ .

(٤) النووي / أبي بن حنيفة ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب السلام ، ص ٣٤٥ ، ر : ٢١٨٨٨ .

(٥) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السلام ، ص ١٣٨٠ ، ر : ٢٢٠٤٠ .

وقد يخلط البعض بين الأحاديث التي تضمنت حوازل الرقية ، والحديث الآخر في الذين يدعون الجنة بغير حساب « لا يوقون ولا يسترقون وعلى رءسهم يوقلون » ، ويعتقدون أنه مخالف ، بينما المراد ترك الرقية التي هي من كلام الكفار ، والرقى المجهولة ، والتي لا يفهم معناها ، فهذه مذمومة لاحتمال أن معناها كفر ، أو مكروه . أما الرقى بآيات القرآن الكريم ، والأذكار المعروفة غير منهي عنها ، بل هي سنة^(١).

وقد اشتملت التربية النبوية على كثير من الرقية بآيات الله والأذكار . كما أشارت إلى نوع من الغذاء يحفظ الجسم من السم والسحر ، فقال ﷺ : « مَنْ تَصَبَّحَ سَبْعَ ثَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌ ، وَكَأْسِحَرٌ »^(٢). للتأمل في الحديث يستكشف أن قياس حرمة الدواء تمثلت في سبع ثمرات عجوة ، وأما خصوصية السبع ، فالظاهر أنه لسر فيها ، وإلا فيستحب أن يكون ذلك وتراً^(٣). فالقياس في للأكل والشرب من تربته ﷺ لأمنته ؛ لأن الغذاء إذا زاد عن حاجة الجسم سبب اضطرابات هضمية ، ترتب عليها أمراض تضر بالصحة الجسمية ، لذلك فقد أمر ﷺ أمته بالاعتدال في للأكل والشرب ، وجعل للتنفس نصيبه مع الغذاء . قَالَ ﷺ : « مَا دَلَا أَدْمِي وَعَاءَ شَرًّا مِنْ نَعْلِي ، يَحْتَسِبُ ابْنُ آدَمَ أَكَلَاتِ ثَلَاثِينَ صَلْبَةً ، فَإِنْ كَانَ لَا مَخَالَءَ : فَثَلَاثَ نَفْعَةٍ ، وَثَلَاثَ إِسْرَافٍ ، وَثَلَاثَ لِنَفْسِهِ »^(٤).

إن الحديث تناول حقائق طبية وعلمية ، فالعادة لا يعرف شكلها إلا الأطباء - وجاء الحديث بتشبيه يعرفه كل الناس ، فالوعاء مائل لعين كل فرد - وبعد هذه الإشارة إلى شكل للعادة - وضع ﷺ حقائق طبية تعود على الإنسان بفوائد صحية وتجنبه الأمراض الجسمية ، فالسلامة تكون بالتطبيق والامتنال ، أما إذا خالف المسلم هذه الخلق وأقرط في تناول الطعام ، خصوصاً الأطعمة الغنية بالدهون أصيب بالسمنة (البدانة) وما يصاحبها من أمراض ، وهذا مرض انتشر وتشعب في المجتمعات ، وأصبح الإقراط في الجانب الغذائي ظاهرة اجتماعية ، اقتصرت بزيادة عطر الأمراض القلبية الوعائية ، وارتفاع ضغط الدم ،

(١) النووي / يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب السلام ، ص ٣٤١ ، باب الطب والمرض والرقى .

(٢) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الطب ، ص ٨٠ ، ر ٣٨٧٦ .

(٣) العظيم آبادي / أحمد محمد الحقي ، عون المعبود ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الطب ، ص ٦١ ، ر ٣٨٧٢ .

(٤) الترمذي / أحمد بن حنبل ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الزهد ، ص ١٦٨ ، ر ٢٣٨٧ .

ومرضى السكري ، وارتفاع دهون الدم ، ولا شك أن جلطة القلب لها علاقة بالسمنة ، وكذلك حصيات المرارة ، وداء النقرس ، وأمراض أخرى لها علاقة بالسمنة مثل : دوالي الساقين . وغيرها من الأمراض^(١) . فالبدن يقوى بحسب ما يقبل من الغذاء ، لا بحسب كثرته .

وبذلك يدرك أولو الألباب أن التربية النبوية أحاطت بالإنسان بالتوازن ظاهرياً وباطنيّاً ، لأنها أمرته بالاعتدال في سلوكه وعبادته ، وباطناً ؛ بأن جعلت غذاءه معتدلاً فلا إفراط ولا تفریط ، فالإفراط في الطعام هلاك وضياح للصحة وللذل . فالتربية النبوية أحاطت بكل جوانب التربية الجسمية ، فوزنت بين الطعام والشراب والنفس ، وتناول مقومات القوة والطاقة في الجسم ..

ولم تغفل عن جانب آخر لا يقل أهمية عن جانبي الصحة والغذاء ، فالأمن من الأمور المهمة في حياة الإنسان . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَصْبَحَ مِتَّكُمُ آمِنًا فِي سِرِّيهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِيهِ ، فَكَانَتْ حَيَاتُهُ لَعَلَّتْهُ »^(٢) . فالأمن عامل أساسي في حياة البشرية ، إذا توفر ذلك عاش الإنسان هنيئاً في حياته . وعامل الأمن يحتاج إلى عوامل تعززه وعقل مفكر يوجهه ؛ لأن الإنسان يقفل في ساعات الرخاء والغنى ، فيطغى ويغلبه الهوى . لذلك فدراسة التربية العقلية مهمة في النظرية التربوية ؛ لأنها ترفض في الإنسان القوة الجسمية التي لا ترتبط بالإيمان والتعقل . فالجسم والعقل كل منهما يرتبط بالآخر ويؤثر فيه .

٢- التربية العقلية :

العقل مصدر عقل : أي ربط واستمساك ، وقيل : هو اثبت في الأمور ، وسمي عقلاً لأنه يُعَقَّلُ صاحبه من التورط في اللهالك أي بحسه ، والعقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هوالها ، ويقال رجل عاقل : أي جامع لأمر رأيه ، والعقل : القلب^(٣) . ويقال له قلب عقول ، والعقل ضد الحمق . وقال علي عليه السلام : العقل عقلان : فمطبوع ومسموع ، ولا

(١) الصادي / عبد الفتاح ، الإحصاء الطبي في حديث الثقل ، ١٤٢٢هـ ، مجلة الإحصاء العلمي ، ١٢ع ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة ، ص ٢٨ .

(٢) الترمذي / أحمد بن حنبل ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الزهد ، ص ١٥٤ ، ر : ٢٣٥٣ .

(٣) ابن منظور / لسان العرب ، مرجع سابق ج ١١ ، ص ٤٥٥ .

ينفع مسموع ، إذا لم يك مطبوع ، كما لا تنفع الشمس ، وضوء العين ممنوع^(١) . وللعقل معاني أخرى لم تذكر ، لذلك يمكن القول إن العقل له معانٍ تفيد في وصلها : الربط والاستمساك والتمع والفهم ، - وهذه للعاني صفات العقل الذي حص الله به الإنسان وميزه به عن سائر المخلوقات - ، وهو الذي يميز به الإنسان بين الخير والشر ، وبين النافع والضار . وعلى هذا فإن العقل يطلع على الملكية التي يناد بها الوازع الأخلاقي ، لو لنفع عن الخطيئة والذكور^(٢) . فالعقل له أهمية كبرى في حياة الإنسان حيث أنه قوة مدركة خلقها الله في الإنسان ليكون مسؤولاً عن أعماله ، فبالعقل صار الإنسان خليفة الله في الأرض . وسخر الله ﷻ كل ما الأرض للإنسان ، وكلفه بعبادته .

وقد أولت التربية النبوية الجانب العقلي أهمية عظيمة ، ووضعت حلولاً لما يتناهب من العوارض ، ووضحت صلة العقل بأجزاء الجسم الأخرى . وتظهر عناية التربية النبوية بالعقل في الأمور التالية :

أ / أولت التربية النبوية الجانب العقلية أهمية بالغة ، فكما اهتمت بالبعد الجسمي للإنسان وضرورة تلبية حاجاته ، اهتمت أيضاً بالبعد العقلي ، وأنه لا يقل عن سابقه ، بل أهميته أشد وأقوى ؛ لأن الإسلام دين العقل والمنطق والفترة السليمة والكمال الإنساني ، ولا يمكن للإنسان أن يعيش بمعسده فقط ، ولا يمكن للحياة البشرية أن تستقيم بدون سلطان العقل وتوجيه الدين ، فالعقل هو عنصر القوة والسيطرة في الإنسان ، ويتحكم في جميع أجزاء الجسم ، ومن ليس له عقل راشد يهديه ويوجهه ليس محاطاً بالدين أصلاً . فبالعقل يستطيع الإنسان أن يرتب محصول الحواس من الصور وللدركات الحسية ، ويدرك ما وراءها من المعاني الخفية ، وأن يدرك ماهية أعماله وتصرفاته^(٣) ، ويتحكم في أفعاله ونزواته ، ويملك زمام نفسه فلا يشور ولا يخور ، بل يفود نفسه إلى الحلم والشرى .

وقد امتدح لربي الأول ﷺ أحد أصحابه - وهو الأشج عبد القيس - فقال له :

(١) القموز آبادي / عبد الدين محمد ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٨٥ .

(٢) حيدلات / عبد الكريم توفان ، الدلالة العقلية في القرآن الكريم ، ١٤٢٠هـ ، دار الفائق ، الأردن ، ص ٢٤ .

(٣) الشيباني / عمر ، أهمية الإنسان ومفهومه وأبعاد الطبيعة البشرية ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

« إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالْعِلَّةُ »^(١). إن كلمة عبد القيس هي اسم الشخصية . وللتأمل في الحديث يدرك منزلة العقل في الإسلام فالحلم : يعني العقل . والأناة : هي التثبت وترك العجلة ، وسبب وصف للرزي الأول ﷺ له - بِالْحِلْمِ وَالْأَنَاءِ - لأنه أحسن التصرف وتميز عن الوفد الذي جاء معه برحابة عقله ، فعندما وصل الوفد إلى المدينة بادروا إلى النبي ﷺ ، وأقام الأشجع عند رحابهم فجمعها ، وعقل نافته ، ولبس أحسن ثيابه ، ثم أقبل على النبي ﷺ ، فقربه منه وأجلسه بجانبه ، ثم قال ﷺ لهم : « تبايعون على أنفسكم وقومكم » ، فقال القوم : نعم ، فقال الأشجع : يا رسول الله ! إنك لم تزاود الرجل عن شيء أشد عليه من دينه ، تبايعك على أنفسنا ، وترسل إليهم من يدعوهم ، فمن اتبعنا كان منا ، ومن ألى قائلناه ، قال : « صدقت ، إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ » ، فصرفه دل على صحة عقله وجودة نظره للعواقب^(٢) . فالإشر لا يمحكم تصرفهم ومواقفهم نظام موحد . فالإنسان تارة يُصِيب وتارة يعطى وتارة يرضى وأخرى يسخط . وذلك تبعاً لشخصيته . لذا أجمع المختصون بأن الطاهرة الإنسانية ظاهرة معقدة ، وأن البحث فيها تكتنفه صعوبات عدة ، فكيف بالتعامل المباشر مع الإنسان والسعي لتقويمه وتوجيهه بلوكة ؟ ومع كل ذلك استطاع الرزي أن يكون شخصية إسلامية مستقلة برينتها متكاملة في ذاتها ، تتسم بالنقاء والصفاء والهمة والتسامح . يقول الشاعر للهجري أبو ماضي معبراً عن هذا الجانب من سمات الشخصية قائلاً :

وأحب كل مذهب ولو أنه حصي ، وأرحم كل غير مذهب
بأي فولدي أن يميل إلى الأذى حسب الأذية من طباع العقرب
حسب للنسيء شعوره ومقاله في سره باليتني لم أذنب^(٣)

إن الصفات الحميدة التي ذكرها الشاعر يجب أن يتصف بها كل مسلم ، وأن

(١) قزامل / أحمد بن عيسى ، سنن قزامل ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الوصايا ، ص ٤٠٧ ، ر : ٢٠١٨ .

(٢) ليلان كزوري / محمد عبد الرحمن عبد الرحيم ، لغة الأعزدي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب السور والسبعة ، ص ٤٢٠ ، ر : ٢٠١١ .

(٣) مرزا / زهر ، إيليا أبو ماضي ، ١٣٨٢ هـ ، دار ليلقة العربية ، ص ١٤٧ .

يغرسها المربون في نفوس النشء ، فهم في أمس الحاجة إلى غرس الطاقات النفسية الإيجابية التي تدفعهم إلى الثقة بالنفس والرغبة في أداء مهمتهم في الحياة ، مما يجعل شخصيتهم تتحلى بالقوة والثقة ، فتلقي النشء مبادئ الدين وقيمه وغاياته وعقائده لتُغني مشاعر الحب فيهم والتسامح ، وتبعدهم عن التحريف السلبي المدمر للطاقات النفسية^(١). ولكن الواقع للوَم يشير إلى خلاف ذلك ، فالترية أهملت جانب النفس واهتمت بجانب الإثراء العلمي للعاصر . فأصبحت هوة في الطاقات الفلسفية الإيجابية فضلت الطريق . فقادها الشيطان بقوة وأثبت وجوده وسيطرته فعمل بعد واجتهاد للتفريق بين الناس الذين يغفلون جانب التعقل ويركدون بجانب السمع والطاعة لعدوهم قال ﷺ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ لَيْسَ أَنْ يَقْبِذَهُ الْمُتَصَوِّنُونَ فِي جُزْءِ الْقُرْب ، وَلَكِنْ فِي التَّخْرِيشِ بَيْنَهُمْ »^(٢). لتأمل في الحديث يدرك أن كلاً من البغضاء والمساخات والمصومات والدين التي تحدث بين الناس سببها الشيطان ، فهو يشحن الإنسان بالغضب ويؤثر على عقله فلا يبصر الصواب ، فالعقل إذا مسه تحريش الشيطان فقد ملكة الإدراك والتمييز ، أما إذا شد الإنسان على عقله واتبع تربية نبيه عند الغضب واستعاذ من الشيطان ، استطاع أن يمسك زمام نفسه ويترك فعله .

وقد أرشد ﷺ إلى هذا العلاج للتخلص من تحريض الشيطان ، عندما استب رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا ، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَحَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فِي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لِلْغَبِّ عَقَّةً الَّذِي يَجِدُ » ، فَاطْلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَحْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ : تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَقَالَ اقْرَأْ بِي بِأَمْرٍ ؟ أُنَجِّتُونَ أَمْ ؟ أَغْضَبَ^(٣). إن سبب الشر في أي بيئة إنما هو النفس الأمارة بالسوء أو ما يقوم به الشيطان من وسوسة للإنسان وتحريض له على الشر ، لذلك كان من المناسب أن يستعبد الإنسان ربه ﷻ من النفس وشرورها ، ومن الشيطان ووسوسته .

(١) أبو سليمان / عبد الحميد أحمد ، أزمة العقل المسلم ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ، الدار العالمية للنشر الإسلامي : الرياض ، ص ١٩٣ .

(٢) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب صلات المؤمنين ، ص ١٧٦٨ ، ر : ٢٨١٢ .

(٣) البخاري / محمد بن إسماعيل بن المقرئ ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٢٨٩ ، ر : ٧٦٠ .

ومعنى الاستعانة : الالتجاء إليه والاعتصام به ، وطلب النصرة والقرب منه ^(١) . فشدت الغضب جعلت ذلك الرجل يبعد عن الصواب ، ويعرض عن الخير . فالغضب أعمى بصيرته وأصم أذنه ، واتبع هواه ، ولم يحتفل للثبوت النبوية التي أرادت تخليصه من ضغط شيطانه ، وطفغان نفسه التي ملأت أركانه غضباً وحماً .

ونبار الغضب قوي وجارف لذلك كان ﷺ يوصي أصحابه بعدم الغضب . فعن أبي هريرة رضي الله عنه : « أَنْ وَجَلَّ قَالَ لِثِيٍّ رضي الله عنه : أَوْصِنِي ، قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » ، فَرَدَّدَ مَرَّةً ، قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » ^(٢) . جمع ﷺ في قوله : « لَا تَغْضَبْ » ، حيزي الدنيا والآخرة ؛ لأن الغضب يؤول إلى التفاضل ومنع الرفق ، وربما آل إلى أن يؤدي للغضب عليه فيقتصر ذلك من الدين ، لأن أعدى عدو للإنسان شيطانه ونفسه ، والغضب إنما ينشأ عنهما . فمن جاهدتهما حين يغلبهما مع ما في ذلك من شدة للعاجلة كان لظهر نفسه عن الشهوة أيضاً أقوى ^(٣) .

ب/ وضعت التربية النبوية علاجاً في عدد من الخطوات حتى يتجنب الغاضب قوة غضبه فقال ﷺ : « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُطْعِمْ » ^(٤) . فإذا اتبع للؤمن هذه الوصفة العلاجية ، استطاع التغلب على نفسه وشيطانه ، فمجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو . لذلك جعلت التربية النبوية الذي يملك نفسه عند الغضب أعظم الناس قوة . قَالَ ﷺ : « تَسِسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّ الشَّدِيدَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » ^(٥) . إن القوة في التربية النبوية تكمن برعاية الجلس والحزم مع الحلم والأناة .

وللتأمل في الحديث يستكشف نظرية تربوية علاجية قائمة بذاتها توضح القوة الحقيقية التي يملكها الإنسان إذا ترك الغضب ، واستطاع أن يجاهد نفسه في

(١) مرسوق إبراهيم محمد ، النفس الإنسانية في القرآن الكريم ، ١٤٠١هـ ، لمعة : ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٢) البخاري / أحمد بن إسماعيل بن النفرة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ر : ٦٤٠ .

(٣) المسفلان / أحمد بن حجر ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٥٢٠ ، ر : ٦١١٦ .

(٤) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٤٩ ، ر : ٤٧٨٦ .

(٥) البخاري / أحمد بن إسماعيل بن النفرة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٥٢ ، ر : ٦٣٨ .

تعاملاته الإنسانية . فالعقل وثيق الصلة بالقلب وكألفهما شيء واحد ، فقد نسب الله تعالى النطق أي الفهم إلى القلب . واللب هو القلب ، وقد يستخدم بمعنى العقل ، وصلة القلب بالعقل تبدو من أن القلب هو موطن للشاعر والعواطف ، وهي تمثل قوة دافعة في سلوك الإنسان . وهذه القوة بحاجة إلى ضابط تحكمها ، ومعيار يضبطها ، وفكر يوجهها ، وهذا يقوم به العقل ، فهو مركز السلطة الداخلية التي تراقب رغبات الإنسان وسلوكه . أو هو الضمير الذي يحقق التوازن بين الدافع والخارج . فالعقل معرفة وعلم ، والقلب رغبة وإرادة ، والجسم قدرة وتنفيذ ، والجميع يعمل في انساق كامل ، وتعاون تام^(١) . وقد أودع الله صفاته الخصال القادرة على إدراك الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل . " واتخذت مشيئة الله تعالى أن يكون سلوك الإنسان في حل الصراع القائم في النفس البشرية بين الخير والشر ، أو بين مطالب الروح وأشواقها ، وبين مطالب وحاجة الجسم ومادياته وشهوته . هذا الاختيار الحقيقي الذي وصفه الله تعالى للإنسان وهو الوجود في الحياة الدنيا والتي هي بمثابة دار الابتلاء والاختبار . ولذلك فإن الثرية النبوية تستهدف أن تحقق للشخصية الإنسانية أكبر قدر من التوازن والتساق والتوافق وترابط بين الخير والشر^(٢) .

وقد كان تلاميذ المدرسة النبوية يتصفون بالتوازن ويملكون ، أنفسهم عند الغضب ، ويحكمون عقولهم ، فقد حدث خلاف بين فاطمة رضي الله عنها وزوجها علي ، فخرج إلى المسجد . وفي ذلك الوقت ، " جاء رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيَّتَ فَاطِمَةَ رضي الله عنها فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا فِي الْبَيْتِ ، فَقَالَ : « لَيْسَ عَلَيْكَ » ؟ . قَالَتْ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَخَاصَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيْسَ : » « الظَّرْفَيْنِ هُوَ » ، فَبَاءَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَاقِفٌ ، فَبَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ لَمْ يَقَطْ رِجْلَهُ عَنْ حَقِّهِ وَأَمْسَكَ لَوَاهِبَهُ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسُحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ : « قُمْ لِي لَوَاهِبٍ قُمْ لِي لَوَاهِبٍ »^(٣) . إن الله وهب الإنسان العقل وجعله حراً مختاراً ،

(١) مرسى / محروس سيد ، الثرية والطبيعة الإنسانية ، ١٤٠٨هـ ، دار المعارف : القاهرة ، ص ٢٧٨ .

(٢) لقار / صيد ، ثرية بالأحاسيس القلبية ، ١٤٢٣هـ ، دار غرعة للنشر : القاهرة ، ص ١٠٤ .

(٣) البحاري / أحمد بن إسماعيل بن لقوة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، ص ١٩٦ ، ر ١٠٦ .

ولكن هذه الحرية التي منحها الله إياها ليست مطلقة ، بل هي حرية مسؤولة مرتبطة بمحتاج إلى ، وتوجهها تربية نبوية (الفعل ولا تفعل) ، حرية يرتفع بها المسلم إلى درجة الاختلاف والمسؤولية^(١) ، وهي مناط تمييز أعمال الإنسان ، فإما أن يرتقي سلوكه نحو الأفضل والأحسن ، وإما أن يهبط بسوء فعله إلى أقل من مستواه الإنساني .

فالترية النبوية تربي الإنسان على مواجهة كل ما يلحق به من مؤثرات حسية وعقلية ونفسية . وسبق الحديث عن الجانب الجسمي والعقلي . وسوف يتال الجانب النفسي نصيه من التوضيح لأهمية هذا الجانب في حياة المسلم .

٤- التربية النفسية :

لفظ النفس يُراد بها معان عديدة ، قال ابن عباس : لكل إنسان نفسان : إحداهما نفس العقل الذي يكون به التمييز ، أي التي تأمره بالشئ وتنهاه عنه ، ففعلوا التي تأمره نفساً والتي تنهيه كأنها نفس أخرى . وقيل هي التي تقارنه : إذا نام ، لأن الله يقبض نفسه ولا يقبض روحه . والأخرى نفس الروح الذي بها الحياة ، ويكون بها حركة الإنسان ونموه . والنفس تأتي بمعنى العين التي تصيب للعين ، وتأتي بمعنى الحمة ، ومعنى العظمة والكبر والعزة ، والنفس عين شئ وكنته وجوهره^(٢) . وقد ذكر القرآن الكريم النفس في معان متفرقة منها : قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ نَحْنُ خَيْرُ عَلَى مَا فُرِطَتْ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ (الزمر آية ٥٦) ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَلَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَيَّءٍ ﴾ (الزمر آية ٤٢) ، وقوله تعالى : ﴿ تَقَلُّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَغْلُرُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (إِنَّا أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ) (الأنعام آية ١١٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَحْذَرُكُمْ اللَّهُ فَخْشَهُ ﴾ (إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (ال عمران آية ٢٨) ، كما أشار القرآن الكريم والمنة النبوية إلى أن النفس فيها كثير من الإحزاز فما على الإنسان إلا البحث والتقصي ، قال تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْلَأَنْتُمْ تُنْصِرُونَ ﴾ (الذاريات آية ٢١) ، ورغم ما حققه العلماء من

(١) الفراء / أحمد ، التربية بالأشكال القرآنية ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ .

(٢) ابن منظور / لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢٢٢-٢٢٥ .

تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان إلا أنه غير كاف - وما زالت هناك أمور مجهولة في طبيعة الإنسان ككل - ، وتعرف بذلك الدراسات النفسية والثرية في هذا العصر بعمقها بمقينة الإنسان وعجزها عن إدراك عقايد وأسرارها ، وأما تبث في ميدان مجهول ، وأنه مكون من أجزاء مختلفة ، فيه من الإعجاز والغموض ما يفوق الوصف ، ويكفي العقل أن يتأمل في نفسه ، وفي وظائف أجهزته التي تتفاعل وتؤثر بعضها في بعض ، وتركيب عقله وحواسه وإحساسه ومشاعره ، ووظائف القلب ، والإرادة فيه ، إضافة للتركيب الشكلي الخارجي . فإذا تبه الإنسان إلى عظمة الخالق وامتلاء فوائده بالمحافظة على هذا الجسد وتوجيه القلب والروح إلى ما جاءت به الترية النبوية ، تحقق الهدف من فهم النفس . وهي النفس التي يمكن دراستها في هذا الجانب ؛ لأنها النفس المتصلة لقوة الحياة والحس والإرادة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ، اخِرٌ عَلَى مَا يَلْفُظُكَ ، وَاسْتَعِزَّ بِاللَّهِ وَلَا تَفْخَرْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا . وَلَكِنْ قُلْ فَعَلَهُ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنْ لَوْ لَفُتِحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ »^(١) . في الحديث صفتان متضادتان صفة القوة وصفة الضعف ، وكلاهما خير ، لأن بينهما عامل مشترك واحد وهو الإيمان . كما أن هناك فرق واختلاف في منزلة كل منهما عند خالقه ، ويعود ذلك لما يتصف به المؤمن من عزيمته النفس والفرقة في أمور الآخرة ، فالمؤمن القوي أكثر إقداماً على العدو في الجهاد ، وأشد عزيمته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على الأذى ، واحتمال للشاق في ذات الله ، وأنشط في طلب العبادات من صلاة وصيام وغيرها ، وأكثر محافظة عليها^(٢) . ومن كان قادراً على القيام بكل هذه العبادات ، فذلك أنه يملك نفساً قوية يوجهها وعقلاً راجحاً ، وجسماً صحيحاً . فسلامة النفس هي مشعل النور والهدى للمؤمن ، وما أشد حاجة الأمة الإسلامية في هذه الأيام إلى للمؤمن القوي الحرص على طاعة الله . و في الحديث مفاضلة بين صفتين ، ففيه لمي عن العجز والكسل في الطاعات ، وكان ﷺ يستعيد بالله من العجز والكسل ، فكان يقول : « اللَّهُمَّ إِلَيَّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْخَبْنِ وَالْغَبْلِ وَالْهَرَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبِ الْقَبْرِ ،

(١) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب القدر ، ص ١٦٦٩ ، ر : ٢٦٦٤ .

(٢) النووي / أبي بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب القدر ، ص ١٦٤ ، ر : ٢٦٦٤ .

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ لِقَةِ الْمَحَا وَالْمَمَاتِ^(١)؛ لَأَنَّ الْعِزَّ وَالْكَيْلَ لَيْسَا مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ،
والحديث بين صورة حية متحددة تغرس معالم القوة في نفوس المؤمنين وتقوي عزائمهم .
وتنتهي عن قول : (لَوْ أَلَيَّ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا) ، وهذا الأمر يُوجد في النفوس وهنًا ، وفي
الإيمان ضعفًا ، ويفتح عمل الشيطان ، وقد * سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَاسَةِ ، قَالَ : « بَلِّغْ
مَخْضُوعَ الْإِيمَانِ »^(٢) . فالوسوسة للقي في القلب معارضة القدر ويوسوس بها الشيطان .
وكلمة (لَوْ) لها عدة وجوه ، فمن كان معتقدًا بها ، وأنه لو فعل ذلك الأمر لم يصبه ذلك ،
فهذا المنتهي عنه . أما من أرجعها لمشية الله ، أو استعملها لقول مستظلي ، أو من قلها
تأسفًا على ما فات من طاعة الله ، فلا بأس بها^(٣) .

فالشرية النبوية حريصة على وفاة النفس الإنسانية من نزوات الشيطان الذي يجمع كل
قوته ليفتن الناس ، ويضلهم عن طريق الحق . قَالَ ﷺ : « يَتَعَثُّ الشَّيْطَانُ سَرَّابَةً فَيَقْتُضُونَ النَّاسَ ،
فَأَعْظَمُهُمْ عَثْرَةً مَثَرَلَةٌ أَغْطَتْهُمْ لِقَةُ »^(٤) . لذلك كان جهاد النفس أعظم من جهاد العدو ، ومن
غلب نفسه سهل عليه كل شيء ، فالفنفس هي الهرك القوي للسلوك القوي والفعل .
ويتضح ذلك في موقف النبي ﷺ عندما رآه أصحابه وهو في رقعة زوجته حفية . كما ورد في
الحديث : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَعِشْرَةُ أَرْوَاجُهُ فُؤُخَنَ ، فَقَالَ لَصَفِيَّةُ بِنْتُ خُصٍّ : « يَا نَبِيَّيَ
حَتَّى أَصْرِفَ مَعَكَ » - وَكَانَ يَتَبَهَّأُ فِي دَارِ أُمِّهِ - فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا فَلَقِيَتْ رَجُلَانِ مِنَ الْكُفَّارِ
فَقَرَّأَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَعَارَا ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ : « لَعَنَّا ، إِلَهَا حَلِيفَةُ بِنْتُ خُصٍّ » ،
فَقَالَا : سَتَحَنَّنَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الذَّمِّ ،
وَرَأَيْتُ خَشِيبَتَ أَنْ يُلْقِيَنَّ فِي أَفْئِدَتِكُمَا شَيْئًا »^(٥) . للتأمل في الحديث يستشعر اهتمام الشريعة
النبوية بسرعة العلاج الوقائي ، فهو لم ينسبهما إلى أفعما يظنان به سوءًا لما تقرر عنده
من صدق لهما ، ولكن عشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ؛ لأفعما غير معصومين ،

(١) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، ص ٩٠ ، ر : ١٥٤٠ .

(٢) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ١١١ ، ر : ١٣٣ .

(٣) القروي / يحيى بن عوف ، صحيح مسلم بشرح القروي ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب القدر ، ص ١٦٤ ، ر : ٦٦٦٤ .

(٤) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب صفات المؤمنين ، ص ١٧١٨ ، ر : ٢٨١٣ .

(٥) البخاري / أحمد بن محمد بن إسماعيل بن القفوة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الاستبصار ،

ص ١٠٧ - ر : ١٤٢ .

فقد يفضي بها ذلك إلى الهلاك فيادر ﷺ إلى إعلامهما^(١).

وسوء الظن من الكبائر الباطنة ، ومن كان في قلبه مرض منها لم يلق الله بقلب سليم ، وذلك لعظم مفسدتها ، وسوء أثرها ودوامه ، فمن أساء الظن بأخيه ، وحكم بشرّ عليه بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه وإطالة اللسان في عرضه ، وكل هذه مهلكات ؛ لأنه رجح حائب الشر على جانب الخير فيما يحتمل الأمرين معاً^(٢) . وليس كل ظن إنما فالظن ظنان : ظن إثم ، وظن ليس بإثم . قَالَ ﷺ : « إِثْمُكَ وَالظَّنُّ فِىنَ الظَّنِّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » . قَالَ سُفْيَانُ : « الظَّنُّ ظَنَانِ ظَنُّهُ إِنَّمَا وَظَنُّهُ لَيْسَ بِإِثْمٍ ، فَإِنَّمَا الظَّنُّ الَّذِي هُوَ إِنَّمَا فَالَّذِي يَنْظُرُ مَا وَتَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَإِنَّمَا الظَّنُّ الَّذِي لَيْسَ بِإِثْمٍ فَالَّذِي يَنْظُرُ وَمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ »^(٣) . التأمّل في الحديث يستشعر التحذير من سوء الظن ، فالظن في كثير من الأمور معلوم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (المحرمات آة ١٢) . * ومن ثمرات سوء الظن التحسس ، فإن القلب لا يقع بالظن ، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتحسس ، وذلك منهي عنه ؛ لأنه يؤصل إلى هناك سِرّ المسلم^(٤) ، والأولى بالمسلم أن يحسن الظن بربه ، وكذلك يحسن الظن بالعباد ، ويحاول أن يركي نفسه ويظهرها من سوء الظن ويتوب إلى الله ، ويقطع عن هذه الصفة الذميمة التي تستوطن في النفس الأمارة بالسوء ، فالشيطان عندما يجد البهية الصالحة لأفعاله يستقر بها ، ويمارس تحريشه بين الناس من سوء الظن أو الوسوسة التي يتلقها في القلوب .

وقد تكون الوسوسة من ذات النفس توسوس لصاحبها وتحدثه بالآثام ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَهْبَأُ نَفْسِي إِذْ أَنفَسَ لِأَمَارَةٍ بِالنُّفُسِ إِلَّا مَا رَجَمْتُ نَفْسِي ﴾ (يوسف آة ٥٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمْ مَا تُوَسْوِسُونَ بِهِ نَفْسَهُ^(٥) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق آة ١٦) ، وهي بذلك أحد ثلاثة يُستعاض منها وهي النفس (الأمارة) ، وشياطين

(١) المستقل / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الاعتكاف ، ص ٢٨٠ ، ر ٢٠٣٨١ .

(٢) ابن حنبل / نظرية النعم ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٤٦٥٣ .

(٣) الترمذي / أحمد بن حنبل ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب البر ، ص ٣٩٨ ، ر ١٩٩٥ .

(٤) ابن حنبل / نظرية النعم ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٤٦٥٣ .

الجن ، وشياطين الإنس ؛ لقوله تعالى : ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ الذي يؤنس في صدور الناس ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (الناس آية 1-2) ، فالوسوس من الجنة وهو الخناس ، ووسوس من نفس الإنسان^(١) . فعلى المسلم أن يقاوم هذه الوسوس بالتمسك بالأعذار لأخيه المسلم ، حتى يخلص نفسه من الشكوك والظنون ، ويدعو له بالخير ، وقد تجاوز الله عن الوسوسة إذا لم يجر بها . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنْ اللَّهُ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أَقْبَى مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ صُورُهَا مَا لَمْ تَقْتُلْ أَوْ تَكْتُمْ »^(٢) . إن الوسوسة هي الإلقاء الخفي في النفس إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقى عليه ، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد^(٣) . ورغم ذلك فإن البعد عن الوسوسة أو الظنون أسهل من الناحية الفنية وللوضوعة من البعد عن الأهواء ، حتى إن كثيراً من العلماء يرون أن التحرر من القوى والشؤون الخاصة في بحث القضايا الإنسانية عامة غير ممكن في كثير من الأحيان^(٤) .

لذلك تسعى التربية النبوية إلى تربية النفس الإنسانية ، وسد كل ثغرات الشيطان ، فهو يكرس قوته لإغواء النفوس للوسوسة . فمن هانت عليه نفسه واتبع هواه فقد ضل . خاصة وأن المسلم اليوم غوطه الفتن وتغريه شياطين الإنس والجن ، لتوقعه في شباكهها . فمن اتبع الجانب الوقائي وأخذ بمنهج التربية النبوية فقد اعتدى - لأنه أهم من الجانب العلاجي - .

وهذه التربية الوقائية تنفدتها المؤسسات التربوية ، لذلك فهذه الأمراض متفشية في المجتمعات الإسلامية وترتبت عليها كثير من الأخلاقيات الذميمة ، فندبر الدسائس والفتن ، ولحدت الأرياء ، وتعدى على الضعفاء ، وزرع الأمنين ، وقتلت حرمة الناس ، وتولد للشاحنات والبغضاء . لذا حذر منها المرئي الأول ﷺ ، وسد كل عمل ينميتها . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ كُتِمَ ثَلَاثَةٌ فَلَا يَتَجَاوَزَنَّ اللَّهُ ذُنُوبَ الْآخِرِ ، حَتَّى يَخْتَلِعُوا بِالنَّاسِ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُخْرَجَ »^(٥) . حرصت التربية النبوية على مراعاة الجوانب النفسية ، والمحافظة على أواصر المحبة الأخوية ،

(١) ابن حيد / نظرة شعوم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥ .

(٢) البحري / محمد بن إسماعيل بن علفرة ، صحيح البحري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب العق ، ص ٢٩٠ ، ر ١٦ .

(٣) ابن حيد / نظرة شعوم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٧٠٢ .

(٤) بكرز أحمد الكريم ، فصول في التفكير الموضوعي ، ط ٣ ، ١٤٢١ هـ - دار القلم : دمشق ، ص ٦٦ .

(٥) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السلام ، ص ١٣٧ ، ر ٢١٨٤ .

لذلك كان * النهي في الحديث لمي تحريم ، فلا يتناهى إثنان بحضرة ثالث ، أو ثلاثة وأكثر بحضرة واحد ^(١) . فهذا الفعل وإن كان لا يعني للمتحدث شيئا ، ولكنه يؤثر في الطرف الآخر ، فالجانب العاطفي كثيرا ما يغلب العقل ، فيميل القلب ويتحيز إلى أفراد دون آخرين ، حتى وإن كانت صلة القرابة متساوية .

قَالَ ﷺ : « مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِاحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدُ حَقِيْقِهِ مَائِلًا » ^(٢) .
 إن من الصفات الذميمة التي تتربى النفس قبالها ، التحيز وعدم العدل بين الزوجات أو الأبناء ، وهذا الفعل يترتب عليه إيقاظ مشاعر الحقد والحسد والبغضاء ، وهذه ليست من خصائص التربية النبوية التي تحت على العدل في كل الأحوال حتى بين الأولاد . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اغْدِلُوا بَيْنَ أَهْبَابِكُمْ ، اغْدِلُوا بَيْنَ أَهْبَابِكُمْ » ^(٣) .

فاعدل من صفات النفس السليمة للطبقة التي تم تويرها بتور القلب حتى تخلعت عن صفاتها الذميمة وغلقت بالأخلاق الحميدة ، ولا يعرف فيها الفرد أمراض البغي والشهوة والشك ، وهي النموذج الأكمل للصحة النفسية التي تؤدي إلى الاطمئنان وكسب رضا الرحمن . وفي المقابل النفس الأمارة بالسوء التي تميل إلى اتباع الهوى ، فتغصص في زينة الدنيا ومفرجها ، وتحب المال حباً يفسد عليها دينها ، ويفقدونها ضروب الإنفاق ، ويوردها موارد الفلاك ، ولذلك حض الله على الرشد في منافع الدنيا ، والبعد عما يؤدي إلى الفار ، والعمل على ما يقرب من الجنة ^(٤) .

قَالَ ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّكَوْرُ : يَقُولُ ابْنَ آدَمَ : يَا مَالِي مَالِي ! وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا فَتَنَّاكَ فَأَفْتَنَيْتَ ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْتَيْتَ ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَلْبَيْتَ » ^(٥) . في الحديث مؤشر قوي على

(١) النووي / إمام بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب السلام ، ص ٣٣٩ ، ر : ٢١٨٤ .

(٢) الترمذي / أحمد شعب بن سنان الخرساني ، سنن الترمذي / مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب عشرة النساء ، ص ٧٣٢ ، ر : ٣٩٥٢ .

(٣) الترمذي / أحمد شعب بن سنان الخرساني ، سنن الترمذي / مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الطهارة ، ص ٦٢٥ ، ر : ٣٦٨٩ .

(٤) حلال / عبد الصالح ، الطبعة الإنسانية في القرآن الكريم والسنة ، ١٤٠٧ هـ ، المؤتمر الخامس للجمعية الإسلامية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٥) الترمذي / محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الزهد ، ص ١٥٣ ، ر : ٢٣٤٩ .

اشتغال الإنسان بطلب كثرة المال ، ويعتز بنسيته إلى نفسه ويفتخر به ، ولا ينفعه من هذا المال إلا ما أنفقه على نفسه أو تصدق به فأَمْضاه أو أبقاه لنفسه يوم الجزاء^(١) . قَالَ الشَّيْخُ رحمته : « أَتُحْكَمُ مَالٌ وَكَرِهَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ » ٢ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا مِثْلُ أَخَذِ إِلَّا مِثْلَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ ، قَالَ : « فَإِنْ مَالُهُ مَا قُتِمَ ، وَمَالٌ وَكَرِهَ مَا أُخِرَ »^(٣) . فذلَّل الحقيقى هو المال الذي يعود بالنفع لصاحبه وهو ما يدخره للسلم ليحده في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

وسوف يسأل الناس عن النعيم - الصحة والرزق والأمن وغيرها - .. فَمَنْ أَمَى مُرْتَبَةً قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَةُ ﴿ تَسْأَلُونَ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (تكاثر آية ٨) ، قَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَنْ أَمَى النَّعِيمِ سَأَلُ ؟ قَالُوا هُمَا النَّاسُ وَالْعَالَمُ خَاضِرٌ وَسَيُوفُ عَلَى عَوَاقِبِهَا ؟ قَالَ : « إِنَّ ذَلِكَ سَكُونٌ »^(٤) . الحديث ينشأ عن أمور غيبية ، وذلك أن الناس سوف يسألون عن النعيم . واستفسار الصحابة عن النعيم الذي سوف يسألون عنه يدل على نقاد بصيرهم إلى ما بعد السؤال من عقوبة إن لم يتم شكر هذه النعم . وهذا الاستدراك يطرق العقول البصيرة ويخلصها من الانغماس في النعيم . الذي يغرقها في تيار الرغاية والبعد عن عبادة الله . وهذه صورة متمثلة في أحوال المجتمعات المعاصرة ، حيث أصبح جمع المال هو كل همهم . وينطبق عليهم قوله رحمته : « لَوْ كَانَتْ لِبْنِ آدَمَ وَدَيْنِ مِنْ مَالٍ لَأَقْبَى قَائِلًا ، وَكَأَ مِثْلًا خَوْفِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا الشَّرَابَ » ، وتنبؤ الله على مَنْ قَابَ^(٥) . الحديث مؤشر إلى * أن التطور المادي نفسه قد يكون من أهم أسباب أمراض الإنسان ، حيث ولَّد هذا التطور غروراً في بعض النفوس وكبراً ، وولَّد تنافساً أشد على الدنيا ، وصراعاً أوسع ، فالنفس أطماعها في الدنيا لا تنتهي ، وشهواتها لا تقف عند حد ، ولو ترك الإنسان لمزعات حرصه وطمعه لأصبح خطراً على نفسه ومجتمعه ، لأن النفس الإنسانية إذا ألغيت المحسوسات استزادت حباً للحياة الدنيا ، لأنها في عموم أحوالها تحب الحياة ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ رحمته : « يَكْثُرُ ابْنُ آدَمَ ، وَيَكْثُرُ نَفْعُ النَّاسِ :

(١) طبرستانى / محمد عبد الرحمن عبد الرحيم ، مجلة الأصولي ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الزهد ، ص ٢١٣ ، ر : ٢٢٤٢ .

(٢) البحارى / محمد بن إسماعيل بن لقوة ، صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الرقاق ، ص ١٦٨ ، ر : ٢٩ .

(٣) الترمذى / محمد بن عيسى ، متن الترمذى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب تفسير القرآن الكريم ، ص ٢٢٤ ، ر : ٣٢٨٦ .

(٤) البحارى / محمد بن إسماعيل بن لقوة ، صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الرقاق ، ص ١٦٩ ، ر : ٢٤ .

حُبِّ الْمَالِ ، وَطُولِ الْعُمُرِ ^(١) . وهذا الأمر وإن كان ظاهره العموم إلا أنه يخص من تعلق حبه بالدنيا ، أما من ملأ نور الهداية نفسه فإنه يعصمها عن حب للذات .

فالنفس السليمة غير الملوثة بغير التوجه للشحرف ، هي للهمة بسلوك الخير ، والزهد فيما عند الآخرين . فيشعر الإنسان بالقناعة والرضا بما يملك ، ويرفض الزيادة . فقد كان ﷺ يربي أصحابه على التقليل من حب الدنيا ، والاعتدال والوازن في كل أمورهما . فقد كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَهْدَ الْعَطَاءِ ، فَيَقُولُ لَهُ عُمَرُ : أَطْعَمَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَرَأَ إِلَيْهِ مِثْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ أَوْ لَصِقْ بِهِ ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَلْتَغِي عُمَرُ مُشْرِفًا وَمَا سَابِلُ فَخْرُهُ ، وَمَا تَأْتِيهِ نَيْفَةُ نَفْسِكَ ^(٢) » . إن التأمّل في الحديث يدرك فضل عمر رضي الله وزهده وإيمانه ، وذلك دليل صدق الإيمان ، لأن الإيمان حينما يتمكن من النفس البشرية ، ويمس شغاف القلوب ، يسمو بالنفس ويعلو بالهمة ، ويعرض عن حب الدنيا ويرعد بما فيها ، ولا يكون ذلك إلا بمجاهدة النفس ، لأن الزهد في الشيء : هو الإعراض عنه ، لاستغلاله واحترامه وارتفاع الهمة عنه ، يقال : شيء زهيد ، أي حقير . والنفس الزاهدة هي التي تنظر إلى الدنيا بعين الزوال ، فتصغر في عينها ، فيسهل الإعراض عنها ^(٣) . والزهد يكون في الحرام والمكروه والنهي عنه ، أما الحلال فتعمة من الله تعالى على عبده . والله ﷻ يحب أن يرى أثر نعمته على عباده ، وشكر النعم يكون في الاستعانة بها على الطاعات ، أفضل من الزهد فيها والتخلي عنها . - إلا إذا شغلته عن الله فالزهد فيها أفضل - ، والزهد يكون بتحرير القلب عن التعلق بما والطمأنينة إليها ^(٤) . فالنفس التي ترعد وتعرض عن عروض الدنيا المحرمة هي النفس الغنية بالإيمان . قال ﷻ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْغَرَضِ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى عَنِ النَّفْسِ ^(٥) » . الحديث يستعرض صنفين من النفوس : الشحيحة ، والزاهدة ، ويجمع بينهما في أن الغنى ليس بكثرة المال ، إنما « الْغِنَى عَنِ النَّفْسِ » سواء كان للتصرف بذلك كثير المال أو

(١) البخاري / محمد بن إسماعيل بن القوية ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الرقاق ، ص ١٦٦ ، ر : ١٠٠٠ .

(٢) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الرقاق ، ص ٥٩٦ ، ر : ١٠٤٥ .

(٣) الأسيوطي / حلال الدين ، تلويح لأهل الآخرة من الدنيا الدائرة ، ١٤٢٦ هـ ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، ع ٦٢ ، السنة ٢٠ ، مجلس النشر العلمي : الكويت ، ص ٢٢ .

(٤) الأسيوطي / حلال الدين ، تلويح لأهل الآخرة من الدنيا الدائرة ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

(٥) البخاري / محمد بن إسماعيل بن القوية ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الرقاق ، ص ١٧١ ، ر : ٣٣ .

قليله ، وصاحب المال الكثير ليس غنيا لذاته بل بحسب تصرفه فيه ، فإن كان في نفسه غنيا لم يتوقف في صرفه في الواجبات والمستحبات من وجوه الرزق ، وإن كان في نفسه فقيراً أمسكه فلا يتطعم به في الدنيا ولا في الآخرة ، بل ربما كان وبالاً عليه ^(١) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ ، إِلَّا مَنْكُانَ بَتْرَآنٍ ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَغْضِ مُتَبَقِّ خَلْقًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ أَغْضِ مُتَسَكِّبًا تَلَقَّا » ^(٢) . في الحديث ترغيب في الجود والعطاء ، وإثبات أن الصدقة تجلب الرزق وتباركه ، « وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » وَهُوَ خَيْرُ الْكَرْزَيْنِ ^(٣) (ص ٣٩) ، إن النفس عندما تطمئن بالخلف في المال الذي تنفقه ، وأنه لا ينقص من الصدقة ، فلها تبذله وتقاوم غريزتها الفطرية في الحرص على المال والخوف من نفاذه . فإِنَّهُ ﷺ يهب المال لمن يشاء من عباده ، ولكنهم يختلفون في تصريف المال ، فمنهم من يشكره على نعمه ، ويذل منه عن طيب نفس وطواعية وثقة بوعده الله له بالخلف ، ومنهم من يغلب عليه شح نفسه ، ويسيطر على قلبه البخل ، ويمتنع عن الصدقة عليه الشيطان ^(٤) . فيقع في شر أعماله ، ويمنع نفسه من فضل الصدقات وفوائدها ، لأن " الصلقات لها من الفضائل والفوائد ما لا يمكن حصره ، ولو لم يكن فيها إلا أنها سبب في منع الشرور وصد الأذى ، وتقليل سعيين بآباً من الضرر والملاك والفقر والمرض ، وغير ذلك من المصائب المؤلمة والمؤذية ، لكان ذلك كافياً لبيان ما تشتمل عليه الصدقة من فضائل ^(٥) .

لذلك فالنفس تحتاج إلى جهاد دائم في ذات الله بغية التجرد له عن الأهواء وللطامع والشهوات ، وبإب الأهواء باب واسع ينظم كثيراً من ألوان التزيف عن للوضعية ^(٦) . وهذه سنة الله في الكون حيث جعل النفس الإنسانية تعاني حلوا الحياة ومرها ، وسيرها وشرها ، وأن لها في تلك المعاناة محيصاً وتطهيراً وتصفية وتنقية . لكي تقبل على ربها ﷻ وقد قبلت للقلالة بالشوكة وأقلعت عن الذنوب .

(١) الصفواني / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الرزق ، ص ٢٧٦ ، ر : ٦٤٤٦ .

(٢) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الزكاة ، ص ٥٨٠ ، ر : ١٠١٠ .

(٣) الضبي / إبراهيم محمد ، الصدقات وأثرها على الفرد والمجتمع ، ١٤٠٨ هـ ، مطبع لوزن : الرياض ، ص ٢٠ .

(٤) الضبي / إبراهيم محمد ، الصدقات وأثرها على الفرد والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ٥ .

(٥) بكر / عبد الكريم ، أصول في التفكير التوضوعي ، ط ٣ ، ١٤٢١ هـ ، دار الفلم : دمشق ، ص ٦٢ .

والتربية النبوية عندما تهدف إلى ترقية النفس الإنسانية بتدريبها على محاسن العادات ومكارم الأخلاق ليس لغاية في ذاتها - وإنما الغاية هي ربط هذه النفس بخالقها وإعضائها في كل أمورها له^(١). وهذا الإعضاع يتم تربية النفس الإنسانية التي تحل جانباً هاماً من شخصية الإنسان ، وتؤثر في الدوافع التي هي كتوة من قوى النفس . ويندرج ذلك تحت مظلة التربية الوجدانية . وبعض الباحثين استخدم تربية النفس مرادفة لتربية الوجدان^(٢).

٥- التربية الوجدانية :

إن تربية الجوانب الحسية في الإنسان لها شأنها العظيم في تكوين شخصيته وتوجيه سلوكه ، وما قصور النظريات الغربية في التربية إلا بسبب عدم إهمالها بتربية الوجدان . وانصباب حُل اهتمامها على الجوانب النفسية والجسمية والاجتماعية والعلمية ، وأهملت الجانب الوجداني الذي هو مركز لمشاعر الإنسان من بداية حياته إلى نهايتها ، " ويشمل جميع الأحوال النفسية التي يقوى فيها شعور الإنسان بما يصاحبها من لذة وألم ، وسرور وحزن ، وحب وبغض ، ورضا وغضب^(٣) ، وجميع هذه الصفات تنعكس على سلوك الفرد وتكون شخصيته ؛ لأنها تربي الإنسان من الداخل .

ورغم أهمية التربية الوجدانية إلا أنه لا يوجد في جميع المناهج التربوية المعاصرة منهج تربوي استطاع أن يهتم بالجانب الوجداني في الإنسان ، ويخاطب عقله وروحه سوى منهج التربية الإسلامية الذي يستمد نور علمه من الكتاب والسنة ، فأولت الجانب الوجداني عناية عظيمة ، فهي لم تشر إلى مراعاته فقط ، بل كان الاهتمام به تطبيقاً عملياً في حياة التربي الأول ﷺ .

فَعَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِيَّيْ لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ أُرِيدُ إِحْبَاطَهَا ، فَأَسْتَعِ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أَنَفِهِ بِهِ »^(٤) . يربي ﷺ للمسلمين على التعاطف والمشاركة

(١) سريسق / إبراهيم ، النفس الإنسانية في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٩٩-١٠٤ .

(٢) للنسبة الغربية لتربية الطفل وعلوم / التربية الوجدانية في القرآن الكريم والسنة ، ١٤٠٧هـ ، تونس ، ص ٤٩٨ .

(٣) حمزاي / حمدة علي ، التربية الوجدانية في الإسلام ، ١٤١٧هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة . ص ٢١ .

(٤) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، ص ٢٨٧ ، ر : ٤٧٠ .

الوحدانية ، فإحساس المسلم بشعور أخيه فرحاً أو حزناً ، وإعاونته ما استطاع المعاونة ، كما يعمل على إزاحة همه ، كل ذلك يؤدي إلى التراحم والتناصر فيما بينهم ، وتقوية صلتهم ، فالترية إذ قتم بتربية الوحدان لأنه مقر العواطف والانفعالات والمشاعر والأحاسيس والإرادة الحرة القوية ، وهذه جميعها تؤثر في شخصية الإنسان ، وتحدد سلوكه في الحياة وعلاقاته بالآخرين .

لذلك عرف بعضهم الشخصية بأنها " وحدة الذات بما فيها من وجدان وفكر وإرادة وحرية واعتبار . فالوحدان يهذب العواطف والانفعالات والاتجاهات والليول والقيم ، ويتبرج بالنفس الإنسانية من مرتبة النفس الأمانة إلى النفس للمطمئنة مروراً بالنفس التوامة^(١) .

ولأن الانفعالات متعددة ويظهر أثرها في العلاقات الإنسانية ، لذا حرصت التربية النبوية على تذيب هذه الانفعالات بطرق تربوية رائعة منها : " تَيْسَمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَنَعْدُ أَصْحَابُهُ وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ فَآذَاهُ فَصَنَّتْ عَنهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ آذَاهُ النَّبِيُّ فَصَنَّتْ عَنهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ آذَاهُ النَّبِيُّ فَتَصَوَّرَ مَتَى أَبُو بَكْرٍ ، فَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ تَصَوَّرَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَوْجَدْتُ غِيّاً يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ أَنَّكَ مِنَ السَّمَاءِ يَكْتُبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ ، فَلَمَّا تَصَوَّرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ تَأْجِسُ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ »^(٢) . يكفي من الموقف التربوي السابق أن يتعلم المسلم قوة الصبر وضييق النفس ، خاصة عندما يتذكر للمسلم أن ملكاً من السماء يُنصف من يتحكم في انفعالاته . فالترية النبوية تظهر النفوس من آثار الغضب وتدفعها إلى الصنع والإحسان والطواعية ابتغاء ما هو أرقى وهو رضا الرحمن وبلوغ الجنة ، وبلللك يربي المسلم على الإتيار والصنع ، وينعكس هذا على الفرد والمجتمع تعاطفاً ومحاسناً ، نتيجة التربية السليمة للوحدان والتوجيه للناسب لانفعال الغضب : لأنه شعور تقسي داخل كل إنسان ، الصغير والكبير ، الصحيح والسقيم ، إلا أن نسبة الغضب تتفاوت ، فالمرضى أسرع غضباً من الصحيح ، والمرأة أسرع غضباً من الرجل ، والصغير أسرع غضباً من الكبير ... وهكذا .

(١) العلي / أنور ، الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي ، ١٤١٨ هـ ، المعهد العالي للفكر الإسلامي : الأردن ، ص ٢٧ ، ٤٥ .

(٢) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٧٤ ، ر : ٤٨٩٦ .

وإذا وقع الغضب في القلب أعماه وأصمه . يقول الغزالي : " لو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته ، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره ، فإن الظاهر عنوان الباطن ، وإنما قبح صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً ، وأثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ، ويستحي منه قائله عند فتور الغضب^(١) . وموقف للربي الأول ﷺ مع أبي بكر ﷺ نموذجاً للثرية الوجدانية ، حيث إن أبا بكر ﷺ جمع بين الانتقام عن بعض حقه وبين الصبر عن بعضه ، ولكن عندما تجاوز الرجل ضايق به أبو بكر ﷺ . « فالتصّر منه » ، ولما كان للطلوب منه الكمال المناسب لمرتبه ومكانته الصّدّيقية ما استحسسه ﷺ . لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِعِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِمْ وَإِنَّهُمْ فِتْنَةٌ لَكُمْ بِهِمْ وَإِنَّهُمْ خِزْيٌ لَكُمْ فِي آلِهَتِكُمْ ﴾ (النحل آية ١٢٦) ، ولكنه عمل بالرحمة المحوزة للعوام وترك العزّة المناسبة لمرتبة الخوارج ، لذلك قام النبي ﷺ من مجلسه دون أن يتحدث ، مما جعل أبو بكر يظن أنه أوجد عليه ، فسأله : « أَوَجَدْتُ عَلِيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ » أي : أغضبت عليّ ؟ يقال وجد عليه أي : غضب^(٢) . فأخبره ﷺ بأن الشيطان حضر فقام النبي ﷺ فهو لا يبقى في مكان فيه شيطان . وهذا موقف تربوي ودليل فاضح بأن المشاحنات سببها الشيطان ، وأن من يدافع عن نفسه يوكل إليها ، ومن يحتسب لله يدافع عنه الله .

الإسلام يروض هذه الطاقة ، ويدعو إلى قمع الغضب والسيطرة عليه ، ولا يعني ذلك أن يلم الغضب في كل الأحوال ، لأن الغضب له دور إيجابي أحياناً في حياة الإنسان ، فقد يدافع الإنسان عن مجارمه ، أو عن حدود دينه ، كما غضب ﷺ عندما حدّثه أسامة مستشفعاً في المحزومية التي سرقته . فالانفعالات ليست جميعها سلبية ، بل منها الإيجابي مثل الشجاعة والفتوة بالنفس عند قول الحق . والثرية النبوية تعالج السلبي منها ، وتلبث الإيجابي ؛ لأن كليهما يؤثر على شخصية المسلم كل حسب نوعه . فالانفعالات الإيجابية منبعٌ للأعمال البانية ، تدفع الفرد نحو العمل والطموح ، فهي ضرورة من ضرورات الحياة ، ومصلر قوي يساهم في

(١) الغزالي / أبو حامد محمد ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٨ .

(٢) الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، عون المبرود ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٢٥٠ ، ر : ٤٨٨٨ .

تحقيق الأهداف الشخصية^(١). ومنعها ومصدرها الوجدان ، " فهو القوة التي تكون العواطف وتغذيها وتربها ، وهو باعتبار أسبابه الثيرة له يكون عقلياً ومادياً ، ووجوده في الإنسان سابق على قوة التفكير أو على استعمالها ، لذا كان أثره في تكوين الشخصية وبالتالي أقوى وأعمق ، لأنه متصل بكل الأعمال التي يمارسها الإنسان ، ومصدر الانفعالات والعواطف ، وهو القوة الفعالة الدافعة إلى العمل^(٢) . ومجال الانفعالات كبير ولا يتسع المجال لذكرها .

ولا يقتصر الوجدان على الانفعالات ، بل هو مقر العواطف أيضاً ، وهي عامل رئيسي في تكوين الشخصية وتكملتها . فالخياة لا تخلو من الحزن ، والفرح ، والحب ، والكراهية وغيرها من العواطف التي تؤثر في شخصية المسلم ، " وهذا يفرض على المربين العمل على تربية العواطف الضالحة في النفوس ، لتنمية شخصيات متزنة لا قطة ، و تنشئة مواطنين أسوياء لا منحليين . والعواطف منها ما هو مادي يتركز حول محسوسات كالأشخاص والأماكن ، ومنها ما هو معنوي يتجه إلى المعنويات كحب الجمال والفضيلة والصدق ، وتوسع دائرة العواطف لدى الإنسان باتساع خبراته وعمق تجاربه^(٣) . فيكون سلوكه تبعاً لذلك ، وغير مثل على ذلك عندما " توفي إبراهيم عليه السلام ، قَالَ أَسَى : لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَذَعَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ ﷺ : « لَتَنُغَّ الْعَيْنُ ، وَيَخْرُنُ الْقَلْبُ ، وَتَأْكُلُونَ إِلَّا مَا يُؤْكُلُ رَبُّنَا ، وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَّا بِكَ لَمَخْزُولُونَ »^(٤) ، مري الأمة تعصر عاطفة الحزن وجدانه بفقد ابنه ، فيقول حُملأً مضطربة بنور الإيمان واليقين فيها تربية للأمة بأسرها . تربية تصل إلى أغوار النفس الإنسانية وتغمر الوجدان ، وتنتشر بداعله الاطمئنان ، فتربي باطن المسلم وتعديل انفعالاته وعواطفه ، وتثبت السلوك المرغوب فيه ، وتزود السلوك غير المرغوب منه . فتمتلك ذلك على سلوكه الخارجي ، - فلخارج هو مرآة الدافل - فتكون شخصية المسلم للتوازنة ، المحافظة على الدوافع النفسية ، والعواطف الوجدانية ، والضابطة للغرائز الجسمية ، التطبيقية لمنهج التربية النبوية .

(١) حمادي / ص ١٧٧ ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

(٢) للغة العربية للتربية والثقافة والعلوم / التربية الوجدانية في القرآن الكريم والسنة ، ١٤٠٧هـ - تونس ، ص ٥٠٢ .

(٣) للرجع السابق ، ص ٥٠٨ .

(٤) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفضائل ، ص ٤٤٢ ، ر ٢٣١٥ .

كما سبق يتضح أن الطبيعة الإنسانية هي جملة القوى المتكاملة الموجودة في الجسم ، والتي تتفاعل في انسجام وتآلف واتصال مستمر ، وتعمل في وحدة متفاعلة متداخلة العناصر والمكونات ، ولا ينبغي للإنسان أن يسرف في مرضاة أحدها على حساب الآخر ، إنما يُشبع حاجات كل منها بغفر إسراف أو جور^(١). فالكيان الإنساني يعمل متصلاً حتى إذا غلب جانباً من الجوانب في بعض اللحظات .

وهكذا يعالج الإسلام الطبيعة الإنسانية ويتناولها كتلة واحدة ، وضع لها قواعد أساسية ومقومات سلوكية ، فالقواعد الأساسية فيها الجانب الجسمي والروحي والنفسي والعقلي ، أما مقوماته التي يستمدّها من هذه الأسس هي " الصحة الجيدة والذكاء والشجاعة والمهارة والحماسة والحكم السليم والخلق والثقافة والتواضع والثقة بالنفس والعدالة^(٢) " ، وكل سلوك يصدر من الإنسان هو نابع من داخله ، فالكيان البشري أغلى ثروة في الوجود لذا تم توجيهه إيجابياً . لذلك فنلسم هو عنصر بشري غالي الثمن إذا طبق تربته النبوية وعرف أبعاد طبيعته البشرية .

ولأهمية تربيته ومعرفته أبعاد إنسانيته كفرد مسؤول يجب تسليط الضوء على التربية الفردية لبيان أهمية العلم للفرد ، واستغلال طاقاته كلها في العمل وتعمل المسؤولية ، وبذلك تكتمل حلقة الفرد فتكون الشخصية الإيجابية السوية بإذن الله .



(١) عبد العال / حسن إبراهيم ، الطبيعة الإنسانية في فكر الإمام الخوئي ، مرجع سابق ، ص ٧٧٨ .

(٢) القاضي / علي ، للتأهيم الأساسية في التربية الإسلامية ، المؤتمر الخامس ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

ثانياً: المضامين المتعلقة بالتربية الفردية

منذ أن ظهر نور الإسلام أعلن للبشرية أنه لا يمكن للتربية أن تؤثر في النفس الإنسانية وثبت وجودها على الأرض وتأخذ دورها وتحقق أهدافها في تغيير سلوك الإنسان نحو الأفضل ، إلا إذا اهتمت ببناء شخصية الفرد ، وشملت تنمية كل قواه ومقوماته الذاتية والعقلية والجسمية والروحية والوجدانية بشكل متوازن ومتكامل^(١) ، وتحقيق ذلك لابد من دراسة ثلاثة مسارات حتى تكتمل التربية الفردية في صورتها النهائية ، وقد سبق تناول مسارين منها - إبعاد الإنسان الصالح ، ودراسة طبيعته الإنسانية - والمسار الثالث يتناول للنهج النبوي التعليمي لتربية الفرد ، وهذا النهج هو المحرك الديناميكي لسابقه ، لأن الإنسان الصالح لابد له من علم يرتكز عليه حتى تستقيم حياته . والطبيعة الإنسانية لابد لها من معرفة تقودها إلى ما يتوافق معها ، والعمل بما يتناسب مع فطرتها . وبذلك تلحق نقطة ارتكاز هذين المسارين على العلم والعمل به وتحمل للمسؤولية ، انطلاقاً من أن الفرد هو نواة الجماعة ، التي هي أساس المجتمع ، وبه يتطور المجتمع ويرتقي ، وهذا الرقي لا يتم إلا بالعلم والمعرفة .

لذلك سوف يتم تسليط الضوء على العلم والعمل به ، ومناطق المسؤولية التي حملها الإنسان وتميز بها عن سائر المخلوقات ، وأستد ذلك التكليف إليه لأنه أهل له فهو متميز بعقله واستعداداته على تعلم العلم . فالعقل السليم الراجح هو الذي يستزيد من العلم ويتحلى بالمعرفة وينهل منها ما استطاع . قال تعالى : ﴿ وَفَلْيَرْزُقْ رِزْقًا عِلْمًا ﴾ (سورة آية ١١٤) .

١- فضل العلم في الإسلام ومكانته :

إن العلم هو الاعتقاد الجازم للطابق للواقع^(٢) . وهو إدراك الشيء بحقيقته ، والعلم : المعرفة ، وقيل العلم : لإدراك الكلّي والمركّب ، والمعرفة نقال لإدراك الجزئي والبيسط ، ومن هنا يقال : عرفت الله ، دون علمته^(٣) . فالعلم هو الطريق الموصل إلى عبادة الله وعشيقته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنَحْشِي أَنَّ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر آية ٢٨) .

(١) العقل / مصطفى ، نظرة الإسلام إلى التربية ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٢) الطرحاني / التعريفات ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ .

(٣) علي / سعيد إسماعيل ، فقه التربية ، ١٤٢٢هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة ، ص ١٧ .

وقد اعتنت التربية النبوية بالعلم في أمور منها :

أ- الحث على طلب العلم وتعلمه :

حَثَ لِرَبِيِّ الْأَوَّلِ ﷺ عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ لِلنَّاسِ وَالْفَرَحِ بِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ قَالَ ﷺ : « سَابِقُكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ ، فَإِذَا رَأَوْهُمُ فَقُولُوا لَهُمْ : مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقْوَاهُمْ » ، فُلْتُ لِحُكْمِ : مَا أَقْوَاهُمْ ؟ قَالَ : عُلْمُهُمْ^(١) . وللمؤمن يعرف أن طلب العلم عبادة وهو مأمور بطلبه ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ... »^(٢) . لذا كان الصحابة أحرص الناس على طلبه ، وتحمل المشاق من أجل الحصول عليه ، فعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَبِيصٍ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي النَّزَّاءِ فِي مَسْجِدٍ دَخَلْنَا فَبَدَأَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا النَّزَّاءِ إِيَّايَ جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ يَنْفَعُنِي أَنْكَ لِحَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : فَوَيْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَتَّبِعُ أَجْنَحَتَهَا وَحَتَّى يُطَالِبَ الْعِلْمَ ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالْجِنَّ وَالنَّاسَ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعِلْمِ عَلَى الْعِبَادِ كَفَضْلِ الْفَخْرِ لَكِنَّةِ الْبَشَرِ عَلَى سَبْرِ الْكُفْرِ » ، وَإِنَّ الْعِلْمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرَّثُوا دِيَارًا وَلا دَرَاهِمًا ، وَوَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَبْطٍ وَافٍ^(٣) . إن هجرة الصحابي من المدينة إلى الشام من أجل التأكد من حديث سمعه ويريد أن يتأكد من صحته وسماعه من راويه مباشرة ، يؤكد جهد السلف الصالح بدءاً من الصحابة ﷺ ومن تبعهم لinalوا هذه للتراتب السنية ، فحباها البلاد شرقاً وغرباً لهم عالية ، ونفوس سحرة راضية ، بحثاً عن العلم ، وتحصيلاً للمعرفة ، وغير مثل في ذلك رحلة موسى ﷺ العلمية مع الخضر ، وأسير عنها الرسول ﷺ بقوله : « يَتِمُّا مُوسَى فِي مَلَأَ مِنْ نَبِيِّ إِسْرَافِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : أَعْلَمُ أَحَدًا أَكْثَرَ مِنْكَ ؟ قَالَ مُوسَى : لَا ، فَأَوْرَخَنِي اللَّهُ ﷻ إِلَى مُوسَى : بَنَى عَيْنًا خَضِرَ ، فَسَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لَقِيهِ ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْخَوْتَ آتَةً ، وَقِيلَ لَهُ : إِذَا قَلَدْتَ الْخَوْتَ فَأَرْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ ، فَكَانَ مُوسَى ﷻ يَتَّبِعُ أَتَرَ الْخَوْتَ فِي السَّحْرِ ، فَقَالَ قَتَى مُوسَى لِمُوسَى : « أَرَأَيْتَ إِذَا أَوْرَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخَوْتَ وَمَا

(١) ابن ماجة / أحمد بن زيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب السنة ، ص ١٣٤ ، ٢٤٢ .

(٢) ابن ماجة / أحمد بن زيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب القناعة ، ص ١٢٥ ، ر : ٣٢٤ .

(٣) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب العلم ، ص ٣١٧ ، ر : ٣٦٤٦ .

أَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۖ قَالَ مُوسَى : ﴿ ذَلِكُمْ مَا كُنَّا نُبْعِي فَأَرْسَلْنَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ۖ فَوَجَدَا خَظِيرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا أَصَابَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ۖ ^(١) . فطلب العلم مسلك الأنبياء والرسل . وسار على نهجهم الصحابة والعلماء ، وهذا ليس بغريب عليهم فهم أهل العلم وخاصته لأنهم يعرفون مدركة العلم والعلماء . يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿ وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ۚ مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا آتَا أَعْظَمَ حَيْثُ نَزَلَتْ ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا آتَا أَعْظَمَ فِيمَا أُنْزِلَتْ ، وَتَوَّأَعْظَمَ أَخَذَهُ هُوَ أَعْظَمَ يَكْتَتِبُ اللَّهُ مِنِّي لِلْعَلَّةِ أَتِيَلُ لَمْ يَكُنْثِ إِلَيْهِ ۖ ^(٢) . إن هذا القول من صحابي حليل يؤكد اهتمامهم العظيم بالعلم .

ب - فضل طلب العلم :

إن الله ﷻ يسهل لطالب العلم طريقه إلى الجنة - فالعلم نور يهتدي به صاحبه إلى طريق الجنة ؛ لأن من تعلم وعرف الأولم والنواهي وتزود بالتخلي والتخلي تقرباً وحقاً من الله ؛ يسهل طريقه إلى الجنة - . ﴿ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِجْلًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ ۖ ، أي أن الملائكة تتواضع لطالبه توفيراً لعلمه ، ومعناه للعبادة وتيسر الملائكة بالسعي في طلبه . ﴿ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَنَسْفَقِرُ لَهُ ۖ ، فأى منصب ومدركة يزيد على منصب من تشغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له ؟ فالعالم مشغول بعلمه بنفسه ، والملائكة مشغولون بالاستغفار له . ﴿ وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ۖ ، إن الله ﷻ قد قبض للحيات وغيرها من أنواع الحيوان العلم على ألسنة العلماء لبيان أنواع من المنافع وللصالح والأرزاق ؛ فهم الذين يبنون الحكم فيما يحل ويحرم منها ؛ ويوصون بالإحسان إليها ، ونفي الضرر عنها ، فأعلمها الله الاستغفار بمجازاة على حسن صيغهم بها وشفقتهم عليها ^(٣) .

فالعلم مدركته أعظم من العابد فهو معلم الناس الخير ، لذا يجب أخذ العلم من أهله . قَالَ ابْنُ سِيرِينَ : ﴿ إِنْ هَذِهِ الْعِلْمُ دِينَ فَاطْفَرُوا عَقْنَ لَأَعْلَوْنَ دِينَكُمْ ۖ ^(٤) . فسيب انحراف للتحرفين مرتبط بالتحرفهم عن مصدر المعرفة الصحيح ؛ فالعلم سمة المؤمنين ، وهو منحة الله

(١) البخاري / محمد بن إسماعيل بن النخعي ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٤٩ ، ر : ٦٧ .

(٢) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، ص ١٥٢ ، ر : ٢٤٦٣ .

(٣) العظيم آبادي / أحمد محمد الحقي ، عون للعبادة ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب العلم ، ص ٤٧٤ ، ر : ٣٦٢٨ .

(٤) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، للعلماء ، ص ٢٨ .

لعباده الذين يريد هم الخير ، قَالَ الشَّيْخُ رحمته الله : « ... مِنْ يُؤَدِّ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْقِهَهُ فِي الدِّينِ ، وَالْمَا الْعِلْمُ بِالْعِلْمِ ... » . وَقَالَ أَبُو عِيسَى : (كَتَبُوا وَتَابِعِينَ) حُلَمَاءُ قُضَاءَ ، وَثِقَالُ : الرَّبَابِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِفَاتِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ رحمته الله .

وإن الله رحمته الله رفع شأن العلم لأنه حياة القلوب ، ونور البصائر ، وشغاء الصدور ، ورياض العقول ، ودليل للتحوين ، وهو اللبزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال ، وهو الحاكم للفرق بين الشك واليقين ، والغي والرشاد ، والهدى والضلال . وهو إمام وقائد ، والعمل مأموم وتابع ، مذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه قربة ، وبالله صدقة ، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام ^(١) . عطاؤه مستمر حتى بعد للمات لقوله رحمته الله : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ قَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ أَشْيَاءَ : مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » ^(٢) . إن الأعمال التي تلزم الإنسان في حياته وتمتد حتى بعد مماته ثلاثة أمور : منها العلم النافع الذي ينتفع به الناس فيظل أثره يصل إلى صاحبه حتى بعد مماته . ولا يتوقف أثر العلم النافع عند هذا الحد ، بل له أثر كل من عمل بعلمه ، لقوله رحمته الله : « مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرٌ مَنْ عَمِلَ بِهِ ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ » ^(٣) . وتدرج الحسنات من الأجر المستمر إلى كسب حسنات من علمهم حتى تصل إلى مرحلة التفضيل ، قَالَ الشَّيْخُ رحمته الله : « إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَعَلَّمَهُ » ^(٤) . وفي رواية أخرى قَالَ رحمته الله : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَعَلَّمَهُ » ^(٥) . هذه شهادة من مربي الأمة رحمته الله على أن من تعلم وعلم غيره يكون أفضل ممن عمل بما فيه من غير أن يتعلم أو يعلم غيره . ويحتمل أن يكون المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم ، والذي يُعلم غيره يحصل له النفع للتعدي بخلاف من يعمل فقط ، بل من أشرف العمل لتعليم الآخرين ، ولا يقال : لو كان حصول

(١) البخاري / أحمد بن إسماعيل بن اللغة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٤٥ .

(٢) ابن حبان / شعرة النعم ، مرجع سابق ج ٧ ، ص ٢٩١٣ .

(٣) أبو داود / سليمان بن الأصبغ ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الوصايا ، ص ١١٧ ، ر : ٢٨٨٠ .

(٤) ابن ماجة / أحمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب اللقمة ، ص ١٣٢ ، ر : ٢٤٠ .

(٥) البخاري / أحمد بن إسماعيل بن اللغة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب فضائل القرآن الكريم ، ص ٢٢٩ ، ر : ٤٦ .

(٦) الترمذ السابق ، ص ٣٣٠ ، ر : ٤٧ .

النفع للتعدى لاشراك كل من علم غيره علماً ، لأن القرآن الكريم أشرف العلوم فيكون من تعلمه وعلمه أشرف من تعلم غير القرآن الكريم . وقد يكون المراد غير للتعليمين من يعلم غيره لا من يقتصر على نفسه ^(١) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَسْمَعُونَ وَتَسْمَعُ مِنْكُمْ ، وَتَسْمَعُ مِنْكُمْ » ^(٢) . قَالَ أَبُو مُوسَى : مَا أَشْكَلُ عَلَيْكَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثُ قَطْرٍ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ بِأَنَّ وَحْدَنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْماً ^(٣) .

ج- عدم حصر العلم على عمر معين :

إن تعلم العلوم وفهمها لا يقتصر على فئة عمرية أو على رجال دون النساء ، بل حمل الجميع على حد سواء . فقد طالب النساء النبي ﷺ بتخصيص وقت لمن للتعليم ، كما جاء في الحديث : قَالَ النَّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : عَلَيْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالُ لِأَجْعَلَ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ ، فَكَانَ فِيهَا قَالَ لِهُنَّ : « مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ لَقِيتُمْ لِفَاتَةٍ مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ » ، فَالَّتِ امْرَأَةٌ ؟ فَقَالَ : « وَالَّتِي » ^(٤) . قَالَ مُحَاوِدٌ : لَنَا تَعَلُّمُ الْعِلْمِ مُسْتَحَبٌّ وَلَا مُسْتَكْبَرٌ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : نِعَمَ النَّسَاءُ نِسَاءً الْأَنْصَارِ لَمْ يَسْمَعُوهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَقَنَّهْنَ فِي الدِّينِ ^(٥) .

د- تبليغ العلم لمن يفهمه :

إن التربية النبوية نظام حياة متكامل ، لذلك أمر النبي الأول ﷺ بتبليغ العلم وتوصيله إلى من يفهمه ويدركه ، قَالَ ﷺ : « تَبْلِغُ شَاهِدَتُكُمْ عَلَيْكُمْ » ^(٦) . وَقَالَ ﷺ : « لَعَنَ اللَّهُ امْرَأَةً سَمِعَتْ مِنْ شَيْءٍ فَبَلَّغَتْهُ كَمَا سَمِعَتْ ، فَوَرَبِّ مَبْلُغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ » ^(٧) ، وفي رواية قَالَ ﷺ :

(١) استقلال / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب فضائل القسرة الكسرة ، ص ٧٦ ، ر : ٥٠٢٧١ ، ٥٠٢٧٢ .

(٢) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب العلم ، ص ٣٦١ ، ر : ٣٦٥٩ .

(٣) الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الطلاق ، ص ٤٧١ ، ر : ٣٩٠٩ .

(٤) البخاري / محمد بن إسماعيل بن الفوعة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٦٠ ، ر : ٤٢٠ .

(٥) البخاري / محمد بن إسماعيل بن الفوعة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٧٣ ، كتاب التَّحْتَمِ فِي الْعِلْمِ .

(٦) ابن ماجه / محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب المقدمة ، ص ١٢٠ ، ر : ٢٣٥ .

(٧) الترمذي / محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب العلم ، ص ٢٩٩ ، ر : ٢٦٦٦ .

« نَشَرُ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ خَلِيفَةً فَخَطَّهَ حَتَّى يَنْتَهَى ، قَرَبَ خَاصِلَ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَقْبَى مِنْهُ ، وَزَبَّ خَاصِلَ فِيهِ لَيْسَ بِفِيهِ »^(١) . إن للعلم ﷺ لم يدع مجالاً لنشر العلم إلا أشار إليه حتى تصل رسالته للناس عامة ، وقد كان ﷺ يحرص الوفود على أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ . قَالَ : مَا لَكَ مِنْ الْخَوَاتِرِ : قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ : « لَاجِعُوا إِلَى أَغْلِبِكُمْ فَعَلَوْهُمْ »^(٢) .

وأفضل العلوم هو العلم الذي يهدي إلى الإيمان ، والإيمان الحق هو الذي يفسح مجالاً للعلم ، فالعلم والإيمان يُكْمَلُ كُلُّهُمَا الْآخَرُ . وقد ورد العلم والإيمان في القرآن الكريم مقترنين^(٣) . قال تعالى : ﴿ وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ أَفْكَهَ لَأُولَئِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا صَرَّحُوا مُسْتَقْبِمَ ۖ ﴾ (الحج ٥٤) ، لذا كان العلماء يوصون طلابهم بتبليغ ما يتعلمون لمن لا يعلمه . كما جاء في وصية أبي أمامة الباهلي عاملاً طلابه : * « إن هذا المجلس من بلاغ الله إليكم . وإن رسول الله ﷺ قد بلغ ما أرسل به ، وأنتم فليعلموا عنا أحسن ما تسمعون . وكان إذا يحدثهم حديثاً كثيراً عن رسول الله ﷺ ، قال : اذْكُرُوا ، بلغوا عنا كما بلغناكم »^(٤) . وَقَالَ : ائْتِ عَوْنٌ : ثَلَاثٌ أَحْبَبْتُ لِنَفْسِي وَلَا لِخَوَاتِمِي : هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا وَيَسْأَلُوا عَنْهَا ، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهَا وَيَسْأَلُوا عَنْهَا ، وَيَذْكُرُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ »^(٥) .

هذا الاهتمام بالعلم يزيد من أهميته ومزنته ومكانة أهله . أما من يكتف العلم ويحجزه على نفسه أو على فئة معينة من الناس فإن الله وعده بعقاب شديد . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِهِ مَا يَبْتَغِي لِلنَّاسِ فِي الْكَيْدِ ۖ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ۖ وَالَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَئِكَ أَنُوبُ ۖ

(١) الترمذي / أحمد بن حنبل ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب العلم ، ص ٢٩٨ ، ر : ٢٦٦٥ .

(٢) البخاري / أحمد بن إسماعيل بن المغيرة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٥٤ ، باب ترميضي النبي ﷺ وقد عبد القيس ...

(٣) القرطبي / يوسف ، الرسل والعلم ، ص ٧ ، ١١٧٧ هـ ، مؤسسة الرسالة : بيروت . ص ١٦ .

(٤) الخطيب / أحمد عجاج ، السنة قبل الفيليين ، ١٤٠٠ هـ ، دار الفكر : بيروت . ص ١٤٨ .

(٥) البخاري / أحمد بن إسماعيل بن المغيرة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الاعتصام ، ص ١٦٥ ، باب الاعتصام بسنن رسول الله ﷺ .

عَلَيْهِمْ وَأَنَا الْفَوَائِدُ الرَّحِيمُ» (القرة ١٥٩-١٦٠)، وقال تعالى: ﴿وَأَذِ احْذِ اللَّهُ مِيقَاتِ
الَّذِينَ أَوْثُوا الْكُفْبِ لِيُفِيْنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْثُرْهُ» (ال عمران ١٨٧)، وكذلك السنة
النبية تؤكد عدم كتم العلم، قال ﷺ: «مَنْ سَكَبَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ الْخَيْرُ اللَّهُ يُلْجِمُ مِنْ لَارِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

هـ- الدقة في تحري العلم وتبليغه:

وأمرت التربية النبوية بنشر العلم وتحري الصواب منه. وكان السلف الصالح يتواسون
بذلك. كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ: «عَطَّرَ مَا كَانَ^(٢) مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ فَأَكْتَبْتُهُ، فَإِنِّي حَفِضْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَفَعَلْتُ الْعُلَمَاءَ، وَتَأْتِي لِي حَدِيثُ شَيْءٍ ﷺ،
وَتَكْتُبُوا الْعِلْمَ، وَتُحْتَسِبُوا حَتَّى يُعْلَمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا^(٣).
وَتَمَسَّكَ السلف الصالح بهذه الوصية التي تحمل في طياتها نشر الدين الإسلامي في أنحاء
العمورة، "أمر أوجب الثمار، وترك في المجتمع الإسلامي كله أبلغ الآثار، من توحيد
لصنوف الأمة، وترسيخ لمبادئها، وصون لأطرافها، ونشر لمراكز العلم في أقطارها؛
فأصبها ودانها، وتنافس بين هذه الأقطار في مراقي الخير هذه، وانتشار لصحيح الأفكار،
وحليل للثقافات خلال زمن يسر في جميع البلاد، وغير ذلك من مظاهر القوة العلمية، مما
يستحق أن يوضع تحت الدرس والتأمل للعبوة والاستلها^(٤)، وإن دل ذلك على شيء فإنما
يدل على أن الإسلام هو منهج العلم وللعرفه.

و- حوافز طلب العلم:

إن التربية النبوية جعلت للعلم قيمة مطلقة، واعتبرته أغلى وأكبر سعة في الوجود، فهو
أغلى من الأموال والأولاد، فالأموال تبذل لتحصيل العلم، وطلب العلم يسافر تاركاً أولاده
بحثاً عن العلم، "فإذا كدرت الأمة أن السلعة الغالية هي العلم، وساد في رحابها هذا المفهوم

(١) ابن ماجة / محمد بن زيد، سنن ابن ماجة، مرجع سابق، ج ١، كتاب للقدمة، ص ١٤٢، ر ٢٦٤.

(٢) عطر ما كان: أي جمع الذي يحد.

(٣) البخاري / محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١، كتاب العلم، ص ٦٠، ر ٥١٠، ت.
باب كيف يقبض العلم.

(٤) حمادة / غزولي، أسس العلم وحواضله في السنة النبوية، ١٤١٧هـ، دار طيبة: السعودية، ص ١٩.

لحت نحوه ، وتوجهت إليه بكليتها ، ورصدت له الأموال والجهود ، وأعلنت أن نصب السبق في أفرادها لمن حاز القصب الأوفر منه ، فعندئذ ترتقي الأمة في سلم الحياة ، ويعلو شأنها في الأحياء . وكان هذا الشأن بالأمس في الأمة الأمية حين ساد هذا المفهوم الذي به للربي الأول ﷺ^(١) في نفوس أصحابه بأساليب تربوية ترغيبهم في حب العلم وتحصيله .

فمن غُفَّةِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَتَحَنُّ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ : « لَكُمْ نَجِيبٌ أَنْ يَذْزُقَ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانٍ أَوْ إِلَى الْعَقِيبِ لِيَأْتِي مِنْهُ بِنَافِلَتَيْنِ كَوْفَاوَتَيْنِ ، فِي غَيْرِ إِيَّاهُمْ وَلَا قَطْعِ رَجَمٍ »^(٢) . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لِحُبِّ ذَلِكَ قَالَ : « أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ حَتَّى لَا مِنْ نَافِلَتَيْنِ وَكَذَلِكَ حَتَّى لَا مِنْ ثَلَاثٍ وَارْتِعَ حَتَّى لَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَغْنَائِهِمْ مِنْ الْأَيْلِ »^(٣) ؟ . إِنْ الْإِنْسَانُ عِنْدَمَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ يَكُونُ أَشَدَّ حَاجَةً إِلَيْهِ ، وَأَهْلُ الصُّلَّةِ هُمُ الَّذِينَ لَا مَأْوَى لَهُمْ وَلَا مَالٌ . وَعِنْدَمَا أَرَادَ لِلرَّبِّ الْكَرِيمِ تَرْغِيبَهُمْ فِي تَعْلُمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَعْلِيمِهِ أَحِبَّهُمْ أَنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ امْتِلَاكِ الْأَمْوَالِ . فِكَمَالِ الْإِنْسَانِ وَسَعَادَتِهِ لَا تَكُنْ إِلَّا بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَطَبِيقِ أَحْكَامِهِ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ لِلْوَصْلِ إِلَى الْجَنَّةِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةُ : اقْرَأْ وَاصْنَعْ قِرْأَةً وَصَنَعَةً بِكُلِّ آيَةٍ ذَرْعَةٌ حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ حَرْفِهَا نَعْمَ »^(٤) . هَذِهِ لِلدَّرَجَةِ الْجَلِيلَةِ حَامِلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا يَنَالُهَا صَاحِبُهَا إِلَّا إِذَا كَانَ عِلْمُهُ حَالِصًا تَعَالَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ لَعَلَّمَ عِلْمًا ، مِمَّا يُنْفَعُ بِهِ وَجَّهَهُ اللَّهُ ﷻ ، لَا يَتَغَلَّبُ عَلَيْهِ إِلَّا لِحُبِّهِ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا ، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَغْنِي وَجْهًا - »^(٥) . وَقَالَ ﷺ : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُضَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُصَرِّفَ بِهِ وَجْهَهُ النَّاسِ إِلَيْهِ لَاحِلَهُ اللَّهُ النَّارَ »^(٦) .

فالعالم الذي يتعلمه صاحبه رياء ليقال : إنه عالم أو يرجع الناس إليه لمسانته فهو يهوي بصاحبه إلى نار جهنم ، حتى وإن تلع غره ؛ لأن إخلاص النية في العمل شرط أساسي لقبوله . والعلم الذي أفسدته النية هو علم فاسد ، ولا خير في علم لا ينتفع به صاحبه . وهذا العلم

(١) حمادة / قاروق ، أسس العلم وخبريليله في السنة النبوية ، ١٤١٧هـ ، دار طيبة : السعودية . ص ١٢ .

(٢) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب فضائل القرآن الكريم ، ص ٤٦٢ ، ر : ٨٠٣ .

(٣) ابن ماجة / أحمد بن حنبل ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الأدب ، ص ٣٣٢ ، ر : ٣٧٨٠ .

(٤) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب العلم ، ص ٣٣٣ ، ر : ٣٦٦٤ .

(٥) الترمذي / أحمد بن حنبل ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب العلم ، ص ٢٩٧ ، ر : ٢٦٦٣ .

تعوذ منه لربي الأول ﷺ ، فعزَّ عبدُ اللهِ بنُ عمرو : (أَنْ الشَّيْءَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَرْبَعٍ : مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْتَفِعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَذُعَاءٍ لَا يَسْتَعِجُ ، وَلَفْسٍ لَا يَنْتَفِعُ)^(١) . وَقَالَ ﷺ : « سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا ، وَاعْوِذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْتَفِعُ »^(٢) .

والعلم النافع لا يقتصر منفعه على مشيئة الله وعلو موطنه الأخروية فقط ، بل يعر صاحبه ويرفع درجته في الدنيا أيضاً . فقد لقيَ عُمرُ بنُ الخطابَ نافعَ بنَ عبدِ الحارثِ بَغْسَفَانَ ، وَكَانَ عُمرُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ عُمرُ : مَنْ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى الْخَلِيقِ الْوَادِي ؟ قَالَ : اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمُ ابْنَ أَرْزَى . قَالَ : وَمَنْ ابْنُ أَرْزَى ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ مَوَالِينَا ، قَالَ عُمرُ : فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْتًى ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، عَلِيمٌ بِالْقُرْآنِ ، فَاصْبِرْ ، قَالَ عُمرُ : أَمَا إِنْ كُنْتُمْ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يُزَلِّقُ بِهَذَا الْكِتَابِ الْقَوْمَ وَيَضَعُ بِهِ آخِرِينَ »^(٣) .

إن من مقاصد العلم النافع إعانة المسلم على تحقيق ذاته ، وذلك يقتضي قدرته على حسن أدائه لرسالته في الأرض وفق منهج الله ، وشحذ كل استعداداته وقواه للخدمة ، القاهرة والباطنة ، إلى أقصى حد يهياه الله له . فينال به العزة في الدنيا والآخرة ، فالعلم يفتح للدرء أبواب الخير . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ لَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُفْرَةً مِنْ كُتُوبِ الدُّنْيَا لَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُفْرَةً مِنْ كُتُوبِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسُرَّ عَلَى مُعْسِرٍ يَسُرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْتَكِرًّا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَنَازَّلُونَ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا لَوْكُنَّا عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَسَّيْنَاهُمُ الرُّحْمَةَ وَخَفَّيْنَاهُمُ السَّاعِيَةَ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عَشَدَ ، وَمَنْ يَطَّأْ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسْتَهُ »^(٤) . فالعلم وسيلة المسلم لاستثمار طاقاته في وجوه الخير ، ويزيد من الصلة بين الناس ، ويقرب بين أفكارهم ونفوسهم ، ويجمع بينهم في حلقة تعاون . فالعبادات في الإسلام ليست مجرداً عن الدنيا ، ولكنها في العمل للشؤون الدنيوية أيضاً بسد حاجات الناس ، ومد يد المعونة إليهم ،

(١) الترمذي / أحمد شعب بن سنان الحرستاني ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الاستعاذة ، ص ٦٤٤ ، ر : ٥٤٥٧ .

(٢) ابن ماجة / أحمد بن زيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الدعاء ، ص ٣٥٥ ، ٣٨٤٣ .

(٣) ابن ماجة / أحمد بن زيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب المقدمة ، ص ١٢٢ ، ر : ٢١٨ .

(٤) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الذكر ، ص ١٦٤٧ ، ر : ٢٦٩٩ .

وطلب الرضاة من رب العالمين خالق الناس أجمعين . وذلك لا يتم إلا في محيط اجتماعي ، فاعدته حمة الآخرين والسعي من أجل تحقيق مجتمع عالمي متوافق الكل يسعى لأجل الكل على علم ومعرفة .

وأفضل التعليم الذي يبدأ منذ الصغر ، فالولد لا بد أن يعد وبها كي يكون رجلاً يقوم بمسؤولياته كرجل في الأعمال للتروطة إليه من تعلم وتعليم وإنتاج وإعمار حضاري^(١) . ومن نشأ على حب العلم أخذ منزلته بين الكبار ومكانته عند أهل العلم ، فالمرء يقدر بعلمه . وَكَانَ عُمَرُو بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يُبَيِّنُ الْإِنَّ عِثْسِي فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : إِنْ كُنَّا نَتَاءَ مَقْلَةً ، فَقَالَ : إِيَّاهُ مِنْ حَيْثُ نَعْلَمُ ، فَسَأَلَ عُمَرُو بْنُ عِثْسِي عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فَقَالَ : أَجَلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَظْلَمَهُ إِيمَانُهُ ، فَقَالَ : مَا أَظْلَمَ مِنْهَا إِلَّا مَا نَعْلَمُ^(٢) .

إن العلم الواسع الواسع يكسب صاحبه العزة والرفعة والكرامة ويصبح هو الأكرم والأكثر توفيقاً . قال بعض البلغاء : " تعلم العلم فإنه يقومك ويسدك صغيراً ، ويقدمك ويسودك كبيراً ، ويصلح زيفك وفسادك ، ويرغم عدوك وحاسدك ، ويقوم عوجك وميلك ، ويصالح همتك وأملك^(٣) .

والإنسان يظل في حاجة إلى العلم وللعرفه ما دام على قيد الحياة . * ومن يظن أنه وصل إلى القمة في العلم محكوم عليه بإخفاق ، لأن معطيات العلم في تجدد مستمر ، ومن أجل مواكبة روح العصر على الإنسان أن يجدد نفسه دائماً ، فالخفايا العلمية في تزايد ، وأساليب للعرفه وطرائقها في تغير دائم ، فإذا تقوقع المرء على معرفته ، وحبس نفسه ضمن دائرة معينة ، من غير تعرف على مبررات الأحداث والتجارب العلمية والمعطيات الجديدة ، فإن أفقه يضيق ونظريته تكون عاجزة عن التكيف مع الحياة الجديدة للتغير^(٤) .

لذلك فأهل العلم يتنافسون في حبه والاستزادة منه وتنشغل أولادهم على ذلك منذ

(١) مذكور / علي أحمد ، التربية وثقافة التكنولوجيا ، ١٩٧٢ هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة ، ص ١٠٣ .

(٢) البحري / محمد بن إسماعيل بن النقرة ، صحيح البحري ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب المغازي ، ص ٢٨ ، ر : ١٢١ .

(٣) الخليل / عائشة عبد الرحمن ، توجهات التربية الإسلامية حول أسس القراءة ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

(٤) السيد / محمود أحمد ، معصرة الإسلام التربوية ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٥٢ .

نعومة أطفالهم ، فأصبحوا مصاييح وضاعة ، أضاءت أنوارها أرجاء للعمورة ، فأخرجت العالم بأسره من ظلمات الجهل والباطل إلى نور العلم والحق والإيمان^(١).

والعلم لا يتوقف عند حد ولا ينتهي عند زمان ، وليس كل من غلبت عليه بالعلم والعرفة كان من أهلها ، بل أهل العلم والعرفه الذين أحيوا قلوبهم بقتل الهوى ، وأما من قتل قلبه أحيى الهوى ، فالعرفه عارية على لسانه ، وإذا زهدت القلوب من موائد الدنيا أقبلت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة ، وإذا رضيت بموائد الدنيا فالتفتها تلك الموائد . ومن وطن قلبه عند ربه سكن واستراح ، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتد به الفتن . ولا تدخل حبة الله في قلب فيه حب الدنيا^(٢) . وللدرسة النبوية توضيح مكانة من يقبل على العلم حياً في الله ، وكان هذا التوضيح متجسداً أمام الصحابة رضي الله عنهم عندما كان الرسول ﷺ جالساً في المسجد وأتته امرأة فبكت بكاءً شديداً ، فقالت لرسول الله ﷺ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَهَبْ لِي وَلَدًا ، فَقَالَ : قَدْ قَبِلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَنَا أَخَذْتُ فَرَأَيْتُ فَرْجَهُ فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ لَهَا ، وَأَنَا الْآخَرُ فَجَلَسَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَا الْثُلَاثُ فَلَا تَزِدْ دَعَا ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ الْفَقْرِ الْفَالَسَةِ ؟ لَمَّا أَخَذَهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَّاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا الْآخَرُ فَاسْتَحَبَّهَا فَاسْتَحَبَّ اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَنَا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ »^(٣).

لنلاحظ من الحديث أن النبي ﷺ كان في مجلس علم عندما أقبل عليه ثلاثة أفراد ، وكان لكل منهم موقف ، وبعد إتمام حلقة العلم أخبر المرء عنهم ، بقوله : « لَمَّا أَخَذَهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَّاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ » أي حازاه بنظر فعله بأن ضمه إلى رحمته ورضوانه . ولَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحَبَّهَا فَاسْتَحَبَّ اللَّهُ مِنْهُ : أي استحبها من الذهاب عن المجلس كما فعل رفيقه الثالث ، فرحمه الله ولم يعاقبه ، لَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ : أي سخط عليه ، وهو عمول على من ذهب معرضاً لا لعذر ، ويحتمل أن يكون منطلقاً وأطلع الرسول على أمره^(٤) . والحديث فيه دلالة قطعية على الترغيب في طلب العلم والاستفادة منه ، فالعلم يسبق القول

(١) المغلال / عائشة عبد الرحمن ، تروحيات الفرية الإسلامية حول أسس القسراة ، ٤٢٥ هـ . دار الأسنلس

الفتراء : حدة . ص ٩ .

(٢) الخوية / حس الدين عبد بن أبي بكر ، الفتراء ، دت ، مكتبة النهضة العلمية السعودية ، مكة المكرمة . ص ٩٧ .

(٣) البخاري / أحمد بن إسماعيل بن لقوة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٤٤ ، ر ٨١ .

(٤) المسفلاني / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ١٥٧ ، ر ٦٦ .

وانتحضر البشري على وجه الأرض . وفعل الأمر بالقراءة تكرر مرتين تأكيداً لأهميتها ، وأن الإنسان لا يكتسبها ولا يتغلب عليها إلا بالتكرار والتعود^(١) . ففعل القراءة كان مرحلة أولى للعلم ، ثم جاء ذكر مفتاح العلم وهو القلم وهي مرحلة أرقى من القراءة . وهذا دليل على أن المعرفة درجات تبدأ من عملية القراءة إلى غاية العلم بالطواهر . وهذا التقسيم في الآيات السابق يعطينا ثلاثة أمور أساسية :

* أن الأمر بالقراءة جاء من قوة إلهية هي التي خلقت هذا الذي يجب أن يقرأ ، وهذه للملاحظة تؤكد حكم الله في الصنيع (تطيلة - علقه - مضغة - عظام - لحم) ولذلك ففعل الأمر لم يأت عبثاً ، وإنما من خالق ، صانع ، مصور يعرف مأموره منذ نشأته الأولى .

* أن القراءة تصبح وسيلة لمعرفة شيئين : الذات الإنسانية نفسها ، ثم معرفة عظيمة الخالق الذي هو وراء هذا الخلق .

* حين تسمح القراءة للإنسان بمعرفة ذاته وربه ، فإنها ترفى إلى قراءة أخرى أعمق هي العلم ، وبالتالي سيعلم الإنسان مجموعة أشياء كان يحفلها سابقاً (ما لم يعلم) ومنها : كينونته / وظيفته / اختلافه عن باقي المخلوقات / حقوقه / واجباته / ربه . ويحتل لفظ (العلم) دلالة بالغة في الآية رقم ١ ، فهو وسيلة للتدوين والحجة . إنه التذكير الثانية بعد العقل ، كما أنه سبب كتابة عن تنظيم للمعرفة والانتقال بها من السماع إلى التدوين حين يربط الإنسان بالممارسة الدائمة . ثم إن كلمة (علم) تعني (لكن / كون / رى / صحيح / أنشأ / ونقل من حالة إلى أخرى) ، وهذه للدلالات تؤكد أن الإنسان ليس سلعة مادية أو رقماً اقتصادياً في سوق الإنتاج كما يدعي ماركس وأنصاره ، وليس نزوة حيوانية كما يعتقد فرويد ، وإنما هو حسد : يوجد به أعضاء ووظائف لها ارتباط بالسلوك^(٢) .

أما للضمون التربوي الإسلامي فالمؤشر فيه أن الإنسان لديه حواس يدرك بها الخير من

(١) عثمان / نبيه عبد الرحمن ، الإنسان الروح والعقل والنفوس ، ١٤٠٨هـ - ، السنة السابعة ، ج ٧ ، دعوة الحق ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة . ص ١٢٤ .

(٢) المنطقي / ملاك ، الطبيعة الإنسانية في التصور الإنساني :

www.bab.com/articles/full_article.cfm?id=7610 .

النشر ، ويعمل بما يناسب شخصه ، حتى وإن عجز عن العمل فقلبه مخرج يعمل به موكلة العمل ، ويتساوى في الأمر مع صاحب العمل . وليس ذلك إلا للمسلم الذي يحمل بين جنبيه سريرة نقية يتمنى فعل الخير ويود عمله . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلْطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بَيْنَ نَفْسِهِ وَتَعْلَمُهَا »^(١).

إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَزَوَّدَهُ بِخَوَافِرٍ تَعِينُهُ عَلَى الْعِلْمِ ، فَقَدْ جَعَلَ فِي الْقَلْبِ حُودًا مَحْدَةً تَقُومُ بِخِدْمَتِهِ وَمَعَاوَنَتِهِ ، فَهَذَاكَ صِنْفٌ خَاصٌّ بِالْعِلْمِ وَالْإِدْرَاكِ ، يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا الْخَوَاسُ الظَّاهِرَةُ الْخَمْسُ الْمَعْرُوفَةُ ، وَالثَّانِي قِسْمٌ بَاطِنٌ يُوْجَدُ فِي تَحَاوِيفِ الدِّمَاغِ وَهِيَ أَيْضًا قَوَى خَمْسٍ : حَسٌّ مُشْتَرَكٌ - يَرْتَسِمُ فِيهِ صُورُ الْخُشُوسَاتِ الَّتِي انْتَقَلَتْ إِلَيْهِ عَنْ طَرِيقِ الْخَوَاسِ الْخَمْسِ وَقَبِيلٍ وَتَذَكُّرٍ وَحِفْظٍ^(٢) . فَيَتَعَلَّمُ الْمَرْءُ وَيَعْمَلُ . وَالْخَدِيثُ يَتَضَمَّنُ مَغْزًى وَهَدًى لِيَلْجَأَ بِكَمَنِ فِي التَّرْغِيبِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَتَعَلُّمِهِ ، وَالتَّصَدُّقِ بِالْأَمْوَالِ . وَبَرَى كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ التَّقْصُودَ مِنَ الْحَسَدِ لِلذِّكْرِ فِي الْخَدِيثِ هُوَ الْغِيْطَةُ ، وَأُطْلِقَ الْحَسَدَ بِمَازٍ ، وَهُوَ أَنَّ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَا لِفَرِيْقِهِ . وَالْخَرَصُ عَلَى ذَلِكَ يُسَمَّى مُنَافَسَةً^(٣) . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (التَّائِبِينَ آية ٢٦) . هَذَا التَّرْجُحُ التَّرْبَوِي يَكُونُ التَّنَافُسُ فِي حَقُولِ الْخَيْرِ وَالْبِنَاءِ ، فَالتَّنَافُسُ عَمُودٌ وَمَرْغُوبٌ وَخَاصَّةٌ فِي الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ لِأَنَّهُ مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ ، وَجَلِبٌ لِلصَّاحِخِ .

وَمَا سَبَقَ يَبَيِّنُ أَنَّ لِنَهْجِ التَّرْبَوِيِّ مُشَبِّعٌ بِكَثْرَةِ لِلضَّامِينَ التَّرْبَوِيَةِ التَّعْلِيمِيَةِ الَّتِي تَطْلُبُ الْمُسْلِمَ وَالْمُسْلِمَةَ بِالْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ وَالِاسْتِمْرَارِ فِي طَلْبِهِ ، وَلَمْ يَقِفْ لِنَهْجِ عِنْدَ طَلْبِ الْعِلْمِ ، بَلْ أَمَرَ بِنَشْرِ الْعِلْمِ ، وَ " بِشَجْعِ التَّعْلِيمِ بِقَوْلِهِ ﷺ وَعَمَلِهِ ، فَقَدْ كَانَ يُطْلَقُ سِرَاحُ الْأَمْرِ لِلتَّعْلِيمِ مِنَ الْكِفَارِ إِذَا عَلَّمُوا بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ " . وَأَيْضًا حَضَّ عَلَى طَلْبِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ فِي مَنَاحِي الْبِلَادِ ، وَحَثَّ عَلَى إِكْرَامِ الْعُلَمَاءِ وَبَيَانِ مَكَانَتِهِمْ ، وَكُلَّ ذَلِكَ مِنْ

(١) البهزاري / محمد بن إسماعيل بن الشيعة ، مسيح البهزاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٤٧ ، ر : ١٥٠ .

(٢) شرف / محمد حلال أبو الفتح ، علم والعلم والإنسان في الفكر الإسلامي ، د.ت ، دار المعرفة الجامعية : الإسكندرية ، ص ٢٧٨ .

(٣) البديوي / محمد لسان الأعظمي ، دراسات تربوية ، مرجع سابق ، ص ٣٨٢ .

(٤) الأرنؤائي / محمد عطية ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، ط ٤ ، ١٤١٥ هـ ، مطبعة عيسى الخليلي : مصر ، ص ٤٠ .

أجل بناء الإنسان للتعليم للفكر الذي يحاول إصلاح نفسه ، ويساهم في بناء مجتمعه وتطويره بالعلم والمعرفة ، كل حسب قدراته وميوله العلمي . فالعلوم متعددة والمجالات متوفرة كل حسب استعداده وقدراته .

ونظراً لأهمية كل من العلم والمعرفة للفرد من أجل تربيته سواء كانت تربية ذاتية أو مكتسبة أو تعليمية فإنه يحتاج إلى معرفة الفرق بين العلم والمعرفة والتوجه إليهما بمحافظ إيمانية تعينه في أداء أدواره في الحياة .

٢- الفرق بين العلم والمعرفة :

كثير من الناس يخلط بين العلم والمعرفة ، ويعتقد أنهما مترادفان أو أنهما يدلان على نفس الشيء ، وقبل التعرض لأنواع العلم والمعرفة يجب توضيح الفرق بينهما :

فالعلم : يقصد به مجموعة المعلومات التي تكون الحقائق الأساسية في الفكر والتصور والعقيدة والإيمان ، والسلوك والسعي . والحقائق والسلامات ، والدعائم والركائز . وهو الذي يرسم النهج ويحدد الأهداف بالحقائق التي يقوم عليها . وترتبط هذه المعلومات لتكون نظاماً أو منهجاً ، وتسمح لحاملها أن يتخذ قراراً في ميدان الممارسة والتطبيق ، قراراً يتحمل مسؤوليته^(١).

وعرفه الغزالي بأنه : " الذي يتكشف فيه المعلوم التكاملاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينهي أن يكون مقارناً ليقين ، مقارنة لو تعدى بإظهارها بطلانه مثلاً من يقلب الحجر ذهباً ، والعصا نباتاً ؛ لم يورث ذلك شكاً أو إنكاراً"^(٢).

قَالَ ﷺ : « الْعِلْمُ نَدَانَةٌ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ فَتْلٌ : آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ سِتْرٌ فَلِئْلَى أَوْ قَرِيبَةٌ غَابِلَةٌ »^(٣).

(١) الشجري / عدنان / التربية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

(٢) الغزالي / أبو حامد محمد ، ميزان العمل ، ١٢٨٤هـ ، تحقيق سليمان ديا ، دار المعارف : القاهرة ، ص ١٣-١٤ .

(٣) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الفرائض ، ص ١١٩ ، ر : ٢٨٨٥ .
هذا الحديث لم يصححه الألباني في سلسلة صحيح سنن أبي داود .

الآية المحكمة هي التي لا تحتمل إلا تأويلًا واحدًا ، والسنة القائمة : هي الثابتة للنقولة عن الرسول ﷺ ، والرداء بالفريضة كل ما يجب العمل به ، وهذا إشارة إلى الإجماع والقياس^(١).

وقسم المرحاني العلم إلى أربعة عشر نوعاً ، منها :

* العلم العقلي : ما لا يؤخذ من الغير .

* العلم الاتعالي : ما أخذ من الغير .

* العلم الانطباعي : هو حصول العلم بالشياء بعد حصول صورته في الذهن ، ولذلك يسمى علماً حصولياً .

* العلم الحسوري : حصول العلم بالشياء بدون حصول صورته في الذهن كعلم زيد بنفسه .

* علم اليقين : ما أعطاه الدليل بتصور الأمور على ما هو عليه .

* العلم الطبيعي : هو العلم الباحث عن الجسم الطبيعي من جهة ما يصلح عليه الحركة والسكون .

* العلم الاكتسابي : هو الذي يحصل بمباشرة الأسباب .

* العلم الاستدلالي : هو الذي يحصل بثبوت نظر وفكر ، وقيل هو الذي لا يكون تحصيله مقدرًا للعبد^(٢).

والعلم في الإسلام لا يعني مجرد للعرفة ، بل إنه عملية مستمرة عائدة حتى قيام الساعة ، والمدرسة النبوية " دعت إلى كل علم ينفع للمسلمين ، فالعلوم الدنية والطبيعية هي مما يتصل بضروريات الحياة ومتطلباتها و فيها فائدة للمسلمين ونفعهم وتقدمهم ، واعتبرت تعليم الطب والصناعات والفنون المهنية الضرورية واجباً كتابياً^(٣).

(١) العظيم آبادي / أم القليب محمد حسن الحق ، عون للعبود ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتيب القصاص ، ص ٢٩٨ ، ر : ٢٨٨٦ .

(٢) المرحاني / التعريفات ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

(٣) المرزوقي / آمال حسين ، التعليم حق من حقوق الإنسان في الإسلام ، ١٤٢٠ هـ ، الطبعة الثمونية ، ج ٥١ ، ص ١٢ ، الكويت ، ص ١٢٢ .

ومعرفة اللغات هي بداية لمعرفة ما عند الآخرين من علم . لذا طلب ﷺ من زيد أن يتعلم لغة اليهود . عَنْ زَيْدٍ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : أُنْزِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ وَقَالَ : «إِلَى وَاللَّهِ مَا آمَنَ يَهُودٌ عَلَى كِتَابِي» ، فَتَعَلَّمْتُ فَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيَّ إِلَّا نَصُفٌ شَهْرٍ حَتَّى خَذَلْتُ ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ ، وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِ . فالمرى الأول ﷺ يشجع اللواهب ويرعاها ويعرف كل موهبة من موهب أصحابه ويستثمرها لصالح الإسلام والمسلمين .

فالتربية النبوية تتميز بميزة عجيبة إذ إنها لم تكن في مدرسة ذات حدود ضيقة من الفكر منذ أمد بعيد ، بحيث تفصل العقيدة عن العمل ، بل إنها تعمل على حث الفرد للبحث عن كل ما يفيد ، وتفتح أمامه كل مجالات للتعرف^(١) . فعَنْ الشَّعَاءِ بَنَتْ عَبْدُ اللَّهِ قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكُنَّا عِنْدَ حَصَّةٍ فَقَالَ لِي : «أَلَا تَعْلَمِينَ هَذِهِ رُقِيَّةُ الثَّمَلَةِ كُنَّا عَلَيْنَاهَا الْكِتَابَةَ»^(٢) . الحديث اشتمل على مضامين تربوية منها :

أن العلم ليس مقصوراً على تعلم أمور الدين وإتقانها ، بل هو أعم وأجل من ذلك . فالعلم واللعرفة في الإسلام عملية مستمرة لا نهاية لها ، والمرى الأول ﷺ يحث على تعلم جميع العلوم النافعة . مع الدعاء وطلب السداد والعون من الله ﷻ ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «اللَّهُمَّ اتَّقِنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي ، وَزِدْنِي عِلْمًا ، وَأَلْحَمِّدْ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَلَبِ الثَّارِ»^(٣) . وكان يتعوذ من العلم الذي لا ينفع صاحبه ، فكان من دعائه ﷻ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْتَجَبُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْضَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَتَّقِي»^(٤) . على طالب العلم أن يواصل الدعاء ويكرره ولا يسأم ولا يمل من ذلك ، فهو أولى الناس بالصبر والصَّابِرَة والرابطة ، وإذا أيقن العبد أن الله عنده مفاتيح كل شيء ، فحتمير بكل مسلم خاصة طالب العلم أن يلهج بذكر الله ويدعوه ﷻ ، ويكون هذا الدعاء

(١) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب العلم ، ص ٣١٨ ، ر : ٣٦٤٥ .

(٢) وزان / سراج محمد ، الضريس في مدرسة النبوة ، ١٤١٣هـ . ج ١٣٦ ، دعوة الحق ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة ، ص ٣٩ .

(٣) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الطب ، ص ٦٦ ، ر : ٣٨٨٧ .

(٤) ابن ماجة / محمد بن زيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الدعاء ، ص ٣٥١٢ ، ر : ٣٨٣٢ .

(٥) ابن ماجة / محمد بن زيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب للفتنة ، ص ١٣٦ ، ر : ٢٥٠ .

مصحوباً بتلذذ وانكسار لله ﷻ^(١) بأن يهبه العلم ، فهو ﷻ سميع مجيب قريب من عباده . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة آية ١٨٦) ، فعلى طالب العلم أن يضاعف الرغبة في الدعاء وهو موقف بالاستجابة .

وكل مسلم عليه أن يعيش متعلماً أو معلماً ، والأفضل أن يجمع بينهما وأن يعمل بما يتعلم . فعمو العقل يكون بالعلم والمعرفة . فالمعرفة في أبسط معانيها هي : * عملية إدراك للأشياء على حقيقتها ، و كسب للعلومات عنها بشئ الوسائل بفهم وتمييز وحكم سليم ، حتى يمكن للإنسان أن يُكوِّن عنها معلومات ومعارف صحيحة تصف باليقين والمزم والوضوح ، فيدونها لا تكامل شخصية الفرد ، ولا يصلح حال الجماعة ، ولا تتم عملية التربية ، على نحو جوهري متكامل ومتوازن . وهي وسيلة الفرد والجماعة في تحقيق أهدافها الخاصة والعامة في الحياة . وتعتبر هدفاً أساسياً في عملية التربية^(٢) ، لأنها تشمل * مجموعة اللغاي والمعتقدات والأحكام والمقاهيم والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة محاولاته لتكررة لتهم الظواهر والأشياء المحيطة به^(٣) . والمعرفة قسمت إلى خمسة أنواع هي :

أ / المعرفة الدينية أو للوحي بها : هي المعرفة التي تخفى بها الله إلى الإنسان ، ومحت في الكتب السماوية التي نزلها ﷻ على من اصطفاهم من عباده خلقه وهم الرسل . وهو العلم الذي يتقبله الإنسان ويؤمن بمصدره وهو الله ﷻ .

ب / المعرفة الوثقي أو العقلية : هي الصادرة عن مختصين سواء أكانوا أفراداً أم سلطات ، وهي لتلوجودة بتواتر المعارف أو في المراجع والمصادر الأخرى كالمراجع والطلبات المتخصصة .

جـ / المعرفة الحديثة : الحديث طريقة من طرق المعرفة اتصالاً بشخصية الفرد ، يجدها

(١) مصطفى / مسند بن كامل ، نشر الشان بآداب طال العلم الريان ، ١٤٢٢هـ ، دار الضياء للنشر والتوزيع : ططا . ص ١٣-١٤ .

(٢) أبو العين / علي خليل ، وآخرون ، الأصول الفلسفية للتربية ، ١٤٢٣هـ ، دار الفكر : الأردن . ص ٢٠٤ .

(٣) هندي / صالح ذياب ، وآخرون ، أسس التربية ، ط ٣ ، ١٤١٦هـ ، دار الفكر : الأردن . ص ١٣٢ .

في دحيلة نفسه في لحظة من لحظات استشارة البصيرة . ويجري اقتراحها وقبولها على أساس الرؤية التخيلية ، أو الخبرة الخاصة لمقترحتها .

د / المعرفة العقلية : هي المعرفة التي تعتمد على العقل ، ولها حدودها ، فهي أساساً تجريدية وصورية ، وتتناول العلاقات للمنطقية والمعاني غير الشخصية ، وتتجاهل الاحتياجات الانفعالية والأحوال الواقعية للأشياء .

هـ / المعرفة التحريية الحسية : هي المعرفة التي تأتي عن طريق الحواس والتجربة ، وتتمثل في المعرفة التحريية الحسية هو العلم الحديث ، فالقروض العلمية تختبر بالتجربة كي تكشف عن صدق الفروض ، وهي ليست أكثر أنواع المعرفة وثوقاً ، بل تتخذ مكانتها إلى جانب الأنماط الأخرى كأحد الطرق للتأدية إلى فهم الحقيقة^{١٦} . وهناك أنواع أخرى من المعرفة مثل : المعرفة الميزية ، و المعرفة القزيرية ، المعرفة العلمية ، المعرفة الانشطارية .

مما سبق تتضح الصورة كلية بين العلم والمعرفة . وهذه الفروق ما هي إلا اشتقاق من آيات العلم والمعرفة التي وردت في القرآن الكريم ، فللتأمل في آي القرآن الكريم يدرك الفرق بين العلم والمعرفة . فمن آيات العلم ، قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ دَاهِيَةٌ يَبِينُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُولُواْ الْعِلْمَ وَمَا يَخْبِتُونَ مِنَّا نَبَاتِنَا إِلَّا أَنْظَلْنَاهُمْ فِي سُدُورِهِمْ أَلْفَافًا مِّنَ السَّمَاءِ مَآ أَنزَلَ عَلَى الرَّسُولِ فَرَأَى أَغْلَافُهُمْ تَفِيضُ مِنَ السَّمَاءِ مِمَّا عَرَفُوا مِّنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ عَلَيْنَا دَآئِمًا فَاكْتَفَيْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آية ٨٣) ، يظهر من الآية أن المعرفة لابد أن تكون مسبقة بمجهول ، والعلم لا يشترط له ذلك . كما أن للمعرفة تتعلق بآيات الشيء ، والعلم يتعلق بأسواله . فيقال : عرفت أباك وعلمته صالحاً علاناً . لذا جاء الأمر في القرآن الكريم بالعلم دون المعرفة كقوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّهُ ﴾ (صمد آية ١٩) . فالمعرفة من حصائصها أنها تميز للعلوم عن غيره ، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره . فإذا قلت : علمت زيداً ، لم يفد للمعاطب شيئاً ، لأنه يتظن بعد أن يخبره على أي حال علمته ؟

(١٦) هندی / صاخب دیارب ، وآخرون ، أسس الفریة ، مرجع سابق ، ص ١٣٣-١٣٦ .

إذا قلت : كريماً شجاعاً ، حصلت له القائدة ، وإذا قلت : عرفت زيدا استفاد للحاطب أنك مزته عن غيره^(١). وللعرفة هي نتاج التعليم وللعلم ، والباحث عن العلم يقال له : المتعلم .

وجميعها تحدث في الفرد أو المجتمع آثاراً في الأفعال والسلوك بسبب إنسان آخر أو يارادته ، وهي تنح في غايتها إلى الحرص على المحافظة على فطرة الناشئ ورعايته وتنمية مواهبه واستعداداته كلها . وتوجيه المواهب والقدرات إلى الصلاح والكمال^(٢).

ولا يتحقق ذلك ، إلا إذا سار التعلم والتربويون وفق الأسس التربوية التي تحتويها مناهج التعليم لتصب في قلوب المتعلمين ، فيشربوا تعاليم للتفهم الرباني ، ويعيشوا الواقع بمنهج التربية النبوية . " قال الحسن : العلم علمان : فعلم في القلب فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم^(٣) .

٣- سمات المعلم والمتعلم والتعليم :

إن للعلم هو المرشد إلى المعرفة ، " فاللعلم للتألي يلعب إلى عمله حاملاً معه عقائد إيجابية عن طاقة أبناء البشر وإمكاناتهم ، وقيمة الأفراد ، وأهداف التعليم وأهميته ، ومعنى التعليم وقيمته في الحياة العملية ، والسعادة والرضا بالعمل الذي يؤدي بهارة ، وقيمة نسيان الذات في سبيل قضية مهمة . أما إذا سار للعلم في طريق للتفهم فإن تلك العقائد تزول منه لتحل محلها عقائد مغايرة لها^(٤) . لذا فال حاجة تستدعي تحديداً مهنيّاً منتظماً ، عن طريق برامج التدريب ، والفرص للنظرة التي توضح طبيعة التعليم ومعناه ، وأهمية للهمة ومكانتها .

فالعلم يجب أن يتصف بصفات متعددة ، لا يسمح المجال لسردها تفصيلاً . وإنما تعداداً وتذكيراً بأهمها : إن للمعلم يجب أن يتصف بالإخلاص في مهنته ، ويتحرى الصدق في قوله ؛ لأنه إذا ظهر غير الصواب في قوله فقد ثقة الناس بعلمه ، خاصة وأن أقوال الزيف والفضال

(١) الصري / عبد الله بن عباس ، للمعاني التربوية في آتي لفظ العلم القرآنية ، ١٤٢٥ هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة . ص ٣٢ .

(٢) المنجاني / حسن علي حسن ، الفكر التربوي عند ابن القيم ، ١٤٠٨ هـ ، دار حافظ للنشر : جدة . ص ١٥٧ .

(٣) القزويني / عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ، سنن القزويني ، ١٤١٧ هـ ، ج ١ ، باب التوجيه لمن يطلب العلم لعلم الله . دار الكتب العلمية : بيروت . ص ٧٠ .

(٤) بولس / إميل ، وبيس ربح ، العلم لغة وتعلم : ترجمة إلى إميل ، د . ت ، دار الأفاق الجديدة : بيروت . ص ٢١ .

تضحمت وتضاعفت في الواقع للعالم . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ذُجُلُونَ كَذَّابُونَ ، يَكُونُ لَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَثَمًا وَلَا آثَارًا ، فَيُذَكَّمُ وَإِثَامُهُمْ ، لَا يُحْصَوْنَ لَكُمْ وَلَا يُحْصَوْنَ لَكُمْ »^(١) . ونشر الأكاذيب والأقوال الباطلة لها باع طويل في التاريخ ، وقد حذر منها السلف الصالح منذ أمد بعيد . فَعَنْ مُسْرُوقٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ جُلُوسًا ، وَهُوَ مُصْطَفِعٌ بَيْنَنَا ، فَكَانَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ! إِنْ قَاصَا عِنْدَ أَبْوَابِ كَثْبَةٍ يَقْصُ وَيَزَعُمُ أَنَّ آيَةَ الْكُفْرَانِ نَجِي ، فَتَأْخُذُ بِالنَّفْسِ الْكُفْرَانِ ، وَتَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الْإِسْخَامِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَجَلَسَ وَهُوَ غَضَبَانٌ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ! الْفَوَا اللَّهُ ، مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا ، فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ ، فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَإِنَّهُ أَكْبَرُ لِأَعْدَائِكُمْ أَنْ يَقُولَ ، لَنَا لَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ^(٢) . إن المنهج الرباني غير قابل أن يتخوض فيه من يعلم ومن لا يعلم ، إنما هو منهج يتوخى فيه من وصل إلى مستوى الفهم والعلم . لذا فمهمة التعليم في البلاد الإسلامية مهمة عسرة معقدة ، ليست من السهولة بالذات الذي يتصوره رجال التعليم ، وإنه ليس مجرد تعليم العلوم والفنون ، ولغات وآداب ، بل هو إنشاء جيل حديد ، فكرياً وعقلياً ، وذلك لا يتم بترجمة الكتب ، وحلب الأساتذة من الخارج ، وإنشاء عدد كبير من الكليات والجامعات ، وإرسال بعثات من الطلبة إلى خارج البلاد ، إنما يحتاج إلى شيء أكثر من التنوع والابتكار ، وشيء من التأليف والإنتاج ، والتمحيص والتفريق في الكتب الموحدة ، وهذا التعليم يتطلب منهجاً دراسياً خاصاً لا يوجد الآن كاملاً كما ينبغي في أي بلد إسلامي ، لأن العلوم التي دولها الغرب سرى فيها الإلحاد والجمود ، والإيمان بالماديات والمحسوسات ، و تخللها أفكار ومبادئ لا تمت للإسلام بصلة ، فليس من الحكمة التعليمية ، ومن النصيح للمسلمين نقل هذه العلوم ، والكتب للؤلؤة فيها إلى النشء المسلم بشوائبها ، بل يجب أن تكون هذه العلوم من حديد تدويناً إسلامياً ، وتولف فيها كتب تُشبع بالروح الدينية^(٣) .

فمهمة التعليم لا تساويها مهنة في الفضل والرفعة . ووظيفة المعلم من أشرف الوظائف

(١) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، المقدمة ، ص ٢٩ ، ر : ٧ .

(٢) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ص ١٧٩ ، ر : ٢٧٩٨ .

(٣) الشلوي / أبو الحسن علي الحسيني ، نحو الحرية الإسلامية الحرة ، ط ٥ ، ١٤٠٧ هـ ، مؤسسة الرسالة : بيروت ، ص ٨ - ١٠ .

وأعلاها . وهي لا تقتصر على طرح المادة العلمية على طلابه فقط . بل إن التعليم والعلم في مفهوم الإسلام وصريح السنة النبوية ، أمانة يسأل عنها الفرد وتستطلق لها الجماعة ، وليست القضية سلعاً للاحتكار ولا وسيلة للسيطرة وأداة للبغي والعدوان والتغلب ، بل هي مسؤولية تؤدي ورسالة تبلغ من جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر ، وتردده تنعاً وحرراً مع الأعوام^(١) . قال علي عليه السلام لكميل : يا كميل ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق ، وقال نظماً :

ما الفسر إلا لأهل العلم إفسح على الفدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والمجاهلون لأهل العلم أعداء
فجز بالعلم تعش حياً به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء^(٢)

إن العلم هو مال من لا مال له ، قال أحد الحكماء : كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ، ولا تكن جاهلاً فتهلك^(٣) . فالجاهل يهلك صاحبه والآخرين . قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ الزَّيْعَ يَتَرَفَعُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بَقْبِضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ ، أَخَذَ النَّاسُ زُيُوتَ جَهَنَّمَ ، فَسَبَلُوا فَأَقْفَوْا بِعَرِّ عِلْمٍ ، فَصَبَلُوا وَاسْتَلُوا »^(٤) .

ويتمنى أن يتصف للعلم بالصور ورعاية من تحته ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَمْ أَقْفُو عَنْ الْخَدِيمِ ؟ فَصَنَتَ عَنهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَمْ أَقْفُو عَنْ الْخَدِيمِ ؟ قَالَ : « كُلُّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً »^(٥) . فكيف بمن في عهده ناشئة يتعلمون منه . وما فائدة العلم إن لم يكن منهجاً وسلوكاً يطبق . فالعفو عن المتعلمين والتيسر عليهم منهج مدرسة النبوة قولاً وفعلاً . قال ﷺ : « ... إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ فَعَلًا وَلَا

(١) حمادة / قاروي ، أسس العلم وخوابطه ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

(٢) أبو المؤمنين / علي بن أبي طالب ، حقوق الإمام علي ، ١٤٢٤ هـ ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ص ٥ .

(٣) الأراشي / محمد عطية ، الفرية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٤) الجعفري / محمد بن إسماعيل بن القزوة ، صحيح الجعفري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٦٠ ، ر : ٤١ .

(٥) قارمدي / محمد بن عيسى قارمدي ، سنن قارمدي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب فروع وفلسفة ، ص ٣٨١ ، ر : ١٩٥٦ .

فَعَلَّكَ ، وَلَكِنْ يَخْتَرُ مَعْلَمًا قَسِيرًا ^(١) . إن أعظم المضامين التربوية في هذا الحديث ارتباط صفة التيسر والسهولة بمهنة المعلم ، ونفي التعنت والتسلط أياً كان نوع علمهم . فلنعلم هو صاحب سلطة وصاحب مسؤولية . والتيسر صفة عامة للمعلمين لا علاقة لها بنوع العلم .

يتضح من السياق السابق أن التربية النبوية سبقت النظريات التربوية في طرق التدريس والتعامل مع المتعلمين ، وتوطيد العلاقة بين المعلم والمتعلم . حتى يُقبل للتعليم على التعليم بنفس رضية وعقل متفتح . فقد كان المربي الأول ﷺ يتعهد الصحابة بالموعظة والنصح والتذكير ، لقول ابن مسعود : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْإِهَامِ كَرَاهَةِ السَّامَةِ عَلَيْنَا) ^(٢) . من المبادئ التي ينبغي أن تراعى في التعليم والمقابلة من هدى البهية الاعتدال في قدر ما يلقى من الموعظة والمعلومات في زمانه وفي نوعه حتى لا يؤدي الإكثار إلى الإملال . لأن الرغبة في السماع وتقبل العلم له تأثيره في التطبيق . وكان ابن مسعود يقول : (إن للقلوب نشاطاً وإقبالاً ، كما لها تولية وإدباراً ، فحدثوا الناس ما أقبلوا عليكم . وقال الحسن البصري : حدث القوم ما أقبلوا عليك بوجههم ، فإذا الطغوا فاعلم أن لهم حاجات) ^(٣) . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : (حَدَّثَ النَّاسَ كُلُّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ آتَيْتَ لِمَرْثَيْنِ ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَقَدْ تَمَرَّتْ ، وَإِلَّا لَمِلَ النَّاسُ هَذَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَإِلَّا أَفْبَيْتَ النَّاسَ قُلُوبَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقَطَّ عَنْهُمْ قَطْعُ حَدِيثِهِمْ لَمَبْلِهِمْ ، وَلَكِنْ أَكْبَسْتُ إِذَا أَمَرْتُكَ فَحَدَّثْتَهُمْ وَهُمْ يَهْتَفُونَ ، فَانْظُرْ الشَّيْخَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْ ، فَإِلَّا عَذَبَتْ رُسُلُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ لَا يَقْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْاجْتِنَابَ) ^(٤) .

من الحديث السابق تتضح مضامين تربوية تبين آداباً تربوية تراعى الطاقة النفسية للمتعلم ، فمن يستمع أو يتعلم وهو كاره لا يستفيد مما يتلقاه . فهو يسمع بأذنه ولا يعي بقلبه . ويستفاد من ذلك تحسين طريقة التعليم ، بأن يُدخل المعلم على درسه بعض اللوحات عن النفس . حتى لا تسام النفوس ؛ ولعل القلوب ، وللترويح عن النفس فالدندان :

(١) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الطلاق ، ص ٨٩٤ ، ر : ١٤٧٨ .

جزء من حديث طويل .

(٢) البخاري / أحمد بن محمد بن حنبل بن لقمة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٤٦ ، ر : ١٠ .

(٣) الدارمي / عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ، سنن الدارمي ، مرجع سابق ، باب من كره أن يمل الناس . ص ٨١ .

(٤) البخاري / أحمد بن محمد بن حنبل بن لقمة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الدعوات ، ص ١٣٢ ، ر : ٣٢ .

* طرّد السامة ، وإزالة آثار ما يصبب البدن من كليل ، والنفس من ملل ، نتيجة التكرار
الرتب ، لقول علي عليه السلام : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلب إذا أكره عمي .

* تشيط النفس لمواصلة السعي إلى الجسد ، ومعاناة البحث عن الحقيقة مهما تكن مشقة
الطريق إليها . وفي هذا قال أبو الدرداء : إن لأستحجم نفسي بالشيء من اللهو
ليكون أقوى لها على الحق^(١).

يقول ابن خلدون في المقدمة : " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إما يكون مفيداً إذا
كان على التدرج شيئاً فشيئاً ، يلتقي عليه مسائل هي أصول ذلك الباب ، ويقرب له في
شرحها على سبيل الإجمال . ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى
ينتهي ، وعند ذلك يحصل ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة . وغايتها ألها حياته
لنهم الفن وتحصيل المسائل . ثم يرجع به لرفعها في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها .
ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه ، ثم
يرجع به فلا يترك عويصاً ولا مهماً ولا مغلقاً إلا وضحته وفتح مُثَقِّلُهُ ، هذا وجه التعليم
اللقيد . وكثير من المعلمين لهذا العهد الذي أدر كنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويحضرون
للمتعلم في أول تعليمه للمسائل الثقيلة من العلم ، ويطلبونه بإحضار ذهنه في حلها ،
ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه ، وبكلفتونه رعي ذلك وتحصيله ، ويخلطون
عليه بما يلقون له من غايات القنون في مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها ، لأن المتعلم إذا
حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بما ليقول ما بقي ، وحصل له نشاط في طلب المزيد
والنهوض إلى ما فوق حتى يستوفي على غايات العلم . وإذا خلط عليه الأمر حذر عن الفهم
وأدركه الكلال وانطمس فكره وبس من التحصيل ، وهجر العلم والتعليم . كما يجب على
المعلم أن لا يخلط على المتعلم علماً معاً ، فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما^(٢).

ودور المعلم لا يقتصر على تعليمه العلم في مكان معين ، بل عليه أن يكون مربياً
وموجهاً ومرشداً في كل الأوقات . فعن أبي سعيد الخدري عليه السلام أن النبي ﷺ قال : « يَا كُفَّ

(١) القرطبي / يوسف ، الرسول للعلم ، ط ١٤١٧ هـ ، مؤسسة الرسالة : بيروت ، ص ١٤١-١٤٢ .

(٢) ابن خلدون / عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٤١٢-٤١٥ .

وَالْجُلُوسَ بِالطَّرَفَاتِ ، ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسَةٍ بِذَلِكَ تَحَدَّثُ فِيهَا ، فَقَالَ : « إِذْ أَنْتُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَأَغْطُوا الطَّرِيقَ حَقًّا » ، قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَزُدُّ السَّلَامَ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ »^(١) .
من للتضامير التربوية التي تتضح من سياق الحديث اهتمام الصحابة بالعلم والتجمع له في أي مكان حتى في الطرقات ، وذلك يدل على شدة شغفهم وحبهم للعلم .

وكما يتضح من السياق السابق إن التعلم والتعليم له ضوابط وآداب . على للتعليمين الالتزام بهما ، إذا أرادوا التزود بالعلوم النافعة في مجال الحياة .

أما هي الرسول ﷺ فم عن الجلوس في الطريق فلم يكن للوجوب ، وإنما كان على طريق الترغيب والأولى ، إذ لو فهموا الوجوب لم يرجعوه . وفيه لم كان خوفاً عليهم من الوقوع في الإثم بسبب العجز عن أداء حق الطريق ، (وإن دفع للفسدة أولى من جلب للثقة) ، وعندما ذكروا له ضرورتهم إلى ذلك لما فيه من المصالح من تعاهد بعضهم بعضاً ومذاكرتهم في أمور الدين ومصالح الدنيا وترويح النفوس بالمهادنة في التباح . فنهى ﷺ على ما يزيل للفسدة من الآداب المذكورة ، ولكل منها شواهد في أحاديث أخرى^(٢) . فهذه الآداب تراعى فيها للمصالح العامة والخاصة لكل من يسير في الطريق ؛ لأن الشوارع العامة يمر بها المسلمون والمسلمات لقضاء حوائجهم ، وأراد ﷺ أن يحثي في نفوسهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفعل كل خير للمسلمين ، والامتناع والكف عن كل شر ومضرة ومفسدة على النفس أو على الآخرين .

ورغم التاريخ الإسلامي المجد في مجال العلم إلا أن واقع التعليم في العالم الإسلامي للعاصر واقع مؤلم ومأسوي ، وتحلى أزمة التعليم في مختلف عناصر العملية التعليمية أي ما يسمى بـ (الليحات الخمسة) وهي : للعلم وللتعلم وللنهج وللمكان والمجتمع^(٣) . ويتفق التربويون على أن التعليم للعاصر يمر بأزمة علمية عاتية ، إلا أنهم يختلفون في تشخيصها وتحليل أسبابها ، فمنهم من يرى أنها أزمة تربوية تتلخص في : نظم التعليم المعاصر ، فهي

(١) البخاري / صحيح ابن ماجه بن النجدة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الاستئذان ، ص ٩٣ ، ر : ٣ .

(٢) إسماعيل / أحمد بن حجر ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الاستئذان ، ص ١٦-١٧ ، ر : ٦٦٢٩ .

(٣) إسماعيل / عبد سعيد عبد ، أرقام وحقائق العروة والعلم الإسلامي ، ١٤٢٢هـ ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ص ١٨٨ .

نظم بالية يجب إعادة النظر فيها . ومنهم من يرى أنها أزمة اجتماعية حيث إن العالم يعيش اليوم في عصر التحولات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية ، فهو في حالة انتقالية باستمرار . ومنهم من يرى أن الأزمة ترجع إلى فقدان القدرة الحسنة وإلى تسلط الجهالة وأشياء للتعليمين على نظم التعليم . وأخرى ترى أن الأزمة أساساً أزمة نفسية سببها فقدان الفهم الصحيح لطبيعة النفس البشرية ، وبالتالي فشل للبرين في التعرف على طلابهم وتفهم الطلاب من أساتذتهم . ومنهم من يرى أن الأزمة في فقدان التعليم للعاصر للتربية الأخلاقية . ومنهم من يرد ذلك كله إلى : بعد المجتمعات للعاصرة عن الدين ، وعليه فإنهم يرون أن حل الأزمة يكمن في الاهتمام بالتعليم الديني^(١).

فلعلم بنمي العقل والفكر يساعد على تكوين خلفية ثقافية تجعله قادراً على أن يؤدي دوره في الحياة . فالتفكير الرباني يتميز بالتوازن بين نفسية الإنسان ومتطلباته وأدواره في الحياة وأعماله التعبدية ، فهو يصنع الثقافة بفكره ، وهي شرط للحياة الإنسانية ؛ إذ تُقدم للمعلومات التي لا تُكوّن لدى الإنسان الحقائق الأساسية ولا الدعائم الثابتة ، بل هي للمعلومات التي تتجمع لديه فيفرزها ليقبل منها شيئاً ويرفض شيئاً حسب عقائده الدينية وعاداته الاجتماعية . وما يقبله منها قد يساعد في نمو علم ، أو تنمو لتصبح علماً^(٢) . وعملية التعليم تهدف إلى توافق الإنسان مع بيئته ، وتكسيه أنماطاً سلوكية تلبي حاجته وتحل مشكلاته . ولهي له وسائل التفاعل داخل الجماعة ، وهذا التفاعل بدوره يحقق مزيداً من الوحدة والتماسك بين أفراد المجتمع .

وبقدر ما تخرق ثقافة ما ثقافة أخرى وتصيبها في ثوابتها الثقافية بقدر ما تكون الأخيرة تابعة لها . لذا فكل مجتمع عليه أن يحافظ على مناهجه التعليمية ولا يتركها تلويب في ثقافة غيره ، بل يطورها بما يتناسب مع هويته الدينية وثقافته مجتمعه^(٣) . وعلى الرغم مما تبذله

(١) شعاع / زغلول راجب ، أزمة التعليم للعاصر وحلولها الإسلامية ، ط٢ ، ١٤١٦هـ ، المعهد العالي للفكر الإسلامي : الرياض ، ص ٢٣-٢٤ .

(٢) الشعري / عدنان علي ، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، دار الشعري : الرياض ، ص ٤٦ .

(٣) عبد الحميد / نور الدين محمد ، التربية الإسلامية والثقافة ، من كتاب أصول التربية الإسلامية للمعطي ، دار الحرمين : الرياض ، ص ١٣٤ ، ١٤٢ .

الدول الإسلامية من برامج وما تقرره من سياسات تعليمية للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للمنطقة إلا أن بعض التحديات الثقافية والاجتماعية اللازمة للفترة الاقتصادية والانفتاح العالمي التي مرت بها الدول جلبت قيماً وعادات ، واعتبرت الثقافة وأثرت في كل جوانبها^(١). لذا فإن فهم للعلم لتربيته الإسلامية وعصائصها يعد أمراً ضرورياً - أيها كان تخصصه - فهو لا يستطيع أن يقوم بدوره - كمعلم ومرشد وقادة للمتعلمين - بدون قدر واسع من الثقافة الإسلامية تعينه على أداء رسالته . " فالشخص المثقف هو الذي يدرك بوضوح رؤية مجتمعه للأخوة والكون والإنسان والحياة ، ويؤمن بها ، ويدافع بوعي عنها "^(٢). ويستطيع أن يميز بين ثقافته ، والثقافات للتحرف الوافدة . والشخص الذي لا يتسم بهذا ليس مثقفاً ، حتى لو كان حاصلاً على أعلى الشهادات ؛ لأن عدم وعيه بمعرفة ثقافة مجتمعه يجعله يتسبب للجهل أكثر مما ينسب لأهل العلم .

وقد أدرك أسلافنا تلك الحقيقة وآمنوا بها قبل أن ترفع شعارها تلك النظريات التربوية ، فقد اعتمدوا بالصفات التي تتسم بها شخصية للعلم وللتعلم ، وكأنها شيء متميز بالشخصية غير متفصل عنها . أما في العصور التالية فإن المعايير تغيرت ، ولم يعد أثر التعليم يطلب في الشخصية ، وإنما أصبح الفكر هو الدرجة العلمية التي يحملها المرء ، ويقاس علمه بالدرجة وما تحويه من أرقام وتلخيصات ، فأنسى أثر العلم مطلقاً على الورق بعد أن كان يطلب في العقل والنطق والمسلوك^(٣). وهذا الأمر مغاير لتربية الفرد الإسلامية التي هي تطبيق وسلوك وليست علماً نظرياً على الورق يُذكر باللسان ولا يستوعبه العقل . لذا فإن التربية تستهدف تكوين شخصية الفرد وتربيته ، والتعليم يستهدف تكوين شخصية الأمة .

وجاء الحديث في هذا المجال عن التعليم والتعلم والمعلم والعلامة والعلاقة تحت تربية الفرد لأنها جميعها عناصر حيوية فعالة في حياة الفرد إذ بدونها لا يمكن للفرد أن يكون فرداً متصفاً في مجتمعه . فقيام المجتمعات وتطورها يؤسسها للمتعلمون من أفرادها . فالجميع لا يتمكن من تحقيق تقدمه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي إلا إذا توفر له الرصيد الوافر من

(١) مكتب التربية العربي لدول الخليج / مشروع تطوير التعليم ، الإصدار الثاني ، ١٤٣٥هـ ، الرياض - ص ٢٩ .

(٢) مذكور / علي أحمد ، التربية وثقافة التكنولوجيا ، ١٤٢٣هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة ، ص ٣١ .

(٣) طابع / عزرة ، أحاديث في التربية ، ١٤٢٠هـ ، دار السعدية : السعودية ، ص ١٦٥ .

العلم المادف وللعرفة النافعة . فأهم العوامل التي تعطل التفكير السليم قصور للعرفة لدى الفرد مما يجعله يشغل صحة القضايا بدون تثبت ولا تأكيد . لذا فالعلم إما أن يكون معرول هدم وتدمر لشخصية الفرد أو يكون إعداداً للحياة ، فيعمل في مجتمع ما تعلمه . ويطبق ما عرفه بثقة ويقين .

٤- العلم والعمل به :

لا عمل من غير علم . فالعمل الصالح في الإسلام يشمل كل أوجه النشاط التي يقوم بها الإنسان وفاء بأعباء الأمانة التي حملها ، وفتراماً بواجبات خلافة الله في الأرض ، فإداء الفروض الواجبة عبادة ، وطلب العلم عبادة ، والتفكير عبادة ، والعدل بين الناس عبادة ، بل إن كل خير يحققه الإنسان لنفسه أو لأسرته أو لجماعته أو لأئمة عالمه لوجه الله هو صورة من العبادة . والعمل الصالح هو تعبير صادق عن مدى نجاح الإنسان في القيام برسائله في هذه الحياة الدنيا^(١).

ويشمل العمل كل ما يزاوله الإنسان من أنشطة سواء أعمال تعبدية أو مزاولة مهنة دنيوية ، قال تعالى : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَعَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَزُيِّنُوا لَهُ الْغُيُوبَاتُ ﴾ (نور آية ١٠٥) ، إن وجه الاستدلال في الآية الأمر بالعمل مطلقاً ، فهي شاملة للأعمال الخاصة بالعبادات والأعمال الصالحة الخاصة بالكسب ، وجميعها تحتاج إلى علم ومعرفة . قال الحسن بن علي عليه السلام : لا تكن ممن يجمع علم العلماء ، وطرائف الحكماء ، ويجري في العمل بحرى السفهاء . وقيل : العلم خادم العمل ، والعمل غاية العلم ، فلولا العمل لم يطلب علم ، ولولا العلم لم يطلب عمل^(٢).

فالعمل يعم أفعال القلوب والجوارح ، ولا يتم إلا ما كان عن فكر وروية ، ولهذا قرن بالعلم حين قال بعض الأدباء : قَلْبٌ لَفْظُ الْعَمَلِ مِنْ لَفْظِ الْعِلْمِ تَنْبِيْهُاً عَلَى أَنَّهُ مِنْ مَقْتَضَاهُ^(٣). فقلة العلم ، أو عدم صحته بشكل أكثر عائق يعيق الإنسان عن العمل ، ويجعل عقل الإنسان

(١) المفضل / سليمان عبد الرحمن ، فريفة الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ ، مطابع فكية لأفريقي : الرياض . ص ٢٣ .

(٢) الخطيب البغدادي / أحمد علي ، اقتضاء العلم العمل ، ١٤٠٤ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت . ص ١٥ .

(٣) ابن حنبل / اختصار التلخيص ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٣٠١ .

فأصراً معطلاً ، غير قادر على العطاء والإنتاج^(١) . وغير قادر على التمييز بين ما يصح فعله ، وما لا يصح .

فمن أبي أمامة قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أركبت رجلاً غراً يتشمس الناجر والذكر ما له ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا شيء له » ، فأعاده ثلاث مرات ، يقول له رسول الله ﷺ : « لا شيء له » ، ثم قال : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه »^(٢) . فالإخلاص في العمل شرط أساسي لقبوله ، وينبغي أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وأثناء العمل هل تحركه هوى النفس أو الشك له هو الله ، فإن كان لله أمضاء ، وإلا تركه وهذا هو الإخلاص . قال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنية ، وإنما لأمرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لثلاث يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه »^(٣) . بل قد الخديت أنه لا عمل إلا بالنية ، وتنوع النية كما تنوع الأعمال ، فالنية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض من جلب نفع أو دفع ضرر ، وعملها القلب ، بخلاف الأعمال فإنها متعلقة بالظواهر وهي متعددة ، والأعمال تتبع النية^(٤) ، فمن كانت نيته خالصة لله كان عمله خالصاً لله ﷻ .

ولا يمكن أن تكون حياة من غير عمل ، فحياة الناس قائمة على العمل ، والعمل يختلف سعة وتوغل من عصر إلى عصر حسب اختلاف أحوال الناس واحتياجاتهم وقدراتهم . وفي العصر الحاضر بلغ العمل شأناً لم يبلغه من قبل ، من حيث سعة مجالاته ، وتطور آلياته ، واختلاف مقاصده ، وأصبحت الأمم تقاس بكفاءة عمالها ورفي أعمالها . وبجال العمل عند المسلمين أهم وأعطر ولا يقف عند حد الرفي والتطور ؛ لأن ثمرات العمل لديهم لا تقف عند حد مصالح للعاش والرفاعة في الحياة الدنيا ، بل تتعداه إلى طلب ثمرات الآخرة

(١) الخوازمي / خالد حامد ، التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية ، ١٤٢٢هـ ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ١١٦٤ ، السنة ٣٤ ، ص ٤٣٦ .

(٢) الترمذي / أحمد علي بن حنبل ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الجهاد ، ص ٣٢٧ ، ر : ٣١٤٠ .

(٣) الترمذي / أحمد علي بن حنبل ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الطلاق ، ص ٤٩٨ ، ر : ٣٤٣٧ .

(٤) المسقلائي / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب بدء الوحي ، ص ١١-١٣ ، ر : ١٠١ .

ونعيمها^(١).

وقد كان للربي الأول يشجع أصحابه على العمل ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَأَنُّ يَغْلُزُوا أَحَدَكُمْ لِيُحْتَطَبَ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَيُصَنِّقَ بِهِ وَيَسْتَقْبِلَ بِهِ مِنَ النَّاسِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ وَجُلًّا ، أَضْعَافًا أَوْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعَلِيَّ الْفَضْلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَإِنَّا بَيْنَ نَقْوٍ »^(٢) . إن التربية النبوية نحت على العمل الشريف أيًا كان نوعه ، فالعمل يحقق كرامة المسلم ويسد حاجته عن سؤال الآخرين والاعتماد عليهم . فالسلم لا يقبل أن يذل نفسه لعباد مثله وقد كرمه الله . أما قوله ﷺ : « فَإِنَّ الْيَدَ الْعَلِيَّ الْفَضْلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » ، أي اليد للشفقة أفضل من السائلة . والمراد بالعلو علو الفضل والهدى ونيل الثواب ، والحث على الكرم والعطاء ، وفي هذا تكافل اجتماعي ، فيعاون الذين يعملون مع غير القادرين على العمل ، فلا ينتشر الفساد ولا تكثر السرقات . لذا جاء مبدأ الترغيب في الإنفاق في وجوه الطاعات^(٣) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسَبَ أَحَبَّ مِنْ عَمَلٍ يَدُهُ ، وَمَا أَلْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَالْعِلَّةِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ فَهُوَ حَصَلَةٌ »^(٤) . الأحاديث السابقة تضمنت قيمًا تربوية هادفة تدفع السلم إلى حب العمل والاكتفاء والقناعة بقدر الكسب وعدم طلب المزيد من الناس . فالنفوس والطبائع البشرية مختلفة ، فأحيانًا يعثرها الضعف والاستكانة عن الخير وتقاس عن العمل ، لذلك كان المنهج النبوي غزيرًا بالبحث على العمل للنفع .

والاستدلال بأن الأنبياء والرسل هم خير البشرية عند خالقهم ومكلفين بتبليغ رسالة ربانية للناس ، وهذا العمل فيه مشقة ومع ذلك فهم مارسوا أعمال الكسب والرزق . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ لِيَا إِلَّا رَاغِي غَنَمٍ » ، قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : وَابْتَغَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلُوبَهُمْ : « وَالْأَنْفُسُ أَرْغَاةَا لَهَاظِلِّ مَكَّةَ بِالْقَرَابِطِ »^(٥) . وَقَالَ ﷺ : « كَانَ زَكْرِيَّا لِحَارًا »^(٦) . كَمَا أَنَّ

(١) ابن تيمية / سليمان إبراهيم ، العمل وأحكامه ، مجلة بحوث الإسلامية ، ١٤٢٦هـ - ١٤٢٧هـ ، ج ٦٢ ، مؤسسة إدارة البحوث العلمية : الرياض ، ص ١٢٠ .

(٢) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الزكاة ، ص ٥٩٥ ، ر : ١٠٤٢ .

(٣) ترمذي / أبي الحسن أبو زكريا يحيى ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الزكاة ، ص ١٠٣ ، ر : ١٠٤٢ .

(٤) ابن ماجه / محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب التعلقات ، ص ٢٦٠ ، ر : ٢١٣٨ .

(٥) ابن ماجه / محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب التعلقات ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٤٩ .

(٦) ابن ماجه / محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب التعلقات ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٥٠ .

إبراهيم عليه السلام عمل في مهنة البناء مع ابنه إسماعيل ، ويؤخذ من ذلك اعتماد أولي الفضل والرفعة على أنفسهم ، وضرب أكتفهم العمل والإنتاج والعطاء . فالعطاء لا يكون بهذا المثال فقط ، فكل عمل يعمل المسلم يستطيع أن يتبع نفسه ويفيد غيره هو عمل حث عليه المنهج النبوي . قَالَ ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْصًا ، فَأَكَلَ مِنْ ثَمَرِهِ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ »^(١) . وفي السياق السابق شجذ للهمم أن تنشط وتعمل ، وتداء لكل مسلم متوقف عن العمل أن لا يتكامل^(٢) .

فللمنهج الرباني بحث على العمل قيمة ووسيلة للإنتاج والتنمية الشاملة والارتقاء بمستوى الفرد والمجتمع . فهو وسيلة الفرد لاكتشاف ذاته وقوته ، ووسيلة لتنمية والتعرف على بيئته ، كما أنه وسيلة المجتمع للارتقاء بإنتاجه وتحقيق وحدة الجماعة وتماسكها . فالإنسان كائن كريم على الله ذو مركز عظيم في تصميم الوجود ، وهو أكرم من كل ما هو مادي ، لأن كل ما هو مادي مخلوق لخدمته^(٣) .

ومن الحكمة ولتعتقل أن يمارس الإنسان الأعمال التي يستطيع إنجازها ، وينفع بها نفسه والآخرين ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اكْتَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تَطِيقُونَ ، فَإِنَّ حِزَّ الْعَمَلِ أَذْوَقُهُ ، وَإِنْ قُلَّ »^(٤) . إن الأحيال للمسلمة لابد أن تدرك أنه ليس للقصد بالعمل أن يبدل الإنسان طاقته فيه فقط ، بل للغزى والهدف استخدام أقصى درجات للهارة والإنتاج فيه ، مع إخلاص النية لله . وسواء كان العمل يدوياً أو عقلياً أو فنياً فإن الخبرة والهارة فيه مطلوبة .

والمرى الأول ﷺ هو قلدوة الأمة وإمامها ، عليه مسؤوليات جسام وأعمال خارجية يعملها ، ورغم ذلك كان يساعد أهل بيته . فعَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ : (سَأَلْتُ عَائِشَةَ : مَا كَانَ الشَّيْءُ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ فِي مِهْنَةٍ أَهْلِيهِ ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْعِشَاءُ قَامَ إِلَى الْعِشَاءِ)^(٥) . إن الشيء ﷺ له هبته وحلاله بين الناس جميعاً ، وله مكانته عند المسلمين وغيرهم ، ومع ذلك

(١) البخاري / محمد بن إسماعيل بن النخعي ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأكل ، ص ١٧ ، ر : ٤٣ .

(٢) صديق / يوسف ، الكسب الطيب ، ١١٢ هـ ، دار القضاء : مكة المكرمة . ص ١٢ .

(٣) مذكور / علي أحمد ، التربية وثقافة التفكير لوجيا ، ١٤٢٣ هـ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ٤٧ .

(٤) ابن ماجة / محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الزهد ، ص ٥١٤ ، ر : ٤٢٤٠ .

(٥) البخاري / محمد بن إسماعيل بن النخعي ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأكل ، ص ٣٥ ، ر : ٦٧ .

يساعد أهل بيته في أعمالهم ، فهذا العمل قمة التواضع والتعاون ، ويدخل السرور في قلب الزوجة . فتسكن القلوب وتُعمرها الحب وللمودة . وهذا القدي النبوي قدوة لكل أسرة بأن يكون الرجل لطيفاً مع أهل بيته ، متعاوناً معهم بقدر استطاع ، لا أن يكون قائداً ذا سلطة يريد أن يتسابق الجميع لخدمته . فهذه القاعدة السائدة في المجتمع للمسلم ليست من هدي النبوة ، فالقدي النبوي الصحيح هو الذي سار عليه الأنبياء من قبل . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَكَلُ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ حَتَّى يَمُوتَ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِي يَدِي ، وَإِنْ لَيْسَ اللَّهُ تَائِدًا عَلَيْهِ السَّامَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِي يَدِي »^(١) . إن التضامين التربوية التي يمكن أن تتضح مما سبق ، أن الرسول ﷺ أحب العمل وعشقه ودأوم الحث عليه والدفع إليه ، فالإسلام يربي المسلم على حب العمل ؛ لأن في ذلك تدريباً على الصبر والثابرة ، وأن يكون معتمداً على نفسه في كل الأحوال في البر والبحر ، وأن يتوخى في كل مجالات الأعمال ، مع قدرته على تحمل أعباء الحياة ، فهو معد لتسليم خلافة الأرض وقيادة البشرية ، فعليه أن يعيش واقعه بكل ما فيه من قوة وضعف حتى تكون قيادته قيادة رشيدة . وهذا عنوان الأمة للسلسلة التي قادت الأمم وكانت هي النور الذي سارت عليه أوروبا وبدأت حضارتها من ضوئه . أما حال الجيل المسلم اليوم فهو عنوان التكاثر ، لأنه قد اعتاد كثير من ناشئة المسلمين اليوم أن يكفي كل شيء ، فهو في المنزل يُقدم له الطعام والشراب ، ويتولى أهله تنظيم غرفته وغسل ملابسه ، فساهم ذلك في توليد جيل خامل لا يعرف العمل والمسؤولية وفي المدرسة وميادين التعليم اعتاد التلاميذ الكسل الفكري ، وصار دورهم مجرد تلقي للعلوم جاهزة دون أي جهد ، وحتى حين يطلب منهم بحث أو مقالة فلا بد أن تحدد لهم المراجع ، وأرقام الصفحات .

ولتصحيح التربية وتوجيه جيل جاد محب للعمل ، فلا بد أن تكون بداية للتفكير من الأسرة ، تعودده على المشاركة والعمل للمسؤولية : في المنزل بأن يتولى شؤونها الخاصة ، وفي المدرسة بأن يبذل جهداً في التعلم .

في بداية الحياة البشرية لم يكن الناس في حاجة إلى مدارس ليتعلم فيها أبناءهم لأن الحياة كانت بسيطة وسهلة وليس فيها شيء من التعقيد ، وكانت الأجيال تتعلم عن طريق الممارسة العملية ، ثم بدأت الحياة تتسع وتنوع مطالبيها ، وأصبح لا بد من تخصيص أماكن

(١) البخاري / صحيح بن إسماعيل بن النخعي ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب البوع ، ص ١٢٩ ، ر : ٢٥٠ .

للتعليم ، ومعلمين يقومون بتعليم الأطفال ما يحتاجون إليه . وتقدم العلم وتنوع المجالات المطلوبة ، وازدادت سنوات الدراسة ، وبذلت التخصصات الدقيقة تظهر كما بدأت الدراسات العليا تنتشر لتتسع هذه الجوانب ، ثم توسعت وتنوعت ولا تزال تتسع وتنوع إلى ما لا نهاية^(١) . وكلما زاد العلم والتخصص زاد مجال العمل تعقيداً وعمقاً . فالعمل هو أحد دعائم الاقتصاد في المصنع الإسلامي ، فالإسلام يُعظم كل الأعمال التي تعود بالنفع والمائدة على الفرد والمجتمع . ويفسح المجال لكل القادرين . فعَنْ سَهْلِ قَالَ : (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى امْرَأَةٍ أَنْ تُرِيَّ خَدَمَكَ التَّجَارَ يَقْبَلُ لِي أَهْوَاكَ ، أَجَلِسْ عَلَيْهِنَّ)^(٢) . إن من مارس عمله فهو عالم به . وإن سمة التربية النبوية ربط العلم بالعمل ، وينطويان تحت المنهج الرباني الذي يعزز دائرة الأدب الجَم والأخلاق السليمة في كل سلوك يصدر من المسلم .

قال يوسف بن الحسن : " بالأدب تفهم العلم ، وبالعلم يصبح لك العمل ، وبالععمل تنال الحكمة ، وبالحكمة تفهم الزهد ، وتوفيق له ، وبالزهد تترك الدنيا ، وبترك الدنيا ترغب في الآخرة ، وبالرغبة في الآخرة تنال رضا الله ﷻ " .

و" مما بلغت النظر أن الإيمان لا يرد في كتاب الله إلا مقترناً بالعمل ، والإيمان هو ذروة اليقين ، ومن لم يكون للقصود باليقين الذي يتوصل إليه المسلم بعلمه هو أن يترجم هذا العلم وذلك اليقين إلى عمل ، بغض وجه الحياة على الأرض " .^(٣) فالتربية النبوية تجمع بين العلم والعمل وأخلاق الإيمان وهذا هو سر نجاحها فيما حققته للإنسان من عزة ورفعة وكرامة ، كما تجمع بين عمل الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ مَحْضًا أَلَسْنَا بِكَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (النقص آية ٧٧) .

بناء على السياق السابق عن دور المسلم العملي في واقع الحياة للعاصرة . ازدادت الرؤية

(١) القاضي / علي ، استواء على الشريعة في الإسلام ، ١٤٠٠هـ ، دار الأفتار : القاهرة ، ص ١٢٨ . يتصرف .

(٢) البخاري / أحمد بن إسماعيل بن المغيرة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، ص ١٩٥ ، ر ١٠٨٦ .

(٣) الخطيب البغدادي / أحمد علي ، اقتضاء العلم بالعمل ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

(٤) عود / عبد القوي ، في التربية الإسلامية ، ١٣٩٨هـ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ٩٨ .

وضوحاً حول دوره في الحياة العملية . حيث ينبغي عليه أن يضع حياته منوهاً يحدد فيه هدفاً يصل به إلى بلوغ غايته . ويمكن حصر مسؤولية المسلم في نقاط : اثبة ومقدار صفاتها وتجربتها ، الإيمان ومدى قوته ، العلم ومدى عمقه ، والتهج ومستوى سلامته ، والعمل بما علم ، والأهداف ووضوحها ، فإذا أُلغى في هذه النقاط ، فإنه يكون أدى ما عليه إن شاء الله^(١) . قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (التؤمن آية ١١٥) ، إن كل من في الوجود يعمل ، من أعظم الأحرام السلوية التي لا تتوقف لحظة عن الدوران في أفلاكها إلى التلة التي لا تُسمع دسها على الأرض . إلى الترة التي تقلس بخره من عشرة ملايين للليتر ، وهي في حركة دالية تولف بين أسرارها لثلاثة (الإلكرون والبروتون والنيوترون) ، فالإنسان لا يستطيع أن يخرج على نوايس الكون والحياة فيعيش بلا عمل ولا لرفضته الحياة ، وتبه المجتمع ، وتحطم كيانه ، وفقد معنى وجوده . وذلك أن العمل غاية إنسانية وواجب اجتماعي في الحياة ، وهو في الوقت نفسه من القيم الدينية التي تصل إلى مستوى العبادة ؛ لأنه يحقق الحكمة من خلق الإنسان ووجوده في هذه الحياة^(٢) . وهو يخدم الإنسان ويهدف لسعادة البشرية . و* الإنسان الأخلاقي هو الذي يسخر اكتشافاته في سبل آخيه الإنسان وإن أساليب الدمار والحرب والفتك والتدمير المنتشرة في الواقع المعاصر لم تكن بحاصلة لو أن في قلوب ذويها مثقال ذرة من خلق^(٣) .

فالمسلم عليه مسؤوليات وواجبات عليه أن يؤديها ، فهو مطالب بعملها تجاه ربه ونفسه وأهله وجيرانه ومجتمعه .

٥- تحمل المسؤولية والعمل بمقتضاها :

منذ بدء ظهور المدرسة النبوية علم للمربي الأول ﷺ أصحابه عظمة المسؤولية التي تقع على عاتق كل مسلم . فهي " مثل دعامة من دعائم للوضعية ، حيث يتحمل الإنسان مسؤولية ما قام به من عمل في حدود شروط موضوعية معينة ، وله ثمرة جهده الخاص ، وهذه

(٣) الشري / عدنان علي ، صبح لؤم بين العلم والطق ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، دار الشري : الرياض . ص ٢٠١ .

(١) علي / سعيد إسماعيل ، العمل في الفكر التربوي الإسلامي ، ١٤٠٤هـ ، مجلة الأمة رئاسة العلماء السلفية : قطر ، ص ٦٩ .

(٢) السيد / محمود ، معجزة الإسلام التربوية ، ١٤٠٢هـ ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

الثمرة محظوظة له على المستوى الأخلاقي والتشريعي ، وهذا وذلك لا يقتصران على الدنيا أو الآخرة ، وإنما هو تقرير عام يلزم وجود الإنسان من لحظة التكليف إلى ما لا نهاية^(١).

والشعور بالمسؤولية أمر قائم فطري لن يستطيع أن يتحلل منه الإنسان تماماً ، ولكن هذا لا يمنع أن تكون حيوية الشعور لثقل من فرد إلى آخر ، والمسؤوليات التي يحملها الإنسان متعددة أهمها للمسؤولية الدينية التي يجب على كل مسلم القيام بها - وسبق الحديث عن هذا الجانب في الفصل الثالث - ، والمسؤولية الأخلاقية التي تميز بها شخصية المسلم عن غيره - وهذا الجانب ذكر في الفصل الثالث أيضاً - ، والمسؤولية الاجتماعية وإن كانت تسمى اجتماعية إلا " لكأ فردية واجتماعية في آن واحد . فممن تحققت شروط المسؤولية في شخص أصبح ليس فقط مسؤولاً عن نفسه ، بل كذلك مسؤولاً عما هو تحت إمرته وولايته ورعايته وإصلاح مجتمعه^(٢) . والثرية النبوية وزعت هذه المسؤولية توزيعاً دقيقاً لتنظيم الحياة الاجتماعية ، ووضعت عقاباً لكل من يفرط في هذه المسؤولية . قَالَ ﷺ : « أَلَا كَلَّكُمْ رَاعٍ ، وَكَلَّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهَا ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ . أَلَا لِكُلِّكُمْ رَاعٍ وَكَلَّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ^(٣) .

إن الحديث أشار إلى تحديد دقيق لمفصل لدى المسؤولية . فهي مسؤولية الفرد نفسه : الأمير والرجل ، والراة ، والخدام ، إلخا رعاية حقوق وأداء واجبات يسأل عنها الإنسان ويحاسب عليها . ومضي الثرية النبوية تفصل للمسؤولية لكل عضو في الأمة . تفصل مسؤولية الأمير ، وتبين حقوقه وواجباته ، وتبين مسؤولية الرجل في مختلف الميادين ، وتحدد حقوق الزوجة ومسؤولياتها ، وكذلك العبد تبين حقوقه وواجباته ، حتى تكون الصورة حلية مشرفة أمام كل فرد في الأمة ، فينهض إلى مهامه ومسؤولياته بحمة وعزيمة ، دون أن يجد سبباً للاحتفاء

(١) بكر / عبد الكريم ، فصل في التفكير الوضعي ، ١٤٢١هـ ، دار الفهم : دمشق ، ص ٧٢ .

(٢) سعد الدين / إيمان عبد المؤمن ، الأخلاق في الإسلام ، ١٤٢٤هـ ، مكتبة الرشد : الرياض ، ص ١٣٦ .

(٣) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإمارة ، ص ١١٥٩ ، ر : ١٨٢٩ .

وراء الأعداء ، لأن هذه للمسؤولية تقوم على أسس العقيدة والإيمان^(١).

فالولاية ذات شأن عظيم ، وحملها جسيم ، فكل من صاحبها رعاية كل من هم تحت مسؤوليته . وللمرئ الأول ﷺ هو خير قدوة وأتمودج للاحتذاء في ولايته لرعته . قَالَ أَنَسُ : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ ، وَأَضَجَّ النَّاسِ ، وَلَقَدْ فَرَّغَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَالَطَّقَ النَّاسُ قَبْلَ الصُّبُوحِ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَضَى النَّاسَ إِلَى الصُّبُوحِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « لَنْ تَرَاغُوا ، لَنْ تَرَاغُوا » ، وَهُوَ عَلَى فَرْسٍ لَبِي طَلْحَةَ غُرْمِي مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ ، فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ ، فَقَالَ : لَقَدْ وَجَدْتُمُ بَعْرًا أَوْ لَيْتُمُ^(٢)) .

إن تولي شؤون المسلمين ليس بالأمر اليسر ، بل من أعظم المهام ، يترتب عليها مصالح إنسانية ، ودينية واجتماعية واقتصادية وأمنية وصحية ، لأن كل ذلك يحتاج إلى منشآت ومبان وأعمال صناعية وتجارية وقطع مجالات العمل للشباب ، حماية للمجتمع من البطالة . كل ذلك مسؤول عنه ولي أمر المسلمين ، فهو مسؤول عن مصالحهم الخاصة والعامة ، وعليه أن يسد ثغرات الأعمال بمن هو أهل لها وأصلح للعمل فيها ، واقتدر على ضبط حقوق الرعية ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة أو فزاة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين^(٣) " . فالولاية أمانة لا ينبغي فيها للادانة ، وقد حذر المرئ الأول ﷺ منها أبداً ذر عندها سألته الولاية ، قال ﷺ له : « ... وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِزْبٌ وَكَلَامَةٌ ، إِنْ مَنَ أَحَدُكُمْ بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا^(٤) » .

فالمسؤولية لا تتوقف على الولي في مجتمعه الكبير ، بل كل المجتمع مسؤول ، فالرجل مكلف بإيجاد المحضن الإسلامي الصالح لنمو أولاده ؛ لأن البيت المسلم هو نواة الجماعة ، التي يتكون منها المجتمع المسلم ، فعليه أن يقوم أسرته على أمور دينهم ، ويغرس في نفوسهم أهم أساسيات التربية القائمة على الأخلاق الإسلامية . وهذه للمسؤولية عامة وخطيرة لكونها منبع الفضائل ، وشاملة بكل ما يتصل بإصلاح نفوسهم ، وترفعهم عن الدنياه ، وتعودهم

(١) شعبي / عدنان علي ، منهاج المؤمن بين العلم والتطبيق ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

(٢) ليعلي / أحمد بن إسماعيل بن لغوة ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب لأدب ، ص ٢٥ ، ر : ٦٦ .

(٣) شاذلي / أحمد لقمان الأعظمي ، «درسات تربوية» ، مرجع سابق ، ص ٣٠٠ .

(٤) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الإمارة ، ص ١١٥٨ ، ر : ١٨٢٥ .

سبق ذكر الحديث .

على مشاعر إنسانية كريمة ، وإحساسات عاطفية نبيلة ، كالأحسان إلى الفقراء والأرامل والمساكين ... إلى غير ذلك من هذه المسؤوليات الكبيرة الشاملة التي تتصل بالتهذيب ، وترتبط بالأخلاق^(١).

ورغم أهمية هذا الجانب وعظمته للأمة الإسلامية إلا أنه يقتصر إليه حيل اليوم ، لأن مشاغل الحياة ومتطلباتها جعلت الوالد دائماً في عمله ، ويطلب الراحة في موته غير مهالي بمصالح أولاده للعناية ، موفراً لهم للمصالح الدلدية ، متعاملاً اللتفاته الأبوية التي تحمل التوجيه والإرشاد ، فتكون القلعة الأسرية ضعيفة يهزها التيار ، وتعصف بها الرياح ؛ لأن اللؤس والمسؤول فرط في مسؤوليته تجاه أهل بيته .

ولا تقف عند حد الرجل ، بل تستمر سلسلة المسؤولية فتشمل المرأة ورعايتها لزوجها ولأبنائها ، فهي تساوي الرجل في التكليف والجزاء على العمل ضمن تخصصاتها . ويمكنها أن تقوم بدورها في رعايتها لزوجها وأولادها إذا أدركت مكانة الزوج وأهميته من الناحية الشرعية ، وأهمية تربية الأبناء ورعايتهم . فمسؤولية تربية الأبناء تنقسم بين الأب والأم من جهة ، وبين اللؤسسات التربوية التي تقع على عاتقها مسؤولية تربية الجيل تربية إسلامية شاملة ، ويدخل ضمن هذه المسؤولية كل من يعمل في مجال التعليم .

ومغضى سلسلة للمسؤوليات لتقف في نهايتها عند رعاية الخدام كمال سيده وخدمته . وفي للقبائل مسؤولية السيد بالخدام وحسن التعامل معه .

إن السياق السابق يوضح أن كل فرد في المجتمع مسؤولٌ مسؤولية فردية واجتماعية ، وأنه يعمل أمانة وهو مسؤول عنها ، وما لا شك فيه أن المجتمع الذي يكون كل أفراداه عاملين كحلية النحل ، لكل منهم دوره وفعاليته في بناء المجتمع هو مجتمع حدير بالحياة ، وأنه ما من أمة تبلى بكثرة الكلام وقلة العمل إلا يكون مآلها إلى التآخير والتخلف ، - وهذا حال أبناء المسلمين اليوم - . وليليل من الكلام ، وكثير من العلم و العمل نبين الأمم استقلالها^(٢). " وقد مثل هذا في عصر الأمة الإسلامية التي قامت بمسؤولياتها خير قيام .

(١) علوان / عبد الله ناصح ، تربية الأولاد في الإسلام ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ ، ج ١ ، دار السلام : بيروت . ص ١٨٠ .

(٢) السيد / حمزة أحمد ، معصرة الإسلام التربوية ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، ص ٤٤ .

فأدت دورها القيادي بقوة وثبات ، وتحملت مسؤولية نشر العلم والقيم الأخلاقية الإسلامية القائمة على أركانها الأساسية : من تبليغ وعلم وعمل . فتركت تاريخاً مجيداً يقتصر به كل مسلم ، لألهم فهموا مسؤولياتهم تجاه العلم ، واستطاعوا أن يسبحوا الطاقة للادبة ، " فلاحظون دقائق هذا الكون ، ويستيطون قوائمه ، ويستغلون طاقاته . وكانت علومهم في هذا الجانب علوماً حقيقية نالعة . ويكفي أن نذكر أن الطب العربي كان يدرس في جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر ، ونظريات الحسن الهيثم في البصريات كانت تدرس حتى القرن التاسع عشر ، وأن لفظة الكيمياء في اللغات الأوروبية كلها هي اللفظة العربية وأن كثيراً من ألفاظ الفلك عربية الأصل ^(١) .

وعندما أهملت المسؤولية فقدت الأمة مكانتها ، وأصبحت تابعة بعد أن كانت سائدة . لهذا يجب إعادة مفهوم المسؤولية وجعلها منهجاً تطبيقياً في حياة النشء ، وبدأ هذا التطبيق من الأسرة . فللمسؤولية بُتدئ بالمؤمن نفسه ، ولابد أن يعي المؤمن هذه الحقيقة التي أخذت تغيب عن قلوب الكثيرين في طبقات الفلسفة الغربية ، وهياج الفتن . ولابد أن يعي المؤمن أنه هو المسؤول عن هذه القضية أولاً . وهو الذي سيحاسب عليها بين يدي الله ، لا يغني عنه أحد من البشر . فلا بد من إيقاظ هذا الشعور الغافل ليتناسق مع سائر المسؤوليات ، وتوجه كل المسؤوليات نحو للنهج الرباني ^(٢) ، الذي شعره للمسؤولية الأخلاقية لكل من يحمل أمانة الإمارة . وأن يقضي عمله في إطارها ومن خلالها . لأن انقضاء إنجاز العمل الحسن مراعاة للبادئ والقيم الإسلامية ، من إخلاص وعدل ومساواة وصبر وإتقان في العمل ، وهذا هو المعيار الذي يوزن به قيمة العمل ابتعاداً عن العش والخنديعة والاحتيال والسرقة .



(١) قطب / أحمد ، منهج التربية الإسلامية ، ط ٥ ، ج ١ ، ١٤٢١ هـ ، دار الشروق : القاهرة . ص ١٥٦ .

(٢) الشحري / عدنان علي ، لقاء المؤمنين ، ط ٤ ، ١٤١٤ هـ ، ج ١ ، دار النحوي : الرياض . ص ٣٢ .

ثالثاً : المضامين المتعمقة بالتربية الاجتماعية

لكل مجتمع تربيته الخاصة به ، فمعظم الحضارات السالفة التي ازدهرت قبل ظهور الإسلام ، عرفت ألواناً متعددة من التربية ، طبعت حياتها الاجتماعية ، بطابع يعكس فلسفة كل أمة من تلك الأمم . فانتشرت الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم بمنهج تربوي اجتماعي متميز ، يستطيع تكوين أجيال مسلمة متوازنة ، قادرة على تحمل المسؤولية الكاملة في مجتمعاتها ، ولهذا للنهج جهود متميزة في تقوية الأواصر بين المجتمعات للسلمة وتماسكها ، حتى أصبح المجتمع المسلم الحق مضرب للتثل في وحدته وتماسكه وتراپطه . وتأخي الأواصر مع للهاجرين أكثر نموذج على تنظيم العلاقات الاجتماعية بين المسلمين منذ صدر الإسلام^(١).

فالمجتمع يعتبر من أهم الركائز التي تؤثر على نظريات التربية على وجه العموم ، وهو المجال الذي تتحقق فيه ومن أجله العملية التربوية . لذا اعتم الإسلام بالمجتمع وتنظيمه ، وجاء بأقوى وأفضل المبادئ والأسس التي تنظم حياة الناس داخل مجتمعاتهم تنظيمياً متمكناً ، تناول فيه الجوانب الإنسانية والاقتصادية والأمنية والأخلاقية ، وكفل هذا التنظيم الحقوق والواجبات لكل فرد من أفراد المجتمع . فالإنسان مخلوق اجتماعي ، ومفطور على أن لا يعيش إلا كذلك ، ولا يخرج عن هذه الحالة إلا من شذ . ومن أجل اشتداد حاجته إلى المجتمع وعبه الله القدرة على تصوير العاني في عبارات ، وجعل لسانه قادراً على التعبير عنها بقوة النطق ، ومع هذه الصفة التي فطر عليها لم يلهمه الله لتحقيقها وطرق تطبيقها والحفاظ عليها ذاتياً كما ألهم سائر الحيوانات التي فطرت على حياة اجتماعية ، كالتنمل والنحل ، بل ألهمه ما يصلح لحياته ، وحفظ نوعه^(٢) ، عن طريق التربية التي يكتسبها من عقيدته ومن تفاعله مع الأفراد والمجتمعات التي يختلط بهم ، وعن طريق المؤسسات التربوية التي تقيم بالعملية التربوية ، وتقيم بعملية تعليم وتعلم أنماط السلوك الإنساني في مجتمع معين يكتسب فيه الأفراد للهارات والقيم والاتجاهات والمبادئ التربوية المختلفة التي تيسر لهم عملية التفاعل الاجتماعي القائمة على رابطة الأخوة . وسوف يتم تناول الأحاديث التي توضح للنهج النبوي في تقوية علاقات الأخوة الإسلامية .

(١) الشافعي / إبراهيم محمد ، التربية الإسلامية وطرق تدريسها ، ١٤٠٤هـ ، مكتبة الفلاح : الكويت . ص ١١ .

(٢) الحمد / أحمد ناصر محمد ، العقيدة مع التربية ، ١٤٠٩هـ ، مكتبة التراث : مكة المكرمة . ص ٣٩ .

١- علاقات الأخوة الإيمانية :

إن تواجد الناس في المجتمع الإسلامي ليس غاية في حد ذاته ، وإنما هو وسيلة للتعارف والتآزر وللمساعدة الإنسان على معرفة الله وتقواه ، ومساندته في مقتضيات الحياة بما يرضي الله ، قال تعالى : ﴿ يَتْلُوهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْثَرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَفْقَهُمْ ﴾ (المحرات آية ١٣) ، تبيين الآية الكريمة أنه رغم كثرة الشعوب إلا أن الأب واحد ، وهذه الكثرة ينبغي أن تكون مدعاة إلى التعارف والتعاون والوفاء ، لا سببا في التناكر والتعادي والشقاق ، وهذا التعارف له قيم ومبادئ تربوية تنظمه ، وأخلاقيات تحكمه ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَحَسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَلْمِزُوا ، وَلَا تَنَابَزُوا ، وَلَا يَبْغِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، الْقَوِيُّ هَاهُنَا - وَيُسَبِّحُ إِلَى صَنْدَرِهِ ثَلَاثَ قُرُولٍ - يَحْشَبُ امْرِئًا مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَفَقْدُهُ وَعَرْضُهُ »^(١) . المجتمع للمسلم مجتمع ألفة ومودة ومحبة ، شعاره الأخوة ، والتي ينتج عنها اختفاء الكثير من أمراض القلوب كالحسد والبغضاء . التي هي عنها المرئ الأول ﷺ ، وهذا النهي يدخل ضمن الواجبات التي يجب على المسلم فعلها والتحلي بها . « وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » ، أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرهم في المودة والرفق والشفقة وللإلفة ، والتعاون في الخير ، مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال ، والابتعاد عن الأهواء للفساد للوحدة للشباب^(٢) ، للوصول إلى الظلم .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ فَقُلْ أَنْ لَا يَكُونَ دَيْنًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَحَدُ مِثْلِهِ بِفَضْلِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَحَدٌ مِنْ سِتِّينَ صَالِحِهِ فَعَمَلٌ عَلَيْهِ »^(٣) . لا شك أن الظلم وغيره المرتع وسوء العقاب ، فكم من ممالك زالت وملوك عزلت وثورات تفجرت وجهاعات تفرقت بسبب الظلم

(١) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، ص ١٥٧٧ ، ر : ٢٥٦٤ .

(٢) النووي / أبي بن حنبل صحيح مسلم شرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ، كتاب البر والصلة والآداب ، ص ٩٠ ، ر : ٢٥٥٩ .

(٣) البحاري / أحمد بن حنبل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب اللطام ، ص ٢٦ ، ر : ٢٢ .

والعسف والجور . وما حرّم الله شيئاً كالظلم ، ولا تؤعّد أحداً بمثل ما تؤعّد به أهله ، قال تعالى : ﴿ يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الإنسان آية ٣٦) ؛ لأن الظالم يقضي ما عليه من حسناته ، فإذا فُتحت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار . وقد وصفه ﷺ بالقليل - وقد سبق شرحه - فأنه تعالى مطلع على عبادته ، وعليم بأفعاله ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُحْسِنُوا إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ غَفْلًا غَمًا نَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (إبراهيم آية ٤٢) .

إن المجتمع الإسلامي السليم هو المجتمع الذي يخلو من الظلم والخذل والنفاق ؛ لأن العلاقات الاجتماعية تماسك أو تضعف وتتحلّ تبعاً لما يُكثّره كل فرد للآخر من حب أو بغض . وما يشغل به من قول حسن أو سيئ ، وما يقوم به من عمل حسن أو منكر ، فالأفراد الصالحون يكونون مجتمعاً صالحاً^(١) ، والتربية النبوية وجهت إلى مبادئ التسامح ، وطلب العفو . وجعل ﷺ للمظلوم هبة في قلب من ينقي الله وبخلافه إذ أكرمه الله باستجابة دعوته ، قال ﷺ : « أَلَيْسَ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ لِأَلِهَا لَيْسَ يَتَّيَّهَا وَتَنَ اللَّهُ حِجَابٌ »^(٢) . إن هذا التكريم الإلهي للمظلوم هو محافظة على الحقوق وعدم انتهاكها ، سواء في البيت أو المدرسة أو في المجتمع . وعلى المجتمعات الإسلامية المحافظة على كرامة الإنسان وعدم ظلمه . فالكرامة الإنسانية ثلاثة أنواع : " كرامة هي عصمة وحماية ، وكرامة هي عزة وسيادة ، وكرامة هي استحقاق وجدارة . كرامة يستغلها الإنسان من طبيعته ﴿ وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ ، وكرامة تغدّى من عقيدته ، ﴿ وَكَفَّ الْعِزَّةَ وَرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وكرامة يستوحىها بعمله وسوره ، ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ ﴿ وَوُضِعَ كُلُّ شَيْءٍ فُضِّلَ فَضْلُهُ ﴾^(٣) .

ولم يتوقف الإسلام عند حد العقوبات والتهديدات للفرد ، بل حمل للمسلمين جميعاً على صون كرامة المسلم ومنع الظلم عنه والوقوف بجانبه ، ورد الظالم عن ظلمه .

(١) المولى / محمد طاهر ، المجتمع والأسرة في الإسلام ، ط ٣ ، ١٤٢١هـ - دار عالم الكتب : الرياض ، ص ٤١ .

(٢) البهاري / محمد إسماعيل ، صحيح البهاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الطاليم ، ص ٢٥٩ ، ر : ٢١ .

(٣) باطن / محمد ، دور التربية الأخلاقية الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ - دار عالم الكتب : الرياض ، ص ٤٠ .
نقلًا بتصرف عن : درر / نظرات في الإسلام ، ص ٩٧ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الصُّرُوحُ أَهْلًا أَوْ مَظْلُومًا » ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! الصُّرَّةُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا ، كَيْفَ الصُّرَّةُ ؟ قَالَ : « تَحْخَرُ أَوْ تَتَنَفَّذُ مِنَ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ صُرَّةٌ »^(١) . وهذا التصاحف بين أفراد المجتمع تستقيم حياتهم ، ويشعر الجميع بالاحتمنان والأمان وبالقوة والعزة ، إذ يحس المظلوم أن حقوقه لن تضيع ، وأن الله ناصره . وعدم الظلم أسس صلاح المجتمع والكون بأسره ، وإن التوازن والاعتدال مقياس بناء المجتمع وسلامته من الأحقاد . والظلم يشمل على معصيتين - لأن الظالم غيوره هو ظالم لنفسه ؛ لأن للظالم عقوبة سواء في الدنيا أو الآخرة - فمن أخذ الأموال بغير حق أو لقم الآخرين بما ليس فيهم فقد ظلم غيوره ، وفي ذلك مبارزة الرب بالمخالفة والعصية .

هذه للعايير - منع الظلم ، ورفع منزلة المظلوم - وشجعت لتقويم المجتمع ، ومهاجمة الفساد والظلم ، فهما داء المجتمعات الذي يفتك بها . وينشأ الظلم من ظلمة القلب ؛ لأنه لو استنار بتور الهدى لاعتبر . فالظلم لا يقوم من فراغ ، بل يسبقه أسباب ومسيبات منها الحسد والحقد والبغضاء والضغينة ، وكل هذه الأمور وغيرها تبدأ من سوء الظن . " فالإنسان يميل إلى الأخذ بالظن ، ويدرك في نفسه منزلة اليقين ، عندما لا يلتزم بمحتاج الله ، تضطرب فطرته " . فتؤدي إلى داء الظلم ، وقد نقضى هذا المرض ونجس وتضخم في العصر الحالي ؛ لأن الناس ضلوا طريق الوقائية ، واتبعوا طريق الهوى . ولا خلاص للأمة الإسلامية إلا إذا اتبعت للهدى النبوي ، وأخذت بطرق الوقاية التي أوحى بها الربى الأول ﷺ حيث قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَحْسَبُوا ، وَلَا تَحْسَبُوا ، وَلَا تَحْسَبُوا ، وَلَا تَحْسَبُوا »^(٢) . إن الحديث تضمن صفات مذمومة ، وقد سبقها بتحذير من شيء عظيم ، كلف لا والله سبحانه وتعالى ذكر الظن في كتابه بأنه إثم . قال تعالى : ﴿ يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ (المحمرات آية ١٢) . في الآية هي صريح عن سوء الظن ، الذي منه لزعة شيطانية تحدث فجوة بين الناس ، فسوء الظن يتهمة الصفات للذمومة - وقد سبق الحديث

(١) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الإكرام ، ص ٤٠ ، ر : ١٢ .

(٢) البخاري / عدنان علي ، الاختلاف بين الوقاية والشقاق ، ١٤٢٥ هـ ، دار النور : الرياض ، ص ٤٩ .

(٣) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الأدب ، ص ٣٩ ، ر : ٧٦ .

عن سوء الظن في الفصل السابق - ، فيبغي على كل عاقل أن يكون متجنباً جميع الأسباب للوصلة إليه .

والحقيقة الواضحة أن ملوك الإنسان في الحياة وتصرفاته مظهر من مظاهر عقيدته ، فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام ، وإذا فسدت قسد واعوج ، وإذا استقرت في نفسه أثمرت الفضائل الإنسانية ، من استقامة وحمية وتواضع وإيثار ... إلخ ، وفي ظل هذا المنهج تتوافر عناصر الارتقاء للادي والروحي وللعنوي الذي ينشده الإنسان في ظل مجتمعه^(١) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَائِبِهِمْ وَتَوَاقِفِهِمْ وَتَقَاتُفِهِمْ كَتَمَلِّ الْأَجْسَدَ إِذَا اشْتَكَى غُضُوفاً فَنَاقَى لَهُ سَجَرٌ جَسَدِهِ بِالشَّهْرِ وَالْعُمَى »^(٢) . هذا أبلغ وصف وأدق في أن المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد ، فالجسد له أعضاء مترابطة يجمعها مركز واحد ، وتحركها مشاعر واحدة ، ويجري فيها دم واحد ، ولهدف جميعها إلى غاية واحدة ، فإذا تأثر أي عضو في هذا الجسد تأثر الجسد كله ، وذلك يعني وحدة الشعور والإحساس في المجتمع المسلم ، وأن يحس المسلم بإخوانه المسلمين في أي مكان ، ويتأثر المجتمع بأسره فيما إذا أصيب فرد منه ، كما يتأثر الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه^(٣) .

فالمجتمع المسلم مجزئ عن غيره من المجتمعات بالتكافل الاجتماعي ، وتاريخه المجدد شاهد عليه . " فالتكافل في مثلوله يجعل التعاون بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض أمرًا مُسَلِّماً وحقيقة واقعة لا تحتاج إلى بيان ؛ لأن شعور الفرد بالنسبة لغيره هو شعور غيره بالنسبة له ، فهُمْ وإن تعددوا في المجتمع ، ولكلهم كالجسد الواحد الذي يتكون من أعضاء عدة ، لكل عضو نشاطه وأهميته ، وكل عضو متصل بالأعضاء الأخرى بوحدة الشعور والإحساس وللصبر^(٤) . وفي رواية أخرى شبه ﷺ للمؤمنين بالبنان ، فَقَالَ ﷺ :

(١) القرآن / علي حسن ، العالم القروية في ثقافة الدعاة الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ ، وزارة السقاع والظنون وللتنشئة العامة : الرياض ، ص ١٤٩ .

(٢) البخاري / محمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ١٧ ، ر : ٤١ .

(٣) بائلي / محمود محمد ، الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل ، ١٤١٤هـ ، سنة ١٦ ، ج ١٣ ، دعوة الحق ، رابطة العلم الإسلامي : مكة المكرمة ، ص ١٤٠ .

(٤) المرجع السابق / ص ٤١ .

حقوق غيره . ولا خلاص من هذه للأسى إلا بالعودة إلى تعاليم النهج النبوي والتمسك به حتى يعود المجتمع قوياً متماسكاً كما كان ، وليس هذا مستحيلاً ، لأن التاريخ يثبت ذلك وتؤكد الأحداث .

قَالَ ﷺ : « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ » ، قِيلَ : مَا هُنَّ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « إِذَا لَقِيتَهُ فُسِّمْتَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَخَلَ فَاجِئَتْ ، وَإِذَا اسْتَصْحَلَ فَاصْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا غَطَّنَ فَحَبِّدْ لَهُ فُشْمَتَهُ ، وَإِذَا مَرَحَ فَعُدَّهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَالْبِقَةُ »^(١) . إن هذه الجمل القصيرة تتضمن أعمق وأغزر معاني التكافل والولاء بين المسلمين إذا اتبعوها . وفي هذا التوجيه البليغ أرسى الربى الأول ﷺ معالم وقواعد مجتمع عالمي تظهر فيه الفضائل وتتفلسف فيه المراتم . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعْبَدُوهُ ، وَمَنِ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَغْطَوْهُ ، وَمَنِ دَعَاكُمْ فَاجِيبُوهُ ، وَمَنِ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا لِمَكْرُوفِهِ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا لِكُلِّكُمُوهُ فَاذْهَبُوا لَكُمْ شَيْ غُرُورًا أَلَيْسَ قَدْ كَفَّاهُمْ »^(٢) .

إن الحديث يتضمن توجيهات ووصايا تربوية عظيمة للعاني التربوي . والأحاديث بكل مؤمن أن يتطلع بكل ما فيه من توجيهات تتضمن أسباب الترابط والراحم بين المسلمين ، حتى يكونوا قوة لا يستهان بها وأمة واحدة . وهذا لن يكون إلا بالتعاون والاتحاد الشامل الذي به تتحقق عزة الأمة الإسلامية . وقد وضعت التربية النبوية حوافر تدفع للمؤمن إلى العمل بما وتطبيقاتها رغبة فيما عند الله من جزيل الثواب . قَالَ ﷺ : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْهَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْهَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سِتْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْمُحْسِنِ مَا كَانَ الْعُنْدُ فِي عَوْنِ أَحِبِّهِ »^(٣) . إن هذه التوجيهات تولد المحبة والألفة بين القلوب وتقوي أواصر الأسرة ، فيصل الإنسان إلى درجة عظيمة ومجولة رقيقة عند الله . قَالَ ﷺ : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُمَمًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغِيظُهُمُ الْكِبَرُ وَالشَّهَادَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْكَرُهُمُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! نُخْبِرُكَ مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : « هُمْ قَوْمٌ لَخَلَّوْا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَقْوَابٍ بَيْنَهُمْ قَوْلَهُ إِنَّ وَجْهَهُمْ كَوَدُ وَإِلَهُمْ عَلَى نُورٍ ، لَا يَخْلُقُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَخْرُجُونَ إِذَا خَرَجَ النَّاسُ » ، وَقَرَأَ خَلِيفَةُ الْإِمَامَةِ :

(١) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السلام ، ص ١٦٦ ، ر ٦٦٦٢ .

(٢) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الزكاة ، ص ١٢٨ ، ر ١٦٧٢ .

(٣) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٨٧ ، ر ٤٩٤٦ .

﴿ أَلَا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لِمَنْ أَخَوْتُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس آية ٦٢)^(١). هذه المرتبة العالية التي ينالها بأخوة الدين تجعل للمسلم يتمسك ويحرص عليها ، لما لها من فضل ومكانة عند الخالق ﷻ ، فأخوة الدين أثبت من أخوة النسب ؛ لأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب . والآية تؤكد ذلك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخُوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (المحمرات آية ١٠) ، هذه الأخوة الإيمانية استطاع للنهج الرباني أن يقرب بين النفوس ، ويوئف بين القلوب ، وهذا ما أذهل العالم حين فوجئ بهذه الأمة الواحدة والتي تجتمع من أحلاط من الناس^(٢) ، كانوا أعداء وبعد الإسلام أصبحوا إخوة يسعون إلى توطيد دعائم المجتمع ، وتقريب وجهات النظر بين التخصصين ، وأرشدتهم التربية النبوية إلى الطريقة المثلى لعمل الخير والصلح بين الناس . قال النبي ﷺ : « تَمَسَّ الْكَذَّابُ الَّذِي يَصْلُحُ بَيْنَ النَّاسِ قَيْشِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا »^(٣) . وهؤلاء هم الذين يسعون بالخير على خلاف الذين يفرقون بين الناس ويوغرون الصدور ، ويوقعون الفتنة بين الناس ، فلهم عذاب شديد . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَمَّا خَرَجَ بِي مَرْزُتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَهْلٌ مِنْ لَحْصٍ يَحْمُسُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورُهُمْ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحُومَ النَّاسِ وَيَقْتَعُونَ فِي أَغْرَاجِهِمْ »^(٤) . إن هذه العقوبة للمهلكة ينالها الذين يهتكون أعراض الناس . وهذا الفعل للشين يجمع الشر كله ، وملئى القساذ ، ومصدر الإفساد ، وباب واسع للشيطان ، وهو يجمع الظن والجهل في صورة مفزعة بشعة^(٥) .

ولكل صفة من صفات الشقاق والمنفاق صفة تقابلها من الصلح والوفاء ، تزيد في العلاقات بين أفراد المجتمع ، وتقوي الروابط . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « السَّامِعِي عَلَى الْإِزْمَلَةِ وَالْمُسْتَكِينِ كَأَلْمُجَاعِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ الْقَائِمِ الْبَيْتِ الصَّالِمِ الْبَهَّارِ »^(٦) . السامعي هو الذي يذهب

(١) أبو داود / سليمان بن الأصبغ ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب البيوع ، ص ٢٨٨ ، ر : ٣٤٢٧ .

(٢) يوسف / محمد عبد الله ، موج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ، ١٤٢٤ هـ ، طر السلام : القاهرة ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٣) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الصلح ، ص ١٩ ، ر : ٣ .

(٤) أبو داود / سليمان بن الأصبغ ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأكل ، ص ٢٦٩ ، ر : ٤٨٧٨ .

(٥) الشوي / عدنان علي ، الاختلاف بين الوفاق والشقاق ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

(٦) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الطهارة ، ص ١١١ ، ر : ٨٨ .

ونهيء في قضاء المصالح . فالأرملة مات عنها زوجها الذي كان يرعاها ويتفق عليها ،
وللسكين الذي أسكنه الحاجة وعجز عن تحصيلها . وقد شبه ﷺ الذي يقوم بخدمة
بالمصالح القائم وبالمجاهد في سبيل الله الذي يخدم دينه بنفسه وماله وعلمه ، وليس له جزاء
إلا الجنة . وكذلك يكون جزاء الساعي على الأرملة والسكين . فهو يكف ويتعب ويجاهد ،
ليكفي تلك الأرملة حاجاتها ويخفف عنها من ألم اللصية ، ويكف بدعا عن ولد ، ويصون
وجهها عن العرض ، وكذلك مساعدة للسكين الذي لا حيلة له في الكسب ، يرعى
مصالحه ، فيحفظ له حلق العفاف ، ويصون كرامته^(١) . وفي هذه المساعدة مشقة وجهد على
النفس ؛ لذا أُعْلِي شأها الإسلام باعتباره دين الحياة ، وشرعته شريعة الزمان كله ،
والأجيال جميعها ، ومن سماته الإحاطة ، والاستيعاب ، والشمول لحياة الناس وما تنج عنها
من مشكلات وقضايا شاردة وواردة ، صغيرة وكبيرة . فهو نظام شامل لكافة شؤون الحياة ،
وسلوك الإنسان^(٢) . وهذا الوصف للإسلام وصف حقيقي ثابت ، يُحقق التوازن الذي
يصلح أحوال عامة الناس .

فالفضائل الإسلامية لا تقتصر على الأهل والأقارب ، بل تشمل المجتمع المسلم عامة .
فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ : لَمَّا جَاءَ نَعْمَى جَنْظَرٌ قَالَ الشَّيْءُ ﷺ : « اسْتَعُوا لِأَهْلِي جَنْظَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ
قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْتَلُونَهُمْ »^(٣) . ما أسوج المجتمع اليوم إلى تأصيل تربيتهم النبوية والرجوع عن
للمظاهر الدارحة التي تزيد من معاناة للصاب بدلاً من التخفيف عنه . فالقلوب قست حتى
أصبحت كالخجارة بل أشد قسوة ، وماهو كائن اليوم - من أفعال العباد ، وقلة للطرف في
البلاد - ، إلا لأن الناس لم يدوا في تعامل تربيتهم النبوية ، فكانت النتيجة البعد الإيماني ،
الذي أوجد الفرق والتباعد الروحي والنفسي ، وضاعت الحقوق . رغم أن التربية النبوية
التي هي عنوان التكافل وجمع الشمل فيها كل خير للعباد قاطبة . وتأكيدها للحفاظ عليها ،
وحق لا تلهي المصالح الخاصة عن ضياع حقوق المحتاجين ، وضع المربي الأول ﷺ جوائز

(١) البخاري / محمد عبد العزيز ، الأدب النبوي ، ٥ ، ٢ ، الملكية التجارية الكبرى : مصر ، ص ١١٧ .

(٢) السابح / أحمد عبد الرحيم ، معالم العلاقات الإنسانية في الإسلام ، ١٤٢٣هـ - السنة ٢٠ ، ج ٢ ، ١٩٨٨ ، دوسرة
الحق ، رابطته العالم الإسلامي : مكة المكرمة ، ص ٧٩ .

(٣) الترمذي / محمد بن أبي حنيفة ، سنن الترمذي ، مرفوع سابق ، ج ٢ ، كتاب الجواز ، ص ٢٠٢ ، ١٠٠٠ .

قيمة عظيمة تفوق جوائز الدنيا ، بل لا تقارن بها ، حيث قَالَ ﷺ : « أَلَا وَكَفَّيْلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا - وَقَالَ يَصْغُرُهُ السَّيَّةُ وَالْوَسْطَى - »^(١) . إن الأيتام أكثر المحتاجين في المجتمع ، فليس لهم عائل بعد الله إلا أفراد المجتمع . فهم أول الناس برعاية الجماعة وحمايتها ورعايتها لنفسهم والحفاظ على أموالهم . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالنَّهْيِ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (الأعام آية ١٥٢) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء آية ١٠) .

إن الجماعة المسلمة مكنته بأن تراعي مصالح الضعفاء والأرامل والساكنين واليتامى . وهذا الشكامل الاجتماعي قاعدة أساسية في المجتمع الإسلامي ، ويهتم بإدخال السرور إلى قلوب الضعفاء واليتامى ، ومواسلهم ورفع روحهم للعبودية ، وبث روح الإخاء بين أفراد المجتمع .

وحدير بكل مؤمن أن يتفجع بالثبوة النبوية ، متعباً ما فيها من توجيهات وإرشادات بكل للقياس الإيمانية التي وقفت عليها ، وتظهر أسباب الترابط والتراحم بين المسلمين حتى يكونوا قوة لا يستهان بهم ، أمة واحدة قوية . وهذا لن يتحقق إلا بالتعاون والاعتصام^(٢) ، والاحترام المتبادل . قَالَ ﷺ : « يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ ، وَالْكَبِيرُ عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْقَاعِدُ عَلَى الْكَبِيرِ »^(٣) . يتضمن الحديث آداب التحية الإسلامية ، التي تميزها أبناء الإسلام دون سواهم ، وهذه الآداب السامية لها من الآثار الثبوتية العظيمة والفاعلة في مدحور محبة ولودة والإخاء بين أفراد المجتمع المسلم ، والثرية النبوية حرصت على التمسك بها والالتزام بأدائها لما لها من نتائج عظيمة ، وممار طيبة في بناء المجتمع المسلم ، لذلك أمر المرابي الأول ﷺ بإشاعتها في المجتمع^(٤) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُلَومُوا ، وَلَا تُلَومُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَلَا أَدْلِكُكُمْ عَلَى أُخْرٍ إِذَا فَعَلْتُمْوه تَحَابَبْتُمْ : أَقْسُوا السَّخَامَ بَيْنَكُمْ »^(٥) .

(١) البخاري / محمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ١٥٠ ، ر : ٣٤ .

(٢) العيني / عبد الله ، من وصايا الرسول ﷺ ، ج ١٨ ، ١٤٠٠هـ ، دار الفرات العربي : القاهرة ، ص ٤٩٣ .

(٣) البخاري / محمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الامتنان ، ص ٩٤ ، ر : ٥٠ .

(٤) أبو هريرة / صالح ، دروس ثبوتية نبوية ، ١٤١٣هـ ، السنة ١١ ، ع : ١٦٦ ، دعوة الحق ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ص ١٧ .

(٥) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٣٥٠ ، ر : ٥١٩٣ .

يتضمن الحديث مفتاح الوصول إلى القلوب وهو غية الإسلام التي تغرس الغيبة وتزيل ما
تعلق بالنفس من نزوات شيطانية . ولهذا التحية أبعاد تربوية عميقة الأثر في النفس منذ
بدايتها ، حيث ينت التربة النبوية من يجب عليه البدء بالسلام ، فالصغير يسلم على الكبير
لما لذلك من احترام وتقدير للكبير ، ويسلم للراكب لأن الراكب ربما رأى في
ركوبه علواً وفضلاً على أخيه للناشي ، كما أنه يركبه مرتاحاً جسدياً ونفسياً ، بخلاف
الناشي الذي قد يكون متعباً ، فالراكب وضعه يسمح له ويؤهله للبدء بالتحية ، وأما سلام
التقليل على الكثير مخافة أن يداخل التقليل شيء من الكبر والرهو والخيلاء لسلام الكثير عليهم ،
وهذا أدب تربوي وتوجيه نبوي يشير إلى التفضيلة الجماعية ، وهذا الترتيب على وجه
الأولوية والأفضلية التي تدعو إليها التربية النبوية حرصاً على نشر الغيبة والألفة بين
المسلمين^(١) . ولا مانع من أن يبدأ بهم بالسلام . والبدء بالسلام سنة ، والرد عليه واجب .
قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُبِبْتُمْ فَحَبِّبُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
حَكِيمًا ﴾ (النساء آية ٨٦) . وهذه الآداب التربوية تلبذ النفوس وتهدئها إلى الخير ، وتسحق
داء الكبر والتعالي والإعجاب بالذات . وهي مخالفة لتعاليم التهج الرباني ، الذي يأمر
بالتواضع ولين الجانب . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَضَّعُوا ، حَتَّى لَا يَتَبَيَّنَ
أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَقْبَهَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ »^(٢) . وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : رَأَى سَعْدٌ ﷺ أَنَّ لَهُ
فَضْلًا عَلَى مَنْ دَوْلَهُ ، فَقَالَ الشَّيْءُ ﷺ : « هَلْ لَتَضَرَّوْنَ وَلَوْ زَفَوْنَ إِنَّا بِمُضَعَبِكُمْ »^(٣) ؟ . يتضمن
الحديث ترويض الإنسان للتعامل بالحسنة مع من هم دونه ، وهذه سمة مهمة في السلم ،
لأن التواضع يكسب صاحبه احترام الناس ومحبتهم ، وهو خلق يحبه الله ورسوله ﷺ ، وجاء
الأمر بالتواضع في القرآن الكريم خير البشرية عامة ، قال تعالى : ﴿ وَأَخْلَفْنِي هَبْأَنْتَ
بِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر آية ٨٨) ، والله ﷻ يحب للتواضعين ويفي بحبته عن التكرين ، قال تعالى :
﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ لَهُمْ لِأَخِيٍّ مِنْ صَلَافٍ مِّنْ صَلَافٍ فَخُورًا ﴾ (النساء آية ٣٦) ، كما أن مصير التكرين النار ، قال

(١) أبو حمزة أفراسيوس تربوية ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٢) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٧٤ ، ر : ٤٨٩٥ .

(٣) البخاري / محمد بن أحمد ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الجهاد ، ص ١٠٤ ، ر : ١٠٨٠ .

تعالى : ﴿ فَاذْهَبُوا أَيُّهَا أَنْبِيَا جِهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلْيُسْمِعْ مَنَؤَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الحل آة ٢٩) .
 وذكرت التربية النبوية كثيراً من الأحاديث التي تأمر بالتواضع وثمقت التكرار وأهله - وقد سبق ذكرها في مواضع سابقة - . فإذا تكرر الناس بعضهم على بعض ضاع الحق وأعقب ذلك البغي والعندوان ، وقُعد الأمن في المجتمع . وللتكرار يضاهي الحق وينأى عنه عن قبوله ، ويحاول تثبيت الباطل . وما حدث للأمم السابقة من عقوبة إلا نتيجة التكرار وعدم قبول الحق والاعتراف بالرسول . أما التواضع فيه تأتلف القلوب ويحب الناس بعضهم بعضاً .

والتربية النبوية ترغب في كل عمل يطلب الألفة والمحبة ويدخل الفرح إلى النفوس ، حتى وإن كان عملاً يسيراً . فهو يحتر من المعروف ، وكل معروف صدقة . فقن أبي ذر قال : قَالَ لِي الشَّيْخُ ۞ : « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَلَوْ أَنَّ لَفَقِي أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ »^(١) . إن الوجه العيوس لا يالف الناس صاحبه ولا يقولون عليه ، ولو كان ذا خلق حسن في أمور أخرى ؛ لأن النفوس تشتمر من عيوس الوجه ، وقد بُتهم صاحبه بأنه متكبر وسيء الخلق . وفي الغالب أن الذي يكون طلق الوجه ، طيب الكلام ، يكون حسن الخلق وحسن للعامة مع الناس .

وهذه الصفات جميعها الصنف بها للربي الأول ۞ ، فقد كان يعطي لكل فرد في المجتمع حقه حتى ولو كان صغيراً . كما ورد في الحديث الذي رواه سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ ۞ قَالَ : (أَمَّا الشَّيْخُ ۞ بِفَدْحٍ فَضَرَبَ مِثْلَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ عَلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالْأَشْيَاحُ عَنْ يَسَارِهِ ، فَقَالَ : « يَا عَلَامُ ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَهْطِيَ الْكَأَشَاحَ » ؟ قَالَ : مَا كُنْتُ لَوْفِي يَفْضُلِي مِنْكَ أَخَذًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَلْقَاهُ إِفَاءً)^(٢) . في الحديث مضامين تربية عظيمة ، فقايد الأمة وعبر البشرية ، يستأذن الصغير ويستسمحه أن يرخص له ليعطي الشيوخ ، ولو أعطى للربي الشيوخ قبل الغلام قلن يعارضه أحد ، ولكن التواضع وإن الخائب ، وتقديم الحقوق جعله يستأذنه ، وفي هذا موقف تربوي ومؤشر على كيفية التعامل مع الصغار واحترامهم وعدم ضياع حقوقهم بحجة صغر سنهم . وهذه الصفة الخلقية صفة التواضع التي تمد جسور اللودة والمحبة بين الرئيس وللرؤوس . وتنفيذ طلب الغلام يؤكد الأثر التربوي الذي يعطي الحرية للصغير في أن يعر

(١) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، ص ١٦٠٧ ، ر ١٦٦٦ .

(٢) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب المسالك ، ص ٢٢١ ، ر ١٠ .

عن رأيه ، وأن يؤخذ به إذا كان على حق . وهو مبدأ تربوي يؤثر في كل من له قلب إنساني ويعمل في مجال التربية ، التي أصبحت تميل للسيطرة والعنف وهضم الحقوق ، وإلغاء الرأي للكبار قبل الصغار ، وكان الإنسان آلة تدار كيفما أرادها صانعوها . أين حرية الرأي التي غرسها للصوفي رحمه الله في المجتمع المسلم الذي ساد العالم بأسره . بل وهزم القرس والروم ، ووصلت حضارته أوربا فانبهر بها المجتمع الأوربي . أين تربية اليوم في المجتمع المسلم من تربية الأُمس ؟ . والنتيجة واضحة والفرق شاسع ، والنتائج عظيم . ولئن يعود للأمة الإسلامية مجدها وعزها التي فقدته إلا باتباع التربية النبوية التي أوضحت الحقوق لكل فرد ، وبينت لكل فرد ما عليه تجاه إخوانه المسلمين . فكل ما جاء في التربية النبوية من أوامر وتوجيهات فهي تقدم مصالح الفرد ، وتحمي المجتمع من التصدع وتقوي تماسكه . فسلامة الفرد من سلامة المجتمع .

* والمسلمون لو تمسكوا بهذه الآداب الإسلامية لأزالوا بها الوحشة والنفرة وخوف بعضهم من بعض ، ولا يلزم من البشاشة والانبساط والكلمة الطيبة ترك الحق والمداينة فيه ، بل يمكن أخذ الحق مع ذلك ^(١) .

وعناية التربية النبوية ببناء المجتمع المسلم بناء قوياً تبتدئ ببناء الأسرة المسلمة ، وهي اللبنة الأولى في هذا البناء الشامخ . والأحاديث التي وردت في هذا الجانب كثيرة ومتعددة ، وبإساحة تقتصر على بعضها ؛ لأنه سبق ذكر بعضها في مواضع أخرى ، ولا داعي للتكرار .

٢- العلاقات الأسرية :

الأسرة من أهم وأقدم المؤسسات الاجتماعية التربوية باعتبار أن كل عضو فيها له مركز ودور في الحياة ، وموجودة في كل المجتمعات الإنسانية ولا غنى عنها في أي مجتمع . و* هي مدرسة الفرد الأولى التي يتلقى فيها مبادئ التربية الاجتماعية ، والسلوك وآداب المحافظة على الحقوق والقيام بالواجبات ، فضلاً عن أن ما لها من عادات وتقاليد تربط أفراد الأسرة بعضهم ببعض ، ثم تربطهم بالمجتمع الذي يعيشون فيه ^(٢) ؛ لأن من أهم وسائل

(١) قلنري / عبد الله ، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع ، مرجع سابق ، ص ٢٣٢ .

(٢) وشوان / حسن عبد الحميد ، التربية والمجتمع ، ١٩٦٢ هـ ، المكتب العربي الحديث : الإسكندرية - ص ١٨٠ .

إصلاح المجتمع ، إصلاح الفرد والأسرة ، فهما القاعدة الأساسية في بناء المجتمع ، وبإصلاحهما يصلح المجتمع ، لأنه مكون من مجموعة من الأسر . فهي الحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها ، وفي ظله تنلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل . والإنسان هو أطول للحلوقات طولاً ، لذلك تعتبر مرحلة الطفولة هي فترة إعداد وقبول^(١) ، لذا فهي أحط وحدة اجتماعية في بناء الأمة ، وأهم لبنة في بناء المجتمع للنسب . وأدرك للري الأول ﷺ هذا الأمر فكان يعطف على أحفادهم ويحبهم ويضمهم أمام الناس ويلعب معهم . فعن أبي هريرة أن الأنور بن حابس أنصت النبي ﷺ وهو يقول حديثاً فقال : إن لي عشرة من الولد ، ما جعلت هذا بواحد منهم ، فقال رسول الله ﷺ : « من لا يؤخّم لا يؤخّم »^(٢) . هكذا يرى الطفل على الرحمة ، وينشع بها في الصغر ليعطيها في الكبر عندما يكون والداً أو مربية . والتعامل بالعطف والحب لها تأثيرهما للمستقبلي على الأبناء . فالتربية في مشاعر الأطفال وعدم إشباعها قد يتبع عنه اضطراب العلاقة وبعد المسافة بين الآباء والأبناء ، رغم القرب المكاني ، وليس كل فرد يستطيع أن يتعامل بهذه التعاملات ، فهي لا تصدر إلا ممن لديهم القدرة على فهم مشاعر الآخرين والشعور بهم . لذلك كان للري الأول ﷺ كثيراً ما بحث على ذلك قولاً وفعلًا ، ويحتضن الأطفال ويدعو لهم . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يأخذني فيعطيني على فخذيه ، ويقعد الحسن ابن عليّ على فخذيه الآخر ، ثم يضمهما ، ثم يقول : « اللهم ارحمهما فإني ارحمهما »^(٣) . في الحديث قدوة للوالدين ، لتحسين تعاملهما مع أطفالهم ، حتى تسير انفعالات الطفل مسيراً هادئاً متزاناً ويتحقق له الاستقرار النفسي ، وذلك بتوفيق جو هادئ ، ليس فيه اضطراب ولا حرمان ، لأن العقاب إذا كان مستمراً وبصورة دائمة لا يجدي ، ويؤثر سلباً على الجانب النفسي والعقلي والصحي للطفل . وبذلك يكون أسلوب العقاب غير المقادف يهدم شخصية الطفل . * كما يخسر المجتمع الإسلامي شخصية إسلامية ، كان من الممكن أن تكون عضواً نافعاً من أعضاء الأمة الإسلامية ، لو وجهت الوجهة الصحيحة^(٤) . فلو كان العقاب يجدي

(١) قاري / عبد الله أحمد ، أثر التربية الإسلامية في لمن المجتمع الإسلامي ، ١٤٠٩هـ ، دار الفقه احناف ، ص ١٠٣ .

(٢) أبو داود / سليمان بن الأصبغ ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الآداب ، ص ٣٥٥ ، ر : ٥٢١٨ .

(٣) البحاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الآداب ، ص ١٤ ، ر : ٣٢ .

(٤) لبلال / عائشة عبد الرحمن ، الفوارق السلبية في تربية الطفل للنسب وطرق علاجها ، ١٤١٧هـ ، مجلة ، ص ١٨٢ .

لاتبعه مربي الأمة وموجهها ومهادنها إلى ما فيه صلاحها وخيرها ، فأسلوبه التربوي خاصة مع الأطفال يتميز بالعطف والحنان والحب والشفقة ؛ لأنهم في حاجة إلى هذا النوع من التعامل فهم رجال المستقبل .

لذا على الوالدين أن يكونا على فهم تام بحقيقة دورهما ، وضخامة مسؤوليتهما تجاه أولادهما ، فليورهما لا يقتصر على توفير الغذاء واللباس والعناية الجسمية والعقلية فقط ، بل الجانب النفسي جزء من المسؤولية .

فالأطفال نعمة عظيمة للوالدين وزينة لحما في الحياة الدنيا ، يدخل وجودهما البهجة والسرور على حياة الوالدين . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَلِدْكُمْ وَهَذَا آخِرُ نَسَبِكُمْ إِلَى اللَّهِ وَكُنْتُمْ عَلَى آثَارِهِ مَدْفُونِينَ ﴾ (الكهف آية ٤٦) ، وفي نفس الوقت امتحان من الله للوالدين . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التغابن آية ١٥) .

فإن أحسن الوالدين تربية أولادهما حصلوا على سعادة الدنيا والآخرة ، واستأثروا بالامتحان بنجاح بإذن الله . وإن أهملوا هذه التربية كان لحما سوء العاقبة في الدنيا والآخرة . ففي الدنيا يتسيران أولادهما ، حيث ينشأ أولئك الأولاد نشأة غير صالحة ، فيكونون عناصر هدامة في المجتمع ، ضرمهم أكثر من نفعهم ، يسبقون إلى والديهم بالعقوق والعصيان والتمرد ، لأنهم لا يعرفون طريق العطف والحنان في طفولتهم ، فكانت القسوة طابعهم . ولما سوء العاقبة في الآخرة ، فهو محاسبة الله على التفريط ، وإضاعة المسؤولية^(١) ؛ لقوله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ... »^(٢) .

وكما تضمنت التوجيهات النبوية توصية الآباء بالأبناء ألزمت الأبناء بر والديهم ، حين إنه قدم على الجهاد في سبيل الله . عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه يَقُولُ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فِي الْجِهَادِ ، فَقَالَ : « أَخِي وَالْبَنَاءُ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « فَيُحِبُّمَا لِيُجَاهِدَ »^(٣) . لا يخفى على المرء ما يتحمله الوالدان من مشقة وعناء من أجل مصلحة الأولاد وسعادتهم ،

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) البخاري أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الجهاد ، ص ١٤٢ ، و : ٢٠٨ .

البينة الجنسية ، مغلوطة على أمرها في كثير من الأمور ، لا تستطيع أن تأخذ حقوقها بالقوة مثل الرجل . فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : دَخَلْتُ هَذِهِ بَيْتًا غَلِيَّةَ امْرَأَةٍ أَبِي سَلَمَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أَبِي سَلَمَانَ رَجُلٌ ضَعِيفٌ ، لَا يُعْطِينِي مِنَ الثَّقَةِ مَا يَكْفِيَنِي وَيَكْفِي بَنِي ، إِنْ مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بَغِيرَ عَلَيْهِ ، قِيلَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جَنَاحٍ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكَ وَيَكْفِي بَنِيكَ »^(١) . يتضمن الحديث أن الثقة مقدرة بالكفاية ، ويقاس عليه أن من له على غيره حق وهو عاجز عن استيفائه يجوز له أن يأخذ من ماله قدر حقه بغير إذن^(٢) . وقد سمح لما للري الأول ﷺ أخذ الكفاية من غير إصراف ، فتأخذ على قدر حاجتها وحاجة أولادها . وحتى لا يتشاحرا من أجل الثقة ، أو يدفعها العوز لحاجة الناس . وهذا علاج أسري يؤخذ به عند الضرورة ، منعاً للخلاف بين الزوجين ، وتوثيقاً لمصالح العلاقة بينهما . هكذا وضع للنهج النبوي سياحاً قانونياً للحفاظ على الكيان الأسري .

وفي حالة عجز الرجل عن الثقة فإن النهج النبوي وضع حواجز للمرأة التي تستطيع أن تنفق على أمرها وتكمل قصور زوجها في الثقة . فعَنْ زَيْنَبِ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ : كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَوَلَّيْتُ الشَّيْءَ ﷺ فَقَالَ : « تَصَدَّقِي وَلَوْ مِنْ خَلْقِكُنْ » ، وَكَانَتْ زَيْنَبُ تَنفِقُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَتَمَّ فِي حَبْرِهِ ، فَقَالَتْ : لَعَدَّ اللَّهُ : سَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي خَجَرِي عَلَيَّ أَنْ أَلْفَقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَتَمَّ فِي حَبْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ ؟ فَقَالَ : سَلِّي أَلَيْتِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَانطَلَقْتُ إِلَى الشَّيْءِ ﷺ ، فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَصَابِ عَلَى الْبَابِ ، حَاجَتُهَا مِنْ حَاجَتِي ، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ فَقُلْنَا : سَلِّي الشَّيْءَ ﷺ : أَنِّي خَجَرِي عَلَيَّ أَنْ أَلْفَقَ عَلَى زَوْجِي وَأَتَمَّ لِي فِي حَبْرِي ؟ وَقُلْنَا : لَا تُخْبِرُنَا ، فَدَخَلَ فَسَأَلَ فَقَالَ : « مِنْ هُمَا ؟ » قَالَ : زَيْنَبُ ، قَالَ : « أَيُّ الْمَرْأَتَيْنِ ؟ » قَالَ : امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : « لَعَنَهُمَا ، لَهَا أَجْرَانِ : أَجْرُ الْفَرَقَةِ ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ »^(٣) .

يتوافق الحديث مع ظروف الواقع للعاش الذي أصبح يستهلك فيه كثير من الأموال من أجل توفير سبل الراحة للعيشة وكثير من النساء العاملات دخلن أكثر من أزواجهن - فالحديث عورة وعظة لمن - وعليهن أن لا يحرم أنفسهن من الأجر للضعاف الذي حلت عليه شريعة

(١) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الأفضية ، ص ١٠٧٩ ، ر : ١٧١٤ .

(٢) النووي / أبي بن حنيفة صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأفضية ، ص ٣٧٢ ، ر : ١٧١٤ .

(٣) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الزكاة ، ص ٢٤٤ ، ر : ٦٨ .

النسوبة ، إذا أخذنا الأمر كواجب فلن يكون منازعة بين الزوجين .

إن السياق السابق يتضمن الطرق المختلفة لتنظيم الحياة الأسرية ، والعلاقات بين أفرادها ، وكذلك تنظيم علاقات الحوار الاجتماعية .

٢- علاقة الجوار :

اعتمد المنهج النبوي بالجار اعتماداً بالغاً ، وجعل حسن العلاقة به من صدق الإيمان بالله تعالى . والجار أمر طبيعي لا غنى عنه لأحد من الناس ، كما أن كثيراً من الناس يشعر بأن قسماً كبيراً من سعادته ، وسعادة أهله وأولاده مرتبط بجاره ، فإن كان معهم متعاوناً ، متبادلاً المحبة والاحترام ، كان مستريحاً آمناً مطمئناً ، وإن كان معهم في خصام وشجار وغشاد وتباغض وتقاطع وتدابير كان متعباً مضطرباً مشغولاً بالولاء للمشاكل ، وفنون الكيد التي تصرفه عن عمله^(١) ، لأن التسلم يلتقي بجاره أكثر من أقاربه ، عارفاً لأوضاعه ، لذا يجب أن يحسن كل منهما للآخر ، ويحافظا على المودة . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَرُوهُ »^(٢) . وكان حرص الصحابة على المحافظة على الحوار والتمسك بالثبوت النبوي أنهم يحسنون معاملة الجار حتى ولو كان غير مسلم . فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّهُ ذُبِحَ شاةٌ فَقَالَ : أَهْلَيْتُمْ لِجَارِي الْيَهُودِي ، فَبَالِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَرُوهُ »^(٣) . وَقَالَ ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُلَاحِظْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ يَتَحَصَّنْ »^(٤) . كل هذه الأحاديث تتضمن الوصية بالجار واحترام حقوقه ، وهذه الحقوق تختلف حسب معايير معينة . فجار له حق واحد وهو جار مشترك لا رحم له ، فله حق الجوار ، وأما الذي له حقان : فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذي له ثلاثة حقوق : فجار مسلم ذو رحم ، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم^(٥) .

(١) يوسف / محمد السيد ، منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ، ط ٢ ، ١٤٢٢ هـ ، دار السلام : القاهرة ، ص ٢١٥ .

(٢) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الوصايا ، ص ١٦٠٧ ، ر : ٢٦٢٥ .

(٣) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٣٣٨ ، ر : ٥١٥٢ .

(٤) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٣٣٩ ، ر : ٥١٥٤ .

(٥) ابن كثير / أبو شعيبه إسحاق ، تفسير القرآن الكريم العظيم ، ج ١ ، ١٤١٩ هـ ، مرجع سابق ، ص ٤٣٨ .

قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ فِي الْحُكْمِ وَأَلْفَاظَ الْغُرُفِ وَالْأَمْرِ وَالْمَنْعِ وَالْخَبَرِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَنبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ۚ فَخُورًا ۝ (البقرة آية ١٧٧) ، الآية تتضمن من يجب الإحسان إليهم ومن ضمنهم الجار ، وقد تكرر ذكره مرتين : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ۝ ، وللقصود بالجار ذي القرى : أي الذي بينك وبينه قرابة ، وقيل : الجار للمسلم . والجار الجنب الذي ليس بينك وبينه قرابة . وقيل اليهودي والنصراني^(١) .

وما سبق يتضح أنه كلما كان الجار أقرب كان الإحسان إليه أولى . ويؤكد ذلك ردة القرى الأولى ﷺ على سؤال عائشة . فعن عائشة قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ لِي جَارَيْنِ فَأَيُّهُمَا أَقْدِي ؟ قَالَ : « إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا »^(٢) . يتضمن الحديث مبدأ تربويًا عاديًا ما أوجع للمسلمين إليه في واقعهم المعاصر ، إن الخير الصالحة عون بعد الله تعالى على نواب الدهر ، وعامل مهم من عوامل صلاح الولد واستقامته ، لاسيما إن وفق للمسلم إلى حار صالح مصلح ، ينسج بالحكمة ويعي حقوق الجيرة ، ويقوم بها خير قيام . وهذه الحقوق المتبادلة بين الجيران لها أثرها في علاقتهم^(٣) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ ، وَخَيْرُ الْأَجْرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمَا لِمَا بَيْنَهُمَا »^(٤) . إن المسلم يتسابق ليكون هو الأفضل عند الله ، وقد مهدت القرية النبوية الطريق الذي يوصل إلى الأفضلية عند الله ، ما على المسلم إلا أن يسعى إلى الإحسان إلى جاره على قدر طاقته ومقدرته ، لأن العلاقات الاجتماعية بين بني البشر متشابكة ، لحاجة بعضهم إلى بعض ، وأقرب ما يكون للإنسان هو جاره ، وهو أكثر صلة به ، لذلك أكد الرسول ﷺ على حسن الجوار .

ولا يحتقر الجار جاره أو يقلل من شأنه ، كما أنه لا يحتقر القليل من الإحسان بسببه

(١) ابن كثير / تفسير القرآن الكريم العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٣٧ .

(٢) البخاري / محمد وإسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ١٩٠ ، ر ٥٠١ .

(٣) آل نوب / عبد الرب نواب الدين ، مسؤولية الآباء تجاه الأولاد ، ١٤٢٣هـ — وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف : الرياض ، ص ٣٨ .

(٤) الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب البر والصلة ، ص ٣٧٩ ، ر ١٩٥١ .

إليه . وقد نهى للمري الأول ﷺ النساء لذلك ؛ لأنهن أكثر علاقة ومعرفة بجاراتها وأحوالها ، على خلاف الرجل الذي يرى جارة خارج المنزل فقط ؛ فالنساء يعرفن أسرار حاراتهن واحتياجهن . لذلك وجه ﷺ نداءه إليهن بقوله ﷺ : « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ ، لَا تَحْقِرْنَ جَارَةً لِحُجْرَتِهَا وَتَوَلَّوْا فَرَسَيْنِ شَاةٍ »^(١) . إن الحديث فيه قيمة تربوية عظيمة ، فالقليل عند كثير من الناس قد يكون كثيراً عند غيرهم ؛ فالعطاء والمدايا لا تكون بكثرة ، وقد يعود هذا القليل بالخير للظرفين ؛ لأن العطاء يولد الشمية ، ويدخل السرور ، ويلعب الضغائن . إضافة إلى الأجر والثوبة من الله . " فالإسلام إذا تمكن من قلب صاحبه ، جعله كريماً سخياً معطاءً ، يجود بالنفس ، يحب الإيثار ويمقت الأثرة ، ويحب الخير للناس كافة . فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ فَقَالَ : « لَطْعِمُ الطَّعَامِ ، وَاقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَتَقَنَ لِمَنْ تَعْرِفُ »^(٢) . الحديث يتضمن أن المجتمع الإسلامي يشمل الكيان البشري لأفراده . وهاتان الخصلتان هما دور فعال في تواصل عرى الألفة في النفوس ، فالخصلة الأولى اشتملت على جلب الخير ، وتقاسم للعيشة ، وهذا يجعل المسلمين في ترابط مستمر ، وود متصل ، وكل منهم يحب أن يطعم غيره من طعامه . والخصلة الثانية السلام على الجميع بدون تخصيص ، لأن ذلك يزيد الصلة بين المتعارفين ، ويوجب الصلة والوودة بين الشاكرين . وكلمة السلام هي سلام للفرق والمجتمع وسلام وأمان . والسلام في الإسلام ملازم لقبول الإنسان الدخول في الإسلام ؛ لأن إسلامه معناه خضوعه واستسلامه لشرعية الإسلام . حينئذ إن للسلم عندما يخرج من صلاته بقول : السلام عليكم مرتين عن اليمين وعن الشمال ، وقرآن الكريم نزل في ليلة وصُلبت بأنها ليلة (سلام حين مطلع الفجر) وكل هذه الدلائل وغيرها هي إشارات بأن شريعة الإسلام هي شريعة ملازمة للسلام ، وبدأ من ليلة كلها سلام . والسلام نسبة إلى اسم الله ﷻ فهو السلام . ودعوة الإسلام هي دعوة إلى السلام^(٣) .

وأكثر من يحتاج إلى السلام والأمان هو الجار ، وقد اعتمد به الإسلام وجعل له مراتب بعضها أعلى من بعض . والإحسان يتبع هذه المراتب ، فالسلم القريب العابد أولى من لا

(١) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب النية ، ص ٣٠٤ ، ر ١٠١ .

(٢) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ١٦ ، ر ١١٠ .

(٣) فريق من كبار علماء المشكاة / ندوة علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة ، ص ١١٣ - ١١٥ .

تتوفر فيه هذه الصفات ، والإحسان إلى الجار يكون بتقليل ضرره وإخراجه عن الحاجة ، والوقوف بحوله في الفرح والشدة . ودعوته للولاية بدون تحيز ، يقول أبو هريرة رضي الله عنه : « **شَرُّ الطَّعَامِ عَدَمُ الْوَلِيَّةِ ، يُدْخِلُ لَهَا الْآخِئَةَ ، وَيُفَرِّقُ الْفُقَرَاءَ ، وَمَنْ فَرَكَ الدَّقِيقَةَ فَقَدْ خَسَى الْمَلَّةَ وَرَزْوَلَةَ** » ١١ .

وإن كان الإحسان إلى الجار مطلوباً فدفع الأذى عنه أمر محتم . يقول الغزالي : « ليس حق الجوار كلف الأذى قطع ، بل احتمال الأذى ، ولا يكفي احتمال الأذى ، بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف ، إذ يقال : إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول : يا رب سل هذا لم تعني معرفته وسد به دوبي » ١٢ .

والثرية تنبؤ تربية عالية شاملة عامة ، فكما اهتمت بالجوار أولعت بصلة الرحم والأقارب ، ووضعت لهم حقوقاً وعليهم واجبات ، وأوضحت معايير العلاقات .

٤ - علاقات الأقرب والأرحم :

إن صلة الرحم لا تقل شأنًا عن العلاقات الأسرية ، لذا اهتم الإسلام بتوثيق عُراها وتثبيت بُنيانها ، فحاء الأمر برعاية حقها ، وجعل لها منزلة عظيمة ، فهي تدفع بإذن الله نوائب الدهر ، وترفع بأمر الله عن لمرء البلبا ، وبها يسط له في رزقه ، وتحصل له البركة في عمره . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **مَنْ سَرَفَ أَنْ يَسْتَطِقَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي آتِهِ فَلْيَحْصِلْ رَحْمَةً** » ١٣ . إن واصل رحمه يكسب محبتهم ومودتهم ، وينقي بالصلة عداوتهم التي إذا شغل بها استغفلت كثيراً من وقته . فيتعطل عن ابتغاء الرزق . إضافة إلى ما أعد الله له من خير في الدنيا ، فقد أسخر المصطفى أنه سوف يسط له في رزقه أي التوسعة والامتداد في الرزق ، ويشارك له في عمره ، فالله يأسر الحقيقي للحياة ليس الزمان ، بل الأعمال الصالحة ، وصيت بقية العمر أن لا يتركها تتبعه في الذهاب كما يتبع الأثر صاحبه ، وقيل : المراد بالأثر الذكر الحسن ؛ لأن واصل رحمه يدعوا له الأرحام ويتشون عليه لحسن صنيعة معهم . والقيامة

(١) البخاري / محمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب النكاح ، ص ٤٣ ، ر : ١٠٨ . وهذا القول لم يثبت للنبي ﷺ .

(٢) الغزالي / أبو حامد محمد ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

(٣) البخاري / محمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب النكاح ، ص ١١٩ ، ر : ١٩ .

بواجب القرابة ، ويستمر ذكره والدعاء له حتى بعد مماته ، لما قدمه من حسن صنع لأرحامه . ويكون ذلك بالتراحم بين الأقرباء وصلتهم بالزيارة ومعافاتهم بالنفس والمال^(١).

هذه الحوافر مهيأة لمن يصل رحمه ، أما من قطعهم فقد أعد الله له عقوبة وما أشدها من عقوبة . قَالَ ﷺ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ »^(٢) . إن صلة الرحم من أسباب دخول الجنة في الآخرة . ولا تلق عقوبة قاطع الرحم عند ذلك ، بل إن قاطع الرحم أخرى أن تعزل له العقوبة في الدنيا ، فضلاً عما يدخر له في الآخرة . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْزَلُ أَنْ يُعْجَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، مَعَ مَا يَدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبُغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ »^(٣) . وهذا التأكيد على صلة الرحم يُعْظَمُ وِجْهًا ، وقيليتها معصية كبيرة . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ الرَّحِمَ شَجَلَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ اللَّهُ : مَنْ وَصَلَكَ وَصَلَتْهُ ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعَتْهُ »^(٤) . الشجعة : عروق الشجر المتشبكة . - وقولهم : الحديث ذو شجون ، أي يدخل بعضه في بعض . - وقوله : مِنَ الرَّحْمَنِ : أي أعد اسمها من الرحمن ، والمعنى أنها أثر من آثار الرحمة مشبكة بها^(٥) . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ لِقَوْلِ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَّ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ »^(٦) . بشر المرابي الأول ﷺ أن من يصل رحمه يوصله الله تعالى ، والواصل من الله كتابة عن عظيم إحسانه . وتوعد من قطع رحمه بقطيعه من الله ، أي حرمانه من إحسانه ورحمته .

* ولرحم التي توصل عامة وخاصة ، فالعامة رحم الدين ، وتجب مواسلتها بالتودد والتصالح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة . والخاصة فتزيد للنفقة على الشرب وتنفق أحوالهم وتتغافل عن زلاتهم . وتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك ، فأقرب أولى بالصلة التي تكون بالمال وبالعون على الحاجة ، ويدفع الضر ، وغو ذلك من ضروب الخير^(٧).

(١) الطبري / أحمد عبد العزيز ، الأدب النبوي ، د.ت ، المكتبة الصنوبرية الكبرى ، مكتبة مصر : القاهرة . ص ١١٥ .

(٢) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب القربى والصلوة ، ص ١٥٧٣ ، ر : ٢٥٥٦ .

(٣) أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، ص ٢٧٩ ، ر : ٤١٠٢ .

(٤) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٩ ، ر : ١٧ .

(٥) الصنعاني / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٤١٨ ، ر : ٥٩٨٨ .

(٦) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب القربى والصلوة ، ص ١٥٧٣ ، ر : ٢٥٥٥ .

(٧) الصنعاني / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٤١٨ .

إن صلة الرحم لها يتم بناء الوحدات الاجتماعية الصغيرة ، وتقوي للوادة وتزهد المحبة وتوثق غرى القرابة ، وتذيب العدواة والشحناء ، ويخفف الشقاق والاختلاف بين الأفراد .
ويعم التكافل والتعارف والتواصل بين الأرحام .

وصلة الرحم والإحسان إلى الآخرين طرقها مبسرة وأبوابها متعددة ، ويشمل إيهال ما أمكن من الخير لهم ، ودفع ما أمكن من الشر . وكان للربي الأول ﷺ يوصي أصحابه بالتصدق للأقرب من الأقارب والأرحام . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : (كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ النَّاسِ بِالْمَدِينَةِ مَدًا ، وَكَانَ أَحَبَّ أَقْوَابِهِ إِلَيَّ بَرَّحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةُ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، فَلَمَّا نَزَلْتُ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران آية ٩٢) ، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ نَعَانِي يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، وَإِنْ أَحَبَّ أَقْوَابِي إِلَيَّ بَرَّحَاءَ ، وَإِلَيْهَا صَدَقَةُ اللَّهِ أَرْجُو بَرَّهَا وَذَخَرَهَا عِنْدَ اللَّهِ ، لَأُنْفِقَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى شَبْتُ ، فَقَالَ : « نَعَمْ ، ذَلِكَ مَالٌ رَاحٍ ، ذَلِكَ مَالٌ رَاحٍ ، لَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا وَارَى أَنْ تُجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » ، قَالَ : الْفُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَجَسَّهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقْرَبِهِ وَتَبَّى غَنِيً^(١) .

وبذلك يتماسك المجتمع وتقوى شوكة الأمة على أعدائها . وهذا دليل صريح على وجوب النفقة على الأقرب ، وأن الصدقة على الآخرين أحرها أعظم . والمهدي النبوي كما عزز العطاء والنفقة مع الآخرين والأرحام عزز " خلق الخلم والصر والعفو والسماحة في نفس وحصل الرحم الذي يصل قرابته ، ويقابلونه بالقطعة والجفاء والإساءة ، ورسم صورة محبة للإثم الذي يلحق الجفاء للكرين المعروف للقطعين للأرحام ^(٢) . فعن أبي هريرة : أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ لِي فَرَاةٌ أَصْلُهُمْ يَقْطَعُونِي ، وَأَحْسَنُ إِلَيْهِمْ وَيَسْبُونُ إِلَيَّ ، وَأَحْلُمُ عَلَيْهِمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : « لَنْ تَكُنْتَ كَمَا قُلْتَ ، فَكَلِمًا تُسْفِكُهُمُ الْقَتْلُ ، وَلَا يُزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَمِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ » ^(٣) . يتضمن الحديث أن الصابر له نصر من الله يعينه في

(١) البخاري أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الوكالة ، ص ٢٠٧ ، ر : ١٦٠ .

(٢) المصنف / عبد علي ، شخصية المسلم كما يصرغها الإسلام في الكتاب والسنة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ص ١١٩ .

(٣) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الوكالة ، ص ١٥٧٤ ، ر : ٢٥٥٨ .

عقله النبيل ، أما للتسبون لأرحامهم الشكرون لفضلهم فإنه يلحقهم الإثم جزاء فعلهم ثماد من أحسن إليهم . وهذا الجزاء يجعل الحسن يزيد في إحسانه ؛ لأنه متطلع دوماً إلى مرضاة مدائه . ويطلب للثوبة منه . فلا يئس إن قطعه ، أو يرغب في معاملتهم بالمثل . وهذه هي سمة الواصل ، قال ﷺ : « ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها »^(١).

٥ - علاقات البيع والشراء :

إن البيع : مبادلة المال بالمال ، تملكاً ، وتملكاً . واشتقاقه : من الباع ؛ لأن كل واحد من التبايعين يعد باعه للأخذ والإعطاء . ويحصل أن كل واحد منهما كان يبيع صاحبه ، أي يصلحه عند البيع ؛ ولذلك سمي البيع صفقة . وقيل : هو الإيجاب والقبول إذا تضمن عتيقاً لتتمليك . والبيع جائز بالكتاب والسنة والإجماع^(٢) . قال تعالى : ﴿ وَأَحْلُ إِلَهُ الْبَيْعِ ﴾ (البقرة آية ٢٧٥) ، فليع له عقود وله شروط توضح للعاملات للمادة ، وفيه قواعد جامعة عظيمة للنفعة .

والمرى الأول ﷺ أدرك بشاغب نظرتة الشريعة التي استقلها من تأديب الله إياه ، أن الحياة لا تقار من تبادل البيع والشراء ، و " حاجة الإنسان تتعلق بما في يد صاحبه ، وصاحبه لا يبذل بغير عوض ، فلي شرع البيع وتحويله شرع طريق إلى كل واحد منهما إلى غرضه ودفع حاجته^(٣) ، فوضع آداباً ومعايير للطرفين حتى لا يحدث بينهما تفاض ونزاع وحسد . قَالَ ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا إِذَا مَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى »^(٤) . دعا النبي ﷺ بالرحمة وإسباغ النعمة للرجل للتسامح السهل ، - والسماحة مطلوبة من كل مسلم في سلوكه الذي يقتضي ذلك - ، والتسامح في البيع أي لا يكون شحيحاً بسلعته ؛ مستقصياً في ثمنها ، مغالياً في الربح منها ، بل يكون كريم النفس ، يقبل اليسر من الربح . والسماحة في الشراء : أن يكون سهلاً في كياسة^(٥) ، فلا يلقق في القليل في النفود ، ويقارن السلعة بما عند غيره ،

(١) أبو داود / سليمان بن الأعمش ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الزكاة ، ص ١٣٣ ، ر : ١٦٩٧ .

(٢) ابن قدامة / عبد الله بن أحمد بن الحنف ، تحقيق عبد الله التركي ، وآخر ، ج ٦ ، ١١٦٧ هـ ، دار عالم للكتب : الرياض ، ص ٥ .

(٣) المرجع السابق / ص ٧ .

(٤) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب البيع ، ص ١٢١ ، ر : ٢٨ .

(٥) الخولي / محمد ، الأدب النبوي ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

إذا ناسب البيع اشترى ، وإلا تركه . والحديث يرغب في حسن التعامل ، ومراعاة المصلحة للبائع والمشتري ، ولا يقبل المتبحر الرباني أن يخدع أحد الطرفين الآخر . قَالَ ﷺ : « الْمَخْلُفُ مُنْتَفَقٌ لِسُلْطَةٍ مُنْجَبَةٍ لِلرَّكَّةِ »^(١) . الحديث يتضمن تحذير البائع من الخلف الكاذب ، من أجل أن يصرف بضاعته ويبيعها ، فإن مآل هذا لئال إلى الاضمحلال ، لأنه حتى وإن زاد في المال فإنه لمحق الركعة منه .

ومن الأمور الأخرى التي يتأثر بها البيع الصديق في البيع وعدم كتم العيوب . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « الْيَمَانُ بِالْعِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بَوْرُلَا لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُجِبَتْ رَكْعَتُهُ بَيْعَهُمَا »^(٢) . إن الخلافات في البيوع أمر يحدث بين البائع والمشتري ، حين يكون العقد غير واضح وصريح ، وهذا الاختلاف كثيراً ما يتعدى إلى منازعات حادة قد تؤدي إلى استباحة المظهورات ، خاصة إذا ندم أحد المتعاقدين . ومنعاً من تجاوز أحد الطرفين على الآخر وضع الإسلام حدوداً يعرف كل منهما ما له وما عليه ، ليظل المجتمع على وئام وألفة ، ولا يذهب بينهما الشقاق والفرقة . - ولا داعي من تناول أنواع الخيارات وكيفيةها فهذه مسائل فقهية لا مجال لذكرها - . أما مضمون الحديث فإنه علق ﷺ الخيار على التفريق ، فيحوز لكل من المتبايعين الخيار في فسخ البيع ما دما يمتنعين لم يتفرقا . ودعا ﷺ لهما بالركعة إذا كان البيع واضحاً وصريحاً . أما إذا كان فيه خداع وغش فإنه لمحق ركعته . وهذه الصيغة ليست من صفات المسلمين ، ومن ينصف بها فلا يتسبب إلى الإسلام . نَعْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرْجُلِي بَيْعَ طَعَامًا ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ مَقْشُوقٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ »^(٣) ، لأن الغش نوع من أنواع الخداع والظلم للمشتري قد يوقع عليه الضرر . ومن مضاره : أنه يورث سحق النفس ومقتهم ، والبعد عن الله والبعد عن الناس ، وهو دليل على دناءة النفس وحبها ، أنه دليل نقص الإيمان^(٤) ، ولا يرضاه الإنسان على نفسه ، فكيف يرضاه لغيره ! .

ومسائل البيع متعددة ، وحرصاً من الإسلام على معالجتها ، وسد باب الفتنة والخلاف بين

(١) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب البيوع ، ص ١٢٦ ، ر : ٣٩ .

(٢) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب البيوع ، ص ١٣٥ ، ر : ٦٢ .

(٣) ابن ماجة / أحمد بن زيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب التعليلات ، ص ٢٩١ ، ر : ٢٢٢٤ .

(٤) ابن محمد / نظرة النعم ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٥٠٧٤ .

المسلمين وضع العلاج المناسب الذي يزيل غريزة الطمع والطمع إلى ما عند الآخرين ، وهذه الأمانة تقتضي على مشاعر الأخوة ، وتوفر الصدور ، وتسبب العداء بين أفراد المجتمع ، لذا لم ينهاها الإسلام . قال ﷺ : « لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ آخِيهِ »^(١) . كأن يسمح لنفسه صاحب المال أن يزيد على سلعة سبق أن بيعت بسعر أقل . وهذا البيع لم يحره الشرع الأول ﷺ .

ولأن التربية النبوية تربية علمية شاملة لكل زمان ومكان فهي تضع الحلول والعلاج قبل أن يحدث الشقاق والاختلاف بين أفراد المجتمع . فاهتمت بجميع طبقات المجتمع محافظة على مكانة كل فرد فيها ، فلم تضع حق الخدم والعاملين وللساكين . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَغْطُوا النَّاجِزَ أَجْرَهُ ، قِيلَ أَنْ يَجِبَ عَزْلُهُ »^(٢) . يتضمن الحديث المحافظة على الحقوق من غير تحيز . وفي ذلك تباين مع التربية الوضعية التي تحافظ على مصالح طبقات معينة على حساب أخرى ، مما جعل المجتمع في اضطراب مستمر وعدم توازن ، إلى ما فيه من جرائم وقتل وحقد وبغضاء .

إن مضامين النظرية التربوية تأخذ في اعتبارها الطبيعة الإنسانية وتربية الفرد الذاتية - تربيته من الداخل - ولا تغفل عن البعد الاجتماعي ؛ لأنه البعد الذي يركز عليه ما قبله ، فدراسة الطبيعة الإنسانية وتربية الفرد من أحل المجتمع ومتغيراته وتوجيهه إلى تأصيل تربيته النبوية ، يزيد من تقلبه وتطوره ، ويتشله من الحضارات الوضعية التي تهدف إلى تدمير المجتمع المسلم خوفاً من قيام أمة قوية تسودها كما كان في صدر الإسلام ، ومحافظة على مصالحها المادية ومركزها العالي .

وتوحي المجتمع الصالح يكون في درجة صلاح أفراده ، وإن كثرة الفتن والفساد في العصر الحالي يرجع لسببين :

١/ السبب الرئيسي هو بعد الأفراد عن مبادئهم الصحيحة وقيمهم الإسلامية ، وعجز التربية في المؤسسات التربوية بالقيام بدورها الفعال وقصورها في التوجيه السليم ؛ لأن المؤسسات التربوية في عصر التكنولوجيا والعلم والتطور والملائمة أصبحت تريد أن تصل إلى هذا المستوى ، واهتمت بالجوانب العلمية والحضارية ، وتجاهلت

(١) البخاري / محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب البيوع ، ص ٦٤٤ ، ر : ٨٩ .

(٢) ابن ماجة / محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الزهون ، ص ٣٧ ، ر : ٢٤٤٣ .

التوجيهات الدينية ، والتربية النبوية . فأنشئت النشء علوم الدنيا ، وأخفقت في استعمالهم لتطبيق مبادئ دينهم ، فكانت النتيجة العجز عن تحقيق الأهداف .

٢/ اشغال الوالدين بالعمل وقضاء معظم الوقت بعيداً عن أطفالهم ، يؤدي إلى التقصير في حقوق التوجيه التي هم في أمس الحاجة إليه في هذا الواقع للعاش ، لما فيه من تضاعف الفتن ، وتكالب الأعداء ، وكثرة مناسط الإغواء .

" لقد كانت رسالة النبي الأول ﷺ أول إعلان عالمي لحقوق الإنسان بالعن الصحيح الكامل لهذا المفهوم ، وأعظم حركة لتأكيد كرامته وشخصيته في الحياة ، وإصلاحاً عاماً شمل جميع مبادئ الحياة والمجتمع الإسلامي على الإطلاق " .^(١)

هذه تعاليم للنهج الرباني العالمي ، والتربية النبوية الرفيعة السمحة ، يهتدي بنورها كل من يحمل قلباً واعياً وفكر مستنيراً ، لأن خيرها يعود على من طبق أحكامها ، آخذاً بزمام نفسه الأمارة بالسوء إلى ما فيه صلاحها وتقواها . وهذه الثواب والمقاييس يستطيع للمسلم أن يضع نفسه في المكان الذي يرتضيه له خالقه حتى يكسب الدنيا والآخرة .

دلالات تربوية لمضامين النظرية التربوية في السنة النبوية :

١/ إن الإنسان مخلوق من طين على شكل متميز يدل على عظمة الخالق وكمال قدرته وعظيم تقديره . وخلق في أحسن صورة ، متميزة في صنعها وتركيبها وتأديتها لوظيفتها . هذه النعم الجليلة تستحق الحمد والشكر في كل وقت وحين .

٢/ نفس الإنسانية آية من آيات الله العظيمة كالشمس والقمر والنيل والنهار ، لذلك دعا الله المؤمنين إلى التأمل في أنفسهم كما دعاهم إلى التأمل في آيات الكون ، والاعتماد بأحوال النفس الإنسانية وربطها بخالقها ، والسعي إلى ما فيه خيرها وخير البشرية عامة . والله لا يفر ما يقوم حتى يغفوا ما بأنفسهم .

٣/ إن الإسلام يعترف بأهمية البعد الجسمي والعقلي للإنسان . وقد أولى الجانب النفسي أهمية كبيرة ، فالنظرية النبوية هي النهج للتكامل الذي يصدر من علوم بالطبيعة

(١) للشيخ / السيد أحمد ، العدل ، وتسامح الإسلامي ، ١٤٠٧ هـ ، السنة ٦ ، ٦٤٢ ، دعوة الحق ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة ، ص ١١٠ .

الإنسانية ، خير بأسرارها . كما وازنت بين الروح والجسد والعقل ، ووجهت النفس الإنسانية إلى كل ما يتناسب مع طبيعتها البشرية ، ذات الخصائص العقلية والاجتماعية والذهنية والجسمية القطرية واللكسية ، والتي تتفاعل مع الظروف والأوضاع الاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان .

٤/ إن الصحة النفسية تتعرض للخطر إذا لم يشبع الإنسان غرائزه الحيوية ، وقد أدرك ﷺ أهمية النوم والراحة ، وما يصبب الإنسان من إجهاد ومتاعب نفسية وعقلية إذا لم يُشبع حاجته منها ، قبل أن يدركها ويشعر إليها علماء النفس بقرون طويلة ، لذلك أوصى المسلمون بالاهتمام بالنوم والراحة .

٥/ المسؤولية إثراء لأبعاد الشخصية ، فيقدر ما تأخذ للمسؤولية من وقت وجهد تعطي إدراكاً وفهماً أعمق ، وقدرة على التحمل أكبر ، ومعرفة أوسع . لذلك جعلت الشريعة النبوية كل مسلم مسؤولاً عما يصدر منه من قول وعمل .

٦/ يقدر تعمل أعيان المسؤولية في الدنيا تتحدد مستويات الثواب والعقاب في الآخرة . الأمر الذي يجعل إمكانية الحصول على مزيد من الثواب مفتوحة لكل راغب في الاستزادة منه .

٧/ الروح الجماعية في إنجاز المسؤوليات تساعد على التخفيف من ثقلها ، وعلى الإبداع واللمهارة في إنجازها ، وإن الشعور بالمسؤولية في تحقيق مهام مشتركة يقرب الأهداف البعيدة . والإصلاح في أي مجتمع والنهوض بالمرء لا يكون إلا من خلال الفرد المسؤول والمجتمع المسؤول .

٨/ على للعلم أن يدرك القدرات العقلية لدى المتعلمين ، حتى يجدي عطاؤه العلمي فيتناسب مع استعداداتهم العلمية . وعنصر التعليم إذا وظف ذكاءً فإن مقياس نجاحه أن يصاحبه التعلم ، والحب والاحترام للتبادل هو أساس العلاقات في العملية التعليمية . حب مستمد من الأخوة الشاملة في الله ، واحترام من الصغير للكبير مستمد من أولم للدرسة النبوية .

٩/ إن تكامل الشخصية الإنسانية تبدأ منذ الطفولة ، لذا يكون الطفل الناشئ

في أمس الحاجة إلى توجيه سليم يجمع جوانب شخصيته ، ويغرس فيها الصفات والطاقات النفسية الإيجابية التي تنفعه إلى أداء مهمته في الحياة والثقة في نفسه .

١٠/ على المسلم أن يوجه طاقاته الجسمية والبيولوجية إلى ما فيه مصلحته ، ومصلحة مجتمعه ، وأن يوازن في توجيه هذه الطاقات وتوجيهها ، ولم يأمر الإسلام بكبت الدوافع وحرماتها من التمتع بما أحل الله ، لأن الكبت وقهر منافع للتربية الإسلامية ، بل يهدف إلى الاستفادة من جميع طاقاته واستغلالها بما يحقق له عيشي الدنيا والآخرة . فالإسلام دين الاعتدال والتوازن .

١١/ إن العلم كلمة لها قدسيته في الإسلام ، وهي تعمل في طائها كل ما فيه صلاح البشرية قاطبة . وإن الله كرم الإنسان به ، وميزه عن باقي المخلوقات ، و يجب على الإنسان المحافظة على هذا التكرم الإلهي ، وعدم انتهاكه ، سواء في البيت أو المدرسة أو المجتمع . وعلى المجتمعات الإسلامية المحافظة على كرامة الإنسان ، واحترام وتقدير العلماء .

١٢/ من فضل الله على عباده أنه ﷺ بعد أن استخلفهم في هذه الأرض لم يكلمهم إلى عقولهم بالكيفية في تخطيط منهاج حياتهم ، فالعقل البشري مهما أوتي من علم وذكاء فإنه يعثره القصور - وهذه من حكم الله في خلقه - فقد خلق الله ﷺ الإنسان وزوده بالعقل وأمره أن يبحث عن العلوم ، ويميز بينها ويأخذ ما ينطق مع تربيته الربانية .

١٣/ فضل أهل العلم والعلماء على غيرهم من الناس ، وقياساً عليه فضل العلم على التعلم ، وتزويد الأفضلية بزيادة حسن خلق للعلم لجاء للتعلم ، وتاديب للتعلم مع للعلم .

١٤/ إذا أراد المجتمع الإسلامي أن يكون دافعاً حيوياً للحياة في الظروف الحديثة للواقع المعاصر فإنه من الضروري أن تتخلص الأمة الإسلامية من عقدة التونية ، وتسترد

إيجابيتها وتلتها بنفسها وتوصل تربيتها النبوية تطبيقاً عملياً ، في حياتها العصرية ، ومقاومة كل التحديات الدائمة لعقيدها .

١٥/ إن التربية يجب أن تسعى إلى تحديث الثقافة ، وتحديث العقل العربي ، بما يتناسب مع الواقع للعالم في حدود النظرية التربوية النبوية . فالثقافة هي جملة المبادئ والقواعد التي يكتسبها الفرد من عقيدته ومجتمعه ، ويتعامل بها مع أفراد المجتمع ، وإن العقل يفكر بثقافته وفي ثقافته . والتربية تتعامل مع الإنسان ، والإنسان يفكره صانع التحديث ، وصانع التغيير . والتربية النبوية حررت العقول من الجمود الفكري ، واحتوت كل الثقافات ، فكانت هي الثقافة العالمية^(١) . وما فرضه العولمة على العالم إلا عوقاً من انتشار الإسلام .

" ولا ريب أن في كثير من المسلمين من الظلم والجهل والبدع والفسحور ما لا يعلمه إلا الله ، لكن كل شر يكون في بعض المسلمين فهو في غيهم أكثر ، وكل خير يكون في غيهم فهو فيهم أعلى وأعظم^(٢) . فالخير والشر عند المسلمين ، وعند غيهم ، ولكن الخير عند المسلمين أعظم والشر أقل .

١٦/ أن التربية النبوية لم تترك جانباً من جوانب العلم إلا تناولته ، وحشت على طلب العلم وللعرفه في مناحي البلاد ، ورفعت مؤلته وأجره ، وإكرام العلماء وبيان مكانتهم ، وحثهم على نشر العلم ، وكل ذلك من أجل بناء الإنسان للتعلم للفكر الذي يحاول إصلاح نفسه ، ويساهم في بناء مجتمعه وتطويره .

١٧/ إن للربي الأول ﷺ كانت تربيته لأصحابه تربية علمية عالية ، فخرج علماء وفقهاء ، ولم يكن يقتصر على مجرد إعطاء معلومات مجردة ، بل كانت تربيته تقويمية وأخلاقية وسلوكية ، تميزت بالتفرد التربوي في التعليم ، وكان ذلك مُعلماً مهماً من معالم التربية النبوية .

(١) عبده / عبد النبي ، التربية والتعددية الثقافية ، ١٤٢٣هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة ، ص ١٤٢ .

(٢) بكار / عبد الكريم ، فصول في التفكير الموضوعي ، ط ٣ ، ١٤٢٦هـ ، دار القلم : دمشق .

١٨ / إن المجتمع الإسلامي المعاصر ليس على مستوى المجتمع الإسلامي الأول ولا قريباً منه ، والسبب يكمن في أن للمسلمين اليوم أبعاداً منهج التريية النبوية ، وأحلوا مكانه منهج أخرى ليس للإسلام فيها نصيب . وإذا أراد المسلمون أن يقيموا مجتمعاً إسلامياً ويجعلونه حقيقة ولقمة لا حلاًماً من الأحلام أو أمنية من الأمناء أو شعاراً من الشعارات ، فليعملوا على توطيد دعائم المجتمع الإسلامي وأساليب الحياة الإسلامية وتطورها عن طريق التريية النبوية التي ترتبط بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً وتؤثر فيه^(١).



(١) حنا / أحمد وصي الله ، التريية والتفصيح ، ترجمة عبد الحسيد القرشي ، ١٤٠٤ هـ ، مكتبة حكايا : الرياض ، ص ٥١ .

الفصل الخامس

أساليب الخشونة الخيرية في السنة النبوية

مقدمة :

أولاً : أسلوب التشبيه (ضرب الأمثال) .

ثانياً : أسلوب الحوار . (طرح الأسئلة والإجابة عليها) .

ثالثاً : أسلوب القصص النبوي .

رابعاً : أسلوب القدوة (الممارسة الفعلية) .

خامساً : أسلوب التربية بالأحداث .

سادساً : أسلوب الملاحظة والاستنتاج (توسعة المدارك) .

الفصل الخامس

أساليب النظرية التربوية في السنة النبوية

المقدمة :

إن للدراسة النبوية قدمت للبشرية أفضل الأساليب وأقواها تأثيراً على نفس الإنسان ، وهي " فنل المنهج الذي يحقق التطبيق الفعلي للشريعة الإسلامية ؛ لأن الإسلام ليس جانباً علمياً معرفياً فقط ، بل يهدف إلى التطبيق العملي ، الذي يرسم للإنسان سبيل الهدى ^(١) .

بأساليب متعددة تتناسب مع فهم وقدرات الإنسان ، فقد قام ﷺ " بحملة اثنين للتصاحبة للتبليغ عبر قيام ، مبلغ وشرح وبفصل وبوضح ، فكان منهجه للتميز الرائع الذي يحقق دائماً الغرض المنشود في تفهم وتعليم للمحاطين ، فامتاز منهجه في الأداء بالثبوت والتمهل مع التثبت والتسكن من المنطق دون تعلم أو اضطراب ^(٢) ، فأسس ﷺ منهجاً كاملاً للحياة ، يهتم ببناء الفرد كما يهتم ببناء المجتمع ، ويُقدر مصالح المجتمع والفرد معاً ، وينظر للحياة نظرة كلية ، فهدب كافة جوانب شخصية الإنسان واستعداداته وقدراته . فكانت تربيته إثباتية وقيائية ، قبل أن تكون تربية علاجية . فما " غابت هذه التربية في حقبة من الحقبات التاريخية الماضية أو ضعفت إلا والحط للسلمون ، وعلا شأن غيروهم عليهم ^(٣) .

لذلك يجب معرفة أساليبه ﷺ وتطبيقها في تربيتنا ، وأن نفرق بين التربية الإسلامية ، والأفكار التربوية الوافدة من الخارج ؛ " لأن النظم البشرية متأثرة بقصور الإنسان وملاهبته حياته ، ومن ثم فهي تقصر عن الإحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد ، وقد تعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بدواء يؤدي بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج حديد ^(٤) ! .

ومن هنا نجد أن مناهج التربية في العالم العربي في حيرة بين الأصالة والاقبليل ؛ لأنها أخذت الكثير من أساليب الغرب وطرائقهم ، التي لا تنفق في معظمها مع للمقومات العقائدية

(١) الخازمي / خالد : أصول التربية الإسلامية ، ص ٥ .

(٢) علي / علي عبد الفتاح : الأخلاق النبوية وحكمها ص ٧ .

(٣) الخازمي / خالد : أصول التربية الإسلامية ، ص ١٦ .

(٤) قطب / أسيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥ .

والنفسية والاجتماعية والاقتصادية للشخصية الإسلامية والمجتمع المسلم^(١). وقبل أن تفكر في التخلص من الأفكار الغربية ، علينا أن نغرس العقيدة الإسلامية في النشء ، ثم نقوم بتأصيل الثرية وثقافتها ، حين يتسنى تطبيقها ، ولا يتحقق التطبيق إلا بمعرفة الأساليب النبوية . والتي مصدرها الخالق ﷻ . ومُرْسِي قواعدها المصطفى ﷺ ، وسوف يتم تعداد بعض الأساليب وتناولها بالشرح والتوضيح للوجز . وقبل تعداد الأساليب ينبغي تعريف مدلول الأساليب .

الأسلوب النبوي : يبدو عليه أثر الإلهام وسمحة العبقرية ومطابع البلاغة ، والرسول قدرة على التشبيه وإرسال الحكمة وإحادة الحوار ، وتلك ميزة الرسل . وقد أثر هذا الأسلوب في الصحابة وخطبهم^(٢).



(١) مذكور / علي أحمد : منهج القرآني في التصور الإسلامي ، ص ٧-٨ .

(٢) محمود / غاطية ، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ، ص ٥٠ ، ج ٤ ، دار الفد العربي : القاهرة . ص ٤٢٢ .

أولاً : أسلوب التشبيه (ضرب الأمثال)

التشبيه أحد أساليب الترية الحديثة التي تؤكد فائدته وأهميته ؛ لأن له تأثيراً خصباً على النفس ، فالتشبيه يقرب البعد ، ويجعل الغائب كأنه شاعداً ، ويظهر العقول في صورة المحسوس . وبذلك يكون المعنى واضحاً جلياً .

وقد عرفه علماء اللغة بعدة مصطلحات منها :

للمصطلح اللغوي : التشبُّه ، والتشبي ، والتشبيه ، حقيقته في المماثلة من جهة الكيفية ؛ كاللون والطعم ، وكذلك في الظلم . والأصل فيه ألا يميز أحد الشئين عن الآخر ؛ لما بينهما من التشابه ، عينا كان أو معنى . وقوله تعالى : ﴿ وَأَتَوُا بَعْدَ مُنْشِبِهَا ﴾ (البقرة آية ٢٥) ، أي تشبه بعضه بعضاً لوناً وطعماً وحقيقة ، وقيل : متماثلاً في الكمال والجمود . وقوله تعالى : ﴿ مُنْشِبِهَا وَغَيْرَ مُنْشِبِهَا ﴾ (الأنعام آية ٩٩) ، معانها متقاربان . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْيَفْرَ نَشَبَهُ عَلَيْنَا ﴾ (البقرة آية ٧٠) ، أي تشابه والتشبيه : المثل ، والجمع أشباه . أشبه الشيء الشيء : مثله . وشبه الشيء إذا أشكل ، وشبه إذا ساوى بين شيء وشيء ، وشبه عليه : خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره . واشبه الأمر إذا اختلط^(١) . وعليه فإن التشابه له ثلاث مراتب هي :

١/ التطابق (تشابه كلي) مماثل في التشبيه (المثل) .

٢/ تشابه في الشكل (جزئي) ويشمل عدداً من الشواحي مثل اللون ، الطعم ، الكمية .

٣/ تشابه في المعنى (جزئي) الكيف ، المحتوى ، والطريقة .

كان ﷺ يستخدم أسلوب التشبيه لتوضيح المهدف وبين الغموض للسائلين ، لما لهذا الأسلوب من تأثير على العقل ، وتربيته على التحصيل والاستنباط . ولا يمكن سرد كل الأحاديث التي ورد فيها أسلوب التشبيه في هذه الوريقات القليلة ، ولكن يمكن توضيح بعضها في عدة مجالات :

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٥ .

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا مَنَئِي وَمَنْعَلٌ مَا يَخْفَى اللَّهُ بِهِ كَمَنْعَلٍ رَجُلٍ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمُ ، إِنِّي رَأَيْتُ الْحَيْشَ يَعْثِي ، وَإِنِّي أَنَا التَّلِيدُ الْفَرَّانُ ، فَالْجَاءَ ، فَاطَاعَةُ طَائِفَةٍ مِنْ قَوْمِهِ قَادَلَجُوا فَاطْلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَتَجَوُّوا ، وَكَلَبْتُ طَائِفَةً مِنْهُمْ فَاصْتَبَحُوا عَكَائِهِمْ ، فَصَبَحَهُمُ الْحَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَنَحَهُمْ ، فَلَذَلِكَ مَنْعَلٌ عَنْ أَمْعَانِي فَلَتَجَ مَا جِئْتُ بِهِ ، وَمَنْعَلٌ مِنْ عَصَابِي وَكَذَّبَ بِنَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ »^(١). يحمل هذا الحديث التشبيه البليغ الذي يوضح الإلتزام الذي شمله ﷺ لتبليغ قومه أمر الله ، من سلال واقع محسوس يعرفه قومه ، حيث أخبر بخر موثوق كونه " رأى شيئاً بعينه لا يحتره وهم ولا يخالطه شك ، قال ﷺ : « وَإِنِّي أَنَا التَّلِيدُ الْفَرَّانُ » ، هذا مثل متعارف عليه عند العرب ، واختلفت الروايات فيه ، ولكنه يعني التذير الصادق ، ويقال أيضاً : رجل عريان : أي فصيح اللسان . ومعهود عند العرب أنه إذا رأى أحدهم غارة فاجأت القوم يبادر بخلع ثيابه ، ويلوح لها لاستئثاره الانتباه . ويظهر من التأكيدات « يَعْثِي » ، وقوله ﷺ : « وَإِنِّي أَنَا التَّلِيدُ » ، وذلك دليل قرب العدو ، ثم عمر في الأولى بالطاعة ، وفي الثانية بالكذب ، فالطاعة مسبوقة بالتصديق ، والكذب مستتبع بالعصيان^(٢). وهنا يوضح ﷺ بأن الحيش إذا جاء بغتة يدمر ، ولا يمكن مواجهته ، فتحتم على النجاة حرصاً على سلامتهم . كما شبه من يطيعه بالطائفة التي فروا بأنفسهم من العدو فنجوا وسلموا ، ومن لم يستجب فهو هالك . ونرى الفرق في الدعوة عند قوله ﷺ : « فَاطَاعَةُ طَائِفَةٍ مِنْ قَوْمِهِ قَادَلَجُوا فَاطْلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَتَجَوُّوا » ، أي يسرون على مهلهم لا يشقون على أنفسهم ، فالليل أمامهم وفرصة النجاة واسعة .

فهو حريص ورحيم بأمره كما جاء في قوله ﷺ : « مَنَئِي كَمَنْعَلٍ رَجُلٍ اسْتَوْفَدَ لَوْرَهُ ، فَلَمَّا أَصَابَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَائِضَ وَهَذِهِ الذُّوَابُ الَّتِي فِي الشَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَجَعَلَ يَحْبِرُهَا وَيُخَلِّقُهَا فَيَنْقَضُّنَّ فِيهَا ، قَالَ : فَلَذَلِكَ مَنَئِي وَمَنْعَلُكُمْ ، أَنَا أَجَدُّ بِحَبْرِكُمْ عَنِ الشَّارِ ، هَلُمُّ عَنِ الشَّارِ ، فَتَقْبَلُونِي لَتَحْتَوْنَ فِيهَا »^(٣). ماذا يريد أهل العقول النيرة بعد هذا الحديث ؟ وهذا التشبيه

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب المناقب ، ص ٢٥ ، ر ٤٢١ .

(٢) المسلك / الملقظ أحمد بن حجر ، فتح الباري ، ج ١١ ، ص ٣١٧ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفضائل ، ص ١٤٢٧ ، ر ٢٦٨٢ .

عميق الأثر في النفس ، فلذا أمل في معناه يستشعر للسلم حرص النبي ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ، فهو حرص على أكثر من حرصهم على أنفسهم ، والحديث يشير إلى حال الأمة ووقعها للعاصر ، فهي تنهافت على ما يضرها ويحرقها ، وتعاليم دينها تبعد عنها ولكن الانبهار والضوء يجذبا . وتلاحظ بلاغة التشبيه في قوله ﷺ : « يفتضح فيها » ، فالتضحيم : « الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت . و شبه ﷺ تساقط الماعلين والمحالين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة ، وحرصهم في الوقوع في ذلك وهلاك أنفسهم ، مع منعه إياهم »^(١) ، بالفراش الذي يقع في النار . ووجه التشبه هو أن الحشرات تنهافت على الضوء فلما منها أنه الماء سليم تسير فيه ، ثم تحرق بالنار ، وهذا مصير الإنسان يقذف نفسه في هاوية الذنوب التي توصله إلى نار الآخرة ، فالحشرات تنهافت على نار الدنيا ، والإنسان يهلك نفسه بالذنوب فتكون العقوبة « الحسرة في الدنيا والآخرة . فهو أحوج ما يكون إلى الإنذار والإعلام والتحذير من المحاطر التي تنتظره إن لم ينفذ إلى أمر الله »^(٢) ، الذي يهدي إلى سعادة الدارين .

و لم يكتب ﷺ بالتحذير من العقوبة السيئة إذا هم عصوا أمره ، بل جاء ﷺ نذيراً وبشوراً ، يصف أحوال من أطاعوه ، ويشبه لهم مكانتهم من الأمم السابقة . فعن أبي عُمَرَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مِنْ غَلَا مِنَ الْقَمَرِ مَا بَيْنَ صَدَاةِ الْغَضْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، وَإِنَّمَا فَتْلُكُمْ وَقَتْلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْتَلَّ شِدَاءً فَقَالَ : مَنْ يَغْتَمِلُ لِي إِلَى بَصَفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ ؟ فَعِبِلَتِ الْيَهُودُ إِلَى بَصَفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ . ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَغْتَمِلُ لِي مِنْ بَصَفِ النَّهَارِ إِلَى صَدَاةِ الْغَضْرِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ ؟ فَعِبِلَتِ النَّصَارَى مِنْ بَصَفِ النَّهَارِ إِلَى صَدَاةِ الْغَضْرِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ . ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَغْتَمِلُ لِي مِنْ صَدَاةِ الْغَضْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ ؟ أَلَا قَالَتُمُ الَّذِينَ يَغْتَمِلُونَ مِنْ صَدَاةِ الْغَضْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ ، أَلَا لَكُمْ الْآخِرُ مَرَّتَيْنِ ، فَعِبِلَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا : لَحْنٌ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَقْدًا ، قَالَ اللَّهُ : هَلْ ظَلَمْتُمْكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَإِنَّهُ فَضَلِي أَخْطِيهِ مِنْ شَيْءٍ »^(٣) . يوضح هذا التشبيه أن من أكمل العمل استكمل الأجر ، فليس العبرة في بداية العمل ، بل

(١) فيروي / شرح صحيح مسلم ، ج ١٥ ، ص ٤٤٩ .

(٢) عبد الحميد / عبد الحميد عبود : نظرات فقهية وتربوية في أشغال الحديث . ص ١٠٩ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، مرجع سابق ، كتاب أحاديث الأئمة ، ص ٣٣٧ ، ر ٦٥٢ .

في إقامته ؛ لأنه من أتم العمل أخذ أجره ، " وقد يستحق البعض أجر الكل ، مثل الذي أعطى من العصر إلى الليل أجر النهار كله ، فهو نظير من يعطي أجر الصلاة كلها ولو لم يدرك إلا ركعة ^(١) . والحديث يشتر أيضاً إلى عدد من الأمور - منها موازنة المسلمين باليهود والصاري ، وتظهر فيها أن زمن المسلمين أقل من قبلهم من الأمم ، وأهم عناية الأمم ، وأن أعمالهم أكثر رغم الفترة الزمنية القليلة . وتفاوت الأجر يكون حسب العمل . كما يوضح أن أعمالهم أقل من سبقهم . وهذا حال المسلمين . فما حال نبيهم ﷺ ؟ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنْ مَاتَ وَمَكَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي كَمَاتِي وَجَلَّ بَنِي بَيْتَا فَأَحْسَنَتْهُ وَأَجْمَلَتْهُ إِلَّا مَوْحِبَ لَيْلَةٍ مِنْ زُلُمَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطْلُقُونَ بِهِ وَيَعْبُثُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ : هَذَا وَجِبَتْ لَهُ الْبَلَّةُ قَالَ : هَذِهِ الْبَلَّةُ ؟ وَأَلَا عَالِمُ السَّيِّئِ » ^(٢) . هذه الكلمات القليلة البليغة والمعاني الحكيمة تظهر " صورة رائعة مشرقة يستحضر فيها موكب نارضي موغل في القدم يتعاقب فيه رسل الله وأنبياءه على أقوام شتى من البشر ^(٣) ، ويتضح فيها هدف الأنبياء ودعوتهم للتوحدة في توحده الإنسانية إلى توحيد الله وعبادته ، وهذه مهمة الأنبياء والرسل ، فهم كائنات بيت واحد يكمل بعضها بعضاً في شكل واحد وينظم موحد متشابه ، ولا يكمل البناء إلا بعد وضع آخر لينة فيه ، فيظهر جماله وكماله - فهذه اللينة فيها سر الكمال والجمال - وبذلك يكون المصطفى ﷺ هو عالم الأنبياء ، وآخر رسل الأديان السماوية ، ويؤخذ من الحديث أن كل حضارة تكمل ما قبلها ، وكل علم يبين على ما قبله حتى يتم كماله وفائدته . هذا التعاقب لا يقف عند حد . وإن كان في الحديث اكتمال البناء ، فلذلك حكمة الله في إرسال الرسل وخاتمة النبوة كما قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة آية ٣) ، أما أعمال البشرية فهي مستمرة ومتعاقبة وكل عمل يتم ما قبله .

ومما أن النفس البشرية يعثرها الملل من الاستمرار في الأعمال ، فلا بد من وضع حوافز تحرك التعلل والتمتع وتجعلهم ينسارعون إلى فعل الخيرات ، وبأسلوب التشبيه يحفز رسولنا الكريم ﷺ

(١) العسقلاني / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الطلاق ، ص ٦٥ ، ر ٤٢ .

(٣) علي / علي عبد الفتاح : الأخلاق النبوية ، ١٤١٣ هـ ، الوقف للطباعة والنشر ، القاهرة . ص ١٥ .

للمسلمين على النافذة للأعمال الصالحة فيقرب الصورة للمؤمنين حتى يزداد إيمانهم - وتقدم الحوافز المتعلمين من الأساليب الحديثة في التربية لتشجيعهم على ممارسة الأعمال بدون ملل وضجر - فيوضح مكانتهم ، ويظهر نتيجة أعمالهم فيزداد حماسهم وحرصهم وتقاسمهم على فعل الخيرات . كما جاء في قوله ﷺ : « إِنَّ أَهْلَ الْمَرْجَاتِ أَهْلُ الْبَرَكَاتِ مَنْ أَسْقَلَ مِنْهُمْ كَمَا يُؤَيُّ الْكَوْكَبُ الطَّلُوعَ فِي آثَافِ مِنَ آثَافِ السَّمَاءِ ، وَإِنْ أَنَا نَكَّرَ وَغَمَرْتُ مِنْهُمْ ، وَالْعَمَاءُ »^(١) . وقول حبيب ﷺ : « كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، إِذْ نَظَرْنَا إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، قَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ وَتَكْمُونَ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ ، لَا تَكْمُونُونَ فِي وَجْهِهِ فَإِنْ اسْتَعْتَمْتُمْ أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَى صَلَافٍ قُلُ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَصَلَافٍ قُلُ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَاعْلَمُوا »^(٢) . كان ﷺ يستغل المناسبات ليوضح لأصحابه مصر المؤمنين في الآخرة من خلال أمور مربية وواقع ملحوظ ، فأسلوب التشبيه في الحديثين السابقين يلرب العقل على التحصيل ، فقد جعل ﷺ من للنظر الغالب أمراً مشاهداً وملحوظاً بالعين ، أي وضع شبه المستحيل في صورة مربية مشاهدة بالعين . وهنا موضع تساؤل : كيف يمكن الوصول إلى هذه الدرجة الرفيعة من الجنة والتي يتناما كل مؤمن ؟ يأتي الرد بنفس الأسلوب التربوي الهادف ، فقد بين ﷺ لآفته كيف يكون الإنسان في هذه الحياة وكيف يتخلص من عتالها . فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قال : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْكِي فَقَالَ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَابِرٌ سَبِيلٍ » ، فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أَسْتَيْتَ فَلَا تَنْظُرِ الْعَصَاخَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْظُرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صَبْحِكَ لِمَرْجَلِكَ وَمِنْ عَاجَلِكَ لِمَوْتِكَ^(٣) . هذه للدراسة النبوية تخرج منها القادة والعلماء والحكماء الذين اقتبسوا الحجة ﷺ في الحياة ، قال عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ : (ارْتَحَلْتَ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً ، وَارْتَحَلْتَ الْآخِرَةَ مُقْبِلَةً ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ثَوْبٌ ، فَكُلُّوهُمَا مِنْ أَثْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُولُوا مِنْ أَثْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَلَعَنَ حِسَابَ وَلَا عَمَلٌ^(٤)) . يتضح من الحديث السابق وأقوال الصحابة الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة ، وشبه ﷺ حياة المسلم مثل حياة الغريب الذي لا مسكن ثابت له ، ويتبل ما بعده حتى يرحل إلى وطنه ومكان إقامته الدائم " ، ثم ترقى إلى عابر السبيل ؛ لأن

(١) ابن ماجه / سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، كتاب المقدمة ، ص ٧٤ ، ج ١ : ٩٦ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب التوحيد ، ص ٢٢٨ ، ج ١ : ٦٢ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الرقاق ، ص ١٥٩ ، ج ١ : ٥٠ .

(٤) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، باب في الأمل وطوله ، ص ١٥٩ ، ج ١ : بدون .

الغريب يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شامع وبينهما أودية مهلكة ،
وقول ابن عمر : إذا أمسيت ... إلخ ، أي استمر سائراً ولا تقتر ، فإنك إن قصرت انقطعت
وهلكت في تلك الأودية . - وعذ من صحتك - أي أن العمر لا يخلو من الصحة والمرض ،
فإذا كنت صحيحاً فسر وزد عليه بقدر قوتك مادمت تستطيع . فإن قصرت وانقطعت
هلكت ^(١) ، فوجه الشبه أن المؤمن والغريب لا يتعلق قلب كل منهما بالمكان الذي هما فيه ؛
لأنهما مستعدان للرحيل ، إضافة إلى أن الغريب يحدد رحيله ، ولكن المؤمن ليس بيده تحديد
رحيله ، فيجب عليه أن يكون أكثر استعداداً ؛ لأن رحيله قد يكون فجأة ومن غير سابق إنذار .
فعلية أن يسعى جاهداً في فعل الطاعات والتقرب إلى الله بقدر الاستطاعة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا
هَذِهِ النُّحُوتُ الَّتِي نَتَّبِعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (غافر آية ٣٩) .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : تَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ تَرَى فِي جَنَبِهِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ! لِمَ الْخَلُّ لَكَ وَطَاءَ فَقَالَ : « مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا ، مَا آتَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَمَا يَجِبُ اسْتِظْلَ تَحْتَ
شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَلَوْ كُنْهَا » ^(٢) . تشير تصرفات الناس إلى حرصهم على المادة كأنهم غفلون في
الدنيا ، رغم علمهم بأن كل من عليها فان وزائل ، والرسول ﷺ شبه دنياه بالراكب للمسافر
* لستمظل تحت شجرة - وهو للشبه به - من حيث العمل الدؤوب للتواصل ، فرسول الله ﷺ
لم يتوقف عن العمل والعبادة والجهاد أبداً ، فهو في غماره يدعو إلى الله بالحكمة ، وينظر
في مصالح أصحابه ويفقههم ويعلمهم ويؤدبهم ، ويجهز الجند للغزو في سبيل الله ، وفي
الليل يتعهد ويصلي حتى تتورم قدماءه من طول القيام ^(٣) . فلم يهتم ﷺ بالدنيا
وزعرهها ، مثل للمسافر لا يحمل من مؤن الحياة إلا الضروري ليواصل سيره ، وكل من أن
يصل إلى أهله مدحراً لهم الثروة والمال . فتروة المؤمن هي كثرة الأعمال الصالحة والزهدة في
الدنيا والإقبال على الآخرة ، وتطبيق أحكام الدين ومعرفة أمور الدنيا والآخرة .

وكيف يمكن للمؤمن إدراك ذلك ومعرفته ثم تطبيقه إلا عن طريق قراءة القرآن الكريم
والسنة ، لذلك حث ﷺ على قراءة القرآن الكريم وتعلمه ، قَالَ ﷺ : « عُلِّمَ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ

(١) الصلوات / أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، فتح الباري : ج ١١ ، ص ٢٢٤ .

(٢) الترمذي / ابن الترمذي ، ج ٤ ، كتاب الزهد ، ص ١٦٧ ، ر : ٢٢٨٤ .

(٣) علي / علي عبد الفتاح : الأزمات النبوية ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

الكرام كالأثرجة طعمها طيب ، وزينها طيب ، وألدي لا يقرأ القرآن الكريم كاشقرة طعمها طيب ولا ريح فيها ، ومثل القاجر الذي يقرأ القرآن الكريم كخيل الرميالة زينها طيب وطعمها مر ، ومثل القاجر الذي لا يقرأ القرآن الكريم كخيل المتطلبة طعمها مر ولا ريح لها ^(١) . وعنه عليه السلام قال : « يقول الرب ﷻ : من خفلة القرآن الكريم ودخري عن متألبي أعطته الفضل ما أعطى السائلين ، ولعلل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ^(٢) . من الحديثين السابقين نجد تدرجاً في اللعن ، فتناول الحديث الأول تشبيه من يقرأ القرآن الكريم « بالأثرجة » التي تجمع بين طيب الرائحة وحلاوة الطعم ، أي طيب الباطن والظاهر ، وهذا مثل السلم ، وقبل خص صفة الإيمان بالطعم ، وصفة التلاوة بالريح ، لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن الكريم ؛ إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة ، والطعم ألزم للجوهر من الريح ، فقد ينهب ريح الجوهر ويبقى طعمه ، ويحصص الأثرجة دون غيرها ؛ لأنها تجمع الطعم والريح ، ولها فوائد صحية أخرى ، وقيل : إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأثرج ، فناسب أن يمثل به القرآن الكريم الذي لا يقربه الشياطين ؛ وغلاف حبه أبيض يناسب قلب المؤمن ^(٣) . أما الذي لا يقرأ القرآن الكريم فهو كثمرة طيبة الباطن لا ريح لها ، وبذلك لا يتساوى من يقرأ القرآن الكريم بمن لا يقرأه . وفي هذا الحديث ترغيب وحث على الإكثار من قراءة كتاب الله ؛ لأنه من الأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله ، ولا يتمكن الإنسان من قراءته إلا إذا كان يعرف الحروف ، فمفتاح القرآن الكريم العلم الذي حث عليه القرآن الكريم والسنة ، ومن علم عمل ، وفي الحديث بيان عطاء الله الجزيل لمن يقرأ القرآن الكريم .

٢- أهمية العلم للدين :

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « إن مثل ما يغني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة ، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب تشرب الماء ، ففزع الله بها الناس ، فحربوا منها وسفروا وزعموا ، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعان لا تسب الماء ولا تثبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، وفقهه

(١) البحار / صحيح البحار ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب فضل القرآن الكريم ، ص ٣٢٧ ، ر : ٣٩ .

(٢) قريشي / سنن القريشي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، فضائل القرآن الكريم ، ص ٤٢٥ ، ر : ٢٩٣٥ .

(٣) العسقلاني / أحمد بن حنبل ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٦٦ .

الله بما يختص الله به ، فَعَبِمَ وَعَلِمَ ، وَقَتْلَ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَوْسَلَتْ بِهِ ^(١) . يظهر من الحديث أن ارتباط الهدى بالعلم وثيق ، وذلك لأنه لا هدى بغير علم ، ولا علم في الإسلام إلا وهو سبيل للتصالح والخير ، ثم يأتي التشبيه البيوع موضحاً الهدف من الدعوة في صورة محسوسة قمر للشاعر والوجدان ، ويحتاجها كل إنسان ، كما تحتاج الأرض للثمة للماء الذي ينبت زرعها ويبحث فيها الحياة ، فالقلوب للثمة بالكفر ، والعقول للظلمة بالجهل ، بنورها الإيمان ، ويبحث فيها الحياة الكريمة ، ولكن بتفاسوت ونسب ، فالأرض قبرها للغيث

^(٢) ثلاثة أنواع وكذلك الناس . فالنوع الأول من الأرض يتنفع بالظفر فيجوز بعد أن كان ميتاً ، ويثبت الكلاء ، فيتنفع بها الناس والدواب والزرع ، وكلها النوع الأول من الناس ، يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيما قبله ، ويعمل به ، ويعلم غيره ، فيتنفع وينفع . والنوع الثاني من الأرض ما لا تقبل الانتفاع في نفسها ، ولكن فيها فائدة ، وهي إسساك الماء لغيرها ، فيتنفع بها الناس والدواب ، وذلك مثل النوع الثاني من الناس ، هم قلوب حافظة ، ولكن ليست لهم أهلام نافية ولا رسوخ لهم في العقل يستيطعون به المعاني والأحكام ، وليس عندهم احتداد في الطاعة والعمل به ، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج لما عندهم من العلم ، أهل للنفع فيأخذونه منهم ، فيتنفع به ، فهؤلاء نقولوا بما بلغهم . والنوع الثالث من الأرض السباع التي لا تبت ، فهي لا تتنفع بالماء ولا تمسكه ليتنفع غيرها ، فكذلك النوع الثالث من الناس ، ليست لهم قلوب حافظة ، ولا أهلام واعية ، فإذا سمعوا العلم لا يتفكرون به ، ولا يحفظونه لنفع غيرهم ^(٣) .

إن من سنن الله في الكون أن جعل للماء أحد مصادر الحياة في الكون لكل كائن حي ، والحديث السابق أكد حاجة القلوب إلى العلم والهدى ليمنعها حياها ، كحاجة الأرض للماء ^(٤) إذ لا سعادة لأحد ، ولا فوز إلا بالعلم ثم العمل به ، لذلك حث الإسلام على الاستمرار في طلب العلم ، قال ﷺ : « إِمَّا مَعْلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَمَنْفِلٍ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعْتَقَةِ ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا لَمْسَكَهَا ، وَإِنْ أُلْقِيَتْهَا فَهَبَتْ » ^(٥) . للصاحبة والصحية تعني ملازمة الشيء ، والملازمة عليه ، واستخدم ﷺ أسلوب التشبيه في حث الناس على ملازمة القرآن الكريم ،

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفضائل ، ص ١٤٢٧ ، ر : ٢٢٨٢ .

(٢) النووي / الإمام عمي الدين بن زكريا : شرح صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، ص ٤٤٧ ، ر : ٢٢٨٣ .

(٣) البحاري / صحيح البهاري ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب فضل القرآن الكريم ، ص ٣٣١ ، ر : ٥٠ .

فذكر أن صاحب القرآن الكريم كصاحب الإنجيل المغفل " أي للشذوذة بالعقل وهو الجبل الذي يشد في ركبة البعير ، فيظل مغبوطاً ، وخص الإنجيل بالشبيه لأنها أشد الحيوانات نفوراً ، وفي تحصيلها بعد استحصال نفورها صعوبة ، ولكن إذا عقلها حفظها ^(١) . فصاحب القرآن الكريم لا ينساه إذا تعاهده ، فالقرآن الكريم ليس مثل أي كتاب ، لأن في قراءته قربة لله ، وحزيل الأجر والثواب ، إضافة إلى ما يحتويه من ثرية وعبادة ، تروحيه وأسلاق ، عظمة وتذكير ، حتى إن الرسول ﷺ شبه الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه بمثل الحي والميت . قال ﷺ : « مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْخَيِّ وَالْمَيْتِ » ^(٢) . هذا اليون الشاسع بين فضل الذكر ومولته ، والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترخيب في قولها والإكثار منها ، مثل البليات الصالحات : سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وما يتحقق بها من الخوفلة والبسلة والحسيلة والاستغفار ، والدعاء بخيري الدنيا والآخرة ، ويراد بذكر الله أيضاً للواجبة على العمل بما أوجبه أو نذبه إليه كتلاوة القرآن الكريم وقراءة الحديث وممارسة العلم والتفكير بالصلاة ^(٣) . والحديث يشبه التذكار ربه بالحي والغافل بالميت . فالقلوب الحية هي التي تعي حقيقة وجودها في الكون وتتفقد أمر الله ، وهي ذات عطاء وحركة ، والقلوب الميتة ساكنة لا حركة ولا فائدة فيها ، وهي غافلة " عن ذكر الله ، مشغولة بالشيطان ، ويكون حظ الشيطان منه بقدر غفلة ونسيانه ذكر ربه ، حتى إذا وصل إلى حد الإعراض والكفر ، ضل وشقي ؛ لأن القلب لا يعيش في فراغ ؛ إما ذكر وإما غفلة ^(٤) .

وزادت الغفلة مع زيادة التكنولوجيا والحضارة المعاصرة التي عطلت عقول الشباب وعلوهم في حوزتها ، وانصرف بعضهم في تيار الموى ، وكأنه غلغل ، لا ينظر إلا بعين الدنيا ولا يريد إلا الدنيا ، نسي وتناسى قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ فِي الْأَرْضِ لَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (الأعراف آية ٢٤) ، فقد جاء وصف الدنيا بأنها متاع ، والاستقرار فيها

(١) المغفلان / أحمد بن حجر : فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٢٩ .

(٢) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الدعوات ، ص ١٥٥ ، ر : ٩٨ .

(٣) المغفلان / أحمد بن حجر : فتح الباري ، ج ١١ ، ص ٢٠٧ .

(٤) عبد القيد / عبد المجيد محمود : نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ ، مكتبة المصطفى : الطائف ، ص ٣٧١ .

موقت إلى حين يأتي الأجل ويذهب إلى دار القرار . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا هَئِهِمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتْنَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (غافر آية ٣٩) ، ورغم كل هذا التقليل من شأن الدنيا إلا أن الناس يكرسون جهودهم لها ، ويوجهون اهتمامهم إليها .

وقد ذكر ﷺ مكانة الدنيا عند الخالق ﷻ ، فقال ﷺ : « مَا قَتَلَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَقْتُلٌ مَا يَجْعَلُ أَحَدَكُمْ إِصْبَعَةً فِي النَّفْسِ فَلْيَنْظُرْ بِمَنْ تَزْجَعُ »^(١) . إن التشبيه عميق الأثر يستشعره المؤمن بموارحه وإسقامه ، وبقله وقبلة ، إن نسبة القطرة إلى البحر لا تسوي شيئاً ، فلو أدرك المؤمن هذا المعنى ووعاه للتفكير لوحد أن الدنيا لا تستحق كل هذا العناء للبلول لأجلها إلا إذا كان في طلب علم أو عمل خير يؤجر عليه للمسلم ، فتسبه المخلود إلى ما لا حدود له ، تعتبر لا شيء ولا قيمة لها ، قطرة للماء ليس لها تأثير ولا أهمية لماء البحر ، ومن أسلوب التشبيه السابق في الحديث بينهم أولو العقول فتارة ضالة الدنيا وهولها على الله ﷻ ، وهو خالفها وموحدتها ، فكيف لمُعظم في نظر الناس الذين سوف يرحلون منها إلى دار الخلود والبقاء .

وكما وضع ﷺ هوان الدنيا عند الله ﷻ وعند المؤمنين ، وضع أيضاً حال للمؤمن فيها حيث قال ﷺ : « قَتَلَ الْمُؤْمِنُ كَالْخَمَةِ مِنَ الزُّرْعِ ، فَتُكَيِّفُ الرِّيحُ مَرَّةً ، وَتَغْدِيهَا مَرَّةً ، وَتَقْتُلُ الْمُسَافِيَ كَالْأَرَاكِلِ لَا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ الْجِغَافُ مَرَّةً وَاحِدَةً »^(٢) . هذا الأسلوب التريوي فيه " تشبيه المؤمن في تعرضه للبلاء ، بالعض الذي من النبات في تعرضه للرياح . ووجه الشبه هو التعرض للمؤثرات ، والاستجابة لها ، والصبر عليها ، وتشبيه الكافر في عدم استجابته للبلاء بالشجرة الصلبة في عدم تأثرها بالرياح حين تقتلعها أعاصير الموت " . فحياة المؤمن في دار الدنيا امتحان وفئة ، قال تعالى : ﴿ وَنَبِّئُوهُمْ بِالنَّارِ وَالْخُزْفِ فَنُفْةً ﴾ (الأنبياء آية ٣٥) ، إذن الإنسان عُرضة للبلاء ، ولا بد للمؤمن أن يصبر ويتحمل ويعمل ما يرضي ربه تجاه هذا البلاء الذي يصاب به ، ويزيده قرباً إلى الله ﷻ . وللبلاء نوعان : منها ما قدره الله عليه من مرض وفقر وغورها ، ومنها سببه الناس مثل الظلم والكذب ، القتل والتناحر ، السلب والنهب ، الخيانة

(١) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الزهد ، ص ٦٤١ ، ر : ٢٣٣٠ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الرضى ، ص ٢٠٩ ، ر : ٣ .

(٣) عبد المجيد / عبد المجيد محمود : نظرات ظهيرة وتربوية في أمثال الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

والقدر . - وصوف يوضح هذا الموضوع في الفصل الرابع في الطبيعة الإنسانية - ، ولم يقف المصطفى ﷺ عند حد الصمود أمام البلاء ، والتوجه إلى الله ، والعمل للأخرة ، بل قاد زمام المؤمنين من أجل حياة كلها خير وعجبة ، تكافل وتعاون ، ويتضح ذلك في الأسلوب التربوي الذي له أعظم الأثر والتأثير في النفس الإنسانية ، وتحتاجه اليوم مدارس التربية والتعليم .

٣- التعاون والتآخي :

عَنِ الثَّغَمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَاضُعِهِمْ وَتَعَاطُلِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا امْتَكَيْتَ مِنْهُ عُضْوٌ ، لَدَاخِي لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى »^(١) ، وَقَالَ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْيَتِيمِ يَشُدُّ بَغْضَةً بَعْضًا »^(٢) ، إِنْ وَجَّهَ الشَّيْءُ : الْوَحْدَةَ وَالتَّماسِكَ وَالانْسِجَامَ ، وَالْإِحْسَاسَ لِلشَّرْكَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ الْوَاحِدِ . حيث يشبه ﷺ المجتمع للسلم بكامله كالجسد تارة ، وكالهيئة للرصوص تارة أخرى ، وفي الحديثين السابقين " يعرض ﷺ صورة واضحة حلية للمجتمع للسلم ، ويقدم نموذجاً حياً لما ينبغي أن يكون بين أفراد من علاقات ، حيث يتضح أن الفرد المسلم لينة في بناء هذا الكيان ، تسد ثغرة منه وتشد أزره ، وكما أن الفرد للسلم عضو في جسد يؤدي دوره في تلبية احتياجات هذا الجسد ، ويدفع عنه ما قد يتعرض له من ضرر : يصبح العضو بصحة الجسد ، ويضعف إن مرض الجسد ، وبالعكس يمرض الجسد لمرض العضو ، ويتألم لألمه^(٣) . ما أعظم هذا التشبيه والتفنين في اعتبار للعاني ومطابقتها ، حيث تبين الأحاديث السابقة الوحدة الكاملة التي " لجسد حال المجتمع للسلم في التعاون والتآخي والتواد والتناصر لما هو كائن في المجتمع الذي هو بين ظهرانيه ، وما ينبغي أن يكون عليه المجتمع دوماً ، فإذا كان المجتمع بهذا الوصف ، فإنه وبنون شك برعى صغاره ، ويحترم كبارها ، فلا يضيع فيه يتيماً ، ولا تعوز الحاجة أرملة أو مسكياً ، لأن الألم في بعضه يسري في جميعه ، وكذلك السرور^(٤) .

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر ، ص ١٥٨٧ ، ر : ٢٥٨٦ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر ، ص ١٥٨٦ ، ر : ٢٥٨٥ .

(٣) عبد الحميد / عبد الحميد صوره : نقرات قطرة وتربية في أمثال الحديث ، ص ٢٢٤ .

(٤) حملاي / عصام حسن : التربية بالوعظة الحسن ، ١٤١٣ هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة . ص ٦٦ .

والنبيه الذي ورد يوفق أحاسيس الأسرة الصادقة التي ذكرها الله تعالى في كتابه ، قال تعالى :
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات آية ١٠) ،
وتطبيق قول الله في المجتمع أمر واجب على المسلمين جميعاً ، ولو وضع كل مسلم أمام عينيه
ذكر هادم اللذات ، وسعى لفعل الخيرات ، وعرف الحقوق والالتزامات ، وأعطى للآخرين
ما لهم من واجبات ، وجعل من الدنيا سبيلاً للحصول على الجنات ، لصح المجتمع كما يصح
الحسد . وأسلوب التنبيه يُحرك القلوب التي فيها العطف والرحمة ، ويدفعها إلى تربية النفس
على المحبة والترحم والتعاطف مع الآخرين ، فالرحمة من صفات الرحمن ، وقد طالب عباده أن
يتخلقوا بها ، ووصف نبيه ﷺ بها ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة آية ١٢٨) ، وهكذا نجد
عظمة صفة الرحمة ، فهي صفة الخالق ﷻ وصفة أشرف المخلوقين ، فإذا سادت الرحمة
المجتمع للمسلم ، فسوف يرحم الابن والديه ، ويرحم المعلم طلابه ، ويرحم المسؤول من هم
بين يديه ، قال ﷺ : « مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ »^(١) . هذه الرحمة توجب المحبة والألفة بين أفراد
المجتمع ، وهي صفة المؤمنين ، وأساس كيان المجتمع ، ويجب على المسلمين أن يكونوا رحماً فيما
بينهم ، أشداء على أعداء الدين . هذه الصفتان للتضادتان أمر الله ﷻ بهما في كتابه العزيز :
﴿ عَزَّمْ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح آية ٢٩) .

ورغم أهمية صفة الرحمة إلا أن عصرنا يشهد بآلم إلى وجود فئة تنسب إلى المسلمين
تستأمد عليهم ، وتلذذ لعنواهم ، وكان أمور المسلمين لا تعنيهم ، أعموا بصائرهم ،
وأصموا آذانهم ، فأنى هم أن يفقهوا أو يشعروا وقلوبهم قاسية ، وقد استعاض بحر البرية من
قسوة القلوب ، فقسوة القلب مرض هذا العصر الذي يفتك بأمة كاملة ، وبفني رعيلاً
وأجيالاً ، وإن هذا الزحف الخطر من القسوة والعقلة إن لم يجد مقاومة فإنه يفتك بالقلب
الذي هو مقر الرحمة ومستودعها . ومن فقد الرحمة وقسا على الآخرين ، فكيف يجرؤ على
طلب الرحمة من الرحمن الرحيم ؟ فمن أعطى أحد ، ومن قدم الخير وجد .

والنبيه يحسد ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع للمسلم من ألفة ومحبة ، وتلاحم وترحم ،

(١) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ١٧ ، ر : ٤٤ .

وتعاون فيما بينه كالبيان للرصوص للنظم يراه الرائي ويعجب من تنظيمه وتسقيفه وتصنيفه أو كالهند الذي يتكون من أجهزة مختلفة تعمل بنظام موحد يكمل كل جهاز منها الأجهزة الأخرى ، فالجهاز القضي يكمل جهاز الدورة الدموية ، وهذا يكمل الجهاز التنفسي ، وهكذا تعمل جميعها في وحدة متكاملة ، وتنظيم يعجز البشر عن فهم كل دقائقه ومكوناته .

فيجب عليك أيها المخلوق الضعيف أن تعود إلى خالقك القوي الذي أمداك بنعم عظيمة ، وظالمك بأمر عظيمة ، وتحسن عشرة من حولك وتتراحم معهم . وترعى حدود الله وتجعله أمامك في كل تصرفاتك . ولا تقف عند هذا الحد ، بل تأمر غيرك بالخير ونهاه عن الشر حتى تسير سفينة المجتمع للسلم إلى طريق النجاة - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَثَلُ الْمُتَّقِينَ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَالِقِينَ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَفْهَمُوا سَفِينَةَ لَافِيٍّ يَعْطُهُمْ فِي سَفِينِهِ وَحَارًا يَعْلُجُهُمْ فِي أُغْوَاهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي سَفِينِهِ يَمْرُؤُونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أُغْوَاهَا فَتَأَدَّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَأَمْسَ فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَاتَّقَوْا فَقَالُوا : مَا لَكَ ؟ قَالَ : فَأَذَيْتُمْ بِي وَتَأَدَّ بِي مِنَ الْمَاءِ ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ الْجَنَّةَ وَتَجَوَّا أَلْسِنَهُمْ ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ » (١) . في الحديث السابق تظهر الثرية الاحتسائية بطريقة تأسر القلوب والعقول ، وتصور الأبصار ، وتوضح العلاقات واختلاط الناس واختلاطهم في مواجعتهم للموقف . والتشبيه فيه بيان لأحوال الناس ومواقفهم . (فالمؤمن) هو الذي يراني ويضع الحقوق ولا يغير للشكر ، و - الواقع فيها - أي واقع في للعاصي ، وبذلك يكونان نوعين : للرائي والواقع ، ويكون للمؤمن مشتركا في الذنب مع الواقع ، وصارا بمحلة فرقة واحدة ؛ لأن للمؤمن تارك للأمر بالمعروف والواقع في الحد هو العاصي وكلاهما خالف ، وهذه مقارنة بمن يريد أن يخرق السفينة ، فإن منعه من الخفر أنجوه ونجوا أنفسهم ، هكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه ، وإلا هلك العاصي بالعصية والساکت بالرضا لها . وفي هذا التشبيه تعليل العامة بلذنب الخاصة ، أي استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف ، ووجوب الصبر على أذى الجار إذا عشي وقروح ما هو أشد ضرراً ، وأنه ليس لصاحب الأذن أن يتحدث على صاحب العلو ما يضر به ، وإن أحدث ضرراً لزمه إصلاحه ، ولصاحب العلو منعه من الضرر (٢) .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الشهادات ، ص ١٦٩ ، ج ١٩٠ .

(٢) المستقل / أحمد بن حنبل ، فتح الباري : ج ٥ ، ص ٢٩٥ .

كما سبق نستنتج أن اختلاط النفس في هذه الحياة هو عمل ابتلاء واختبار ، و* أن الحياة تزرع بالتناقضات ، ففيها للؤمن والكافر ، والحسن والسيئ ، والمنة فيها لا تخلو من ألم ، والسعادة ممزوجة بالشقاء ، والحياة مقترنة بالموت^(١) . ومعلم الإنسانية ﷺ لم يترك هذه للتناقضات كل يسر على هواه ويشيع ما يريد من خير أو شر ، بل شد زمامهم ووضع لهم * قاعدة من أهم قواعد الاجتماع ، وأصلاً عظيماً من أصول الدين ، ونظاماً للحياة ، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢) . فإذا تفاعل الناس عن هذا الأصل العظيم ، فسوف تظهر فئة تأمر بالفساد وتزينه للعباد ، وبذلك تظهر قوتان : شياطين الإنس بقيادة الشيطان ، وحسب الدنيا وزخرفها بقيادة الفؤى ، ويصبح الإنسان أسير هذا التحدي إن لم يجد له مخرجاً ، قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ۝ ﴾ (النساء آية ٢٨) ، وما دام ضعيفاً إذاً فالحظ متوقع منه . والإنسان يحتاج إلى تقويم وتوجيه باستمرار ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو اللهم سبي اتبعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهل علمه وعمله شغلت السوء واضمحلت الديانة وعمت الفسقة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، وعمرت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذي علمنا أن يكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ إذ قد درس من هذا القطب عمله وعلمه ، والحق بالكلية حقيقته ورسنه ، فاستولت على القلوب مدهسة الخلق ، وانحوت عنها مراقبة الخلق ، واسترسل الناس في اتباع الفؤى والشهوات استرسال البهائم ، وعز^(٣) ، على ساطع الأرض مؤمن صادق لا تأعده في الله لومة لائم ، فمن سعى في ثلاث هذه الفترة وسد هذه الثغرة إما متكلفاً بعملها أو متفلاً لتنفيذها بعدد هذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ، مستشراً في إحكامها ، كان مستأثراً من بين الخلق بأحياء سنة أفضى الزمان إلى إيمانها ، ومستفيداً بقرينة تضاهل درجات القرب دون دروها^(٤) .

(١) عبد الحميد / عبد الحميد صوره : نظرات فقهية وتربوية في أعمال الخديت ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

(٢) للرجع السابق . ص ١٨٤ .

(٣) عز : قر .

(٤) القرطبي / أبو حامد محمد بن محمد ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ ، كتاب الأمر بالمعروف .

فإذا كان هذا حال المؤمنين في زمن الغزالي ، فكيف به الآن بعد مرور تسعة قرون ونيف ! فالأمر بالمعروف بعزل اللعوج من السلوك ، ويهدي الضال ، فالتعاون والتآخي في أن تصير أمك في الخير وتبعده عن الشر ، ولك وله الأجر ، والله سبحانه وتعالى أمر عباده بالرجوع والاعتدال عن الخطأ بالتوبة إلى الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر آية ٥٣) ، وقال ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران آية ١٣٥) ، فمن أدرك ما فات من المعاصي والتركات ، واعتدى إلى سواء السبيل فاز بالدنيا والآخرة ، ولحق بركب الصالحين .



ثانياً : أسلوب الحوار

الحوار وسيلة للتفاهم بين طرفين أو أكثر من أجل تحقيق الهدف أو تقريب وجهات النظر بين الجهات المختلفة .^(١) فالاختلاف ظاهرة إنسانية طبيعية ناشئة عن اختلاف طبائع البشر وتفاوت أفكارهم وقدراتهم الذهنية والعقلية^(٢) ، ومن سنن الله في خلقه الاختلاف وليس التطابق . - وإلا لصارت للعلاقات نسخاً متكررة لا فائدة من كثرتها - ، كما جعل الله لهم أساليب للتفاهم والتعامل ، فكان منها الحوار الذي له دور فعال في التواصل بين الناس ؛ لأنه يُوْجد توافقاً وتقارباً بين الآراء المختلفة ويقدم التواضع ، وهو من أبرز أساليب التطور الحضاري في جميع العلوم والمعارف الإنسانية ؛ لأنه لا غنى للناس عنه وعن ممارسته ، لذا فإن اتقان هذا الفن أمرٌ مهم جداً . فأسلوب الحوار يدل على شخصية وسلوك وأخلاق المتحدث . وقبل الاستطراد في أهمية أسلوب الحوار في السنة النبوية يجب تعريف مصطلح الحوار .

المصطلح اللغوي : - (حوارته) : راحته الكلام . و(أحار) الرجل الخواب رده . و(ما أحارته) ما رده^(٣) . والحوار : التناوب^(٤) . ويعرفه ابن منظور بقوله : الحور : الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، حار إلى الشيء وعنه حرراً ومحاراً ومحارة . والخور : النقصان بعد الزيادة ؛ لأنه رجوع من حال إلى حال . ويتناوبون يتراجعون الكلام . والحوارة المحاورة ، ومراجعة للناطق والكلام في المساطبة ، وقد حاوره^(٥) .

الحوار في الاصطلاح : هو محادثة بين شخصين أو فريقين ، حول موضوع محدد ، لكل منهما وجهة نظر خاصة به ، هدفهما الوصول إلى الحقيقة ، أو إلى أكثر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر ، بعيداً عن الخصومة والتعصب ، بطريق يعتمد على العلم والعقل ، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر^(٦) .

(١) صبر / عبد الحفيظ عبد الرحيم ، صلة الرابطة ، العدد ٤٦٤ ، ١٤٢٥ هـ ، رابطة العلم الإسلامي : مكة المكرمة - ص ٢٥ .

(٢) الصومي / أحمد بن محمد بن علي القرني ، الصباح للمو ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

(٣) نفوز آبادي / عبد الله محمد ، القاموس المحيظ ، ج ٢ ، ص ٦٤ .

(٤) ابن منظور / أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢١٧-٢١٨ .

(٥) القاضي / خالد محمد ، نفوز أدبه وتعليقه ، ١٤٢٥ هـ ، مركز فلك عبد العزيز للعلوم الوطني : الرياض - ص ٢١ .

الحوار في السنة النبوية هو : كل توجيه ، أو قصة ، أو سؤال ، أو خطاب ، يصدر من شخص موجهاً نحو النبي ﷺ . أو موجهاً من النبي ﷺ لأحد أصحابه أو لجماعة من المسلمين ، وهو على وجه العموم وليس الخصوص . والغاية منه الوصول إلى النهج الديني الموحد والمعرفة الصادقة ذات الردود التنفيعي ديناً ودنيا .

وبناء على ما سبق فإن الحوار ينقسم إلى عدة أقسام منها :

- ١/ أسلوب حوار بالسؤال . ٢/ أسلوب الحوار القصصي .
- ٣/ أسلوب حوار التوجيه . ٤/ أسلوب حوار الخطاب .

١- أسلوب الحوار بالسؤال :

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْكَ رَجُلٌ شَدِيدٌ يَتَاحَى الشَّيْبَ شَدِيدٌ سَوَادَ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَقْرُ الشَّعْرِ ، وَلَا يُعْرِفُهُ مَا أَخَذَ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَاسْتَدْرَكَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فُجَيْتَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنْ امْتِطَفَتْ إِلَيْهِ سَبِيلًا » ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَجَعَلْتُ إِلَيْهِ سَأَلَهُ وَبَصَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَبِرَسُولِهِ ، وَبِكُتُبِهِ ، وَبِرُسُلِهِ ، وَبِالْوَحْيِ الْآتِي ، وَتُؤْمِنَ بِكُلِّ خَيْرٍ وَخَيْرِهِ » ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ : « أَنْ تُعْبُدَ اللَّهَ كَمَا كُنْتَ تَعْبُدُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَعْبُدُ فَإِنَّكَ » ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ » ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْمَوَالِيحِ ؟ قَالَ : « أَنْ تَعْلَمَ الْآلَمَةُ رَحْمَتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْخَلْقَ الْغُرَافَةَ الْقَدْلَةَ رَعْدَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَيْنِ » ، قَالَ عُمَرُ : قُلْتُ قَلْبًا ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عُمَرُ ! هَلْ فَتَرَى عَنِ السَّائِلِ ؟ » . قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « قَوْلُهُ جَبْرِيْلُ ، أَلَا تَحْمُ الْبَعْلَمُكُمْ أَقْرَ دِينِكُمْ »^(١).

يظهر من الحديث السابق آداب الحوار التعليمي ، فظهر صفة للتعليم في الجلوس " - ووضع كفيه على فخذه - أي وضع كفيه على فخذي نفسه وجلسه على هيئة للتعليم"^(٢) . ثم بدأ في الحوار ، يسأل ويصدق ، فزاد تعجب الصحابة ؛ لأن " هذا خلاف

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٤٦ ، ر ٨ .

(٢) الشووي / الإمام يحيى الدين أبو بكر بن يحيى ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ١٤١٨هـ - ج ١ ، ص ١٣١ .

عادة السائل الجاهل ، إنما هذا كلام غير بالمسؤول عنه ، ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم هذا غير النبي ﷺ^(١) . وهذا زاد من وقع الحوار في نفوس السامعين وإثارة الانتباه والعواطف ، وزيادة تثبيت الحقائق في النفس . فتم توضيح معنى الإسلام والإيمان والإحسان والسعادة وأماراتها ، وهي أسس عقيدة المسلم ، تشمل الدين والدنيا . فإذا وصل المسلم إلى هذه الدرجة من العلم والعمل ، فقد تعلم أمور دينه ؛ لأن الحديث اشتمل * على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال ، حتى إن العلوم الشرعية كلها راجعة إليه ومتشعبة منه^(٢) ، فهو يجمع أنواعاً من العلوم والمعارف والآداب . وبعد الانتهاء من الحوار وإجابة الأسئلة ، بين لهم ﷺ أنه حيرل جاء يعلمهم أمور دينهم . موقف محسوس ملموس يزيل أدنى شك تعلق بالقلب نحو العقيدة ، ويثبت ما تعلمه المسلم من أمور دينه . فضلاً عما يحتويه الموقف من آداب تربوية تتمثل في حسن اختيار للمكان والزمان ، واقترب السائل من المسؤول ، وأهمية إصغاء للمسؤول لقول السائل ، وترتيب الأسئلة .

والرأي القدير لا يسلك أسلوباً واحداً في التربية ، بل يسير وفق المواقف حتى يجدي الأسلوب التربوي ، فإذا كان الموقف يستدعي توضيح معلومات أو تأكيدها أو معرفتها استعمل أسلوب حوار السؤال ، لذلك كثيراً ما يستعمل ﷺ الحوار فتوجيهي التوجيهي ، ويكون بتوجيه سؤال بقصد إثارة الاهتمام والشوق إلى ما يراد تعليمه أو توضيحه ، وللمحاضرين يعرفون شيئاً عنه ، ولكن المرء يريد إعطائهم معلومات جديدة عنه أو تصحيحها ، أو إيضاح أمور لا يعرفونها ، أو إزالة شكوكهم وإزالةهم حوله . ويكون الجواب بأسلوب مشوق مبني على دلائل حسية ، يعرفها للمحاضرين ، ويرد لها دالة على الأمر الذي وجه السؤال عنه ، وهذا هو الاستفهام التقريري الذي يسأل عما يعرف به المحاضرون ويقولون بوجوده^(٣) . فعن عبد الله قال : سألت النبي ﷺ ، أي القليل أحب إلي الله ؟

(١) للرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٢) للرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) شحاتي / عبد الرحمن ، من أساليب التربية الإسلامية الشرعية بالحوار ، ١٤٢٣ هـ ، دار الفكر : مسوياً ، ص ١٢٩-١٣٠ .

قَالَ : « الصَّدَاقَةُ عَلَى وَلِيِّهَا » ، قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : « بِرُؤُوسِ الثَّقَلَيْنِ » ، قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »^(١) . من الحديث السابق يتضح التدرج لبيان الأفضلية في الأعمال ، وقد تم ذلك عن طريق الحوار : " لما يترتب عليه من تحقيق العديد من الفوائد والمنافع التي منها : حصول الفهم ، والوصول إلى الإقناع العقلي وللتطقي للمتحاورين والمستمعين صغاراً كانوا أو كباراً . إضافة إلى ما في هذا الأسلوب من الدافعية لمعرفة الجديد والمفيد ، وما فيه من أثر بالغ في نفس المتحاورين أو المستمعين أو التابعين له ، اعتماداً على حسن العرض وواقعيته وقوة الحجة ووضوح الغاية^(٢) .

والإسلام اعتمد هذا الأسلوب فهو من أكثر الأساليب نفعاً وفائدة للمتعلمين ، لأن النفس الإنسانية ميالة بطبعها وفطرتها إلى الحوار أو الجدل ، وقد وصف القرآن الكريم الإنسان بهذه الصفة ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْئٍ جَدَلًا ﴾ (الكهف آية ٥٤) . وموضوعات الحوار في القرآن الكريم متعددة ، منها العقيدة والتشريع وأخرى اجتماعية وتربوية ، كما تناول حوار أهل النار ، وأهل الجنة . وغير ذلك من الحوارات المختلفة التي تتخاطب عقل الإنسان ووجدانه ، وتحت هذه الصفة في الإنسان حتى إلى ما بعد الموت - يوم الحساب - قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي سَكَّةٌ تُغْنِي عَنْ نُفُسٍ تُجُنِّدُونَ عَنْ نُفُسٍ تَظُنُّوْنَ أَنَّهَا سَكَّةٌ مَّا غَصِبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (النحل آية ١١١) .

وما السنة النبوية إلا امتداد للقرآن ، متبعة بعض أساليبه في الدعوة ، والغاية هداية الناس ، والحرص على إصلاحهم ، " حيث تختلف مدارك الناس في عملية إقناعهم ، فالبعض قد يصعب إقناعه بسهولة ، فهؤلاء لابد لهم من طرق جدلية تعزل ما ليس عليهم ، ويُلزمهم بما عندهم ، ويتخذ ما يعرفون وسيلة لإلزامهم بما يرفضون^(٣) .

والجدل والحوار " يتشابهان إلى حد كبير ، والفرق بينهما يكاد أن ينصب في الدرجة لا في النوع ، إلهما يتوجهان في الحقيقة إلى العقل البشري ، الأمر الذي نتركه معه إلى أي حد

(١) البخاري / صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٢٠٤ ، ر : ١ .

(٢) أبو هريرة / صحيح بن علي ، مقدمة في التربية الإسلامية ، ١٤٢٤ هـ ، دار الفصيلة للتربية : الرياض ، ص ٧٧ .

(٣) للعاصمي / خالد محمد ، الحوار أدبيه وتطبيقاته في التربية الإسلامية ، ١٤٢٥ هـ ، ص ٩١ .

كان يعتمد على العقل في تكوين الإيمان . ويكون الحوار عندما يضطرب الفهم ، ويصبح العقل في حيرة من أمر نفسه وأمر قضية من القضايا أو مسألة من المسائل ، ويراد من الحوار أن يخرج من كل ذلك ، ومراقبة الكلام في الحوار هيئة لينة ، وغور عتيقة ، أما الجدل فيكون عندما ينشأ صراع^(١) . والحوارات تتعدد بتعدد أغراضها ؛ فمنها ما يكون هدف الحوار إقناع الآخر بأن اعتقاده أو رأيه أو موقفه هو الحق بأن يتبع ، ومنها ما يكون هدفه مجرد معرفة ما عنده - كي لا يكون هنالك سوء تفاهم بأن ينسب إليه ما لا يرى أو يعتقد - ومنها ما يكون الغرض منه إمكانية الوصول إلى آراء أو أهداف مشتركة تساعد على التعايش والتعاون . أما إذا كان الهدف من الحوار أخذ العبرة والوعظة فيستخدم الحوار القصصي .

٢- أسلوب الحوار القصصي :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَبَ حَتَّى إِذَا لَحِقَتْهُ إِلَيْهِ اللَّهُ قَدْ صَنَعَ الشَّيْءَ وَمَا صَنَعَهُ ، وَإِلَهُ ذَا رَيْتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَخْبَرْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَتَانِي فِيمَا اسْتَقْبَلْتُهُ فِيهِ » . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : فَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « جِئَنِي وَجَلَلَنَ فَجَلَسَ أَخَذَ مِنِّي عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخِرَ عِنْدَ رِجْلِي ، فَقَالَ : أَخْبَرْتَنِي بِصَاحِبِهِ ، مَا وَجَعَ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : مَعْشُوبٌ ، قَالَ : مَرْنِي بِهِ ؟ قَالَ : كَيْدُ نَزْلِ الْأَقْصَمِ ، قَالَ : فِي مَادَا ؟ قَالَ : فِي مُشَقَّ وَفُتْمَاةٍ وَجَفَّ طَلْعُهُ ، قَالَ : فَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي ذُرْوَانَ ، وَفَزَوْانَ بَعَثَ فِي بَنِي دُرَيْقٍ » . قَالَتْ : فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَادَا لِقَاعَةَ الْحَاءِ ، وَلَكَأَنَّ لِحْظَهَا رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ » ، قَالَتْ : فَأَنَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَالْحَرْبُ عَنْ الْبَعْرِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا أَخْرَجْتَهُ ؟ قَالَ : « أَمَا أَلَا فَقَدْ خَفَانِي اللَّهُ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُبَيِّرَ عَلَى النَّاسِ شَيْئًا »^(٢) . يبين الحديث أن رسول رب العالمين لم يسلم من أذى العباد وشبههم ، - حتى إنهم مسحروه - ويقال إن السحر أصاب يده ولم يصب عقله ؛ * لأن الدليل قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ ، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عُرْضَةٌ لما يعترض البشر كالأزمات ، فلا عجب أن يخلل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن

(١) المرادوي / أمال حمراء ، الجدل والحوار أسلوبان للتربية في القرآن الكريم ، مجلة العلوم الشرعية ، ج ١١ ، ١٩٩٨م ، معهد الدراسات الشرعية : القاهرة ، ص ١٢٠ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب الدعوات ، ص ١٩٤ ، ر : ٨٢ .

مثل ذلك في أمور الدين^(١)، فإن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره، وأن الآفات التي تحمل ظاهره من ضعف وجوع، وسهر ونوم، لا تحمل منها شيء في باطنه، بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن؛ لأنه ﷺ في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته^(٢). ومعنى ذلك أنه ﷺ سحر في بدنه فقط. وتستخدم كلمة السحر في معاني متعددة: منها سحرت الصبي استعملته، وكل من استمال شيئاً فقد سحره، ومنها الطبيعة ساحرة، جذابة تستميل النفوس بحماها، وأما السحر من أجل التأثير على القلوب كالحب والبغض وجلب الخير والشر، في الأبدان بالألم والسقم، قال النووي: عمل السحر حرام وهو من الكيافير بالإجماع، وقد عدّه النبي ﷺ من السبع للويلات، ومنه ما يكون معصية كبيرة بل كفر؛ وتعلمه وتعليمه فحرام^(٣). ومن ذلك يتضح أن السحر لا يأتي إلا من فاسق ومناق، يقصد به إضرار الناس، وقد يستخدم لتحقيق منفعة أو محبة، ويرزون لأنفسهم ما ليس لهم. ويسمونه بأسماء مختلفة تروى لهم - مثل حذابة، تألف - ومهما اختلفت الأسماء فحكمه حكم السحر سواء كان طيبة أو جلب منفعة من الآخرين، أو وقوع ضرر بالآخرين. وهذا الأسلوب التعليمي للنبي ﷺ في حوار للملائكة من أجل الوصول به إلى العلاج، يكون أمام الطرفين أسلوب علاجي يمكن استعمله في المؤسسات التربوية من أجل تحقيق أهداف تعليمية وغرس قيم تربوية لطلبة العلم.

ثم تظهر صفة لمربي في التعامل بالأسلوب التربوي الذي يغزو القلوب، والتي يجب أن يتصف بها المعلم والمربي، وهي صفة العفو التي أوضحها الرسول في قوله ﷺ: «أَمَا كُنَّا فَقَدْ ضَغَانِي اللَّهَ وَنَحْرَهُ أَنْ كُنِيَ عَلَى النَّاسِ شَرٌّ؟»، عفا ﷺ عن مناقق وهو يعلم، وفي هذا الفعل التطبقي موعظة وعبرة لعلمه يقتدي بها من ينهض قلبه بالإيمان ويسعى لكسب رضا الرحمن، ويقتدي بالنصطفى ﷺ عبر الأنام، الذي لم يكتف بتوجيه المسلمين بالتطبيق الفعلي، بل كان يوجه أيضاً بالقول، ويأيد بالتعليم. فاستخدم ﷺ أسلوب الحوار التوجيهي لتوضيح أمور الدين بطريقة عجيبة مشوقة يتقبلها كل من يسمعها.

(١) المستطاب / فتح الباري، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٢٢٧.

(٢) المحصى / القاسمي عفاي أبو الفضل، الشفا تعريف حقوق لمصطفى، ص ٥٠، ت. ج ٢، دار الأرقم: بيروت، ص ١٨٥.

(٣) المستطاب / فتح الباري، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٢٢٤.

٣- أسلوب الحوار التوجيهي (المبادرة بالتعليم) :

عَنْ جَوْبَرَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ فَقَالَ : « أَصْبَحْتَ أَنْفِي ؟ » ١. قَالَتْ : لَا ، قَالَ : « لَوَيْدِينَ أَنْ لَصُومِي غَنَاءٌ » ٢. قَالَتْ : لَا ، قَالَ : « فَأَلْطَرِي » ٣. الحديث السابق فيه توجيه جوبرة رضي الله عنها إلى أهمية يوم الجمعة وعدم إفراده بالصوم ، وهو توجيه يحمل صفة العموم ، ويتضح منه التدرج في الحوار حتى الوصول للهدف ، فبدأ ﷺ بالسؤال حتى تترك وتصل إلى الصواب من غير أمر ، فهي في طاعة وتريد التقرب إلى الله ، فوضح لها الحكم بطريقة استنتاجية ، حتى يتناقلها الناس فيما بينهم بهذا الأسلوب اللطيف ، والابع سنته في الحكم ، وفي الطريقة الحوارية في الدعوة لله ؛ لأن الحوار أمر ضروري وملح في الدعوة الإسلامية ، فقد رسم الرسول ﷺ أروع الأخلاق في الحوار وأحسنها ، فالحوار مطلب إلهي أوصى الله به رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (الحل ١٦٥) ، حتى يمكن السيطرة على العقول صاحبة الحكم ، وعلى القلوب ممكن الإيمان والتقوى ؛ لأن حوار العقول لا يمكن أن يكون مجرد أوامر ونواهي ، تتحول في نهاية المطاف دون استمرارية هذه الأوامر والنواهي ٤. بل هو ترسيخ عقائد وتطبيقاتها .

لذلك كان ﷺ يثر الحوار بين أصحابه لغرس القيم الإسلامية فيهم . قَالَ ﷺ : « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ » ، قَالُوا : « فَبَيْنَ لَمْ يَجِدْ ؟ » قَالَ : « فَيَعْمَلُ يَدَيْهِ فَيَنْفَعُ لِنَفْسِهِ وَيَصَدَّقَ » ، قَالُوا : « فَبَيْنَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ ؟ » قَالَ : « فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْفُوفَ » ، قَالُوا : « فَبَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ ؟ » قَالَ : « فَيَأْتِرُ بِالْمَشْرِ - أَوْ قَالَ : - بِالْمَعْرُوفِ » ، قَالَ : « فَبَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ ؟ » قَالَ : « فَيَنْسِلُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّ لَهُ صَدَقَةً » ٥. بين الحديث السابق أن كل شيء يفعله المرء أو يقوله من الخير يكتب له به صدقة ، والإمساك عن الشر صدقة ، والمعروف هو اسم كل فعل يُعرف حسنه بالشرع والعقل معاً ، وعُرف بأدلة الشرع أنه من أعمال البر، سواء حرت به العادة لم لا ، ومن الحوار الدارج في الحديث تظهر أعمال الخير والصدقة متتالية حتى الوصول إلى أن الحسنة

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الصوم ، ص ٩٢ ، ر : ٩٥ .

(٢) محبوب / عبد الحفيظ عبد الرحمن ، مصطلحات الحوار، الربطة ، ع ٢٩٤ ، سنة ١٤٢٥هـ - مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الأدب ، ص ٢٠ ، ر : ٥٢ .

تكتب لمن هم بالسيرة فلم يعملها إذا قصد تركها وجه الله تعالى^(١)، فالحوار التوجيهي التربوي يبرز سمات الأخلاق الاجتماعية ؛ لأن فيه تعاملًا مع الآخرين ، و تعليمًا و توجيهًا إلى ما ينبغي عمله ، وما يجب تجنبه .

ولم يقصر ﷺ الحوار على توجيهاته لأصحابه ، بل استخدم ﷺ الحوار التوجيهي الاستدراحي الجماعي حتى مع الأعداء للوصول إلى الحق أو كشف حقائق غامضة ؛ لأن الحوار " طريقة الأنبياء في الدعوة والتعليم والتوجيه وحل للشكالات ، وفق قواعد منطقية وموضوعية "^(٢) . لذلك كان الحوار منهجه ﷺ لحل أغلب الخلافات التي كانت تصدر من اليهود والنصارى بقصد الإساءة لشخصه الكريم ﷺ أو للمسلمين كما جاء في الحديث . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا فُتِحَتْ حِثْرُ أُخْدُودِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاءَ فِيهَا سَمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اجتمعوا لي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنَ الْيَهُودِ » ، فَجِئُوا لَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي سَأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ ، فَهَلْ أَنتُمْ صَادِقُونَ عَنْهُ » ؟ . فَقَالُوا : نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَتُوكُمْ » ؟ . قَالُوا : أَتُونَا قَدَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَذَّبْتُمْ بَلْ أَتُوكُمْ قَدَانٌ » ، فَقَالُوا : صَدَقْتَ وَتَوَدَّتْ ، فَقَالَ : « هَلْ أَنتُمْ صَادِقُونَ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ » ؟ . فَقَالُوا : نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، وَإِنْ كَذَّبْنَا عَرَفْتَ كَذَبْنَا كَمَا عَرَفْتُمْ فِي آيَتِنَا ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَهْلُ الدِّارِ » ؟ . فَقَالُوا : لَنَكُونُ فِيهَا نَسِيرًا ثُمَّ نَخْلُقُونَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « احْشَوْا لَهَا ، وَاللَّهِ لَا نَخْلُقُكُمْ فِيهَا أَبَدًا » ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : « هَلْ أَنتُمْ صَادِقُونَ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ » ؟ . قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : « هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّأْنِ سِتًّا » ؟ . فَقَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : « مَا حَصَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ » ؟ . فَقَالُوا : أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا لَسْتَرِيحَ مِنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَبًّا لَمْ يَضُرَّكَ^(٣) . يُستدل من الحديث السابق أن الرسول الكريم ﷺ استخدم أسلوب الحوار الحكيم الذي سلكه ﷺ في هذه المحاكمة العقلية عن طريق السؤال والاستجواب لقلع الباطل ، وإبانت البينة والمحة على اليهود الذين وضعوا له السم في الشاة ، فكان حواراً تسوده المسؤولية والرعاية وإتقان الذات من قبل النبي ﷺ ، فطلب منهم قول الصدق ، لم بدأ الحوار بسؤال عام كالسؤال : « مَنْ أَتُوكُمْ » ، وهو سؤال تأكيدى لبنت لهم ويبرهن كذبهم ومروفتهم من الدين ، ثم سألهم عن مصورهم

(١) الصنعاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٤٤٨ .

(٢) أهل / شاذية أحمد ، علم النفس التربوي في الإسلام ، ١٤٢٥هـ ، دار الفقه : بيروت ، ص ٢٩٢ .

(٣) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الطب ، ص ٢٥٥ ، ر ٨٨٦ .

نتيجة كلهم وفعالهم ليهز وجدانهم ، ويشعرهم بعظيم فعلهم قبل الوصول إلى النتيجة ؛ لأن هذه المقدمات تدحض كل أقوالهم فيما بعد ، حيث اتضح كلهم في أمور معروفة وأظهرها هم ، ليكونوا ظاهرين أمام العالم بأسره . حتى انتهى بإقرار اليهود بذنبهم ؛ لأنه ﷺ هيا نفوسهم لقول الحق ، ولا مجال للكذب ؛ لأنه عاد كلهم عليهم وصحح قولهم .

وهذا الحديث مدرسة تربوية بذاته يمسد واقع العالم الإسلامي ، هذا الواقع الذي يغتر إلى الخطاب الثقافي ، وتسويق المعرفة ، ويُستخلص من التجارب المريرة التي عاشتها وتعيشها البشرية ، فالعلاقة للتحضرة التي ينبغي أن تسود بين الثقافات للعاصرة هي علاقة الحوار بكل الدلالات التي ينطوي عليها . والحوار هو تقويض الصراع ؛ لأن العلاقة الأولى هدف إلى فهم الجانب الآخر ، والتفاهم معه على أسس ثقافية أخلاقية منطقية ، أما العلاقة الثانية فهي الاقتحام والاكساح والغزو وإحقاق المزمعة بالجانب الآخر للهينة عليه^(١) . وهذه المهينة ليس لها مكان في الإسلام ؛ لأن الإسلام هو دين حوار وتفاهم ، دين علم وتفكير وتربية ، يعتمد على منح العقل ، بعيداً عن الانتعالات البهاصة ، فالرسول ﷺ يؤكد أن معيار القوة في الشخصية الإنسانية يعتمد على ضبط النفس والقدرة على التحكم في الانفعالات . قَالَ ﷺ : « لَسَّ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ »^(٢) . هذا هو للمعيار الإسلامي ، والحديث يتضمن تطبيقاً وحكمة في التصرف وفي القول الحواري الحكيم ، وليس للثروة من غير طائل ، فمن الاهتمامات التي تتردد كثيراً عن العرب بالغم (ظاهرة صورية) ؛ لأن اعتمادهم أكثر على الثروة اللفظية وكثرة الأقوال بغير أن تتحول هذه الأقوال إلى إجراءات وتحرك عملي^(٣) ، فالعالم اليوم محتاج إلى الحوار الثقافي ، والخطاب الحواري المهادن . ومعلم الأمة ﷺ استخدم أسلوب الحوار الخطابي في كثير من المواقف مع رؤساء القبائل ، اليهود ، والنصارى ؛ وذلك لما لهذا الأسلوب من قدرة على الإقناع ، وطرق العقل بالبرهان .

٤- أسلوب الحوار الخطابي :

عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لَأَنَسٍ مِنَ الْكُفَّارِ حِينَ أَقَامَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَا أَقَامَ مِنْ

(١) شعري / عبد العزيز عثمان ، آخر من أجل العايش ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ ، دار الشروق ، حلة ، ص ١١٧ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأدب ، ج ٨ ، ص ٥٢ ، ر : ١٣٨ .

(٣) علي / سعيد إسماعيل ، السنة النبوية رؤية تربوية ، ١٤٢٣ هـ ، دار الفكر العربي . القاهرة ، مرجع سابق ، ص ٤٠٦ .

أَقُولُ هَؤُلَاءِ ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي رَجُلًا مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فَقَالُوا : يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا ، وَسَوَافُنَا نَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ ؟ قَالَ أَلَسَ : فَخَلَعَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَدَائِهِمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قَبَةِ مِنْ أَدَمٍ وَلَمْ يَدْخُ مَعَهُمْ فَرِيضُهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « مَا حَدِيثُ بَلْعَبِي عَنْكُمْ ؟ » فَقَالَ فَقَهَاءُ الْأَنْصَارِ : أَمَا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ يَقُولُوا شَيْئًا ، وَأَمَّا نَاسٌ مِنْ خَدِيعَةٍ أَسْتَأْذِنُهُمْ فَقَالُوا : يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسَوَافُنَا نَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فَرَأَيْتُمْ أُعْطِيَ رَجُلًا خَدِيعِي عَهْدَ بَيْعِ الْفَتْحِ ، أَمَّا لَوْ رَضُوا أَنْ يُلْغَبَ النَّاسُ بِالْأَقْوَالِ وَلَيُخُونُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى دِيَارِكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ لَمَّا تَقَفْتُمْ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَتَقَفْتُمْ بِهِ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَدَرْجِيْنَا ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : « سَتَجِدُونَ أَوَّلَ خَدِيعَةٍ ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ، فَرَأَيْتُمْ عَلَى الْمُخَوَّصِ » ، قَالَ أَلَسَ : فَلَمْ يَصْبِرُوا .^١ هذا الأسلوب الحوارى التربوي وضع ﷺ الأمور وأظهر الحقائق الغالية عن الأنصار ، وبين الأسباب ، وهذا دأب الحكيم يعطى كل شخص ما يناسبه ، فاقطعت حكمته تقسيم غنائم الكفار على من لم يتمكن الإيمان من قلبه لما بقي فيه من الطبع البشري في عجة المال ، فقسمة فيهم لتطمئن قلوبهم ولتجتمع على محبة ، لأنها جلبت على حب من أحسن إلها . ووكّل من قلبه ممتلئ بالإيمان إلى إيمانه ، فمنع أهل الجهاد من آكابر المهاجرين ورؤساء الأنصار مع ظهور استحقاقهم جميعها ، لأنه لو قسم ذلك فيهم لكان مقصوداً عليهم ، بخلاف قسمته على المؤلفين قلوبهم ، لأن فيه استحلاب قلوب أتباعهم الذين يرضون إذا رضي رئيسهم ، فجبر ذلك قلوب أهل مكة بما نالهم من النصر والغبية مما حصل لهم من الكسر والفرع فصرف عنهم شر من كان يجاورهم من العرب . وشرح ﷺ للأَنْصَارَ ما حلّى عليهم من الحكمة فيما صنع ، وأن الغنمة العظمى ما حصل لهم من عودة رسول الله ﷺ إلى بلادهم ، ومجاورته لهم حياً وميتاً ، وظهرت حكمته ﷺ في معاملة الأمور بأن جمع الأنصار فقط ، وحاملهم بطرح السؤال محور اللقاء وأساسه فائلاً : « مَا حَدِيثُ بَلْعَبِي عَنْكُمْ ؟ » . يتحلى في هذا الموقف عظمته ﷺ وكأنه ينكر عليهم قلوبهم ، فرد بعضهم : أَمَا رُؤَسَاؤُنَا قَدْ يَقُولُوا شَيْئًا ، وَأَمَّا نَاسٌ مِنْ خَدِيعَةٍ أَسْتَأْذِنُهُمْ فَقَالُوا ذَلِكَ .

عندها ذكرهم النبي ﷺ - الذي أوفى حوامع الكلم - بالنعم الجليلة التي جلبها لهم وربّتها تربيتها بالغاً قديماً بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا ، ونعمة الألفة وهي

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرقع سابق ، ج ٥ ، كتاب الغزوي ، ص ٣١٨ ، ر ٢٣٦١ .

أعظم من نعمة المال ، لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل ؛ لأن الأنصار كانت في غاية التفرغ والتقاطع ، فبهم على ما غفلوا عنه من عظيم ما احتصوا به منه بالنسبة إلى ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا القاتية . وأراد بهذه الخطية تألف الأنصار واستطابة نفوسهم ولتلاء عليهم في دينهم ، فبكى القوم حتى أعضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحطاً^(١) . وكان درساً للأنصار حتى لا يتكرر مثل هذا الفعل وهذه للتقارنات ، فقد استطاع بأسلوب الحوار الخطائي للتضمن التوجيه العملي للموقف أن يستترك الأمور ، وبين تقدم جانب الآخرة على الدنيا ، وكانت حجة ﷺ قوة حالية ، فلفت أنظارهم إلى أهمية كسب المؤلفة قلوبهم من أجل الدين ، وتوجيههم إلى السلوك الذي يقتضيه الإسلام ويمعدهم عن السلوك السيئ . وإظهار تعظيم شأنهم وبيان مكانتهم عنده ﷺ .

فكانت المدرسة النبوية لأفضل مدرسة تربوية تعالج القضايا بأساليب متعددة حسب للواقف ، ونتائجها ايجابية دائماً وتحقق الهدف ، وما الأساليب التربوية الحديثة إلا إعادة وتجديد للأساليب الإسلامية حتى وإن حاول الغرب تسميتها بأسماء تتناسب مع ثقافة العصر ومتطلباته ، إلا أن الأمثلة والواقف الإسلامية هي أكثر دليل على أن السبق في هذه الأساليب للمسلمين . فالإسلام حريص على تربية كل من العقل والموجدان ، ويحض على التلبر والتأمل والتفعل والتفكير ، فالحوار هو السبيل الإيجابي لمعالجة كثير من للمشكلات التربوية ، ويحتاج إلى ثقافة ومعرفة وعلم وإلمام بالعلوم ، سواء كانت علوماً تقليدية أو فكرية ، فالحوار يندرج تحت العلوم الفكرية من حيث طريقة الإلقاء واختيار الألفاظ ، وترتيب الأفكار ، ويحتاج إلى العلوم التقليدية حتى يتطلب عقول من هم أمامه بالحجة القوية والبرهان الواضح ، يقول ابن خلدون : إن " العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعلماً هي على صنفين : صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره ، وصنف ثقلي يأخذ عن وضعه . والأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية ، وهي التي يمكن أن يلق عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمشاركته البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنماه براهينها ووجوه تعليمها حتى يلقه نظرة وبهته على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر . والثاني هي العلوم التقليدية كلها مستندة إلى الشرعيات من الكتاب والسنة

(١) المستطاب / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٤٩-٥٢ .

للمشروعة لنا من الله^(١). والفرية للعاصرة تنادي بتسمية القوى العقلية واستخدام أساليب الحوار والمناقشة في التعليم وإعطائها اهتماماً أكثر من التلقين ، ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله :

« إن الخلق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بمصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده ، والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله . وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الخلق في ذلك الفن للتناول حاصلاً . وأيسر طرق هذه الملكة فتح المسائل بالخطورة والمناقشة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرادها ، فيحصل طالب العلم منهم يقضي أكثر من عمره في ملازمة المسائل العلمية سكوناً ، فهم لا ينطقون ولا يتناولون ، وعنايتهم بالخطأ أكثر من الحاجة ، يحصلون على طائفة من ملكة التصرف في العلم والتعليم . ثم بعد تفصيل من يرى منهم أنه قد حصل تعدد ملكة قاصرة في علمه إن فاض أو ناظر أو علم . وما أتاهم التصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده^(٢) .

وكان ابن خلدون يشرح في هذا القول الوحيد ما جاء في مؤلفات نظريات التعلم ، ويصف حال معلم اليوم الذي نشأ على التلقين ويمارس أسلوب التلقين في عمله ، ويكون الناشئة كما وصفهم ابن خلدون ، علمهم قاصراً ولا يستطيعون المغامرة . ولا يعني ذلك نفي الطريقة الإلقائية و عدم استخدامها ، بل عدم الاعتماد عليها كلياً ، فالتعلم يحتاجها في تلقي العلوم والحقائق ، " وتستعبد هذه الطريقة في اللواطن التي لا يستطيع فيها للتعلم أن يصل إلى الحقائق بنفسه مع تقتضها وإقباله عليها . ولكن يجب للمعلم أن يشد انتباه السامع^(٣) ، وينظم له المعلومات ، ومثال ذلك ما روى ابن عباس رضي الله عنه قال : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : « يَا خَلْدَمُ ! إِيَّيْ أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوا بَشِيرًا لَمْ يَنْفَعُوا إِلَّا بَشِيرًا قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بَشِيرًا لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بَشِيرًا قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْدَامُ وَخُفَّتِ الصُّحُفُ »^(٤) . فالحديث يدل على

(١) ابن خلدون / عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، ١٤١٧هـ ، مرجع سابق ، ص ٣٠٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٩-٣٠٦ .

(٣) الحمادي / يوسف ، أساليب تدريس التربية الإسلامية ، ١٤٠٧هـ ، دار الفرج للنشر ، الرياض ، ص ١٣٥ .

(٤) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب صفة القيامة ، ص ٢٣١ ، ر : ٢٥٢٤ .

أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب التلقين بمناقب أسلوب الحوار ، ومارس أساليب متنوعة في تعليم الأمة أمور دينها . ولكن كان ﷺ يستخدم الأسلوب المناسب في الموقف المناسب ؛ لذلك كانت أساليبه ﷺ ناجحة وهادفة ، فأسلوب الحوار وإن تعددت أنواعه وتفرعاته يظل هو الأقوى في التعليم ، وتكوين الشخصية ؛ لأن " كل مجالات الحياة الإنسانية ، وكل تطور في قدرات الإنسان يسهم في حركة الحضارة ، باعتباره عاملاً دينامياً مستقلاً . وعليه تكون النتيجة أن أعلى درجات التكيف هي التي تسمح للإنسان أن يتساءل عن نفسه ومستواه الثقافي ، ويسهل التطور إلى درجة أن إلتحاق المجتمع على التعليم يصبح أكثر رغبة للمجتمع من زيادة الإنتاج"^(١).

ومضى كان نتاج المجتمع شخصيات ذات ثقة بالنفس تحاور وتجادل وتناقش على وحي وبصيرة ، يزيد تضامن المجتمع ووحدته ، وتقل مشكلاته عن طريق النقاش الذي يندرج تحت مظلة الحوار ، وكثير من الناس يزيل الحواجز بين المناقشة والحوار إلا أن " المناقشة لا تستخدم إلا عندما يكون لدى المتعلمين معرفة كافية بالموضوع للطروح للمناقشة . أما الحوار يمكن استخدامه دون أن يكون لدى المتعلمين معرفة كافية بكل جوانب الموضوع"^(٢).

وبناء على ما سبق يتضح أن الحوار الهادئ الواعي واجب مع غير المسلمين ، وعليه فهو مع المسلمين أوجب ، ومن للوُصف وقروح فساد ذات البين بين جماعات من الشباب تحتل بضيق الأفق وضيق العقل ، لا تصف الحقيقة ولا تنصف من نفسها ، وتريد الغلبة والاقلام ، وقد تنلمس للعيوب للبراء ، وهذا العصر يحتاج معاصروه إلى جمع الشمول وإعمال العقل"^(٣). والحوار يختلف من فئة إلى أخرى ، فالحوار مع الملحدين يعتمد على معيار يؤمن به الطرفان ، فركز على العقل والحقائق العلمية لتشفق عليها . وإذا كان بين مؤمنين أُضيف إلى المعايير المأخوذة إلى حقائق دينية يؤمن بها كل من الطرفين .

(١) ياسين / السيد ، الحوار الحضاري في عصر العولمة ، ١٤٢٢هـ ، دار النهضة : مصر ، ص ٦٣ .

(٢) عليان / أحمد فؤاد ، طرق التعليم التربوية في السنة النبوية ، ١٤٢١هـ ، دار السلام : الرياض ، ص ٨٠ .

(٣) فوهي / إبراهيم ، الحوار لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ، تقدم الشيخ محمد الغزالي ، دار الفكر العربي : مصر ، ص ٤ .

ثالثاً : أسلوب القصة

منذ فجر الحياة البشرية عُرف الإنسان بشغفه الشديد لسماع القصص ، فبدلية وجود الإنسان على الأرض قصة ذكرت في القرآن الكريم والسنة ، فالقصة لها " تأثير كبير في نفس متلقيها ، لما فيها من تدرج في سرد الأعيان ، وتشويق في عرض الأفكار ، وطرح مزوج بعاطفة إنسانية ^(١) ؛ لأنها تعرض القيم والمبادئ ، وتثبت الأعمال الصالحة ، وتكشف عن الأعمال ، وتبين نتائجها السيئة والحسنة ، وتنتشر الفضيلة ، وتدعو إلى الحق والهدى . فهي " أسلوب تربوي فعال ورد استخدامه في القرآن الكريم والسنة النبوية ، حيث تؤكد السنة ما جاء في القرآن الكريم ، وتلخص عامة ، وتفيد مطلقه ، وتأتي بالجدد الملائم ^(٢) . قال تعالى : ﴿ غُرِّ نَفْصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ سَكَتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْفَنِيلُ ﴾ (يوسف آية ٣) ، أي تبين لك أحسن البيان . وقيل التطرق للقصص النبوي ينبغي توضيح مدلوله .

المصطلح اللغوي للقصص : قصصت الشيء إذا تبعته أثره شيئاً بعد شيء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأَخِيهِ فَهَيْبْ ﴾ (القصص آية ١٦) ، أي اتبعني أثره ، والقصة : الأمر والحديث . واقتضت الحديث : رويته على وجهه يقال : قصصت الرؤيا على فلان إذا أخبرته بها ، أقصها قصاً . وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَبْقَى لَكَ تَقْصُصُ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (يوسف آية ٥) ، أي حشي يعقوب أن يقص رؤيا على إخوته وهم يعرون الرؤيا إجمالاً وتفصيلاً ^(٣) . والقص : البيان ، والقاص : الذي يأتي بالقصة على وجهها كأن يتبع معانيها وألفاظها ^(٤) . وقيل القاص يقص القصص لإتياعه عمراً بعد عمر وسوقه الكلام سوقاً ، واستقصه : سأل أن يقصه . والقصة الشأن

(١) مكاسب / من أساليب التربة في القرآن الكريم ١٤٢٢هـ ، دار ابن حزم - بيروت . ص ٣٦٦ .

(٢) حساري / عصام حسن عبد ، التربة بالمرحلة الحسنة ، ١٤١٣هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة ، ص ٤٥ .

(٣) ابن عاشور / الشيخ محمد بن طاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، ج ٦ ، ص ٢١٣ .

(٤) ابن منظور / العلامة أبو الفضل جمال الدين / لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ١٤١٤هـ ، ص ٧٤ .

والأمر ، يقال ما قصصك : أي ما شأنتك ، والجمع قصص^(١).

القصص في الاصطلاح : بكسر القاف جمع ، ومفردة قصة ، والقصة في لغة العرب الأخبار للروية ، والأخبار الحكمة ، وقد سمي القرآن الكريم ما حدثنا به من أنباء الغابرين قصصاً ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكُمْ مِنْهَا قَابَهُمْ وَخَصِمَتُهُمْ ﴾ (هود آية ١٠٠) ، وسميت حكاية الأخبار قصصاً لأن القاص يتبع أحداث القصة كما وقعت ، ويتبع ألفاظها ومعانيها ، ولذا لا يكون المرء قاصاً حقاً إلا إذا جاء بأحداث ما يرويه على وجهه الذي وقع عليه . والقصة هي " فن حكاية المولدات والأعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرض مقصود "^(٢). وهناك فرق بين القصص القرآن الكريم ي والتبوي وبين القصة الأدبية ، فالقصص القرآن الكريم ي من كلام رب العالمين ، والقصص النبوي هو ما ذكره النبي ﷺ مما أخبره به الوحي من الأخبار والأحداث . والقصة الأدبية : هي حكاية تجمع بين الحقيقة والخيال ، ويمكن قراءتها في مدة تتراوح بين ربع ساعة ، وثلاثة أرباع الساعة ، وتكون على جانب من التشويق ، ولا يهم أن تكون إنسانية أو غير إنسانية ، زاعرة بالأفكار والآراء التي تجعلك تفكر تفكيراً كثيراً بعد قراءتها ، أو سطحية تنسى بعد لحظات من قراءتها . اللهم ألها تربط القارئ أو السامع ربطاً يتر فيه الشعور بالمتعة والرضى^(٣).

القصة التربوية : " هي الخبر الصادق المنقول لفظاً أو كتابة "^(٤) ، وتستخدم من أجل نقل معلومات معينة أو غرس قيم ، أو تغيير الاتجاهات ، وتساهم في تعديل سلوك المتأثرين بها في واقع حياتهم العملية . وهذه الآثار للقصة تصاحب الإنسان في جميع مراحل النمو النفسي والتربوي والاجتماعي^(٥).

وتصاغ القصة في ثلاث مراحل : للتقدمة ، العقدة ، والحل ، فالتقدمة هي للدخول

(١) القوي / المصباح اللغوي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ .

(٢) الأشقر : عبر سليمان ، صحيح القصص النبوي ، ط ٥ ، ١٤٢٠ هـ ، دار الفاضل : الأردن ، ص ١٩ .

(٣) العمري / حسين بن علي ، الأساليب المستبقة من تعامل رسول ﷺ مع زوجته وآثارها التربوية ، ١٤٢٣ هـ ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

(٤) المازني / خالد ، أصول التربية الإسلامية ، ١٤٢٠ هـ ، مرجع سابق ، ص ٣٨٧ .

(٥) علي / سعيد إسماعيل ، السنة النبوية رؤية تربوية ، ١٤٢٣ هـ ، ص ٣٤٤ .

الذي يمهّد لما بعده ، ثم تليه الحوادث ، والعقدة : هي المشكلة التي تظهر أثناء القصة وتحتاج لحل ، وتثير في نفس السامع الرغبة في الكشف ، وهي تشد انتباهه وتجعله يفكر في حل أو تفسير للموقف الغامض ، ويصل إلى قمة نشاطه الذهني ، ثم يأتي الحل ، فيشعر بالراحة ويبدأ نشاطه ، ويحدد موقفه من الشخصيات والأحداث^(١).

فالأسلوب القصصي من أبلغ الطرق المؤدية إلى توثيق الفكرة وإصابة الهدف^(٢) ، والتأثير العميق على النفس . لذا أوصى الله ﷻ - خالق البشرية والعالم بما يتوافق مع طبيعتها - رسوله ﷺ بأن يقص على الناس ما يُوحى إليه . قال تعالى : ﴿ فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف آية ١٧٦) . " لعل الناس يتفكرون في أحوال العابرين ، ويقبسون أنفسهم بهم ، فيأخذوا العبرة لأنفسهم ويتعدوا عن مسارهم إن كانوا ظالمين ، ويتأسوا بهم إن كانوا صالحين^(٣) . لذلك كان معلم هذه الأمة يتعهد أصحابه بالقصة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، قال : سمعت كرهوسا - وكان قاصا - يقول : أحبرني رجل من أهل بدر : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحب إليّ من أن أعتق أربع رقاب . قال : قلت أنا : أي مجلس يعني ؟ قال : كان حينئذ يقص . (والرجل من أصحاب بدر هو علي^(٤)) . فالقصة النبوية تنوعت وفقاً لتنوع الغرض المقصود من سردها . وقسمت الباحثة الأسلوب القصصي إلى : قصص غيبية ، تاريخية ، وأحداثية . وجميعها تهدف إلى تربية الإنسان ورفقي به إلى المستوى الذي يتناسب مع إنسانيته .

القصص الغيبية : إن مصدر أحداثها الوحي وليس لها مصدر غيره ، ولا يعلمها من البشر إلا الأنبياء والمرسلين . فالقصص الغيبية " ترجع إلى مصدر للمعرفة لا إلى طبيعة الموضوع كما هو الحال في الفلاسفة وعلماء التنطق^(٥) . والقصص النبوية بما يحمله من

(١) حسن / محمد حسن أحمد / الأساليب التربوية في السنة النبوية الشريفة ، ١٤١٠هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر ، ص ١٩٩-٢٠٨ .

(٢) مكاتبي / عثمان قنري ، التربية النبوية ، ١٤١٧هـ ، دار ابن حزم : بيروت ، ص ١٥ .

(٣) الأنشراح / صحيح القصص النبوي ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٤) القنري / أبو عبد الله محمد بن أبي بصير ، سنن القنري ، ١٤١٧هـ ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(٥) علي / سعيد إسماعيل ، السنة النبوية ، مرجع سابق ، ص ٣٥١ .

أخبار الغيب يرسخ للعاني الإنمائية ، ويغرس الفضائل في نفوس المسلمين ، فقد أحرر ﷺ أن أمته ستكون شاهدة على الأنبياء في تبليغ الرسالة ، في قصة من سمعها يظل يتذكرها ، لأن في القصة حجة قوية ، استشهد بها النبي ﷺ من القرآن الكريم ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُخَاءُ بِرُوحِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قِيَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ ، فَسَأَلَ أُمَّتُهُ : هَلْ بَلَّغْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا خَافْنَا مِنْ لَدَيْهِ ، فَيَقُولُ : مَنْ شَهِدَ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، فَيَخَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ » ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قَالَ : عَذَابًا لَكُمْ شَهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ^(١) (البقرة ١٤٣) . لتأمل في الحديث يستشعر مكانة أمة محمد ﷺ ، ومكانتها العظيمة بين الأمم ، ومرولة رسوما بين الأنبياء ، فهو ﷺ عبر البشر قاطبة ، فالآية فيها امتنان بالهداية والعدالة ، وظاهر الخطاب يعم الجميع ، وللتقصود ألفا " من العام الذي أريد به الخاص ، أو من العام للخصوص ، لأن أهل الجبل ليسوا عدولاً ، وكذلك أهل البدع ^(٢) ، والراد بقوله : ﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ شاء على المسلمين بأن الله قد أدرع لهم الفضل ، وجعلهم وسطاً بما هيا لهم من أسبابه في بيان الشريعة ، وأذهان أتباعها سائلة من أن تروج عليهم الفضالات التي راجت على الأمم ، فهم لم يغلوا كما غلت النصارى فجعلوا للمسيح ابن الله ، ولم يتصرفوا كما قصرت اليهود فبدلوا الكتب واستخفوا بالرسول ، والتوسط بين طرفي إفراط وتفریط يستلزم العصمة من وقوع الجميع في الخطأ سواء في الأقوال أو الأفعال أو للعتقدات ^(٣) ، وهذه مرولة عظيمة تُوجب على الأمة الإسلامية المحافظة عليها وعدم الانحراف في التيارات المعاصرة ، حتى ينطبق عليهم وصف الله تعالى لهم ، ﴿ لَتَكُونُوا شَهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ وشرط قبول الشهادة العدالة ، وثبتت هذه الصفة بقوله تعالى : ﴿ وَسَطًا ﴾ ، والتوسط العدل والبراء أهل السنة والجماعة وهم أهل العلم الشرعي ومن سواهم ، والراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر ^(٤) . وما ذكر في

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الاعتصام بالكتاب ، ص ١٩٢ ، ر : ١١٨ .

(٢) الصفتان / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٣١٦ .

(٣) ابن عثرون / حشد الطاهر ، التحرير والتنوير ، د.ت ، دار سجون للبشر : تونس ، ج ٣ ، ص ١٨ .

(٤) الصفتان / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٣١٦ .

القصة يعبر عن شأن غيبى أحوالها ستقع في دار الآخرة . وعلى المسلم أن يسعى للحصول على منزلته في الدار الآخرة ، أكثر مما يسعى للحصول على مستويات الدنيا .

ومن نماذج هذا النوع الطفل الذي نطق وقال الحق وقد عصبت والدته من اختياره . قال ﷺ : « بَيْنَا امْرَأَةٌ تَرْضِعُ ابْنَهَا إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ وَهِيَ تَرْضِعُهُ فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لَا لَبِثَ ابْنِي حَتَّى يَكُونُ مِثْلَ هَذَا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ فِي الْقَدِي ، وَتَرَى امْرَأَةً تَجُوزُ وَيَلْعَبُ بِهَا فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا . فَقَالَ : أَمَّا الرَّاكِبُ فَقَالَتْ كَافِرٌ ، وَأَمَّا امْرَأَةٌ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهَا : تَزْنِي ، وَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ . وَيَقُولُونَ : تَسْرِقُ ، وَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ »^(١) . في تاريخ البشرية لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ، عيسى ﷺ ، وشهادة الطفل على حريق ، والطفل الرضيع عندما تمت أمه أن يكون مثل الفارس الذي يجرها مظهره لما فيه من القوة والصحة ، وتدل هيأته ودابته أنه صاحب نعمة وثناء ، حينها دعت الله ﷻ أن يجعل ابنها مثله ، فاعترض الصبي وقال : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ » ، ثم رأت أم الرضيع امرأة مهانة حوها جمع من الناس يجرولها ويضربونها ، متهمه بالزنا والسرقة ، وهي تقول : « حَسْبِيَ اللَّهُ » ، فاعترض الصبي ونطق : « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا » ، ثم سألت الأم رضيعها عن سبب عداقتها في الدعاء فأعلمها * أن الراكب جبار من الجبابرة ، وأن الأمة يقولون عنها سرفت ، زنت ، ولم تفعل^(٢) . ولنا في الأسلوب النبوي العظيم مغزى عميق الأمر وقوي للعن ، يؤثر في عاطفة الإنسان وفكره ، مما يدفعه تلقائياً إلى تعديل سلوكه وتغيير اتجاهاته ، فالنفس الإنسانية حيلت في الحكم على الظاهر ، والشكل للرئي مبني على الظن ، وقد حذرنا الله من سوء الظن ، والعمرة ليس بالظهور إنما بالقوى وصلاح النفس ، والإنسان أحياناً يتمنى أمراً ما ولا يعلم صلاحه ، كما تمت أم الغلام أن يكون ابنها مثل الجبار ، ولا يكون مثل الخارية التي هي أفضل عند الله من ذلك الكافر . ولكن من طبيعة البشر أن يتمنى الفرد ما لم يدركه ويراه عند غيره ، وهذا الأمر يقع فيه كثير من الناس ، وهذا حال الدنيا . ولكن هل يتمنى للمسلم شيئاً يريد به وهو في الجنة ؟ كَانَ الشَّيْءُ ﷻ يَوْمًا يُحَدَّثُ ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ « أَنْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ امْتَلَأَنَ رَتْمَهُ فِي الزُّزْعِ فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ هِمَا حَشَنُ ؟ قَالَ : بَلَى

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ص ٣ ، ر : ٢٥٩ .

(٢) المستطاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٤٧٦ .

وَلِكُلِّي أَحَبُّ أَنْ أَرْزَع ، قَالَ : قَلْبُ قَلْبِ الطَّرَفِ تِلْكَ وَاسْتِغْلَاةً وَاسْتِغْلَاةً ، فَكَتَنَ أَشْأَلَ الْجَبَالِ ،
يَقُولُ اللَّهُ عَالِي : ذُوْنكَ يَا إِبْنِ آدَمَ قَوْلُهُ لَا يُشْبِهُكَ شَيْءٌ ، فَقَالَ الْإِنْسَانِي : وَاللَّهِ لَا لِحِدَّةَ إِلَّا
فُرْجِي أَوْ الصَّارِبِ فَإِلَهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ ، وَأَمَّا لَحْنُ قَلْتِ بِأَصْحَابِ زَرْعٍ ، فَصَحَّحْتُ الشَّيْءَ ٢٧١ .
للتأمل في الحديث يظن أن الرجل كان مزارعاً في حياته الدنيا فقد فطن لذلك الأعرابي ؛
لأن العادة فيما يحرض عليه ابن آدم أنه يحب استمرار الانتفاع به ، وبقاء حرص هذا الرجل
على الزرع حتى في الجنة دليل على أنه مات على ذلك ، وثبت هذا الأمر في ذهنه ، حتى إنه
استأذن ربه في الزرع فالتقى البئر فثبت في الحال ، ولم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع
والحصد والجمع إلا لحة البصر وذلك يدل أن كل ما انتهى في الجنة من أمور الدنيا يمكن
فيها ، والحديث يبين أن النفوس حبلت على الاستكثار من الدنيا ٢٧٢ .

ورغم أن الجنة دار البقاء ، ومول الأبياء والصدّيقين والشهداء ، ومع ذلك فاطلق للكروء
- وهو اللوت - بغير منه وبخلافه البشر بفطرهم الإنسانية ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : أُرْسِلَ مَلَكٌ
الْمَوْتَ إِلَى مُوسَى ٢٧٣ ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّةٌ ٢٧٤ فَقَالَ عَنِّي ، فَوَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ : أُرْسِلْنِي إِلَى عَدَدِ لَا
يُؤِيدُ الْمَوْتَ ، قَالَ : قَوْلُ اللَّهِ إِلَيْهِ عَنِّي وَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَصْنَعُ يَدُهُ عَلَى مَنِّ نَوْرٍ ، فَلَمَّا
بِمَا عَطَتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَجَرَةٍ سِتَّةً ، قَالَ : أَيُّ رَبِّ أَلَمْ مَهْ ؟ قَالَ : قَدْ أَمُوتُ ، قَالَ : فَلَمَّا ، فَسَأَلَ
اللَّهُ أَنْ يُدْخِلَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ٢٧٥ : « قُلُوْا كُنْتُ قَدْ ، فَأَرْسَلَكُمْ
قَرَّةً إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، تَحْتَ الْكُتَيْبِ الْآخِرِ ٢٧٦ . » أخبر الرسول الكريم ﷺ أن من كرامة
الأنبياء على ربهم أنهم يخرجون عند موتهم بين البقاء في الحياة أو الانتقال إلى الرفيق الأعلى ،
وصح في بعض الأحاديث أن الرسول ﷺ سَمِعَ فَاخْتَارَ الرِّفِيقَ الْأَعْلَى . وملك اللوت أرسل إلى
موسى في هيئة رجل ، فلعظه موسى ، وعندما علم أنه مهما عاش فالنهاية الموت وهذه سنة
الله في الكون ، عندها طلب أن يموت ويدفن بالقرب من الأرض المقدسة ، وذلك لشرفها
وفضيلة من فيها من اللذين من الأنبياء وغيرهم . ولم يسأل نفس بيت المقدس ، قال

(١) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب المروعة ، ص ٢٦٨ ، ر : ٢٧١ .

(٢) العسقلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٧٧ .

(٣) صكة : لطمه . من اللوت : ظهره . رَمِيَةً بِحَجَرٍ : قدر ما يبلغ الحجر إذا رمي . مَهْ : استغفام ، أي لم مساذاً ،
أحياناً لم موت . الْكُتَيْبِ الْآخِرِ : فكيب الرمل الخصب ؟ شوي ، ج ١٥ ، ص ٥١٢ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفضائل ، ص ١٤٦٩ ، ر : ٢٣٧٢ .

العلماء : إنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتن به الناس . وفي هذا استحباب الدفن في المواضع القاضية للمواظن للباركة ، والقرب من مواظن الصالحين . وأجاب العلماء على فقهاء عيين ملك للوت بعدة إجابات ، منها : أن موسى ﷺ لم يعلم أنه ملك من عند الله ، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه ، فدافعه عنها ، فأدت المدافعة إلى فقء عينه ، ولم يعتمد ذلك ، واستسلم في المرة الثانية لأنه أنه بعلامة علم بها أنه ملك للوت ، بخلاف المرة الأولى . وقيل : إن هذا اختيار من الله لملك للوت . وقد أذن الله لموسى هذه اللطمة^(١) . ونلاحظ أن موسى ﷺ خيّر فاختار حياة الرسل والأنبياء ؛ لأنه يعلم أن هذه الحياة الدنيا كلها شقاء وبلاء ، والآخرة خير من الأولى .

ولكن الذين يرغبون في الحياة قد يكون السبب حياً في الدنيا ، أو حقاً من عذاب الله ، أو حياً في الدعوة إلى الله ، أو الاستزادة من فعل الخيرات لمرضاة الله عند لقائه . ولكن إذا كان للوت لا يد واقع فاجلته خير من الأرض وما عليها . وبثبت هذا الحديث أن للوت لا مفر منه ، وعلى المسلم أن يجعل دار الدنيا ممراً إلى الآخر متزوداً بما يهيئ له دخول الجنة . ولنا في القصص التاريخية العبرة والعظة .

القصص التاريخية : هي قصص الأنبياء السابقين والأسم الغابرة البائدة ، أو من قصص السيرة النبوية المحمدية^(٢) ، وقصص السلف الصالح والعلماء السابقين . وأحداثها لن تتكرر في الأسم المعاصرة . ومن أمثلة القصص التاريخية ما يلي :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ : لَإِذَا مَاتَ فَخَرَقُوا وَادَّارُوا بَصْفَةً فِي النَّارِ وَبَصْفَةً فِي النَّارِ ، فَوَاللَّهِ لَنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَعْنَتَيْنِ عَذَابِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَكَلَّمَ اللَّهُ النَّارَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَكَلَّمَ النَّارَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ : لِمَ قُلْتِ ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَكْظَمُ ، فَفَقَرْتُ لَهُ »^(٣) . الحديث يشير إلى قصة لرجل قبل الإسلام ، أعطاه الله مالاً وولداً ، فلما حضرت الوفاة قال لبيته : أي أب، كنت لكم؟ قالوا : خير أب . قال : فإنه لم يعمل شيئاً قط ، وإن يقدر الله عليه يعذبه ، وطلب منهم إذا أن مات يحرقوه حتى

(١) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ر . ح ، ٢٢٧٢ ، ص ٥١٢ - ٥١٤ .

(٢) التستاري / عبد الرحمن ، التربية بالقصة ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ ، ص ٣١ .

(٣) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب التوحيد ، ص ٢٥٩ ، ر : ١٣٦ .

يصير فحماً ثم يسحقوه ، ويضعوا نصله في البر ، ونصفه في البحر ، فقال الله ﷻ : كن . فإذا هو رجل قائم . قال الله : أي عبي ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : محافتك . فغفر له وأدخله الجنة^(١) . هذه القصة - هي من أنباء الوحي - تدل على أن الرجل مهيء القطن بعمله ، شديد الخوف من الله - ومحافة الله هي طريق النجاة - لأنه من تاب ورجع إلى الله في الدنيا ، نجا الله في الأسرة من العذاب ، فالله ﷻ خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه ، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهاووه ويخافوه خوفاً الإجلال ، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال ، فلذلك في القرآن الكريم عدة ألفاظ تدل على النار وأهولها ، وما احتوت عليه من الضريع والحميم والسلاسل والأغلال ، وغير ذلك من الأهوال ، ودعا عباده إلى خشيته وتقواه والمسايرة إلى امتثال ما يرضاه ويأمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، وللتأمل في الكتاب الكريم والسنة النبوية ، يعرف ما كان عليه الصحابة وأهل العلم من الخوف والخشية من الله ، والاجتهاد في الطاعات . ويعتبر الخوف من اللقائات العليا ، وهو من لوازم الإيمان^(٢) . قال تعالى :

﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران آية ١٧٥) . وسألت السيدة عائشة رضي الله عنها الرسول ﷺ عن معنى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلْبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (التوبة آية ٦٠) . فألت عائشة رضي الله عنها : أنهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا نَقْلَ مِنْهُمْ ، أَوْكِلَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ^(٣) . ما سبق يدل على أن الخوف من الله أمر مستمر مع المؤمن ، فهو سراج في القلب يصير به أمور الخير والشر . - فالقلوب تعمي كما تعمي الأبصار - فالمرء غالباً إذا خاف من شيء هرب منه إلا الله فإنه يلجأ إليه ، وإذا سكن الخوف القلب أحرقت الشهوات منه وطرده الدنيا عنه . قال ذو النون : الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف ، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق ، والخوف المصود الصادق : ما حال بين صاحبه

(١) الصقلاي / فتح الباري ، مرجع سابق ، ر . ج : ٧٥٠٦ ، ج ١٣ ، ص ٤٦٦ .

(٢) ابن حيد / صالح ، ومجموعة من العلماء ، موسوعة فطرة النعم ، ج ٥ ، ص ١٨٦٧ .

(٣) الترمذي / سنن الترمذي مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الطهارة ، ص ١١٨ ، ر : ٣١٨٦ .

وعارم الله ، ولورع عن الآثام^(١). قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لو نادى جناد من السماء : أيها الناس ، إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلاً واحداً ، لَعَفْتُ أن أكون أنا هو)^(٢) ، هذا الخليفة للبشر بالجنة الذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم القاروق ، فما بال أقوام يتعاملوا بالخوف من الله ، ويُقَدِّمون بشحامة على المعاصي والذنوب ، يخافون من الملعوفين ولا يخافون من الخالق ؟! فالإنسان يخاف بطبعه من القادر على العقوبة ، و يتعامل أحياناً خوفاً من الله لأنها غيبية ، ويعتمد هذا على عمق إيمان المرء .

والخوف من الناس ليس كله ملعوم ، فالملعوم هو الذي يأمر بما يتناقض مع الشريعة الإسلامية ، أما الخوف الذي يتوافق مع العقيدة وفيه جلب منفعة فهو محمود . قَالَ صلى الله عليه وسلم : « كَانَتْ أُمَّرَأَتَانِ مَعَهُمَا التَّاهُطَا ، جَاءَ الذَّبَّ فَلَذَّبَ بَيْنَ إِخْتَاهُمَا فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا : إِنَّمَا ذَهَبَ بِإِيْنِكَ ، وَقَالَتْ الْآخَرَى إِنَّمَا ذَهَبَ بِإِيْنِكَ ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عليه السلام فَقَضَى بِهِ لِلْأُخْرَى ، فَخَرَجَتَا عَلَى سَكِينَتَيْنِ بِنِ دَاوُدَ عليه السلام فَاسْتَرْكَاهُ فَقَالَ : اتَّوَفَّي بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُنَّ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَتِ الصُّغْرَى : لَا تَفْعَلْ يُرْخِمُكَ اللَّهُ ، هُوَ إِلَهٌ ، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى » ، قَالَ أَبُو مُرَّةَ : وَاللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ بِالسَّكِينِ قَطُّ إِنَّمَا يُؤْمِنُ ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدْبِئَةَ^(٣) . يظهر من الحديث أن للواقف تظهر الحقائق ، فقد رأى نبي الله سليمان عليه السلام أن يستخدم معهما طريقة يعرف من خلالها الأم الحقيقية ، فحكم بأن يقسم الغلام بينهما ، فخوف الأم على ابنها جعلها تفضل أن يعيش عند غيرها من أن يموت ، - فإن نكح سليمان ما قاله - فستحسر أنها للأبد . فوافقت على حكم سليمان ، وتنازلت به للآخرى ، فقالت : « لَا تَفْعَلْ يُرْخِمُكَ اللَّهُ ، هُوَ إِلَهٌ » ، فحكم سليمان به للصغرى رغم إقرارها به للآخرى ، فاستدل بشفقة الصغرى على أمها أنه ، وأما الكبرى أرادت أن تشاركها صاحبها في النصيب بفقد ولدها . * فقال سليمان - يعني للكبرى - : لو كان ابنك لم ترضي أن يقطع^(٤) . فتوصل سليمان بطريق الحيلة واللاطفة إلى معرفة باطن القضية ، فأوضحهما أنه يريد قطعه ليعرف من يشق عليها قطعه فتكون هي أمه ، فلما أرادت

(١) القدر والكرام / بصائر ذوي التمييز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٢) ابن جرير / صالغ ، وعصومة من العلماء ، نشرها النعم ، ج ٥ ، ص ١٨٩٥ .

(٣) مرجع سابق ، التعريف من شارح لأبي رجب ، ص ١٧ .

(٤) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الفرائض ، ص ٢٨٠ ، ر : ٤٥ .

(٥) المستقلان / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٥٦ .

الكبرى قطعده عرف أنها ليست أمه ، وعرف أنه ابن الصغرى من قولها ، ولم يكن مراده أنه يقطعده حقيقة ، وإنما اختيار شفتيهما لتتميز له الأم^(١) . فحرفوها من تنقيذ الحكم سلم ابنها من الموت وأعادها إليها .

وكذلك الخوف من السلطان أو صاحب السلطة ، يجعل الإنسان يلجأ إلى الله ، ويطلب منه النجاة من جور السلطان ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَاجِرُ إِبْرَاهِيمَ بِسَارَةٍ لَدَخَلُ بِهَا قَرَّةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمَلُوكِ أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَّارَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ أَرْسِلْ إِلَيَّ بِهَا فَأَرْسَلَ بِهَا ، فَقَامَ إِلَيْهَا فَقَامَتْ تَوَضُّعًا وَصَلَّى^(٢) ، قَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَمَتْتُ بَنِي وَرَسُولِكَ فَلَا تَسْلُطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ ، فَلَطَّ^(٣) حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلَيْهِ^(٤) » ، خرج إبراهيم عليه السلام من بلاده ومعه زوجته سارة بعد أن أنجاه الله من نار قوم ، ونزل دياراً ليس له فيها أهل أو أنصار ، وفيها ملك جبار وظالم ، وكان يسلب الزوجة ويقتل الزوج ، فأخبره إبراهيم أمه أمته ، وقال لسارة : قلت ذلك لأنه لا يوجد مؤمنين غيرنا ونحن نسوة في الإيمان والإسلام ، وأرسل إبراهيم سارة إلى الطاغية ، وهو خائف عليها ولكن لجأ إلى الصلاة ، يدعو ربه ، كما أن سارة لجأت إلى الله تدعوه بقولها : « اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَمَتْتُ بَنِي وَرَسُولِكَ فَلَا تَسْلُطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ^(٥) » . فلم يستطع الطاغية الوصول إليها أو لمسها ، وعشيت إذا ماتت تلك الصورة أن يقال هي قتلته ، فأطلقه الله ، وحاول في الثانية الوصول إليها ، فأخذه الله أخذه أشد من الأولى ، وناشدها أن تدعو له ، ووعدها مرة أخرى بعدم التعرض . وكرر ذلك مرة ثالثة وكانت النتيجة نفسها ، فطلب منها الدعاء ، وعدم التعرض لها ، وعرف أنها مخلوطة ولا سبيل إليها . فأرجعها ومعهما هاجر مدينة من البليار ، وأخذها سارة لإبراهيم ، فأنجبت إسماعيل عليه السلام^(٦) . ويشير الحديث إلى أن الأمم السابقة كانت تدعو الله في الشدائد وتلجأ إليه ﷻ ، وأن الدعاء موجود قبل أمه محمد ، وأن الخوف من الله هو الدائم ، أما الخوف من الناس فإنه زائل مع زوال سبب الخوف . ولا يبدد الخوف من الناس إلا اللجوء إلى الله ﷻ والتضرع إليه بالدعاء ، فإنه سميع

(١) التورى / هي الذين لم يذكروا ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط ١٤٢٨ هـ ، ج ١٢ ، ص ٣٨١ .

(٢) صلى : تدعى .

(٣) أي خلق حقاً ، لشدة كان يضرب برجله الأرض .

(٤) البعاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الإكرام ، ص ٣٨ ، ر : ١٠ .

(٥) الألفر / صحيح القصص النبوي ، مرجع سابق ، ط ١٤٢٠ هـ ، ص ٥٨ .

قريب محب ، وبين الحديث آداب الدعاء مع الله ، فقدمت ذكر الإيمان بالله وبرسوله وهو إبراهيم عليه السلام ، ثم ذكرت مسائلها وحاجتها إلى الله . فالأسلوب والطريقة في التحدث له أصوله وقواعده ، في جميع الأحوال .

والخوف ليس مقيولاً بكل صورة ، بل من الخوف ما هو مذموم وهو مخالفة البشر في مسائل العقيدة . عَنْ حَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ قَالَ : شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَفَّةِ ، قُلْنَا لَهُ : أَلَا تَسْتَصْبِرُ لَنَا ؟ أَلَا نَدْعُو اللَّهَ لَنَا ؟ قَالَ : « كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَتَلَكُمْ يُحْضِرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، فَيُحْضِلُ فِيهِ ، فَيَجَاهُ بِالْمِشْطِ فَيُضَعُّ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَنْتَيْنِ وَمَا يَصُدُّ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْيِهِ مِنْ عَظْمٍ ، أَوْ غَضَبٍ ، وَمَا يَصُدُّ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ كَيْفَ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَبُ مِنْ صُلْعَاءٍ إِلَى خَضِرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ ، أَوْ اللَّذِّبَ عَلَى عُنُقِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ »^(١) . الحديث بين للمسلمين الصبر وتحمل الأذى والثبات على الدين ، وهذه الصفات لا تكون إلا في المتقين حقاً . فالرسول ﷺ يعلم أن أمة محمد سوف تعاني في الحياة الدنيا ، لأن الأجرة هي دارهم ومقرهم إذا صبروا واحتسبوا ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حُظْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت ٤٦ : ٣٥) . في القصة عبرة عظيمة وموقف أعظم ، فمن يوضع للشار على رأسه ويشق نصفين ، ومن يمشط بأمشاط الحديد ، وفوقها تنفذ من اللحم إلى العظم وما يلتصق به من العصب . ولا يصرفه ذلك عن دينه ، فهو من الصابرين الفائزين . وسوف يتم الله هذا الدين حتى إن الإنسان لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولا يخفى ما فيه من المبالغة في حصول الأمن وزوال الخوف : « وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » ، أي سيزول عذاب الشركون ، فاصبروا على أمر الدين كما صبر من سبقكم^(٢) . وفي رواية أبي داود : « فجلس محمراً وجهه » ، يعني أن الرسول ﷺ غضب من قولهم وذكر الحديث . وذكر الرسول ﷺ القصة للمسلمين لبناء نفوسهم ، وربط قلوبهم على الصبر والثبات عند البلاء ، والتمسك بدينهم وعقيدتهم ، والتضحية في سبيل التمسك بالدين ، لأن الإيمان ليس كلمة تقال ، إنما هو حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء ، وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال ، والفتنة على الإيمان أصل ثابت ،

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الثقات ، ص ٥٠ ، ر ١٦٦ .

(٢) العظيم آبادي / أبو الطيب محمد ، عون المعبود ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ١٤٦٦ هـ ، ص ١٠٩ ، ر : ٢٦٤٦ .

وسنة حارية في ميزان الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ^١ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ ^٢ الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت آية ٣) .

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكتشف في علم الله ، فيحاسب الناس على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم . فهو فضل من الله من جانب ، وعدل من جانب ، وثرية للناس من جانب ، فلا يؤخذ أحداً إلا بما استعلن من أمره ، وما حققه فعله ^(١) . فابتهر بالقول لمرمهم في معظم الأمور ، لإتمام العمل . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : أَلَمْ يَوْفِ اللَّهُ بِمَا عَاهَدَ الرَّءْفَةَ لِدَوْلَةِ كُلِّ امْرَأَةٍ عِلْمًا يُقَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ السُّلُوكُ : قُلْ إِنَّ شَاءَ اللَّهِ ، فَلَمْ يَقُلْ وَتَسْبِي . فَأَعْلَفَ بِهِمْ وَلَمْ تَلِدْ مِنْهُمْ إِلَّا امْرَأَةً بَصُفَ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ الشَّيْخُ ﷺ : قُلْ قَالَ إِنَّ شَاءَ اللَّهِ لَمْ يَخْلُفْ وَكَانَ أَرْجَى لِحَاجَتِهِ ^(٢) . هذه القصة اجتماعية تعالج قضية كبرى من قضايا المجتمع ، فللسلم إذا أراد فعل أي سر لابد من أن يقدم للشبهة ، فكل الأمور بأمر الله تسير ، لذلك الاستعانة بالله من أساسيات إتمام العمل قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا ^٣ ﴾ (إلا أن يشاء الله) وَأَذْكُرْكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ^٤ ﴾ (الكهف آية ٢٣-٢٤) . " فلا يقل إنسان : إن فاعل كذا وكذا غداً ، فغداً في غيب الله وأستار غيب الله دون العواقب . وعليه أن يحسب حساب الغيب والشبهة التي تدبره ، ويستعين بمشيئة الله على ما يعزم ، ويستشعر أن يد الله فوق يده ، فلا يستعد أن يكون قد تدبر غير تدبره ، وأنه لا يملك إلا ما يبد الله به من تفكير وتدبير ^(٥) .

وهذا حافز للعمل بأن يعمل للسلم ويسأل الله العون فيه ، أما الكسل والتهازل والتراجع فمما يسأل الإنسان من ربه مقابل إيماله وكسله ؟ فالله ﷻ أمرنا بالعمل والسنة النبوية تحث على العمل في كل توجيهاها ، وقد سحر الله للحلوقات للإنسان ، فعليه أن

(١) القرطبي / جلد عبد الله ، تربة التي ﷺ لأصحابه في ضوء الكتاب والسنة ، مرجع سابق ، ١٤٢١هـ - ص ٤٧٩ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب النكاح ، ص ٦٩ ، ر : ١٧١ .

(٣) قطب / سيد ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ط ٩ ، ١٤٠٠هـ - ج ٥ ، ص ٢٢٦٥ ، سورة : الكهف .

يستخدمها لما خلقت له . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ الْبَقِيَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : « يَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَصُرَّتْهَا ، فَقَالَتْ : إِنْ لَمْ يَخْلُقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْتُ لِتُخْرَجَ » ، فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! بَقْرَةٌ تَكَلِّمُ ؟ قَالَ : « لِيَايِ أَوْمِنُ بِهَذَا أَلَا وَكَيْوَ بَكْرٍ وَغَيْرُ وَمَا هُمَا تَم . وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَاهُ إِذْ غَدَا اللَّذْبُ فَلَغَبَ مِنْهَا بِشَاةً ، فَطَلَبَ حَتَّى كَانَتْ اسْتَقْدَعَهَا مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ اللَّذْبُ : هَذَا اسْتَقْدَعَنِي مِنْهُ ، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ ، يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي » ، فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! ذَنْبٌ يَنْكَلِمُ ؟ قَالَ : « لِيَايِ أَوْمِنُ بِهَذَا أَلَا وَكَيْوَ بَكْرٍ وَغَيْرُ وَمَا هُمَا تَم »^(١) .

سبحان الذي أنطق الحيوان وقد خلقه لا يناطق إلا بصوت فطره له ، هذه القصة فيها عبرة عظيمة ، ليشقق بها أصحاب العقول ، ويعرفوا أن كل مخلوق مسير لما خلق له ، ففي القصة بعض المحامات والغرائب التي وقعت في الأمم السابقة ، وفيها أن الرجل امتطى ظهر البقرة ، فنباطات به ، فضرها لتسرع في سورها - كما يفعل بالخيول والحمير - فالتفتت إليه ، تكلمه بكلام البشر مستكرة ركوبه لما عايناه سنة الله في خلقه فيها ، فهي للحرث ، فكانها تقول له : أنت ظالم لي ، - والظلم وضع الشيء في غير موضعه -^(٢) . فالقصة تعمل في طباقا أسلوباً تربوياً من أساليب التوضيح والبيان ، حيث تجسد وضع كل مخلوق في موضعه الذي خلق له ، فقد ذكر ﷺ القصة واستشهد بتصديق أبي بكر وعمر ، وهما هما مكانتهما في الأمة الإسلامية قاطبة ، حتى يزيد من تأكيد القصة لكل من يسمعهها ، فهي تذكّر في كل زمان للوعرة والعظة . والقصة في الوقت الراهن تثير تساؤلات عديدة حول الواقع للعاصر ، فإذا كان الحيوان يرفض أن يجعل بخلاف ما خلقه الله ، فكيف بالإنسان المكرم ؟ (ولن أطيل في هذا المجال لأنه ذكر في فصل الأهداف ، تحت عنوان/ بناء الإنسان الصالح) .

كما حدثهم ﷺ عن قصة أخرى ، لتكلم فيها ذئب عدا على غنم لأحد الرعاة ، فأخذ منه الشاة ، وكان الراعي قوياً شجاعاً ، فالتفت الذئب إلى الراعي مستكراً عليه أخذ الشاة منه ، وقال له : استقلت الشاة مني ، فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري ؟ ومن المحامات في القصة أن يخاطب الحيوان الإنسان بلغته ، - أما أن يخاطب الإنسان الحيوان بلغته فهذا أمر آخر - فقد كان نبي الله سليمان يفتق لغة الحيوان ، وقد قص القرآن الكريم قصة سليمان مع الخلد ، وكذلك النملة التي تحذر فرقة النمل من سليمان وجنوده . ويجب

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الأبياء ، ص ٥٠ ، ر : ٢٦٤ .

(٢) الأثير / صحيح القصص النبوي ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

تصديق ما جاء في القصة تصديقاً لحق الصادق للصدق ، وإيماناً بقدرة الله تعالى ، وكما ذكر في القرآن الكريم أن الأعضاء تنطق وتشهد على صاحبها^(١) . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِمَ يَجْعَلُ لَكُمْ آيَاتٍ وَلَمْ يَجْعَلْ لَنَا آيَاتٍ قَالَ الَّذِينَ أَنْطَقُوا اللَّهَ لَخَلْقْنَا أُمَّةً أَلْحَىٰ أَنْ يَكُونَ كَلِمَةً وَهُوَ خَلْقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (فصلت آية ٢١) . فالأسلوب القصصي الذي ورد في الحديث بما فيه من استتكار ، إلا أنه ينه الإنسان إلى عدم استخدام قوله لمن هم دوله ، فأنه خلقه لعمارة الأرض وليس التشكيل للمخلوقات . وأن كل مخلوق له دوره في الحياة ويمكن الانتفاع به حتى وإن صدر منه ما يغضب . - كما فعل الذئب - .

وعلى الإنسان أن يتقي ربه في كل تصرفاته ويحافظه ، وما ذكر من القصص الشارعية السابقة وما سيذكر من القصص الأحكامية التالية إلا حجة لأهل العقول النيرة .

أسلوب القصص الأحكامية : وهو سرد القصص التي حدثت في الماضي ، قبل زمن الرسول ، وأسرارها ، أو حدثت في زمنه . وفسرها لأصحابه ، وقد تكرر أحداثها في أي عصر أو مجتمع . بطريقة مشاهة وليس مطابقة ، وإن حدثت فهي تختلف بشخصيتها وفي كيفية توجيه الحدث ، فكل هذه القصص أسلوب تربوي للاستفادة منه في الحياة ، ولتهديب السلوك ، وتوير البصيرة . والقصص التالية تنوعت حسب الأحداث . * فهي ذات التأثير الروحي والخلفي والاجتماعي والإنساني ، مستهدفة غرس الخير والفضائل والقيم والمبادئ في النفوس وترقية الوجدان^(٢) . وثبات المسائل الراد بهاها ، فمنها ما يتعلق بالوحدانية ، والحقبة في الله ، ووجوب الصبر على فعل الخير ، والصدق في التعامل ، وفضل التوبة . فمن أبي سعيد الخدري : أن نبي الله ﷺ قال : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ سِتْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا ، فَمَتَّانَ عَنْ أَهْلِهِ الْأَرْضَ قَتَلَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ سِتْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا ، فَيَهْلُ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا ، قَتَلْتَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مَاتَهُ ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِهِ الْأَرْضَ قَتَلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ، فَيَهْلُ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ الظُّلُمُ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ يَبَىٰ أَمَّاكَ يَحْمِلُونَ اللَّهَ فَاغْتَدِ اللَّهُ مَعَهُمْ ، وَلَا تُرْجِعْ إِلَى الرَّجُلِ فَإِنَّهَا لَأَرْضُ

(١) الترمذ السابق ، ص ١٩٤ .

(٢) حسن / محمد حسن أحمد ، الأساليب التربوية في السنة النبوية الشريفة . ١٤١٠ هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر ، ص ٢٠٨ .

سُوهُ ، فَالطَّلَقُ حَتَّى إِذَا لَصَفَ الطَّرِيقَ أَمَرَهُ التَّوْبَةُ ، فَاسْتَصْنَتْ فِيهِ مَذَابِكَةَ الرُّخْبَةِ وَمَذَابِكَةَ الْعَذَابِ ،
فَقَالَتْ مَذَابِكَةُ الرُّخْبَةِ : جَاءَ لَنَا ثَقِيلٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ ، وَقَالَتْ مَذَابِكَةُ الْعَذَابِ : إِلَهٌ لَمْ يَقْتُلْ خَيْرًا
قَطُّ ، فَاتَّعَمَّ مَذَابِكَةُ فِي صُورَةِ أَتَمِّهِ ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيمُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ ، فَإِلَى أَهْلِهِمَا
كَانَ أَكْثَرُ قُوَّتِهِ لَهٗ ، فَقَامُوا فَوَجَدُوهُ أَكْثَرُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَذَابِكَةُ الرُّخْبَةِ ^(١) ،
الْخَلِيفَةُ يَنْدِلُ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَعَفْوِهِ عَنْهُمْ ، وَالْقِصَّةُ تَفْتَحُ بَابَ
الْأَمَلِ لِكُلِّ عَامِسٍ ، مَهْمَا عَظُمَ ذَنْبُهُ ، وَكَبُرَ حَرَمُهُ ، فَرُغِمَ وَجُودَ هَذِهِ الذُّنُوبِ الْجَسِيمَةِ إِلَّا
أَلَمَّا لَمْ تَقْلَعْ كُلَّ نَوَازِعِ الْخَيْرِ وَخَوَافِهِ ، وَيَقْبِ خَوْفَهُ مِنْ اللَّهِ بِمَرْكَ وَجْدَانِهِ ، فَأَعِزَّ يَحِثُّ عَنْ
خُرُوجِ مَنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ وَيُطَهِّرُ نَفْسَهُ ، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ لَهْلِ الْأَرْضِ ، لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ حَرَمَهُ كَبِيرٌ
وَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ يَفْتِيَهُ ، فَنَدَّوهُ عَلَى رَأْسِهِ ، - وَالرَّهْبَانُ كَثِيرُوا الْعِبَادَةَ قَلِيلُوا الْعِلْمَ -
فَاسْتَعْظَمَ الرُّعُوبَ الذَّنْبِ وَأَسْرَعَ بِالْإِجَابَةِ بِعَدَمِ التَّوْبَةِ ، وَكَانَ حَرْفُوهُ الْقَتْلَ بِسَبَبِ التَّسَرُّعِ بِالرَّدِّ
مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ ، وَأَكْمَلَ الرَّحْلَ قَتْلَ لَمَّا ، وَلَكِنْ مَا زَالَ الْأَمَلُ يَرَاوِدُهُ ، وَهَذِهِ الْقِطْرَةُ السَّلِيمَةُ
تَبْحَثُ عَنْ مَنْ يَرْشِدُهَا إِلَى الصَّوَابِ ، وَيَهْدِيهَا إِلَى الطَّرِيقِ - حَتَّى وَجَدَ الْفَاتِي رَحْلًا عَالِمًا فَعَرَضَ
عَلَيْهِ مَعْضَلَتَهُ ، فَأَعْبَرَهُ أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، وَدَلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ
الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْلُكَهُ ، وَبَرَّكَ الْقَوْمُ الضَّالِّينَ الَّذِينَ يَصْحَبُهُمْ وَيَعِيشُ مَعَهُمْ ، وَيَتَقَلَّبُ إِلَى
بَيْتِهِ صَانِعًا ، وَيَهَاجِرُ مِنْ بَيْتِهِ السَّوْءِ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى ، فَعَرَجَ الرَّحْلُ مُتَوَجِّهًا لِلْمَهَاجِرَةِ لِأَجْلِ
عِبَادَةِ اللَّهِ ، طَالِبًا حَيَاةَ الصَّلَاحِ وَالْإِسْقَامَةِ ، وَفِي مَتْنِ الطَّرِيقِ كَانَ أَجَلُهُ وَسَاعَتُهُ ، وَكَانَ
مَصْرُوعًا إِلَى مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ ، وَخَفَرَاتِهِ لَهُ ذُنُوبُهُ ^(٢) ، فَالْتَمَسَ اللَّهُ لِي عَنْ الْفِتَنِ وَالْيَأْسِ مِنْ رَحْمَتِهِ
مَهْمَا بَلَغَتْ الذُّنُوبُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَن كَانَ يَنْتَظِرْ يَوْمَ الَّذِينَ أُنْزِلُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَآ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر آية ٥٣) .

وَالْتَأَمَّلْ فِي الْخَلِيفَةِ يَعْرِفُ أَنَّ الصَّحْبَةَ لَهَا تَأْوِيلٌ ، وَاخْتِيَارَ الْأَصْدِقَاءِ أَمْرٌ مَهْمٌ لِلْأَنْبَاءِ ،
وَوَاجِبٌ عَلَى الْأَنْبَاءِ مَعْرِفَةُ أَصْدِقَاءِ أُنْبَاءِهِمْ ، كَمَا أَنَّ فِي الْقِصَّةِ أَسْلُوبًا تَرْبُويًا رَافِعًا ، وَهُوَ أَنَّ
تَأَخُّدَ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَلَا يَحُلْ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْبَحْثِ عَنْ مَصْنَعِ الْعِلْمِ ، وَالْقِصَّةُ تَشْمَلُ
مِبَادِي عَظِيمَةً ، فَالْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ وَالْخَوْفَ مِنْهُ ، وَالتَّوْبَةَ مِنَ الذُّنُوبِ هِيَ طَرِيقُ النِّجَاتِ ، وَأَنَّ

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب التوبة ، ص ١٦٨٣ ، ر : ٢٧٦٦ .

(٢) الأئمة / صحيح القصص النبوي ، مرجع سابق ، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

لثوت بأن فحاة ولا يعلم الإنسان بأي أرض يموت ، ولا يتحيه من عذاب الله إلا النية السليمة ، والقصد الصحيح ، والثبوت الصادقة . فالطبيعة الإنسانية فيها الخير والشر ، والنفس أمانة بالسوء ، والله ﷻ ينادي عباده كل ليلة ليتوب مسيء النهار ، ويجزيهم بالسيدات إحساناً . وهذا منهج الخالق العظيم ، فما منهج الخلق من الإساءة؟ هل يسلكون هذا الأسلوب ويتبعونه ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ زَجْلاً يَسْرُقُ ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى ﷺ سَرَقْتَ ؟ قَالَ : كَلَّا ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ! فَقَالَ عِيسَى ﷺ : آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتَ نَفْسِي »^(١) . أسلوب تربوي إنساني يدل على الحواء للربي للأمر وحلب معة الناس في الدين ، فالعفو والتسامح ، والحلم والأناة صفات يُحبها الرحمن ، أما تقصص أخطاء الناس من أجل التشفي ، أو المكابدة فهذه من أفعال الشيطان ، لأن ذلك يوغر الصدور ، ويغرس العداوة بين أفراد المجتمع . والسلم لا يتعامل إلا بما أمره به دينه من حسن خلق وتلاوب مع الآخرين . وأسلوب التعامل أصبح الآن فناً وعلماً مستقلاً بذاته يدرس في الجامعات والمعاهد في الدول المتقدمة ، ويسلمون لديهم هذا العلم منذ شروق عصر النبوة المحمدية ، فللمنهج الرباني الذي طبقه ﷺ في مدرسة النبوة هو أفضل منهج للبشرية ، و نخرج منه أفضل حيل يشهد له العالم إلى أن يرت الله الأرض ومن عليها . والتمسك بهذا التعامل واجب إنساني وديني وتربوي لكل مربٍّ ومعلم ، وقد سار عليه الأنبياء عليهم السلام قبل محمد ﷺ .

وحسن التعامل لا يقتصر على الإنسان فقط بل حتى على الحيوانات والحشرات ، فأنه سبحانه وتعالى يولم نبياً من الأنبياء في تعامله مع النمل . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ لَسَلَتْ فَرَسَتْ لَبًا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ، فَأَمَرَ بِفَرَسَةِ النَّمْلِ فَأَحْرَقَتْ ، فَأَوْخَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَيُّ أَنْ فَرَسْتَكَ لَسَلَتْ أَهْلَكَ أَنْتَ مِنْ النَّاسِ نَسَحَ »^(٢) . وللتأمل في الحديث الشريف يفقه أن كل ما في الكون يسبح لله ﷻ ، " فأمرأة دخلت النار في هرة حبستها " ، فالشفقة والرحمة والإحساس بالآخرين تجلب لصاحبها الخير ، ومن ذلك الرجل الذي دخل الجنة في كلب سقاء . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَتِمَّا زَجْلٌ يَمْشِي بِطَرِيقِ الشَّيْءِ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الفضائل ، ص ١٤٦٦ ، ر : ٢٣٦٨ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السلام ، ص ١٤٠٣ ، ر : ٢٢٤١ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب السلام ، ص ١٤٠٤ ، ر : ٢٢٤٢ . (الرجوع إلى الحديث من المصدر) .

نَهَيْتُ بِأَكْلِ النَّارِ مِنَ الْغَطِي ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَنَعَ هَذَا الْكَتَبَ مِنَ الْغَطِي مِنْهُ الَّذِي كَانَ
يَنْعُ مَنِي ، فَقَوْلَ الْبَرِّ لَمَّا خَلَعَ مَاءً ، ثُمَّ أَشْكَنَ بِهِ حَتَّى رَفِيَ ، فَسَلَى الْكَتَبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ،
فَغَفَرَ لَهُ ، فَأَقْبَلُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَإِنَّ كُنَّا فِي هَذِهِ الْهَيْئَةِ قَائِمِينَ ؟ فَقَالَ : « فِي كُلِّ كَيْدٍ رُطْبَةٌ أَوْجَرٌ »^(١) .
الإسلام دين الرحمة ، والرحمة هي جوهر الرسالة السماوية ، وهي صفة لله ﷻ ، فهو الرحمن
الرحيم ، وبالرحمة نزل الدستور السماوي ، قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ (الاسراء آية ٨٢) ، ومن أجلها أرسل الرسل ، وفيها يتمركز هدف الرسالة ومقصد
دعوة النبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝ (الانباء آية ١٠٧) .
وهي السمة المميزة للمسلمين فيما بينهم ، فهم متراحمون يعطف بعضهم على بعض^(٢) ، يعطف
الربي على رعاياه ، وللعلم على طالبته ، ويسود المجتمع الرحمة التي هي منبع المحبة وأساس التضام
وتماسك المجتمع وتطوره . فمن يرحم يرحم . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « كَانَ لَأَجَرٍ لِّكَافٍ النَّاسِ لَوْ أَنَّ
رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِقِيَابِهِ : تَجَاوَزُوا عَنِّي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِّي ، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ »^(٣) . هذا التعامل
الإتسافي الكريم كان جزاؤه أفضل مما عمل ، * فمن أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في
ظل عرشه ، وكذلك من سره أن ينحيه الله من كرب يوم القيامة فلينبس عن معسر أو يضع
عنه^(٤) . فالتنبيس عن المعسر أمر يزيد من ترابط المجتمع ويقوي أواصر المحبة - فالإسلام
دين تسامح وعفو - ، فحرى بك أيها المرء المسلم أن يكون التحاوض والتسامح من صفاتك
مع من هم حولك ، وحرى بالمسلم الذي بيده زمام الأمور أن يضع هذه الأحاديث أمام
عينه ويسهل على الناس بقدر استطاعته . ولكن الناس منهم للميسر ومنهم للمعسر وكل
منهما يصعد لئام عمله . والتيسر ليس مقيداً لأمر بعينه ، فأي أمر يخدم المسلمين
ويسهل عليهم مشقة يكون تيسراً لهم حتى إفساح الطريق للممارين ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« تَيْسَرًا وَرَجُلٌ يَنْشِي بِطَرِيقِي ، وَجَدْتُ عُصْنًا شَوْكَ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَأَخَذَهُ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ »^(٥) .

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ كتاب السلام ، ص ١٤٠ ، ر : ٢٢٤٤ .

(٢) حسن / أحمد حسن أحمد ، الأساليب التربوية في السنة النبوية الشريفة ، ١٤١٠هـ ، ص ٢٢٢ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري / مرجع سابق ، كتاب البوع ، ص ١٦٢ ، ر : ٣٠٧٨ .

(٤) العسقلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٨ ، من شرح الحديث .

(٥) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة والآداب ، ص ١٦٠ ، ر : ١٩١٤ .

البشرية الإسلامية لم تدع جانباً في الإنسان إلا ربه ووجهته ، فحلت على النظافة بجميع صورها ، فأجانب الجمالي لا يقتصر على البدن والملبس ، بل الخي والسكن ، والطريق لا تخلو من الناس فإذا كان يوجد في الطريق ما يؤدي للملّة ويضيق عليهم فيجب إزالته ، ولكن غفل كثير من المسلمين عن هذا الحق الإنساني ، وتناسوا أن قليل الخير يحصل به كثير الأجر ، وغفران الرب ، فشغلهم ملذات الحياة ومتاع الدنيا - من أموال وآباء - وأنسهم تعاليم دينهم ، فحاولوا إلى العمل بخلافها ، واحتشدوا في قلادة الطرقات ورمي الحلفات في أي مكان دون مبالاة .

وما جاء في الحديث من أسلوب قصصي فيه من العبر والتفوائد الجليلة ، لن يولي ثماره كأسلوب تربيوي إلا إذا وجد مربياً فاضلاً ، وواعظاً متمكناً ، " فالواعظ البارع ، والربي الحكيم ، والداعية للتوفيق .. ، يستطيع أن يكيف عرض القصة بالأسلوب اللائم الذي يتناسب مع عقليّة المستمعين ، كما أنه يستطيع أن يستخرج من القصة أهم مواطن العبرة والعظة ، ليكون التأثير أبلغ ، والاستجابة أقوى ^(١) .

وقد اتصف برهبي البشرية بهذه الصفات ، وصاغ أحاديث تجلب للنفس السرور ، وتذهب عنها الضيق ، ولملأ العنل فهماً وموعظة ، فقصة الرجل الذي وضع الصدقة في غير موضعها - تصدق على زانية وسارق وغني - وللتعارف أن الصدقة للمحتاجين ، وليس لهذه النيات الضالة ، وكانت سبباً لنوبة أصحابها وكان عرض القصة شيقاً . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ رَجُلٌ : لَأَتَصَدَّقَ الْيَتِيمَ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ فَأَتَتْهُمَا تَتَخَدَّوْنَ : تَصَدَّقْ عَلَيَّ زَانِيَةٍ . قَالَ : اللَّهُمَّ لَنْ أَتَخَدَّ عَلَى الْخَمْدِ ، عَلَى زَانِيَةٍ ، لَأَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ ، فَأَتَتْهُمَا تَتَخَدَّوْنَ : تَصَدَّقْ الْيَتِيمَ عَلَى غَنِيٍّ ، قَالَ : اللَّهُمَّ لَنْ أَتَخَدَّ عَلَى سَارِقٍ ، لَأَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ . فَأَتَتْهُمَا تَتَخَدَّوْنَ تَصَدَّقْ عَلَى سَارِقٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَنْ أَتَخَدَّ عَلَى زَانِيَةٍ ، وَعَلَى غَنِيٍّ ، وَعَلَى سَارِقٍ ، فَأَنِي قَبِيلُ لُؤٍ : أَنَا صَدَقْتُكَ لَقَدْ قَبِلْتُ . أَنَا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِلَافِهَا ، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَتَعَبَّرُ بِقَبِيلٍ مِنَّا أَقْطَاعُ اللَّهِ ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ » ^(٢) . في الحديث عبر متعددة منها : فضل إخلاص

(١) طبري / عتداف ، تربية الأولاد في الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ - ص ٧١١ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الزكاة ، ص ٥٨٦ ، ر : ١٠٢٢ .

العمل لله ، واستحباب تكرار الأعمال الصالحة ، والحمد والثناء لله ﷻ في كل الأحوال ، فإرادة الرجل الصدقة ، أما كونها وقعت في يد من لا يستحقها فأمر لله ، وعاجز عن إرادته . فرضي بأمر الله ، لأنه المأمور على جميع الأحوال ، وطم التضرع بالقضاء ، ثم رأى في المنام أن الصدقة قبلت ، وحليت خيراً لأصحابها ، فنية المصدق إذا كانت خالصة قبلت ولو لم تقع للوقع^(١) ، ويجب أن يحسن المرء الظن بالله رغم سفارة العمل فإن الله يعلم بما تخفي الصدور ويجازي كل إنسان بعمله ، فالرجل تصدق خفية ، وأجره ينتهي صدقة ، فلا إنسان قد يحكم على عمل أنه حقير ، ولكنه يكون عند الله عظيم . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُغْضِبُ رَبُّكُمْ مَنْ زَاغِيَ عَنَّمْ فِي رَأْسِ شَيْءٍ يَجْتَلِي بِإِذْنِ الصَّلَاةِ وَتَصَلَّى ، يَقُولُ ﷻ : شَطَرُوا إِلَى عِبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُعِيمُ الصَّلَاةَ يَخَافُ مِنِّي ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ »^(٢) . بداية الحديث تجذب السامع وتعمله ينصت بكيانه من عظيم العمل الذي يعظم عند الله ، فالجملة « يُغْضِبُ رَبُّكُمْ » ، أي يرضى ، بقول النووي : التعجب على الله محال ؛ إذ لا يخفى عليه أسباب الأشياء ، والتعجب يكون مما خفي عليه ، فالقصد عظم ذلك عنده وكبر ، وقائدة تأذنه : إعلام للملازمة والمجن بدعوى الوقت فإن لهم صلاة أيضاً ، وقيل : إذا أذن وأقام تصلي للملازمة معه ، ويحصل له ثواب الجماعة ، ويشير قوله تعالى : « يَخَافُ مِنِّي » ، بفعل ذلك خوفاً من عذابي لا يراه أحد^(٣) . - « قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ » - فبال هذا العمل اليسر رضا الرحمن ، ودعوى الجنة .

وتعجب الله ﷻ - رضاه - ظهر في مواضع متعددة من الأعمال التي لا يعلمها إلا هو ﷻ ، فمن يعمل بصدق أية محسناً الله في عمله جزاه الله أفضل مما عمل . لَمَّا رَأَى مُرَرَّةً ﷻ قَالَ : أَنَّى زَجَلْتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَنِي الْجَهْدُ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ تَجِدْ عَشِقَتِي حَيًّا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ : « أَلَا زَجَلْتُ نَحْبُكُمُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، يَرْحُمُهُ اللَّهُ » ؟ . فَقَامَ زَجَلٌ مِنَ الْكَسْرِ فَقَالَ : لَمَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَذَخِبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِأَنْثَاهِ : حَبِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷻ لَا تُشْعِرْنِي حَشَا ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوَّةُ الصَّبَةِ ، قَالَ : فَإِذَا أَرَادَ الصَّبَةَ الْغَتَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَانِي فَأَمْلِي السَّرَاجَ ، وَتَطْوِي بَطُونَكُمُ اللَّيْلَةَ ، فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ عَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷻ فَقَالَ : « لَقَدْ عَجِبَ

(١) القسطلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٢) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، ص ٤ ، ر : ١٦٠٣ .

(٣) العظيم آبادي / أبو الطيب محمد الخامس ، حوز النعود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٢ ، ر : ١٦٠٠ .

اللَّهُ ﷻ ، أَوْ ضَحِكَ مِنْ لَدُنْ وَلَقَاتُهُ ^(١) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ وَتُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الغش آية ٩) . إن الكرم من صفة الرحمن فهو أكرم الأكرمين ، ويرضى لعبادة هذه الصفة ، فقد بلغت بالصحابي أن يفضل الضيف على نفسه وأهل بيته ، وهذا العمل حل من الرضا عند الله حلول العجب عند عباده ، ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بها الرضا بصنيعهما ^(٢) ؛ لأن تقديم الأفضلية في الاحتياج هو الأصح ، فالضيف مجهد أي عليه الجوع على قواء ، فهو أكثر احتياجاً للغذاء من غيره ، فالتقصه لما تأثر كبير في نفس متلقيها لما فيها من تدرج في سرد الأفكار ، وتربية النفس على العطاء والبذل للآخرين ، وتقديم مخاذج يقتلدي بها في التعامل ، فالعطاء والإيتار لا يصدر إلا ممن يتصف بالبناعة والرضا بما عنده ، فيعرف حقوق الآخرين عليه .

ولنا في القصة الثالثة العبرة في البناعة . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ ، فَوَجَدَ الرَّجُلَ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جُرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ : خُذْ ذَلِكَ مِنِّي ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتَ مِثْلَ الْأَرْضِ ، وَلَمْ أَتَّعْ مِثْلَ الذَّهَبِ ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ : إِنَّمَا بَعَثْتُ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا ، قَالَ : فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ ، فَقَالَ الَّذِي لِحَاكَمَاتِهِ إِلَيْهِ : أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : لِي غُلَامٌ ، وَقَالَ الْآخَرُ : لِي بِنَاتٌ ، قَالَ : أَلِكُمَا الْغُلَامُ الْبِنَاتِيَّةُ ، وَاتَّقِيَا عَلَى أَنْفُسِكُمَا مِثْلَهُ ، وَتَصَدَّقَا ^(٣) . القصة تحمل أروع معاني الأمانة والوفاء ، وتقدم مخاذج إنسانية رائعة من تاريخ الأمم السابقة ، ففي القصة تعجب وغرابة ، حيث تتحاكمان لرفض الذهب ، وللتعاد بين الناس لتحاكم للحصول على الذهب . فحب للمال مغروس في أعماق نفوس البشرية ^(٤) ، قال تعالى : ﴿ أَلَسْأَلُ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الكهف آية ٤٦) .

ولكن الزهد والورع في الذهب من كلا الرجلين يدل على التقوى ، فالواضح أن كلا منهما لا يريد للمال الشرام ، فأبي الحكم الذي لا يقل العجب فيه عن حال الرجلين ، حيث سأل عن أبنائهما ، وكان الأعجب أن يكون لأحدهما بنتاً ، ويكون للآخر ولداً ، فيتزوجا ،

(١) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب القصاص ، ص ٢٩٩-٢٩٢ ، ر : ٣٨٢ .

(٢) المسقلائي / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٢٠ .

(٣) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الأنبياء ، ص ٥ ، ر : ٢٦٥ .

(٤) الأشر / عمر ، صحيح القصاص النووي ، مرجع سابق ، ص ٢٦٨ .

ولم يذهب المال لأحد غيرهما . - فالرجل الذي وجد المال في عقاره لا يعرف أحد بهذا المال غير الله - ولكنه كان حريصاً على عدم أخذ المال ، فكانت نتيجة الورع المصاهرة ، وكثيراً ما يكون صلاح الدربة من صلاح الأبناء . فالأعمال التي يكون فيها مراقبة الله ، والخوف منه سراً وعلانية تجلب الخير لصاحبها ، فالحقاعة والحجة في الله من الصفات التي مقرها القلب ولا تظهر للناس .

واخبة لله تكون بالفعل وليس بالقول حين يتم الأجر عليها من الله ﷻ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْسَلَهُ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَرْجَبِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ ، قَالَ : أَيْنَ لَوْدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ بَعَةِ تَرْثُهَا ؟ قَالَ : لَا ، خَيْرٌ لِي أَخِيَّةٌ فِي اللَّهِ ﷻ قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَتْ فِيهِ »^(١) . يقدم ﷻ دليلاً صريحاً واضحاً عن اخبة الله ، واعتماد الله ﷻ بعباده المتحابين فيه ، حيث أرسل ملكاً يرقب طريق الرجل الذي يريد زيارة أخ له أخيه في الله ، وسأله لذلك عن سبب الزيارة فأخبره ، فقال الملك : « بَانَ اللَّهُ قَدْ أَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَتْ فِيهِ »^(٢) ، فاخبة في الله من أعظم الأمور التي تعود على صاحبها بالنفع والفائدة في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا يكون خلص نفسه من الحقد والضغائن التي تآكل القلوب التي في الصدور كما تآكل النار الحطب ، إلى ذلك أنه ينال محبة الناس له ، فمحبة الآخرين تنعكس على طابعه وتعامله مع الآخرين ، أما الآخرة فإن المتحابين في الله على منابر من نور يوم القيامة يغطهم عليها الأنبياء والشهداء ، وقوله ﷻ : « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُحَابِبُونَ بِحُلِّي ؟ - أي يعظمي وطاعتي لا للتدليس - اليوم أعطيتهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي »^(٣) ، مكانة عظيمة لا ينالها إلا المؤمنون الذين يتصفون بالتسامح والعفو ، وعدم الوقوف على عثرات الآخرين ، والتماس العذر للمخطئين . فالحديث يبين أن الله يحب للمتحابين فيه ويقربهم منه يوم القيامة وينالهم من الراحة والتعظيم تحت ظل الرحمن أكثر مما يناله غيرهم .

فالتراحم والزيارات بين الأقارب والمسلمين أمر به الإسلام وحث عليه ، أما القطيعة

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة والآداب ، ص ١٥٧٨ ، ر : ٢٥٦٢ .

(٢) التوروي / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، كتاب البر والصلة ، ج ١٦ ، ص ٩٦ .

(٣) التوروي / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، كتاب البر والصلة ، ج ١٦ ، ص ٩٦ .

والبغضاء فهي من أعمال الشيطان ؛ لأنه يريد الخسران للإنسان ، والقسوة والغلظة لا تصدر من المسلمين إلا لأعدائهم الكفار . فمن وجد في نفسه أحقافاً أو ضعافاً فيسارع بالتوبة قبل فوات الوقت ، فإله سبحانه يفرح بتوبة عبده . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَخْذِكُمْ كَانَ عَلَيَّ رَاحِلِيهِ بِأَرْحَى قَلْبًا ، قَالَفَلْتُمْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طِفْأَةٌ وَنُفْأَةٌ ، قَالَيْسَ مِنْهَا ، قَالَ شَجَرَةٌ فَاصْطَلَعَتْ فِي ظِلِّهَا ، قَدْ آتَيْسَ مِنْ رَاحِلِيهِ ، قَبِلْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَابِلَةً عِلْدَةً ، فَأَخَذَ بِعِطْفِئِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ حَبَّةِ الْقَرَحِ : اللَّهُمَّ أَلْتِ حَبْدِي وَكَا وَتِلْكَ أَخْطَأَ مِنْ حَبَّةِ الْقَرَحِ »^(١) . في القصة دروس متعددة تزيد من رجوع الإنسان عن الذنوب ، وتحييه في التوبة ، فإله هو خالق البشرية وغني عنهم ، ومع ذلك يفرح بتوبة العبد إليه ، وللتأمل في القصة يجد أن الرسول ﷺ استخدم وسائل تعليمية من البيئة التي يعيش فيها للتعليم - الرحيل الأول - ، حيث يدرك أهمية الراسلة في السفر^(٢) ، إضافة إلى الطعام والشراب الذي نحمله ، وقد نادى علاك حلق لصاحبها ، - إذ ليس من مغيب أو معين غير الله - ووصل به اليأس ذروته ، وساعت حالته ، وتحقق أن الملاك مصوره ، وتعب من البحث عنها ، وفحاة يجد راحلته أمامه ، فكانت فرحته عظيمة حتى إنه تلطم في القبول وأعطى فيه من شدة للوقوف العجيب ، فلا أحد بالصحرَاء وقد أعماه البحث فلم يجد ، وفحاة يرى الدابة أمامه . والرسول ﷺ ضرب للمثل لفرح الرب بتوبة عبده بأنه أشد من هذا للوقوف ، فإله ﷻ لطيف رحيم بعباده ، أرحم من الأم بطفلها . فَمَنْ عَمَرَ بِنَ الصَّطَابِ أَتَى قَالَ : قَبِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسْتِي ، فَبِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّيِّئَاتِ لَبِثِي ، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّيِّئَةِ ، أَخَذَتْهُ فَالْتَمَعَتْهُ بِعُطْفِئِهَا وَارْتَضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْزَوْنِ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَتَلْعَفِي فِي النَّارِ » ٩ . قُلْنَا : لَا وَاللَّهِ ! وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوَلَدِهَا »^(٣) . هذا نموذج يشعر به كل من عنده إحساس بالآخرين ويعمل بين جنبه قلباً رحيماً ، وكل من حس بعاطفة الأمومة التي لا تساوبها عاطفة في الدنيا فالأم تتحمل أقصى درجات التعب من أجل راحة أبنائها ، فكيف بالشهد الذي ذكره ﷻ بالرضيع الذي فقدته في أحوال الحرب ووجدته بعد بحث وعناء والقصته بصدرها ، فهي لن تتركه لحظة واحدة عوفاً عليه

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب التوبة ، ص ١٦٧٢ ، ر : ٢٧٤٧ .

(٢) علي / سعيد الجمال ، السنة النبوية ، مرجع سابق ، ص ٣٥٠ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب التوبة ، ص ١٦٧٨ ، ر : ٢٧٥١ .

من تكرار الموقف . فهل تضعه في النار بدعا ، هكذا يقبل الله توبة عباده بفرحة ؛ لأن التوبة تطهرهم من الذنوب ، وتنجيهم من عذاب الجحيم .

فالأسلوب القصصي يقدم نماذج للحجج مع الإغراء بالافتداء ١٤ ، ونماذج للنشر التحذير منها ، وبيان ما آلت إليه من الخسران والندامة . وهكذا تقدم لنا القصة مادة دسمة من الأخبار الطريفة ، والشخصيات القوية ، والوقائع للذهشة لنخرج بالعبارة المطلوبة . ويسلك للمسلمون منهج الأنبياء والصالحين في حياتهم وتعاملاتهم مع الناس . وللرب يوجه القصة إلى الهدف الذي يريد غرسه في المتعلمين . كما " يستطع للرب أن يصوغ القصة القرآنية ، والنبوية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين ، في كل مرحلة من مراحل التعليم . فالقصة المحككة الدقيقة تطرق للسامع بشغف ، وتتغلغل إلى النفس البشرية بسهولة ويسر ، وتستمرسل مع سباقها للشاعر فلا أمل ولا شك ، لذا ينبغي للمربين أن يغيثوا منها في مجالات التعليم ، لاسيما التمهيد الديني ، الذي هو لب التعليم ، وقوام التوجيه فيه ^{١٥} . لذلك شغلت القصة حيزاً كبيراً في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ؛ لأن " الإسلام يُدرك هذا الليل القطري إلى القصة ، ويُدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب ، فيستغلها لتكون أسلوباً من أساليب التربية والتقويم ^{١٦} .

وبما أن القصة شغلت حيزاً كبيراً في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فأعطينا الباحثة حيزاً أكبر من الأساليب الأخرى .



(١) القحطان / مناع ، مباحث في علوم القرآن الكريم ، دت . دار المعرفة : القاهرة ، ص ٣١١ .

(٢) قطب / محمد ، منهج التربية الإسلامية ط ١٥٥ ، ١٤٢١ هـ ، دار الشروق ، القاهرة ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

رابعاً : أسلوب القدوة (الممارسة الفعلية)

إن القدوة الحسنة لا يمكن أن تتحقق في أي زمان إلا إذا كان لها منهجاً يتوافق فيه القول بالعمل . فالعمل يعبر عن القول ، وتأثيره أقوى على النفس ، لذلك حث القرآن الكريم على أسلوب القدوة ودعا إلى الاقتداء بشخصية النبي محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ (الأحزاب آية ٢١) ، في الآية أمر من الله ﷻ لعباده بالتأسي برسوله الكريم ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله^(١) . ومن دقيق المعنى في الآية أن الله جعل الأسوة في رسوله ﷺ ، ولم يحصره في وصف خاص أو خلق من أخلقه ، أو عمل من أعماله^(٢) ، وذلك لأنه ﷺ القدوة الحسنة والمثل الأعلى للإنسان المسلم صغيراً كان أو كبيراً ، علماً أو متعلماً ، في كل شأن من شؤون الحياة ، لأن شخصيته ﷺ تمثل فيها كل مبادئ الدين الإسلامي الخالدة ، والتأسي بشخصه يُعد أساساً للعملية التربوية الإسلامية ، فالإنسان بطبيعته يتأثر كثيراً بغيره في الأقوال والأفعال والانحماضات والأصناف ، وهذا يعني أنه لا بد للإنسان من قدوة حسنة في حياته ، وليس هناك أفضل من شخصية النبي ﷺ لتكون القدوة الحية على مر الأجيال^(٣) . وقبل ذكر نماذج من الأحاديث التي تدل على القدوة ، لابد من توضيح مدلول القدوة :

المصطلح اللغوي للقدوة : القدوة والقدوة : الأسوة . يقال فلان قدوة يقتدى به^(٤) .
 اقتدى به : فعل مثل فعله تشبهاً به^(٥) . قال الليث فلان يأتسي بفلان ، أي يرضى لنفسه ما رضىه ويقتدي به^(٦) .

(١) ابن كثير / أبو القداء إسماعيل القرطبي ، تفسير القرآن الكريم العظيم ، ١٤١٩هـ ، المكتبة العصرية : بيروت ، ج ٣ ، ص ٤٤٣ .

(٢) ابن حزم / أصاح عبد الله ، القدوة بمبادئ ولماذج ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ ، القدوة العقلية للكتاب الإسلامي ، ص ٧ .

(٣) عماد / أصاح بن علي ، مقدمة في التربية الإسلامية ، ١٤٢٤هـ ، الدار الصوفية للدراسة : الرباط ، ص ٧٣ .

(٤) ابن منظور / أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ١٤١٤هـ ، دار صادر : بيروت ، ج ١٥ ، ص ١٧١ .

(٥) مصطفى / أرفاهيم ، وآخرون ، للعدم الوسيط ، ١٣٩٢هـ ، المكتبة الإسلامية : تركيا ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

(٦) ابن حزم / أصاح عبد الله ، وآخرون ، نظرة العم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .

القدوة في الاصطلاح : " قال المناوي : الأسوة : الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً أو قبيحاً وإن ساراً أو ضاراً " (١). والافتداء ليس هو التقليد كما يظن بعض الناس . فالتقليد : هو الأخذ بمذهب الغير من غير معرفة دليله . أو الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه ، وذلك ممنوع منه في الشرع . والاتباع ما ثبت عليه الحجة (٢).

القدوة في الثرية : التعبير في سلوك الفرد الذي ينتج عن ملاحظته لسلوك الآخرين (٣).

والقدوة تتوافق في اللعين مع الأسوة : وهي اتباع منتهج للمقتدى به سواء كانت قدوة حسنة أو سيئة . ولكن " هذا التوافق ليس على إطلاقه ، فلا نزاع بين اللغتين فربما يمكن حصرها في أن :

١/ التأسى أشد في بابه من الاقتداء .

٢/ التأسى يجعل معنى الالتزام من الغير بشكل أقوى ، ولذلك فإنها ذكرت في القرآن الكريم باعتباره ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين (٤).

٣/ التأسى برسول الله ﷺ فيه التزام تام بسلوك الفرد . والقدوة موضع اقتداء الآخرين لا تصل إلى مرتبة الأسوة ، بمعنى أن التأسى به أعلى شأنًا ومزلة من للمقتدى به (٥).

أنواع القدوة :

القدوة الحسنة : هي الاقتداء بأهل الخير والفضل والصلاح في كل ما يتعلق بمعامل الأمور وإصلاحها ، من القوة والحق والعدل . وخير قدوة هو للمصطفى ﷺ في أقواله وأفعاله وسلوكه وسيرته كلها ، والاقتداء به يكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

(١) ابن حزم / صاغ عبد الله ، وآخرون ، نضرة النعم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .

(٢) الشافعي / عبد الله بن محمد بابا ، علود الجمال من أضواء البيان ، ١٤١٣هـ ، ط ١ ، دار روضة لصغير : الرياض ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، ١٢٩ .

(٣) حلف الله / سلمان ، منهج شمس في التعامل مع الشائقة ، دلت ، بيت الأفكار الدولية : عمان ، ص ٢٣ .

(٤) القرن / علي بن حسن ، حيلة القائد بين القدوة والاقتداء ، ص ٢٣٩ .

(٥) حبان / أحمد صاخب ، الصفات الخلقية والنفسية للتعلم القدوة وغورها في الثرية والتعليم ، المؤتمر التربوي الثالث لإعداد المعلم ، ١٤٢٠هـ ، حامية أم القرى : مكة المكرمة .

والقدوة السيئة : هي القدوة الفاسدة ، التي تتمثل في أهل السوء ، وأهل البدع والانحرافات العقيدية والعقائدية والأخلاقيّة^(١) . أي السور في المسالك المذمومة واتباع أهل السوء والافتداء من غير حجة أو برهان ، ومن ذلك قول المشركين^(٢) : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ إِنَانًا عَلَىٰ أُمْتٍ وَإِنَّا عَلَىٰ أَشْرَجٍ مُّتَعَدِّينَ ﴾ (الزمر آية ٢٣) .

أقسام القدوة :

١/ القدوة في أمور العبادة . ٢/ القدوة في السلوك والأفعال .

١- القدوة في أمور العبادة :

ومن الأحاديث التي توضح القدوة بالممارسة الفعلية في أمور العبادة حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ وَيَسْطُلُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ ، فَيَجْعَلُ النَّاسُ يَتَوَبُّونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا ، فَأَقْبَلَ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تَطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَإِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ »^(٣) . بين الحديث حرص الصحابة الشديد في الأسوة بالرسول الكريم ﷺ في أعمال العبادة ، ولكن رحمته بأمته جعلته يبين لهم أن للناس طاقة لا يمكن تجاوزها ، لأن الإنسان إذا زاد عن طاقته فإنه يحصل له السأم واللل وقد يترك ذلك العمل ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دأوم عليه العبد وإن قل . كما بين لهم أن الله ﷻ يحب تقرب عباده إليه بالتواضع ، ولكن الله ﷻ لا يكلف نفساً إلا وسعها . وهو يعلم أن هذه الأعمال لو استمر عليها الصحابة فسوف تكون سنة للأمة ، لذلك لم يفرها ﷺ ووضح لهم ما يجب عليهم في استمرار الأعمال .

ورغم هذا الحرص الشديد والافتداء بسيد المرسلين ، إلا أنه قد يتوقف الإنسان عن الافتداء من يجب في بعض الأمور القولية ، كما ورد في الحديث الطويل في صلح الخديجة ، قال عمر بن الخطاب : (... فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ قَضِيَةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : « قُومُوا فَالْحَرَوُا ثُمَّ اخْلُقُوا » ، قَالَ : قَوْلَالهِ مَا دَامَ مِنْهُمْ وَجَلَّ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَهَمْ

(١) البخاري / خالد ، أصول الفرية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨ .

(٢) ابن حيد / صالح عبد الله ، القدوة مبادئ ومفاهيم ، مرجع سابق ، ص ٧-٨ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب اللباس ، ص ٢٨٣ ، ر : ٧٩ .

مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَفِيَ مِنَ الشَّيْءِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا لَيْلَى ! اللَّهُ ! الْحَبِيبُ ذَلِكَ ؟ أَخْرَجَ ثُمَّ لَا تَكَلِّمُوا أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً ، حَتَّى تَخْرُجَ بِكُلِّكُمْ ، وَذَعَوْا خَائِلَةً قَبِخْلَفَكَ ، فَخَرَجَ فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى قَعَلَ ذَلِكَ ، تَخَرَّ بَيْتُهُ ، وَذَعَا خَائِلَةً فَخَلَقَ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَتَحَرَّوْا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلُقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَكْتُلُ بَعْضًا غَيْرًا ... ^(١) بين الحديث أن الصحابة كانوا لا يشكون في الفتح لرؤيا رَأَاهَا ﷺ ، فقد رأى في منامه قبل أن يحترم أنه دخل هو وأصحابه البيت ، فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم ، وشق عليهم تأخير دخولهم مكة بسبب الصلح ، وضافوا أن تمنعهم فريش من دخولها ، فغضب بعض الصحابة ، حماسة منهم في القتال من أجل نصرة الإسلام ، وقال عمر : أليس قتلاتنا في الجنة وغلامهم في النار؟ فقال له رسول الله : يا ابن الخطاب ، إني رسول الله ، ولن يضيئني الله . فرجع متغيظاً ، حتى جاء إلى أبي بكر ، - ولم يراجع أحداً غير أبي بكر لأنه أعلم الصحابة بأمر الدين وأشدهم موافقة لأمر الله - فقال له : يا عمر اتزلي رضيت وتأيي . فرجع عمر يسأل الرسول ويكرر رأيه ، فقال ﷺ : « إني رسول الله ولست أعصيه » ، أي أن فعله ﷺ كان بأمر من الله . ويستفاد من الحديث وجوب البحث في العلم حتى يظهر للعين ، وأن الكلام يظهر على عمومته حتى يظهر إرادة التخصص ^(٢) . وإن مستويات فهم الكلام عند الناس متفاوت ، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة مثال حي . فإن ذلك أيسر في إيصال المعاني التي يريد القدوة إيصالها للمقتدي ^(٣) . لذا قام الجميع بتنفيذ أمر الرسول ﷺ بعد أن طيق ﷺ ما أمرهم به في ذاته ، وجعل التنفيذ أمراً واقعاً أمام أعينهم ، فلم يراجع في تنفيذ أحد ، ولقد الجميع أمره ﷺ . * فالأسلوب العملي أرسخ للفهم والتعليم والإيضاح ؛ خاصة إذا وافق ذلك بيان قول ^(٤) .

والقدوة أعظم الطرق التربوية لتطبيق منهج الله في الأرض ، وهي لا تقتصر على الكبار بل تشمل الصغار ، فعن أبي حماس قال : بَتَّ لِي خَالَتِي مَثْمُولَةٌ بِتِّ الْحَارِثِ زَوْجَ الشَّيْءِ ﷺ ، وَكَانَ الشَّيْءُ ﷺ عَشَقَهَا فِي كَيْفِيَّتِهَا ، فَصَلَّى الشَّيْءُ ﷺ الْعِشَاءَ ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَثْوَلِهِ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الجهاد ، ص ٤١ ، ر : ١٨ .

(٢) العسقلان / أحمد بن حجر ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ .

(٣) ابن عبد القدوة مبادئ وإصلاح ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٤) الخارزمي / خالد ، أصول الفرية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٨٠ .

لَمْ ، ثُمَّ قَامَ ، ثُمَّ قَالَ : « لَمْ الْكَلِمَةُ » - أَوْ كَلِمَةُ تَشْبِيْهِهَا - ، ثُمَّ قَامَ فَفَقِشْتُ عَنْ نَسْرِهِ ، فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ ، فَصَلَّى خَمْسَ رَكَعَاتٍ ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ لَمْ حَتَّى سَبَعَتْ غَطِيْطَةً - أَوْ خَطِيْطَةً - ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ^(١) . إِنْ الْقِدْوَةُ إِذَا كَانَتْ حَسَنَةً فَإِنَّ الْأَمَلَ يَكُونُ كَبِيرًا فِي إِصْلَاحِ الطِّفْلِ ، وَإِذَا كَانَتْ سَيِّئَةً فَإِنَّ الْإِحْتِمَالَ الْأَرْحَحَ هُوَ فَسَادُ الطِّفْلِ ، فَالطِّفْلُ لَهُ قُدْرَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى الْحَاكِمَةِ الْوَاعِيَةِ وَغَيْرِ الْوَاعِيَةِ ، فَالْوَالِدُ الَّذِي يَكْذِبُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَ ابْنَهُ الصَّدِيقَ ، وَالْبَيْتَ الَّذِي تَرَى ، وَالنَّفْسَ مَتْرُوحَةً لَا تَعْلَمُ الْحَيَاءَ ، وَحِينَ تَوْجَدُ الْقِدْوَةَ الْحَسَنَةَ مُمْتَلِئَةً فِي الْوَالِدَيْنِ ، وَلَعَلَّكَ الْفَاضِلُ ، فَإِنَّ الْجَهْدَ لِلطَّلُوبِ لِتَشْفَعَهُ الطِّفْلُ عَلَى الْإِسْلَامِ يَكُونُ مِمْسُورًا وَقَرِيبَ الثَّمَرَةِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ . فَهُوَ يَشْرَبُ الْقِيَمَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنَ الطِّفْلِ بِهَ بِطَرِيقَةٍ تَقَالِيَةٍ^(٢) . لِلَّذِي يَحْتَمِلُ أَسْلُوبَ الْقِدْوَةِ الْحَسَنَةِ مِنْ أَنْجِاحِ الْأَسَالِيبِ التَّرْبَوِيَّةِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي سُلُوكِ الْآخَرِينَ ؛ لِأَنَّهَا تَطْبِيقُ عَمَلِيٌّ كَيْفَ الْقُدْرَةِ وَالْإِسْتِطَاعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى تَحْلِيٍّ عَنِ الْإِحْرَاقَاتِ ، وَالتَّحْلِيٍّ بِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ ، وَتَنْقَلُ لِلْعُرُوفِ مِنَ الْحَيْرِ النَّظَرِيِّ إِلَى الْجَانِبِ التَّطْبِيقِيِّ الْمُؤَثِّرِ ، فَتَشْعُرُ بِهَا الْأَبْصَارُ وَالْأَذْكَانُ وَالْأَفْعَادُ ، فَيَحْصِلُ الْإِفْتِنَاعُ وَالْإِعْجَابُ ثُمَّ التَّأْسِيُّ^(٣) . فَالْإِسْلَامُ لَا يَحْذَرُ الْقَوْلَ مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ ، عَاصِمٌ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَدُ فِيهَا مِنَ التَّطْبِيقِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَعْكُسُ شَخْصِيَّةً لِلشَّخْصِ أَمَامَ الْآخَرِينَ وَيَكُونُ قِدْوَةً سَيِّئَةً . قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَنْذِرُكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَئِنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(٤) .

كَانَ ﷺ قِدْوَةً لِكُلِّ مُسْلِمٍ فَهُوَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْمُرَ أَوْ يَنْهَى بِأَمْرٍ يَبْدَأُ بِتَطْبِيقِهِ عَلَى نَفْسِهِ . وَمَوْقِفُهُ يَوْمَ الْفَتْحِ يُوَكِّدُ ذَلِكَ ، فَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ ، فِيهِ رَمَضَانُ ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كَرَاخَ الْغَيْمِمْ فَصَامَ النَّاسُ ، فَلَقَعَهُ : أَنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمُ الصَّيَّامُ ، فَلَمَّا بَقِيَ مِنْ الشَّاءِ بَعْدَ الْغَضْرِ فَشَرِبَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ، فَالْقَطْرُ يَقْعُضُ النَّاسَ ، وَصَامَ بَعْضُ ، فَلَقَعَهُ أَنَّ لَأْتِ حَامَتُهَا ، فَقَالَ : « أَوَلَيْكَ الْقَصَّةُ »^(٥) . إِنْ مَعْلَمُ الْبَشَرَةِ يَرَى أَنَّ الْإِقْدَاءَ الْفِعْلِيَّ أَكْثَرُ تَأْثِيرًا فِي النُّفُوسِ وَالْعُقُولِ ، وَالتَّصَبُّحِ وَالْوَعظِ وَإِنْ كَانَ لَا يَدُ مِنْهُمَا إِلَّا أَنَّهُ لَا يَدُ مِنْ تَحْسِيدِ

(١) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٦٧ ، ر : ٥٨ .

(٢) مذكور / منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٤٣٠ .

(٣) الخوازمي / خالد ، أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨ .

(٤) السلمي / أحمد شبيب ، سنن السلمي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٧٧ ، ر : ح : ٢٢٦٢ .

تطيفي لهما ، فمن سار على نحوه فقد اعتدى ، ومن خالفه فقد عصى ، والحديث يبين أنه عندما علم عن حال الناس من التعب وهم على سفر أراد ﷺ أن يؤكد للناس أن الدين يسر ، فأخذ مبعداً « يَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا » ، وكان من شأنه إذا تيسر بين أمرين اختار أيسرهما ، فبدأ بنفسه وشرب للآه ، فاعتدى به بعض أصحابه ، أما الآخرين الذين أرادوا إتمام الصيام مخالفين قنوته فقد وصفهم ﷺ بأنهم عصاة . لأن الاقتداء بالنبي أمر واجب على كل مسلم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر ٥٦) .

كان الصحابة رضي الله عنهم يقتلون بكل أفعال الرسول ﷺ حتى التي لا يرغبون فيها ، عَنْ سَالِمٍ أَنَّ أَنَاةَ حَدَّثَهُ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْخَبِرُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمْ وَاللَّهِ أَفْعَدُ خِلْتُ أَنَّ خَيْرَ ، وَتَوَلَّى أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَا قِيلَ لَكَ^(١) . يبين الحديث حرص الصحابة على الاقتداء حتى بدقائق الأمور ، فكل أفعاله ﷺ كانت قدوة للأمة الإسلامية . وقد بين الحديث أن عمر أعلن طاعته وتأييده الرسول ﷺ في تقبيل الحجر ، وأنه فعل ذلك اقتداء بالنبي ﷺ ، وإعلان بعض الأعمال يكون أفضل من إحسانها إذا كان فيها قدوة ، لأن من الأعمال ما يقتدى بها ويستمر آخرها لمن سنّها . ومن يحاول إظهار العمل للقدوة ، عليه أن يكون علناً عارفاً بما يفعل ويظهره للاقتداء به ، وأن يراقب قلبه فلا يدع للرياء فيه مجالاً . وحله صفة الثقلين من الرسول ﷺ وقد شهد لهم نعم قدوة ويقتدى بهم . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي لَا أَذِي مَا فَتَرَ بَقَايَ فِيكُمْ فَافْتَنُوا بِاللَّفْظِ مِنْ نَعْدِي وَأَخَارَ إِلَى أَبِي نَكْرٍ وَعَمْرٍ »^(٢) . بشر الحديث إلى إن الإسلام هو دين القدوة الحسنة ، وإن أكثر الناس قدوة هو أعلمهم وأصلحهم ، وكان في زمن الرسول ﷺ أبو بكر وعمر ، بمن حُتِبَ الاقتداء بهم ، وإن كان في الحديث تخصيص لهما ، إلا أنه يفيد العموم ، فكل من كانت صفاته موازنة لمنهج المصطفى ﷺ فهو قدوة للآخرين .

ومنتهجه ﷺ توافق الفعل مع القول لأنه أعمق وأقوى في التأثير على النفس ، وما أعظم مرقف عمر رضي الله عنه حين كان يجمع أهل بيته ليقول لهم : إني سادعو الناس إلى كذا وكذا ، وأنصاهم عن كذا وكذا ، وإني أقسم بالله العظيم لا أحد واحدكم أنه فعل ما نهيت الناس

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٧٥٢ ، ر . ح : ١٢٧٠ ، كتاب الحج .

(٢) ابن ماجة / سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب المقدمة ، ص ٧٤ ، ر : ٩٧ .

عنه ، أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكلت به نكالا شديداً ، ثم نخرج ﷺ ويدعو الناس إلى الخير ، فلم يتأخر أحد عن السمع والطاعة ، لإعطائهم القدوة بفعله ، قبل إعطائهم إياها بقوله^(١) .

فالمصاحبة ﷺ كانوا أئمة * هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأظلمها نكلاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه ، وعلى الأمة الإسلامية أن تعرف فضلهم ، وتتبع آثارهم ، فإلهم كانوا على الهدى المستقيم^(٢) . قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (الأنعام : ٩٠) . وقد ورد كثير من الأحاديث التي تشير إلى أن الصحابة كانوا قدوة لبعضهم ، فهم يؤيدون ما ورد عنه ﷺ ، وينكرون ما خالف السنة حتى ولو كان من العبادات ، وسار على لمسهم التابعون . فعن حُصَيْنِ بْنِ غَمِيمٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ ، قَالَ : صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ فِي طَرِيقٍ قَالَ : فَصَلَّى بِنَا وَكُفَعْتَنِي ثُمَّ أَقْبَلَ فَرَأَى نَاسًا قِيَامًا فَقَالَ : مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ ؟ قُلْتُ : يُسَبِّحُونَ ، قَالَ : لَوْ كُنْتُ مُسَبِّحًا أَتَمَشْتُ صَلَاتِي ، يَا ابْنَ أُمِّي ! إِيَّاهُ صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّحَرِ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ وَكُفَعْتَنِي حَتَّى قَبَضَ اللَّهُ ﷻ ، وَصَحِبْتُ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ وَكُفَعْتَنِي حَتَّى قَبَضَ اللَّهُ ﷻ ، وَصَحِبْتُ عُمرَ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ وَكُفَعْتَنِي حَتَّى قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَصَحِبْتُ عُثْمَانَ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ وَكُفَعْتَنِي حَتَّى قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(٣) . اخذت بشر إلى أن ابن عمر أنكروا فعل

الناس كيف يقصرون الصلاة ويكملون النافلة ، فذكر : * لو اعترت التنفل ؛ لكان إمام فريضتي أربعاً أحب إلي ، ولكني لا أرى واحداً منهما ، بل السنة القصر وترك التنفل ، ومراده النافلة الرائية مع الفرائض كسنة الظهر والعصر وغيرها من المكتوبات^(٤) . وبغيد الحديث بأن تقدم الأولويات أفضل من تقدم الكمالات . وقياساً عليه فإنه ينبغي على من بيده زمام الأمور تقديم الأولويات في الأعمال ، في جميع الأحوال ، وخاصة من بحوزته أعمال خاصة بالآخرين ، ولكن الواقع مغاير لما ينبغي ، فقد قُدمت المصالح الشخصية وأعطيت الأولويات الخاصة لاعتماً أكثر ووضعت في مقدمة الأعمال دون مبالاة بمصالح

(١) علقون / عبد الله ، تربية الأولاد في الإسلام د . ت ، ج ٢ ، ص ٦٦٣ .

(٢) المحقق / حدَّثنا من حسن ، للهدى لشيخنا قربة الأولاد ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، للكتبة الإسلامية : عمان ، ص ٢٧١ .

(٣) أبو داود / سنن أبي داود ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، ص ٨٠ ، ر : ١٢٢٢ .

(٤) شفيق آبادي / الحفاظ على الحق العظيم ، عون للمبرور ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٦ ، ر : ج : ١٢٢٠ .

الآخرين . وهذه العناية للعاصرة نقشت في انتمعات الإسلامية ، وما ذلك إلا لفقد القدوة ،
وببعد عن السيرة النبوية ؛ لأن قلوبهم سراج ينير القلوب والعقول لمن تمسك بها . فهو
قدوة حية على مر العصور لمن اتبعها وتمسك بها .

ورغم الاهتمام بالمصالح الدنيوية إلا أنه لن تخلو الأمة الإسلامية من القدوة الحسنة ،
وستظل قلوبها غنية بمن يتخذها منهجاً له ، وسيظل للمسلمون أسوة حسنة لغوهم يبدعون
للخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولكن هذه الصفات تحتاج إلى شخصيات
متميزة تحسن اختيار الأوقات المناسبة للتوجيه والتعليم ، وتقديم النصيحة للآخرين . ولا يعني
ذلك أن يكون دور المرابي قاصراً على إعطاء الأوامر ومراقبة التنفيذ ، فهذا الأسلوب مخالف
لمنهج المرابي الأول ، الذي كان يعيش مع أصحابه ويشاركهم أعمالهم وهمومهم .
والسلف الصالح كانوا يتميزون عن غوهم ؛ لأنهم أكثر تمسكاً بقدوة نبيهم ، فلا يبدعون
الفرص تفوقهم لتطبيق القدوة حتى في أمور الدنيا . فعن عبيد بن جريح أنه قال لعبد الله بن
عمر : **وَأَتَيْتُكَ فَصَنَعْتَ أَرْثَةً لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَصْنَعُهَا** ، قال : **مَا هِيَ يَا ابْنَ جَرِيحٍ ؟** قال :
وَأَتَيْتُكَ لَمْ أَكُنْ مِنَ الْأَرْكَانِ إِلَّا الْيَمَانِيَّةَ ، **وَأَتَيْتُكَ فَلَيْسَ الْغَالُ السَّيِّئَةَ** ، **وَأَتَيْتُكَ فَصَنَعْتَ بِالْمُفْرَةِ** ،
وَأَتَيْتُكَ إِذَا كُنْتَ بِمَنْكَةِ أَهْلِ الشَّامِ إِذَا رَأَوْا الْهَيْدَالَ ، **وَلَمْ يُهَلْ أَلَتْ حَتَّى كَانَ يَوْمَ الْقَرْيَةِ** . فقال له
عبد الله بن عمر : **أَمَا الْأَرْكَانُ** : فإني لم أر رسول الله ﷺ ينسئ إلا اليمانيين ، وأما الغال السيئة
فإني رأيت رسول الله ﷺ ينسئ الغال فهي ليس فيها شرع وتوقفاً فيها ، **فَأَا أَحِبُّ أَنْ لَيْسَ بِهَا** ،
وَأَمَا الْمُفْرَةُ : فإني رأيت رسول الله ﷺ يصنع بها ، **فَأَا أَحِبُّ أَنْ أَصْنَعُ بِهَا** ، **وَأَمَا الْهَيْدَالَ** : فإني
لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى للعبث به راحلة^(١) . إن مفتاح العلم السؤال ، فالسؤال طريق ذو
النجارين : إما أن يدل على خير فيتبع ، أو يدل على شر فيبتعد عنه ، أي أن السؤال في كلا
الحالتين يهدف إلى فائدة إما التحلي بصفات حسنة ، أو التخلي عن صفات سيئة . فالعلم
والتعلم لا بد لهما من استخدام الاستفسار لتوضيح الغامض من العلم ، وهذه إشارة مهمة
للمربين بعدم كبح الأسئلة من المتعلمين بحجة الوقت ، أو عدم مناسبة السؤال للعلم للظروح .
فالحجابة ﷺ كانت تسألاً لهم مستمرة للوقوف على الحق واتباعه ، ومعرفة الباطل واجتنابه .
وفي الحديث استفسار عن بعض الأفعال لمعرفة موقعها من السنة النبوية .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب البيئ ، ص ٢٨١ ، ر : ٦٩ .

وما سبق ذكره من الأحاديث كانت القدوة فيها حسنة تتعلق بأمور العبادة ، وهذا لا يعني أنه لا يوجد قدوة سيئة ، ف القدوة الإسلام كلها غير وما يخالف ذلك فهو الجهل والشر معاً .
قَالَ ﷺ : « لَتَقَعَنَّ سِتْرٌ مِنْ كَأَن قُلُوبَكُمْ شَيْئاً شَيْئاً ، وَفَرَاغاً فِرَاحاً ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحَرَ حَبَا يُعْشَوْنَهُمْ » ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : « فَمَنْ »^(١) . فيما سبق دليل صريح بأن أمة محمد ﷺ سوف يضعف لمسكها بقلوبها ﷺ ، وتسر على لهج أسم ضالة مضلة تاركة منبها القوم ، وذكر ﷺ في حديث آخر متى يكون هنا التقليد الأعمى ، قال ﷺ :
« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخَذِ الْقُرُونِ قَبْلُهَا ... »^(٢) . ومعنى « لَوْ دَخَلُوا جَحَرَ » أي تثيل تقليدهم في كل شيء مما لم يشرع عنه وذمه . ويستتبع أمته ﷺ المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأسم قبلهم ، وقد أنذر ﷺ في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر ، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس ، ويبقى الدين عند خاصة من الناس ، وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسبق بقية ذلك^(٣) . وكان ﷺ يعلم من الوحي أحوال الأقوام التالية من أمته ، وهذا الاتباع يكون نتيجة بعدها عن السنة النبوية ومبادئها الثبوتية ، ويكون ذلك قرب قيام الساعة - وما ذلك بعيد - ؛ لأن الرسول ﷺ ذكر في زمته أن موعد الساعة قريب ، فهو الآن أقرب ، خاصة وقد ظهرت كثير من الدلائل التي تشير إلى ذلك ، فالعقل يدرك ما فاتته من تفریط ومحاوّل الرجوع إلى سنة المصطفى ﷺ بعض عابها بالنواخذ ، وبمسك بكل ما جاء فيها من أقوال وأفعال . قال علي بن أبي طالب عليه السلام : « يا كميل إن هذه القلوب أوعى ، فغيرها أوعاها للخير ، والناس ثلاثة : فعالم رباني ومتعلم على سبيل لجماعة ، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق ... وأف لحائل حتى لا يصوره له ، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة ، لا يدري أين الحق ، إن قال أحطاً وإن أحطاً لم يدرك ، فهو فتنة لمن لغتن به ، وإن من الخير كله من عرفه الله دينه وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف دينه »^(٤) .

والتي الكرم بين أمته طريق الحق وطريق الباطل ، وعلى المسلم أن يفرق بينهما ويتبع

(١) البحري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الاعتصام ، ص ١٨٤ ، ر ٩٠ .

(٢) المسقلا / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، ص ٣٠٠ ، ر ١٩٢٠ .

(٣) المسقلا / فتح الباري ، المرجع السابق ج ١٢ ، كتاب الاعتصام ، ص ٣٠١ ، ر ٧٢٢٠ .

(٤) الشيباني / مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

طريق النجاة ويتعد عن طريق الخاوية للوذي إلى هلاك من سار على نهجه ، والتقليد الأعمى لا يبعه إلا من كان مسلوب الشخصية فاقد الإرادة ، لا يفرق بين الحق والباطل ، يقذف بنفسه مع الناس من غير علم أو معرفة بمحرمات الأمور . وقد حذر ﷺ أمته من هؤلاء الناس وأخبرهم أن لا يكونوا إمعة يتبعون الناس في الإسائة والحسنة ، يقول كما يقولون ، يفعل كما يفعلون .

٢- القدوة في السلوك والأفعال :

كثيراً ما يبادر الصحابة ﷺ بالفعل قدوة بالمصطفى ﷺ من غير سؤال أو علم بهذا الفعل بل ثقة في القدوة ، وحرصاً على الاقتداء بكل ما يصدر منه ﷺ ، كما جاء في الحديث .
عن أبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ ثِيَابَهُ فَوَضَعَهَا عَنْ يَسَارِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ الْقَوْلَ بِغَائِلِهِمْ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ : « مَا حَزَنُكُمْ عَلَى إِقْدَاءِ بَعْدِكُمْ » ؟ قَالُوا : رَأَيْنَا النَّبِيَّ نَعْتَلُكَ فَالْقَبْتَ بَعَاثَكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أُنْزِلَ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَلْبَرًا - أَوْ قَالَ أَدَى - » ، وَقَالَ : « إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَتَنَطَّرْ ، فَإِنَّ رَأْيِي فِي ثِيَابِهِ قَلْبَرًا أَوْ لَدَى قَلْبَمَسْحَةٍ وَتَكْصَلُ فِيهِمَا » ^(١) . ليس بالغريب أن يتبعه الصحابة في كل تصرفاته ، فقد كان ﷺ مريباً للناس ومعظماً وهادياً ، ألف بين القبائل المتنازعة ، وورق القلوب القاسية ، أسخه الجميع بسلوكه ومنهجه القويم ، فقد كانت دعوته نيراً يضيء للناس جميعاً ويقتبسون منها النور ، ويسرون خلفه ويقتدون بكل سلوك وتصرف وقول يصدر منه ، وكان حرصهم على ذلك شديداً ، فهم ﷺ يقتدون بكل ما يلاحظونه ويسمعونه منه ﷺ ، ولم تكن دعوته تشتت لو لم يكن ﷺ مثلاً يحتذى في سائر تصرفاته . والحديث بين أن الصحابة يقتدون بالنبي ﷺ اقتداء تاماً من غير تعليل أو تراجع . وبعد أن أكمل صلاته ﷺ ، سأل عن سبب فعلهم ، فكان الجواب دليلاً قاطعاً على القدوة ، (قَالُوا : رَأَيْنَا النَّبِيَّ نَعْتَلُكَ فَالْقَبْتَ بَعَاثَكَ) ، ثم يوضح ﷺ السبب في خلع ثيابه : « إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أُنْزِلَ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَلْبَرًا - أَوْ قَالَ أَدَى - » ، ثم وضع ﷺ لأصحابه أن طهارة الثعال واجبة في الصلاة ، ويجب التأكد من طهارة الثعال قبل الشروع في الصلاة .
وفي الحديث دلالة على شرعية الصلاة بالثعال ، وأن مسح الثعال من الثناسة مطهر له ^(٢) .

(١) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، ص ١٧٥ ، ر : ٦٥٠ .

(٢) العظيم آبادي / المحقق خمس الحق العظيم ، عون التعمود ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، ص ٦٦ ، ر : ٦٤٦ .

والصحابة ﷺ لم يقتلوا بالنبي ﷺ في أمور العبادة فقط ، بل حتى في أمور الدنيا فهم يسابقون للاقتداء به في كل أعماله وسلوكه . فعن أبي عمر رضي الله عنه : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ لَبَنَةٍ - وَجَعَلَ قَصَّةً مِمَّا يَلِي كَفَّهُ ، وَنَقَشَ فِيهِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَأَخَذَ النَّاسُ مِنْهُ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ أَخْلَوْهَا زَمِي بِهِ وَقَالَ : « لَا أَلْبَسُهُ أَبَدًا » ، ثُمَّ أَخَذَ خَاتَمًا مِنْ قِصَّةٍ فَأَخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ الْقِصَّةِ . قَالَ أَبُو عُمَرَ : فَلَيْسَ الْخَالِمُ نَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، حَتَّى وَقَعَ مِنْ عُثْمَانَ فِي بَنِي أُرَيْسٍ ^(١) . الحديث يوضح حرص الصحابة الشديد على المحاكاة والتقليد لسيهم ﷺ حتى في صغار الأمور المتعلقة بأمور الدنيا ، وقد سبق الحديث عن اقتداء الصحابة بنبيهم ﷺ في أمور العبادة ، وهذا يدل على أن الأعضاء مسلطة دائماً على التعلم ، فهو القدوة في سلوكه وأفعاله ، فلنعلم إما أن يكون قدوة حسنة لتلاميذه أو قدوة سيئة ، والفرق بين القنوتين واضح ، فإذا نجح للعلم منهج قدوته الأولى وتهدى بالمصطفى ﷺ يكون قدوة حسنة ، ينال رضا الله ، ومن سعى لرضا الله ، رضيت عنه الناس ، ومن حاد عن الطريق وترك قدوته الحسنة لشمثلة في معلم الأمة الخير وهادئها فقد ضل عن سواء السبيل . والقاعدة الأساسية في التعلم القدوة أن يكون عادلاً في تعامله لا يفرق بين المتعلمين لأي سبب ، متبعاً سنة للمصطفى ﷺ في العدل والإنصاف فهو خير قدوة يحتذى بها ، فمن مواقفه في ذلك موقفه ﷺ من الخرومية التي سرفت - وكان أمرها بهم فريش - وهو موقف يجب الأخذ به والعمل بمقتضاه حيث وقف ﷺ موقف الحق وذكر لو أن ابنته سرفت لأقام عليها الحد ، هنا يظهر للنهج القويم ، النهج الإلهي المبني على مبدأ للمساواة قولاً وتطبيقاً ، هذه التعاليم التي تبين الأمم ، وتنهض بالمجتمعات ، وحيث أن جميع المسؤولين في أممنا يقتدون بهذا النهج العادل الذي لا يحاي ولا ينحاز إلا للحق ، ويقومون العدل حيثما وجد ، ويقولون الحق ولو على أنفسهم ، وما من شيء يفتت جسم المجتمع ، وينخر أركانه مثل التهاون في تطبيق الشريعة والاستهانة بحرمه القضاء ، والالتفاف للأغنياء والوجهاء ^(٢) . وعليه أن يكون صادقاً مع نفسه والآخرين ، لا يحاي أحداً على حساب الآخر ، حتى لا يقع في هوى الظلم من أجل المحاملات والمصالح ، هذه الظاهرة يعاني منها المجتمع المسلم المعاصر ، فهي تشر الحقد والبغضاء بين الناس . والإسلام عاجل هذه الأمور من جذورها ، وأمر بالعدل وقول

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الفيلس ، ص ٢٨٥ ، ر : ٨٢ .

(٢) السيد / حمود أحمد ، مصورة الإسلام التربوية ، ص ٣٤ ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، دار البحوث العلمية : الكويت .

الحق ولحق عن الظلم ؛ لأنه إذا رأى المؤمنون القدوة تفعل ما تأمر به صنعوها وأحلوا بأوامرها . وهذا يدل على أن الأنظار ترأب لقوال القدوة ولتفعله ، لذا كان ﷺ يشارك أصحابه فيما يأمرهم به من أعمال ، فعن أنس رضي الله عنه قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَتَقَلُّ الثَّرَابَ وَقَدْ وَكَّزَى الثَّرَابُ بَنَاحَ نَعْلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : « لَوْ أَنَا أَلَيْتُ مَا أَهْتَدَيْتُمْ ، وَلَا كُنْتُمْ قُلُوبًا ، وَلَا صَلَبًا ، وَلَا فَكْرًا لِمَكِينَةِ عَيْنَيَّ ، وَكُنْتُ الْأَقْدَامُ إِنْ لَأَنْتُمْ ، إِنْ الْآلَى لَدُ بَعْوَا عَيْنَيَّ ، إِذَا أَرَادُوا لِقَاءَ نَبِيِّي »^(١) ، يدل الحديث على قدوة عملية فيها تطابق بين الإيمان والعمل ، فللمشاركة العملية بين الرئيس والمرؤوس تضاعف من تأثير القدوة في النفوس البشرية ؛ لأنه إذا رأى المؤمنون القدوة تفعل ما تأمر به صنعوها وأحلوا بها . أما إصدار الأوامر والتوجيه أمر يجده الجميع ، لكن الدخول مع الناس في الميدان ومشاركتهم أعمالهم أمر لا يجده إلا القليل ، فللمشاركة العملية ترفع قيمة للرأي لديهم ، ويعلو شأنه ، ويشعرون أنه واحد منهم ، ويزيد من حماسهم ويدفعهم لمزيد من الجهد والمهمة ، عكس أولئك الذين يدعون للعمل وهم بعيدون عنه كل البعد - وليس المقصود للمشاركة في كل الأعمال ، ولكن بقدر الاستطاعة - وأي عمل كان يشارك فيه للمصطفى ﷺ . إنه يجعل الثراب ويحفر يديه الكريمة وهو سيد المرسلين ، وخير البشرية قاطبة ، يفتديه أصحابه بأرواحهم وأموالهم ، وبكل غالبي ونفيس عليهم ، طاعة لله وحمية فيه . ومع ذلك يفعل مع أصحابه ما يأمرهم به ، ما أعظمها من قدوة ، وفي حقيقة تعجز الحروف والكلمات عن ذكر محاسن ﷺ ، قال ﷺ : « وَإِنَّكَ لَعَلَّيْ حَلَقِي عَظِيمٌ » (الفلم ١٤) . هذا الخلق الفاضل ، والنهج القويم تركه للمصطفى ﷺ قدوة لأمة . لكن كثراً من النظم التربوية الإسلامية هذه الأمة أصبحت تستغل تحت مظلة جاهلية الحضارة والتقدم ، والتي تبني جسوراً بين الرئيس والمرؤوس ، وسارت الأمة الإسلامية على نظام أيديولوجيات مستحدثة ، وانخفض أثرها في قوانين العمل ، ونظن أنها سياسة العمل الناجح ، رغم كل النتائج السلبية لهذه السياسة إلا أن الأنماط السلوكية السلبية تزداد عمقاً يوماً بعد يوم ، وتؤدي إلى التباعد بين الرئيس ومرؤوسيه . وهذه السياسة مخالفة لتعاليم الإسلام ؛ لأن القدوة الحسنة لا يكون مجرد وضع تشريعات ومبادئ مستمدة من الشريعة الإسلامية ، وإنما يتمثل في التطبيق العملي الذي نحن في أمس الحاجة إليه ، حتى تتحقق الأهداف التربوية

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب المهابة والنسب ، ص ٨٥ ، ر : ٥٣ .

إصلاح النفس وتربيتهم ، فللعلم عندما يضع لنفسه حواجز ويتعاطف على تلاميذه يكون عصر حلقة الود والمحبة معهم ، فالتقرب من المتعلمين يولد في نفوسهم احترام الشخصية ويولد المحبة بين الطرفين . وإزالة الحواجز مع للتعلم ليس معناها أن تلوب شخصية العلم مع للتعلم . فالقويان وذهاب للهابية لا يقع إلا عندما يتحلى المعلم أو المري عن شخصيته الحقيقية وصوره الحقيقي ، فللعلم قنوة حسنة في كل أفعاله . " لذا ينبغي على للعلمين التحلي بأفضل الأخلاق ، وأن يكون سلوكهم تطبيقاً حياً لما يردونه من قيم ومثل مستمدة من الإسلام ^(١) . هذه هي الطريقة التي رى بها الرسول ﷺ أمة الإسلام الأولى ومن سار على نهجها من التابعين .

ومن للناسب في هذا الصدد أن نذكر ما كتبه عمرو بن أي سفيان إلى مؤدب ولده يقول له :

" لكن أول ما تبدأ به من إصلاح يُن إصلاح نفسك . فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استبغيت . علمهم كتاب الله ، ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهمروه . ثم روههم من الحديث أشرفه ، ولا تفرجهم من علم حتى يمشكوه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للنفوس ، وروهم سير المشكاه ، وأخلاق الأدياء ، وحسنهم عادات النساء ، ولهمدهم بي ، وأدهم دوني . وكن كالطبيب الذي لا يعمل الدواء حتى يعرف الداء . وإياك أن تتكل على علم من لك ، فقد التكت على كفاية منك ، وزد في تأديهم ، أزددك في يري ^(٢) .

إن الأمة الإسلامية قد انفرقت عن غورها من الأمم بنظام تربوي متميز قادر على تكوين أجيال مسلمة متوازنة ، قادرة على تحمل المسؤولية الكاملة في تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة . وكان من ثمار هذه التربية القذة أن أنشأت جيلاً مثلاً حقاً في إيمانه ، وعباده ، ونفكره ، وأخلاقه ، ومعاملته ؛ لأنها سارت على نهج المري الأول الذي قام بهذه المهمة التربوية فرسم نماذج تربوية للأمة الإسلامية ليس لها مثيل في العالم .

(١) الخطيب / أحمد شحات ، وآخرون ، أصول التربية الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٥هـ ، ص ١١٨ .

(٢) الخطيب / أبو عثمان عمرو بن بحر ، بيان والبيان ، تحقيق حسن السنوسي ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ .

وهذه النماذج النبوية لم تفعل الصغار بل أولتهم عناية فائقة ، حيث كان ﷺ يعني بالأطفال ، ويتحدث معهم بأسلوبه الفريد في تشقة تلك الراعم التي تحتاج إلى قدوة ؛ لأنها تشرب للنمادى والقيم الإسلامية منذ طفولتها . فالحديث مع الأطفال وملاطفتهم والسلام عليهم من صفاته ﷺ . فعن سيار قال : كُنْتُ أَتَشِي مَعَ ذَاتِ الْيَتَامَى ، فَمَرُّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ ذَاتٌ : كُنْتُ مَعَ أَبِي فَمَرُّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ لَيْسَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَمَرُّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ^(١).

من ثمار القدوة الحسنة استمرار محبة الناس للمقتدى به ، فقد كان ﷺ معلماً ومرياً في كل تصرفاته وسلوكه ، فكان " إذا بلغ في مسيرة أصحابه جلس منهم حيث انتهى به المجلس ، وكان يمازح أصحابه ويغالبهم ويخاطبهم ، ويداعب صباغهم ويجلسهم في حجره ، ويجب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعود للرضى في أقصى المدينة ، ويقبل على المعتذر ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ولا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته ، وكان أطيب الناس نفساً وأكثرهم تيسماً^(٢) .

فالقدوة في كل الأديان أمرها عظيم ومسؤوليتها حسنة ، فقد ذكر أنه كان في بني إسرائيل حبار يقتل من لا يأكل لحم الخويز ، فلم يزل الأمر كذلك حتى بلغ إلى عابد من عبادهم ، قال : فسق ذلك علي الناس ، فقال له صاحب الشرطة : إني أذبح لك جدياً ، فإذا دعاك الجبار لتأكل فكل ، فلما دعاه ليأكل أي أن يأكل ، قال أخرجه فاضربوا عنقه ، فقال له صاحب الشرطة : ما معلن أن تأكل وقد أحرقتك أنه جدي قال : إني رجل منظور إلي ، وإني كرهت أن يتأسي بي في معاصي ، قال : فقتله^(٣) . فالترية لا يمكن أن تتحقق إلا بوجود القدوة .

وفي نهاية أسلوب القدوة نذكر الباحثة رأيتها فيمن يلبس نفسه ثوب العلم والمعرفة ويفقد عمله التطبيق .

(١) الترمذي / محمد عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الاستطفا ، ص ٣١٩ ، ر : ٢٧٠٥ .

(٢) هيكل / محمد حسين ، حياة محمد ، ص ٥٠ ، دار النشر بلون ، ص ١٥٢ .

(٣) ابن أبي الدنيا / أبو بكر عبد الله ، كتاب الورع ، ١٤٢٢ هـ ، ص ١٣٩ .

لا خير في العلم لا يكره تطبيق ، فحامل العلم مأمور بتطبيق ، فحامل علم بلا تطبيق
كفائده . فإن لم يؤثر التعليم في متعلمه ، يلبسه ثوب الجهل ويكون له أهل ، إن لم تكن
للعلم مطلقاً له ، فأنت للجهل أقرب وتعد ضمن أهله ، أيها العلم كن للأجيال قدوة ،
يذكر الفتيان طيب فعلك وتكسب وده .



خامساً : أسلوب التربية بالأحداث

من أساليب التربية الفعالة التربية بالأحداث ، وذلك باستغلال مناسبة أو حدث معين لإعطاء توجيه يتناسب مع الموقف . وللرعي البارغ لا يترك الأحداث تلعب سدى بدون عبرة وبغير توجيه ، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وغرس مفاهيم إيمانية وتربوية يكون لها أعمق الأثر ؛ لأن هذه التوجيهات ليست قولاً مجرداً بل اقترنت بحدث ، وهذه التوجيهات العظيمة في كثير من الأحداث تظل عبرة وعظة للأمة الإسلامية . وقبل الاستطراد في هذا الأمر ينبغي معرفة مدلول الأحداث ، ثم يتم تناول الموضوع وتبسيط الضوء على توجيهاته ﷺ .

المصطلح اللغوي للتربية بالأحداث : الحدث : الأمر الحادث للذكر الذي ليس بمحتاج ، ولا معروف في السنة ، الحادث : كون شيء لم يكن . وأحدثه الله فحدث . وحدث أمر أي وقع ^(١) . والحادث : ما يجئ ويحدث ، وهو ضد القديم ، وحدثان الدهر : نوابه وحوادثه ^(٢) .

التربية بالأحداث في الاصطلاح : الأحداث : جمع حدث ، والحدث موقف طارئ يمر بالإنسان يفرح والحزن أو يجلي حقيقة تغير للمشاعر ، وتترك العواطف ^(٣) .

التربية بالأحداث تربوياً : التوجيهات التربوية التي يتلقاها الأفراد من قائلهم ، أثناء موقف معين أو عقب حادثة معينة ، وتكون هذه الحادثة إما مقصودة يتم خلالها توجيه للراد تحقيقه وغرسه فيمن حوله ، أو تلقائية يستغلها المرء لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها بما : اتفق مع الشريعة الإسلامية .

والأحداث سواء كانت تلقائية أو مخططة ، من أكثر الطرق التربوية تأثيراً على الفرد ، إذا أحسن المرء توجيه من حوله وتغيير سلوكهم . والتربية بالأحداث تأخذ ثلاثة جوانب رئيسية هي :

- ١/ الجانب التعبدى .
- ٢/ الجانب الأخلاقي .
- ٣/ الجانب الاجتماعي .

(١) ابن منظور / لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٢) مصطفى / إرفاقهم ، وآخرون ، المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ١٣٩٢هـ ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

(٣) المصري / حسين بن علي ، الأساليب للتبليغ من فضل الرسول ﷺ مع زوجه ، مرجع سابق ، ١٤٢٣هـ ، ص ١٤٧ .

التربية بالأحداث من الأساليب التربوية التي وردت في القرآن الكريم لتربية الأمة الإسلامية ، وكان لهذه التربية أثر عميق في نفوس الصحابة ، لأن كثيراً من آيات القرآن الكريم جاءت بعد وقوع أحداث معينة ، والقرآن الكريم - نزل مُتَجَمَّعاً - يحمل بين سطوره تفسير الوقائع والأحداث ، لتوجيه الصحابة ، وتعليل الأحداث ، وبيان حكمها ومكانتها في الإسلام ، حتى إنه عندما يحدث حدث ما يتوقع الصحابة ﷺ أن يتناول فيه قرآن ، والسنة لمحت هذا الأسلوب التربوي امتداداً لأسلوب التربية القرآنية ، مما أعطى مكانة بالغة لهذا الأسلوب في التربية ، فهو يلمت الفضائل ، ويوجه السلوك ، ويعرس الولاء في النفوس . كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ لَمَسٌ يَعُوذُوهُ فِي مَرْجِيهِ ، فَصَلَّى بِهِمْ جَالِسًا فَحَنَقُوا يُصَلُّونَ قِيَامًا ، فَأَنَارَ إِلَيْهِمْ : اجْلِسُوا ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : « إِنَّ الْإِيمَانَ لِكُوثَمٌ بِهِ ، فَإِذَا رَكِعَ فَارْكَعُوا ، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا ، وَإِنْ صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا »^(١) . إن الصلاة عماد الدين ، وفيها توجه لرب العالمين ، فهي ليست تمرين وحركات تؤدي ، بل توجه بالقلب وعشوع لله ﷻ ، ولها شروط يجب أن يعمل بها ، ومن هذه الشروط ، * أن الالتزام يقتضي متابعة للمأموم لإمامه في أسرار الصلاة ، فستفي للقارنة وللأسبقية والمخالفة إلا ما دل الدليل الشرعي عليه^(٢) . والحديث يبين أن الرسول ﷺ أشار لأصحابه باتباعه ، وبعد أن أتم الصلاة لم يكف بأهم اتبعوه وصلوا مثله ، بل وضع لهم وجوب متابعة الإمام في كل أفعال الصلاة ، وعدم مخالفة . فصلاة الجماعة واجبة على كل مسلم صحيح ، والصحابة ﷺ حرصوا عليها لأهم يعلمون ما لها من عظيم الأثر ، ولكن الإسلام لم يترك صلاة الجماعة مطلقة بيد الإمام ، بل وضع الشرع لها قيوداً يجب الأخذ بها ، حتى يتمكن للمأمومين من أدائها مع الجماعة ، من غير تعذر ، كما جاء في الحديث التالي : فعن أبي مسعود قال : « إِنَّ رَجُلًا قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُعْطَلُ بِنَا ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَوْ غَضَبٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ مِنْكُمْ مَنُفَرِّقِينَ ، فَأَلَيْكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفَّفْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ »^(٣) .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب للزمن والطلب ، ج ٧ ، ص ٢١٤ ، ر : ١٩ .

(٢) الفضلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، كتاب الأذان ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأذان ، ج ١ ، ص ٢٨٤ ، ر : ٩١ .

إن أداء الصلاة في أوقاتها والإقبال عليها برغبة وإطمئنان من أبرز العبادات ؛ لأن لها دوراً هاماً في التربية الإسلامية ، فهي تنهى عن الفحشاء والشكر ، والحديث بين أهمية المحافظة على صلاة الجماعة ووجوبها ؛ لأن الرسول ﷺ غضب عندما علم أن الرجل يتأخر عن الصلاة والسبب تطويل الإمام ، لذا وضح في هذه الحادثة أسباباً يجب على الإمام التنبه إليها ، مراعاة لحال المأمومين ، ومتابعة لأُمُور الدنيا وقضاء الحاجات ، فالصلاة ليست عائناً للمصالح الدنيوية ، ويمكن الجمع بين الصلاة وقضاء الحاجة ، * وفائدة الأمر بالتخفيف المحافظة على صلاة الجماعة ^(١) . وليس معنى الأمر بالتخفيف مطلق في كل الأحوال ، بل هو في الجماعة العامة ، أما من صلى مفرداً فله الحرية في التطويل لقوله ﷺ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيَطْوِلْ مَا شَاءَ » ^(٢) . يوضح الحديث حرصه ﷺ على أن يؤدي المسلمون العبادات برغبة ونفس راضية ، ويوفر لهم سبل الراحة النفسية في حدود توافق الشريعة الإسلامية ، وهذه سياسة الحكيم الذي يستطيع بحكمته أن يراعي جميع القروق الفردية ، لكسب كل الصفات للقيام بالأعمال التي يحب عليها ، فكل فرد قدراته ، ولكل من عمرية طاقات ، فعلى من يتولى زمام الناس أن يكون على دراية بسياسة الوسط التي ترضي جميع الطبقات ، كما جاء في الحديث السابق الذي اشتمل على أمرين : الأول : مراعاة أحوال الجماعة والعمل على ما يتناسب معهم متجاهلاً الرغبة الفردية ؛ لأنه يعمل للجماعة . الثاني : إشباع الرغبة الفردية في الطاعة وممارسة العبادات ، مما يتناسب مع قدراته ويزيد كيفما يشاء . فالصلاة من العبادات التي يجب أن يقوم بها العبد وهو مطمئن إليها ؛ لأنها صلة بينه وبين ربه ، فهو يتأخي عائلته بلون واسطة ، ويتكسب العون منه ﷻ والسند ، ويستعينه على واجبات الحياة ، وأدائها بالطريقة الصحيحة يعمل العبد يشعر بعظمة الخالق ، فيزيد تقرباً من ربه ، أما إذا كان باله مشتتاً ومشغولاً بأمور الدنيا فإنه لا يفقه ما يقرأ ، ولا يدرك ما يقول . لذلك على المسلم عندما يتوجه للصلاة أن يفرغ نفسه تماماً من التفكير في الدنيا حتى يتوجه لله بقلب عاشق .

فنعلم الأمة وإمامهم كان يهتم بأمور وأحوال المسلمين ، ويراعي أوضاعهم واتجاهاتهم

(١) المغنلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، كتاب الأذان ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأذان ، ج ١ ، ص ٢٨٤ ، ر ٩٢ .

ويضيق عليهم التفكير بغير الصلاة ، وذلك بتخفيف الصلاة . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي نَأْلُومُ فِي الصَّلَاةِ وَالْأَرْبَدُ أَنْ أَطُولَ فِيهَا ، فَاسْتَعِ بِكَاءِ الصَّبِيِّ فَاتَجَوَّزُ كَرَاهِيَةً أَنْ يَنْشُقَّ عَلَى أُمِّهِ »^(١) . يظهر من الحديث السابق رحمة ﷺ بأُمَّته ، فهو لا يريد أن يشغل بكاء الطفل قلب الأم ، فتفقد التدبر في الصلاة . فحفف الصلاة رحمة منه على الطفل ووالدته . وبعد الانتهاء من الصلاة كعادته يوضح السبب ويستغل الحدث لموعظة من حوله ، فأخبرهم أنه ﷺ عندما يبدأ الصلاة يريد أن يطيل فيها ، ولكن عندما يسمع بكاء الطفل فإنه يتخفف ، هذه صفات النبي الأول ﷺ يتطابق قوله مع فعله ، فهو يأمر بالتراحم والرحمة ، ويطبقها وهو في أداء عبادة من العبادات وركن مهم من أركان الإسلام ، لم يجعل الصلاة أهم بل أعطى الأولوية للرحمة ، إن قراره ﷺ سهل في ذاته لكنه عظيم في فائدته ، فالطفل عندما يستمر بكائه فهو لا يؤدي الأم فقط بل يؤدي للصلين ويزعجهم .

إن في هذه الأحداث والوقائف دروساً عظيمة ومواقف حسيمة وعبراً خيرة للعاني - فهل من متعظ ؟ - . هذه الليالي التي طيفها الرعيل الأول كانت لهم قوة وازدادوا بها عزة ، ونعُد عنها الجيل للعاصر فزادهم ضعفاً ومهانة ؛ لأن الرحمة عندما تنزع من القلوب يحل محلها القسوة التي يتبعها أذى الناس وعدم الإحساس بهم .

وقد صنف ﷺ الناس حسب أفعالهم إلى صنفين مستغلاً أكبر موقف يمر به الإنسان ونخشاه وهو موقف الموت ، فقال ﷺ عندما مرت عليه جنازة : « مُسْتَرْحٍ وَمُسْتَرَاخٍ مِتَّةٌ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا الْمُسْتَرْحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِتَّةٌ ؟ فَقَالَ : « الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرْحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرْحُ مِتَّةَ الْعَبْدِ وَالْبِلْدَانِ وَالشَّجَرِ وَالْثَوَابِ »^(٢) . الجنازة هي نهاية سفر الإنسان من الدنيا وبداية الإقامة في دار الخلود ، وفي هذه اللحظة تكون القلوب وجلة متأثرة بالموقف ، فالوعظة تفر للشاعر ، وتستقر في القلوب ، فأظهر لهم ﷺ أن المؤمن يستريح من نصب الدنيا وتعبها ، والفاجر يستريح منه العباد والشجر والثواب ؛ لأنه بموته يتدفع أفاده عنهم ، وأذاً يكون من وجوه منها : ظلمه لهم ، أو ارتكابه للمعصيات ، فإن أنكروها قاسوا مشقة في ذلك ربما نالهم ضرره ، وإن سكثوا عنه أمثوا ، واستراحة الثواب لأنه يؤديها

(١) ابن ماجة / سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، كتاب إقامة الصلاة ، ج ١ ، ص ٢٨٣ ، ر : ٩٩١ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٦ ، ر : ٩٥٠ .

بضرها ويُحملها مالا تطيق ، واستراحة البلاد والشجر ، قليل : لأنها تمنع القطر بحصيته^(١).
 صورتان متضادتان أحدهما تحمل الخير للفرد والمجتمع ، والأخرى تحمل الشر للفرد والمجتمع ،
 هذا الموقف يجعل للمسلم يفكر في موقعه ومن أي الصنفين هو ، هل هو عبد الله مؤمن بكل
 ما يكيه الله له ، بمحمد في السراء والضراء ، يتحمل عناء الدنيا ومتاعها ، يسعى بين الناس
 بالخير ، أم أنه يسلط لسانه على الناس بالغبية والنسيمة ، والسب والشتم ، غير مبالي بمشاعر
 الآخرين وإنسانيتهم ، غير مفكر فيما يناله من شر لسانه وأفعاله . في هذا المجال لوقف ﷺ
 أصحابه أمام موقف وعيناه ﷺ تلطف الدعع ، موضحاً لهم عذاب الله للناس بسبب اللسان .
 ففي الحديث قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : اشتكى سعد بن عباد شكوى لله ، قال
 رسول الله ﷺ يغفوه مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ، قلنا دخل
 عليه وجده في غيبته ، فقال : « أَلَا قُتِلَ ؟ » . قالوا : لا يا رسول الله ! فكفى رسول الله ﷺ ،
 قلنا رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا ، فقال : « أَلَا لستم ؟ » . إن الله لا يعذب بئع الأعين ،
 ولا يخون القلب ، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم^(٢) . يوضح الحديث
 مواقف تربوية عظيمة ، رقة قلب النبي ﷺ ، فقد فاضت عيناه ، وسؤال سعد له ﷺ ، ما هذا ؟ .
 معناه أن سعد ظن أن البكاء حرام ، فريد تذكيره ، ولكن هذه الدموع معاني تربوية تؤثر
 في النفوس وتصل القلب ، ووضح لهم ﷺ أن البكاء ودمع العين ليس بحرام ولا مكروه ،
 بل هو رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء . فأتضحت الرؤيا
 أمامهم بأن الحرام هو البكاء للفرح بالروح والندب ، وبين ضم في هذه اللحظات للتوبة
 « إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِئِيعَ الْأَعْيُنِ ، وَلَا يَخُونُ الْقَلْبُ ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وأشار إلى لسانه -
 أَوْ يَرْحَمُ » . ففي الحديث مبادئ تتجلى في استحباب عبادة للرئيس ، والرحمة بين الناس التي
 جعلها الإسلام ، وهي صفة ينال بها المسلم رحمة الخالق له ، وفي هذا الموقف للرعب
 يذكرهم ﷺ بأخطار اللسان على الإنسان ، وأنه سبب عذاب للمسلم .

فاتحنا للربي الوقت المناسب في توجيهه من حوله يسهل ويقال من جهد العملية التربوية
 ويؤدي نتائج تربوية أفضل ، فعملهم الأمة ﷺ كان دقيق النظر إلى تحين الزمان والمكان

(١) الشوي / حي الدين أو ذكرها يحيى ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الجسار ،
 ص ٩٥٠ : ٩٥١ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الطهارة ، ص ٥٣٠ : ٥٣١ .

للمناسين لتوجيه من حوله ، والاستفادة منهما في تلقين أصحابه الأفكار البناءة ، وتصحيح السلوك الخاطئ ، وإحلال سلوك سليم^(١) . وأكثر من يتعرض لهذه اللواقف التربوية هو المعلم ، فعليه أن يتبع أسلوب المربي الأول ﷺ ويجعل للرحمة مكاناً في قلبه ويرحم طلبته حتى يستطيع برحمته وحكمته أن ينفذ إلى القلوب وتكون كلمته نافذة إلى قلوبهم ، ويتحقق الخلف التربوي . فرحة العباد بقلب رحمة الخالق ﷻ كما ورد في الحديث ، عَنْ أَسَمَةَ قَالَ : كَانَ الرَّبُّ لِبَعْضِ بَنَاتِ الشَّيْءِ يَقْضِي ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهَا ، فَأَرْسَلَ : « إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ ، وَلِلَّهِ مَا أُعْطِيَ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ مُسْتَعْتَبٌ ، فَتَصَبَّرْ وَتَحْتَسِبْ » ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ فَأَلْسَنَتْ عَلَيْهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَشَتْ نَفْعٌ وَتَعَادَى بَيْنَ جَبَلٍ ، وَأَتَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَغَدَاةُ بَنِي الْعَصَمَةِ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا بَنُوْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْمَبْنَى ، وَنَفْسٌ تَقْلُقُ فِي صَنْدُوقِهِ - خَبِثَةٌ قَالَتْ - : كَاذِبٌ هَذَا ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عَدَادَةَ : أَلَيْسَ ؟ فَقَالَ : « إِنَّمَا يُرْخِمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ »^(٢) . فرحته ﷺ لا تقف عند حد التأثير والتأثر ، بل كان يراعي مصالحهم رحمة بهم ويوجههم إلى السلوك الذي يفيدهم .

ويكون تطبيق التربية وفقاً للأحداث وأمام الناس أحياناً حتى يدركها الناس جميعاً ، فمن الأحداث ما هو خاص بين المربي وصاحب الشأن ومنها ما هو عام ويحتاج إلى جمع من الناس حتى يتم تطبيق التوجيه التربوي حسب اللوقف . فعن جَابِرٍ قَالَ : أَتَيْتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي غُلَظَةَ غَدَاةً لَهُ عَنْ دَابِرٍ ، قَالَهُ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَلَيْسَ مَالُ غُلَظَةَ » ؟ . فَقَالَ : لَا ، فَقَالَ : « مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي » ؟ . فَأَشْرَاهُ لَعَنِمَ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ الْعُدَوِيُّ بَنَدَنَ مَدَنَةَ دِرْهَمٍ ، فَجَاءَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَفَعَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « الْهَذَا بِتَفْسُكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا ، فَإِنْ فَضَّلَ شَيْءٌ فَأَعْطَيْتَ ، فَإِنْ فَضَّلَ عَنْ أَطْلَئِكَ شَيْءٌ فَلْيَدِي لِرَأْسِكَ ، فَإِنْ فَضَّلَ عَنْ ذِي قَرْنَيْكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا .. » - يَقُولُ - : قَبِلْتُ بَيْنَكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ »^(٣) . كما جاء في الحديث أن الرجل أعتق عبده رغم أنه فقير وعحتاج ، وليس عنده ما ينفقه إلا هذا العبد ، فأخبر الرسول ﷺ بذلك ، فسأل الرجل : « أَلَيْسَ مَالُ غُلَظَةَ » ؟ . فَقَالَ : لَا ، عندها كان التوجيه التربوي التطبيقي ، حيث سأل الصحابة ﷺ من يشتري العبد ، ففي هذا اللوقف النبوي تظهر الحكمة ومعالجة الأمور ؛ لأنه أراد أن يسد

(١) سويد / محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية للطفل ، ط ٤ ، ١٤١٢ هـ ، مرجع سابق ، ص ٣١٣ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب التوحيد ، ص ٢٠٦ ، ر : ٦ .

(٣) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الزكاة ، ص ٥٧٩ ، ر : ٩٩٧ .

حاجة لرجل وأهله ثم تصدق بما بقي من مال . فيظهر من الحديث دروس تربوية منها الابتداء في الثقة حسب الترتيب للذكور - النفس ، الأهل ، القرابة ، فعن اليمين ثم عن الشمال - ومنها أن الحقوق والفضائل إذا تراحت قدم الأوكد فالأوكد ، ومنها أن الأفضل في صدقة التطوع أن يوزعها في جهات الخير ووجوه البر بحسب الصلحة ، ولا ينحصر في جهة بعينها^(١) ، وأن النفس أولى من غيرها بالإحسان ، وأن يفكر المرء قبل البدء في أي عمل ويختار الأفضل .

هذا الأسلوب التربوي كان ﷺ يبين أفضل الأعمال ، ويوجه سبيلها بطريقة لا ترحم المشاعر ولا تؤذي النفوس وبين الأولويات والفضائل بطريقة مشوقة ، مستغلاً للنسب والأحداث في التعليم والتوجيه بأسلوب حكيم ومعاني بليغة ، كما قال أنس ﷺ : كُنَّا مَعَ الشَّيْخِ ﷺ فِي السَّفَرِ ، فَبِمَا الصَّائِمِ وَمَا التَّفَطُّرُ ، قَالَ : فَنَزَلْنَا مَثَرَةً فِي يَوْمٍ حَارٍّ أَكْثَرْنَا حُلًّا مَنَاجِبَ الْكِنَاسِ ، وَمَا مَنَ يَتَلَقَّى الشَّمْسُ يَدَيْهِ ، قَالَ : فَسَقَطَ الصُّوْمُ ، وَقَامَ الْمُفْطَرُونَ ، فَضَرَبُوا التَّيْبَةَ وَسَقَوْا الرُّكَّابَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ذَهَبَ الْمُفْطَرُونَ الْيَوْمَ بِالنَّجَى »^(٢) . الحديث يجسد حال الصحابة في السفر ، فكانوا على قسمين منهم الصائم ومنهم للمفطر ، فالصائمون أهلكهم التعب إضافة لحرارة الجو فكانوا لا يستطيعون العمل والحركة ، أما للمفطرون فقد شدوا أوساطهم للخدمة ، وقاموا بالأعمال بكل نشاط واجتهاد ، وفي هذا الموقف يُبين ﷺ أي الفريقين أحمر أفضل الصائم أم العامل ، فقال : « ذَهَبَ الْمُفْطَرُونَ الْيَوْمَ بِالنَّجَى » . إن الإسلام دين رحمة للعالمين ، يفتح لهم آفاق الحياة على منهج سليم ، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وضح ﷺ أن التعاون في وجوه الخير له عظيم الأجر - فإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ تَوْتِيَ رَجُلًا كَمَا تَوْتِي عِزَّتَهُ - كما أنه يفرس في القلوب حباً مستمداً من الأخوة الصادقة في الله . ثمرته الإحسان معاناة للمسلمين والتخفيف عنهم . إن المدرسة النبوية هي مدرسة القيم والبيادئ ، وإيجاد الثقة في النفس ، هذا الأسلوب درب محمد ﷺ أصحابه ليكونوا على قلب رجل واحد يساعد القوي الضعيف ، ويتعاون المسلمون فيما بينهم ، إن هذه التوجيهات لو تلقاها أصحابها وهم جالسون قاعلون في بيوتهم لن يذكروا أهميتها ويشعروا بفائدتها ، إن مثل هذه التربية

(١) الترمذي / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الزكاة ، ص ٦٩ ، ر : ٩٩٧ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصيام ، ص ٦٤٧ ، ر : ١١١٩ .

هي التي أخرجت الجيل الجاد العملي ، الذي يعيش العلم والعمل معاً ، حريصاً على المبادرة لفعل الخير . فليفتطرون أرادوا أن يعلنوا الصائمين قبادروا بالعمل ، فكان أحرمهم أعظم ، من هذا الخلق إلى أن العمل من أجل الجماعة أفضل من العمل الشخصي ولو في عبادة ، وهذا له هدف عميق وحث على قضاء حوائج الناس ومساندتهم في حاجتهم ، ولا يتم هذا العمل إلا من خلال الإحساس بأحوال الآخرين ، فلهي الكرم ﷺ يشعر بأصحابه ويأمرهم بالاعتدال في كل الأمور حتى في العبادات ، فمع توجيهه لأصحابه في كل موطن ، إلا أن تربيته كثيراً ما تكون من خلال الأحداث ، فكان يضع الناس في الموقع والليدات وبأني يتوجه حينها ، كما جاء في حديث أبي هريرة ؓ قال : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوَصَالِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : فَإِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! تُوَاصِلُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالْإِنَّمِ مَبْنِي ؟ . إِي أَبِئْتِ بِطَعْنِي دَنِي وَتَسْكِينِي » ، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوَصَالِ وَاصِلٌ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا ، ثُمَّ رَأَوْا الْهَيْدَالَ ، فَقَالَ : « لَوْ لَأَخَّرَ الْهَيْدَالَ لَوَدَّكُمْ » ، كَأَلَمْتُكُمْ لَهْمُ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا ^(١) . إن مصدر الطاقة في الإنسان الغذاء فإذا بعد عنه ضعف حسده وقل جهده ، والإسلام دين قوة وعمل ، لا يقبل بالأعمال التي تضعف الجسم ، وتقلل من طاقته ، فالخائف ﷺ يعلم ما يتوافق مع عبادته فيأمرهم به ، وما يضرهم فينهلهم عنه ، ولكن الإنسان أكثر شيء جدلاً ، وهذا ما يتضح في الحديث السابق حيث هي المرابي الأول ﷺ عن الوصال ، - وهو صوم يومين فصاعداً من غير أكل أو شرب بينهما - رحمة بكمته وتغظيماً عنهم ، ولكن بعض الصحابة وجد في نفسه قوة فأراد أن يقتدي بالتصليقي ويواصل في صومه ، فواصل بهم ﷺ يوماً ثم يوماً لاحتمال للصلحة في تأكيد زجرهم وبيان الحكمة في لخبهم وللفسدة للثرية على الوصال ، وهي لذلك من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين من إتمام الصلاة بخشوعها وأدائها ، وعندها مضى يومان من الوصال وهم قد ضعفوا وأقربوا عند رؤية الهلال ، فقال لهم : « لَوْ لَأَخَّرَ الْهَيْدَالَ لَوَدَّكُمْ » ، كَأَلَمْتُكُمْ لَهْمُ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا ، فالصحابه تعلموا درساً بالتطبيق الفعلي وكانوا عورة لغيرهم ، لأن الرسول ﷺ ذكر لهم أنه لا أحد مثله ، فقال ﷺ : « وَالْإِنَّمِ مَبْنِي ؟ . إِي أَبِئْتِ بِطَعْنِي دَنِي وَتَسْكِينِي » ، أي يجعل الله في قوة الطامع الشارب ^(٢) . إن أسلوب التربية

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصيام ، ص ٦٣٦ ، ر : ١١٠٣ .

(٢) النووي / مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الصيام ، ص ١٧٣ ، ر : ١١٠٣ .

بالتحرية والعمل من ألحج الأساليب التربوية نظراً لفعاليته ، والإحساس به وممارسته ، فالرسول ﷺ استلهم هذا الأسلوب مع أصحابه حيث تركهم يمارسون ما ظنوا أنهم يستطيعون فعله ، فالنفس تعيش حالة من التصميم حتى ولو كانت على خطأ ، ولا يوقف هذه النفوس إلا شيء من الإقناع ، يردها للحادة ، ويؤكد لها معاني الصواب . . . وفعلاً ثبت لهم بالتحرية خطأ ظنهم .

فالأسلوب التحريبي أسلوب حضاري عصري ينادي به علماء التربية وعلماء النفس ، إضافة لعلماء الطبيعة . ويدل ذلك على أن النبي ﷺ سبق جميع العلوم الحديثة بنظرياتها واتجاهاتها ، فكانت تربيته عظيمة شائعة تجسد فيها أفضل العلاقات الإنسانية ، والقيم الإسلامية ، والزهدي في الدنيا والإقبال على الله ؛ لأن تربيته ﷺ غير محددة بزمان أو مكان ، فللربي الناجح هو الذي ينتهز الفرصة المناسبة لتحقيق ما يريد الوصول إليه ، سواء كان في المسجد أو السوق أو عائلتهما ، ومثال ذلك الحديث الذي بين أن الرسول ﷺ «مَرَّ بِالسُّوقِ ، دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ ، وَالنَّاسُ كَفَفَتْ ، فَمَرَّ بِحَذِي اسْتَكَّ^(١) مَبْتُ ، فَقَدَاوَلَهُ فَاحْذَ بِأَذْنِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَتَيْتُمْ حُبًّا أَنْ هَذَا لَهُ يَدِيهِمْ ؟ » . فَقَالُوا : مَا نَحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : « أَلَيْسَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟ » . فَأَلْفُوا : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَتَا فِيهِ ، لَأَكَلَهُ اسْتَكُّ ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ ؟ فَقَالَ : « فَوَاللَّهِ لِلَّذِي أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ »^(٢) . التعلم بالأحداث من أعمق الطرق للثورة في النفس ؛ لأنه يُستلهم فيها بحائب حاسق السمع والبصر ، حواس أخرى منها اللمس والشم ، والحديث السابق بين أن هذا التوجيه النبوي كان في الطريق وأثناء السير والناس من حوله ﷺ حيث القراء الطلق والنفس تكون أكثر استعداداً وقبولاً لتلقي التوجيهات ، خاصة وأن الشيء يحسد أمام أعينهم . والرسول ﷺ لا يترك أمراً يستحق التعليق عليه إلا يلقي عليه الضوء ، فتكون كلماته موعظة لمن سمعها ، فكان ﷺ دائماً يذل أصحابه على طرق الخير والزهدي واحتقار الدنيا ، والحديث حجة قوية تبين هوان الدنيا على خالفها ، فكان أسلوبه ﷺ مشوقاً وطريقته في العرض جذابة حيث أراد أن يصل بالصحابه ﷺ إلى قرار ناتج عن قناعتهم بحقت هذا الحدي ، فالعقل عندما يرفض أمراً عن قناعة فإنه يلتزمه الإصرار على

(١) لَأَسْتُ : منطرح الأذن .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الزهد ، ص ١٧٩٧ ، ر : ٢٩٥٧ .

الإصرار على عدم قبوله ، ففي الحديث كان ردهم بدل على رفض الجدي ومقتته وأنهم لا يرغبون فيه حتى لو كان حياً ؛ لأن فيه عيباً ، حيث قالوا : **لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ ، ثَلَاثَةٌ أَسْأَلُكَ ، فَكَيْفَ وَهَوُ مَيْتٌ ؟** إن الرسول ﷺ استغل هذا الحدث ليخرج حب الدنيا من قلوبهم ، ويغرس مفاهيم إيمانية وتربوية ، فهو ﷺ يوجه الأحداث والناسبات إلى موعظ ودرس تربوية ؛ لأنه يبي تربيته على منهج رباني اختاره الله لعباده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . فالرسول ﷺ كان معلماً يعلم الناس ، لذا كانت حياته ﷺ كلها تربية وتعلماً ، مما يجعلها غنية بالأساليب التربوية والتعليمية . فعن أبي هريرة قال : **خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ! قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا » ، فَقَالَ زَيْلٌ : أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَسَكَتَ ، حَتَّى لَأَنَّهَا ثَلَاثٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ قُلْتُ : نَعَمْ ، لَوَجَّهْتُ ، وَلَكِنَّا اسْتَطَعْتُمْ . - ثُمَّ قَالَ - : ذَرُونِي مَا نَرَكُمُكُمْ ، فَإِنَّمَا هَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَكْرَةً سَوَاءٌ لَهُمْ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ عَلَى آثِبَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَلَّوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَذَرُّوهُ »^(١) .** في الحديث قواعد أساسية للإسلام ، كما يظهر في الأسلوب جوامع الكلم التي أعطاها ﷺ ، فتقوله : **« فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَلَّوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَذَرُّوهُ »** ، فهذه الجملة اشتملت على الأوامر والنواهي ، ويجب على المسلمين تطبيقها بقدر الاستطاعة ، وهذا الحديث توافق معه الآية الكريمة . قال تعالى : **﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ أُجِّنْكُمْ مِنْكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾** (الحج آة ٧٨) ، ومعنى : **﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ ﴾** تعبير شامل جامع دقيق ، يصور تكليفاً ضامناً ، يحتاج إلى إعداد ومجاهدة ، والمجاهدة ليس فقط بمجاهدة الأعداء ، بل يشمل جهاد النفس والهووى وجهاد أشر والفساد^(٢) . **﴿ هُوَ أُجِّنْكُمْ ﴾** الإحياء يدل على الاحتيال والاصطفاء ، أي بعثركم من بين عباده لحمل الأمانة الضخمة ، وتطبيق تعاليم الدين الإسلامي ، ويظهر أن الخطاب موجه لأصحاب رسول الله ﷺ ، ويشركهم فيه كل من جاء بعدهم ونجح فحجهم كما هو شأن معاملات التشريع ، وهذا تفضيل وتكريم من الله لهذه الأمة عليها أن تقابله بشكر الله . **﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾** ، إن الدين كله بتكليفه وعباداته وشرائعه ملحوظ فيه تلبية للضرورة ، وهو دين لا حرج فيه ؛

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الحج ، ص ٧٩٥ ، ر : ١٣٣٧ .

(٢) قطب / سيد ، في طلال القرآن ، ج ٤ ، ط ٩ ، ١٤٠٠ هـ ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤ .

لأن ذلك يسهل العمل به مع حصول مقصد الشريعة من العمل فيسعد أهله بسهولة امتثاله ؛ لأن الله يريد اليسر لعباده ولا يريد العسر . ولا يريد الحرج لعباده . والخرج : هو الضيق ، ويقطن على عسر الأفعال تشبيهاً للمعتول بالهوس^(١) . والحديث السابق يوضح أن الرسول ﷺ سكت ولم يرد على سؤال الصحابي عندما قال : أَكُلُّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ . فسكت ﷺ ، حتى قالها الرجل ثانياً ، ثم أراد ﷺ أن يري أمته تربية شاملة بالوجيهات والتشريعات ، ويعلمهم آداب الاستماع وتوجيه الأسئلة ، والأوقات المناسبة للأسئلة ، لذلك أكرم الصمت حتى لا يترتب عليه تكاليف لا تطيقها الأمة الإسلامية وقد وسع الله عليهم^(٢) ، ثم بين الرسول ﷺ للسائل سبب سكوته وعدم الرد عليه ، وقال له : « لَوْ قُلْتُ : لَعَمْرُكَ ، لَوَجَّهْتُ » ، وهنا يظهر موقف تربوي بين المعلم والتعلم ، فموقفه ﷺ موقف للعلم ولتؤدب فلم يهرج السائل ، بل وضح الأسباب ، وكانت تشمل تعاليم الدين بالأوامر والنواهي ، وفي الحديث تأديب من الله لعباده المؤمنين ، ولهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء لا غائلة لهم في التقيب عنها ؛ لأنها إن ظهرت لهم ربما ساقط وشق عليهم سماعها . كما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ أَنْتُمْ لَا تَسْمَعُونَ عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ فَسَوْفَ يَكْفُؤُونَ خِطْفَهُمْ إِذَا فُسِّحَ لَهُمْ مِنْهَا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴾ (البقرة : ١٠١) .

أما موقف للتعلم فعليه أن يكون ليلاً يفهم من سياق الكلام بأن الأمر لو يحتاج لزيادة لوضحت ، يدلل قوله ﷺ : « فَرَوْنِي مَا فَرَحْتُكُمْ » ، أي لا تكثروا التنقيب والاستفصال عن المواضيع ، وينبغي أن يكفي ما يصدق عليه اللفظ ، وأن يأخذ باليسر الأمور ولا يضيق على نفسه ما يلقاه من علم . فالرسول ﷺ يحرص على ترجمة الإيمان إلى سلوك ، سواء كان أمر بطاعة أو نهي عن معصية ، وهي طريقة فعالة ؛ لأنها ترتبط بالواقع للمشاهدة وتصل بحياة الناس . لذلك فهي كتبت في النفوس ، وترسخ في العقول ، فتكون القيم متوافقة مع الحياة .

٢- الجانب الأخلاقي :

الأخلاق هي مجموعة القواعد السلوكية التي تحدد السلوك الإنساني وتنظمه ، ويجب أن

(١) ابن عاشور / عمد الطاهر ، التحرير والتبويب ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٣٥٠ .

(٢) الشاذلي / عمد لسان الأعظمي ، دراسات تربوية في الأحاديث النبوية ، مرجع سابق ، ١٤١٧هـ ، ص ١٠٣ .

يحتديها الإنسان فكراً وسلوكاً في مواجهة للمشكلات الاجتماعية والواقف الخلقية المختلفة ، والتي تبرز للغزى الاجتماعي لسلوكه بما يتفق وطبيعة الآداب والقيم الاجتماعية السائدة^(١). وعرفها يابن يانها : " لبداى وقواعد للنظمة للسلوك الإنساني ، التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه^(٢) ". فالفكر الأخلاقي يتبع للنهج الإسلامي الذي يحدد الإطار العام لأفكار معتقبيه ، ويحدد أخطا السلوك الذي يمارسه الإنسان في الحياة ، وخاصة في علاقته بالآخرين^(٣) ؛ لأن هذه العلاقات تشغل حيزاً كبيراً في حياة الناس ، لذلك اهتم ﷺ بهذا الجانب ووضح الطرق للوعدة إليه ، قال ﷺ : « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى لَاؤْمِنُوا ، وَلَا لَاؤْمِنُوا حَتَّى تَعْلَمُوا . أَوَّلَ أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمْهُ تَحَابُّتُمْ أَفْشَا السَّلَامُ بَيْنَكُمْ »^(٤) . الحديث يشير إلى أن الالتزام بسنة للمصطفى ﷺ سبيل إلى دخول الجنة ، - ولا يحق للمسلم أن يتسلط بحزم منها ويترك الآخر ، تصغيراً للعنصرية والتماعاً بأسرها - . كما يشير إلى أسلوب تربوي يولف بين القلوب ، ويغلب المحبة بين أفراد المجتمع ، فالسلام له منزلة عظيمة في الإسلام وهو عنوان الخلق الحسن ، وحق على المسلم تجاه أخيه المسلم ، ومعنى السلام أتم في حفظ الله ورعايته ، وإقضاء السلام سنة نبوية وصفة أخلاقية ، وكان المرئي الأول ﷺ يرى أصحابه على لفظ السلام كاملاً ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « أَنَا وَجَدْتُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « عَشْرُونَ » ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « عَشْرُونَ » ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ثَلَاثُونَ »^(٥) . إن من أكمل لفظ السلام كتب له ثلاثون حسنة^(٦) . ولكن للشاهد اليوم أن كثيراً من المسلمين تركوا تحية الإسلام واتجهوا إلى ألفاظ غريبة يميون بعضهم بها ، أو يكتفون بإشارة اليد ، وهذه ظاهرة نفست في المجتمع المسلم ، حتى بين المعلمين في المؤسسات التربوية ، فكيف يكون حال المتعلمين

(١) ابن حزم / نزهة العيون ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦٢ ، خلافاً عن عبد الوهيد مكرهم رسالة ما يستحق .

(٢) يابن يانها / مقتصد ، التربية الأخلاقية الإسلامية ، ١٣٩٧هـ ، مكتبة الخانجي : مصر ، ص ٧٥ .

(٣) ابن حزم / نزهة العيون ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٧٤ ، ر : ٥٤ .

(٥) قزويني / أبو عيسى محمد بن عيسى ، سنن قزويني ، ١٤١٤هـ ، ج ٤ ، كتاب الاستئذان ، ص ٣١٥ ، ر : ٢٦٩٨ .

(٦) شاركنوري / المصنف أبو الخلا عبد الرحمن ، ثقة الأوسني ، ج ٧ ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ ، دار الحديث : القاهرة .

غداً ، لا بد من وقفة وعودة إلى مراعاة هذه الأمور الجسيمة في قولها لتفرد والتجمع ، وفيه إلى أن التحلي عن السنة لا يكون دفعة واحدة ، إنما يكون تدريجياً ، فإذا انتشرت هذه الظاهرة واستمرت سوف تكون عادة ، وبعدها تحل حلقة أخرى من حلقات السنة وهكذا .

وهذا ما يريدونه ويخطط له أعداء الإسلام الذين يعملون البغضاء والكراهية للرسول والمسلمين منذ عصر النبوة كما يتضح من حديث عائشة رضي الله عنها رَوَى عَنْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ : دَخَلَ رَقِطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَفَهَيْتَهَا ، قَالَتْ : وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهْلِكُ بَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْوَلَقْنَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ »^(١) . أن اليهود يظهرون أنهم يتقفلون بلفظ السلام ، ويبتلون الكراهية والحقد ، والرسول ﷺ مدرك لما يقولون ، ولكن يرد عليهم دعوتهم بأدب ولين ، ووجه ﷺ السيدة عائشة عندما ردت على اليهود بغضب ولعنهم - لأنها كانت ترى حوازل لعن الكفر - فأراد ﷺ في هذا الموقف أن يعلمها أن لا يعود لسانها على الفحش ، وأنكر عليها الإقراء بالسب^(٢) . ويُعلم أصحابه كيفية الرد عليهم . قال ﷺ : « إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا عليكم »^(٣) . أي عليكم ما قسم .

فتكامل الشخصية النبوية جعلت منه الحاكم والقائد والزوج والعلم والداعية والربي ، فهو ﷺ يقوم الاعوجاج بطريقة مؤثرة في النفوس ، ويتدرج في مواعظه حسب الأحداث التي يوجه من خلالها التربية التي يريد أن يفرسها في الأمة الإسلامية حتى تظل عالقة بالألفان مرتبطة بالحدث والزمان والمكان ، ويظهر ذلك في الحديث ، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَمَّتْ لَهُ غَيْبَتُهُ بَيْنَ الْخُرَاجِ إِلَى الْيَهُودِ بَابِي بَجَرِيجَةٍ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحُ أَهْلِ الْيَهُودِ وَالْقُرَى عَلَيْهِمْ الْقِتْلَاءُ بَيْنَ الْحَضَرَمِيِّ ، فَظَمَ أَبُو غَيْبَتُهُ بِمَالٍ مِنَ الْيَهُودِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ فَوَافَقَتْهُ صَدَقَةُ الصَّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا الصَّرَافُ تَفَرَّجُوا لَهُ ، فَتَسَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُمْ ، وَقَالَ : « أَطَلَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي غَيْبَتِهِ وَأَنَّهُ جَاءَ بِبَنِيهِ » ، قَالُوا : أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « فَأَبْشَرُوا وَأَتَمُّوا مَا يَسْتَوْسِمُ ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَحْضَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَحْضَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْطَ عَلَيْهِمُ الدِّينَ

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٩ ، ر : ٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٣) مسند ابن أبي شيبة ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الاستئذان ، ص ٤٩ ، ر : ٦٢٥٨ .

كَمَا يُسْطَنَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَأْسَوْهَا كَمَا تَأْسَوْهَا وَلَهَيْكُمْ كَمَا آهَيْتَهُمْ ^(١) .

الحديث منهج تعليمه ﷺ حيث يتقل بربيته لأصحابه من واقع ملحوظ إلى مستقبل مجهول ، ويظهر ذلك في قوله ﷺ : « مَا أَظْفَرُ أَحْسَى عَلَيْكُمْ » ، وهذه الحشية سببها علمه ﷺ ، أن الدنيا ستفتح على أمته ﷺ ويحصل لهم الغنى بالمال ، « وَلَكِنْ أَحْسَى عَلَيْكُمْ أَنْ يُسْطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا » ، ويقصد من ذلك أن مضرة الفقر دون مضرة الغنى ، لأن مضرة الفقر دنيوية غالباً ، ومضرة الغنى دينية غالباً ، وقوله ﷺ : « فَتَأْسَوْهَا » ، للتأفف من الرغبة في الشيء وعبه الانفراد به ولتغلبة عليه ، وقوله ﷺ : « وَلَهَيْكُمْ كَمَا آهَيْتَهُمْ » ؛ لأنه يحشى على من رزق المال أن تحلب له تصرفاته الشر ، لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه . ويستدل من الحديث على أن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى ، والغنى يوقع في الفتنة التي تخر إلى هلاك النفس غالباً - إلا من رحم ربي - ، لذلك كان الفقر آمن لهم ^(٢) .

ولو ترك الإنسان لذوات طمعه وحرصه على جمع المال لأصبح خطراً على نفسه وبمضمه ، فلذا لزم توجيه النفس إلى القيم الربعية واللغابي السامية ، وهذا لا يكون إلا بالصبر وقوة التحمل ، وكان ﷺ يستغل الأحداث لغرس الصبر في نفوس الصحابة ، فعن أبي سعيد الخدري : « أَنَّ لَاسَ مِنَ الْكَاصِرِ سَالُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَخْطَاهُمْ ، حَتَّى إِذَا لَقَدْ مَا عِنْدَهُ قَالَ : « مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَذْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْلِفْ بِعَقْبِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَسْتَعْلِفْ بِعَقْبِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْرِهَ اللَّهُ ، وَمَا أَخْطَى اللَّهُ أَحَدًا مِنْ عَطَاءٍ أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » ^(٣) ، أن صفة الصبر تحتاجها كل مؤمن ، والصبر تاج الأخلاق ، به يغلب على الغضب ويملك زمام نفسه ، وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿ وَنَبِّئِ الصَّابِرِينَ ﴾ ، هذه الشذلة العظيمة لا ينالها إلا من عزم على الصبر وتمسك به كما كان يفعل الصلطي ﷺ تجاه أذى قومه ، فعن أبي مسعود ﷺ قَالَ : قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسُنَّةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْكَاصِرِ : وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِهَذَا وَجَعَهُ اللَّهُ ، فَأَبَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَتَعَرَّ وَجْهَهُ ، وَقَالَ : « رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ » ^(٤) .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الرقاق ، ص ١٦٦ ، ر : ١٣ .

(٢) العسقلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الرقاق ، ص ٢٤٥ ، ر : ٦٢٥ .

(٣) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ، ر : ١٦٤٤ .

(٤) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٢٨ ، ر : ٧٦ .

في الحديث جانبان يجب التنبيه إليهما ، الأول أن الصحابي نقل الكلام بقصد التصحيح وتحري الصدق ؛ لأن ما يصدر عن النبي ﷺ هو شرع للأمة الإسلامية كافة ، لذلك كان لا حرج من نقل الأخبار . أما خلاف ذلك من نقل الكلام ويقصد به الفساد أو الوقوع في اصطدمات مع الآخرين بسبب الفتنة والوشاة فهذا النوع محرم ، ويوقع في الإثم ، والمخاطب الثاني صورة رائعة للتربية فخر النفس الإنسانية بكاملها ، فقد كان رده ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِكَثْرٍ مِنْ هَذَا فَهَيَّرَ » ، إن تذكر مصائب الآخرين يخفف عن النفس الإنسانية مصائبها ، فموسى ﷺ نبي مثله ونال من قومه قصير ، فهنا مواساة للنفس بأن غيرها أيضاً نال من الأذى ، تربية فيها ترويض للنفس البشرية .

وكثيراً ما تعرض ﷺ إلى مواقف وأحداث يفضي له الصحابة ، ولكن يعالج الأمور بحكمة ويصبر كما جاء في الحديث ، بَعَثَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِخَيْبَةٍ فِي أَيْمٍ مَقْرُوطٍ لَمْ يَخْصُلْ مِنْ لَوْبِهَا^(١) ، قَالَ : فَكَسَمْتُ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفْسٍ : بَيْنَ خَيْبَةٍ بَيْنَ بَدْرٍ ، وَالْفَرْعِ بَيْنَ حَاسٍ ، وَبَيْنَ الْعَجَلِ ، وَالرَّيْبِ بَيْنَ عُلْفَةٍ بَيْنَ عُلَاقَةٍ وَبَيْنَ عَامِرٍ بَيْنَ الْعُطْبِيِّ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : كُنَّا لِحَنٍ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَذِهِ ، قَالَ : قُلْتُ ذَلِكَ لِنَبِيِّ ﷺ قَالَ : « أَلَا لَأَمْسُوهُ ؟ وَأَلَا أَمِينٌ مِنْ فِي السَّمَاءِ ، يَأْتِينِي خَيْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً » ، قَالَ : فَذَمَّ رَجُلٌ غَيْرَ الْعَيْنِ ، مُشْرِفُ الْوُجْهَتَيْنِ ، لِحَنُ الْعَيْنِ ، كُنْتُ السَّحْبَةِ ، مَخْلُوقُ الرَّاسِ ، مُشْرِفُ الْإِزَارِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَلَيْسَ اللَّهُ ، فَقَالَ : « وَتِلْكَ ! لَوَلِئْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ » ! قَالَ : ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ ، فَقَالَ خَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَلَا أُحْزِبُ عُنْفَةً ؟ فَقَالَ : « لَا ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي » ، قَالَ خَالِدٌ : وَكُنْتُ مِنْ مُصَلِّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِلَيَّ لَمْ أَمُرْ أَنْ أَلْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ ، وَأَنَا أَحَقُّ بِطَوْنِهِمْ » ، قَالَ : ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفَّ ، فَقَالَ : « إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ حَيْضَتِي هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَهْطًا ، لَا يُجَاوِزُ حَتَايَرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرُّمَّةِ » ، قَالَ أَهْلُهُ قَالَ : « لَيْنَ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَهُمْ قُلُ قُمُودٌ »^(٢) . يشير الحديث إلى فوائد تربية عظيمة منها الصبر على أذى الناس ، ومعالجة الأمور بحكمة وحلم ، وحسن العشرة والتغلب مع من يسيء إليه ، فكان جوابه ﷺ مقنعاً شافياً عندما قال : « أَلَا لَأَمْسُوهُ ؟ » . وَأَلَا أَمِينٌ مِنْ فِي السَّمَاءِ ، يَأْتِينِي خَيْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً » ، ومع ذلك فالنفس الخالدة لا تعي

(١) في نسخ مقروط : أي متدوع بالقرط . لم يحصل من تربها : أي لم يجز .

(٢) مسلم أصحح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، ص ٦٠٩ ، ر : ١٠٦٤ .

ولا تسمع الحق ، فقد ثار ذلك الرجل وقال للمصطفى ﷺ الذي فضله رب العالمين على جميع خلقه ، « يا الله » ، فمادا كان رده ﷺ ؟ قال : « وَيَلَكُ الْاَوَّلُ اَحَقُّ اَهْلِي الْاَرْضِ اَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ » ١٩ موقف رائع وحدث عظيم : رجل يشتم خير البرية وسيد ، وأصحابه يدفعون عنه ويريدون أمراً منه ﷺ لقتل الرجل فرفض ويدفع عنه ، ويقول لخالد ﷺ عندما أراد أن يقتله : « لَا ، لَعَلَّه اَنْ يَكُونَ يُصَلِّي » ، ويريد خالد ﷺ تبريراً لقتله ولكن النبي الأول ﷺ قال : « إِنْ لَمْ أَوْمَرْ اَنْ اَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ ، وَكَأَنَّ اَشَقَّ لَعُولَهُمْ » ، أي إني أمرت بالحقكم بالظهور ، والله يتولى السرار^(١) . ما أعظم خلقه ﷺ وأنبأ صفاته ، فأين في هذا العصر من يتحلى بهذه الصفات ويستفيد من هذه الأحداث ؟ ويوفى أن العظمة تكون بالحلم والعفو ، ليس بالانتقام والقوة ، فالنبي الأول ﷺ لم يستغل قوته ومكانته ، بل عالج الأحداث بحكمة وصبر ، فالصبر على الأذى صفة ينبغي للمسلم أن يتحلى بها ، ويقابلها بالإحسان .

وقد أمر ﷺ بذلك في كثير من الأحداث لتربية الصحابة وتوجيههم إلى السلوك القويم الذي يُكون أمة إسلامية شعارها الصبر والإحياء والتعاون ، فالإسلام دين رحمة وتسامح ، كما جاء في الموقف التالي : عَنْ عُبَادِ بْنِ شَرْحِبِيلَ قَالَ : أَصَابَنِي سَنَةٌ^(٢) فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِطَانِ الْمَدِينَةِ فَمَرَحْتُ سَهْلًا فَأَكَلْتُ وَخَلْتُ فِي ثَوْبِي ، فَعَجَأَ صَاحِبَةُ فُتْرَتِي وَأَخَذَتْ ثَوْبِي ، فَأَكَلْتُ وَسَمَّى اللَّهَ ﷻ فَقَالَ لَ : « مَا عَلِمْتُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا ، وَكَأَنَّ أَهْلًا إِذْ كَانَ جَاهِلًا - أَوْ قَالَ - : سَاعِيًا » ، وأمره فرقة عليّ ثوبه وأعطاني وسماً أو نصف وسن من طعام^(٣) . الإسلام بحث على إكرام السائل وعدم نمره ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (الضحى آية ١٠) ، وقول الرسول ﷺ : « مَا عَلِمْتُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا » ، كان التلاقي بك تعليمه ، فالنبي الأول ﷺ علّمه لجهله حين حمل الطعام ، ولأن صاحب الحائط إذ لم يطعمه إن كان جائعاً^(٤) . فثالث نعمة من الله فيجب شكرها بالعبادة ، فهل تكون النعمة نعمة ، أو هل يستحب الخير الشر . ويعوذ منه أن الرزق وأو كثر فهو من جملة الخير ، وإلّا يعرض له الشر يعارض البخل به عمن

(١) شوقي / مرجع سابق ، كتاب الزكاة ، ص ١٣٢ ، ر : ١٠٦٤ .

(٢) أصابني سنة : أي مجاعة .

(٣) لو نذر أو سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مرجع سابق ، مج ٣ ، ج ٣ ، كتاب الجهاد ، ص ٣٩ ، ر : ٣٦٢٠ .

(٤) العظيم آبادي / أبي الطيب محمد ، عون الصعود ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الجهاد ، ص ٩٢ ، ر : ٣٦٦٧ .

يستحقه والإصراف في إنفاقه فيما لم يشرع^(١)، وفي الحديث فوائد منها أن القوي يجب عليه أن يكون حليماً مع الضعيف رحيماً به ، وأن نلتصق للغير لمن تصرف عن جهل وعدم علم ، وأن مساعدة المحتاج وإشباع رغبته ، ورفع معنوياته حتى يتوب ويتعطف ويسمو من الأساليب التربوية الناحجة لعلاج النفس ، وهذا الحديث نموذج جميل ناصح لمواجهة النفوس وتنقيتها وتوجيه البصيرة إلى الطريق للستيقم^(٢).

هذه الصفات روى بها ﷺ أصحابه ، وهي ثرية تمتد لكل فرد مسلم ، ذي بصيرة ، ولكن هذه التربية اقتضتها المجتمع المسلم للعاصر رغم أنه في أمس الحاجة إليها اليوم أكثر من قبل ، لما هو كائن من مجريات الأحداث ، فالملاحظ أن دولاً مسلمة ثوت جوعاً ودولاً أخرى تكثر . فالدنيا مزرعة الأثرة ، فعلى المسلم أن يزرع الخير ليحصد ، ويعمل الخير ليجده أمامه ، ولا ينتظر أي فعل حسن ولو يقابل أمامه بوجه طلق ، فعن عائشة : « أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : « بَشَرٌ أَشْرُ الْقَشِيرَةِ وَبَشَرٌ أَنْفُ الْقَشِيرَةِ » ، فَلَمَّا جَلَسَ نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَاسْتَبْطَأَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا عَلَّقَ الرَّجُلُ قَائِلًا لَهُ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَاسْتَبْطَأْتَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَائِشَةُ مَتَى ظَهَرْتُ لِي فَاحِشٌ ؟ إِنْ خَرَّ النَّبِيُّ عِنْدَ اللَّهِ مَثَرَةً لَيَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ لَوْحَةِ النَّاسِ فَدَاهَهُ خَرُّهُ »^(٣). إن الرسول الكريم لم يكن فاحشاً ولا متفاحشاً ، والمفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستفح ، ويدخل في القول والفعل والصفة ، واستعماله في القول أكثر ، والمفحش الذي يعتمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه^(٤).

إن الآداب الإسلامية تتميز عن غيرها لأنها تحافظ على كرامة الإنسان ، ولكن كثيراً من الشعوب للسلمة تجاهلت هذه الآداب ، وتبدد إحساسهم تجاه مشاعر الآخرين ، وفقدوا المحافظة على آداب التعامل ، فالنفوس البشرية تحوي في داخلها مشاعر وعواطف ، يجذبها للعروف ، وتغيب الأنس والتواضع ، وتكره التعالي والتكلف ، وتأفف الجفاء والعبوس وتقطيب الحين . سواء كان التعامل مع الصغار أو الكبار ، فالترية الإسلامية أعطت لكل

(١) المستدرك / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الرقاق ، ص ٢٤٦ .

(٢) البدوي / محمد لقمان الأعظمي ، دراسات تربوية في الأخلاق النبوية ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الآداب ، ص ٢٣ ، ر : ٦٠١ .

(٤) المستدرك / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٤٥٣ ، ر : ٣١٣٦ .

فرد مكانه فيها . فعن أنس بن مالك يقول : جاء شيخ فريضة النبي ﷺ ، فأخطأ القوم علة أن يؤمّوا له ، فقال النبي ﷺ : « لَسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرًا وَتَوَقَّرَ كَبِيرًا »^(١) . إن الرحمة للصغير والاحترام للكبير أمر حبه الإسلام ، والحديث يوضح أن من يتعلل ويعد عن هاتين الصفتين ليس على هداه ﷺ ؛ لأن معنى « لَسَ مِنَّا » أي " ليس على طريقنا ، وهي كناية عن التبرؤ من الذين لا يرحمون الصغير ، ولا يعظمون الكبير ، وهو شامل للشباب والشيخ"^(٢) . فالرحمة يتبعها كثير من أعمال الخير والتوجيه ، وهي قاعدة عريضة يُبنى عليها الاحترام والغيرة ؛ لأنه إذا عرف الكبير حقوق الصغير بادلته الصغير بالاحترام والتقدير ، وبذلك تتحدد صور التكافل الاجتماعي للمجتمع للمسلم ، ولو استمر للسلمون على التمسك بالتهنح الرباني الذي وضعه النبي ﷺ لأصبح حال المجتمع أفضل مما هو عليه اليوم ؛ لأن المجتمع للعاصر قل فيه وجود العلم الذي يحمل شعار الرفق والتوجيه وحسن التعامل مع للتعلمين ، وبالمقابل احترام للتعلمين له ، فكل من للربي والمثري كتفيل بإلهام بيته يسودها الرحمة والاحترام تساعد في سرعة التعليم ؛ لأن كلاً من الصغير والكبير له موكته في هذه التربية .

٣- الجانب الاجتماعي :

إن المجتمع للمسلم له قيمة التي تحدد سلوك أفراد ، وله معيار يسر عليه الجميع ، فكل مسلم يجد درجته في سلم الحياة ، وميزان المتعاملة التقوى ، ويظهر ذلك واضحا في هداه ﷺ . فعن المعرور بن سويد قال : لقيت أبا ذرّ بالربذة وعليه خلة وعلى غلامه خلة فسأله عن ذلك فقال : إني سأبئ رجلاً فعزومة بأئته ، فقال لي النبي ﷺ : « يا أبا ذرّ أعزومة بأئته ؟ » . إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوة تحت يده فليطعنه مينا يأكل ، وتلبسته مينا يئس ، وما لكتلوههم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعيتوهم »^(٣) . إن ما يحدث بين الصحابة غير ومواعظ للأمة الإسلامية حتى يتضح لهم الخطأ من الصواب ، وغير الناس من يستفيد من الخطأ ويعتله ، فالحديث يفيد بأن أبا ذرّ سب بلالا للؤد ، وكان اسم أمه حمامة ، والربي الأول ﷺ لم يترك الحدث يذهب بدون عمة ويغير توجيه ، وإنما استغله

(١) الترمذي / سنن الترمذي ، مرجع سابق ، ١٤١٤هـ ، ج ٣ ، كتاب البر والصلة ، ص ٣٦٩ ، ر : ١٩٢٦ .

(٢) البزركاني / مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٣٣٦ ، ر : ١٩١٩ .

(٣) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٢٥ ، ر : ٢٩ .

لتربية النفوس وصقلها وغرس مفاهيم إيمانية وتربوية ، فهو ﷺ يطبق دروساً تربوية ، منها كيف يفصل المرء بين الحصوص ، فالخطوة الأولى التأكيد والإقرار بالقول " قَالَ : « يَا أَيُّهَا ذُرُّ أُخْتِكُمُ يَا أَيُّهَا » ٩ . بعدها يبدأ الترجيح ، فقال ﷺ : « إِنَّكَ أَهْلُ فَيْكُ جَاهِلِيَّةٍ » ، أي إن فَيْكُ جهلاً وهذا من فعل الجاهلية ، أو فَيْكُ عصاة من خصال الجاهلية . رغم منزلة أبي ذر من الإيمان في الذروة العالية ، إلا أن المرء الأول ﷺ وتبعه لذلك ، تحذيراً له عن معاودة مثل ذلك ، ووقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر من هو دونه^(١) . ثم بين ﷺ العلاقات الاجتماعية التي يجب على المسلم أن يطبقها في التعامل مع الخدم والعبيد بأن يُحسن إليهم فيأكلون ويلبسون كما يلبس أصحابهم ؛ لأن الشرع جاء بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام . والتفاضل الحقيقي بينهم هو التقوى ، فلا يبعد الشريف نسباً إذا لم يكن من أهل التقوى ، ويتفجع وضع النسب بالتقوى^(٢) . فأتضح الصورة لكل الصحابة وعرف الجميع مكانة الخدم والعبيد ، حتى إنه ﷺ أمر بمساعدتهم إذا كفلوا بأعمال تحتاج إلى عون ومساعدة ، - ولفظ الحديث يقتضي اشتراط اللواصة لا للساواة - والحديث يشير إلى رابط الأخوة بين المسلمين ، فلا تقاسر بالأنساب بينهم ؛ لأن التقاسر يؤدي إلى التعظيم ، حتى قد يصل الأمر إلى الخلف بهم ، والخلف بغر الله هي عنه الإسلام ، فعَنْ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ اللَّهَ أَهْلُكَ عُثْمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي رَجَبٍ وَهُوَ يَخْلُفُ بَأَيِّهِ ، فَتَدَاهَمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَهْدِيكُمْ أَنْ تُخْلِفُوا بَأَيِّكُمْ ، فَمَنْ كَانَ خَلِيفًا فَلْيَخْلَفْ بِاللَّهِ وَالْأَلْفَافُ لَقِيصُنْتُ »^(٣) . في الحديث تعليم من نسي أو جهل فحلف بغر الله أن يبادر إلى ما يكفر عنه ما وقع فيه . ومن تلفظ بشيء مما لا ينبغي له التلقظ به أن يبادر إلى ما يرفع الحرج عنه ، و يفيد الحديث أن عمر ﷺ حلف قبل أن يسمع النهي فهو معلوم فيما صنع ، واقتصر ﷺ على فيه ولم يواسته بذلك . كما في حديث أبي ذر ذكر ﷺ أن معايرة الناس بما يكرهون من صلوات الجاهلية ، ثم وجهه إلى الحق ، أما حلف عمر فإنه لم يعلم عن النهي فعثره ﷺ ، وفي الحديثين تشابه في الفعل ؛ لأن كلا الفعلين هي عنه الإسلام ، ولكن طريقة العلاج اختلفت فالحديث الأول فيه لوم لأنه جرح مشاعر أخيه المسلم بأن عثره بأمره ، أما الحديث الثاني فوضح ﷺ لعمر ﷺ الصواب ، لعلم علمه بالحكم ،

(١) المستقلان / مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٨٦ ، ر : ٣٠ .

(٢) المستقلان / مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٤٦٨ ، ر : ٦٠٥٠ .

(٣) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٥٠ ، ر : ١٣٣ .

وهنا وقفة تربوية في الطريقتين ، يجب الاستفادة منها في المؤسسات التربوية ، فلنعلم عليه دائماً أن يضع الأمور في نصابها ، ويتعامل مع الطلبة بالطريقة التي تناسب مع الخطأ ، ويتعدّد للعلم عن أسلوب العقاب الجماعي بسبب خطأ أحدهم ، أو يؤخذ الكل ويلقى العقاب على الجميع ، والنمسا العذر لمن له عذر واضح .

وعلى العلم أن يستغل الأحداث لتوجيه النصح للمتعلمين ، فالتعليم عندما يأتي بعد حدث فثأثوره أقوى على النفس ، ويكون إقبالاً للتعلمين على قبوله بنفس مهنية لتقبل التوجيه ، وعزم على تعديل السلوك أو تبديله إلى ما يتوافق مع الموقف للثال أمامهم ، فالتربية النبوية فيها تأدب وحسن تعامل حتى مع اللذنب ، كما جاء في الحديث ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **أبى النبي ﷺ يسكران فأمر بضربه ، فمسا من بضربه بيده ، ومسا من بضربه بقلبه ، ومسا من بضربه بقلبه ، فلما صرف قال رجل : ما لك أخذاً الله ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تكولوا عون الشيطان على أعيكم »^(١) . رفض ﷺ شتم اللذنب ، فربته ﷺ فيها لذب وترويض للنفس ، وتغلب على نزوات الشيطان - التي غالباً ما تظهر عند الموقف والأحداث - وتأدب في طريقة رفض العمل السيئ ؛ لأن النفوس السليمة جبلت على رفض القبح من الأعمال ، فالنبي الأول ﷺ وضع لهم أنه لا يحق سب المسلم وشتمه حتى وهو خاطئ ، بل يجب إقامة الحد وذلك تنفيذاً لأمر الله ، وما عدا ذلك فهو من عمل الشيطان ، وأن اللذنب هو أسوأهم ، لقوله ﷺ : « لا تكولوا عون الشيطان على أعيكم » ، فكل تعامله ﷺ مع أصحابه توجيه وتأدب لهم وفق منهج منظم يتناسب مع ما يصدر منهم من أعمال ، فعن أنس رضي الله عنه يقول : **عطس رجلان عند النبي ﷺ ، فشممت أحدهما ولم يشميت الآخر ، فقال الرجلان : لا رسول الله ! شمت هذا ولم يشميتني ، قال : « إن هذا خبث الله ولم يخبث الله »^(٢) . العطس : ظاهرة طبيعية تتكرر من الإنسان دون أن يملك دفعها ، وهي عنوان نشاط واليقظة^(٣) . مقتضى الحديث أن من لم يحمّد الله لم يشميت . ويستحب لمن حضر من عطس فلم يحمّد أن يذكره بالحمّد ليحمّد فيشمته ، وهو من باب النصيحة والأمر بالمعروف ، والحكم عام وليس مخصوص****

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الجنود ، ص ٢٨٤ ، ر ١٠٠ .

(٢) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٩٠ ، ر ٢٤٦ .

(٣) الشهري / صالح بن علي أبو مراد ، الآداب النبوية للتربية ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، ص ٥٨ .

بالرجل ، ويقال إن الرسول ﷺ أراد تأديب الرجل على ترك الحمد بترك تشميتة ، ثم عرفه الحكم فالذي يترك الحمد لا يستحق التشميت^(١) ، فللرجل قد لا ينتظر وقوع الأحداث بطريقة تلقائية حتى يستغلها في تشكيل للتعليم وتوجيه سلوكه . فالنهج قد يخطط للأحداث وينظمها بحيث يمر بها للتعليم وكأنها أحداث تلقائية ، فنفعل بها ويتأثر ويستغل للرجل ذلك في عملية التوجيه والتشكيل . ويسمى هذا النوع من التعليم سديناً لتعلم عن طريق التشريع^(٢) . وإن الحوادث والفتن التي تمر بها الأمة الإسلامية اليوم تعتبر فرصة لصياغة الشخصية المسلمة صياغة جادة ثابتة مشمرة ، والاستفادة من الأحداث في توجيهها ، بأسلوب مناسب من أساليب التربية النبوية . فالتعلم يعجز عن التعبير ووصف جمال هذا التعامل وثمره في النفوس ، والتأمل في المواقف يجد أنها مليئة بالدروس التربوية ، ولكن لو أعطى كل موقف ما يستحق من تفصيل وتأمل ووقف على الآثار التربوية الذي يحدثه في النفوس لطال الحديث عنه . لذا نسأل الله أن يكون ذكر القليل يفيد الكثير .



(١) العسقلاني / مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٦١٠ ، ر : ٦٦٢٥ .

(٢) مذكور / منهج التربية في المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٤٤٩ .

سلسلاً : أسلوب التربية بالملاحظة والاستنتاج

يعد هذا الأسلوب أحد العناصر الجوهرية للعلم ، أسسه لربي الأول ﷺ خلال ملاحظته لأفراد المجتمع تلك الملاحظة التي يعقبها التوجيه الرشيد . والتربية بالملاحظة : هي ملازمة الفرد في الجوانب العقلية والأخلاقية ، ومراقبته وملاحظته في سلوكه النفسي والاجتماعي ، والسؤال للستمر عن وضعه وحاله في تربته الجسمية وتخصيله العلمي^(١) ، وبذلك تكون الملاحظة شاملة لجميع جوانب الشخصية . فالملاحظة للستمره يعقبها تعليم مستمر . وهذا التعليم يكشف عن كثير من المجهول الذي يظهر للأعيان بالملاحظة . وأسلوب للملاحظة سلاح ذو حدين - لأنه يكشف للبري الأخطاء والنقصي - فهي إما أن تكون ملاحظة من أجل التوجيه والإرشاد إلى الخير ، وعندها لابد من المداورة التي تحقق المطلوب دون إثارة أو إساءة إلى الأفراد . كما هو أسلوبه ﷺ في تربته لأهله وأصحابه ، حيث كان رقيقاً بهم في التعليم وفي الأمر والنهي ، متسامحاً أحياناً لأن الخاسية الشديدة لها أضرارها التربوية والنفسية . وإما تكون : متابعة الأمرين ومراقبتهم من أجل كشف عيوبهم والإساءة إليهم والتحمس عليهم وتبوع عوراهم ، أو للملاحظة بأعالمهم ، والإسلام بمقت هذه للملاحظة وبمرمها بين المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسْصُوا وَلَا يَغْتَبَ بْغَفْظٍ كُمْ بَعْضًا ﴾ (المحرات آة ١٢) . ويستثنى من ذلك أعداء الإسلام للوقاية من شرهم ، أو للرد على أقوالهم التي تقتك بالأمة الإسلامية . وهذا النوع له بحاله وقروعه ، ولا داعي لعرهه ضمن هذه الأساليب ، وبكفي الإشارة إلى أنه أسلوب سبى لى الإسلام عن ممارسته بين المسلمين .

وللملاحظة التي سوف يتم تسليط الضوء عليها هي : للملاحظة التربوية : التي تسير في اتجاهين : إما أن تبدأ الفرص أمام للعلم للملاحظة ما يصدر من للعلمين وتسديد سلوكهم ، وغرس الفضائل واللبائى السلمية في حياتهم العقلية والاجتماعية . أو " تبدأ الفرص أمام للعلم للوصول به إلى اكتشاف وفهم الحقائق واللبائى والنفاهيم العامة للارد تعلمها وممارستها^(٢) ، فيصبح قادراً على استنتاج الحلول أو ملاحظة المجهول والسعي إلى معرفته . والأحداث التي

(١) الحديث / حاد الله حسن ، الهدف لتسقاء لتربية الأولاد ، ١٤٢١هـ ، ص ٣١٨ .

(٢) وزان / سراج محمد ، التفرسي في مفردة البيرة ، مرجع سابق ، ص ١٨١ .

تناول الملاحظة كثيرة ، وسوف يتم تناول بعضها للاستدلال على استخدام المربي الأول ﷺ هذا الأسلوب في مجالات متعددة وبطرق مختلفة لتوسيع من حوله وتعليمهم . وأول هذه المجالات ما يأتي :

١ - تدريب الصحابة على الملاحظة الاجتماعية :

إن المجتمع للسلم أسرة كبيرة يحيط بها سياج الأخوة الصادقة ، فالؤمنون إخوة ، وللعبار الإسلامي التقوى ، أما للعبار البشري فهو المظاهر الخارجية ، وللمربي الكريم ﷺ يريد أن يكون مجتمعاً يتحلى أفرادها بالسمات الإيمانية ، ويطبق للعبار الإسلامي في نظرهم إلى الآخرين ، ولا يتسرعون في الحكم على للشهد الخارجي ، كما جاء في الحديث ، فَعَنْ سَهْلِ قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا » . ٩ . قَالُوا : خَرِيٌّ إِنَّ خُطْبَ أَنْ يَنْكَحَ ، وَإِنْ خُفِعَ أَنْ يُسْتَفْعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَفْعَ ، قَالَ : لَمْ سَكَتَ ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ لُقَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : « مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا » . ٩ . قَالُوا : خَرِيٌّ إِنَّ خُطْبَ أَنْ لَا يَنْكَحَ ، وَإِنْ خُفِعَ أَنْ لَا يُسْتَفْعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَفْعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلَّةِ الْأَرَضِيِّ مِثْلُ هَذَا » .^(١) أراد للمربي الأول ﷺ أن يصحح " عملياً بعض المفاهيم أو المعايير الاجتماعية المسببة لدى بعض الناس ، أولئك الذين لا يقدررون الفرد حق قدره ، إلا بمظهره ولباسه ، ولا يزنونه إلا بمقدار ما لديه ، من عظم مال وعقل دون أن يتفكروا خلقه وسلوكه وعقله ، هذه للعبار الاجتماعية الطفلة ، حرص الإسلام منذ يومه الأول أن يظهر عظامها حين جعل الناس سواء ، وجعل مجال التنافس فيما بينهم بالعمل والسلوك المستقيم ، ويؤكد ذلك عندما رد الصحابة ﷺ وقد غرهم للظهر والعرفه - خَرِيٌّ إِنَّ خُطْبَ أَنْ يَنْكَحَ ، وَإِنْ خُفِعَ أَنْ يُسْتَفْعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَفْعَ - ، فإني ﷺ لفت أنظار الصحابة بصيغة سؤال يثير اهتمامهم وتركيزهم ، ويسمع للعبار الخاطي ، ويسكت ﷺ دون تعليق حين تكون المقارنة أكثر عمقاً وتأثيراً في النفس ، ثم يحرر الآخر بصورة مختلفة ويكرر ﷺ نفس السؤال ، أمر يشد الانتباه ويوجد في النفس تساؤلات وحيوة ، عندما يرد للمربي الأول ﷺ ويصحح القيم الاجتماعية الخاطئة ويقول ﷺ : « هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلَّةِ الْأَرَضِيِّ مِثْلُ هَذَا » . عندها يلنوب للعبار البشري والحكم على المظهر ، ويظهر للعبار الحقيقي في الحكم على الناس - للعبار الخفي الذي ارتضاه لهم مخالفهم ولا يظهر للأعيان -

(١) البحري / صحيح البحري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب النكاح ، ص ١٢ ، ر : ٢٩ .

"فكم من فقير في ماله ، أو ضعيف في جسمه ، يحمل بين حنيه قلباً ذكياً ، وعقلاً متنبهاً"^(١). هذه تربيته ﷺ حتى يلفظ المسلمون للعلاقات الاجتماعية ، "وينفي عن المجتمع الإسلامي فكرة التمييز العنصري منذ اللحظة الأولى ، وأن اختلاف الألوان واللغات لا يدل على ميزة ولا أفضلية"^(٢).

فلنرى الأول ﷺ حريص على تعليم أصحابه للملاحظة حتى نحو سلوكه فهو ﷺ ينمي فيهم ملكة للملاحظة ويطلب منهم ذلك . فعن سعد قال : لما كان يوم فتح مكة : آمن رسول الله ﷺ الناس ، إلا أربعة نفر وعمران بن قنفذ ، فسألهم ، وأثنى أبي سرح ، - فذكر الحديث - قال : وأما ابن أبي سرح ، فإنه احتبأ عند غنم ابن عوف ، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى الشفعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله ﷺ ، فقال : يا لبي الله ، تابع عبد الله ، فرفع راسه فظهر إليه قلباً ، كل ذلك يأتي ، فلبث بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : «لما كان فيكم رجل رخص يقوم إلى هذا حيث رأيته كففت يدي عن تبعه ، فبكتله»^(٣). فقالوا : ما نرى يا رسول الله ما في نفسك ، ألا أوفات إيتا بعينك ؟ قال : «إله لا يتبعي لبي أن تكون له حجة بالعين»^(٤). يتضح من الحديث حسن تعامل النبي وسياسته الحكيمة ، فهو ﷺ كان شرساً عن مبايعة الرجل ، ولكن لم يجرده أو ينكل به ، بل كان رحيماً في تعامله ، علواً عند القدرة حتى مع أعدائه ، وأكثر من يستفيد من هذه المواقف الاجتماعية هو للعلم ، الذي يري أحياناً وعليه أن يأخذ بمبدأ التقبل مع المتعلمين . لما لهذا المبدأ من تأثير على تعلم للتعليم ، فلنرى الأول ﷺ يتوقف ثلاثاً عن مبايعة الرجل : لأنه يعلم سريرة الرجل ويرى خلاف ما يراه الآخرون ، ثم يبايعه ، "ومعنى الرشيد : أي القطة لاصواب الحكم في قتله . وفيه : أن التوبة عن الذنوب في حياته ﷺ كانت مرفوفة على رضاه ﷺ ، وأن الذي ارتد إذا آمن سقط قتله . وقد أسلم الرجل وحسن إسلامه ، وكان ﷺ أحد العقلاء الكرماء من قريش . وفي الحديث دليل على أن ظاهر السكوت من رسول الله ﷺ في الشيء يراه يصنع بحضرة رجل محل الرضا به والتفريق له " . ومعنى خاتمة الأعين أي يضم بقلبه غير ما يظهره للناس^(٥). وفي الحديث تلميح من النبي

(١) الطحاوي / عبد الحميد ، الرسول العربي لمري ، ١٤٠١هـ ، دار الثقافة للنصيح : سوريا . ص ١٧٨-١٧٩ .

(٢) قطب / سيد ، نحو مجتمع إسلامي ، ١٤١٥هـ ، دار الشروق ، القاهرة ، ص ٩٢-٩٣ .

(٣) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الجهاد ، ص ٥٩ ، ر : ٢٦٨٣ .

(٤) العظيم آبادي / أبو قطيب محمد علي الحق ، عون للبرود ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الجهاد ، ص ١٣٤ ، ر : ٢٦٨٠ .

الأول ﷺ لأصحابه بأن يلاحظوا سلوك من أمامهم ، وهذا درس تربوي عام وإن كان في ذاته خالص . فملاحظ الوجه تعكس رغبة الإنسان في القبول والرفض ، لذلك كان الصحابة ﷺ يلاحظون ملامح النبي ﷺ ويعرفون ما يسره وما يضايقه . ففمن أبي سعيد الخدري قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْغُلَامِ فِي عَيْشِهِ ، لَئِنْ رَأَى شَيْئًا يَكُونُ عَرْفَاءً فِي وَجْهِهِ^(١) . هكذا روى محمد ﷺ أصحابه على سرعة فهم الأمور بالتلميح قبل التصريح فيما لا يحتاج إلى توضيح .

فالمدرسة النبوية استعملت أسلوب الملاحظة لمعرفة القدرة على وزن فهم الأدلة الشرعية والاستنتاج والنقطة وإبداء الرأي^(٢) . فالتعلم يستخدم ما لديه من إمكانيات حسية لكي يصبح على وعي بالظواهر التي يراها في بيئته^(٣) . وبراها لتوعية الأولى ويعرف المستحدثات من الأمور . فهو يعود الإنسان إلى حسن التصرف ؛ لأنه عندما يلاحظ سلوك الآخرين يميز الخطأ من الصواب ، فيتعد عن السلوك الخطأ ويتبع منهج الصواب . وقد كان ﷺ يعتمد فعل بعض التصرفات أمام أصحابه ويرى ملاحظاتهم عليها ، ومن الأمثلة على ذلك : (رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّلَاةِ يَوْمَ الْفَتْحِ بَوْشُوءَ وَاحِدٍ ، وَنَسِيَ عَلَى خَفِيهِ ، فَقَالَ لَهُ غَيْرُ : لَقَدْ صَغَفْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصَغِفُ ؟ قَالَ : « عِنْدَكَ صَغَفَةٌ يَا غَيْرُ »^(٤)) ، يشير الحديث إلى أن الصحابة ﷺ يلاحظون سلوك النبي ﷺ ويعقب ذلك استنتاج لحكم ، أو معرفة مفاهيم وفهم تربوية ؛ لأن الملاحظة تقدم خبرات لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريقها ، فاللوحشات التي في الحديث تدل على أحكام شرعية ، منها حواجز الصلوات المقروضات والنواقل بوضوء واحد ما لم يُحدث ، وحواجز للمسح على الخفين ، وقد لاحظ عمر ﷺ ذلك وسأل الرسول ﷺ غائلاً : لَقَدْ صَغَفْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصَغِفُ ؟ .

هذه الطريقة العلمية لها بُعدها الثقافي فبها ملاحظة وتفكير وتأمل ثم تشويق لمعرفة الفهول ، فالرد عندما يكون بعد السؤال ، يوجد في النفس شغلاً وفي العقل تركيزاً على سماع الإجابة ، وهذا أسلوب علمي جدير بالاهتمام من قبل المربين ، فالتربية الحديثة

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٤٨ ، ر : ١٢٦ .

(٢) وزن / سراج محمد ، الفرس في مدرسة النبوة ، دعوة الحق ، السنة ١١ هـ ، عدد ١٣٣ ، عام ١٤١٣ هـ ، ص ٢٧٧ .

(٣) عن دةن / دوبرلد ، منهج البحث في التربية وعلم النفس ، ١٩٨٥ م ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ص ٧٣-٧٣ .

(٤) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الطهارة ، ص ١٩٥ ، ر : ٢٧٢ .

تستخدم أسلوب الملاحظة في مدارس علم النفس الحديثة ، لأنه يكشف عن جوانب عديدة في الشخصية لا يمكن لأي أسلوب آخر أن يكشف عنها ، ويستخدمه علماء النفس في تقويم السلوك واكتساب المتعلمين الخبرات . كما أن الوالدين يستخدموا أسلوب الملاحظة لمعرفة تصرفات أبنائهم وتقوم سلوك المعرج لديهم ، وللعلم يلاحظ سلوك المتعلمين ملاحظة مباشرة ثم يقوم هذا السلوك ، هذا هو نهج لمربي الأول ﷺ مع أصحابه ، فقد كان يلاحظ أصحابه ويرشد للخطيئ إلى الصواب ، كما جاء في الحديث ، أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى فسلم على النبي ﷺ قرداً ، فقال : « ارجع فصل فإنك لم تصل » ، فرجع يصلي كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ ، فقال : « ارجع فصل فإنك لم تصل - ثلاثاً - » ، فقال : والذي يتكلم بالحق ما أحسن خبراً ، فعلمني ، فقال : « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن الكريم ، ثم ارفع حتى لطميت راسك ، ثم ارفع حتى تغدل قائماً ، ثم اسجد حتى لطميت ساجداً ، ثم ارفع حتى لطميت جالساً ، وافعل ذلك في صلاتك كلها »^(١) . في الحديث أسلوب تعليمي رائع ، فالملاحظة تظهر الخطأ ويعقبها التقوم . وهي تختلف من شخص لآخر لأنها تعتمد على القدرات العقلية ، فقد يلاحظ شخص أمراً مهماً ويقومه ويكون بحواره آخرون لا يلاحظون ذلك ، لقول الصحابة ﷺ - كما في الرواية - (كان النبي ﷺ يرمقه في صلاته ونحن لا نشعر ، أو قولهم ولا نشعر بما يعجب منها)^(٢) . فكان تقوم لمربي الأول ﷺ للموقف أن استدبره بفعل ما يجهله مرات لاحتمال أن يكون فعله ناسياً أو غافلاً فيتركه ويقبله من غير تعليم ، أو كان زجرأ له وتأدياً وإرشاداً إلى استكشاف ما استهم عليه ، فلم يعلمه أولاً ليكون أبلغ في تعريفه وتعريف غيره بصفة الصلاة المبررة . واحتمل أن يكون تردده لتفخيم الأمر وتعظيمه عليه ، فرأى ﷺ إبطاء الفطنة للمتروك ، وزيادة قبول التعلم لما يلقى إليه بعد تكرار فعله واستجماع نفسه ، وتوجه سؤاله مصلحة مائعة من وجوب المبادرة إلى التعليم ، وفيه تأكيد البيان في المجلس للمصلحة^(٣) ، ومن الدروس التربوية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحسن التعليم بغير تعنيف ، وللملقي إذا سئل عن شيء ويحتاج السائل إلى توضيح أمر آخر يتعلق بما سأل عنه فإنه يستحب أن يعلمه حتى وإن لم يسأل عنه

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الأذان ، ص ٣٠٢ ، ر : ١٤٥ .

(٢) الصقلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الأذان ، ص ٢٧٨ ، ر : ٧٩٣ .

(٣) الصقلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الأذان ، ص ٢٨١ ، ر : ٧٩٣ .

ويكون ذلك من باب النصيحة لا من باب الكلام فيما لا معنى له^(١). والحديث يشير إلى أهمية الطمأنينة في الصلاة ، وأن كل من لم يتم ركوعه أو سجوده فعليه الإعادة . وهنا سؤال يفرض نفسه في هذا الموقف : ما هو حال المصلين اليوم ؟ إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، فإذا كان غير ذلك فليبحث المصلون عن صلاتهم وسألوا أنفسهم هل أمروها بآركاتها وواجباتها حتى تكون زاهية لهم . أم أنما عموها فردت عليهم . وللشاهد اليوم أن كثيراً من المصلين صلاتهم تحتاج إلى إعادة ، والدلائل كثيرة فالأحداث المتعاقبة لتعاليم الإسلام انتشرت في كل مكان . - من كذب وعجالة ، وغش وخداع ، ومشاهدة الفضائيات المسفرة ، وقتل ، وغر ذلك كثير - .

والحديث شأنه عظيم ، وهو يدرس في المرحلة الابتدائية في مادة الفقه ، كدليل من السنة على إتمام الصلاة ، والواجب على كل معلم مسلم يمر معه مثل هذا الحديث أو يشهده به أن يكون تعليمه بشرح وإي وتفصيل موضح ، وبطريقة تؤثر في نفوس النشء ، ويبين أهمية الصلاة وفائدتها للقرء في الدنيا والآخرة ، و يربط الحديث بالسلوك ، فمن أحسن صلاته حسن سلوكه مع الآخرين . ويجب أن لا يمر تعليم هذا الحديث بطريقة عادية دون أن يبرز كيان النشء ، فالتفصيل للعمل في المناهج يساوي التلويل للعلم ، والحرص على العمل للتقن دليل القبول والنجاح ، كما أن للملاحظة دليل معرفة الخطأ .

وللتبوع منهج المدرسة النبوية يلاحظ أنها استخدمت أسلوب للملاحظة لأغراض تربوية كثيرة ، فمن ذلك معرفة القدرات عند المتعلمين ومدى قدرتهم على التفكير والاطلاع والبحث . وسوف يظهر ذلك في الأسلوب التالي :

٢- ملاحظة كيفية التفكير وقياس العلم :

إن القرآن الكريم حث على التفكير والتأمل في الحياة والكون ، وامتدح المؤمنين الذين يفكرون ، وتعنتهم بأنهم أولوالباب . قال تعالى : ﴿ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَحْيَا النَّاسِ أَلَيْسَ لِلنَّاسِ لَأُولَى الْأَلْيَسِ ۚ ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

(١) المصطفى / مرجع السابق ، ج ٢ ، كتاب الأدب ، ص ٢٨٦ ، ر : ٧٩٣ .

جَنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠-١٩١﴾ . والسنة النبوية لمحت منهج القرآن الكريم ، فكان ﷺ يدرّب أصحابه على التفكير بطرح الأسئلة ليشرّ انتباههم ، ويثبت أنظارهم ، وينمي قدراتهم العقلية على الاستنتاج والاستنباط ، والمواقف التي تبرز هذا الأسلوب النبوي كثيرة منها : حديث ابن عمر قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِلَيْهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، فَمُخَذُّوْهُيَ مَا هِيَ » ١ . قَالَ : فَوُتِعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ النَّوَادِي ، قَالَ عِنْدَ اللَّهِ : وَوُتِعَ فِي لَفْسِي أَلَهَا النُّحْلَةُ ، فَاسْتَحْسِنَتْ ، ثُمَّ قَالُوا : خَلَقْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « هِيَ النُّحْلَةُ » ٢ . الحديث يشتمل على أساليب تربوية هادفة وهامة ، فالمرئي الأول ﷺ أراد من أصحابه أن يلاحظوا ويتفكروا ويتأملوا في الأشجار وأنها يشبه المؤمنين ، وعندما غمض الأمر عليهم وعجزوا عن الجواب ، أخبرهم ﷺ أنها النحلة . وعليهم أن لا يكتفوا بالجواب ، بل يلاحظوا بنظرة فاحصة ناقدة أوجه الشبه بين المؤمنين والنحلة ، واعتار ﷺ النحلة من سائر الأشجار لكثرة خيرها وطيب ثمرها ، واستمراره ، لأنه يؤكل رطباً وبأساً ، ومنافعها كثيرة ، عشبها وورقها وأغصانها ، منها يصنع الحصر والأواني والمبال ، ومن نولها يتفع به علماً للذباب ، فهي كلها خير وجمال وبركة في جميع أجزائها ، مثل المؤمنين كله خير ، طاعته مكارم أخلاقه ، عبادته وتقربه إلى الله بالصلاة والصدقة والصيام وقراءة القرآن الكريم ، وكافة الطاعات ، وبركته عامة في جميع الأحوال وتفعه مستمر لنفسه وللآخرين حتى بعد موته . وقد ذكر الدكتور (غيب العاصم) مقارنة بين النحلة والمؤمن تناولت أحد عشر جانباً ، منها الجانب الفسيولوجي وجانب للكمونات والنبات والعصر والمنفعة وغيرها مفصلة في كتابه (من أساليب الرسول ﷺ في التربية) .

والحديث تضمن شواهد متعددة ، منها استحباب التأمل وملاحظة الطبيعة والمخلوقات ؛ لأن الشجرة الوحيدة التي لا يسقط ورقها هي النحلة ، وفيه أن العالم يخفى عليه بعض أمور قد يتركها من هو دونه ؛ لأن العلم مولعب ، والله يؤتي فضله من يشاء ، كما فيه احترام ووقار صفات الصحابة لكبارهم ، فإن عمر انتنع من إنشاء الإحابة لأنه أصغرهم ، فلم يحب تقديراً ثم حتى لا يقال : ابن عمر فقه أكثر من والده والصحابة ؛ لأنه كان عاشر عشرة ٣ .

(١) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ٤٠ ، ر ٣ .

(٢) المستطلي / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ١٤٥ ، ر ٦١ .

ومدرسة النبوية مليئة بالأدلة والشواهد التي تؤكد حرصه ﷺ على تنمية القدرات العقلية بأساليب مختلفة ، يعينه على ذلك * أسلوبه البليغ في القول الذي بلغ قمة البيان البشري ، في إصابة المعنى وحسن التعبير ، وموافقة للقال للمقام . كما أمانه طريقته الحسنة في الأداء الذي يختلف من شخص لآخر ومن ظرف لآخر^(١) ، بقوي فيهم ملكة للملاحظة والتفكير ، سواء كان من طريق سواهم أو الرد على استفساراتهم ، ليكون المسلم متيقظاً لكل تصرفاته ملاحظاً لأفعاله وأقواله ، ويتصرف بحكمة وعقل في حياته ، ودليل ذلك سؤال سفيان بن عبد الله ﷺ قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! خَلِّتَنِي بِأَمْرِ أَتَقْتَصِمُ بِهِ . قَالَ : « قُلْ وَدَّيْتُ اللَّهَ ثُمَّ اسْتَغْنِمُ » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا أَخَوْفُ مَا لَخَفَ عَلَيَّ ؟ فَأَخَذَ يَلْسَنُ لَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ : « هَذَا »^(٢) . الحديث يشير إلى لفظ جامع لجميع الأولمير ولنوائحي « قُلْ وَدَّيْتُ اللَّهَ ثُمَّ اسْتَغْنِمُ » ، ولو ترك أماً أو فعلاً منها فقد عدل عن الطريق المستقيم حتى يتوب^(٣) ، والحديث فيه أمران ، الأول : التذكير في الاستقامة وقرآن الإيمان بالعمل ، والثاني للملاحظة بالإشارة ، فأَخَذَ يَلْسَنُ لَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ : « هَذَا » ، فلنرى الأول ﷺ ردة بالإشارة الحسية للملاحظة التي تحذر من اللسان ، فتجعل سفيان وكل من سمع الحديث لا ينسى آفات اللسان وما يجره لصاحبه من هلاك ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا يَنْفَعُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق آية ١٨) . ولنرى الأول ﷺ به كثيراً على أصرار اللسان ، وأنه يكبح صاحبه في النار ، وأن الإنسان إذا لم يحافظ على ألفاظه فإنه يقع في الكبار : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : « يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ قِسْبُ أُمِّهِ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ قِسْبُ أُمِّهِ »^(٤) . يشير الحديث إلى التصريح ببعض الأقوال السيئة التي تعد من الكبار ، وهي اللعن ، ولنرى الأول ﷺ حذر من خطر اللسان بطريقة تجعل الغافل يلحظها والجاهل يتعظ بها ، لأنه بدأ بطريقة استفهام حتى يوقظ الأفكار ويشغف القلوب للمعرفة - فالنفس المستقيمة تأتي سب الوالدين أو لعنهما - وعندما تعلق على الصحابة الإجابة بين لهم النبي الأول ﷺ كيف يكون اللعن « يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ قِسْبُ أُمِّهِ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ قِسْبُ أُمِّهِ » . ويؤخذ من

(١) القرطبي / يوسف ، الرسول للعالم ، ط ٧ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة الرسالة : بيروت ، ص ٤١٤ .

(٢) القرطبي / أبو حنيفة محمد بن حبيب ، سنن القرطبي ، مرفوع سابق ، ج ٤ ، كتاب اللعن ، ص ١٨٤ ، ر ٢٤١٨ .

(٣) الثباني كورني / أبو الملا محمد ، ثقة الأحمدي ، ج ٦ ، كتاب الزهد ، ص ٢٧٩ ، ر ٢٤١٠ .

(٤) البخاري / صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٣ ، ر ٤ .

الحديث سد الذرائع ، فكل ما يؤول إلى حرام فهو حرام^(١) . والحديث يعالج ظاهرة اللعن بصفة عامة ، هذه الظاهرة التي تقتض في المجتمع بين أبناء المسلمين ، تهذبت الآذان من كثرة سماعها ، وهي في زيادة مستمرة ، وكأفها أقوال صمودة ، تصدر من الكبار والصغار ، ولوقف سبل ألفاظ اللعن بين الناس يقع العبء على المؤسسات التربوية ، التي بدورها توجه المتعلمين إلى عواقب هذا اللعن ، وتعمل للعلمين قدوة ، فلا تخرج منهم مثل هذه الألفاظ . فالوقاية والحذر يجنب الفرد الخطر .

والتأمل في أسلوب المدرسة النبوية يجد ألفاً تلفت أنظار المسلمين إلى الجوانب الإيجابية لممارستها والعمل بها ، كما تحذرهم من الجوانب السلبية لتجنبها ، فهي حريصة على سلامة المسلمين ، تعرض فيهم الحذر وعدم تكرار الوقوع في الخطأ حتى يكون المسلم متيقظاً فاهماً شديد للملاحظة والكسب لما يكون حوله ؛ لقوله ﷺ « لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ شَجَرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ »^(٢) ، الحديث يدل على " أن المؤمن الكسار الحازم هو الذي لا يستغفل ، فيحدث مرة بعد أخرى " ، وأن يكون قوي الملاحظة لخبرات الحياة ويستنتج العاقبة قبل وقوعها ، وإذا حدثت مرة لا يجب أن تتكرر مرة أخرى ، والحديث فيه تفكير ولفت انتباه للوقائع .

فالتأمل في منهج المدرسة النبوية يلاحظ أن التعليم فيها ليس محصوراً في أمور الدنيا فقط أو أمور الدين ، بل أعدت المسلم للحياة الطاعة في الدنيا والآخرة . وعلمته ما ينفعه من علوم الآخرة . ودليل ذلك : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا الْمُتْلِي أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَكْبَرُ »^(٣) . قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : « أَمَا الْمُتْلِي أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَكْبَرُ »^(٤) . قَالَ : قُلْتُ : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْقَيُّومُ » قَالَ : فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ : « تَبْهِنُ لَكَ يَا أَمَا الْمُتْلِي الْعُظْمُ »^(٥) . فالحديث يدل على فضل آية الكرسي ومكانتها من آيات القرآن الكريم ، والرشد كان في المرة الأولى نادياً مع للرأي الأول ﷺ ، وفي المرة الثانية امتثال ، فجمع بين الأدب والامتثال ، كما هو دأب أرباب الكمال ، ولما لب المعلم ﷺ الرد بالتحذير والنساء لأبي

(١) العسقلاني / فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، ص ٤٠٣ ، ر : ٥٩٧٣ .

(٢) مسلم / صحيح مسلم ، ج ٤ ، كتاب الزهد والرفق ، ص ١٨١٥ ، ر : ٢٩٩٨ .

(٣) التبريزي / صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٨ ، كتاب الزهد ، ص ٤١٦ ، ر : ٢٩٩٨ .

(٤) أبو داود / سنن أبي داود ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، ص ٧٢ ، ر : ١٤٦٠ .

للتنزيل « لَيْسَ لَكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ الْعِلْمُ » ، ومعناه دعاء بتيسر العلم ورسوخه فيه^(١) . وللتعلمين في الحديث يستدل على أن المرئي الأول ﷺ كان يستعمل أرقى أساليب التربية الحديثة ؛ لأنه ﷺ كان يستخدم أسلوب الملاحظة مع تقوم الإجابات ، فبعد الخطأ منها ويؤيد الصواب مع استخدام أسلوب الثواب وللحفاة والنساء ليأشروا للمتعلمين . فالتعلم بهذا العلم إذا تيسر له الحصول عليه وتم رسوخه في ذهنه . فأهل العقول النيرة والبصيرة النافذة يهتدون إلى سواء السبيل ، ويكتشفون حقائق ووقائع تقي على كثير من الناس . وللدراسة النبوية مليحة بالأدلة التي توضح أسلوب ملاحظة الواقع واستنباط النتائج .

٣- التشريب على ملاحظة النتائج الواقعية :

إن التعلم عن طريق ملاحظة الواقع وتحليله والوصول إلى الصواب من اهتمامات للدراسة النبوية ؛ لأن الوصول إلى النتائج ، من خلال واقع ملموس أمر ليس سهلاً ، ولكن لمرئي الأول ﷺ يدرّب أصحابه على الأساليب التربوية التي تضمن لهم مواجهة الواقع والتغلب على الصعوبات التي تواجههم عن طريق التعرف على النتائج ؛ لأن التفكير في النتائج يحدد لهم الانحراف في الحياة ، ويوصلهم لتدليل العقبات في الاتجاه الذي يرضي الله ورسوله ، ويريدهم ﷺ على التخلص من ملذات الدنيا وزينتها ، ويظهر لهم نتائج أعمالهم كما جاء في الحديث : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « الْكُفْرُ مَا وَارَاهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ »^(٢) . فَأَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ . قَالَ : « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالٌ وَارَاهُ مَا أَخَّرَ »^(٣) . الحديث يشير إلى " أن الذي يحلله الإنسان من مال وإن كان هو في الحال منسوباً إليه فإنه باعتبار انتقاله إلى وارثه يكون منسوباً للوارث ، فحسب للمالك في حياته حقيقة ونسبته للوارث في حياة المورث مجازية ، ومن بعد موته حقيقة ، فلئال الذي يقدمه هو الذي يضاف إليه في الحياة وبعد الموت ، بخلاف المال الذي يخلقه . والحديث فيه تحريض على بذل المال في وجوه الخير ليتفع به المسلم في الآخرة^(٤) . وللتأمل في الحديث يتبين يستخلص أن تقدم العمل الصالح يتبع صاحبه ، وملاحظة المسلم لأفعاله وأعماله وأقواله تدفع له يوم الجزاء - فالجزاء من جنس العمل - .

(١) العظيم آبادي / عون العمود ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الصلاة ، ص ٢٠٩ ، ر : ١٤٥٧ .

(٢) البخاري / أحمد إسماعيل ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الرقاق ، ص ١٦٨ ، ر : ٢٩٠٩ .

(٣) العسقلاني / أحمد بن حجر ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الرقاق ، ص ٢٦٠ ، ر : ٦٤٤٦ .

واللدرسة النبوية تروض النفس على حب العطاء ، والعمل بما يرضي الله ، ومعرفة الحلال للتحلي به ، والحرام للتحلي عنه . كما ورد في الحديث عَنْ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْى : « أَتَقْرَءُونَ أَيْ يَوْمَ هَذَا » ٩ . قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْظَمُ ، فَقَالَ : « فَإِنَّ هَذَا يَوْمَ حَرَامٍ ، أَتَقْرَءُونَ أَيْ يَلَدُ هَذَا » ١٠ . قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْظَمُ ، قَالَ : « بَلَدُ حَرَامٍ ، أَتَقْرَءُونَ أَيْ شَهْرُ هَذَا » ١١ . قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْظَمُ ، قَالَ : « شَهْرُ حَرَامٍ - قَالَ - : فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » ١٢ . إِنْ أَخَذْتُمْ بِدَأِ السُّؤَالِ ، وَكَانَ سُؤَالُهُ ﷺ عَنْ ثَلَاثَةٍ وَسَكُونَةٍ بَعْدَ كُلِّ سُؤَالٍ مِنْهَا لاسْتِحْضَارُ فُهُومِهِمْ ، وَلِاقْبَالُوا عَلَيْهِ بِكَلِمَتِهِمْ ، وَلِاسْتِشْعَارِ عَظَمَةِ مَا يَخْرُجُ عَنْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ ... ، مَبَالِغَةٌ فِي بَيَانِ تَحْرِيمِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، لِأَنَّ تَحْرِيمَ الْبَلَدِ وَالشَّهْرِ وَالْيَوْمِ كَانَ تَابِعًا فِي تَقْوِصِهِمْ مَقْرَأًا عَنْهُمْ ، بِتَخْلَافِ الْإِنْسَانِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ فَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَحْسِنُونَهَا ، فَالْشَّرْعُ حَرَّمَ سَفْكَ دَمِ الْمُسْلِمِ وَأَحَدَ مَالِهِ وَثَلَبَ عَرْضِهِ ، أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَلَدِ وَالشَّهْرِ وَالْيَوْمِ . وَفَوْقَهُمْ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . ذَلِكَ مِنْ حَسَنِ أَدْبِهِمْ ، فَهَمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنَ الْجَوَابِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ قَصْدُهُ مَطْلَقُ الْإِجَابِ بِمَا يَعْرِفُونَهُ ١٣ .

إِنَّ الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ وَاسْتِنَاجَ أَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ مِنَ الْخَدِيثِ أَمْرٌ يَوْجِبُ مَلَاَحِظَتَهُ وَالتَّفَكُّرَ فِيهِ وَتَأَمُّلَ الْوُقُوفِ الْعَظِيمِ وَتَذَكُّرَهُ لَيْسَ فَقَطْ لِمَنْ رَأَاهُ وَحُضِرَهُ وَلَكِنْ حَقٌّ لِمَنْ سَمِعَهُ وَعَرَفَهُ ، وَلِعَظَمَةِ مَا ذَكَرَ فِي الْخَدِيثِ - حُرْمَةُ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ - كَانَ عَرْضُهُ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ وَأَمَامَ حَشْدٍ عَظِيمٍ - وَكَثِيرًا * مَا اسْتَحْدَثَ ﷺ الطَّرِيقَةَ الْإِسْتِثْنَائِيَّةَ لِاسْتِخْرَاجِ الْحَقِيقَةِ الْعِلْمِيَّةِ لِلنَّشُودَةِ مِنْ أَفْوَاهِ التَّعَلِّمِينَ أَوْ عَلَى الْأَقْلَى تَفْتِيحَ أَذْهَانِهِمْ لِتَلْبِيهَا بَعْدَ تَشْرِيقِ النَّفْسِ لَهَا ، وَتَطْلُعِ الْعُقُولِ إِلَى مَعْرِفَتِهَا . وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ طَرَحِ سُؤَالٍ لِيَجِيبُوا عَنْهُ إِنْ اسْتَطَاعُوا ، أَوْ يَسْمَعُوا الْإِجَابَةَ الصَّحِيحَةَ مِنْهُ ﷺ ١٤ . وَمَلَاَحِظَةُ الْوُقُوفِ وَلِلْكَانِ وَالزَّمَانِ تَجْعَلُ لِلْحَقِيقَةِ مَوْلَاةً عَظِيمَةً لِعَظَمَةِ قَائِلِهَا وَالظَّرُوفِ الَّتِي ذَكَرْتُ فِيهَا الْخَطِيئَةَ .

وَمَدْرَسَةُ النُّبُوَّةِ مَلِيَّةٌ بِأَسْلُوبِ السُّؤَالِ وَاسْتِحْدَاثِهِ فِي مَوَاضِعٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِمَا لَهَا مِنَ الْأَسْلُوبِ

(١) البحاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الأدب ، ص ٢٦ ، ر : ٧١ .

(٢) السقلائي / فتح الباري ، مرجع سابق ، كتاب العلم ، ص ١٥٩ .

(٣) القرطبي / تفسير ، الرسالة والعلم ، ط ٧ ، ١٤١٧ هـ ، مؤسسة الرسالة : بيروت ، ص ١٥٠ .

من أبعاد تربوية في العملية التعليمية ؛ لأن جذب المستمع ودفعه للمشاركة والفهم من أفضل الأساليب التربوية ، فالسامع يهيج حواسه وعقله لسماع جواب السؤال اليهم لديه ليعرف الجواب ، وللمربي الأول ﷺ كان يثر في النفس الانتباه بأسلوبه التربوي حتى يغزو العقول بالعلم وتصل الموعظة إلى القلوب بعمق فتؤثر فيها .

٤- التدريب على ملاحظة النتائج المتوقعة :

إن الطريقة الاستكشافية في المدرسة النبوية لها عظيم الأثر في حياة المتعلم ، فهي لا تمده بالخبرات التعليمية الكاملة فقط ، بل تتيح له الفرص لاستكشاف جوانب غير ظاهرة . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «مُرُوا بِحَقَارَةِ قَاتِلِهَا عَلَيْهِ خَيْرٌ فَقَالَ الشَّيْخُ ﷺ : « وَجِبَتْ » ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى قَاتِلِهَا عَلَيْهِ شَرٌّ فَقَالَ : « وَجِبَتْ » ، فَقَالَ غُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه : مَا وَجِبَتْ ؟ قَالَ : « وَهَذَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرٌ فَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَهَذَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ شَرٌّ فَوَجِبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ »^(١) . الحديث يشر إلى تقسم ما ألهم من الخير والشر ، فقد أتى الصحابة رضي الله عنهم على الجنان الأولى ، وشرأ على الثانية ، فكان جوابه ﷺ وجبت - في الخاتين - مع اختلاف إتياء الخير والشر ، ويكون إتياء الخير لمن أتى عليه أعمل الفضل - وكان ذلك مطابقاً للواقع - فهو من أعمل الجنة ، فإن كان غير مطابق فلا . وكذا عكسه ، وأن من مات أقم الله تعالى الناس إتياء إتياء عليه خير وكان دليلاً على أنه من أعمل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا ، فالأعمال داخلية تحت الشبهة ، ويؤيده حديث أنس مرفوعاً : « ما من مسلم يموت فمشهد له أربعة من جوارحه الأهلين أنهم لا يعلمون منه إلا خيراً إلا قال الله تعالى : قد قبلت قولكم وغفرت له ما لا تعلمون »^(٢) .

يشير الحديث ملكة للملاحظة أثناء تعامل المسلم مع الآخرين وللعكس ، تعامل الآخرين معه ، فلنسلم مرة أحميه ، فالحديث لفت انتباه الصحابة رضي الله عنهم إلى ملاحظة نتيجة حسن الخلق والتعامل ، ومقارنتها مع سوء الخلق مع الآخرين ، وتذكر المسلم أن تعامله مع الآخرين ملاحظ من قبل من يتعامل معهم وهم شهداء له في الأرض ، وفي الحديث مشروعية الإطراء للميت - وجوارزه مطلقاً - بخلاف الحي ، فإنه منهي عن الإطراء عليه خشية عليه من الزهو^(٣) .

(١) البخاري / صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الجنائز ، ص ٢٠٢ ، ر : ١٦١ .

(٢) المستطاب / فتح الباري ، ج ٣ ، كتاب الجنائز ، ص ٢٢٩-٢٣١ .

(٣) للرجوع السابق ، المستطاب ، فتح الباري ، ج ٣ ، ص ٢٣١ .

لذلك أقرت الثرية النبوية الإطراء للعبث ونهت عن الإطراء عليه في حياته ، كما حرمت الإساءة له في حياته بغية أو نية . كما ورد في قوله ﷺ : « أَلَذُّونَ مَا النَّفْلِسُ »^(١) . فَنَالُوا : أَتَنْفَلِسُ فِيهَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا نَقَاعَ ، فَقَالَ : « إِنَّ النَّفْلِسَ مِنْ أَلْبَنِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِضَاةٍ وَصَبَإٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَشَرِبَ هَذَا ، لِيُعْطِيَ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فُتِنَ مِنْ حَسَنَاتِهِ قُلْتُ أَنْ يَقْضَىَ مَا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ عَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ »^(٢) . الحديث بين حقيقة للنفس ، وهو المهلك المهلك التام ، وللعدوم الإعدام للقطع ، فتوصل حسناته لفرمائه ، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم ، فوضع عليه ، ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه . وهذا هو المفلس في الحقيقة ، ويكون هو السبب في إفلاس نفسه دائماً ، أما من ليس له مال أو قل ماله ، يطلق عليه عرفاً بأنه مفلس ، وحقيقة ليس هو للمفلس ، لأنه أمر يزول ، وقد يزرقه الله ، أو ينقطع بموته^(٣) . وللتمعن في الحديث يلاحظ أن للربي الأول ﷺ يتر في المسلم موضوعاً معيناً يقع تحت الخولس ، وهو أشد خطراً على الإنسان ؛ لأنه قل أن تسلم أفعاله وأقواله من الرياء ، وكثيراً ما تبين الشخصية على تقدير النفس ، والتحدث عنهم بإظهار عيوبهم . وقال ابن المبارك : لو كان الكلام بظاعة الله من فضة ، فإن التمسك عن معصية الله من ذهب . وبدل ذلك على أن صون اللسان طريق النجاة ، والخولس في الكلام سبب المهلاك ، فإذا تكلمت كُتِبَ لك أو عليك^(٤) . وفي الحديث تربية لمن يحمل على عاتقه تربية الأحيال أن يلاحظوا تربيتهم وتعليمهم من غير تخرجهم والإساءة إليهم ، فربوهم على طهارة اللسان من الغيبة والنميمة والشتم ، وبهوا بهم الخشية والتقوى من الله . حتى يؤثر في غروهم بحسن سمعتهم وسروهم^(٥) . وهذا فحج الثرية النبوية تعدد المسلم وتربيته من شوائب البيئة من غيبة ونميمة ونيل من الأغراض وهتكها ، ويلاحظ تصرفاته وأفعاله ويتصرف بما يتناسب مع شريعته ، فهذه للملاحظة الدائمة لنفسه والتطلع للمثوبة ، والحرص على عدم فقدان صالح

(١) مسلم / صحيح مسلم ج ٤ ، كتاب البر وقصة والأدب ، ص ١٥٨٥ ، ر : ٢٥٨١ .

(٢) النووي / صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر وقصة والأدب ، ص ١٥٥ ، ر : ٢٥٨١ .

(٣) أبو حنيفة / صاخر ، غرر تربية نبوية ، ط ٣ ، ١٤٦٦ هـ ، دار الزمان : السعودية ، ص ٤٧ .

(٤) القرشي / خالد عبد الله ، تربية النبي ﷺ لأصحابه ، رسالة ماجستير بقسم الكتاب والسنة ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة ، ص ٣٦٣ .

أعماله . فللربي الأول ﷻ بما زوده الله ﷻ من علم للغيب كان يدرك ما بقره إساءة اللسان إلى الناس ، فهو التصريح بالعلم ومصدر قول الشر ، فإذا قل العلم زاد الشر وهلك الناس ، وهذا ما حذر منه ﷻ أصحابه حيث كان يدرهم على استدراك النتائج المستقبلية .

٥- التدريب على ملاحظة النتائج المستقبلية :

ميز الله ﷻ الإنسان عن غيره من المخلوقات الحية بالعقل ، الذي هو مركز التفكير . والقدرة على التعلم والاعتبار والتفكير لما بعد الفترة التي يعيشها ، والعمل والتحضير للمستقبل ، والتمييز بين الضر والنافع والاعتبار بينهما ، عاجلاً حياً وأجلاً حياً أمراً^(١) . وكان ﷻ لا يكفي بالملاحظة القولية ، بل يستخدم وسائل توضيحية أخرى ، ففكر من الأقوال تحتاج إلى تفسير وإيضاح حتى تكتمل الصورة المراد تبليغها للتعلمين . ومن أبرز الوسائل التوضيحية الرسوم والأشكال ؛ لأنها تساعد على إيصال وتقريب المعنى وفهم الحقائق الشرعية ، وتتيح الفرصة أمام للتعلمين للتفكير والتأمل^(٢) . ومن أمثلة ذلك : أن النبي ﷺ : «لَمْ يَكُنْ يَرَى خَطاً مَرَّتَيْنِ وَخَطاً وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرْتَبِعِ وَخَطاً إِلَى جَانِبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرْتَبِعِ وَخَطاً خَارِجاً مِنْ الْخَطِّ الْمُرْتَبِعِ فَقَالَ : « أَلَا تَرَوْنَ مَا هَذَا ؟ » قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : « هَذَا الْإِنْسَانُ الْخَطُّ الْإِلَهِيُّ ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ إِلَى جَنْبِهِ الْآفَاقُ تَنْهَضُ أَوْ تَنْهَضُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَإِنْ أَسْطَأَ هَذَا أَصَابَهُ هَذَا ، وَالْخَطُّ الْمُرْتَبِعُ الْإِخْلَ الْمَحِيطُ ، وَالْخَطُّ الْخَارِجُ الْإِنْتِلَ »^(٣) . الخديث يشير إلى أن للربي الأول ﷻ استخدم وسيلة تعليمية مناسبة لمستوى التعلمين وواقعهم ، فالوسيلة عندما تكون من نوع البيئة التي يعيش فيها للتعلمين ، وتناسب مع أعمارهم وقدراتهم وخبراتهم ، وترتبط بهدف المشروع التي اختارت من أجله تحقق فائدتها التعليمية^(٤) . فقد رسم ﷻ بيده الكريمة على الأرض مربعاً ثم رسم في وسطه خطاً ، وخارجه خطاً ، ثم رسم حول الخط الذي في الوسط خطوطاً ، ثم وضح هذا الرسم وذكر ﷻ أن خط الوسط هو ابن آدم وعطى للمربع أحله محيط به من كل جوانبه بحيث لا يمكنه الخروج والقرار منه ، « وَهَذِهِ الْخُطُوطُ إِلَى جَنْبِهِ

(١) التحاوي / أصول التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .

(٢) وزان / القديس في مدرسة النبوة ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٣) ابن ماجة / محمد بن زيد ، سنن ابن ماجة ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الزهد ، ص ٥١١ ، ر : ٤٢٣٦ .

(٤) صالح / أحمد أحمد ، الوسائل التعليمية في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ١٤١٣ هـ ، الجمعية السعودية للعلوم والتربية والفنية ، جامعة الملك سعود الرياض ، ص ٢١ .

الأنفrazن للتهضة أو للتهضة من كل مكان ، فإن أخطأ هذا أصابة هذا ، أي الخطوط الصغار عروضة والأفانط والعامات من المرض والجوع ونوازل الحياة ، فإن بها من أحدها أصابه الآخر . والخط خارج للربع هو الأمل ، أي مأموله ومرجوه الذي يظن أنه يدركه قبل حلول أجله ، لأن أمله طويل لا يفرغ منه ، وأجله أقرب إليه من أمله^(١) . وقد مثل هذا الرسم في عدد من الكتب وهي مراجع ذكرت في البحث ، وسوف أكتفي بذكر القلب للتوضيح فقط (مثل ، شلهوب ، فضل يلقي ، علوان ، علي ، وزان) ، وجميعها متقاربة في الرسم رغم وجود بعض الاختلاف في خطوط الأعراف .

والباحثة أيضاً تضع تصميماً لهذا الرسم يختلف عن الجميع ، وتسال الله السداد والصواب .



استخدم للرأي الأول ﷻ حاسني (السمع والبصر) حتى يسمعوا الشرح ، ويروا العلاقة بين الأمل والأمل ومواجهة التوازل التي تصيب الإنسان . تصور رائع بدع يظهر المعنى المراد الوصول إليه بصورة حلية ، حيث يصور شكل للربع المعلق حياة الإنسان بداية ونهاية ، " فإذا ما أدرك الإنسان هذه وثلك وفهم ما يدخل تحت إرادته وما يخرج عنها حتى نفسه من آفات كثيرة ، وأقبل على الحياة ، فيبقى نفسه من الخوف واليأس ، واشتد عنده عطف الأمل وتوسعي إلى استثمار الوقت وحرفته فيما ينفع وينفد^(٢) .

ومن الأمور لفظة التي يجب أن يعلمها المرء : أن التربية بالملاحظة لم تقتصر على جانب أو جانبين من جوانب الإصلاح في تكوين النفس الإنسانية ، وإنما ينبغي أن تشمل جميع الجوانب من إيمانية ، وعقلية ، وعقلية ، ونفسية^(٣) ، والحل من الواقع ، وقوابة من المستقبل ، ومعرفة للآل والقصير ، إذا ساء العمل . فليعد التربوي يظهر واضح للعالم عندماتقترن بالملاحظة

(١) البار كهورى / لغة الأعراف بشرح جامع الرمزي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب صفة القلبية ، ص ٣٢٨ ، ر : ٢٤٤ .

(٢) علي / سعيد إسماعيل ، السنة النبوية ، مرجع سابق ، ص ٣٨٩ .

(٣) علوان / تربية الأولاد ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٧٣٥ .

النقادة للواقع قياساً على المستقبل ، لذلك استخدم للرقي الأول ﷺ الرسوم التوضيحية من خطوط وأشكال هندسية لتوضيح معاني غامضة يريد أن يوضحها لأصحابه وأتته عامة . ومن الشواهد أيضاً على استخدام مدرسة النبوة للرسوم الإيضاحية ما ورد عن جابر بن عبد الله قال : «كنا عند النبي ﷺ فخط خطاً ، وخط خطين عن يمينه ، وخط خطين عن يساره ، ثم وضع يده في الخط الأوسط : « هذا سبيل الله » ، ثم ثلث عليه الآية : « وأن هذا صيرجى مستقيماً فالتبوه » ولا تشبهوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (الأنعام آية ١٥٣) ^(١).

كما أن القرآن الكريم استخدم صوراً توضيحية لترسيخ المعنى وتقريبه للذهن ، قال تعالى : ﴿ وَكَلَّمُوا وَابْتَغُوا حَتَّى يَخْبِتَ لَكُمْ الْخَطُ الْأَيْتُشْ مِنْ الْخَطِ الْأَشْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ (البقرة آية ١٨٧) . إن لغت أنظار المسلمين إلى أمور محسوسة واستنباط أحكام شرعية منها أمر له بالغ الأثر في نفس المسلم ، خاصة عندما يكون الأسلوب متناسب مع عقلية المعاطين ، فالأمور للموسة توصل العقل إلى الأمور المعنوية أو الغيبية .

والملاحظ في الحديث أن النبي ﷺ * يفسر لأصحابه الوصية الأخيرة من الوصايا العشر في سورة الأنعام ، ولم يقتصر في تفسيرها على الكلام المجرد ، بل استعمل ما هو ميسر له وهو الرمل يخط عليه بيده بدل اللوح ، وهو يرسم صراط الله للذكور في الآية الكرمة في صورة خط مستقيم ، ولهذا قال : (هذا سبيل الله مستقيماً) ، ويرسم السبل الأخرى التي حذرت الآية من اتباعها في شكل خطوط متعرجة عن يمين الخط الأوسط المستقيم وشماله ، ثم بشر إليها قائلا : * « هذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ^(٢) - وتعددت الرسوم ولكن اتفق مع تصور عنوان - .

وإذا كان التربويون يناقون الآن تنوع الأساليب والوسائل التعليمية ، فالتقرآن الكريم والسنة لها سبق في هذا الجانب بأكثر من أربعة عشر قرناً ، فالأساليب التي استخدمها ربي الأمة ﷺ متكاملة رغم اختلافها ، وكل هذه الأنواع وطورها من الأساليب يحتاج إليها للرقي في الملل والمدرسة ، وتدريب المتعلمين على هذه الأنواع من الملاحظة أمر مهم ؛ حتى

(١) ابن ماجة / المخطوط أبو عبد الله ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب التلقية ، ص ٣٣ ، ر : ١١ .

(٢) القرطبي / التفسير ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

يتكون جيل قادر على تحمل المسؤولية ، والنهج النبوي كونه أفضل مؤسسة تربوية تخرج منها خير جيل ؛ لأن الصحابة كانوا حريصين على معرفة كل ما يتعلق بأمر دينهم . تربوا على أرقى الأساليب وأعظمها حين وصلوا إلى قوة للملاحظة وصدق الاستنتاج ثم التقويم وإصدار الحكم . فكانوا يقولون الحق ويعون تماماً أن للتحدث إما مثاب أو معاقب .

والمرى الأول ﷺ كان يعلمهم الأجر في القول كما كان يحذرهم من آفات اللسان ، ومثاله : عَنْ سَعْدٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَعْجِبْ خَدَّكَمَ أَنْ يَكْتَسِبَ كُلُّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ » فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : كَيْفَ يَكْتَسِبُ أَحَدُكُمَا أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ قَالَ : « يُسَبِّحُ مِائَةَ لِسِينَةِ فَكُتُبَ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ ، أَوْ يُحِطُّ عَنَ أَلْفِ خَطِيئَةٍ »^(١) . يدل الحديث على فضل التسبيح عند الله ، وقد بدأهم بالسؤال الذي يحرك الشوق ويتم حب الاستطلاع ويستحضر للملاحظة والانتباه ، لم يخبرهم بحسن القول بطريقة تحرك وجدان المسلم وتدفعه للفعل ما ورد في الحديث بدون تردد ، لأنه كسب ، والكل يتسابق لكسب ما يفيد ، كما يتعد عن إصابته بما يضره .

وورد في القرآن الكريم " شاء من الله لمن قال أحسن القول وعمل أحسن العمل " : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت آية ٣٣) .

مما سبق يتضح أن ملاحظة القول أمر مهم لدى المسلم ، فعلبه أن يكون فقط لما يتلفظ به فقد يقول كلمة تخرج من أمانه وهو لا يشعر ، ويظل أنها في نفس من سمعها ، فالأول بالمسلم أن يحافظ على لسانه ويلاحظ أقواله وأفعاله ، فإن منها ما يندرج له في آخرته .

فالمرى الأول ﷺ أعد للأمة الإسلامية قاعدة تربوية عريضة أسسها بأساليب مختلفة تتناسب مع الظروف وأفراد المجتمع وعند امتداد الحياة ؛ لأن لغوض الأمة وريقها معقود بصحة التعليم وسجود التربية ، والنماذج الأرضية وطرائق البشر مهما أوتيت من قوة واجتمع لديها من حيرة فإنها تقف عاجزة عن تحقيق الكمال التربوي ، وعن مراعاة الفطرة السوية ، والسبب أن هذه النماذج بشرية وتتصف بنظرة ضيقة محدودة مع ضعف في الشعور الداخلي

(١) مسلم / صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الذكر والدعاء ، ص ١٦٤٧ ، ر : ٢٦٩٨ .

(٢) ابن عثيمين / التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٢٨٦ .

الصادق الذي هو بلا شك مؤثرٌ كبيرٌ على سير العمل التعليمي والتربوي ، ولذا فإن من
اللهم - وللهم جداً - إيمان النظر والتأمل في كل الأساليب التربوية والرجوع إلى الأصول
لاستنباط المزيد منها وتطبيقه في المؤسسات التربوية الخاصة و العامة ، ليعود للمجتمع المسلم
عزه وهيبته بين الأمم المتقدمة .

ولنتمعن في هدي النبي ﷺ وسيرته يرى كثرة الوسائل والأساليب التي انتهجها ﷺ في
تعليمه للأمة وتربيته لها ، وإن الإلمام بكل ذلك غير ممكن في هذه الصفحات ، ولكن تم
اختيار بعض هذه الأساليب النبوية التي ندر تناولها في كثير من الكتب التربوية .

عن الوصول إلى أعماق الناس ومعرفة ما يتناسب مع فطرهم السوية ، والسبب هو أن هذه
للناهج لا تغلو من هوى بشري جهول ، أو نظرة ضيقة محدودة مع ضعف في الشعور الداخلي
الصادق ، الذي يؤثر على سير العمل التعليمي والتربوي ، ولذا فإن من اللهم - وللهم جداً -
إدامة النظر والتأمل في الأساليب النبوية والسعي إلى تطبيقها في المؤسسات التربوية .



دلالات تربوية لأساليب النظرية التربوية في الصفة النبوية :

١/ يجب على المعلم أن يستخدم الأساليب التربوية المناسبة مع المتعلمين حتى تؤثر فيهم وتحرك وجدانهم الذي يهرك لإدراهم وينفعها إلى عمل الخير ، والابتعاد عن الشر ، وبذلك يكون لها دورهم في تربية الإنسان وتغذيب سلوكه . وترغيبه لممارسة الأعمال الحسنة ، وتنفيره وإبعاده عن الأعمال السيئة .

٢/ إن تنوع الأساليب التربوية يتطلب من المربين بصفة عامة ، والوالدين والمعلمين بصفة خاصة أن يستخدموا الأسلوب المناسب مع الشيء وحسب للواقف ، وسر التنوع يكون بناء على اختلاف الطباع البشرية ، وطبيعة الحياة الإنسانية ، وتغير الظروف البيئية .

٣/ على أي معلم أن يسلك أساليب الحوار المتعددة مع المتعلمين لغرس ما يريد فيهم من فضائل وسلوك يقرهم من الله . فالحوار يولد الثقة في النفس ، ويساعد على تكوين الجرأة الأدبية لدى المتعلم ، ويعتمد على قدرة للتساؤل على التفاعل المعرفي والعاطفي والسلوكي مع الآخرين .

٤/ الإنسان كائن اجتماعي ومدني بالطبع ، ولا يمكن أن يستغني عن الحوار مع أخيه الإنسان مهما احتشلت الكوائيم ولغائهم ، بل تزيد ضرورة التحوّل إذا كان كل إنسان له شخصية مستقلة .

٥/ إن التربية والتعليم شأنها عظيم تجاه أبنائها ، وعليها مسؤولية للساعة في التعبير الإصلاحي للفرد والمجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يعم البلاء ، قَالَ ﷺ : « مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، قُلْ أَنْ لَكُمْ عَلَيَّ فَتْنَةٌ فَمَنْ يُتَابِعْكُمْ »^(١) .

فسلامة المجتمع تعتمد على توعية الأفراد ، وتوجيه الناشئة . وجعلهم أفراد إيجابيين قادرين على مواجهة الحياة .

٦/ لا بد للتلميذ من قدرة براها في معلميه حتى يقتنع بما يتعلمه ، ويكون قريباً من حيز

(١) ابن ماجة / أحمد بن حنبل ، سنن ابن ماجة ، مرسع سابق ، ج ٣ ، كتاب الفتن ، ص ١٦٩ ، ر : ٤٠٠٤ .

التطبيق ، وإن لم يجد قلن يطبق التلميذ ما تعلمه في المدرسة ، بل ما تعلمه يكون حياً على ورق من غير قنوة وتطبيق ، لأن تأثير القنوة الحسنة على الطفل أكثر من التعليم والتلقين ، فهي مهمة في المذول والمدرسة والمجتمع .

٧/ يجب على المسلم أن يتصف ويتحلى بالرحمة تجاه إخوانه المسلمين ، وهي سبيل لرحمة الله ومغفرته ، فالله يرحم الرحماء من عباده ، ومن لا يرحم لا يرحم . وهي مطلوبة حتى مع الحيوانات . فالرحمة نوع الشر من النفس ولقود للخير ، ومن يتصف بالرحمة لا يضر الآخرين .



خاتمة الدراسة

- نفاذ الدراسة .
- التوصيات .
- المقترحات .

خاتمة الدراسة

إني لأحس بالعجز ، وأنا أقف على شاطئ هذا الخضم الواسع من تربية محمد ﷺ ، وأني لأشئ أن يحيط بحوائجها ، وأن يكشف عن أسرارها كاملة ، وهي على ما هي عليه من سعة وشمول وغنى . فقد طبق ﷺ أفضل أساليب التربية ، وعالج كل المواقف الذي تعرض لها بحكمة وصبر . ثملت في شخصه ﷺ كل الأخلاق الفاضلة والصفات الجليلة ، فجمع هائل الخير كله ، وأوتي جوامع الكلم وعوائمه .

لذلك يستشهد بالحديث الواحد في أكثر من موضوع . فسته ﷺ مكملة للقرآن الكريم ، مفسرة لجهمه ، ومفصلة لمجمله . لذلك فإن اتباع سنته هي اتباع للمنهج الرباني . وقد أمرنا الله ﷻ بالأخذ بها وتوعد من تركها بالعقاب الشديد .

وبما لا شك فيه أن معرفة الإسلام لا تتم إلا بمعرفة السنة ، أما الاختصار على معرفة ما في القرآن الكريم وحده ، وإهمال السنة ، أو القول بعدم الحاجة إليها وأن القرآن الكريم يعني عنها ، أو إنكار حجتها التشريعية ، فلم يرد عن أحد من الصحابة والتابعين ولا من الأئمة المعتزين ، وهذا المذهب من مستحدثات العصر الحاضر ، إذ يدعو هذا المذهب إلى الاختصار على القرآن الكريم في فهم الإسلام وإهمال السنة النبوية ، وتناسوا أنهم بهذه الدعوة يعطلون بيان الرسول ﷺ للقرآن . قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ يُثَبِّتُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (نحل آية ٤١) .

لذلك فإن منهج التربية النبوية هو أحد للعطيات الربانية الكبرى لعباده ، فعليهم التمسك بها والعمل بما جاء فيها ، فهي السبيل الذي يستمد منه المربون أهدافهم ووسائلهم وأساليبهم وتوجيهاتهم وجميع أمور حياتهم .

فالترية النبوية أكدت على العلم والمعرفة والعمل ، وربط ذلك بالآخرة بحيث يصبح العلم والعمل فضيلة مزدوجة : إنسانية التصرف البشري وفق التعايش السلمي بعيداً عن مظاهر العنفية والحيوانية . مقابلة بتطبيق سلوكيات للسلم وعلاقاته الخاصة والعامة .

لذا على المربين غرس القيم وتقويتها في عقول الشباب للمسلم ، فالعقل هو الأداة الفاعلة

الذي يوجه الفرد ، ويقود الأمة . والتربية النبوية هي غذاء العقل ونوره ، إذ بدونها يتعبط العقل في ظلمات الجهل ويتصرف ببلون وعي وفهم . ولا يكتمل نور العقل إلا باكتمال بالأخلاق التي تحقق سعادة المجتمعات وفوقها وقضتها . فالعزلة ليست أصلاً في الإسلام . والعلاقات هي ضرورة الحياة ويلزم لها معيار الأخلاق .

ومع أشد الأسف : أن التربية الخلقية وتطبيق القيم والمبادئ النبوية ، أهملت أهمالاً كبيراً في البيت والمدرسة والمجتمع ، في الوقت الذي يذكر فيه إن سعادة الأمم لا تتوقف على كثرة دخلها ، أو جمال مبانيها ، ولكنها تتوقف على عدد المحصلين من أبنائها .

لذا أمل من الله العظيم أن تشكل هذه الدراسة لبنة في الصرح العظيم للتربية النبوية ، متنوعة من ذلك اطلاع المرين على بعض جوانب التربية النبوية وتطبيقها في الواقع للعاصر . والتمسك بسنة النبي الأول ﷺ وتوجيهاته التربوية ، وأن يكونوا قدوة للأجيال القادمة . فأبى ثراث أمي وأنبى من سورة المصطفى وتربيته ١ .

وقد ذللت ما استطعت من صعوبة المادة العلمية المبثوثة في شروح الأحاديث والمراجع ، حتى يستوعبها غير المتخصص ، ونعم الفائدة ، وقد بذلت جهد المقل في خدمة السنة ، فما كان فيه من صواب فبتوفيق من الله وحده ، وما كان فيه من خطأ فمن عجزى وتقصيري ، وأسأل الله أن يكون هذا العمل خلاصاً لوحده تعالى ، وأن تشملني بركة دعاء النبي ﷺ لعلمي الناس الخير ، وميلني العلم إلى المحتاجين إليه . وأن أكون من الثالين على الخير ، كما ورد في قوله ﷺ : « من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »^(١) .

(١) مسلم / مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، ص ١٦٦٦ ، ر : ٢٦٧٤ .

النتائج :

١/ أوضحت الدراسة أنه لا مانع من استخدام كلمة نظرية في مجال التربية الإسلامية ، باعتبار أن النظرية تعني مجموعة لمبادئ والأسس ، وتتناول الجوانب التربوية التي يحتاجها المسلم في العصر الحاضر ، وطريقة التطبيق .

٢/ بينت الدراسة أن النبي ﷺ عاطف العقول وأثر في النفوس ، ومثل ذلك بصورة شاملة في حياته ﷺ ، فقد امتازت تربته ﷺ عن غيره من الرسل بشموليتها العامة والخاصة ، ودونت تربته في حياته وسجلت من قبل أهل بيته وأصحابه ، وكل من عاشهم وعاش معهم ، فكان التسجيل شاملاً مفسراً للدقائق للواقف وحلها ، فكانت حبه كتاباً مفتوحاً ، كونه طفلاً وشاباً وزوجاً ووالداً ورسولاً نبياً ، ومعلماً ومخططاً ومرشداً ، وإماماً وقاضياً ومجاهداً ، ورئيساً للمجتمع والدولة . فكان قدوة لأئمة في كل الأحوال .

٣/ أوضحت الدراسة إن النظرية التربوية في السنة النبوية شاملة لكل منهاج الحياة ، وأن أهدافها مترابطة ومتوازنة ، فبناء الشخصية الإنسانية الصالحة للتميزة ، القدرة على الخلافة والقيادة في المجتمع لا يمكن أن تُحقق البناء المُرادف إلا إذا تمسكت بالمهدف التعديدي .

٤/ أوضحت الدراسة غزارة السنة النبوية بالمضامين التربوية التي يلزم الأخذ بها لتستقيم أمور المجتمع المسلم .

٥/ أكدت النظرية التربوية في السنة النبوية أن حياة المسلم حاملة بسياج من الأسس والقيم وللمبادئ التربوية التي وردت في الكتاب والسنة ، وطُبقت في المدرسة النبوية ، ولا يمكن أن تتحقق سعادة الإنسان للمسلم إلا إذا حافظ على توجيهات التربية النبوية ، لأنها تتضمن القيم الأخلاقية والسلوكيات الإيجابية والمبادئ الإسلامية الموائمة للقطرة البشرية التي تهدف لإيجاد الإنسان الصالح . في كل زمان ومكان .

٦/ بينت النظرية التربوية في السنة النبوية إنه كما للنفس الإنسانية إعجاز بلعني - جعل كل ذي لب يفكر في مظاهر خلقها - يشترك فيه جميع البشر ، وهو التناسق

والتعاون والتكامل بين أجهزة الإنسان الجسدية . هناك أيضا إحصاز خارجي وهو ، الاختلاف الذي يميز الناس بعضهم عن بعض في الألوان ودقة للامح والطباع والشخصيات ، وعليه يظهر أن جميع البشر كما يخضعون في تركيبهم الجسدي لنظام واحد ، فإن للمسلمين يخضعون إلى نظام عقائدي ونفسي واجتماعي واحد .

٧/ أكدت النظرية التربوية في السنة النبوية على أهمية العلم وفضل العلماء ، لأن الإنسان الصالح لابد له من علم يرتكز عليه حتى تستقيم حياته . والطبيعة الإنسانية لابد لها من معرفة تقودها إلى ما يتوافق معها ، والعمل بما يتناسب مع فطرتها .

٨/ بينت النظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية اهتمام التربية النبوية بجميع جوانب النفس الإنسانية - الروحية والخلقية والعقلية والنفسية والجسمية والوجدانية والعاطفية - بشكل متوازن ومتكامل ، وتقديم العلاج الذي يضمن سلامتها وحلها من الأمراض الاجتماعية والنفسية .

٩/ بينت الدراسة أن التربية النبوية تميزت بالأساليب التربوية الناجعة ، التي من خلالها تتم وقايتها مما يهدده ، ولها يتم معالجته ، ولها تكون تنميته .

١٠/ بينت الدراسة أن النظرية التربوية الإسلامية في السنة النبوية تميزت باستخدام أساليب تربوية بنادي الغرب الآن بأهميتها وضرورة الأخذ بها وتطبيقها ، نظراً لما لها من تأثير نفسي ووجداني وإنساني يساهم في تطوير وتنمية الشخصية الإنسانية .



التوصيات :

في ضوء ما سبق تناوله في هذه الدراسة يمكن للباحثة أن تقدم بعض التوصيات لكل من له تأثير مباشر وغير مباشر في توجيه عقل الناشئة ، (الأسرة والمدرسة والمجتمع) لكل مربٍ ومربية ، ولكل مسؤول تحت يده رعاية ، ولكل من بيده صلاحية التوجيه والإرشاد وفيما يلي نيلها :

١/ توصي الباحثة المربي والمربي أن يحصن نفسه بالتربية النبوية من اللغزات الوافدة ، وأن يجعلوا زادهم الفكري مستمداً من القيم والمبادئ الإسلامية ، وأن يكون سلوكهم ومنهجهم في الحياة موافقاً لتربية نبيهم ومربيهم محمد ﷺ .

٢/ على المسلم التمسك بالقيم الإسلامية ؛ لأن كل لمبادئ والقيم التي نادى بها الأنبياء والمرسلين جمعت في الدين الإسلامي ، وبذلك يكون الإسلام أكمل وأتم الأديان السماوية .

٣/ أولوية الاهتمام بالتربية النبوية والاستفادة منها في معالجة الميالحات السلوكية في ضوء أهدافها ومضامينها التربوية باستخدام الأساليب النبوية التي أرشد إليها المربي الأول محمد ﷺ .

٤/ على المربي أن ينوع الطرق التربوية ويحرص على استخدام الأساليب العقلية في الإقناع ، فهي وسيلة متميزة تضمن وصول للعلوم إلى ذهن السامع ، وتوضح القضايا الدينية والدنيوية .

٥/ على العلماء والمربين وللعلمين أن يكونوا قدوة للناس في سلوكهم لأنهم قدوة للآخرين ؛ لأن الاقتداء بالأسوة الحسنة يحقق النجاح في كل مجالات الحياة . والتأسي في الدين يكون بالنظر إلى من هم أعلى منه ، وفي أمور الدنيا بمن هم أدنى منه .

٦/ من تعاليم التربية النبوية أن يواصل المسلم فعل الخير حتى ولو ظهر له عدم القبول ، فالحكم والأمر لله . وليس للإنسان أن يحكم على قبول أعماله أو عدم قبولها .

وعدم الحكم على الآخرين من خلال أفعالهم وأفعالهم بأفعالهم سيرة أو حسنة ، فليس للإنسان إلا الظاهر . وحكم الله على الناس يكون من خلال ما انطوت عليه نفوسهم ، ولا يعلم باطن الناس إلا خالقهم .

٧/ المحرص على الإكثار من عمل الخير ؛ لأنه من عمل خيراً واقتدى به الناس له أجره وأجر من عمل مثله . ومن قلده الناس في سيرة له وزرها ووزر من عمل لها .



المقترحات :

في ضوء ما تناولته هذه الدراسة تقترح الباحثة ما يلي :

١/ تناول الأساليب التربوية عند كل حلقة من الحلقات الراضين في دراسة مستقلة ،
توضح للواقف التربوية التي حدثت في ذلك العصر ، وعرض العلاج الذي استخدم
خلها والقضاء عليها ، وتأسيس الأساليب التربوية للمعاصرة .

٢/ تناول الأساليب التربوية التي حدثت في عصر عمر بن عبد العزيز ، وعرض للعالم
التي استخدمها مع أهل بيته ومع رعيته .

٣/ أن تدرج هذه الدراسة ضمن منهج نظرية التربية الإسلامية لطلاب الدراسات العليا ،
وأن يتبنى التعليم العام إعداد المعلمين بإدخال مادة الأساليب التربوية من السنة
الثوية ضمن منهج الإعداد التربوي للمعلمين . حتى يتمكنوا بعد تخرجهم من
مواجهة للواقف التربوية التي يواجهونها في مجال عملهم .

٤/ عمل دورات تربوية للمعلمين للتخريج لدراسة مادة الأساليب التربوية التي وردت
في السنة الثوية ، لرفع كفاءاتهم التربوية لمعالجة السلوكيات وللواقف الخاطئة التي
يواجهونها في المجال التربوي .



المصادر والمراجع

المصادر :

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- ابن بحر / أحمد بن شعيب بن سنان ، صحيح النسائي ، ج ٤ ، ط ٤ ، ١٤١٤هـ ، دار البشائر الإسلامية ، الأردن .
- ٣- ابن تيمية / أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، تركية النفس ، ١٤١٥هـ ، دار للنسلم : الرياض .
- ٤- ابن تيمية / أحمد بن عبد الحليم ، تركية النفس ، ١٤١٥هـ ، دار للنسلم : الرياض .
- ٥- ابن تيمية / أحمد عبد الحكيم الدمشقي ، العبودية ، تقدم عبد الرحمن الباني ، د.ت . دار النشر ببلون .
- ٦- ابن تيمية / أحمد ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، ١٤١٦هـ ، مجمع للكتاب فهد : للديانة المثورة .
- ٧- ابن خلدون / عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، ١٩٩٧م ، دار الفكر العربي ، بيروت .
- ٨- ابن الرومي / أبو الحسن علي بن العباس بن جرير ، ديوان ابن الرومي ، ١٤٢٣هـ ، دار الكتب العلمية ، مصر .
- ٩- ابن عاشور / الشيخ محمد بن طاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، دار مكتون للنشر : تونس .
- ١٠- ابن عاشور / محمد طاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، د.ت ، دار مكتون للنشر : تونس .
- ١١- ابن قدامة / عبد الله بن أحمد ، المغني ، تحقيق عبد الله التركسي ، وآخر ، ج ٦ ، ١٤١٧هـ ، دار عالم الكتب : الرياض .
- ١٢- ابن قيم الجوزية / محسن الدين محمد ، الداء والدواء ، ط ٨ ، ١٤٢٥هـ ، دار ابن الجوزي : السعودية .

- ١٣- ابن قيم الجوزية / حسن الدين محمد ، الفوائد ، ٥ د ، مكتبة النهضة العلمية
السعودية : مكة المكرمة .
- ١٤- ابن كثير / أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، تفسير القرآن الكريم العظيم ،
١٤١٩هـ ، المكتبة العصرية : بيروت .
- ١٥- ابن كثير / أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن الكريم العظيم ، ١٤١٩هـ ، المكتبة
العصرية : بيروت .
- ١٦- ابن ماجة / الحافظ أبي عبد الله بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، ١٤١٩هـ ، دار
الحديث : القاهرة .
- ١٧- ابن منظور / أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ١٤١٤هـ ،
ج ١٥ ، دار صادر : بيروت .
- ١٨- ابن منظور / أبي الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، ج ٤ ، ١٤١٤هـ ، دار
صادر : بيروت .
- ١٩- أبو داود / سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٢٠- أبو الدنيا / أبو بكر عبد الله ، كتاب الورع ، ١٤٢٣هـ ، دار ابن حزم : بيروت .
- ٢١- الألباني / محمد ناصر ، صحيح سنن ابن ماجة ، ١٤٠٨هـ ، مكتب التربية العربي :
الرياض .
- ٢٢- الألباني / محمد ناصر ، صحيح سنن أبي داود ، ١٤٠٩هـ ، مكتب التربية العربي :
الرياض .
- ٢٣- الألباني / محمد ناصر ، صحيح سنن الترمذي ، ١٤٠٨هـ ، مكتب التربية العربي :
الرياض .
- ٢٤- الألباني / محمد ناصر ، صحيح سنن النسائي ، ١٤٠٩هـ ، مكتب التربية العربي :
الرياض .
- ٢٥- أمير المؤمنين / علي بن أبي طالب ، ديوان الإمام علي ، ١٤٢٤هـ ، ٢ ، دار
الكتب العلمية : بيروت .

- ٢٦- البخاري / محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ط ٥ ، ١٤٠٦ هـ ، عالم الكتب : بيروت .
- ٢٧- الترمذي / أبي عيسى محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، ج ٤ ، ١٤١٤ هـ ، دار الفكر : بيروت .
- ٢٨- الخافظ / عمر بن بحر ، البيان والتهيان ، تحقيق حسن السندي ، ط ٢ ، ج ٢ ، ١٤٢٠ هـ ، للكتبة الإسلامية : بيروت .
- ٢٩- البرحاني / علي محمد الشريف ، كتاب التعريفات ، ١٤٠٥ هـ ، مكتبة لبنان : بيروت .
- ٣٠- البلوزي / أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، د.ت ، دار الكتب العلمية : بيروت .
- ٣١- الحنفي / علي أبو العز ، شرح الطحاوية ، تحقيق أحمد شاكر ، ١٤١٨ هـ ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف : الرياض .
- ٣٢- الدارمي / عبد الله عبد الرحمن بن الفضل ، سنن الدارمي ، ١٤١٧ هـ ، ج ١ ، دار الكتب العلمية : بيروت .
- ٣٣- العسقلاني / أحمد بن حجر ، فتح الباري ، د.ت ، دار النشر ببلون .
- ٣٤- العظيم آبادي / الخافظ خمس الحق العظيم ، عون للعبود ، ج ٣ ، ١٤٢٢ هـ ، دار الحديث : القاهرة .
- ٣٥- الغزالي / أبو حامد محمد بن محمد ، د.ت ، أحياء علوم الدين ، دار للتعرف : بيروت .
- ٣٦- الغزالي / أبو حامد محمد ، ميزان العمل ، ١٣٨٤ هـ ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف : القاهرة .
- ٣٧- القزور آبادي / محمد الدين محمد ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ج ٤ ، د.ت ، المكتبة العلمية : بيروت .

- ٣٨- الفيروزآبادي / محمد الدين محمد ، القاموس المحيط ، ج ٢ ، ١٤١٢هـ ، إحياء التراث العربي : بيروت .
- ٣٩- القوي / أحمد بن محمد بن علي للقرى ، للصباح للنشر ، ج ١ ، د.ت . الناشر بلون .
- ٤٠- للوردي / أبو الحسن علي بن محمد ، أدب الدنيا والدين ، د.ت ، دار الكتب العلمية : بيروت .
- ٤١- الباركفوري / الحافظ أبا القلا محمد عبد الرحمن ، تحفة الأحوذى ، ج ٧ ، ١٤٢١هـ ، دار الحديث : القاهرة .
- ٤٢- مرزا / زهر ، إيليا أبو ماضي ، ١٣٨٣هـ ، دار البقطة العربية .
- ٤٣- مسلم / أبو الحسن مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ١٤١٦هـ ، دار ابن الخزم للطباعة : لبنان .
- ٤٤- مصطفى / إبراهيم ، وآخرون ، للعجم الوسيط ، ١٣٩٢هـ ، للكتبة الإسلامية : تركيا .
- ٤٥- النسائي / أحمد بن شعيب بن سنان ، صحيح النسائي ، ط ٤ ، ١٤١٤هـ ، دار البشائر الإسلامية : بيروت .
- ٤٦- النووي / يحيى الدين أبي زكريا ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط ٤ ، ١٤١٨هـ ، ج ١٢ ، دار الخير : بيروت .
- ٤٧- ونسك / أ.ى . المعجم للفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، ١٣٤٦هـ ، مكتبة بربل : مدينة لندن .
- ٤٨- البحصي / القاضي عياض أبي الفضل ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، د.ت ، ج ٢ ، دار الأرقم : بيروت .

المراجع :

- ١- الأراشي / محمد عطية ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، ط٤ ، ١٤١٥هـ ، مطبعة عيسى الخليلي : مصر .
- ٢- إبراهيم / نبيهة مصطفى ، تصور لتطبيقات تربوية ملائمة لنظرية الإسلام إلى الإنسان ، ١٤٠٤هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة .
- ٣- ابن باز / عبد العزيز ، الغزو الفكري ، د.ت ، دار القاسم : الرياض .
- ٤- ابن شيان / سليمان إبراهيم ، العمل وأحكامه ، مجلة البحوث الإسلامية ، ١٤٢٢هـ ، ع٦٦ ، رئاسة إدارة البحوث العلمية : الرياض .
- ٥- ابن حميد / صالح بن عبد الله ، وآخرون ، نضرة النعيم ، ج٥ ، ١٤١٨هـ ، دار الوسيلة : جدة .
- ٦- ابن حميد / صالح عبد الله ، التوجيه غير المباشر وأثره في التربية وتغيير السلوك ، ١٤١٥هـ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الرياض .
- ٧- ابن حميد / صالح عبد الله ، القدوة مبادئ ونماذج ، ط٢ ، ١٤١٥هـ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الرياض .
- ٨- أبو زهرة / محمد ، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ، السدار السعودية : جدة .
- ٩- أبو زهرة / محمد ، نظرية الحرب في الإسلام ، ١٤٢٥هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة .
- ١٠- أبو زهرة / للملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية ، ١٣٩٦هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة .
- ١١- أبو سليمان / عبد الحميد أحمد ، أزمة العقل للنسب ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي : الرياض .
- ١٢- أبو سليمان / عبد الوهاب إبراهيم ، كتابة البحث العلمي ، ج١ ، ١٤١٣هـ ، دار الشروق ، جدة .

- ١٣- أبو عراد / صالح بن علي ، مقدمة في التربية الإسلامية ، ١٤٢٤هـ ، الدار
الصوتانية للتربية : الرياض .
- ١٤- أبو عراد / صالح ، دروس تربية نبوية ، ١٤١٣هـ ، السنة ١١ ، ع : ١٢٦ ، دعوة
الحق ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
- ١٥- أبو عراد / صالح ، دروس تربية نبوية ، ط٣ ، ١٤٢٦هـ ، دار الزمان : للدياسة
المشورة .
- ١٦- أبو العيين / علي خليل ، منهجية البحث في التربية الإسلامية ، رسالة الخليج العربي ،
٢٤٤ع ، ١٤٠٨هـ ، مكتب التربية العربي ، الرياض .
- ١٧- أبو العيين / علي خليل ، وآخرون ، الأصول الفلسفية للتربية ، ١٤٢٣هـ ، دار
الفكر : الأردن .
- ١٨- أحمد / منظور الدين ، النظريات السياسية الإسلامية في العصر الحديث النظرية والتطبيق ،
ترجمة عبد الجواد حلف وآخر ، ١٤٠٩هـ ، جامعة الدراسات الإسلامية : باكستان .
- ١٩- أحمد / هاشم علي ، التربية الذاتية من الكتاب والسنة ، ١٤١٣هـ ، دار الأهدل :
مكة المكرمة .
- ٢٠- إسماعيل / عبد سعيد عبد ، أرقام وحقائق العولمة والعالم الإسلامي ، ١٤٢٢هـ ،
دار الأندلس الخضراء : جدة .
- ٢١- الأسبوطي / جلال الدين ، تحذير أهل الآخرة من الدنيا الفائرة ، ١٤٢٦هـ ، مجلة
الشريعة والدراسات الإسلامية ، مجلس النشر العلمي : الكويت .
- ٢٢- الأشقر / عمر سليمان ، مقاصد للكافرين ثبات في العبادات ، ط٦ ، ١٤٢٢هـ ،
دار الفتاوى : الأردن .
- ٢٣- الأشقر : عمر سليمان ، صحيح القصص النبوي ، ط٥ ، ١٤٢٠هـ ، دار
الفتاوى : الأردن .
- ٢٤- آل سعود / محمد بن نواف بن عبد العزيز ، تلوة حقوق الإنسان في الإسلام ،
١٤٢٠هـ ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .

- ٢٥- آل نواب / عبد الرب نواب الدين ، مسؤولية الأياد تجاه الأولاد ، ١٤٢٣هـ ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف : الرياض .
- ٢٦- إيلي / فضل ، النبي الكريم معلماً ، ١٤٢٤هـ ، إدارة ترجمان الإسلام ، حيدر اواله : باكستان .
- ٢٧- الأميري / عمر حماد الدين ، الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية للعاصرة ، ١٤١٤هـ ، الدار العليلة للكتاب الإسلامي : الرياض .
- ٢٨- أوكونور / دي . جي ، مقدمة في فلسفة التربية ترجمة فهمي / سيف الدين ، ١٤٠٢هـ ، مكتبة الأنجلو المصرية : القاهرة .
- ٢٩- بابلي / محمود محمد ، الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل ، ١٤١٤هـ ، سنة ١٢ ، ١٣٨٤ ، دعوة الحق ، رابطة العلم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ٣٠- باحار / فاطمة سالم ، دراسة بعض العوامل المؤثرة على التكيف الأسري والمشكلات التربوية الناتجة عنها ، ١٤١٧هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- ٣١- باجودة / حسن محمد ، تعريفات ، ١٤٢١هـ ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ٣٢- بنوي / عبد العظيم ، علم الدين من حديث حبريل ، ١٤٢٣هـ ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ٣٣- بنير / أحمد بنير ، منهج السنة النبوية في تربية الإنسان ، ط٢ ، ١٤١٣هـ ، مكتبة الدعوة الإسلامية : المنصورة .
- ٣٤- برد سود / ت.ف.ن. ، وعبد الحميد الزنداني ، علم الأجنة ، الإحصاز العلمي في القرآن الكريم والسنة ، رابطة العالم الإسلامي .
- ٣٥- الوديسي / محمد زكريا ، أصول الفقه ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ ، دار الفكر ، لبنان .
- ٣٦- برغوث / الطيب ، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة ، ١٤١٦هـ ، للعهذ العاللي للفكر الإسلامي : الولايات المتحدة الأمريكية .

- ٣٧- بكار / عبد الكريم ، فصول في التفكير للوضوعي ، ط٣ ، ١٤٢١هـ ، دار القلم : دمشق .
- ٣٨- بكار / عبد الكريم ، من أجل انطلاق حضارية شاملة ، ١٤١٥هـ ، دار المسلم : الرياض .
- ٣٩- بوليس / إيرل ، وليمس برنغ ، للعلم أمة واحدة ، ترجمة ليلى وارييل ، د.ت ، دار الأفاق الجديدة : بيروت .
- ٤٠- التل / شادية أحمد ، علم النفس التربوي في الإسلام ، ١٤٢٥هـ ، دار المنقاس : بيروت .
- ٤١- التوم / بشير حاج ، تأصيل تربية للعلم ، ١٤٠٠هـ ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة .
- ٤٢- التوبجري / عبد العزيز عثمان ، حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية ، ١٤٢٠هـ ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
- ٤٣- التوبجري / عبد العزيز عثمان ، الحوار من أجل التعايش ، ١٤١٩هـ ، دار الشروق : جدة .
- ٤٤- جابر / عبد الحميد جابر ، للرشد العملي الحديث في التربية وعلم النفس ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ ، دار المعارف : مصر .
- ٤٥- جامعة أم القرى / توصيات لتوغرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربع ، ١٤٠٣هـ .
- ٤٦- الجلال / عائشة عبد الرحمن ، توجيهات التربية الإسلامية حول أسس القراءة ، ١٤٢٥هـ ، دار الأنلس الخضراء : جدة .
- ٤٧- جلال / عبد الفتاح ، الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم والسنة ، ١٤٠٧هـ ، جمعية الشبان المسلمين العالمية : القاهرة .
- ٤٨- الجندي / أنور ، أسلمة المناهج والعلوم ، ١٤٠٨هـ ، دار العلوم للطباعة : القاهرة .

- ٤٩- الجندي / زينبات عبد الباسط ، الطبيعة الإنسانية في الحديث الشريف ، ١٤١٤هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة متروية : القاهرة .
- ٥٠- الجوالي / محمد طاهر ، المجتمع والأسرة في الإسلام ، ط ٣ ، ١٤٢١هـ ، دار عالم الكتب : الرياض .
- ٥١- الحازمي / خالد حامد ، أصول التربية الإسلامية ، ١٤٢٠هـ ، عالم الكتب للنشر ، الرياض .
- ٥٢- الحازمي / خالد حامد ، التربية الإعلامية في منظور التربية الإسلامية ، ١٤٢٢هـ ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ع ١١٦ ، السنة ٣٤ .
- ٥٣- الحازمي / خالد حامد ، السبق التربوي مفهومه ومنهجه ومعلّله ، بحلة الجامعة الإسلامية ، ١٤٢٤هـ ، عدد ١٢٣ ، السنة ٣٦ . الجامعة الإسلامية : المدينة المنورة .
- ٥٤- المحجاني / حسن علي ، الفكر التربوي عند ابن القيم ، ١٤٠٨هـ ، دار حافظ للنشر : جدة .
- ٥٥- حجازي / سمية علي ، التربية الوحدانية في الإسلام ، ١٤١٧هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة .
- ٥٦- حجازي / عصام حسن ، التربية بالموعظة الحسنة ، ١٤١٣هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة .
- ٥٧- حسن / أحمد حسن أحمد ، الأساليب التربوية في السنة النبوية لشريفة ، ١٤١٠هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر .
- ٥٨- الخليل / سليمان عبد الرحمن ، التربية الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ ، مطابع النقية للأوقاف : الرياض .
- ٥٩- حمادة / فاروق ، أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية ، ١٤١٧هـ ، دار طيبة : السعودية .
- ٦٠- الحمادي / يوسف ، أساليب تدريس التربية الإسلامية ، ١٤٠٧هـ ، دار السريخ للنشر : الرياض .

- ٦١- خان / محمد وصي الله ، التربية والمجتمع ، ترجمة عبد الحميد الخريجي ، ١٤٠٤هـ ، مكتبة عكاظ : الرياض .
- ٦٢- الحذاد / جاد الله بن حسن ، للهدب المستفاد لتربية الأولاد ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ، للكتبة الإسلامية : عمان .
- ٦٣- محضر / محمد حمد ، الإسلام وحقوق الإنسان ، ١٩٨٠م ، دار مكتبة الحياة : بيروت .
- ٦٤- الخطيب / محمد ، الإسلام والعلم نظرات معجزة ، ١٤٠١هـ ، دار العلوم : الكويت .
- ٦٥- الخطيب / محمد شحات ، وآخرون ، أصول التربية الإسلامية ، ١٤١٥هـ ، دار الخريجي : الرياض .
- ٦٦- الخطيب / محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ، ١٤٠٠هـ ، دار الفكر : بيروت .
- ٦٧- الخطيب البغدادي / أحمد علي ، اقتضاء العلم بالعمل ، ١٤٠٤هـ ، للكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٦٨- خلف الله / سلمان ، منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة ، د.ت ، بيت الأفكار الدولية : عمان .
- ٦٩- الخولي / محمد عبد العزيز ، الأدب النبوي ، د.ت ، للكتبة التجارية الكبرى : مصر .
- ٧٠- الخياط / محمد جميل علي ، النظرية التربوية في الإسلام ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ ، مطابع الصفاء : مكة المكرمة .
- ٧١- الدقر / محمد نزار ، العلوم والتقنية ، مجلة علمية ، السنة ١٩ ، ع ٧٣ ، ١٤٢٦هـ ، جامعة الملك عبد العزيز : جدة .
- ٧٢- رابطة العالم الإسلامي / إته الحق ، هيئة الإعمار العلمي في القرآن الكريم والسنة ، مكة المكرمة .
- ٧٣- الربيعي / خالد بن سليمان ، من عجائب الدعاء ، ١٤٢٣هـ ، دار القاسم : الرياض .

- ٧٤- رشوان / حسين عبد الحميد ، التربية والتمتع ، ١٤٢٢هـ ، للمكتب العربي الحديث : الاسكندرية .
- ٧٥- الرفاعي / حامد أحمد ، الإسلام والنظام العائلي الجديد ، ١٤١٥هـ ، السنة ٣ ، ع ١٤٦ ، دعوة الحق : مكة المكرمة .
- ٧٦- الرفاعي / قاسم أبو الخير ، مختارات من السنة ، ١٤٠٣هـ ، المكتب الإسلامي : بيروت .
- ٧٧- رمزي / عبد القادر هاشم ، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية ، ١٤٠٤هـ ، رسالة دكتوراه ، دار الثقافة : الدوحة .
- ٧٨- الرئيس / محمد ضياء الدين ، النظريات السياسية ، ط ٧ ، د.ت ، دار النشرات : القاهرة .
- ٧٩- الريسوني / أحمد ، نظرية للمقاصد عند الإمام الشافعي ، ط ٤ ، ١٤١٦هـ ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي : الرياض .
- ٨٠- الزناني / عبد الحميد الصيد ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس .
- ٨١- الزبيدي / عبد الرحمن بن زيد ، بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو ، ١٤٢٤هـ ، وزارة الشؤون الإسلامية : الرياض .
- ٨٢- مزيد / عبد الرحمن عبد الله ، اخذ الإسلام للعراق عند الإنسان ، ١٤١٧هـ ، مركز بحوث التعليم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ٨٣- سابق / السيد ، إسلامنا ، د.ت ، دار الكتاب العربي : بيروت .
- ٨٤- السابح / أحمد عبد الرحيم ، الغزو الفكري في التصور الإسلامي وكيفية مواجهته . ١٤٢١هـ ، النبوة العالمية للشباب : مكة .
- ٨٥- السابح / أحمد عبد الرحيم ، معالم العلاقات الإنسانية في الإسلام ، ١٤٢٣هـ ، السنة ٢٠ ، ع ١٩٨ ، دعوة الحق ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ٨٦- سريش / إبراهيم محمد ، نفس الإنسانية في القرآن الكريم ، ١٤٠١هـ ، قامة : جدة .

- ٨٧- المعدي / داود سلمان ، أسرار الكون في القرآن الكريم ، ١٤٢٠هـ ، دار
الحرف العربي : بيروت .
- ٨٨- سلطان / محمود السيد محمد ، النظرية التربوية في الإسلام ، نلوة حصراء حصراء
أسس التربية الإسلامية ، ١٤٠٠ هـ : مكة المكرمة .
- ٨٩- السالموني / نيل ، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه ، ١٤٠١ هـ ، دار الشروق :
جدة .
- ٩٠- سويد / محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية للطفل ، ط٤ ، ١٤١٢ هـ ،
مكتبة النصار الإسلامية ، الكويت .
- ٩١- السيد / محمود أحمد ، معجزة الإسلام التربوية ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ ، دار البحوث
للنشر : الكويت .
- ٩٢- الشافعي / إبراهيم محمد ، التربية الإسلامية وطرق تدريسها ، ١٤٠٤ هـ ، مكتبة
الفلاح : الكويت .
- ٩٣- الشحات / أحمد علي ، وآخرون ، اللبن ومكوناته ، من أوجه الإعجاز العلمي .
رابطة العالم الإسلامي . هيئة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة . مكة المكرمة .
- ٩٤- شرف / محمد حلال أبو الفتوح ، الله والعلم والإنسان في الفكر الإسلامي ، د.ت ،
دار المعرفة الجامعية : الإسكندرية .
- ٩٥- الشرفاوي / حسن ، نحو علم نفس إسلامي ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ ، مؤسسة شباب
الجامعة : الإسكندرية .
- ٩٦- الشريف / نايف بن همام ، التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي ، ١٤١١ هـ ،
رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- ٩٧- الشعراي / محمد وليد ، أبحاث علمية ، الإعجاز العلمي ، ع١٦ ، رجب ١٤٢٤ هـ ،
رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ٩٨- الشلهوب / فواز ، للعلم الأول فنلوة لكل معلم ومعلمة ، ١٤١٧ هـ ، دار القاسم :
الرياض .

- ٩٩- الشكري / حسين علي ، أسباب الثبات على طاعة الله ، ١٤٢٢هـ ، دار القاسم : الرياض .
- ١٠٠- الشطي ، عبد الله بن محمد بابا ، عقود الجمال من أضواء البيان ، ج ٢ ، ١٤١٣هـ ، دار روضة الصغير : الرياض .
- ١٠١- الشكري / صالح بن علي أبو عراد ، الآداب النبوية التبروية ، ١٤١١هـ ، مكتبة أمها الحديثة : السعودية .
- ١٠٢- الشيباني / عمر التومي ، فلسفة التربية الإسلامية ، الدار العربية للكتاب : ليبيا .
- ١٠٣- الشيباني / عمر محمد ، أهمية الإنسان ومفهومه وأبعاد الطبيعة البشرية ، سنة ١٤١٨هـ ، ج ٤ ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية : ليبيا .
- ١٠٤- صالح / محمد أحمد ، الوسائل التعليمية في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ١٤١٩هـ ، الجمعية السعودية للعلوم والتربية والنفسية ، جامعة الملك سعود الرياض .
- ١٠٥- الصاوي / عبد الجواد ، الإحصاء العلمي في حديث الفت ، ١٤٢٣هـ ، مجلة الإحصاء العلمي ، ج ١٢ ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ١٠٦- صديق / يوسف ، الكسب الطيب ، ١٤١٢هـ ، دار الضياء : مكة المكرمة .
- ١٠٧- صديق / يوسف محمد ، النظرية التربوية في طرق تدريس الحديث النبوي ، ١٤١٢هـ ، دار ابن القيم : الدمام .
- ١٠٨- الصغير / أحمد محمد ، نشأة الحياة بين الدين والعلم ، القافلة ١٤١٩هـ ، أرامكو : السعودية .
- ١٠٩- الضبيعي / إبراهيم محمد ، الصلقات وأثرها على الفرد والمجتمع ، ١٤٠٨هـ ، مطابع الوطان : الرياض .
- ١١٠- الطويرقي / نوال سعد ، العلاقات الإنسانية ، ١٤٢٢هـ ، دار الأندلس الخضراء : الرياض .
- ١١١- عامر / ماجدة الوضوء من منظور علم النقاط الانعكاسية ، ١٤٢٢هـ ، مجلة الإحصاء العلمي ، ج ١٠ ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .

- ١١٢- عبد الله / عبد الرحمن صالح ، لنتهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية ، ١٤٠٦هـ ، مركز الملك فيصل : الرياض .
- ١١٣- عبد الله / عبد الرحمن صالح ، النظرية العامة للتربية رؤى إسلامية ، ١٤١١هـ ، ج ٢ ، للؤم التربوي ، الأردن .
- ١١٤- عبد العال / حسن إبراهيم ، التربية للعاصرة ، ج ٢٧ ، السنة ١٠ ، ١٤١٣هـ ، دار للمعرفة الجامعية : الإسكندرية .
- ١١٥- عبد العال / حسن إبراهيم ، الطبيعة الإنسانية في فكر الإمام الجوزي ، ١٤٠٧هـ ، للؤم العالي الخامس للتربية الإسلامية ، ج ٢ ، جمعيات الشبان للمسلمين العالمية : القاهرة .
- ١١٦- عبد العزيز / رضا سيد هاشم ، دراسة تحليلية لتربية الشباب في السنة النبوية ، ١٤٠٩هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة الرقازيق .
- ١١٧- عبد لتحتلي / محمد رجاء حنفي ، الخريبات والحقوق في الإسلام ، ١٤٠٧هـ ، دعوة الحق ، السنة ٦ ، ج ٦٩ ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ١١٨- عبد المجيد / عبد الحميد محمود ، نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ ، مكتبة الصديق : الطائف .
- ١١٩- عبد الوهاب / سليمان عبد الله محمد ، تيسر العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، ٨ ، ١٤٠٩هـ ، المكتب الإسلامي : بيروت .
- ١٢٠- عبود / عبد الغني ، الإسلام والكون ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة .
- ١٢١- عبود / عبد الغني ، التربية والتعددية الثقافية ، ١٤٢٣هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة .
- ١٢٢- عبود / عبد الغني ، في التربية الإسلامية ، ١٣٩٨هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة .
- ١٢٣- عبيدات / عبد الكريم نوفان ، الدلالة العقلية في القرآن الكريم ، ١٤٢٠هـ ، دار التفاسير ، الأردن .

- ١٢٤- عثمان / نبيه عبد الرحمن ، الإنسان الروح والعقل والنفس ، ١٤٠٨هـ ، السنة السابعة ، ع ٧٠ ، دعوة الحق ، رابطة العلم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ١٢٥- عيسى / محمد عبد الرحيم ، أهدافنا التربوية النظرية والتطبيقية ، الخفجي ١١١٤ ، شركة الزيت العربية : السعودية .
- ١٢٦- هرام / محفوظ علي ، الأسس العقائدية للتربية ، ج ٢ ، المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية ، لمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية : القاهرة .
- ١٢٧- عطار / ليلى عبد الرشيد ، الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية ، ١٤١٩هـ ، دار المجتمع : جدة .
- ١٢٨- العفيفي / طه عبد الله ، من وصايا الرسول ﷺ ، ج ١٨ ، ١٤٠٥هـ ، دار التراث العربي : القاهرة .
- ١٢٩- عفيفي / محمد عبد الله ، النظرية الخلقية عند ابن تيمية ، ١٤٠٨ هـ ، مركز الملك فيصل : الرياض .
- ١٣٠- العقيل / مصطفى عبد الله ، نظرة الإسلام إلى التربية ، ١٤٢٠هـ ، مطابع الفرزدق : الرياض .
- ١٣١- علوان / عبد الله ناصح ، تربية الأولاد في الإسلام ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ ، ج ١-٢ ، دار السلام : بيروت .
- ١٣٢- علي / سعيد إسماعيل ، السنة النبوية رؤية تربوية ، ١٤٢٢هـ ، دار الفكر فكري : القاهرة .
- ١٣٣- علي / سعيد إسماعيل ، العمل في الفكر التربوي الإسلامي ، ١٤٠٤هـ ، مجلة الأمة رئاسة المحاكم الشرعية : قطر .
- ١٣٤- علي / سعيد إسماعيل ، فقه التربية ، ١٤٢٢هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة .
- ١٣٥- علي / علي عبد الفتاح ، الأمثال النبوية وحكمها ، ١٤١٣هـ ، الوفاء للطباعة والنشر ، للصورة .
- ١٣٦- العلي / محمد تيسر ، الصلة بالله تعالى وأثرها في تربية النفس ، ١٤١٨هـ ، دار البشر : الأردن .

- ١٣٧- عليان / أحمد فواد ، طرق التعليم التربوية في السنة النبوية ، ١٤٢١هـ ، دار
 السلم : الرياض .
- ١٣٨- العمري / حسين بن علي ، الأساليب للمنطقة من تعامل الرسول ﷺ مع زوجاته
 وأبنائها التربوية ، رسالة منشورة ، ١٤٢٣هـ ، مكتب للثق فهد الوطنية : الرياض .
- ١٣٩- العمري / عبد الله مديس ، للضامين التربوية في آي لتفظ العلم القرآنية ، ١٤٢٥هـ ،
 رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة .
- ١٤٠- الغالي / خلاف ، للمادة التي خلق الله منها الإنسان ، ١٤٢٢هـ ، مجلة الإعجاز
 العلمي ، ١٠٤ ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ١٤١- غيازي / محمد سلامة ، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب ،
 ١٤٠٣هـ ، شركة مكبات عكاظ : السعودية .
- ١٤٢- الغدير / حيدر عبد الكريم ، للسلمون واليدل الحضاري ، ط٢ ، ١٤١٢هـ ، العهد
 العالي للفكر الإسلامي : الولايات المتحدة الأمريكية .
- ١٤٣- غنام / مهن محمد إبراهيم ، أسس بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة ، ١٤١١هـ ،
 بحوث للوهر التربوي ، الأردن .
- ١٤٤- غان دالين / ديوبولد ب ، منابع البحث في التربية وعلم النفس ، ١٩٨٥م ، مكتبة
 الأنجلو : القاهرة .
- ١٤٥- فريق من كبار علماء المملكة / ندوة علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان
 في الإسلام ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ١٤٦- فهمي / محمد سيف الدين ، النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية ، ١٤١٢هـ ،
 مكتبة الأنجلو : القاهرة .
- ١٤٧- الفوزان / صالح بن فوزان ، محاضرات في العقيدة والدعوة ، ١٤٢٢هـ ، رئاسة
 إدارة البحوث العلمية والإفتاء : الرياض .
- ١٤٨- القيفي / فرحان بن سليمان ، الأخوة في الله ، التوعية الإسلامية ، ١٤٠٤هـ ،
 إدارة البحوث العامة : مكة المكرمة .
- ١٤٩- قادري / عبد الله أحمد ، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي ،

١٤٠٩هـ ، دار المجتمع : جدة .

١٥٠- القاضي / علي ، أضواء على التربية في الإسلام ، ١٤٠٠هـ ، دار الانتصار : القاهرة .

١٥١- القاضي / علي ، تكليف المسلم في ظلال التربية الإسلامية ، ١٤٠٤هـ ، مجلة التربية ، ع ٦٣ ، اللجنة الوطنية القطرية : قطر .

١٥٢- القاضي / علي ، لفاهيم الأساسية في التربية الإسلامية ، ١٤٠٧هـ ، ج ٢ ، المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية ، للمركز العام لجمعية الشبان المسلمين العالمية : القاهرة .

١٥٣- القاضي / يوسف مصطفى ، مناهج البحوث وكتابتها ، ١٤٠٤هـ ، دار المريخ : الرياض .

١٥٤- القرشي / خالد عبد الله ، تربية النبي ﷺ لأصحابه في ضوء الكتاب والسنة ، ١٤٢١هـ ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة .

١٥٥- القرضاوي / يوسف ، الرسول والعلم ، ط ٧ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة الرسالة : بيروت .

١٥٦- القرني / علي بن حسن ، حياة القائد بين القدوة والافتداء ، ١٤٠٧هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض .

١٥٧- القرني / علي حسن ، للعالم القيادية في ثقافة القائد الإسلامية ، ط ٥ ، ١٤٣٤هـ ، وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة : الرياض .

١٥٨- الفراز / محمد ، التربية بالأمثال القرآنية ، ١٤٢٣هـ ، دار فرحة للنشر : القاهرة .

١٥٩- القطان / مناع ، مباحث في علوم القرآن الكريم ، ط ٥ ، دار المعرفة : القاهرة .

١٦٠- قطب / سيد ، في ظلال القرآن الكريم ، ط ٩ ، ١٤٠٠هـ ، دار الشروق : بيروت .

١٦١- قطب / سيد ، في ظلال القرآن الكريم ، ط ١٠ ، ١٤٠٢هـ ، دار الشروق : بيروت .

١٦٢- قطب / سيد ، نحو مجتمع إسلامي ، ١٤١٥هـ ، دار الشروق ، القاهرة .

١٦٣- قطب / محمد ، دراسات في النفس الإنسانية ، ١٤١٤هـ ، دار الشروق :

القاهرة .

- ١٦٤- قطب / محمد ، منهج التربية الإسلامية ، ط٥ ، ١٥٥١ هـ ، دار الشروق : القاهرة .
- ١٦٥- الكردى / راجح عبد الحميد ، نظرية للعرفة بين القرآن الكريم والفلسفة ، ١٤٢٤ هـ ، دار الفرقان : عمان .
- ١٦٦- الكيلاني / ماجد عرسان ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ ، مكتبة دار التراث : المدينة .
- ١٦٧- الثعوب / حصه حمد ، نماذج من التربية القرآنية بالأحداث ، ١٤٠٩ هـ ، رسالة ماجستير ، قسم تربية إسلامية ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة .
- ١٦٨- للانع / عزيزة ، أساليب في التربية ، ١٤٢٠ هـ ، الدار السعودية : السعودية .
- ١٦٩- ميس / محمد سعيد ، الآداب الاجتماعية في الإسلام ، د.ت ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ١٧٠- محبوب / عبد الحفيظ عبد الرحيم ، مجلة الرابطة ، العدد ٤٦٤ ، ١٤٢٥ هـ ، رابطة العلم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ١٧١- محبوب / فاطمة ، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ، د.ت ، ج ٤ ، دار الفهد العربي : القاهرة .
- ١٧٢- محفوظ / محمد جمال الدين ، القيادة الحربية ، د.ت ، دار الاعتصام : السعودية .
- ١٧٣- للنخري / السيد أحمد ، العدل والتسامح الإسلامي ، ١٤٠٧ هـ ، السنة ٦ ، ع ٦٧ ، دعوة الحق ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .
- ١٧٤- مذكور / علي أحمد ، التربية وثقافة التكنولوجيا ، ١٤٢٣ هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة .
- ١٧٥- مذكور / علي أحمد ، منهج التربية في التصور الإسلامي ، ١٤١١ هـ ، دار النهضة العربية : بيروت .
- ١٧٦- مذكور / علي أحمد ، نظريات للتأهيل التربوية ، ١٤١٧ هـ ، دار الفكر العربي : القاهرة .

- ١٧٧- المرزوقي / آمال حمزة ، الجدل والحوار أسلوبان للتربية في القرآن الكريم ، مجلة العلوم التربوية ، ع ١١ ، ١٤٠٩هـ ، معهد الدراسات التربوية : القاهرة .
- ١٧٨- مرسى / محروس سيد ، التربية والطبيعة الإنسانية ، ١٤٠٨هـ ، دار المعارف : القاهرة .
- ١٧٩- فركز العام بالسمعات الشبان للمسلمين / للوهر العائلي الخامس للتربية الإسلامية ، ج ٢ ، القاهرة .
- ١٨٠- للشوخي / عبد الله سليمان ، مجتمعنا المعاصر ، ١٤٠٧هـ ، مكتبة لنار : الأردن .
- ١٨١- للصري / محمد أمين ، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ، ط ٤ ، ١٣٩٣هـ ، دار الفكر : بيروت .
- ١٨٢- مصطفى / مسعد بن كامل ، الثمر الداني بأدب طالب العلم الرباني ، ١٤٢٣هـ ، دار الضياء للنشر والتوزيع : طنطا .
- ١٨٣- المغاسي / خالد محمد ، الحوار أدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية ، ١٤٢٥هـ ، مركز لذلك عبد العزيز للحوار الوطني : الرياض .
- ١٨٤- مكاسي / عثمان ، التربية النبوية ، ١٤١٧هـ ، دار ابن حزم : بيروت .
- ١٨٥- مكاسي / من أساليب التربية في القرآن الكريم ، ١٤٢٢هـ ، دار ابن حزم : بيروت .
- ١٨٦- مكتب التربية العربي / الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ ، ١٤٠٧هـ ، الرياض .
- ١٨٧- مكتب التربية العربي لدول الخليج / مشروع تطوير التعليم ، الإطار النظري ، ١٤٢٥هـ ، الرياض .
- ١٨٨- ملا معمر بار / عبد المنان ، بعض ملامح السمات الوجدانية النفسية في ضوء القرآن الكريم والسنة ، ١٤١٦هـ ، السنة التاسعة ، ع ١١ ، مجلة جامعة أم القرى : مكة المكرمة .
- ١٨٩- منتصر / عبد الحليم ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، ط ٨ ، د.ت ، دار المعارف : القاهرة .

- ١٩٠- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والبيادي، ١٤٠٧هـ، تونس .
- ١٩١- النصار / زغلول واغب ، أزمة التطعيم للعاصر وحلونها الإسلامية ، ط٢ ، ١٤١٦هـ ، للعهدة العالي للفكر الإسلامي : الرياض .
- ١٩٢- النصار / زغلول واغب ، قضية التحلف العلمي والتقني في العلم الإسلامي للعاصر ، كتاب الأمة . مركز البحوث والعلوم : قطر .
- ١٩٣- النصار / عبد الحميد ، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل ، ط٢ ، ١٤١٣هـ ، للعهدة العالي للفكر الإسلامي : الولايات المتحدة الأمريكية .
- ١٩٤- النحلاوي / عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية ، ١٣٩٩هـ ، دار الفكر : دمشق .
- ١٩٥- النحلاوي / عبد الرحمن ، التربية بالآيات ، ١٤٢١هـ ، دار الفكر : سورية .
- ١٩٦- النحلاوي / عبد الرحمن ، التربية بالحوار ، ١٤٢٣هـ ، دار الفكر : سورية .
- ١٩٧- النحلاوي / عبد الرحمن ، التربية بالعبادة ، ١٤٢٣هـ ، دار الفكر : سورية .
- ١٩٨- النحوي / عدنان ، التربية في الإسلام النظرية والمنهج ، ١٤٢٠هـ ، دار النحوي للنشر : الرياض .
- ١٩٩- النحوي / عدنان علي ، بناء الأمة للمسلمة والواحدة ، ١٤١٧هـ ، دار النحوي ، الرياض .
- ٢٠٠- النحوي / عدنان علي ، دور المنهاج الرباني ط٦ ، ١٤١٤هـ ، دار النحوي : الرياض .
- ٢٠١- النحوي / عدنان علي ، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، دار النحوي للنشر : الرياض .
- ٢٠٢- النحوي / عدنان علي ، الاختلاف بين الوفاق والشقاق ، ١٤٢٥هـ ، دار النحوي : الرياض .
- ٢٠٣- النحوي / عدنان علي ، حتى تغرب ما بأنفسنا ، ١٤٢٣هـ ، دار النحوي : الرياض .

- ٢٠٤- النحوي / عدنان علي ، لقاء للثنتين ، ج ١ ، ط ٤ ، ١٤١٤هـ ، دار النحوي
للنشر ، الرياض .
- ٢٠٥- النحوي / عدنان علي ، النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، ط ٣ ، ١٤١٧هـ ، دار
النحوي : الرياض .
- ٢٠٦- النحوي / عدنان علي ، النهج في موضوعاته ومصطلحاته ، ١٤٢٥هـ ، دار
النحوي : الرياض .
- ٢٠٧- النحوي / أبو الحسن علي الحسين ، صورتان متضادتان لتفاح جهود الرسول الأعظم ،
١٤٢٣هـ ، الجمع الإسلامي العلمي لكهـو : الحمد .
- ٢٠٨- النحوي / أبو الحسن علي الحسين ، نحو التربة الإسلامية الحرة ، ط ٥ ، ١٤٠٧هـ ،
مؤسسة الرسالة : بيروت .
- ٢٠٩- النحوي / أبو الحسن علي الحسين ، التربة والمجتمع ، ١٤١٢هـ ، دار القلم : دمشق .
- ٢١٠- النحوي / أبو الحسن علي الحسين ، للنهج الإسلامي السليم ، ١٤٠٤هـ ، دار
القلم : الكويت .
- ٢١١- النحوي / محمد لقمان الأعظمي ، دراسات تربوية في الأحاديث النبوية ،
١٤١٧هـ ، مكتبة العبيكان : الرياض .
- ٢١٢- نوح / السيد محمد ، توجيهات نبوية على الطريق ، ج ٣ ، ١٤٢٤هـ ، دار اليقين :
القاهرة .
- ٢١٣- النجيري / خضر مصطفى ، المجتمع الإسلامي المعاصر في صورته الواقعية ،
١٤٠٥هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى : مكة المكرمة .
- ٢١٤- الهاشمي / عابد توفيق ، مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة ، ١٤٠٤هـ ،
دار الفرقان : عمان .
- ٢١٥- الهاشمي / عبد الحميد ، رسول العربي للربي ، ١٤٠١هـ ، دار الثقافة للجميع : سوريا .
- ٢١٦- الهاشمي / محمد علي ، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة ،
ط ٣ ، ١٤٠٨هـ ، دار البشائر الإسلامية : بيروت .

٢١٧- هندي / صالح ذهاب وآخرون ، أسس التربية ، ط٣ ، ١٤١٦هـ ، دار الفكر للنشر والتوزيع : عمان .

٢١٨- هيئة الإعجاز العلمي / من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار ، ط٢ ، ١٤٢١هـ ، المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .

٢١٩- هيكلي / محمد حسين ، حياة محمد ، د.ت ، دار النشر بدون .

٢٢٠- وزان / سراج محمد ، التلخيص في مدرسة النبوة ، دعوة الحق ، السنة ١١هـ ، عند ١٣٢ ، عام ١٤١٣هـ ، رابطة العالم الإسلامي : مكة المكرمة .

٢٢١- وصفي / مصطفى كمال ، بناء المجتمع الإسلامي على الإيمان ، مجلة لواء الإسلام ، ١٣٩٣هـ ، السنة ٣٢ ، ع ٢ ، القاهرة .

٢٢٢- الوقفي / إبراهيم ، الحوار لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ، ١٤١٤هـ ، دار الفكر العربي : مصر .

٢٢٣- ياسين / السيد ، الحوار الحضاري في عصر العولمة ، ١٤٢٢هـ ، دار النهضة : مصر .

٢٢٤- ياسين / محمد نعيم ، نظرية الدعوى بين الشريعة الإسلامية وقانون العلاقات المدنية والتجارية ، ١٤٢٥هـ ، دار الشافعي : الأردن .

٢٢٥- ياجن / مقداد ، التربية الأخلاقية الإسلامية ، ١٣٩٧هـ ، مكتبة الخاتمي : مصر .

٢٢٦- ياجن / مقداد ، التربية الذاتية القيادية النموذجية ، ١٤٢٥هـ ، عالم الكتب : الرياض .

٢٢٧- ياجن / مقداد ، دور التربية الأخلاقية الإسلامية ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ ، دار عالم الكتب : الرياض .

٢٢٨- ياجن / مقداد ياجن ، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية ، ط٢ ، ١٤١١هـ ، دار عالم الكتب ، الرياض .

٢٢٩- يوسف / عبد القادر ، حول النظرية العربية في التربية ، المجلة العربية للتربية ، ع ١ ،

١٤٠٢هـ ، يناير ١٩٨٢م ، السعودية .

٢٣٠- يوسف / محمد السيد ، منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ، ط ٢ ، ١٤٢٢هـ ،

دار السلام : القاهرة .



السلامة

قائمة الإلهام النبوية

الواردة في ثنايا البحث

ص	الحديث
٤١٧	«أما المتألمر أي آية معك من كتاب الله أعظم ...»
١٥٦	«أناكم رمتان شهر مباركة ...»
٤١٩	«أنترون أي يوم هذا ؟ ...»
١٥٤	«أنترون أين تلعب هذه الشمس ؟ ...»
٤٢١	«أنترون ما المتألمر ؟ ...»
٣٧١	«أنترون هذه المرأة طارحة ولتعا في النار ؟ ...»
١٨٠	«أنتفع في حد من حدود الله ؟ ...»
٢٩٠	«أني دعوة المظلوم فإلها ليس بينها وبين الله حجاب ...»
١٣٥	«أشوا الله في هذه النبال الممحنة فأركبوها صالحة ...»
٩٩	«أنت أي بن كعب قلت له ...»
١٥٢	«أبنت أخذوا عليك نبي وصديق وشهيدان ...»
١٠٧	«أحبوا السبع الموبقات ...»
١٠١	«أحل إلي كوعك كما يوعك رجلان منك ...»
٣٤٤	«أجتمعا لي من كان هاهنا من اليهود ...»
١٢٣	«أحسنهم خلقا ...»
٣٠٢	«أخي واليك ؟ ...»
٩٦	«ادعوا الله وأنتم موفون بالإجابة ...»
١٦٣	«إذا أناكم من أرضون خلفه ودينه فزوجه ...»
٧٢	«إذا أحب الله عبدا نادى جبريل : إن الله يحب فلانا ...»

الحديث

ص

- ٦٨ « إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَغْتَنِلُهَا تُكْتَبُ لَهُ ... »
- ٧٠ « إِذَا أَصْبَحَ مِنْ أَدَمَ فَإِنَّ الْأَغْصَاءَ كُلَّهَا تُكْفَرُ لِلنَّاسِ ... »
- ١٠٢ « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ ، أَوْ الْمُؤْمِنُ ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ ... »
- ١٥٧ « إِذَا دَخَلَ الْعَشِيرُ ، وَارْتَدَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْحَى ... »
- ٤٠٠ « إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَظَلُّوا عَلَيْكُمْ ... »
- ١٤٠ « إِذَا سَمِعْتُمْ مِصْرَاجَ الدُّبَّةِ فَسَلُّوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ قَضَاهُ ... »
- ١٤٠ « إِذَا سَمِعْتُمْ نَاحَ الْأَكْلَابِ وَتَهَيَّأَ الْخُمْرُ بِاللَّيْلِ فَتَوَضَّعُوا بِاللَّهِ ... »
- ٣٩٠ « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيَعْتَدِ ... »
- ٢٣٦ « إِذَا قَضَيْتُمْ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَحْسَبْ ... »
- ٢٣٧ « إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى الثَّلَاثَ دُونَ الْآخِرِ ... »
- ٢٥٣ « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ الْقَطْعُ عَنَّا عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ... »
- ٢١٨ « إِذَا مَكَتِ الطَّلُفَةُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً حَامِلًا مَلَكَ ... »
- ١٤١ « إِذَا وَلَّغَ الْكَلْبُ فِي إِبْنِهِ أَحَدَكُمْ فَلْيَحْسَبْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ ... »
- ٢٢٥ « أَذْهَبَ النَّاسُ ، رَبُّ النَّاسِ ، وَاشْتَفَى أَمْتُ الشَّامِيِّ ... »
- ٣٢ « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ لَهُ كَانَ مُتَأَمِّقًا خَالِصًا ... »
- ٣٢٦ « أَرْبَعٌ لَكَ الدُّنْيَا مُذْبِرَةٌ ، وَأَرْبَعٌ لَكَ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ ... »
- ٤١٣ « أَرْبَعٌ فَضَّلَ فِي ذَلِكَ لَمْ يُعْصَلْ ... »
- ٣٥٥ « أَرْجِعُوا إِلَى أُمَّتِكُمْ فَعَلِمُوهُمْ ... »
- ٦٤ « اسْتَشِيرُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ اسْتِشَارَةٍ ... »
- ٣٢٨ « الْإِسْلَامُ أَنْ تُشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ تُحَمَّدَكَ رَسُولَ اللَّهِ ... »
- ٣٦٩ « اسْتَغْفِرْ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَفَاكَ لَهُ ... »
- ٣٤١ « أَشْهَرْتُ أَنْ اللَّهَ فَذِ الْخَافِي فِيمَا اسْتَعْتَبْتُهُ فِيهِ ... »
- ١٨٠ « أَشْفَعُوا مَا لَمْ يَصِلْ إِلَى الْوَالِي ... »
- ١٥٥ « أَشْهَرُوا ... »
- ١٤٤ « أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَاذِبٌ ... »
- ٣٤٣ « أَصْبَحَ أَمْسِي ... »

الحديث

ص

٢٩٦	« اسْتَمُوا لِأَهْلِ خَيْفٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ سَأَلَهُمْ مَا يَسْتَعْلَهُمْ ... »
٨٦	« أَخَذْتُ لِعَبْدِي الصَّالِحِينَ مَا لَمْ يَنْ رَأَتْ ... »
٢٣٨-١٦٥	« اعْدِلُوا بَيْنَ آبَائِكُمْ ، اعْدِلُوا بَيْنَ أُمَّتِكُمْ ... »
٣١٣	« أَعْطُوا الْفَاجِرَ آخِرَهُ ، فَكُلْ أَنْ يَسِفَ عَرْقُهُ ... »
١٦٣	« الْفَضْلَةُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ وَقَلْبٌ شَاكِرٌ ... »
١٥٩	« لَفْلَفًا أَكُونَ فِيْنَا شُكُورًا ... »
٣٩٢	« أَقَدْ فَضِنِي ؟ ... »
٨١	« اقْرَأُوا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، فَإِنَّهُ بَاقِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَيْرًا لَأَسْحَابِهِ ... »
١٨٠	« اقْبَلُوا ذَوِي الْمَهَاتِ زِلَافَهُمْ إِلَّا فِي الْحَمْدِ ... »
٢٢٣-٢٨٠	« اكْفُلُوا مِنْ قَعْلِي مَا تَحْفَلُونَ ... »
٧٢-٥	« اكْتَمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا أَحْمَسْتَهُمْ خُلُفًا ... »
٦٩	« أَلَا أُخْبِرُكُمْ إِنْ أَعْدَلْتُمْ لَدْرُكُمْ مِنْ سَبَكْتُمْ ... »
١٨٢	« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَضْلِ مِنْ ذَرَّةِ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْعَسَكَةِ ... »
٧٣	« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْفِتْنَةِ ؟ ... »
١٧٥	« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِ أَعْرَابِكُمْ وَشِرَارِهِمْ ... »
١٦١	« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ ؟ ... »
١٢٥	« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تَحَرَّمَ عَلَى الشَّارِ ... »
١٦٠	« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنِ الْبَرُّ الْبَالِغُ ؟ ... »
١٠٢	« أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَسُخُو اللَّهُ بِهِ الْخَطِيئَاتِ وَيَرْفَعُ بِهِ الشَّرَحَاتِ ... »
٤٠٦	« أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاهُمْ أَنْ يَحْلِقُوا بِأَبَائِهِمْ ... »
٦٨	« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ ... »
٤٠٢	« أَلَا تَأْتُونِي ؟ وَأَنَا أَمِينٌ مِنْ مَنِ السَّيِّئِ ... »
٢٦٦	« أَلَا تَعْلَمُونَ هَذِهِ رُفْعَةُ الشَّلَّةِ كَمَا عَلَّمَتْنِي الْكِتَابَةُ ... »
٣٦٨	« أَلَا رَجُلٌ مُسَيِّئُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةُ ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ ؟ ... »
٢٨٤	« أَلَا تَعْلَمُونَ رَاعٍ ، وَتَعْلَمُونَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ... »
١٦٤	« أَتَبَى لِسْرُهُ إِذَا نَظَرَ ، وَطَبِخُهُ إِذَا أَمَرَ ... »

الحديث

ص

- « أَلَيْسَ مَالٌ خَيْرٌ ؟ » ٢٩٢
- « أَلَمْ أَخْبَرَكُمُ أَنَّكَ تَعُودُ اللَّيْلَ ، وَتَصُومُ النَّهَارَ ؟ » ٢٢٢
- « أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ؟ » يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي ! ٢٣٨
- « إِيَّيَّيْ أَقْرَبِيَّتَا مَلَكَ بَابَا ٣٠٦
- « أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَفْسٌ مِمَّنْ وَهَىٰ فِيهِمْ أَنْ يَتَّخِذُوا دِينًا دِينًا ٨٨
- « أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَفْسٌ مِمَّنْ وَهَىٰ فِيهِمْ أَنْ يَتَّخِذُوا دِينًا دِينًا ١٣٧
- « أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَفْسٌ مِمَّنْ وَهَىٰ فِيهِمْ أَنْ يَتَّخِذُوا دِينًا دِينًا ٤١١
- « أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ٦٣
- « إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي حَاءَ الشَّيْطَانِ فَلَيْسَ عَلَيْهِ ٧٧
- « إِنْ أَحَدَكُمْ يُخْمَعُ خَلْفَهُ فِي بَطْنِ أُمَّةٍ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ٢١٧
- « إِنْ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَعَلَّمَهُ ٢٥١
- « إِنْ الْإِيمَانُ كُوتِبَ بِهِ ، فَإِذَا رَسَعَ فَارْكَعُوا ٣٨٧
- « إِنْ الرَّحِمَ شَحَنَةً مِنَ الرَّحْمَنِ ٣٠٧
- « إِنْ الرَّحِمَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَالَهُ ١٣٦
- « إِنْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ ١٥٣
- « إِنْ الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَغْدُوَ الْمُصَلِّينَ فِي حَزْبَةِ الْقَرْبِ ٢٣٠
- « إِنْ الشَّيْطَانُ يُخْرِجُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَحْرَى الدَّمِ ٢٣٥
- « إِنْ الصَّلَاةُ تَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنْ الْبِرُّ تَهْدِي إِلَى الْحَيَةِ ١٢٦
- « إِنْ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً لُكِّتْ فِي قَلْبِهِ لُكَّةٌ سَوْدَاءٌ ٦٦
- « إِنْ الْعَبْدَ إِذَا سَبَّحَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مِثْرَةً ٩١
- « إِنْ اللَّهُ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ٢٩٨
- « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لِي عَنْ لُبِّي مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ صُلُوحَهَا ٢٣٧
- « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قُبْحَةٍ قُبْحَتَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ٢١٥
- « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ! ٦٥
- « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ١٣٤
- « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَالْمَلَائِكَةَ ثُمَّ مَنَ ذَلِكَ ٦٩

- « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ الزَّكَاءَ بِشَرْعِهِ مِنَ النَّاسِ ... » ٢٧١
- « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ إِلَى صَوْرَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ... » ٦٦
- « ... إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْنِ مَعَنَا وَلَا مَعَكُمْ ... » ٢٧١
- « إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْمَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَأَنْتَاهُمْ ... » ١٣٨
- « إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَمَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ... » ٨٨
- « إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلَى وَيَضَعُ بِهِ الْآخِرِينَ ... » ٢٥٨
- « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ السَّعَابُونَ لِمَالِي ؟ ... » ٣٧٠
- « إِنَّ اللَّهَ يُوسِّعُكُمْ بِأَسْهَابِكُمْ (ثَلَاثًا) ... » ٣٠٣
- « إِنَّ الْمُؤْمِنَ كَالْزُرِّ يُحْسِنُ عِلْمَهُ فَرَحَهُ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ... » ١٢٢
- « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَيْهِ ... » ١٩٨
- « أَنْ تَشِئْ : أَنَّهُ سَطَّ سَطًّا مُرْتَبَعًا وَسَطًّا وَسَطًّا فَحَطَّ الْحَرِثُ ... » ٤٢٢
- « أَنْ تَشِئْ : كَانَ يَتَعَوَّدُ مِنْ أَرْبَعٍ : مِنْ عِلْمٍ لَا يَقْبِضُ ... » ٢٥٨
- « إِنَّ الْإِنْسَانَ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْوَخْشِيِّ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... » ١٢٤
- « إِنَّ أَهْلَ الشَّرْحَاتِ الْعُلَى يَرَامُهُمْ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ ... » ٣٢٦
- « إِنَّ لَوْلَى مَا يُخَاسِبُ بِهِ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَافُهُ ... » ٨٠
- « أَنْ حَبْرَئِيلَ ﷺ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! اشْكَيْتَ ؟ ... » ٢٢٤
- « إِنَّ فَلَكَ سَيِّكُونُ ... » ٢٢٩
- « أَنْ رَحُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ... » ٣٩٩
- « إِنَّ رَحُلًا زَارَ أَحَدًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ... » ٣٧٠
- « أَنْ رَحُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَمَّا بَيْنَ حَبْلَيْنِ ... » ١٦٦
- « مَنْ رَحُلًا قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَقْبِضُ اللَّهُ لِقَلْبَانِ ... » ٨٤
- « أَنْ رَحُلًا مِنْ أَهْلِ الْعَيْتَةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزُّورِ ... » ٣٥٤
- « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ بِأَمْرِ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَبْرَةَ ... » ٤٠٠
- « إِنَّ عَرَبِينَ إِتَمَّ عَلَى الْبَحْرِ ، فَبَعَثَتْ سَرَاهَهُ فَبَعَثَتِ النَّاسَ ... » ١٢١
- « إِنَّ فَلَكَ حَصْمَتَيْنِ يُجَاهِدُهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمَ وَالْقَانَةَ ... » ٢٢٩
- « إِنَّ لِلْعُلُوبِ لِنَشَاطًا وَإِبَالًا ... » ٢٧٢

الحديث

ص

٣٩٣	« إِنَّ لِلَّهِ مَا أُخِذَ ، وَلِلَّهِ مَا أُعْطِيَ ... »
٩٧	« إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أُنْزِلَ مِنْهَا رَحْمَةٌ وَاحِدَةٌ ... »
٦٩	« إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ لَكَّةَ يَطْلُفُونَ فِي الطَّرِيقِ ... »
٣٢٨	« إِنَّ مَثَلَ مَا يَخْتَصِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ ... »
٣٢٥	« إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْآلِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا ... »
١٦٣	« إِنَّ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لِي أَحْسَنُكُمْ أَهْلًا ... »
١٨٢	« إِنَّ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لِي وَالْقَوْمُ كُنْ مِنْهُمْ مِثْلُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... »
٤١٦	« إِنَّ مِنْ أَجْمَلِ الْكُتُبِ أَنْ تَقْرَأَ الرَّجُلُ وَالْبَيْتَ ... »
٤١٥	« إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ... »
١٠٦	« إِنَّ مِنَ الثَّمَرِ ثَمَرَاتٍ لِلشَّيْرِ ، مَعَالِيقُ لِلشَّوْءِ ... »
١٨٣	« إِنَّ مِنْ سَيِّئِكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَهْلًا ... »
٢٩٤-١٨٨	« إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسَ مَا هُمْ بِالْأَيَّاءِ وَلَا عِبَادَاءَ ... »
١٩٦	« إِنَّ مِنْ وَرَوَاتِ الْأُمُورِ الْبَيِّنِ لَا تَخْرُجُ لِمَنْ أَوْفَقَ لِنَفْسِهِ فِيهَا ... »
٣٨٩	« إِنَّ مِنْكُمْ مُتَفَرِّقِينَ ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِأَمْرِي فَكَيْفَ ... »
٣٦٥	« إِنَّ لِكُلِّ قَرْصَةٍ نَبِيٍّ مِنْ قَالِيَاءَ ... »
٢٥٢	« إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَاطْفُورُوا عَنْهُ لَأَخْلُودَ دِينَكُمْ ... »
٤٠٧	« إِنَّ هَذَا حَيْدُ اللَّهِ وَلَمْ تَحْمِدِ اللَّهَ ... »
١٩٦	« إِنَّ يَهُودِيًّا رَجُلًا رَأَى خَلْقًا بَيْنَ خَيْرَيْنِ ... »
١٥٥	« إِنَّ يَوْمَ الدَّائِنِ وَالْخَمِيسِ يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ ... »
١٥٦	« إِنَّ يَوْمَ الْخُمَةِ سَيِّدُ أَهْلَامِ ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ... »
٢٩٧	« أَلَا وَكَأَنَّ الْيَتِيمَ فِي الْحَلَةِ هَكَذَا ... »
٢٩١-١٨٨	« أَشَرُّ أَعْمَالٍ طَالَمَا لَوْ تَطْلُومَا ... »
١٧٥	« إِيَّاكُمْ سَقَرُونَ بَعْدِي أَلَزَّةً وَأُمُورًا تُنْكَرُونَهَا ... »
٣٢٦	« إِيَّاكُمْ سَقَرُونَ رَبُّكُمْ كَمَا قَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ ... »
٣٢٤	« إِيَّاكُمْ أَجْلُكُمْ فِي أَحَدٍ مِنْ خَلَا مِنْ قَلْبِهِ ... »
٦٥	« إِيَّاكُمْ الْأَعْمَالُ بِالْيَتَامَى ... »

الحديث

ص

٢٧٨	« إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِذَا لَأَمْرِي مَا تَوَى ... »
١٧٨	« إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِذَا لَأَمْرِي مَا تَوَى ... »
٣٢٩	« إِنَّمَا نَعْلُ مَا صَاحِبُ الْكَرَمِ كَمَنْ مَلَاحِبُ الْإِبِلِ الْمُتَمَلِّةِ ... »
٣٢٥	« إِنَّمَا نَعْلِي وَمَنْ مَلَاحِبُ اللَّهِ بِهِ كَمَنْ مَلَاحِبُ اللَّهِ قَوْلًا فَقَالَ ... »
٩٠	« إِنَّهُ سَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي إِدْمَ عَلَى سَبِيلٍ وَكَذَلِكَ مَا لَمْ يَفْصِلْ ... »
٩٣	« إِنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَئِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَئِيلَ ... »
١٤٢	« إِنَّمَا أَمْسَتْ بِبَعْضِ، هِيَ مِنَ الطَّوْغَاتِ أَوْ الطَّوْغَاتِ ... »
١٤٦	« إِنَّمَا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سَلَطَ عَلَى أُمَّتِي ... »
٣٧٦	« إِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْلَمُهُ ... »
١١٤	« إِنْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُهُ ... »
٣٧٨	« إِنَّمَا لَأَمْرِي مَا فَتَرَ بَدَلِي فِيكُمْ ... »
٢٤٢	« إِنَّمَا لَأَمْرِي مَا فَتَرَ بَدَلِي فِيكُمْ ... »
٢٣٠	« إِنَّمَا لَأَمْرِي مَا فَتَرَ بَدَلِي فِيكُمْ ... »
٣٩١	« إِنَّمَا لَأَمْرِي مَا فَتَرَ بَدَلِي فِيكُمْ ... »
٣٦٦-٣٤	« إِنَّمَا لَأَمْرِي مَا فَتَرَ بَدَلِي فِيكُمْ ... »
٦٩	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »
٧٤	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »
١٧٥	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »
٣٧٧	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »
٢٧٣	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »
٢٣٦-١١٠	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »
٢٩١	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »
٤٢٥-١٠١	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »
٤١٨-٢٣٩	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »
٣٩٦	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »
٢٥٧	« أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصْنَعُونَ ؟ ... »

- « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ... » ٧١
- « لَنْ أُنْزِلَ عَلَيْكَ ... » ٢٣٢
- « أَيُّهَا النَّاسُ ! قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا ... » ٣٩٧
- « بَشِ أَمْرُ الْعَصِيَةِ وَبَشِ ابْنُ الْعَصِيَةِ ... » ٤٠٤
- (نَابِغَتُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ... » ١٧٣
- « نَع ، ذَلِكَ مَالُ الرَّائِعِ ، ذَلِكَ مَالُ الرَّائِعِ ... » ٣١٠
- « بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغَرِيبِ ... » ٩٠
- « أَفَرُّ حَسَنُ الْخُلُقِ ، وَأَفْظَمُ مَا حَالَكَ فِي مَشْرُكٍ ... » ١٢٦
- « بَشُّوْا وَلَا تَقْرُؤُوا ، وَتَسْرُؤُوا ، وَلَا تَعْسُرُوا ... » ١٣٠
- (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى امْرَأَةٍ أَنْ تُرِي ظِلْمَتَكَ الشَّامَ ... » ٢٨٢
- « أَتَيْتُمَا بِالْبَيْتِ مَا لَمْ يَكُنْ ... » ٣١٢
- « بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ ... » ٨٠
- « بَيَّنَّا امْرَأَةً لَزَعَتْ أَهْلَهَا إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ وَهِيَ لَزِيعَةٌ ... » ٣٥٤
- « بَيَّنَّا رَجُلًا يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَفَضَرَتْهَا ... » ٣٦٢
- (بَيَّنَّا أَنَّ أُنْثَىٰ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ وَهِيَ مُتَكَيِّئَةٌ ... » ٢١٢
- « بَيَّنَّا رَجُلًا يَمْشِي بِطَرِيقٍ ، وَجَدَ غُصْنًا شَوْكًا ... » ٣٦٦
- « بَيَّنَّا رَجُلًا يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ... » ٣٦٥
- « بَيَّنَّا مُوسَىٰ فِي سَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ ... » ٢٥١
- « بَابِلُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَقَوْمَكُمْ ... » ٢٢٩
- « تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَحَبِّكَ لَكَ صَلَافَةٌ ... » ١٨٦
- « تَحَدُّثُ مَنْ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ، ذَا الْفَوْحَيْنِ ... » ١١٤
- « تَدْنَعُ الْعَيْنُ ، وَتَحْزَنُ الْقَلْبُ ... » ٢٤٥
- « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِيْمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُلِهِمْ كَنُتْلِ الْحَسَنِ ... » ٢٩٢
- « تَسْمَعُونَ وَتَسْمَعُ مِنْكُمْ ، وَتَسْمَعُ مِنْ سَمْعِ مَنْكُمْ ... » ٢٥٤
- « تَصْنَعُونَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُمْ ... » ٣٠٤
- « تَطْبَعُ الطَّعَامُ ، وَتَقْرَأُ الْمَنَامُ عَلَى مَنْ عَرَفَتْ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ... » ٣٠٧

- « لَعَلَّكُمْ يَأْمُرُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ... » ١٠٩
- « تَعَالَى ، إِنَّمَا صِدْقُهُ بَشَرٌ حَسْبُ ... » ٢٣٥
- « تُعْرِضُ الْفَتْرَ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصْبِ عُرْدًا عُرْدًا ... » ١٢٦
- « تِلْكَ مَخْضُ الْإِيمَانِ ... » ٢٣٥
- « لَتَكُنَّ الْمَرْأَةُ تَارِعَةً لِمَالِهَا ، وَحَسْبِهَا ... » ١٦٣
- « ثَلَاثٌ أَحْبَبَهُنَّ لِلنَّبِيِّ وَالْإِسْرَافِيُّ : هَذِهِ السَّنَةُ أَنْ يَعْلَمُوهَا ... » ٢٥٥
- « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَحَدٌّ بَيْنَهُمَا الْإِيمَانُ ... » ٦٦
- « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ... » ١١٨
- « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْفَاقِلُ لِلدَّيْنِ ... » ٢٠٢
- « حَاءٌ حَبْرٌ إِلَى الشَّيْءِ ﷻ فَقَالَ : يَا مُحَدِّثُ ! أَوْ يَا أَيُّهَا الْقَاسِمُ ! ... » ٨٤
- « حَامَتِ امْرَأَةٌ إِلَى الشَّيْءِ ﷻ بِرُذْرَةٍ ... » ١٦٧
- « الْحَجَّ عَرَفَةٌ ... » ٢٠٢
- « حَدَّثَ النَّاسَ كُلَّ خُمْعَةٍ مَرَّةً ... » ٢٧٢
- « حُفَّتِ الْحُفَّةُ بِالْمَكْرُورِ ، وَخُفَّتِ الشَّارُ بِالشُّهُورِ ... » ٨٩
- « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ... » ٢٩٤
- « حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْءٌ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ اللَّهُ ... » ١٢٩
- « الْحَلْفُ مُتَّفَقٌ لِلْمُتَّفَعِ مُتَّحِقَةٌ لِلرَّكَّةِ ... » ٣١٢
- « الْحُسَى مِنْ دَرَجِ حَيْثُمْ ، فَأَطْلِقُوهَا بِأَسَاءٍ ... » ٢٢٤
- « خُلْتُ فَتَمَوَّلُهُ أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ ... » ٢٤٠
- « خَلُّوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا ، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ ... » ١٣٦
- « خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكَ وَيَكْفِيكَ بَيْتُكَ ... » ٣٠٤
- « خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنَسَبِهِمْ ... » ١٦٤
- « خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ... » ٣٠٦
- « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَعْلَى ... » ١٦٤
- « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَعَلَّمَهُ ... » ٢٥٣
- « ذَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ ... » ١٢٠

حديث

ص

- « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ... » ٩٥
- « دُعُوهُ فَإِنَّ لِمَا حَبِيبَ الْحَقِّ مَقَالاً ... » ١٩٣
- « دُعُوهُ وَأَقْرَبُوا عَلَى تَوَكُّلِهِ دُكُونًا مِنْ مَاءٍ ... » ١٧٢
- « الدُّنْيَا سَبْعُ أَهْلِهَا مِنْ رَحْمَةِ الْكَافِرِ ... » ١٩١
- « الدُّنْيَا الصَّيْحَةُ ... » ٢٠٢
- « دَعَبَ الْمُطْطَرُونَ الْيَوْمَ بِأَخْبَرِ ... » ٣٩٤
- « الرَّاكِعُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ... » ١٢٨
- (رَأَى الشَّيْءَ ﷺ رَحَلًا يُصَلِّي وَيُحِبُّ قَدَمَهُ لُحْمَةً ... » ٧٨
- « رَأَى جِبْسِي ابْنَ مَرْثَمَ ﷺ رَحَلًا يَسْرِقُ ... » ٣٦٥
- (رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَصْنَعُهَا ... » ٣٨٠
- « رَحِمَ اللَّهُ رَحَلًا سَمَحًا إِذَا تَبَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى ... » ٣١١
- « رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى لَنَدَّ أَوْدِيَّ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَّرَ ... » ٤٠١
- « الرَّحِمُ مُعْتَلَةٌ بِالْعَرَضِ يَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ... » ٣٠٩
- « السَّامِعِي عَلَى قَارْمَتِهِ وَالْمُسْتَكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... » ٢٩٥
- (سَأَلْتُ عَائِشَةَ : مَا كَانَ الشَّيْءُ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ ؟ ... » ٢٨٠
- « سَعَةً يُظَلُّهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ... » ١١٥
- « سَلُّوا اللَّهَ عِلْمًا تَالَعًا ، وَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَتْلَعُ ... » ٢٥٨
- « السَّمْعُ وَالْعِلَاقَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُلَاحَظْ بِالْمُعْتَصِفَةِ ... » ١٧٤
- « سَيِّئَاتِكُمْ أَهْوَاءُ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ ، فَإِذَا رَأَوْهُمُ فَقُولُوا لَهُمْ ... » ٢٥١
- « خَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ قَوْلِيكُمْ ، يُدْعَى لَهَا الْأَعْيَاءُ ... » ٣٠٨
- « الصَّيْرُ عِنْدَ الصَّلَاةِ الْأَوَّلَى ... » ٧١
- (صَبَّحْتُ ابْنَ عُمَرَ فِي طَرِيقٍ قَالَ : فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ ... » ٣٧٩
- « صَلَاةُ أَحَدِكُمْ فِي حِمَاةٍ تَرِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوءِهِ ... » ٧٩
- « الصَّلَاةُ عَلَى وَثْقَا ... » ٣٤٠
- « صِفَانِ مِنْ أَعْلَى الثَّارِ لَمْ أَرَهُمَا ... » ٨٩
- « صَوْمُوا بِرُؤْيَاكُمْ ، وَافْطَرُوا بِرُؤْيَاكُمْ ... » ١٥٧

الحديث

ص

٢٥١	« طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ... »
٧٠	« الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ... »
٩٨	« الْعَيْدُ إِذَا رُمِيَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَدَعَبَ أَصْحَابُهُ ... »
٧١	« عَظُمُ الْحَزَنِ مَعَ عَظُمِ الْبَلَاءِ ... »
٢٦٤	« الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ ... »
٣٤٣-١٨٧	« عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَسَنَةٌ ... »
٤١٢	« عَمَلًا صَنَعَهُ يَا عُمَرُ ... »
٢٢٥	« أَلْعَيْنُ حَلٌّ ، وَلَوْ كَانَ خَيْرُهُ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ ... »
١٦٥	« فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ... »
٣٥٥	« قُلُوْا كَلْتُكُمْ ، لَأَرْجُكُمْ قَهْرًا ... »
١٧٣	« فِيمَا اسْتَغْلَسْتُمْ ... »
١٢٠	« فَأَرَبُوا وَاسْتَفُؤُوا ، وَلَمْ يَكُنْ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ كَفَارَةً ... »
٣٦٧	« قَالَ رَجُلٌ : لَأَكْفِدَنَّ الثَّلْبَةَ بِصَدَقَةٍ ... »
٣٥٦	« قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَغْتَلْ خَيْرًا قَطُّ : فَإِذَا مَاتَ فَحَرَّقُوهُ ... »
٣٦١	« قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : لَأَطُوفَنَّ الثَّلْبَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ ... »
٣٠٣	(فَأَلَوْا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ يُرُّ ؟ قَالَ ...)
٣٧٨	(قُلِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْحَمَرُ ، ثُمَّ قَالَ ...)
٦٤	« قُلْ : أَتَشْتَرِي بِاللهِ مَا اسْتَلِمْتُمْ ... »
٤١٦	« قُلْ رَبِّي اللهُ ثُمَّ اسْتَلِمْتُمْ ... »
٢٣٢	« قُمْ أَمَا تُرَابٌ قُمْ أَمَا تُرَابٌ ... »
٣٧٥	« فَوُضُوا فَالْعَزُوا ثُمَّ احْتَلَفُوا ... »
٣٦٠	« كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ فَكَّكُمْ يَحْمِلُ لَهْ فِي الْأَرْضِ ... »
٨٢	(كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ ...)
٤١٢	(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ حَيَاءَ مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي حَبْرِهَا ...)
٢٧٢	(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَهَامِ كَرَاهَةً السَّامَةِ عَلَيْنَا ...)
٤١٣	(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْمِقُهُ فِي صَلَاتِهِ وَغَنَ لَا نَشْعُرُ ...)

الحديث

ص

- « كَانَ لِلْحَبَرِ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُشِيرًا قَالَ لِقَاتَانِهِ ... » ٢٦٦
- « كَانَ زَكْرِيَّا نَسَارًا ... » ٢٧٩
- « كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يُدْنِي ابْنَ عَثِمٍ ... » ٢٥٩
- « كَانَ فِيمَنْ كَانَ فِيكُمْ رَسُولٌ قُلْتُ بَشْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا ... » ٣٦٣
- « كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا الْبَقَاعُ ، جَاءَ الذَّبُّ فَخَلَعَ بَاقِي إِحْدَاهُمَا ... » ٣٥٨
- « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ ... » ١٩٠
- « كُلُّ النَّاسِ يَغْتَابُ ، فَبَايَعُ نَفْسَهُ ، فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوْبَقُهَا ... » ٧١
- « كُلُّ أُمَّتٍ يَدْخُلُونَ الْحَيَّةَ إِلَّا مِنْ أُنَى ... » ٨٦
- « كُلُّ مَا جِئْتُ ، وَالنَّاسُ مَا جِئْتُ ... » ٢٤٦
- « كُلُّ نَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً ... » ٢٧١
- « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ... » ٣٠٢
- « لِكَلِمَةٍ أَلْحَكُمُةَ صَالَةَ الْمُؤْمِنِ ، فَحَبِثْ وَحَدِّثْهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا ... » ٣٤
- « كَلِمَتَانِ يَخْفَيَانِ عَلَى النَّاسِ ، تَقِيْلَانِ فِي الْحِيزَانِ ... » ١٠١
- « كَلُوا وَأَشْرَبُوا وَأَسْبُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَحِيلَةٍ ... » ٢٤٦
- « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ... » ٣٢٦
- « كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَحَقَّ حَقًّا ، وَخَطَّ خَطْفَيْنِ عَنْ بَعِيهِ ... » ٤٢٤
- « كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ جُلُوسًا ، وَهُوَ مُنْطَلِعٌ بَيْنَنَا ... » ٢٧٠
- « كُنْتُ أُنْشِئُ مَعَ نَاصِيَةِ النَّبِيِّ ، فَمَرَّ عَلَى صَبِيَّانِ ... » ٣٨٦
- « كُنْتُ أُنْشِئُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرَّةٌ تَحْرَانِي ... » ١٦٦
- « كُونُوا رِيَاءِيْنَ ... » ٢٥٣
- « لَيْسَ كُنْتُ كَمَا قُلْتُمْ ، فَكَلِمَاتُ لِسْفِهِمُ الْمَلِّ ... » ٣١٠
- « لَا إِلَهَ إِلَّا ... » ٢٨٣
- « لَا تَعَاسُوا ، وَلَا تَلَاغُوا ، وَلَا تَبَاغُضُوا ... » ٢٨٩
- « لَا تَحْفَرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَلَوْ أَنَّ تَلَقَّى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ ... » ٢٩٩
- « لَا تَدْخُلُونَ الْحَيَّةَ حَتَّى تَوُفُّوا ... » ٣٩٩
- « لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ ... » ٨٥

الحديث

ص

- « لَا تَسْبِي أَحَدًا ... » ١٢٢
- « لَا تَسْبُوا الرِّيحَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا ... » ١٤٧
- « لَا تَصَاحِبْنَا نَافَةَ عَلَيْهَا لَعْنَةُ ... » ١٣٦
- « لَا تَمْسِكِي حَتَّى الْفَرْفَرِ مَقْلٍ ... » ٢٣٥
- « لَا تَلْعَبُ ... » ٢٣١
- « لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى تَأْخُذَ لِمَنِي بِأَحَدِ الْقُرُونِ ... » ٣٨١-٥
- « لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ... » ١٥٧
- « لَا تَكْرِهُوا مَرَضَكُمْ عَلَى الطَّعَامِ ... » ٢٢٤
- (لَا تَكُونُوا أَمْعَةً تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا ... » ٤٢
- « لَا تَكُونُوا عَوْنِ الشَّيْطَانِ عَلَى أَحِبِّكُمْ ... » ٤٠٧
- « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي النَّسْرِ : رَجُلٌ آثَاهُ اللَّهُ مَنًّا فَسَلَّطَ عَلَى عِلْكَيْهِ ... » ٢٦٣
- « لَا شَيْءَ لَهُ ... » ٢٧٨
- « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ... » ٢٩٣
- « لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ... » ٩٨
- « لَا تَأْتِ الصَّلَاتِ ، وَلَكُلُّهُمْ الدِّينَ يُصُومُونَ ... » ٣٥٧
- « لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَحَبِّهِ ... » ٣١٣
- (لَا يَحُدُّ أَحَدٌ خَلَاةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ... » ٨٦
- « لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَرَّقَى ثَلَاثَ أَيَّامٍ ... » ١١٢
- « لَا يَدْخُلُ الْحَتَّةَ حَبٌّ وَلَا يَحِلُّ وَلَا مَثَانُ ... » ١٢٢
- « لَا يَدْخُلُ الْحَتَّةَ قَاطِعٌ رَجِيمٌ ... » ٣٠٩
- « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي فِلِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ... » ٧٣
- « لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ ... » ١٠٠-٧٦
- « لَا يَرْفُونَ وَلَا يَسْتَرْفُونَ وَعَلَى رِجْلَيْهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ... » ٢٢٦
- « لَا تَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ... » ٦٨
- « لَا تَزْنِي الزَّانِي حِينَ تَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ... » ١٠٨
- « لَا يُلْغِ الْمُؤْمِنُ مِنْ حُجْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ ... » ٤١٧

حديث

ص

١٣٦	« لا ينبغي لصديق أن يكون لغاتاً ... »
٢٧٩	« أَنْ يَغْلُو أَحَدُكُمْ فَيُحْطَبَ عَلَى ظَهْرِهِ ... »
٣٨١-٤	« لَتَقْتُلَنَّ سِتْرَ مَنْ كَانَ فَكَلَّكُمْ شَيْراً خيراً ... »
١٣٧	« لعن الله الواسلة والراخية ... »
١٩٤	« لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّائِي وَالْمُرْتَبِي ... »
٧٨	« لَقَدْ سَأَلَنِي عَنْ عَظِيمٍ ذِيَّةٍ لَسِيءٍ ... »
٢٢٣	« لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الشَّيْءِ يَرَأَى بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ... »
٢٧١	« لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحاً بِبَوَاقِي عِيْدِهِ حِينَ يَقُوبُ فِيهِ ... »
٢٩٥	« لَمَّا خَرَجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَطْقَارٌ مِنْ نُحَاسٍ ... »
٢٨٥	« لَنْ تَرَاهُمَا ، لَنْ تَرَاهُمَا ... »
٩٨-٧٣	« اللَّهُ أَفْرَحُ بِبَوَاقِي عِيْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيْرِهِ ... »
٣٠١	« اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَاِنَّي ارْحَمُهُمَا ... »
١٤٣	« اللَّهُمَّ أَفْعَا ، اللَّهُمَّ أَفْعَا ، اللَّهُمَّ أَفْعَا ... »
٢٦٦	« اللَّهُمَّ اِنْعَمِي بِنَا عَلَيْنِي وَعَلَيْنِي مَا يَنْفَعُنِي ... »
٢٣٤	« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْكَسَلِ وَالْحَسَنِ وَالْجَحْلِ ... »
٢٦٦	« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ... »
١٨٤	« اللَّهُمَّ قَاتِلْنَا مُؤْمِنٍ سَبَّهَ فَاحْتَلَّ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً ... »
٩٢	« لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تُوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تُوَكُّلِهِ ... »
٢٣٩	« لَوْ كَانَ ثَانِي آدَمَ وَآدَمَانَ مِنْ مَالٍ لَأَتَقَى ثَالِثًا ... »
٣٥٨	« لَوْ لَادَى مِنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ الْجَنَّةَ ... »
٣٨٤	« لَوْ أَنَّ أَلْتَ مَا احْتَدَيْتَا ، وَلَا تَصَدَّقْتَ ، وَلَا صَلَّيْتَ ... »
٢٥٤	« لِيَسْلُغَ شَاهِدُكُمْ غَايِبَكُمْ ... »
٣٤٥-٢٣١	« لَيْسَ الشَّهِيدُ بِالصَّرَخَةِ ... »
٢٤٠	« لَيْسَ الْغَنَى عَنْ خَيْرَةٍ فَرَضٍ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى عَنِ الْفَقْرِ ... »
٢٩٥	« لَيْسَ الْكِتَابُ الَّذِي يَصْلُحُ بَيْنَ الشَّيْءَيْنِ خَيْرًا لَوْ يَقُولُ خَيْرًا ... »
٣١١	« ليس الواسل بالمكافئ ... »

الحديث

ص

٣١٢	«لَيْسَ مِنَّا مَنْ هَدَسَ ...»
٤٠٥	«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرًا وَيُوَكِّرَ كَبِيرًا ...»
١٩٠	«الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِفُ النَّاسَ، وَيُضَيِّرُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ...»
٢٣٤	«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ حَسْبٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ...»
١٢٢	«الْمُؤْمِنُ هَرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ عِبٌّ لَيْمٌ ...»
٢٩٣-١٨٥	«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْكَتَّانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ...»
٣٢٢	
٢٨١	«مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ حَتَّىٰ مِنْ أُنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ ...»
١٩٤	«مَا بَالُ الْعَامِلِ تَبَتُّهُ خِيَابِي يَقُولُ : هَذَا لَكَ ، وَهَذَا لِي ؟ ...»
٢٧٩	«مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَافِعِي عَنِّي ...»
٢٤٨	«مَا لَمْ تَكُنْ بِعَبْدِي فَتَدْرُ أَصْرُ عَلَى الرَّحَالِ مِنَ النِّسَاءِ ...»
٤١٠	«مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ ...»
٣٤٦	«مَا حَدَّثْتُ بِكَلْبِي عَنكُمْ ؟ ...»
٣٨٢	«مَا حَسَنَ كُمْ عَلَى إِقَاءِ بَعَالِكُمْ ؟ ...»
١٧٣-٣	(مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ الْأَمْرَ هَهُنَا ...
٣٠٥	«مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْحَيَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَرُونِي ...»
٤٠٣	«مَا عَلِمْتُ إِذْ كَانَ حَالِي ، وَلَا لَطَفْتُ إِذْ كَانَ حَالِي ...»
٩٦	«مَا عَلَى الْآرَضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِثْمًا ...»
٢٧٩	«مَا كَسَبَ الرَّحُلُ كَسْبًا أَكْثَبَ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ ...»
٣٢٧	«مَا لِي وَمَا لِلنَّاسِ ، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ ...»
٣٣١	«مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَثَلُ مَا يَحْتَلُّ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي النَّيِّمِ ...»
٢٢٦	«مَا مَثَلُ أَقْمِي وَعَاءٍ خَرَّ مِنْ يَدِي ...»
٣٠٩	«مَا مِنْ ذَكَبٍ أَخَذْتُ أَنْ يَحْتَلَّ اللَّهُ لِعَالِي أَسَاحِيهِ الْعُقُوبَةُ ...»
١٢٣-٧	«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْفِيْزَانِ مِنْ حَسَنِ الْخُلُقِ ...»
١٧٤	«مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رِعِيَةً فَلَمْ يَخْطُهَا بِتَعْبِيحَةٍ ...»
١٦٩	«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رِعِيَةً ...»

الحديث

ص

٢٨٠	« مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْشًا ، فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ ... »
١٤٩	« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاظَ حَقًّا حَقًّا فَمَا قَوْلُهَا ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ بِهَا حَرَجًا ... »
١٤٩	« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسَ غَرْشًا ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا ... »
٧٦	« مَا مِنْ مُؤْمِدٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ... »
٧٥	« مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ فَبُكِيَ إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِثُونَ ... »
٢٤١	« مَا مِنْ نَوْمٍ يُصْبِحُ الْبَيَاضُ فِيهِ ، إِلَّا مَلَكَانَ يَتَرَدَّدَانِ ... »
٢١٨	« مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُوسَةٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الشَّارِ ... »
٢٥٤	« مَا مِنْكُمْ مِنْ أُمَّةٍ لَقَدْ كُتِبَ لَهَا وَلَبِثَ إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ الشَّارِ ... »
١٧٨	« مَا يَكْبَلُكَ يَا ابْنَ الْمَسْلُوبِ ؟ ... »
١٢١	« مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَصَبٍ ، وَلَا نَصَبٍ ... »
٤٠١	« مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْرِعَهُ عَنْكُمْ ... »
٢٣٠	« مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رُبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رُبَّهُ ... »
٢٢٧	« مَثَلُ الَّذِي يَتَرَأَّى لِلْعَرَانِ الْكَرِيمِ كَالْأُرْجَةِ طَفْعُهَا طَيِّبٌ ... »
٢٣١	« مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْعَنَابَةِ مِنَ الزَّوْجِ ، تَصِفُهَا الرِّيحُ مَرَّةً ... »
٢٣٢	« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَوَاحِيهِمْ وَتَرَاحِيهِمْ وَتَعَاطِيهِمْ ... »
٢٣٤	« مَثَلُ الْمُتَدَبِّرِ فِي حُلُودِ اللَّهِ وَقَوَائِعِ فِيهَا ... »
٢٢٣	« مَتَنِي كَمَنْ لِي رَحْلِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَصَابَتْ مَا حَوَّلَهَا ... »
١٢١	« الْمُشَاهِدُ مَنْ خَافَهُ لَفْسُهُ ... »
٧٨	« مُرُّوا لَوْلَاكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ... »
٢٢٧-٢٠٠	« مُرُّوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ... »
٤٢٠	« مُرُّوا بِحَقَارَةِ قَاتِلُوا عَلَيْهَا خَيْرًا ... »
٢٩١	« مُسْتَرْجِعٌ وَمُسْتَرْجَحٌ مِنْهُ ... »
١٨٨	« الْمُسْلِمُ أَحَرُ الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ ... »
١١٨	« الْمُسْلِمُ مَنْ سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَبَدَّه ... »
٢٩٤-١٨٦	« مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعْلَوْهُ ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطَوْهُ ... »
٧٤	« مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَالِحًا ... »

الحديث

ص

- « مَنْ أَسْبَحَ بِكَلِمَاتِ آمَنَ فِي سِرِّهِ ، نَتَقَى فِي حَسْبِهِ ... » ٢٢٧
- « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ... » ١٧٥
- « مَنْ أَطْعَمَ لِلَّهِ ، وَتَعَمَّقَ لِلَّهِ ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ ... » ١١٩
- « مَنْ أَقْطَعَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ عَقْلًا ... » ١٩٢
- « مَنْ أَقْنَى كَلْبًا ، إِلَّا كَلَبَ صَيْدٍ أَوْ مَخَاجِيَةَ تَقْصُرُ مِنْ أُخْرَى ... » ١٤١
- « مَنْ أَقْسَمَ بِرِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَقَدَّاهُ اللَّهُ مُؤَلَّةَ النَّاسِ ... » ٩٣
- « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ... » ٦٧
- « مَنْ تَزَلَّ ثَلَاثَ حُمُوحٍ تَهَلَّوْا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ ... » ٩٠
- « مَنْ لَزَّوْنٌ أَنْ يَكْتُمُوا هَذِهِ ؟ ... » ١٦٨
- « مَنْ نَسَّحَ سَبْعَ لَمَرَاتٍ عَشْوَةً ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌ ... » ٢٢٦
- « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا ، مِمَّا يُتْلَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ﷻ ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُعِيبَ بِهِ غَرْمًا ... » ٢٥٧
- « مَنْ بَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا وَأَزِيدُ ... » ٦٧
- « مَنْ حَالَتْ شَاكَتْهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُلُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ ... » ١٨١
- « مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ؟ ... » ١٣٨
- « مَنْ حَرَّمَ الرِّفْقَ حَرَّمَ الْخَيْرَ ... » ١٣٨
- « مَنْ حَمَلَ عَيْنًا مَسْلُوحَةً لَيْسَ مِثْلُهَا ... » ١٩٦
- « مَنْ خَالَفَ الدَّلِيلَ ... » ٦٦
- « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ ... » ٤٢١
- « مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيُخْبِرْهُ ... » ١٧٤
- « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُتَكَبِّرًا فَلْيُخْبِرْهُ بِهِ ... » ٢٠١
- « مَنْ رُبَّ هَذَا فَحَمَلُ ؟ لِمَنْ هَذَا الْحَمَلُ ... » ١٣٥
- « مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكُنْهُمُ الْحَمَةُ اللَّهُ يُلْحِمُ مِنْ عِلْمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... » ٢٥٦
- « مَنْ سَرَّ أَنْ يُسَبَّحَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُسَبَّحَ لَهُ فِي آثَرِهِ ... » ٣٠٨
- « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَتَّقِبُ فِيهِ عِلْمًا ... » ٢٥١-٢٠
- « مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا فَلَهُ أُجْرَةٌ ... » ١١٩
- « مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ ... » ٧٩

حديث

ص

- « مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ ثَلَاثِينَ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا ... » ٨٠
- « مَنْ طَالَ صُفْرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ ... » ١٢١
- « مَنْ طَلَّبَ الْعِلْمَ (الْحَارِيَ بِهِ الْفُتُوءَ أَوْ الْهَارِيَ بِهِ السُّفْهَاءَ) ... » ٢٥٧
- « مَنْ عِلَّمَ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرٌ مِنْ عَمَلِ يَوْمٍ لَا يَنْقُصُ مِنَ أَجْرِ الْعَامِلِ ... » ٢٥٢
- « مَنْ فَتَحَ خَلْدَهُ يَوْمَئِذٍ ؟ ... » ١٣٨
- « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِثْمًا وَاحْتِسَابًا عَفِرَ لَهُ ... » ٧٦
- « مَنْ قَتَلَ ذَنْبًا مَالَهُ فَهُوَ شَهِيدٌ ... » ١٩٣
- « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَوْمَئِذٍ ... » ١٩٧
- « مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ يَسِيلُ لِحَتَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى حَتَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... » ٢٣٨
- « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَإِذَا شَهِدَ امْرَأً فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ ... » ١٦٤
- « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُؤْذِ حَارَةً ... » ١١٣-٩٧
- « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ... » ٢٠٥
- « مَنْ كَانَتْ الْأُخْرَى حُمَةً جَعَلَ اللَّهُ غَنَاءً فِي قَلْبِهِ ... » ٦٥
- « مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا حُمَةً ، فَرَى اللَّهُ عَلَيْهِ امْرَأَةً ... » ١٠٧
- « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَطْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرْبِهِ أَوْ ضَيْفٍ فَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ ... » ٢٨٩
- « مَنْ لَا يَرْضَى لِي رُحْمٌ ... » ٢٢٢-٢٠١
- « مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ ... » ١٢٠
- « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ... » ٢٩٤-٢٥٨
- (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ... » ٣١
- « ... مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ... » ٢٥٢
- « مُهَلَّلًا لَا عَالِيَةَ ، إِنَّ اللَّهَ لَيُحِبُّ الرُّفُقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ ... » ٤٠٠
- « نَامَ الْعَالِمُ ... » ٣٧٧
- « نَزَلَ مَلَكَ مِنَ السَّمَاءِ يُكَلِّمُهُ بِمَا قَالَ لَكَ ... » ٢٤٢
- « نَعَضَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنْهَا خَبْرًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ ... » ٢٥٥
- « نَعَضَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنْهَا شَيْئًا فَلَبَّغَهُ كَمَا سَمِعَ ... » ٢٥٤
- (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ ... » ١٤٠

الحديث

ص

- « مَا خَرَّ إِلَّا رَأْسُهُمْ بِسَارَةٍ فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمَلُوكِ ... » ٣٥٩
- « هَذَا حَتْلُ نَحْبَتِنَا وَنَحْبَتِهِ ... » ١٥١
- « هَلْ تَتَعَرَّوْنَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِشَعْمَانِكُمْ ... » ٢٩٨
- « فَلَا تَقْصَعُمْ بِحُلِيِّكُمْ ... » ١٣٩
- « وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ! مَا مِنْ كِتَابٍ لِلَّهِ سُورَةٌ إِلَّا آتَا أَعْلَمُ ... » ٢٥٢
- « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ... » ١١٣
- « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ... » ٢٩٧
- « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْتِرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَقْلَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... » ٢٠٠
- « ... وَإِنَّهَا آتَاءَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَرْبِي وَلَكِنَّةٌ ... » ٢٨٥
- « وَاعْبُدِي لِأَحْسَنِ الْأَسْلَافِ ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا آتٌ ... » ١٧٢
- « وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُنْقِطٌ مُتَصَادِقٌ مُوَفَّقٌ ... » ١٨٥
- « وَأَنْتُمْ بَنِي ؟ إِلَى آيَتٍ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْلِيَنِي ... » ٣٩٥
- « وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ... » ١١٣
- « أَطْلَعْتُمْ سَبْعَتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ ... » ٤٠٠
- « يَا أَبَا ذَرٍّ ! إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا آتَاءَةٌ ... » ١٧٧
- « يَا أَبَا ذَرٍّ ! أُخْبِرْتُ بِأَمْرِهِ ؟ إِنَّكَ لَمُرُؤٌ هَيْكَلٌ جَاهِلِيَّةٌ ... » ٤٠٥
- « يَا أَبَا عُمَيْرٍ ! مَا فَعَلَ الْغَيْرُ ؟ ... » ١٧١
- « يَا ابْنَ آدَمَ ! إِنَّكَ إِذَا تَذَلَّلَ الْقَمَلُ خَرَّ لَكَ ... » ١٩٠
- « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيعُونَ ... » ٣٧٥
- « يَا عِبَادِي ! إِي خَرُفْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ... » ٨٣
- « يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ مِنْ سَمُرَةَ ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ... » ١٧٦
- « يَا عُمَيَّانُ ! أَرَأَيْتَ عَنْ شَيْءٍ ؟ ... » ٢٢٣
- « يَا عَلِيُّم ! إِي أَنْفَلْتُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ... » ٣٤٨
- « يَا عَلِيُّم ! أَنَاذُنِي أَدْنِيهِ فَاخْتَبَعْ ؟ ... » ٢٩٩
- « يَا مَحْرَمَتَا هَذَا حَبَابَةٌ لَكَ ... » ١٦٩
- « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْمَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ... » ٢٤٧-١٦٣

الحديث

ص

- « يَا مَعْزَرَ السَّاءِ ! لَصَانُكَ وَأَجْرُنْ مِنَ الْإِسْطِقَارِ ... » ٢٢٠
- « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ ، لَا تُحْفِرْنَ حَاوِيَةَ لِحَارِكُنَّ وَكُوْهُرِهِنَّ شَاةٍ ... » ٣٠٧
- « بِالْعَالَمَةِ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ بِحَبِّ الرَّفَقِ ... » ١٣٨
- « يَا هَلَالُكُمْ ! إِيَّيْ أَقْلَمُكُمْ كَلِمَاتٍ : احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ... » ٩٤
- « تَعَتَّ الشَّيْطَانُ مَرْكَاهُ فَيُضَوِّدُ النَّاسَ ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَثَرَةً أَعْظَمُهُمْ فَلَنَّهُ ... » ٢٣٥
- (نَحَاةً بِالرَّحْلِ نَوْمَ قِيَامَةِ فُلَيْقَى فِي النَّارِ ... » ١٩٩
- « يَدْخُلُ الْحَيَّةُ مِنْ أُنْثَى سَعُونٍ أَلْفَا بَعِيرٍ حَسَابٍ ... » ٩٢
- « يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ ، وَالنَّارُ عَلَى الْقَاعِدِ ... » ٢٩٧
- « يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ... » ٧٢
- « تَغْشَى رُؤُوسَكُمْ مِنْ رَأْسِي غُصْنٌ فِي رَأْسِي شَطِيبَةٍ يَحْتَلِ ... » ٣٦٨
- « يُقَالُ لِمَصَاحِبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، إِذَا دَخَلَ الْحَيَّةُ ... » ٢٥٧
- « يُقَالُ لِمَصَاحِبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قُرْأً وَكَرَمًا ... » ٨١
- « يَقُولُ الرَّبُّ ﷻ : مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَذَخَّرَ عَنِّي مُسَالَمِي ... » ٣٢٨
- « يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : أَنَا عِنْدَ كُلِّ عِيْدِي بِئِ ... » ٦٧
- « يُكْفَرُ أَمْرُ آدَمَ ، وَيُكْفَرُ مَعَهُ أَشْيَانُ ... » ٢٣٩
- « يُكُونُ فِي أَمْرِ الرُّمَّانِ دَسَالُونٌ كَقَدَّوْنٍ ... » ٢٧٠-٨٨
- « يُنَزِّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ... » ٩٦
- « يُنْقَعُكَ إِنْ خَذَلْتَهُ » ٩ ... » ٢٢٠
- « يُوشِكُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنَاقِضَ عَلَيْكُمْ كَمَا نَدَايَ الْكَأَلَةِ إِلَى قَصْعَتِهَا ... » ١٧٩

